UPDATED TO INCLUDE THE PERSIAN GULF WAR

"[They] are the most serious and comprehensive chroniclers of Israeli intelligence to date."
—THE NEW YORK TIMES BOOK REVIEW

ISRAEL'S SECRET WARS

A HISTORY OF ISRAEL'S INTELLIGENCE SERVICES

حروب إسرائيل السرية

الترجمة للعربية بواسطة دار نون للنشر

IAN BLACK &
BENNY MORRIS

من داخل تل أبيب

حروب إسرائيل السرية

الترجمة للعربية بواسطة دار نون للنشر بالقاهرة

محتويات:

قام العديد من الأشخاص، وخاصةً أولئك الذين عملوا في الهاجاناه أو الوكالة اليهودية أو المؤسسة الصهيونية، بعبرنة أسمائهم (أحيانًا الأسماء الأولى وأسماء العائلات) خلال فترة الانتداب وفي السنوات الأولى بعد الاستقلال عام ١٩٤٨. وقد اتُبِعَت الممارسة المتبعة في هذا الكتاب، وهي إعطاء الاسم الأصلي أولاً مع الاسم الجديد بين قوسين، ثم استخدام الاسم الجديد فقط. وهكذا، أصبح رؤوفين زسلاني (شيلواه) فيما بعد رؤوفين شيلواه، وأصبح موشيه شيرتوك (شاريت) موشيه شاريت.

في تأليف هذا الكتاب، حرصنا على استخدام أكبر قدر ممكن من الوثائق الأصلية، مع الإشارة دائمًا إلى مصدر معلوماتنا (سواءً أكان وثيقة أم مقابلة أم كتابًا أم صحيفة). وتستند أجزاء كبيرة من الرواية إلى مقابلات مع أفراد سابقين في الاستخبارات الإسرائيلية من الأجهزة الثلاثة. وكان عدد كبير، على نحوٍ مفاجئ، مستعدًا للتحدث، مع أن قلة قليلة فقط وافقت على الكشف عن هويتها. وقد مُنع الكثيرون بموجب القانون من نشر أسمائهم، وأعربوا عن استيائهم من ذلك. وفضّلت بعض المصادر غير الإسرائيلية عدم الكشف عن هويتها.

اعتمدنا أيضًا بشكل كبير على الصحف والمجلات والكتب الإسرائيلية والأجنبية، مع الحرص دائمًا على فصل الغث عن السمين. بذلنا جهودًا مضنية للتحقق من المعلومات من مصدرين مستقلين أو أكثر. وقد راجع ضباط استخبارات متقاعدون الجزء الأكبر من الكتاب، مع العلم أن أي أخطاء في الوقائع أو التفسيرات ربما تكون قد تسللت إلينا هي بالطبع أخطاء منا.

لقد واجهنا صعوبةً بسبب حقيقةٍ مُزعجة، وإن كانت حتمية، وهي أن كل ما نكتبه سيُخضع في النهاية لرقابة عسكرية إسرائيلية. لكن الرقباء تعاملوا مع عملنا النهائي بتسامحٍ أكبر بكثير مما توقعنا، أو مما كان ليتمتع به أي شخص قبل بضع سنوات فقط. والمثير للدهشة أنه لم يُحذَف الكثير من المخطوطة الأصلية المُكتملة (وذلك فقط بعد استنفاد جميع إجراءات الاستئناف الممكنة).

لقد ساعد في هذا المشروع عدد كبير جدًا من الأشخاص

ذُكرت أسماء العديد ممن ساهموا في هذا الكتاب. وقد ذُكرت أسماؤهم في الملاحظات الواردة في نهاية الكتاب؛ ولكن بعض هؤلاء الذين كانت مساعدتهم لا تُقدّر بثمن لا يزالون غير قادرين على شكرهم علنًا.

his 1s oe: من المخاطر المهنية المؤسفة الناجمة عن

متطور، وwntmg حول، الذكاء. مقدمة

على بُعد بضعة أميال شمال تل أبيب، قبالة الطريق الساحلي الإسرائيلي المطل على البحر الأبيض المتوسط، تلوح في الأفق مجموعة من المباني الخرسانية الرمادية البيضاء غير المميزة، وسط صف من أشجار الكينا المغبرة الموازية للطريق الرئيسي. انعطف يسارًا بعد تقاطع غليلوت المزدحم، مرورًا بالجنود الذين ينتظرون المصاعد، وهناك، مختبئًا في وسط المجموعة، ومع ذلك مُعلّم بوضوح ليراه العالم أجمع، يقع نصب تذكاري عام رائع لأكثر من 400 إسرائيلي سقطوا أثناء خدمتهم في أجهزة المخابرات في بلادهم. ربما يكون النصب التذكاري مناسبًا بما فيه الكفاية، إذ بُني على شكل متاهة، وهي عبارة عن مجمع متشابك من الجدران الحجرية الملساء المحفورة عليها أسماء الشهداء، وكل اسم يُمثل تاريخ وفاتهم. ينقسم النصب إلى خمسة أقسام زمنية، تبدأ من نوفمبر 1947 - عندما صوّتت الأمم المتحدة على تقسيم فلسطين الخاضعة للحكم البريطاني إلى دولتين يهودية وعربية منفصلتين - وتنتهي (حتى الآن) في فبراير 1989. أما القسم الذي يغطي السنوات الخمس عشرة الماضية، فيحمل عنوان "بدايات السلام"، ولكنه لا يزال يضم

أكثر من 200 اسم. وتتوفر المزيد من الجدران الفارغة، المطلة على مدرج خارجي مُعشب، للاستخدام مستقبلًا.
كان من المفترض أن يكون النصب التذكاري حلمًا لكل جاسوس. لكن سطوة السرية الرسمية تُثقل كاهل حتى الموتى. أسماء وتواريخ، نعم، لكن لا توجد رتب، ولا وحدات، ولا أماكن، ولا أي تلميحات عن الظروف التي فقد فيها هؤلاء الجنود المجهولون حياتهم. مات بعضهم موتًا طبيعيًا بعد سنوات طويلة في الظل، ومع ذلك لا يزال معظمهم مجهول الهوية، تمامًا مثل العديد ممن سقطوا أثناء الخدمة الفعلية.
وقد حُكي عدد قليل من قصصهم، على الرغم من أن معظمها مغطى بطبقة ثقيلة من الأسطورة البطولية. هناك، منذ الأيام الأولى، يعقوب بقاعي، الذي أُعدم في الأردن عام 1949 بعد تسلله متنكرًا عبر خطوط وقف إطلاق النار مع مئات من أسرى الحرب العرب المفرج عنهم. وهناك ماكس بينيت وموشيه مرزوق، اللذان توفيا في سجن مصري في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي بعد الكشف عن شبكة التخريب الإسرائيلية الشهيرة في قلب قضية لافون. وهناك إيلي كوهين، الجاسوس الأسطوري الذي اخترق أعلى مستويات الحكومة السورية وشُنق على الهواء مباشرة على شاشة التلفزيون في دمشق عام 1965؛ وباروخ كوهين، عميل الموساد الذي قُتل بالرصاص في مدريد على يد مسلح فلسطيني عام 1973؛ وموشيه جولان، ضابط جهاز الأمن الداخلي (الشاباك) الذي قُتل على يد مخبر من الضفة الغربية في منزل آمن داخل إسرائيل عام 1980؛ وكان من بين القتلى ياكوف بارسيمانتوف، رجل الموساد الذي اغتيل في باريس قبل أسابيع من غزو لبنان في عام 1982؛ وفيكتور ريجوان، رجل الشاباك الذي قتل في تبادل لإطلاق النار مع مسلحين مسلمين في غزة قبل اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في عام 1987.
يمكن أن يساعد القليل من المعرفة والخيال في معرفة معظم الأسماء التي لا تزال غير معروفة لعامة الناس على نطاق أوسع. إن مجموعة من الرجال الذين قُتلوا في يونيو 1967 وعدد أكبر ممن لقوا حتفهم بين أكتوبر وديسمبر 1973 هم خسائر وحدات الاستخبارات الميدانية للجيش خلال حرب الأيام الستة وحرب الغفران. وتضمنت مجموعة أخرى ممن لقوا حتفهم في نفس اليوم في نوفمبر 1983 عملاء الشاباك الذين فجّرهم انتحاري شيعي في مدينة صور بجنوب لبنان. لكن معظم الأسماء لا تزال غامضة وغير قابلة للاختراق وغير قابلة للانحناء كشواهد قبور. يعكس فقط تفصيل إجمالي الوفيات (المتاح حتى منتصف عام 1988) الأدوار المختلفة - ودرجة التعرض للخطر المميت - للأجهزة الثلاثة المنفصلة التي تشكل مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي: مخابرات الجيش، 261؛ الشاباك، 80؛ الموساد، 65.
لدى إسرائيل العديد من النصب التذكارية للحرب. أقامت وحدات عسكرية مختلفة - المظليون والقوات الجوية وسلاح الدبابات - نصبًا تذكارية للرجال والنساء الذين فقدوهم في خمس معارك ضارية.
حروب تقليدية واسعة النطاق (ست حروب إذا احتسبنا "حرب الاستنزاف" على قناة السويس بين عامي 1968 و1970) وأربعة عقود من التوغلات عبر الحدود وعمليات مكافحة العصابات. أُقيم النصب التذكاري لضحايا أجهزة الاستخبارات في غليلوت عام 1984 نتيجةً لضغوط من عائلات الضحايا، الذين شعروا بأن مساهمة علاقاتهم في الأمن القومي لم تُمنح التقدير العلني الكافي. لا يزال بعضٌ من أصل 415 رجلاً وامرأة حُفرت أسماؤهم على جدران النصب مدفونين في قبور مجهولة أو بأسماء مستعارة في الدول العربية التي عملوا فيها.
النصب التذكاري فريد من نوعه وغريب في نفس الوقت، وهو عبارة عن حل وسط متوتر

بين متطلبات السرية الرسمية القاسية وضرورة الاعتراف بمن عاش أحباؤهم وماتوا في سرية. ربما لا يوجد مكان آخر على وجه الأرض، يتناسب مع حجمه وعدد سكانه، يُنتج أو يُحلل أو يستهلك قدرًا من المعلومات الاستخبارية كإسرائيل، دولة يبلغ عدد سكانها أربعة ملايين نسمة، تعيش في حالة حرب منذ نشأتها قبل ثلاثة وأربعين عامًا، وترى مستقبلها يعتمد، ربما أكثر من أي وقت مضى، على الحاجة إلى "معرفة" أعدائها، والتنبؤ بنواياهم، وإحباط مخططاتهم.
الاستخبارات تجارة متنامية. الكاتب البريطاني
وقد حسب فيليب نايتلي أنه في منتصف ثمانينيات القرن العشرين كان أكثر من مليون شخص ينفقون 17.5 مليار جنيه إسترليني سنويا، منخرطين في ما ذكر هواة التجسس بأنه "ثاني أقدم مهنة".1
تتزايد أيضًا الدراسة الجادة للموضوع. في الأوساط الأكاديمية
بدأت الاستخبارات العالمية تحظى بالاهتمام باعتبارها "البُعد المفقود" الذي لا يمكن بدونه فهم السياسة والحرب والدبلوماسية والإرهاب والعلاقات الدولية فهمًا صحيحًا.2 وقد تولت الولايات المتحدة، بتقاليدها الفريدة، وإن كانت مهددة في كثير من الأحيان، والمتمثلة في الانفتاح النسبي في مثل هذه الأمور، زمام المبادرة في هذا المجال. ولكن حدث تقدمٌ مُبهر في أماكن أخرى. ففي بريطانيا، أظهر مؤرخون مثل كريستوفر أندرو أن العمل الجاد وأساليب البحث المبتكرة يمكن أن تتغلب على بعض القيود الأكثر عبثيةً المتمثلة في السرية الرسمية، و"التدقيق" غير المتقن، والرقابة باسم الأمن القومي. المجلات العلمية والندوات والمؤتمرات المتعددة...
وتنتشر المؤتمرات الدولية المتخصصة مثل أجهزة الاستخبارات والأمن نفسها.
لقد جلب الكشف معه مزيدًا من الاهتمام العام. كانت محاولات الحكومة البريطانية المطولة لحظر كتاب "صائد الجاسوس"، المذكرات المثيرة لضابط المخابرات السابق بيتر رايت، محكومًا عليها بالفشل في النهاية. تجاهلت إسرائيل هذا الدرس، وفي عام ١٩٩٠ حاولت وفشلت أيضًا في وقف نشر كتاب محرج عن الموساد لفيكتور أوستروفسكي، الضابط السابق الساخط، في الولايات المتحدة وكندا. لا تستطيع المجتمعات الديمقراطية الصمود باستمرار أمام الضغوط من أجل قدر من المساءلة والسيطرة على أجهزتها السرية. وهذا صحيح بشكل خاص عندما تُوجَّه جهود الاستخبارات ضد مواطني الدولة نفسها، وليس ضد الجيوش الأجنبية أو الجواسيس أو الإرهابيين. ولكن على عكس إسرائيل، لا الولايات المتحدة ولا بريطانيا في حالة حرب.
ومع ذلك، حتى إسرائيل ليست بمنأى عن هذا التوجه نحو مزيد من الانكشاف. فقد شوّهت فضائح أمنية وتجسسية عديدة مؤخرًا سمعة أجهزتها السرية بشكل كبير، مع أن الأخطاء، كما هو الحال في جميع أجهزة الاستخبارات، أصبحت معروفة للعامة بسرعة أكبر بكثير من النجاحات. ففضيحة لافون في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، والفشل الاستخباراتي الذي سبق الهجوم المصري السوري المفاجئ في أكتوبر/تشرين الأول 1973، والقتل الفاشل لرجل بريء في ليلهامر بالنرويج، في حرب الموساد الغامضة ضد الإرهاب الفلسطيني، وفضائح الشاباك بين عامي 1984 و1986 بشأن قتل السجناء وتعذيب المشتبه بهم، جميعها موثقة بشكل أكثر شمولاً من العدد الهائل من النجاحات التي حققتها إسرائيل.
النجاح مشكلة أيضًا. فمثل أجهزة الاستخبارات الأخرى في المجتمعات الديمقراطية الأخرى، أصبحت إسرائيل بارعة في بناء روابط انتقائية مع صحفيين ممتنين لأي معلومات سرية تُنشر من العالم السفلي.

لدى إسرائيل أمثال نايجل ويست وتشابمان بينشر، كاتبان بريطانيان احتكرا لسنوات الكتابة عن أجهزة الاستخبارات في بلدهما استنادًا إلى مقابلات لا تُنسب إليهما. وسياسة إسرائيل الصارمة...
. إن قوانين الرقابة العسكرية وعدم الإفراج عن كل المواد الاستخباراتية تقريبًا الموجودة في الأرشيفات الحكومية تعمل معًا على ضمان
يبقى الكشف محدودًا بشكل عام. ولهذا السبب جاءت ادعاءات فيكتور أوستروفسكي الضارة في كتابه "عن طريق الخداع: صناعة وتفكيك ضابط الموساد" بمثابة...
ضربة موجعة.
ومن ثم فإن أي دراسة جادة للموضوع من المؤكد أنها ستكون صعبة.
ليس من الضروري تبني الرأي الجامد القائل بأن الحدث لا يكون صحيحًا إلا إذا وُثِّق بطريقة ما للإقرار بأن وجود أدلة دامغة مكتوبة هو الاستثناء وليس القاعدة في مجال الاستخبارات والأمن. تتوفر كمية كبيرة من الوثائق الأصلية - إذا عرف المرء كيف وأين يبحث - للفترة الممتدة حتى عام ١٩٥٨ تقريبًا؛ ويمكن لهذه المواد أن تُقدم رؤىً ثاقبة حول مسائل لم يكن من المقصود نشرها علنًا، وربما ما كان ينبغي تدوينها على الورق.
تقارير سرية عن اغتيالات وجرائم قتل بموافقة رسمية
لا تزال القيلولات باقية من فترة الفوضى التي سبقت اندلاع حرب عام ١٩٤٨. ملف رُفعت عنه السرية لحركة كابلات الموساد، يُفصّل الاتصالات بين بغداد وتل أبيب، يُعطي لمحةً رائعةً عن تفاصيل العمليات السرية، وعن الذعر المتزايد عندما يُكشف أمر عميل، وقد يكون يتحدث تحت وطأة التعذيب؛ كما تُعطي مجموعةٌ من المواد الأكثر بساطةً، وإن كانت مثيرةً في كثير من الأحيان، إحساسًا بحجم وطبيعة جمع المعلومات الاستخباراتية الروتيني. تُظهر سجلات استجواب المتسللين الفلسطينيين الأسرى كيف بنت إسرائيل صورةً عن عدوها. تكشف مواد وزارة الخارجية عن دبلوماسيين اختاروا تجاهل الحقائق الاستخباراتية عندما تناقضت مع المعلومات الرسمية.
خط الدعاية.
منذ نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، أصبحت الوثائق المعاصرة متاحة
متفرقة، أو معدومة، أو في أغلب الأحيان، غير متاحة. قد تكون الأدلة التاريخية الأخرى جزئية أو غير موثوقة: فالمذكرات الشخصية غالبًا ما تعاني من الرقابة الذاتية والميل البشري الفطري لخدمة مصالح شخصية. ينسى كبار السن؛ لكن قد يعاني الشباب أيضًا من هفوات ذاكرة مفاجئة - فالرقابة الرسمية غالبًا ما تفرض ذلك.
ومع ذلك، إذا كانت العقبات التي تعترض دراسة الاستخبارات الإسرائيلية
هناك حوافز قوية جدًا. أحدها هو الافتقار الصارخ للعمل المتوازن والواقعي حول هذا الموضوع، بينما
إن كثرة الروايات الخيالية أو المثيرة للجدل "الفصائلية" والأميال التي لا حصر لها من الصحف المطبوعة تشير إلى أن الاهتمام بها قوي ومتزايد.
تظل رحلة جون لو كاريه الجريئة إلى الشرق الأوسط في رواية "عازفة الطبلة الصغيرة" أفضل معالجة أدبية للاستخبارات الإسرائيلية وحربها المستمرة على الفلسطينيين. وتتناول رواية "عملاء البراءة"، وهي قصة آسرة للكاتب الأمريكي ديفيد إغناطيوس، هذا الموضوع أيضًا. لكن هذه الروايات الناجحة - والعديد من الأعمال العبرية الحديثة الأقل شهرة والتي لم تُترجم إلى لغات أخرى - تُعدّ استثناءات. لم يُنتج الصراع

العربي الصهيوني سوى عدد قليل من أبطال الكتب الورقية الخالدين؛ فكثير من الأعمال التي يُفترض أنها "وثائقية" تدين بالخيال أكثر بكثير من الواقع.
على سبيل المثال، تم الترويج لفيلم "عملية سفينة اليورانيوم"3 على أنه رواية "حقيقية" لكيفية قيام فريق من العملاء الإسرائيليين في عام 1968 باختطاف سفينة مليئة باليورانيوم لاستخدامها في البرنامج النووي السري للبلاد.
البرنامج. يكشف غلاف الكتاب بشكل مثير للاهتمام أن الفريق كان يضم:
عميل إسرائيلي خارق وسيم، متطور، لا يرحم... امرأة شابة جميلة ذات مهارات جنسية رائعة... قاتل محترف رفيع كالسلك وفعال بشكل قاتل... قبطان بحري أشيب تم إجباره على خدمة محفوفة بالمخاطر... عبقري ميكانيكي صنع المعجزات بأي شيء مصنوع من المعدن... وآخرين... من أعلى مستويات النخبة العلمية والتجسسية في إسرائيل إلى أقصى حدود شبكتها العالمية من العملاء.
سيكون من الصعب على العالم الحقيقي منافسة هذه الصفات الفائقة، ولكن إن لم تكن الحقيقة أغرب من الخيال، فهي بالتأكيد أكثر تعقيدًا. لدى العملاء السريين مراقبون، ولدى المراقبين رؤساء أقسام، تمامًا كما أن رؤساء المخابرات مسؤولون أمام الوزراء، الذين بدورهم...
الدبلوماسية، والميزانيات، والرأي العام، والانتخابات للتفكير فيها.
من المواضيع المتكررة في تاريخ الاستخبارات الإسرائيلية كيفية تسلل السياسيين إلى العالم السري، وفرض المطالب، وممارسة السيطرة، ثم التهرب من المسؤولية عند حدوث أي خطأ. السؤال الجوهري حول لافون كانت القضية التي خيمت على أفق مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي وهزت حياته السياسية على فترات متقطعة لما يقرب من عقدين من الزمن، هي: "من أصدر الأمر؟". وينطبق السؤال البسيط الخادع نفسه على الفضيحة التي اندلعت عام ١٩٨٦ بشأن قتل جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) لسجناء عرب، وعلى تجنيد وتهريب جوناثان بولارد، الجاسوس اليهودي الأمريكي لإسرائيل الذي هزّ اعتقاله وكشفه لفترة وجيزة شبكة الاتصالات والتبادل الاستخباراتي الأمريكية الإسرائيلية المتينة.
من الحوافز الأخرى لدراسة الاستخبارات الإسرائيلية أهميتها الحقيقية. لا يزال الصراع بين الدولة اليهودية وجيرانها العرب، في بعض جوانبه، مريرًا ومستعصيًا على الحل اليوم كما كان عام ١٩٤٨، عندما شقت إسرائيل المستقلة طريقها إلى العالم من أنقاض الانتداب البريطاني وفوضى الفلسطينيين والحكومات العربية التي دعمتهم.
عندما تفشل الاستخبارات، سواءً في وضعها الأساسي كأداةٍ تهدف إلى توفير إنذارٍ مبكرٍ عن قوة العدو ونواياه، أو في وضعها الثانوي كمزودٍ للمعلومات الخام والتقييمات المدروسة التي تُبنى عليها السياسات والاستراتيجيات والتكتيكات، فقد تكون النتائج كارثية. لم تُنسى الدروس المريرة لحرب أكتوبر 1973، عندما أُلقيَ باللوم الأكبر في الكارثة الأولية على عاتق الاستخبارات العسكرية، وللمخطط المُبالغ فيه والخاطئ الذي أدى إلى غزو لبنان عام 1982. ومع ذلك، وعلى الرغم من أهميتها، فإن الاستخبارات لا توجد في فراغ؛ فنصائح الخدم السريين يمكن أن تكون - وغالبًا ما تكون كذلك.
- تجاهلها السياسيون. فهم، وليس رؤساء التجسس، من يجب أن يضعوا السياسات.
لم يتضاءل أهمية الاستخبارات العسكرية والسياسية الدقيقة والموثوقة بالتقدم الملحوظ المحرز نحو التعايش العربي الإسرائيلي. إن مبادرة السادات عام ١٩٧٧، وما تلاها من معاهدة سلام مع مصر، والسلام

الفعلي مع الأردن، وتراجع "الكفاح المسلح" لمنظمة التحرير الفلسطينية في أعقاب حرب لبنان، لا تعني أن الاستخبارات الإسرائيلية تستطيع الاكتفاء بما حققته.
زعم يهوشافات هركابي، رئيس الاستخبارات العسكرية السابق اللامع، والذي أصبح الآن صريحًا في تصريحاته بأنه "حمائمي"،
وقد أقنعت هذه الدراسة بشكل مقنع بأن تغيراً جذرياً قد حدث في المواقف العربية تجاه إسرائيل، وأن العبء يقع الآن على عاتق الدولة اليهودية لمواجهة هذا التحدي. وقد أصر هاركابي وآخرون على أن "معرفة عدوك" يجب أن تشمل معرفة كيفية إدراك أن هذا العدو قد يكون في طور التحول إلى عدو غير محارب.
لكن الصراع، مع اندلاعه الدوري لحرب شاملة وفترات راحة متوترة مطولة بينها، لا يزال مستمراً. لم تُحل المأساة السياسية والإنسانية للفلسطينيين بعد؛ فبدون هذا الحل، لا يمكن للصراع إلا أن يتعمق أو في أحسن الأحوال أن يركد. لا تزال أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية في عين الصراع - الاستخبارات العسكرية، بأجهزتها الاستشعارية التي تركز على الأسلحة والنوايا السورية والعراقية؛ والشين بيت كطرف فاصل للحكم الإسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة؛ والموساد كذراع تنفيذية في المعركة الشرسة للإرهاب ومكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط وأوروبا. لقد كان رد الشين بيت على الانتفاضة الفلسطينية - الانتفاضة - في الأراضي المحتلة واغتيال الموساد لأبو جهاد، القائد العسكري البارز لمنظمة التحرير الفلسطينية، في أبريل 1988 بمثابة تذكير بمركزية هذه الأجهزة.
كان اختطاف إسرائيل المثير للجدل للزعيم الشيعي اللبناني المتشدد، الشيخ عبيد، في يوليو/تموز 1989، بهدف الحصول على ورقة تفاوض في مفاوضات إطلاق سراح جنودها المحتجزين لدى الجماعات الموالية لإيران في لبنان، مثالاً آخر من بين أمثلة عديدة على الجرأة المبنية على معلومات استخباراتية دقيقة ونظرة ثاقبة لخصومها. ولا تزال دول عربية قوية، مثل سوريا والعراق، تُشكل تهديدًا عسكريًا لسيطرة إسرائيل على الأراضي المحتلة، إن لم يكن لإسرائيل نفسها. قلب غزو العراق للكويت في أغسطس/آب 1990 المنطقة رأسًا على عقب، إذ حطم تحالفات قديمة وشكّل تحالفات جديدة، مما خلق شكوكًا ومخاطر لم تكن متوقعة من قبل للمستقبل. وعلى جبهات مختلفة، في الشرق الأوسط وخارجه، تستمر الحرب.
لقد قطعت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية شوطًا طويلًا منذ نشأتها في جمع المعلومات بطريقة غير احترافية ومرتجلة، والتي بدأتها مجموعة من المتطوعين المتفانين الذين عملوا لصالح ميليشيا الهاجاناه في فلسطين التي كانت تحت الحكم البريطاني في ثلاثينيات القرن الماضي. واليوم، يضم فرع استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي (أمان) والموساد والشين بيت.
تُوظِّف هذه الأجهزة آلاف الأشخاص وتُنفق مئات الملايين من الدولارات سنويًا على الدفاع عن إسرائيل من أعدائها، وجمع أسرارهم، واختراق صفوفهم. ولا يُحصَّن أصدقاؤها أيضًا. يبقى مدى استحقاق سمعة الاستخبارات الإسرائيلية المرموقة تمامًا محل جدل. ومع ذلك، من الواضح أن اعتقادًا راسخًا لا يزال سائدًا في العديد من الدول العربية بأن لإسرائيل ذراعًا طويلة وخطيرة، يُسيِّرها عقلٌ ماكرٌ وماكر.
إن هناك الكثير مما هو على المحك في الصراع في الشرق الأوسط بالنسبة للعالم.
يُترك النشاط الاستخباراتي في صميمه لممارسيه المجهولين فقط. يتناول كتاب "حروب إسرائيل السرية" الاستخبارات بالجدية التي تستحقها، ويحاول إخراج الجواسيس والعملاء السريين والإرهاب والأمن من نطاق الخيال الشعبي والتسريبات المتعمدة والسرية الرسمية المفرطة، ووضعها في مكانها الصحيح - في سياق التاريخ والسياسة والعلاقات الدولية، وفي الواقع.

الإضراب العربي وفشل استخبارات الهاجاناه:

في مساء يوم الأربعاء، الموافق 15 أبريل/نيسان 1936، أغلق عدد من الفلسطينيين المسلحين الطريق الضيق بين قرية عنبتا الصغيرة ومعسكر الاعتقال البريطاني في نور شمس - وهي منطقة معزولة يقطنها العرب حصراً في الطرف الغربي من مرتفعات السامرة المترامية الأطراف - وأوقفوا نحو عشرين مركبة للمطالبة بالمال لشراء أسلحة وذخيرة. كانت إحداها شاحنة تحمل صناديق دجاج إلى تل أبيب، وكان على متنها سائق يهودي يُدعى تسفي دانينبرغ، وراكب يهودي آخر، وهو موظف في شركة دواجن يبلغ من العمر حوالي سبعين عاماً يُدعى يسرائيل حزان، وهو مهاجر حديث من سالونيك في اليونان. وكان يهودي ثالث يستقل سيارة أخرى. حاصر قطاع الطرق العرب الثلاثة وأطلقوا النار عليهم. قُتل حزان على الفور وأصيب الآخران. توفي دانينبرغ لاحقاً متأثراً بجراحه.

في اليوم التالي، 16 أبريل/نيسان، توجه يهوديان - يسهل تمييزهما لكونهما حاسري الرأس ويرتديان شورتًا كاكيًا - بسيارتهما إلى كوخ من الصفيح قرب الطريق بين بتاح تكفا وشارونا، في السهل الساحلي الخصيب في فلسطين شرق تل أبيب. طرق الاثنان، وهما عضوان في ميليشيا صهيونية منشقة تُدعى "إلرجون بيت"، الباب وأطلقا النار في الداخل، مما أسفر عن مقتل عربي وإصابة آخر بجروح بالغة. قبل وفاته، تمكن المصاب من وصف مهاجميه للشرطة البريطانية. كلاهما افترضت الشرطة والعرب على الفور أن الهجوم كان ردًا على حادث اليوم السابق في السامرة. "إذا لقد تصور الجناة أنهم سيضعون حدًا لهذه الجريمة بهذه الطريقة.

وقد علق أحد المؤرخين الصهيونيين السائدين في وقت لاحق بجفاف قائلاً: "إن سفك الدماء في فلسطين سوف يؤدي إلى زوالها قريباً جداً".1

يوم الجمعة، 17 أبريل/نيسان، دُفن يسرائيل حزان في تل أبيب. وسرعان ما تحولت جنازته إلى مظاهرة حاشدة غاضبة ضد البريطانيين والعرب على حد سواء، حيث دعا أعضاء الجالية اليهودية المحلية إلى شن هجمات انتقامية ضد سكان يافا العرب المجاورين. واضطرت المتاجر في شارع اللنبي، الشارع التجاري الرئيسي، إلى الإغلاق بينما احتشد آلاف المعزين حول نعش حزان المغطى بالعلم، بينما كان الموكب يشق طريقه من مستشفى هداسا إلى مقبرة المدينة القديمة. واستخدمت الشرطة الهراوات وأطلقت النار في الهواء للسيطرة على الحشد المتزايد. وتعرض أحد المارة من العرب لضرب مبرح، وكذلك شرطي هبّ لمساعدته.

ازدادت الاضطرابات في اليوم التالي، وهو يوم السبت اليهودي. وتعرض باعة متجولون عرب وعمال ماسحو أحذية من يافا للضرب على يد بلطجية يهود، لكن الهدوء عاد مع حلول المساء. أُعيدت القوات البريطانية، التي استُقدمت على عجل من الرملة المجاورة لتعزيز شرطة تل أبيب المنهكة، إلى معسكرها، وألغت قيادة ميليشيا الهاجاناه اليهودية حالة التأهب العام التي أُعلنت قبل بضعة أيام.

في يوم الأحد الموافق 19 أبريل/نيسان، وبعد أربعة أيام فقط من الكمين قرب نور شمس، عادت الحياة في منطقة تل أبيب إلى طبيعتها. توجه مئات اليهود إلى مكاتبهم وأعمالهم في يافا، بينما توجه آخرون إلى الدوائر الحكومية في الميناء القديم ومحيطه خلف برج الساعة. بدأت المشكلة بإشاعة: مقتل ثلاثة عمال سوريين وامرأة عربية من سكان تل أبيب. لم تكن هذه الإشاعة صحيحة. بحلول الساعة التاسعة من صباح ذلك اليوم الربيعي، تجمع حشد كبير من العرب أمام مبنى الحكومة. .. مكاتب في مبنى السراي التركي القديم، مطالبين بالجثث

من "الضحايا". طُعن عشرات اليهود أو تعرضوا للضرب، على الرغم من إيواء الكثيرين منهم في منازل عربية حتى خمد العنف. هرب آخرون عبر الميناء إلى تل أبيب. أطلق ضابط شرطة بريطاني النار على عربيين كانا يهاجمان سيارة يهودية، فأرداهما قتيلين. استُدعي الجيش من الرملة، وبحلول فترة ما بعد الظهر، استعادت السلطات السيطرة بشكل أو بآخر. فُرض حظر تجول على كل من يافا وتل أبيب، وسادت حالة من...

أُعلنت حالة الطوارئ في جميع أنحاء البلاد. قُتل تسعة يهود وجُرح ما يقرب من ستين.
وبمعايير الصراعات السابقة واللاحقة في
في الشرق الأوسط عمومًا، وفي فلسطين خصوصًا، كان سفك الدماء في يافا يوم الأحد ذاك محدودًا نسبيًا.
لكن في ربيع عام ١٩٣٦، كانت الأرض المقدسة على شفا بركان، وهدوؤها وازدهارها محفوفًا بالمخاطر.
ولن تعود الأمور كما كانت بعد ذلك أبدًا.
بعد موجة الاضطرابات السابقة في عام 1929، والتي اندلعت بسبب
رغم الاشتباكات حول حقوق الصلاة عند حائط البراق في البلدة القديمة بالقدس، والمخاوف العربية العامة من الطبيعة التوسعية للمشروع الصهيوني، كانت فلسطين هادئة نسبيًا لما يقرب من سبع سنوات. سحقت القوات البريطانية بسهولة تمردًا محليًا في منطقة حيفا عام ١٩٣٣؛ وقُتل زعيمه، الشيخ عز الدين القاسم، ذو الشخصية القوية، في كمين بريطاني في نوفمبر ١٩٣٥، وهو شهيدٌ مُبجَّلٌ من أجل قضية بدت...
لن أذهب إلى أي مكان بسرعة.
استمرت عمليات شراء الأراضي الصهيونية بوتيرة سريعة وعلى الرغم من التصريحات اللفظية
لم تكن هناك معارضة عربية منظمة تُذكر لموجة الهجرة اليهودية الضخمة التي بدأت بعد تولي هتلر منصب المستشار الألماني بفترة وجيزة. في عام ١٩٣٥، دخل ٦٢ ألف يهودي فلسطين، وهو أعلى عدد سنوي منذ عام ١٩٢٠، عندما بدأ الانتداب البريطاني على الأراضي التي استولت عليها بريطانيا من العثمانيين في الحرب العالمية الأولى. وبحلول عام ١٩٣٦، بلغ عدد اليهود في البلاد ٤٠٠ ألف يهودي، أي ما يزيد قليلاً عن ثلث إجمالي السكان. و٤٠٪ من اليهود - حوالي ١٥٠ ألفًا - كانوا...
- كان هناك لمدة خمس سنوات أو أقل.
كان المفوض السامي البريطاني، السير آرثر غرينفيل واوش أوب، يتمتع بشعبية كبيرة لدى الصهاينة، وحقق اليشوف (الجالية اليهودية في فلسطين) تقدمًا ملحوظًا في قوته الاقتصادية وتماسكه الاجتماعي، على الرغم من العداوة والعنف المتقطع بين حركة العمال التي يهيمن عليها حزب الماباي والصهاينة التصحيحيين اليمينيين من مختلف التوجهات. كانت مؤسسات فلسطين اليهودية حديثة، ومخططة جيدًا، وواثقة.
الوكالة اليهودية، التي تأسست في عام 1929، عملت كنوع من الإدارة الموازية للحكومة البريطانية، حيث كانت تنسق أنشطة الهجرة والاستيطان، وكان لها دورها السياسي الرئيسي.

كانت إدارة رصد التطورات في القطاع العربي، والحفاظ على التواصل مع القادة العرب داخل فلسطين وخارجها، ميليشيا الهاغاناه، المرتبطة ارتباطًا وثيقًا باتحاد العمال القوي "الهستدروت"، متطورةً بالفعل.

تم تنظيمها على مستوى البلاد بأكملها، على الرغم من الظروف شبه السرية التي كان عليها أن تعمل في ظلها.
أُجِّل النقاش الطويل حول إنشاء المجلس التشريعي، بفضل مزيج تقليدي من التردد البريطاني والمعارضة الصهيونية والانقسام العربي. ولكن مع اقتراب نهاية عام ١٩٣٥، وضع انعدام الأمن المالي وتفاقم عدم الاستقرار السياسي في شرق البحر الأبيض المتوسط نهايةً مفاجئة لسنوات ازدهار فلسطين. ألحق غزو موسوليني للحبشة ضررًا بالغًا بالهيبة البريطانية في المنطقة، وتطلع العديد من العرب إلى إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية لتحريرهم من نير الاستعمار والانتداب. أدى انخفاض الاستثمارات في قطاع الحمضيات المربح إلى تسريح العمال اليهود والعرب على حد سواء، بينما شهدت كل من مصر وسوريا أعمال شغب ووعودًا بالتغيير الدستوري - التي راقبها عن كثب
الفلسطينيون - جاءوا بمثابة تحذيرات شريرة من المتاعب التي تنتظرهم بالقرب من الوطن.
من المتفق عليه على نطاق واسع أن اندلاع أعمال الشغب في يافا فاجأ الييشوف - ربما كانت أول حادثة من بين العديد من الحوادث في التاريخ الصهيوني والإسرائيلي التي فوجئ فيها اليهود بتوقيت أو قوة المعارضة العربية. وحتى بعد إحصاء القتلى ودفنهم، استغرق الأمر بعض الوقت قبل أن يُدرك حجم المشكلة تمامًا. في 17 أبريل، رصدت الحركة حول مسجد يافا الرئيسي، هاجا
ولكن ضباط الاستخبارات لم يروا سبباً للإبلاغ عن أي شيء غير طبيعي.2
في المقرّ المحصن للوكالة اليهودية في حيّ رحافيا بالقدس، لم يكن الخبراء العرب الملحقون بالدائرة السياسية قلقين للغاية في تلك المرحلة المبكرة. أفاد أحد المسؤولين في 22 أبريل/نيسان: "الانطباع العام في المكتب هنا - وخاصةً في القسم العربي - هو أنه في حين لا يمكن استبعاد احتمال وقوع بعض الاضطرابات غدًا تمامًا، فلا يوجد ما يدعو إلى الخوف من أي اضطراب خطير في...

كان التقييم خاطئًا تمامًا. بعد ثلاثة أيام فقط، دفن رؤساء خمسة أحزاب سياسية عربية مختلفة خلافاتهم وشكلوا الهيئة العربية العليا، برئاسة أقوى قادة البلاد، مفتي القدس، الحاج أمين الحسيني. وكان قرارها الأول مواصلة الإضراب العام الذي أعلنته تلقائيًا ومتزامنًا "اللجان الوطنية" المُشكّلة حديثًا - وهي هيئات محلية تعكس التحالف الوطني للهيئة العربية العليا - في يافا ونابلس وأماكن أخرى.
من ناحية، كان الإضراب العربي في صالح اليهود. فقد أدى توقف عمال الموانئ في ميناء يافا إلى مطالبات بإنشاء ميناء يهودي في تل أبيب. وأُدخل العمال اليهود، الذين غالبًا ما كانت ترافقهم القوات البريطانية، إلى قطاعات اقتصادية كانت حكرًا على العرب سابقًا. وواصل الفلاحون، وهم الغالبية العظمى من السكان العرب، حصاد محاصيلهم الربيعية. لكن اليهود سرعان ما بدأوا بمقاطعة المنتجات الزراعية العربية، مستخدمين الإضراب والاضطرابات المصاحبة له عمدًا كأداة لتحفيز اليشوف على روح وطنية أكثر. وقد حقق "العمال العبريون" و"المنتجات العبرية"، موضوع صراع مطول ومرير في كثير من الأحيان بين الحركة العمالية والقطاع الزراعي اليهودي الخاص، تقدمًا هائلًا في هذه الفترة. حيث كان عمال المعامل العرب غير المنظمين وذوي الأجور الرخيصة يعملون سابقًا، حلّ العمال اليهود محلهم. أُبلغ موشيه شيرتوك، رئيس الدائرة السياسية، بردّة الفعل في مستوطنات عتليت القديمة لإنتاج النبيذ وزخرون يعقوب المجاورة عند

إدخال "العمالة العبرية". دوّن شيرتوك في مذكراته: "استنتج أحد المزارعين أن العنب اليهودي لا يكلفه سوى 3 مل (بضعة بنسات) أكثر للطن من العنب العربي، بالإضافة إلى أنه يُحافظ على صحته لأنه لا يحتاج إلى الوقوف تحت الشمس طوال اليوم وهو ينادي "يلا" (يا هلا) على النساء العربيات".
لكن كانت هناك مخاطر جسيمة أيضًا. فمباشرة بعد أحداث يافا، تعرض اليهود لهجمات من العرب في جميع أنحاء البلاد، سواء في المدن الرئيسية الأخرى أو في المناطق المعزولة، حيث داهمت المزارع وأُتلفت المحاصيل. وتضررت مرافق النقل بشدة. ولعدة أشهر، استمر الجهد الصهيوني الرئيسي ضد

كان الفلسطينيون سياسيين ودبلوماسيين، يسعون لإقناع البريطانيين بضرورة اتخاذ إجراءات صارمة ضد المخالفين والمضربين العرب، وإقناع حكومة فلسطين بأنهم يواجهون مجرمين ومخربين، وليس ثورة ذات دوافع سياسية ضد الانتداب والمشروع الصهيوني. في منتصف مايو، على سبيل المثال، أخبر الدكتور حاييم وايزمان، الروسي المولد والمحب لإنجلترا، والذي ترأس الحركة الصهيونية منذ ما قبل وعد بلفور عام ١٩١٧، رئيس الوزراء البريطاني ستانلي بالدوين أن "السخط العربي لم يكن عميقًا في الواقع؛ لم يكن الفلاح العربي مهتمًا، لكنه أُرغم على ذلك".٥

عزرا دانين: معرفة العدو

he violence continued and security soon became an overriding But the strike and t concern. Ezra Danin, a native of Jaffa working as a citrus farmer and agricultural way between Haifa and Tel Aviv, had already been ap- -expert in Hadera, half der and asked to use his extensive Arab proached by the local Haganah comman -contacts to try and solve the murders of two Jews killed in ambushes on the Haifa three, recruited a young Arab from the -Qalqilya road.6 Danin, then aged thirty Hahoresh and Givat Haim. village of Khirbet Manshieh, close to the kibbutzim Ein been involved in land sales to the Jews. •The Arab's family, typically, had previously Danin saw the man regularly and began to submit written reports to the Haganah e of the Political and to a young Jewish Agency official called Reuven Zaslani, on Department's experts on security and Arab affairs. 'As time went on,' Danin wrote in his autobiography, 'my senses got sharper and sharper. From a dedicated farmer, began to who had never thought before about problems of politics and security, I devote myself mostly to intelligence.' 7

From these modest and haphazard beginnings in the early summer of 1936, Ezra Danin came to occupy a legendary position in the annals of Zionist and Israeli foundations for the collection, intelligence work. It was Danin who laid the -interpreta

tion and use of intelligence about the Arabs in the crucial years of the struggle for Palestine. And more than half a century later his ideas about 'knowing the enemy' .wards the Palestinianscould still be traced in Israeli policy to

-Josh Palmon, who became a close friend and valued col

:league, paid glowing tribute to Danin later

In the years between 19 36 and 1940 we all talked about the enemy with the Arabs, but a very specific definite article. Ezra said: 'We are not confronting the Arab. We need to know who he is. Some lad sits up on a hill or down in a valley and and we all scream and panic and leap into the trenches when all we're really -fires tify him and act talking about is Ali or Muhammad. We have to be able to iden against

'.him

,Ezra also said that we must analyse every fact and every incident

to look at things in depth and not see everything that glitters as gold. That was his that made do decisive contribution. His was a critical, scientific approach, not one with superficial impressions. Only thus, Ezra argued, will we be able to distinguish between an ally and an enemy ... Thus Ezra laid the foundations for our Middle East intelligence work.8

لم يكن دانين اليهودي الوحيد الذي عمل في مجال الاستخبارات في تلك الفترة المبكرة، على الرغم من أنه سرعان ما عُرف بأنه الأكثر خبرة في المجال العربي. كان لإفرايم كراسنر، أحد أفراد الشرطة البريطانية في تل أبيب، علاقات واسعة في هذه القوة. في حيفا، كان إيمانويل ويلينسكي، وهو مهندس معماري وأوكراني المولد، يعمل لدى الهاغاناه والوكالة اليهودية منذ عام ١٩٣٣، يجمع معلومات عن البريطانيين واليهود والعرب. كان ويلينسكي عالم آثار شغوفًا، يؤمن بأن العمل الاستخباراتي يجب أن يُدار على مبادئ علمية متشابهة، ولم يُعجبه ميل دانين إلى "إضفاء طابع درامي" على تقاريره لإقناع "زبائنه" بدقتها. كثيرًا ما اشتكى ويلينسكي من أن أسلوبه الجاف والواقعي في التقارير لا ينافس "رسائل دانين المثيرة". تخلى عن العمل الاستخباراتي عام ١٩٣٩.

وكان مخبرا دانين من خربة منشية الأول

مع العديد من الأشخاص الذين عمل معهم. ومع استمرار العنف في ذلك الصيف،

بدأ في التوسع، ولم يقتصر على تجنيد العرب الآخرين فحسب، بل جند اليهود أيضًا - سواء في المستوطنات الريفية أو في المدن - للعمل كـ "مُوَفِّرين" دائمين. في الأيام الأولى، كان من بينهم عريف يهودي يخدم في مركز الشرطة البريطانية في كفار سابا، شمال شرق تل أبيب، ورجل آخر كان يتعامل مع الجزارين اليهود الذين كانوا يشترون الماشية من العرب. خصص إلياهو غولومب، قائد الهاجاناه، لدانين ميزانية شهرية قدرها 6 جنيهات إسترلينية، لكنها لم تكن كافية. طوال الفترة من أبريل إلى أكتوبر 1936،

عندما انتهى الإضراب العربي، كان دانين ينفق 15 جنيهًا إسترلينيًا إضافيًا شهريًا من ماله الخاص على النفقات والمدفوعات للمخبرين. بحلول عام 1939، ارتفعت الميزانية الشهرية إلى 45 جنيهًا إسترلينيًا.
وكما كتب دانين بعد ذلك:
كان المخبرون العرب يحصلون على امتيازات في المقابل، ونادرًا ما كانوا يحصلون على المال، لأن المكافأة المالية لم تكن الدافع الرئيسي لعملهم معنا. تعرض جميعهم تقريبًا للاضطهاد من قبل إخوانهم بسبب علاقاتهم التجارية أو تعاملاتهم العقارية مع اليهود، أو بسبب صراعات داخلية، ولذلك كانت لديهم دوافع شخصية قوية للرغبة في إيذاء مضطهديهم أو تحييدهم - أو حتى التخلص منهم. كانوا جميعًا يخشون على حياتهم ويرغبون في اللجوء إلينا في أوقات الشدة، أو الدفاع عن قراهم. حاولنا استغلال هذه الظروف، وبذلنا جهودًا للعثور على العرب المحتاجين للمساعدة.
كانت تقارير دانين الاستخباراتية متفاوتة الجودة، ومالت حتمًا إلى التركيز على المعلومات المحلية، لكنها تجاوزت مجرد جمعها. كان دانين، الرجل الضخم البنية، يتمتع بحسٍّ قويٍّ بخبرته وسلطته، ولم يكن بحاجة إلى من يُملي عليه ما يفعله - وهي سمةٌ أكسبته محبةً لدى الكثيرين، ولكن ليس لدى جميع من عملوا معه. في نهاية أغسطس/آب ١٩٣٦، على سبيل المثال، أبلغه مُخبر عُرف باسم "م.ن" أن عربًا من قرية عتيل كانوا يخططون لزرع ألغام على الطريق من جفعات حاييم إلى الخضيرة المجاورة. دوّن دانين: "طلبتُ من م.ن العودة إلى قريته وإبلاغهم أنه إذا حدث أي شيء على الطريق، فسيتم الانتقام من الصبية". وفي الوقت نفسه، حذّر رجال الهاجاناه المحليين من التأهب تحسبًا لأي حوادث.11

في الفترة نفسها، حاول القسم العربي في الدائرة السياسية جاهدًا إثارة الفتنة داخل معسكر العدو، مستخدمًا أساليب متنوعة، منها الرشوة المباشرة والتضليل الإعلامي. دُفعت أموالٌ لمجموعات من العرب المضربين للعودة إلى العمل، وأُصدرت منشورات عربية مزيفة تحمل توقيع منظمات وهمية، مثل "الرواد الوطنيون لفلسطين"، تنتقد القادة الوطنيين. واعترض الصهاينة رسائل من وجهاء عرب، مثل عوني عبد الهادي، رئيس حزب الاستقلال، مما أعطى خبراء الوكالة اليهودية فكرةً واضحةً عن تطورات الأمور في الجانب العربي.12
أصبح العمل الاستخباراتي أكثر أهمية مع تزايد نفوذ العرب
استمرت الاضطرابات، وأودت بحياة نحو ثمانين يهوديًا بحلول ذروتها في أغسطس. في نهاية ذلك الشهر، كتب دانين مذكرة يقترح فيها إنشاء جهاز استخبارات تابع للهاجاناه، موضحًا أسباب الحاجة إليه. تحتوي هذه الوثيقة المميزة، المكتوبة بخط اليد والمكونة من صفحتين، على جميع الخطوط العريضة الأساسية لكيفية تنظيم العمل الاستخباراتي الحديث وإدارته. جادل دانين
الذي - التي:
بدا أن الهجمات ضدنا بدأت عفوية، ولأننا لم نكن مستعدين، تكبدنا خسائر فادحة في بدايتها. ولأن الحكومة إما جاهلة أو لا تريد سحق المشكلة، فعلينا إيجاد حل بإنشاء جهاز استخبارات خاص بنا، الهاجاناه. يجب أن يستمر العمل الاستخباراتي طوال الوقت، حتى في أوقات الهدوء، كما هو الحال في كل بلد. وهكذا سنتمكن من التنبؤ، وربما منع، أي اندلاع مستقبلي.
اقترح دانين أن تُراقب أجهزة الاستخبارات مكاتب البريد ومراكز الاتصالات الهاتفية، وأن تحتفظ بقوائم بالأندية والمنظمات العربية، ومعلومات عن النشطاء السياسيين، بما في ذلك عناوينهم وأرقام رخص

سياراتهم وأسماء أصدقائهم وأقاربهم. ويجب أن يُخترق المجموعات العربية بواسطة عميلين مستقلين (استخدم كلمة "بلاشيم" - أي المحققين) "ليتمكنوا [أيضًا] من التجسس على بعضهم البعض". ويجب استغلال المعلومات لخلق صراعات داخلية. ويجب ألا يعرف العملاء لصالح من يعملون، ويجب إبقاؤهم في حالة من الترهيب.
يجب استخدام الحبر غير المرئي.13

رؤوفين زسلاني: مولود للذكاء
إذا كان عزرا دانين أحد الركائز التي بُني عليها هيكل جهاز الاستخبارات والأمن الصهيوني الناشئ، فإن رؤوفين زسلاني كان الركيزة الأخرى. كان زسلاني، البالغ من العمر سبعة وعشرين عامًا عام ١٩٣٦، ابنًا لحاخام روسي بارز من مواليد القدس. كان يتمتع بعلاقات جيدة في المؤسسة السياسية لحزب الماباي، وكان لديه بالفعل مسيرة مهنية متنوعة وأظهر نجاحًا في كل من الشؤون العربية وجمع المعلومات. كان زسلاني خريج كلية تدريب المعلمين في القدس وكلية الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية، التي فاز بجائزتها العربية عام ١٩٣١. أمضى عامًا في تدريس اللغة العبرية في بغداد وعمل مراسلًا بدوام جزئي لصحيفة فلسطين بوليتين، وهي أسبوعية صهيونية ناطقة باللغة الإنجليزية، وكان يقدم تقارير غير رسمية إلى الدائرة السياسية عن كل من السياسة العراقية والجالية اليهودية في البلاد. عاد إلى وطنه عام ١٩٣٤، وتولى الشؤون العربية لصالح الهستدروت، وبدأ العمل مع الدائرة السياسية بعد أحداث يافا في أبريل بفترة وجيزة. كما كان على اتصال باستخبارات سلاح الجو الملكي، المسؤولة عن جميع أنشطة الاستخبارات العسكرية البريطانية في الشرق الأوسط.
في فبراير ١٩٣٧، خلال فترة هدوء في الاضطرابات، أصبح منصب زاسلاني رسميًا ومتفرغًا. كان "الاستخبارات بشأن المسائل الأمنية" هو ما عرّف به مهمته عندما كتب، في وقت مبكر من ذلك الشهر، إلى حاييم ستورمان وناهوم هورويتز في الشمال، وهما مستوطنان مخضرمان يحظيان باحترام واسع، طالبًا منهما المساهمة من حين لآخر في تقارير عن الشؤون العربية في محيطهما.١٤
كان زاسلاني شابًا ذا طاقة هائلة، لكن العمل معه كان صعبًا. كان زاسلاني، مضطربًا، غير مرتب، ومهووسًا بالكتمان، ويبدو أنه وُلد لعالم الاستخبارات. كان تيدي كوليك، الذي عمل معه لاحقًا في القسم السياسي، مولعًا بسرد قصة زاسلاني السرية، لدرجة أنه قال ذات مرة لسائق سيارة أجرة سأله عن وجهته: "لا داعي لأن تعرف".15 بالنسبة لماركوس سيف، اليهودي البريطاني الذي أصبح مستشارًا غير رسمي لبن غوريون عام 1948، كان مظهر زاسلاني "يشبه مظهر جاسوس خارق في فيلم جيمس بوند".16

أصبح دانين وزسلاني فريقًا قويًا، حيث وفرت شراكتهما نقطة اتصال وتنسيق ضرورية للغاية بين الهاغاناه والوكالة اليهودية. كان كلا الرجلين في وضع جيد لتنمية علاقات مفيدة مع العرب. ومع ذلك، كان عملهما مختلفًا تمامًا عن الأنشطة الدبلوماسية التقليدية لإلياس (إلياهو) ساسون، خبير الشؤون العربية في القسم السياسي المولود في دمشق، وإلياهو إبستين، الأكاديمي اللامع المولود في روسيا والذي أصبح المتخصص المقيم في القسم في العالم الإسلامي والدول العربية المجاورة لفلسطين. لا يزال للدبلوماسية دور مهم لتلعبه، ولكن من الناحية الاستخباراتية والأمنية، أصبح الفلسطينيون ببساطة العدو. أدركت السلطات البريطانية، في شكل اللجنة الملكية المعينة في أغسطس 1936، الطريقة التي تهب بها الرياح.

ستة رجال حكماء
وصلت لجنة بيل إلى القدس في منتصف نوفمبر/تشرين الثاني 1936، بعد انتهاء الإضراب العربي بفترة وجيزة. وقد شُكِّلت "للتحقق من الأسباب الكامنة وراء الاضطرابات التي اندلعت في فلسطين في أبريل/نيسان"، ولكن كُلِّفت أيضًا بالتحقيق على نطاق أوسع في تنفيذ الانتداب، والالتزامات البريطانية تجاه العرب واليهود، ووجود مظالم، و"تقديم توصيات لإزالتها ومنع تكرارها". شغل اللورد بيل، رئيس اللجنة، منصب وزير الدولة لشؤون الهند مرتين، وكان عضوًا في العديد من لجان التحقيق. ولم يكن زملاؤه الخمسة أقل مهارةً منه.

- ثلاثي.

واستمع الستة إلى أكثر من 100 شاهد في سبعين جلسة.
قاعة طعام فندق بالاس الفخم في القدس، المقابلة لمقبرة مأمن الله الإسلامية القديمة. قاطعت اللجنة العربية العليا، برئاسة مفتي القدس، الحاج أمين الحسيني، جلسات الاستماع حتى أواخرها تقريبًا في أوائل يناير/كانون الثاني عام ١٩٣٧، بسبب فشل الحكومة في تعليق الهجرة اليهودية إلى فلسطين أثناء سير العمل.
لقد ترك اليهود انطباعًا أفضل بكثير. في خطابه العلني

لقد عرض الدكتور وايزمان حججه بقوة، ورسم الخطوط العريضة للتاريخ اليهودي، وصعود معاداة السامية الحديثة، ومحنة الجماهير اليهودية في أوروبا الشرقية، ومحاولاته الخاصة للوصول إلى اتفاق مع العرب، على الرغم من أن هذا كان، من جميع النواحي، الجزء الأضعف من أداء ماهر.
لقد أخذ الشهود الرسميون البريطانيون لجنة بيل عبر القصة المرهقة والمعقدة لمحاولة إدارة الانتداب بين الضغوط المتضاربة المتمثلة في 400 ألف يهودي وحوالي مليون عربي، حيث كانت مسائل بيع الأراضي والهجرة هي القضايا الأكثر شائكة وكان وقفها المطالب العربية الرئيسية للإضراب العام والاضطرابات.
لم يُعبّر مسؤولو الحكومة الفلسطينية عن الأمر بهذه الطريقة تمامًا، ولكن لا بد أن التأثير العام كان مشابهًا لتلخيص مراقب يهودي ثاقب البصيرة شرح ذات مرة آلية عمل الانتداب من منظور مدرسة عامة إنجليزية صغيرة. "كان هناك مدير المدرسة، المفوض السامي، يحاول أن يكون حازمًا ونزيهًا، لكن مساعدي الأساتذة فضّلوا النزلاء الداخليين (العرب) المتبجحين على الطلاب الأذكياء الأذكياء (الجيوس) الذين اعتادوا، للأسف، على الكتابة إلى آبائهم عند أدنى استفزاز للشكوى من جودة التعليم والطعام وما إلى ذلك." بدأ الحاج أمين الإفادات العربية في 12 يناير/كانون الثاني 1937، بإشارات خبيثة إلى أن "الهدف النهائي لليهود" هو إعادة بناء هيكل سليمان في موقع الحرم الشريف (جبل الهيكل أو جبل موريا) في القدس. وطالب مرة أخرى بوقف الهجرة اليهودية بشكل كامل وقال بشكل ينذر بالسوء أن مسألة ما إذا كان سيتم السماح لهؤلاء الوافدين الجدد بالبقاء في فلسطين المسلمة المستقلة أم لا يجب أن تُترك للمستقبل.
بينما كانوا يستمعون بصبر إلى المطالبات المتنافسة، بدأت فكرة التقسيم الإقليمي تترسخ في أذهان المفوضين. خارج قاعة طعام فندق القصر (حيث تم تنصت فنيين يهود على الثريات حتى يمكن سماع جلسات الاستماع السرية في مقر الوكالة اليهودية على الجانب الآخر من مقبرة ماميلا)، لم يتمكنوا من...

ولكنني لا أستطيع أن أتصور مدى انبهاري بما حققه الصهاينة خلال العشرين عاماً التي مرت منذ أن طرد الجنرال ألنبي الأتراك من الأرض المقدسة.
بعد زيارة قصيرة للأمير عبد الله في شرق الأردن (أ
(تقريرٌ مُختزلٌ عن الاجتماع وصل إلى الوكالة اليهودية بعد أسبوعين)، غادر المفوضون فلسطين في الأسبوع الثالث من يناير. كان البروفيسور ريجينالد كوبلاند من أكسفورد، العضو الأكثر عقلانيةً في الفريق، مُقنعًا بالفعل في طرح فكرة التقسيم. وخلص هو وزملاؤه في تقريرهم الشهير إلى أن "القومية اليهودية لا تقلّ قوةً وأنانيةً عن القومية العربية. كلاهما قوتان متناميتا، والفجوة بينهما آخذةٌ في الاتساع".
كان زسلاني ودانين أول من أدرك أهمية النقطة التي طرحها المفوضون البريطانيون. لم يُوهم انتهاء الإضراب العربي الصهاينة بانتهاء الصراع. وعندما استؤنف العنف بجدية في سبتمبر/أيلول 1937، كانوا أكثر استعدادًا من ذي قبل لمواجهة التحدي، وهذه المرة كانت السلطات البريطانية أكثر تصميمًا على سحق الاضطرابات العربية. وعندما اغتال المتمردون العرب لويس أندروز، حاكم المنطقة البريطاني في الناصرة، حفزت الحكومة على التحرك. أُعلنت الأحكام العرفية، وأُعلنت اللجنة العربية العليا واللجان الوطنية غير شرعية. فر العديد من القادة الفلسطينيين، بمن فيهم الحاج أمين، من البلاد. ورُحِّل آخرون.

الثورة في فلسطين
بحلول صيف عام ١٩٣٨، كانت ثورةٌ شاملةٌ قائمة. انشغل زسلاني بحثّ البريطانيين على توفير حمايةٍ أكبر للمستوطنات اليهودية النائية، وعلى تحسين استخدام القوات المتاحة لهم. وقد أثار هجومٌ عربيٌّ واسع النطاق على جفعات آدا، بالقرب من زخرون يعقوب، قلقًا بالغًا. قال زسلاني لرئيس إدارة التحقيقات الجنائية البريطانية: "قلتُ إنه من الضروري جدًا أن تتحرّك الحكومة بسرعةٍ وحزم". "كان من الضروري جدًّا أن تُعاقب الحكومة القرويين المتورطين في الهجوم على..."

"جفعات آدا في شكل مذهل بحيث يكون بمثابة رادع ضد الهجمات المماثلة."18
في نهاية يوليو، حصل زسلاني على تصريح مرور من مقر الشرطة البريطانية، يسمح له بالقيادة دون عائق إلى حيفا. ودون علم السلطات، لم يكن الرجل المذكور في الوثيقة سائقه، السيد إ. غولومب، سوى إيلياهو غولومب، قائد الهاغاناه.19 كان العرب في وضع جيد. كانت مناطق بأكملها تحت سيطرة المتمردين، وتعرضت مراكز الشرطة لهجمات منتظمة. في سبتمبر/أيلول 1938، أبلغ القائد العسكري البريطاني، الجنرال هاينينغ، لندن بحزن أن "الوضع بلغ حدًا جعل الإدارة المدنية والسيطرة على البلاد، عمليًا، معدومة".20
ظهرت بصيص أمل في أفق قاتم على صورة ضابط بريطاني غريب الأطوار ومسيحي صهيوني متحمس يُدعى الكابتن تشارلز أورد وينجيت. حققت فرقه الليلية الخاصة (SNS)، المكونة من قوة مختلطة من الجنود البريطانيين ومتطوعي الهاجاناه، نجاحات كبيرة ضد المتمردين العرب في الجليل الأسفل ووادي يزرعيل. شجعت عمليات SNS الهاجاناه على أن يكونوا أكثر جرأة، وأن يستخدموا الكمائن الليلية وأن يخرجوا لملاقاة عدوهم العربي على أرضه، دون انتظار الهجمات على المستوطنات. تم استدعاء وينجيت، الذي كان يحب قراءة الكتاب المقدس وهو عارٍ تمامًا ويمضغ البصل النيء، في النهاية إلى لندن؛ لكن

"هايديد" (الصديق)، كما كان معروفًا لدى الصهاينة، ترك الهاجاناه بشغف للعمليات الخاصة والشجاعة التي كانت ستقف في صفه في سنوات النضال القادمة.
يُعطي تقرير روتيني أرسله دانين إلى زسلاني في أوائل أكتوبر فكرة جيدة عن مخاوف وأساليب الاستخبارات الصهيونية في ذلك الوقت. تضمن التقرير تفاصيل عن "محاكم" داخلية أنشأها المتمردون: فقد قدّم مُخبر جديد ("يعمل بدقة عالية") تفاصيل عن مركز عربي سري لإنتاج الألغام واستخدام الجلجنيت لتفجير أعمدة الكهرباء. كان الجناة من منطقة قلقيلية. نصبت فصيلة من الفرسان الملكيين من طولكرم كمائن في منطقة أطلعهم عليها دانين. شكّلت الكلاب العربية مشكلة، لأن نباحها كان بمثابة تحذير من الغارات البريطانية. سيكون من المفيد إقناع الحكومة بالإعلان عن تفشي داء الكلب في...

المنطقة حتى يُمكن القضاء على جميع الكلاب. كان للعديد من العرب العاملين لدى البريطانيين صلات بالمتمردين، ويجب طردهم. كان القرويون الذين فجّر الجيش منازلهم يتلقون المساعدة من جيرانهم لإعادة بنائها. يجب وضع حدٍّ لهذا. قامت نساء عربيات، لم يُفتّشن من قِبَل الجنود، بتهريب أربعة مسدسات على متن حافلة نتانيا-طولكرم. متى، كما خلص التقرير، سيُرسل الزسلاني المزيد من الأموال لتغطية التكاليف المتزايدة لدفع...
المخبرين؟21
كانت أنشطة دانين معروفة للفلسطينيين. أحد أعماله
تضمنت تقارير لاحقة لزاسلاني، استندت إلى استجواب مفصل لمتمرد أسره الجيش البريطاني، مقتطفًا مثيرًا للاهتمام مفاده أنه في خربة المنشية، قرب الخضيرة، كان هناك عربي يُعرف باسم "الفأر" يتجسس لصالح "عزرا"، مزارع الحمضيات اليهودي. أُلقي القبض عليه وحُكم عليه بالإعدام، لكنه تمكن من الفرار إلى سوريا.22 ومن شبه المؤكد أن "الفأر" من خربة المنشية هو نفس المخبر الذي دفع تجنيده في صيف عام 1936 دانين إلى...
مهنته الجديدة كرئيس تجسس.
لقد قام كل من دانين وزاسلاني بتنمية علاقات مفيدة في
الاستخبارات العسكرية البريطانية. كانت المعلومات التي يجمعها اليهود عن تحركات العصابات العربية وأسلحتها ومخابئها تُنقل بانتظام إلى السلطات. جرت العادة في تلك الفترة أن تدخل القوات البريطانية قريةً، فيُزوّد دانين مخبرين عربًا بالجلوس بأمان داخل سيارة مدرعة والتعرف على المتمردين المعروفين. كان بعض من أُسروا...
مشنوق.
كان دانين يحاول دائمًا التأكد من أن الفلسطينيين
عوقبوا بشدة. وكتب لاحقًا: "غالبًا ما كان تقديم أعضاء العصابات للمحاكمة يتطلب إعدادًا معقدًا ودقيقًا للشهود العرب الذين يدلون بشهاداتهم ضدهم. كان محامينا يُعِدّ الشهود قبل المحاكمة لتجنب أي أخطاء قد تؤدي إلى تبرئة المجرمين. كان الشهود شهودًا حقيقيين، ولكن كان من الضروري أحيانًا "تبسيط" التفاصيل لتجنب أي تناقضات، ولتجنب إفلات أعضاء العصابة من العدالة بسبب "أعطال فنية". 23

كانت الشرطة البريطانية معاديةً في كثير من الأحيان، وظنّت أن الصهاينة يستغلونها. على سبيل المثال، قال رقيب في مركز بيت ليد إن "جميع المعلومات التي قدمها اليهود كاذبة، وتهدف فقط إلى قتل العرب". اشتكى دانين في نوفمبر/تشرين الثاني 1938 من أن الشرطة اعتقلت عربًا ذكرهم، ثم أطلقت سراحهم.24

كانت العلاقات مع الجيش، الذي وضع سحق الثورة على رأس أولوياته، أفضل بكثير، وسُلِّمت الوثائق التي استولى عليها البريطانيون من المتمردين بحرية، مما أتاح لدانين ومسؤولي الوكالة اليهودية العرب رؤية فريدة للأساس الاجتماعي للمقاتلين الفلسطينيين وأساليب عملهم. استغل اليهود والبريطانيون على حد سواء دلائل الانقسامات الداخلية المتزايدة في المعسكر العربي. سعت المعارضة العربية للمفتي، التي ترأستها عائلة النشاشيبي المرموقة في القدس، إلى الحصول على مساعدة الوكالة اليهودية وحصلت عليها. شُكِّلت "عصابات سلام" عربية، وزوّدها الجيش، بتوجيه من مخابرات سلاح الجو الملكي البريطاني، بالمال والسلاح، مقابل معلومات عن مواقع عصابات المتمردين. قال دانين: "شجعنا عصابات السلام، وحاولنا التأثير على الشرطة للسماح لهم بمواصلة عملهم دون عائق. كما ساعدناهم على إخفاء هوياتهم عندما قدموا معلومات للسلطات".25

بحلول أوائل عام 1939، كان التمرد العربي يتضاءل بشكل واضح. في مارس، قُتل القائد العام للثورة، عبد الرحيم الحاج محمد، على يد الجيش في قرية سامرية بعد أن تلقى البريطانيون معلومات عن مكان وجوده من قائد "فرقة السلام". فرت العصابات المتمردة إلى سوريا وانقسم الفلسطينيون أكثر من أي وقت مضى. وبحلول الصيف، كان كل شيء قد انتهى تقريبًا. كان ينبغي أن يكون الصهاينة سعداء، لكنهم كانوا يخسرون بشكل كارثي على الجبهة الدبلوماسية. قضى الكتاب الأبيض للحكومة البريطانية في مايو 1939 أخيرًا على جميع آمال خطة التقسيم التي اقترحتها لجنة بيل. والأسوأ من ذلك، أن الهجرة اليهودية - شريان الحياة للمشروع الصهيوني - كانت ستخضع لقيود صارمة، وكذلك بيع الأراضي لليهود. وفي غضون عشر سنوات، كان من المقرر إنشاء دولة فلسطينية مستقلة.

الكتاب الأبيض والحرب والشاي

أدى الانهيار التدريجي للثورة العربية واندلاع الحرب في أوروبا في سبتمبر إلى سلام هش في فلسطين. ورغم الكتاب الأبيض الصارم، بدأ الييشوف ينعم تدريجيًا بهدوء وازدهار لم يعرفه منذ أوائل عام ١٩٣٦. ولم تبدأ أخبار ما كان يحدث في الأحياء اليهودية ومعسكرات الموت البعيدة في أوروبا الشرقية بالتسرب إلى فلسطين إلا في عام ١٩٤٢، وكان هناك شعور عام بضرورة استغلال الوضع لإعداد الييشوف عمومًا والهاجاناه خصوصًا للمرحلة التالية من المواجهة مع العرب والبريطانيين، متى وأيا كان شكلها.

لقد تم إعادة بناء نظام الاستخبارات الحالي، كما كان.

تم الترتيب لذلك في أوائل عام ١٩٤٠ بعد موجة اعتقالات طالت أعضاء الهاغاناه على يد السلطات البريطانية، التي كانت آنذاك عازمة على قمع المنظمة. في يونيو ١٩٣٩، أفاد أحد عملاء زسلاني في حيفا أن إدارة التحقيقات الجنائية أبدت فجأة اهتمامًا كبيرًا بهيكل الهاغاناه وأنشطة الصيادين اليهود في الهجرة غير الشرعية، والتي بدأت جديًا بمجرد نشر الكتاب الأبيض.٢٦

أنشأت القيادة الوطنية للهاغاناه قسمًا لمكافحة التجسس (ريجول نجدي)، كان مُصممًا أساسًا للعمل كجهاز أمن داخلي لمراقبة اليهود المتعاونين مع البريطانيين، بالإضافة إلى المنشقين اليمينيين من الإرغون. تولى شاؤول ميروف (أفيغور) المسؤولية الكاملة عن هذه الأمور، وتولى ديفيد شالتيل، وهو عضو سابق في

الفيلق الأجنبي الفرنسي وبائع متجول، والمعروف عالميًا، ولكن بوضوح، باسم "تسرفاتي" (الفرنسي)، تنظيم القسم. في يونيو/حزيران، تم تأسيس قسم عربي رسميًا بقيادة عزرا دانين، على الرغم من أنه، تماشيًا مع التقاليد البريطانية للهواة التي كان يُعجب بها دانين، احتفظ باستقلاليته ولم يُوظف رسميًا في الهاغاناه.
في عامي ١٩٤٠ و١٩٤١، وُجِّهت معظم جهود الهاجاناه الاستخباراتية ضد المتعاونين اليهود مع البريطانيين. أُجريت تحقيقات ضد مجرمين، أو عناصر من عالم الجريمة المنظمة، أو نساء يهوديات كنَّ على اتصال مع البريطانيين.

مع جنود أو مسؤولين بريطانيين، وآخرين يُشتبه في قربهم الشديد من سلطات الانتداب. شُكِّل قسم خاص لمراقبة الشيوعيين اليهود. ووُضع نحو 200 شخص تحت المراقبة، على الرغم من أن العديد من التهم أو الشكوك اتضح في النهاية أنها لا أساس لها. وأُفلت بعضهم بإنذار شديد أو تعرضوا للضرب. أما في الحالات الخطيرة، التي تنطوي على اعتقالات أو اكتشاف مخابئ أسلحة تابعة للهاغاناه من قِبل إدارة التحقيقات الجنائية، فكانت مكافحة التجسس تلجأ إلى القيادة الوطنية وتطالب بعقوبة الإعدام. التاريخ الرسمي للهاغاناه كتوم في ذكر الأرقام، لكنه ينص صراحةً على أن "العديد من المخبرين والخونة" قد أُعدموا في هذه الفترة.27
بُذِلَ الوقت والجهد أيضًا على الجماعات الصهيونية المنشقة، خاصةً عندما اتضح أن المدفع كان يسعى جاهدًا لتحديد مواقع مخازن أسلحة الهاغاناه، وكان يستخدم أساليب متنوعة لزرع الفتنة في صفوف المنظمة الأكبر والأكثر شيوعًا. أُلقي القبض على أعضاء عصابة شتيرن (ليحي) الأصغر حجمًا وسجنوا على يد رجال مكافحة التجسس التابعين لشاليتيل، وأُجبروا أثناء الاستجواب على الكشف عن خططهم العملياتية ومواقع ترساناتهم.
في يونيو/حزيران 1940، قدّم ميروف اقتراحًا إلى قيادة الهاغاناه وموشيه شيرتوك، رئيس القسم السياسي، لإنشاء جهاز معلومات مشترك على مستوى البلاد (شيروت يديعوت)، يُعرف اختصارًا باسم "شاي" بالعبرية. دخل الاقتراح حيز التنفيذ في سبتمبر/أيلول من ذلك العام، حيث أصبحت مكافحة التجسس إحدى الإدارات الثلاث للجهاز الجديد. ولكن لم يتم توحيد إدارات الاستخبارات المختلفة التابعة للهاغاناه تحت سقف واحد في تل أبيب إلا في مارس/آذار 1942، عندما حلّ يسرائيل زافلودوسكي (أمير) محل شالئيل وعُيّن رئيسًا عامًا لجهاز "شاي".
مكتب كان بمثابة غطاء للجنة رعاية الجنود.
أمير، الخبير في عمليات شراء الأسلحة السرية (الرخيش)، لم يكن على دراية بالاستخبارات عندما عُيّن في المنصب، وكان يلتهم بشغف كل كتاب وجده حول هذا الموضوع. في شكلها الجديد، تجاوزت "الشاي" القنوات العسكرية المعتادة، وأصبحت تابعة مباشرة لقيادة الهاجاناه والدائرة السياسية. بشكل عام، كانت تتألف من ثلاث إدارات.

كانت هناك أربعة أقسام: مكافحة التجسس (أو "الداخلي")، التي تتعامل مع اليهود؛ وقسم بريطاني (أو "سياسي")، مُكلَّف باختراق القوات المسلحة والشرطة وحكومة فلسطين؛ وقسم العرب بقيادة دانين. على الصعيد التنظيمي، استمر هذا النظام حتى حُلّت منظمة "الشاي" نهائيًا في يونيو/حزيران ١٩٤٨، بعد أسابيع قليلة من استقلال إسرائيل.

كان دانين بطبيعته متشككًا في السياسة العليا، وكان دائمًا أسعد بالحديث مع فلاح بسيط من تبادل المجاملات الرسمية مع أفندي حضري راقٍ يرتدي طربوشًا. وكتب لاحقًا: "ظل اهتمامي منصبًا بالدرجة الأولى على تقليل الاحتكاك اليومي بيننا وبين العرب". "على الرغم مما كُتب في الصحف العربية وما قيل في الخطب في المساجد وصالونات السياسيين، فقد فضّلتُ بذل جهد لتقليل خسائر المواجهة، وتحسين العلاقات بين المستوطنات اليهودية والقرى العربية". 28
ولكنه مع ذلك بدأ العمل بشكل أوثق مع القسم العربي في الدائرة السياسية، برئاسة إلياهو ساسون. عُيّن زئيف شريف، مسؤول الوكالة اليهودية، للإشراف على عمل القسم العربي في شاي، مؤكدًا مرة أخرى على دوره كخادم لكل من الجناحين العسكري والسياسي لليشوف. كانت قدرات شريف الإدارية مكملاً مفيدًا لخبرة دانين التي لا مثيل لها وغرائزه. قرروا تقسيم فلسطين إلى مربعات، وفي كل مربع يتم تعيين محقق استخبارات لتقديم تقارير عن الشؤون العربية المحلية. وجد دانين 6 جنيهات إسترلينية شهريًا (راتب شرطي آنذاك) من ميزانيته الضئيلة لتوظيف مساعد، وهو حارس شاب من الخضيرة يُدعى شمشون ماشبيتز. جابوا البلاد معًا في سيارة دانين، بحثًا عن مجندين محتملين، معظمهم من بين الحراس ومختاري المستوطنات اليهودية. كان تجار الماشية والجزارون اليهود من بين المفضلين أيضًا، نظرًا لاتصالهم الدائم بالعرب في المناطق الريفية النائية، والخيط الرفيع الذي غالبًا ما كان يفصل أنشطتهم التجارية عن التهريب. وقد عمل العديد من هؤلاء الأشخاص مع دانين منذ اضطرابات عام ١٩٣٦. قال ماشبيتس لاحقًا: "كنا نبحث عن أي شخص تربطه صلات بالعرب".

عندما بدأ النظام يعمل بكامل طاقته، كان ماشبيتس يتجول على دراجته النارية مرة كل أسبوعين حاملاً أسئلة وتعليمات جديدة من دانين، ويجمع المعلومات ويعيدها إلى الخضيرة، حيث تُعالَج وتُنخَل. مع نهاية الحرب تقريبًا، استُبدِل ماشبيتس ببنيامين جيبلي، الذي ارتقى إلى رئاسة شعبة الشاي العربي في القدس عام ١٩٤٨ وأصبح ثاني رئيس لفرع الاستخبارات في الجيش الإسرائيلي. الجودة العامة للعميل
كانت التقارير الإلكترونية متقطعة وغير موثوقة في البداية، ولكنها تحسنت مع مرور الوقت.
لا تزال المادة الخام التي شكلت هذه التقارير سرية، بعد مرور أكثر من أربعين عامًا، لكن "المنتج النهائي" سرعان ما انتشر على نطاق واسع في كل من الوكالة اليهودية والهاجاناه. في هذه التقارير، لم يُحدد عملاء شاي بالاسم، بل بموقعهم فقط. وهكذا، عُرف رجل دانين في كيبوتس ألونيم شمال الجليل باسم "ألوني"، والوكيل في منطقة خليج حيفا (مفراتس حيفا بالعبرية) باسم "مفراتزي"، والممثل في كيبوتس كفار ناخيم في الجنوب باسم "مناحيم"، وهكذا. بحلول عام 194، كان لدى صحيفة "دامن" ما بين ثلاثين وخمسين مراسلاً منتظماً، جميعهم من المتطوعين، فضلاً عن حفنة من المصادر العربية عالية الجودة، المعروفة فقط بأسمائها الرمزية العبرية: كان الأفضل هو "هانوتر" (الحارس)، ولكن كان هناك أيضاً أسماء مثل "هالكار" (المزارع)، و"هاحزان" (المنشد)، و"هابويل هاعرافي" (العامل العربي) ذات قيمة عالية.
كان "مناحيم"، واسمه الحقيقي ديفيد كارون، أحد أفضل عملاء دانين، وكان قدوة حسنة للآخرين من نواحٍ عديدة. في عام ١٩٤٠، عندما التقى دانين لأول مرة، كان كارون أحد الأعضاء المؤسسين لكفار مناحيم، التي أنشأتها حركة هاشومير هاتسعير اليسارية في ريف قاحل تحيط به قرى عربية. ولأسباب أمنية واضحة، تم بناء المستوطنة اليهودية الجديدة - التي أسستها في الأصل مجموعة مختلفة من الرواد في عام ١٩٣٧ - مثل جميع المستوطنين الآخرين في هذه الفترة، بأسلوب "السور وبرج المراقبة" المميز. كان كارون شابًا

ملتزمًا وفضوليًا انضم إلى الهاجاناه بعد وقت قصير من وصوله إلى فلسطين من روسيا في عام ١٩٣١ لدراسة الزراعة، وعاد مؤخرًا إلى وطنه سالمًا من ثمانية عشر شهرًا من القتال مع الكتيبة البولندية التابعة للواء الدولي في إسبانيا.

بما أن كارون، الذي لم يتجاوز منتصف العشرينيات من عمره، قد اكتسب خبرة عسكرية واسعة، كان من الطبيعي أن يصبح حارس الكيبوتس الشاب وخبيره الأمني، وهي مهمة أتاحت له التواصل الوثيق والمنتظم مع جيرانه العرب الجدد. بدأ يتعلم العربية العامية، واستوعب عمومًا تجارب وعادات الحياة الريفية الفلسطينية. وبدأت مسيرته الطويلة والمتميزة في مجال الاستخبارات السرية بجدية عندما تطوع فلاح شاب من قرية تينا المجاورة بتقديم معلومات شيقة عن حادثة وقعت في نهاية الثورة في العام السابق. قُتل ستة موظفين يهود من شركة كهرباء فلسطين، أُرسلوا لإصلاح خطوط الكهرباء التي دمرها المتمردون، في المسمية، على بُعد ميلين على الطريق الرئيسي جنوب غزة. لم يُقبض على الجناة قط، لكن مخبر كارون كان يعرف هويتهم ومكانهم. سارع كارون بتقديم تقرير مفصل إلى مقر الهاغاناه في تل أبيب، ولم يمضِ وقت طويل حتى وصل عزرا دانين إلى كفار مناحيم يبحث عنه.
كانت تلك بداية علاقة طويلة الأمد مبنية على الإعجاب المتبادل والثقة الشخصية. لم يكن كارون يعرف آنذاك سوى القليل، إن وُجد، عن منظمة شاي الناشئة، لكنه أُعجب بدانين وكان مهتمًا جدًا بالعرب. يتذكر كارون بعد سنوات: "كان عزرا، من وجهة نظري، ممثل الهاغاناه لدى المخابرات العربية. أخبرني بأنواع الأمور التي قد تهمنا، وأصبحنا صديقين حميمين."30
تعلم كارون بسرعة التمييز بين الانتماءات السياسية والتسلسلات الهرمية الداخلية للقرى العربية المجاورة. كان بعضها مؤيدًا مخلصًا للمعارضة بقيادة النشاشيبي (المعارضين)، التي كان مركزها الرئيسي في منطقة الخليل شرقًا. أما البعض الآخر، وخاصةً المسمية، ذات الصلات بغزة، فكان مؤيدًا للمفتي، وبالتالي كان من المحتمل أن يكون عدائيًا للغاية. كانت أي معلومات قد تكون مفيدة تُستقبل بامتنان وتُحفظ بعيدًا: صراعات بين عائلات مختلفة، تنافسات ومؤامرات شخصية، ديون، وما إلى ذلك.
في وقت ما من عام 1940 طلب دانين من ماشبيتز تنظيم

دورة في حيفا لعمال جمع الشاي ومختاري المستوطنات الريفية، مع التركيز على التعامل مع المشاكل المحلية مع الجيران العرب. قال ماشبيتس: "لقد علمنا اللغة العربية والعادات". "لم نكن نحاول تعليمهم العمل الاستخباراتي، بل كيفية الحصول على معلومات من شأنها أن تساعدنا في حراسة الحقول. كيفية العثور على من يسبب لنا المشاكل. كان التركيز على المشاكل المحلية. ما كنا مهتمين به هو أمن المستوطنات". في العام التالي، حضر ديفيد كارون دورة مماثلة، أقيمت بشكل مشترك في القدس من قبل قسم دانين والوكالة اليهودية. مرة أخرى، كانت اللغة العربية والعادات القروية هي المحور الرئيسي، وكان الهدف هو منع الاحتكاك الناجم عن الجهل بالحياة العربية. أثبت كارون جدارته بعد ذلك بوقت قصير عندما أطلق حراس كفار مناحيم النار على عربي يجمع التبن في حقول الكيبوتس في إحدى الليالي. لعب الشاب شاي، المعروف آنذاك لدى العرب باسم داود، دورًا محوريًا في عقد الصلح الرسمي مع عائلة القتيل وقريته. ووفرت الوكالة اليهودية وإلياهو الأرز واللحم للوجبة الاحتفالية.
نزل ساسون من القدس برسالة السلام وحسن الجوار.

كان مجرد التجوال في أنحاء البلاد أفضل طريقة للحصول على المعلومات السرية والمعلومات الأساسية التي أرادها شاي. بعد ذلك بوقت قصير، توجه كارون وثلاثة شبان آخرين من كفار مناحيم جنوبًا نحو النقب بجرار وخيمة. دفع الوضع الذي خلقه الكتاب الأبيض سلطات المستوطنات إلى تنظيم ما أسموه "الحرث السياسي" لإثبات ملكية اليهود للأراضي الجديدة.

الأراضي التي تم شراؤها قبل عام 1939 ولكن لم يتم استغلالها بعد أو

استقرت بسبب التجميد الذي فرضه البريطانيون. وكما يقول كارون:

أينما كنا، كنت أجلس لساعات مع الحراس العرب وأتحدث معهم عن المنطقة. تعلمتُ الكثير عن عاداتهم. كانت تلك "جامعتي المفتوحة" واستفدتُ منها على أكمل وجه. ولاحقًا، عندما انتقلنا إلى ثلاث عشرة مستوطنة جديدة في النقب، طلبت مني الهاجاناه تنظيم الأمور في الجانب العربي. وجدتُ طرقًا للوصول دون المرور بالقرى العربية. وفي الصباح، بعد أن انتهينا من ترتيب كل شيء، كنا نفتح...

خيمة ودعوة أي عربي مر ليأتي ويتناول فنجاناً من القهوة وأكد أن نوايانا كانت سلمية.

لكن السلام وحسن الجوار لم يكونا سوى جزء من القصة. استغل كارون علاقاته العربية الواسعة في الجنوب لشراء أسلحة ألمانية وإيطالية غنمها وهرّبت إلى البلاد من قِبل القوات الأسترالية التي كانت تخدم في الصحراء الغربية المصرية. ومع استمرار الحرب في أوروبا، دون أن تعيقها هزيمة البريطانيين لفيلق روميل الأفريقي في العلمين، بدأت شبكة دانين، "شاي"، تبدو تدريجيًا كمنظمة استخبارات محترفة تُفكّر بجدية في صراع مستقبلي مع العرب.

يعقوب شيموني، وهو مثقف ومعلم من مواليد برلين، أصيب بخيبة أمل من قيود الحياة في كيبوتس جفعات حاييم الصغير، بالقرب من الخضيرة، تم قبوله في القسم العربي بناءً على توصية شخصية من ديفيد شالتيل، الذي كان قد التقى به أثناء وجوده في مزرعة تدريب صهيونية في فرنسا قبل وصوله إلى فلسطين في أوائل عام 1936. شيموني، بدقة وتفاني يكه (يهودي ألماني كلاسيكي)، علم نفسه اللغة العربية وكان مهتمًا بشدة بالشؤون العربية. كان يأمل في إجراء مقابلة للوظيفة مع شاؤول أفيغور العظيم، صاحب المقام الرفيع في شاي، لكنه التقى بدلاً من ذلك ببيروقراطي عديم اللون يُدعى زئيف شريف. بدأ شيموني، الذي تم تعيينه مقابل 14 جنيهًا إسترلينيًا و10 جنيهات إسترلينية شهريًا، العمل في أكتوبر 1941، حيث أنشأ أول مكتب مناسب للقسم العربي في غرفتين خلفيتين من أحد البنوك في شارع لونز في وسط القدس. تم الاحتفاظ بأرشيف شاي الجنيني، بما يتماشى مع روح المؤامرة والسرية المعاصرة، مخفيًا في حقيبتين تحت سرير إيلياهو بن هور، قائد الهاجاناه في المدينة، في شقته الواقعة في شارع الملك جورج القريب.

بعد إعادة تنظيم إسرائيل أمير النهائية لـ"شاي"، بعد بضعة أشهر، نقل شيموني، الذي كان يبلغ من العمر آنذاك ستة وعشرين عامًا، مكتبه إلى تل أبيب، أولًا إلى شارع ميلشيت رقم ١٦، ثم إلى ما أصبح فيما بعد مقرًا رئيسيًا لـ"شاي" في شقة من أربع غرف في الطابق الثاني من شارع بن يهودا رقم ١٩٠. وجدت حقائب السفر التي تحتوي على الأرشيفات المتضخمة مكانًا منفصلًا، وغطاؤه، بما يتناسب مع شاب جاد ذي ميول...

كان يعمل في شركة "عام عوفيد"، وهي شركة نشر تابعة للهستدروت، من أجل إنجاز بعض الأعمال الورقية.
"طُلب مني أن أبدأ العمل وأنشئ إدارة الشؤون العربية والتي كانت تعني في ذلك الوقت بال
"الشؤون العربية الإستونية"، كما تذكر بعد ذلك. 32
بدأ شيموني في الحصول على جميع التقارير من الأشخاص الموجودين في الميدان وأزعجهم بسرعة بمعاييره الصارمة وطلباته المتكررة للحصول على معلومات محددة لملفاته المتضخمة.
كان، حسب روايته، شخصًا صارمًا في عمله ولم يكن يتلقى النصيحة من أحد سوى دانين.
كما تذكر شيموني بعد سنوات:
كان عزرا هو الرجل الوحيد الذي أعرفه - وكان جوش بالمون أيضًا مدى معين الذين جمعوا بين الخبرة الميدانية العملية في الشؤون العربية ومعرفة راسخة باللغة العربية كلغة والشؤون العربية كتخصص بالمعنى الأوسع، والذين يستطيعون التحدث إلى العرب المتعلمين. كان معظم عمالنا الميدانيين أشخاصًا رائعين ومتميزين، لكن معظمهم كانوا بهذا المعنى بدائيين لا يعرفون العربية المكتوبة والأدبية، وكانت لدي مشكلة مع التقارير التي أرسلوها. لم يتمكنوا من كتابة اسم عربي بشكل صحيح. بالنسبة لهم كان الأمر سواء. ما الذي يهمهم إذا كان اسم الرجل صلاح؟ يمكن أن يكون صالح. يمكن أن يكون حسين أو حسن أو إحسان أو محسن. "إحسان"، كانوا يقولون لي. "ما الذي يهم سواء كان حسن أوحسين أم محسن؟ حسنًا، بالنسبة لي، هذا مهم لأن لديّ فهرسًا وكان عليه أن يظهر تحت الأبجدية هناك. وبالطبع، كانت تقاريرهم في معظم الحالات بدائية نوعًا ما. كانوا أناسًا مثقفين، لكن في هذا المجال تحديدًا، كانت خبرتهم مع الشيخ العربي المجاور أو القرية المجاورة. كانوا يتحدثون العربية ولكن بخلفية معرفية محدودة جدًا. بالغت تقاريرهم في أهمية الشؤون المحلية البحتة. بالنسبة لهم، كان زعيم العصابات المحلي هو رئيس جميع العصابات. كانت مهمتي هي تحرير تقاريرهم، وإعطائها...
نوع من المنظور، لدمجه في تقرير عام كان عليّ إصداره كل أسبوع.33

كانت الملفات في حالة من الفوضى. أخذها شيموني إلى منزله في بات يام، ضاحية تل أبيب، وقام بفرزها. وبحلول الوقت الذي أعادها فيه إلى مخبأ شاي في تل أبيب في ربيع عام ١٩٤٣، كانت قد بدأت تُبنى عليه منظومة مرجعية فعّالة وسهلة المنال. كان إصراره على الترجمة الحرفية الصحيحة للأسماء العربية - كابوس كل مستشرق عندما

لم يكن الأمر - الذي واجهه الهواة - مجرد تحذلق. كان جزء من الفهرس سيرة ذاتية، في شكل استبيانات موحدة أُرسلت إلى العاملين الميدانيين، والجزء الآخر جغرافيًا، مع معلومات مفصلة عن قرى محددة مُسجلة على بطاقات خضراء كبيرة. كان دانين، الذي كره الأعمال الورقية ورفض دائمًا الاحتفاظ بسجلات سليمة، حريصًا بشكل خاص على ذلك. في وقت ما من عام 1943، بناءً على اقتراح إلياهو ساسون، بدأت الصحافة العربية الغزيرة تُدرس بشكل منهجي كمصدر للمعلومات عن الفلسطينيين. شعر شمعوني بالحرج لأنه لم يفكر في هذه الفكرة الواضحة بنفسه. تحت إشراف شمعوني، حققت نشرات شاي، التي تحمل الاسم الرمزي "يديعوت تيني" ("سلة الفاكهة")، مستوى عاليًا من الاحتراف وانتشارًا أوسع بكثير.

سرعان ما تبعت قيادة شيموني القسمان الرئيسيان الآخران في المنظمة. بدأ يوسف كراكوفسكي (كاريب)، وهو مدرس كان أول رئيس للقسم اليهودي (أو القسم الداخلي)، في بناء إنجاز منظم. في صيف عام ١٩٤٤، تولى إدارة القسم شاب قصير القامة لكنه حازم يُدعى إيسر هالبرين (هاريل)، وحوله إلى فخر للشاي، مزودًا بفهرس بطاقات وشرائط ملونة لسرعة التعرف عليه. وفعل الشيء نفسه الدكتور ديفيد أريان، وهو شرطي سابق في برلين وموظف بنك كان يتعامل مع الشؤون الشيوعية.٣٤

شكّل الأرشيف مشكلة أمنية خطيرة. بتوجيه من هاريل، تم استئجار شقة صغيرة في شارع دوف هوز من ممثل مشهور في تل أبيب، وتم بناء غرفة سرية صغيرة مزودة بجدار زائف، وباب معدني خاص يمكن فتحه وإغلاقه بسرعة، وسرير قابل للطي لإخفاء شقوق الجدار. أما حاييم بن مناحيم، رئيس منظمة شاي في القدس، فقد كان لديه فكرة أكثر حداثة وربما أكثر أمانًا: نقل ملفاته إلى كوخ يُستخدم لأبحاث الجذام في حرم الجامعة العبرية على جبل المشارف.35

أصبح تنظيم وتوزيع المسؤوليات أكثر دقة، وتم استقطاب مواهب جديدة. كان جوش بالمون أبرز المجندين الواعدين في القسم العربي. وُلد بالمون لعائلة من أصل روسي عام ١٩١٣ في نيفيه تسيدك، على الطريق الرابط بين تل أبيب ويافا، وكان خبيرًا قيّمًا.

لقد كان يتحدث العربية بشكل جيد وكان د ح.

الهاجاناه في الظروف القاسية د رو هـ يستحق، يمثل

إستين بوتاسيوم سي أ الظروف المعزولة في بال-

البحر الميت: ::io: : s atSo?om;، في الطرف الجنوبي من فلسطين ' الجولة السابقة من

الدوري الأمريكي كان bmon على دراية بـ اور

هـ قبائل أوكا بيدوم لقد كان

لجمع inte ge :: s: r unding villa es وكان في وضع جيد

الحدود فقط مع Transjo:=n U: 1 :!;cr:ss السجل و

اتصاله الرئيسي في النصف الثاني من المباراة ولعنة الله قائد الهاجاناه في القدس ،

س كان

أحيانًا يمرر ما هو عليه :ra لقد جاء في طريقه. الإرشاد

بعد إعادة التنظيم في عام 1940 ص 1 ' التنوب

دانين، منطقيًا بما فيه الكفاية، كان بمثابة المشارك في وظيفة Hstb مع

وصل المستعربون إلى نقطة تحول بارزة عام ١٩٤٤، عندما حثّ دانين الهاغاناه على نشر مجموعة من وثائق المتمردين التي سُرقت خلال اضطرابات ١٩٣٦-١٩٣٩. حصل دانين على معظم المواد من معارفه

في المخابرات العسكرية البريطانية، الذين نقلوها إلى الشاي للترجمة والتفسير، مفضلاً على ما يبدو التعامل مع الهاغاناه، التي كانت حريصة على الأمن، بدلاً من الإدارة المدنية الفلسطينية التي كانت تعاني من تسرب المعلومات. تم الاستيلاء على معظم المواد من العصابات العاملة في منطقة نابلس-جنين-طولكرم، بالقرب من...

منزل دانين في الخضيرة،

الكتاب، Te'udot VeDmuyot (الوثائق والشخصيات)،

تبرز باعتبارها أول محاولة جادة من جانب اليهود لتسجيل وتحليل دوافع وشخصيات أعدائهم العرب،

بقايا مصدر تاريخي ذو قيمة فريدة. تناولت مقدمة دانين للمجموعة الأساس الاجتماعي لـ

حيث، لأنه كان هناك ما يقرب من

كان هناك اتصال مع القادة العرب

العمل معه هناك لأنه

- هـ هـ منطقة رون،

0 مستوطنات يهودية مباشرة

- البكالوريا الدولية

الثورة، وزرعها بقوة في القرى أو في مجموعات وأفراد ذوي روابط ريفية قوية. وأشار، على سبيل المثال،

ف الصليب المقدس• ولكن كان هناك القليل

' استخدم O e ca m that ca • محاربة التمرد . كل أنا ذكي

منطقة القدس وهكذا بدأ الأمر: e•wciodveerh th-moedeYve}oexppcanoduendtryto

المناطق ومنظور أوسع ب ح على

أن الصهاينة والبريطانيين كانوا يميلون إلى المبالغة في تقدير مستوى وكمية الأسلحة والذخيرة التي كانت بحوزة المتمردين.

يديه. كما كتب:

تجمع. 'اقترحت أن wae

هوت غرض الذكاء- تغيير الاسم من المعلومات

لا يمكن تجاهل حقيقة أن التدريب العسكري التقني لـ

خدمة الأيون (شيروت يديعوت) إلى المخابرات (بيون) ' هو -daoralmle

العرب لم يكونوا من   مستوى عالٍ. درجة خبرتهم في

لاحقًا. 'مع خدمة •mfiormat1.0n، يمكنك العمل حتى،

ح   تسجيل

كانت الأسلحة الحديثة معدومة تقريبًا. كانوا يستغلون الموارد الطبيعية بشكل أساسي

ما تصطاده تجلبه إلى السوق سواء كان ذلك ثلاث مرات أم لا. ما حاولنا فعله هو . هل هم مشترون أم مثيرون للاهتمام؟ 16 معلومات محلية عندما كنت مهمًا و
cull bya kib \butz watchman drinking coffee i: a!nerz
الجزار يتبادل أطراف الحديث مع تجارة الماشية لكن بالمون أدرك أن الأمر لم يكن كذلك إلى هذا الحد.
الحاجة إلى مزيد من التخطيط: dg :r:ryf:ar، وهناك الخليل، على سبيل المثال، Pcaol :::;; kn rward plannmg. في

تدريب القرية العربية: القتال من أجل البقاء في سياق الحياة اليومية - الثأر، القتال بالأيدي، الكمائن، السرقة والانتقام، الحرق العمد، تدمير البساتين والمحاصيل، الطعن في الظهر، الصيد
الرماية والهدف.
لم يتم نشر "تيودوت فيدمويوت" تجاريًا وتم توزيعها في نسخ مرقمة فقط على قادة الهاجاناه وعدد قليل من الزعماء السياسيين؛ ولم يكن هناك أي ذكر فيها ل

القطارات التي كانت تسير على نفس الطريق   نَعَارٌ عَالٍ، كَانَ عِنْدَهِ إِبِلٌ

الدروس العملية التي يمكن تعلمها في المستقبل من دراسة

أيضًا   .

أ::

هـ   الطريق الصحراوي إلى شرق الأردن. كان النجار

آذان   كان متمرسًا في الحفاظ على عينيه ونظره.
بشكل متزايد 'entil,lc •sc1   الاتجاه الذي اتخذه الشاي

نحن نعتقد أن أحد الأسلحة الأكثر فعالية ضد الثوار العرب هو معرفة عقليتهم وردود أفعالهم المحتملة تجاه مختلف المواقف.

المواقف. يجب أن نكون على دراية بأسلوبه في التجمع والهجوم والدفاع والتمويه والهروب؛ وحبه الطفولي للسلطة؛ وقدرته على تحمل الرشوة؛ وإخلاصه؛ وميله إلى الجدال أو التخلي عن رفيق في محنة؛ وتأثير الصراعات الاجتماعية؛ ومدى استعداده لخيانة قائد؛ وموقفه تجاه العدو أو الجار. ما هي قواعده في القتال العادل؟ ما الذي قد يُهزّ أعصاب المقاتل العربي، وما هي أنجع طريقة لضربه؟ متى يكون الهجوم البدني فعالاً، وفي أي ظروف يكون الهجوم على ممتلكاته أكثر فعالية؟37
سرعان ما بدأت أسئلة من هذا النوع تُطرح على جمهور أوسع. لطالما حافظ مستعربو "شاي" على طابع مدني أكثر منه عسكري، وتجاهلوا إلى حد كبير الاستخبارات القتالية أو الميدانية - القائمة على الدوريات أو المراقبة أو الاتصال بالعدو - ولم تتطور إلا مع نهاية الحرب العالمية الثانية والتغيرات التي أشارت إلى رحيل البريطانيين في نهاية المطاف واندلاع حرب شاملة مع العرب. عقدت "شاي" دورة استخبارات أولى لرجال الهاغاناه في شفايا، قرب زخرون يعقوب، عام ١٩٤٤، ودورة ثانية أوسع نطاقًا، لثلاثين ضابطًا واعدًا، في الخضيرة عام ١٩٤٦. ألقى شيموني محاضرات عن الفلسطينيين، وقدّم لهم شاؤول بار حاييم بعض العربية الفورية.
كان دانين قد اقترح على رؤوفين زسلاني في وقت مبكر من أبريل/نيسان 1940 أن تُسخّر "الشاي" مواردها لإجراء مسح شامل للقرى العربية، وقد قام بعض الأفراد المغامرين، مثل زربافيل أربيل، بإجراء مسوحاتهم الخاصة في مناطقهم. ولكن لم يبدأ العمل على مشروع "ملفات القرى" بشكل جدي إلا في عام 1945 تحت إشراف لجنة توجيهية مؤلفة من دانين وشيموني وبالمون. تم مسح أكثر من 600 قرية عربية من أصل 800 قرية في فلسطين، باستخدام تقارير العملاء والصور الجوية الملتقطة بالطائرات الخفيفة. استُخدمت هذه الصور كبديل للخرائط الطبوغرافية الأصلية، التي كان بيعها محظورًا في زمن الحرب. في عام 1948، عندما كان البريطانيون على وشك المغادرة، اقتحم "الشاي" مكتب المساحة الحكومي في تل أبيب وصوّروا النسخ الأصلية لجميع الخرائط الرسمية.38
كان هذا المسح المثال الأبرز حتى الآن على تطبيق النشاط الاستخباراتي لأغراض عسكرية محددة.

مع اقتراب تجدد الصراع مع العرب، أصبح من الضروري تجميع معلومات مركزية وحديثة عن الأهداف المحتملة. وكانت جميع القرى العربية
الأهداف. كما ذكر ديفيد كارون:
كانت الفكرة الأساسية وراء الهاغاناه في تلك الأيام هي أن أي رد انتقامي من جانبنا يجب أن يكون ضد الهدف الصحيح. لمعرفة الهدف الصحيح، كان عليك أيضًا معرفة الهدف الخطأ. لذلك، بذلت منظمة الشاي جهدًا هائلاً في توثيق القرى، وجمع المعلومات عن عائلاتها، وصراعاتها الداخلية. لنفترض أن فتاة تعرضت للاغتصاب في مكان ما: كان ردنا دائمًا موجهًا نحو هدف محدد. إذا تابعت الوضع عن كثب، عرفت بسرعة من فعل ماذا. وعندما تعرف من فعل ذلك، وكانت لديك خرائط مفصلة للقرية وتعرف طرق الوصول، يمكنك الإشارة بدقة إلى...
المنزل الذي كان يعيش فيه الجاني.39

"كأن الحرب لم تكن موجودة..."
شكا ديفيد بن غوريون إلى المفوض السامي البريطاني، السير هارولد ماكمايكل، من أن الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ كان "ضربة قاسية وغير مبررة للشعب اليهودي في أكثر لحظات تاريخه مأساوية". ومع ذلك، لم يكن بإمكان اليشوف والحركة الصهيونية أن يسكتا. وقد حدد بن غوريون النبرة بعبارة جذابة ومقتبسة في ١٢ سبتمبر ١٩٣٩: "يجب أن ندعم الجيش كما لو لم يكن هناك كتاب أبيض"، كما أعلن، "وأن نحارب الكتاب الأبيض كما لو لم تكن هناك حرب". كانت صيغة ذكية وفي الوقت المناسب، وقد صقلتها صيغ أكثر حدة مع استمرار الحرب. لم يكن تطبيقها بهذه السهولة. فرغم التقدم الذي أحرزته الهاغاناه في الأعداد والخبرة العسكرية خلال سنوات الاضطرابات الثلاث، ظل اليشوف يعتمد بشكل أساسي في أمنه على وجود القوات البريطانية. إن القلق بشأن ما قد يحدث إذا انسحب البريطانيون جعل من الأولوية للصهاينة أن يبذلوا نفس القدر من الجهد الحربي العام - أو على الأقل
للدفاع عن فلسطين نفسها - وهو ما تسمح به الحكومة البريطانية. لكن مصالح متباينة كانت تعمل في لندن والقدس.40

اعتقد البريطانيون أنه من الضروري تنفيذ أحكام الكتاب الأبيض وبذل كل ما في وسعهم لتجنب استعداء العرب، وكانوا في البداية متشككين في القيام بأي شيء قد يزيد من القوة العسكرية اليهودية. تغيرت الظروف جذريًا في ربيع عام 1940، مع الاحتلال الألماني لأوروبا الغربية، والهجمات الجوية على البر الرئيسي البريطاني، ودخول إيطاليا الحرب في يونيو. كما غيّر استسلام فرنسا وإعلان الجيش الفرنسي في سوريا ولائه لنظام فيشي في أوائل يوليو الصورة الإقليمية أيضًا، وبرزت خطورة تهديد دول المحور بشكل واضح عندما قصفت الطائرات الإيطالية حيفا وتل أبيب. رأت القيادة الصهيونية فرصتها وبذلت كل ما في وسعها للتأكيد على درجة العداء العربي تجاه بريطانيا لتبرير المطالبة المتزايدة بالتعبئة واسعة النطاق لليشوف.
كان رؤوفين زاسلاني، الذي طور علاقات وثيقة مع مجموعة واسعة من المسؤولين العسكريين والأمنيين البريطانيين منذ أول اتصال له مع استخبارات سلاح الجو الملكي البريطاني في عام 1933، الرجل المثالي لوظيفة الاتصال. تم إجراء اتصالات في كل من فلسطين ولندن، وخاصة مع هيئة العمليات الخاصة (OES) التي تم تشكيلها حديثًا، والتي أطلقها ونستون تشرشل في يوليو 1940 بتعليمات درامية "إشعال النار في أوروبا". كما تعاون ممثلو الصهاينة، ولا سيما إيهود أوبرال (أفريل)، الذي كان يعمل في تركيا على الهجرة اليهودية غير الشرعية إلى فلسطين، مع MI9، المنظمة التي ساعدت أسرى الحرب الذين فروا من ألمانيا.
كان اليهود يعتقدون أن MI6 - والمعروفة أيضًا باسم SIS - جهاز المخابرات السرية البريطاني، متأثرة بشكل وثيق جدًا بوزارة الخارجية الموالية للعرب، ومثل سادتها السياسيين، كانت تدرك تمامًا حقيقة أن المواجهة الصهيونية البريطانية كانت حتمية بعد الحرب. بشكل عام، وكما سيتذكر زاسلاني لاحقًا، كان من الأسهل العمل مع هيئات بريطانية عسكرية، مُخصصة، أُنشئت خصيصًا لفترة الحرب ضد هتلر، والإصرار في الاتصالات معها على الوضع الخاص الذي طالبت به الوكالة اليهودية. أوضح تبادل الرسائل الذي أسس

العلاقة السرية (لم يكن هناك اتفاق رسمي) ما كان الصهاينة مستعدين لفعله وما لم يكونوا مستعدين له. "لم نوافق على الخضوع لأي..."

قال زسلاني: "السلطة العسكرية البريطانية. لم نرد أن نقول: نعم سيدي، لا سيدي. لم نكن نعمل لصالح البريطانيين، بل كنا..."

- الحلفاء.'41

استعدادات الحلفاء لغزو سوريا و- إيبان؟

وشهد ربيع عام 1941 بداية التعاون الجاد بين بينتيش وزي ميست في مجال الاستخبارات والعمليات الخاصة. ه أدى استيلاء فيشي في الصيف السابق إلى قطع مصادر الاستخبارات الفرنسية عن البريطانيين على الفور، لذلك تم التواصل مع اليشوف لتقديم المساعدة سواء بالمخبرين أو بعمليات التخريب والاستطلاع. انتهى أول مشروع مشترك كبير مع البريطانيين بكارثة في مايو. انطلق ثلاثة وعشرون عضوًا من الهاجاناه، بقيادة زفي سبيكتور وبرفقة مراقب من العمليات الخاصة، الرائد أنتوني بالمر، من حيفا في زورق صغير بمحرك في مهمة لتخريب مصافي النفط في ميناء طرابلس شمال لبنان، وبالتالي حرمان الطائرات الألمانية التي بدأت العمل من سوريا من الوقود. انقطع الاتصال بالقارب، أسد البحر، ولا يزال مصير الرجال مجهولًا حتى يومنا هذا. وشملت العمليات الأخرى تهريب مسؤولين من فرنسا الحرة (الديجولية) إلى فلسطين ومهام استطلاع متقدمة قبل الغزو الفعلي، الذي وقع في 8 يونيو.1941. في آخر هذه، في ليلة 7 حزيران، بالقرب من إسكندرونة في جنوب لبنان، شاب
فقد ضابط الهاغاناه، موشيه ديان، عينه اليسرى عندما اخترقت رصاصة أطلقتها القوات السنغالية المنظار الذي كان يستخدمه. وقد ساهم التعاون المتزايد مع مكتب العمليات الخاصة بشكل كبير في تشجيع الهاغاناه على اتخاذ قرار، في منتصف مايو، بتشكيل ذراع جديدة مُعبأة عُرفت باسم البلماح (سرايا الضربة)، والتي ضمت وحدة صغيرة عُرفت باسم الفصيلة السورية. بقيادة يسرائيل Y hud-e (الاسم الرمزي عبدو) وجوش بالمون، الذي كانت خبرته rtis_em على الرغم من أن الفصيلة كانت قد قدمت بالفعل مساهمة مهمة في تطوير الفصيل، إلا أنها عانت من نقص في القوى العاملة المناسبة وضعف الاتصالات مع الفلسطينيين، على الرغم من أن الخبرة الجديدة في العمل تحت الأرض للعدو أثبتت أنها لا تقدر بثمن بالنسبة للصهاينة.
كان أحد أعضائها، يروحام كوهين، حريصًا على استيعاب دروس تلك الفترة. وكما كتب لاحقًا:

علمنا الوقت الذي قضيناه في سوريا ولبنان مدى الاختلاف الكبير بين اللغة والعادات هناك وتلك في فلسطين. كنا نفتح أفواهنا فقط لنُسأل: "فلسطينيون، أهلًا؟". لكن لم تكن لغتنا وحدها هي التي كشفتنا. أتذكر أنني غسلت حذائي في طرابلس ذات يوم، فقال لي ماسح الأحذية: "هذه الأحذية مصنوعة في حيفا". أما نحن، ممن لم نكن من أصل سوري أو لبناني، فقد نظرنا واستمعنا أكثر مما تحدثنا. كان علينا أن نتعلم اللهجة المحلية.وكان الأمر مختلفًا في كل مكان، بيروت، دمشق، حلب - قبل أن نجرؤ على ذلك.
لا أقول أي شيء. استغرق الأمر شهورًا حتى شعرنا وكأننا في بيتنا. لقد اعتنينا
لكي لا نلفت الأنظار. لم يكن أحد منا يعرف أين يسكن الآخرون.42

كان معظم أفراد الفصيلة السورية من اليهود الذين يتحدثون العربية كلغة أم. وكانوا يُفضل أن يكونوا من مواطني البلدان التي سيعملون فيها، وقد تلقوا تدريبًا ليتمكنوا من الاندماج بسهولة في بيئة عملهم. إلى جانب التدريب العسكري الذي قدمه مدربو جهاز العمليات الخاصة في مقر الوحدة على جبل الكرمل، تم تعليم المجندين استيعاب العادات العربية، بما في ذلك الغناء والرقص ولعبة الطاولة وألعاب الحظ الأخرى. لم يكن غطاءهم دائمًا قائمًا. بعد الغزو، يروحام كوهين. أُلقي القبض على زميلين من قبل المكتب الثاني (جهاز الأمن السوري الذي تديره حكومة فيشي) في دمشق، وكانا يرتديان ملابس ريفية اشتروها من سوق السلع المستعملة المحلي، ويحملان أوراق هوية لبنانية مزورة. وأُخرجا منلم يُفتح السجن إلا بفضل جهود الرائد نيك هاموند، منسق الفصيلة السورية مع مكتب العمليات الخاصة، في مسرحية مُحكمة وُصف فيها عميلا البلماح بأنهما منشقان عن الجيش البريطاني. كان إنشاء الفصيلة فكرة الوكالة اليهودية. قال زسلاني لاحقًا: "هنا، كان...

سؤال واضح حول أهدافنا. لم يكن البريطانيون متفائلين جدًا

"متحمسًا وكان هناك عنصر منا يستغل ضعفهم."43

كان البريطانيون معجبين بشدة بكشافة البلماح وقادتهم السياسيين. جوليان أميري، الذي جاء إلى جبل الكرمل برفقة فرع البلقان في منظمة العمليات الخاصة البريطانية من مقرها في عمارات رستم بالقاهرة، كتب لاحقًا:

عملتُ عن كثب مع شيرتوك وزاسلاني، رئيسي القسمين الخارجي والسري في الوكالة اليهودية. كانت لدينا مصالح مشتركة عديدة في البلقان، وكنا غالبًا ما نتعاون. أعجبتُ بكفاءتهما وأصالة تفكيرهما العملي. كانا سريعي الفهم لوجهة نظرنا، لكنهما تمسكا برأيهما بإصرار. ولكن عندما عقدا صفقة، التزما بها.

وقد غادر سي إم وودهاوس، وهو رجل آخر من منظمة العمليات الخاصة معجب بـ "المنظمات الغامضة ذات الأحرف الأولى التي لا يمكن تفسيرها"، فلسطين وهو يحمل آراء إيجابية مماثلة حول المواهب الصهيونية في الحرب السرية.45

بعد بضعة أشهر، أبدى البريطانيون اهتمامًا جديًا بالتعاون العشائري مع الوكالة اليهودية، عندما عدّلوا خططهم للدفاع عن فلسطين وسوريا في حال وقوع هجوم ألماني، ووضعوا خطةً أُطلق عليها اسم "مخطط فلسطين لما بعد الاحتلال". في أشهر صيف عام ١٩٤٢ المتوترة، وقبل هزيمة فيلق روميل الأفريقي في العلمين، كُلّفت منظمة العمليات الخاصة بإنشاء حركة مقاومة للبقاء بعد احتلال العدو، وجمع المعلومات الاستخبارية، ومساعدة المتخلفين والهاربين، ودعم القوات الخاصة، وتخريب المنشآت الحيوية. درّبت منظمة العمليات الخاصة حوالي ١٠٠ من أعضاء البلماح على أساليب حرب العصابات، وأنشأت شبكة من مشغلي الراديو وعملاء المخابرات بقيادة موشيه ديان، حيث جرت معظم الأنشطة في كيبوتس مشمار هعيمك. رحّب البيشوف بالفرص التي أُتيحت له لاكتساب التدريب والخبرة، وحاول أصدقاء بريطانيون قدامى، وخاصةً أورد وينجيت، القائد الأسطوري المؤيد للصهيونية في فرق الليل الخاصة في أواخر الثلاثينيات، الدفاع عن القضية اليهودية في لندن. التقى زاسلاني وينجيت لفترة وجيزة في كايو وهو في

طريقه إلى بورما، حيث قُتل في حادث تحطم طائرة أثناء قيادته لمجموعته الحربية الشهيرة "شينديت" في معركة ضد اليابانيين عام ١٩٤٤.
بحلول عام ١٩٤٣، كاد شهر العسل البريطاني الصهيوني أن ينتهي. وفاقمت سرقة البلماح للأسلحة البريطانية الوضع سوءًا. وعلى أي حال، انتهى مبرر وجود الفصيلة السورية، على الرغم من أن القوة البشرية الصغيرة نفسها أثبتت أهميتها البالغة عندما قررت البلماح في مايو من ذلك العام إنشاء فصيلتها العربية الخاصة، وهذه المرة لخدمة المصالح الصهيونية فقط لا البريطانية. ومن مجالات التعاون المهمة الأخرى بين الجانبين:

شمل ذلك تشكيل فصيلة البلمة الألمانية، المؤلفة من يهود ناطقين بالألمانية، بقيادة شمعون كوخ (أفيدان). في عام ١٩٤٤، أُرسل متطوعون يهود بالمظلات إلى أوروبا الشرقية المحتلة من قبل النازيين لتشجيع المقاومة وجمع المعلومات الاستخبارية. إنزو سيريني وهانا سزينيس،
اثنان من المظليين الأكثر شهرة، تم القبض عليهما وإعدامهما على يد الألمان.
في نوفمبر/تشرين الثاني 1944، ومع اقتراب الحرب ضد هتلر من نهايتها، لخّص زاسلاني أربع سنوات من التعاون السري مع البريطانيين. وأشار إلى أهمية استمرار عمل أجهزة استخبارات الحلفاء في أوروبا لسنوات قادمة. وقال لكبار مسؤولي الوكالة اليهودية: "سيتعين علينا العمل في أوروبا لأن مهاجرينا سيأتون منها، وسيتعين علينا إنشاء دولة يهودية هنا، وسيتعين علينا مواصلة هذا التعاون". وأضاف: "يجب أن تتحسن استخباراتنا. يجب أن تصبح أداةً دائمةً لجهازنا السياسي".

2
اختبار المعركة:
9-1947

الفصيلة العربية

في ظهر يوم الجمعة، الموافق 22 ديسمبر/كانون الأول 1947، وبعد مغادرة حشود المسلمين مساجد يافا، أكبر مدينة عربية في فلسطين، اقتيد يهوديان يُدعيان دافيد شيمش وجدعون بئيري إلى رمال تل الريش القريبة، وأُعدما رمياً بالرصاص ودُفنا. لم تُعلّم أي علامة أو تُشير إلى الموقع. لاحقاً، عُثر على جثة زميلهما، نسيم عطية، الذي أُسر في رامي جنوب شرق المدينة، في خندق خارجها. كان الثلاثة، أعضاءً في فصيلة البلماح العربية - المعروفة بالعبرية باسم "مستعربيم"، أو بالاسم الرمزي للوحدة، "شاهار" - أول جواسيس إسرائيليين يُقبض عليهم ويُقتلون في حرب 1948 وأول من يلقون حتفهم في الصراع العربي الإسرائيلي. وكانوا ينتمون إلى فريق مكون من خمسة أفراد تسلل إلى منطقة يافا - الرملة - اللد في الأسابيع الأولى من

الحرب كجزء من حملة الهاجاناه لقياس الاستعدادات العسكرية العربية واتجاه الرأي العام في معسكر العدو.
كان شيمش وبئيري يهوديين من مواليد العراق، لكنهما كانا يُفترض أنهما عربيان بسهولة. في يافا، سكنا في فندق رخيص بحي المنشية، المجاور لتل أبيب. ألقت عناصر من لجنة أمن يافا القبض عليهما بعد أن سُمعا وهما يُجريان مكالمات هاتفية من الفندق مع أحد معارفهما في تل أبيب، وهو خطأ كلّفهما حياتهما.1
تحت الاستجواب والتعذيب، تمسك الاثنان بقصتهما السرية بأنهما عربيان من العراق، على الرغم من اعترافهما

أن اثنين من أصدقائهما يقيمان في الرملة. أُلقي القبض على أحدهما، نسيم عطية، وأُعدم بعد ذلك بوقت قصير. أُلقي القبض على عميل رابع لشاحر، عُرف في تقارير استخبارات الهاغاناه باسم سارني إبراهيم نمرود، في قرية سلامة قرب يافا. ومثل الآخرين، كان نمرود يحمل بطاقة هوية مزورة بوضوح، إذ لم تكن الصورة الموجودة عليها، كما يقتضي القانون البريطاني، مُعتمدة بشكل صحيح بختم رسمي. كان نمرود أوفر حظًا من زملائه. فرغم إدانته بالإعدام من قِبل آسريه، أُلغي الحكم عندما أبهرهم "سارني" بخشوعه في الصلاة. أُطلق سراحه وعاش ليروي قصته.
كانت فصيلة البلمة العربية، وهي وحدة صغيرة وهواة في البداية، بمثابة رأس الحربة في جمع المعلومات العسكرية لليشوف حتى صيف عام 1948. ومنذ أواخر عام 1947 فصاعدًا، قام أعضاؤها بمهام متعددة، متنكرين في زي العرب، في المراكز السكانية الرئيسية في فلسطين العربية - يافا وحيفا ونابلس والقدس والخليل - وأبعد من ذلك إلى شرق الأردن وسوريا ولبنان، لجمع المعلومات السياسية والعسكرية.
تشكلت الفصيلة العربية في مايو 1943 بأمر من إسحاق لاندسبيرج (ساديه)، المؤسس البولندي المولد والقائد الأول لبالما. ساديه، الذي خدم كقائد سرية في الجيش الأحمر وهاجر إلى فلسطين عام 1920، أصدر تعليماته إلى يروحام كوهين، وهو من قدامى المحاربين في الفصيلة السورية في البالما، للعثور على اثني عشر رجلاً يمكن أن يمروا على أنهم عرب للقيام بعمليات خاصة. قام كوهين بالتجنيد من مجتمعات اليهود السفارديم (الشرقيين) الذين عاشوا في الأحياء التي تحد المناطق العربية. كان الكثير منهم بالكاد يعرفون القراءة والكتابة على الرغم من أنهم جميعًا كانوا ناطقين باللغة العربية. تم تدريبهم على الأعمال الميدانية والتخريب والقنص والجودو والاتصالات بالإضافة إلى طقوس صلاة المسلمين واللهجة العربية الفلسطينية والعادات المحلية. أطلق على الفصيل الاسم الرمزي "شاهار" وكان مقره في كيبوتس ألونيم في وادي يزرعيل.
خلال منتصف أربعينيات القرن العشرين، نفّذ أعضاء الوحدة، الذين كانوا يعملون عادةً في فرق من فردين أو ثلاثة، عشرات من مهمات الاستطلاع والتجسس والتخريب في مدن وقرى فلسطين العربية. ومن أشهر مآثرهم، في عام ١٩٤٦،

كان ذلك اختطافًا انتقاميًا وإخصاءً لعربي من بيسان للاشتباه باغتصابه فتاة يهودية من كيبوتس قريب. كانت عمليات شاهار المبكرة محلية وقصيرة المدى. وسرعان ما ظهرت تحديات أكبر.

العد التنازلي للحرب

منذ منتصف عام ١٩٤٦ فصاعدًا، كان اليشوف يستعد لحرب شاملة. انتهى الصراع في أوروبا أخيرًا؛ فقد حرّرت حركة "ألهيس" معسكرات الموت النازية في أوروبا، وشعرت بضغط أخلاقي هائل لمنح اليهود أخيرًا.. دولة خاصة بهم. نظّم البيشوف، مستخدمًا شبكاته السرية في أوروبا، حملة إنقاذ وهجرة غير شرعية ضخمة (بريخا)، متجاوزًا الحصار البحري البريطاني لنقل الناجين الهزيلين من المحرقة إلى شواطئ فلسطين. شنّت الميليشيات اليهودية السرية، وهي الهاجاناه (بوحداتها النخبوية من البالماح)، وعصابتا الإرغون وشتيرن المنشقتان، حملة حرب عصابات ضد البريطانيين. الذين ما زالوا متمسكين بفلسطين بدافع تعاطف غامض مع العرب، مقترنًا بجمود بسيط. في ربيع عام ١٩٤٦، زارت لجنة تحقيق أنجلو أمريكية فلسطين. وأوصى بأن تسمح بريطانيا بدخول 100 ألف لاجئ يهودي فورًا. رفضت الحكومة البريطانية الاقتراح. ولكن بحلول فبراير 1947، استطاعت حكومة حزب العمال بقيادة كلي وأتلي، تحت ضغط أمريكي مكثف وتثبيط من جانب بنتام، قرر، الذي لعب دورًا مزدوجًا كهدف للإرهابيين اليهود وحكم في صراع وطني يبدو أنه غير قابل للحل، أن ينهي الأمر ويترك
الأمم المتحدة تحل المشكلة.
وقد عينت الجمعية العامة للأمم المتحدة لجنة خاصة
بشأن فلسطين (لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين)، التي أوصت في نوفمبر بانسحاب البريطانيين، واتباعًا لنموذج لجنة بيل قبل عشر سنوات، بتقسيم البلاد إلى دولتين يهودية وعربية منفصلتين، على أن تُدمجا في اتحاد اقتصادي. أيدت الجمعية العامة توصيات لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين في 29 نوفمبر 1947. قبل اليشوف القرار؛ بينما رحب العرب الفلسطينيون والعرب المجاورون

رفضت جميع الدول هذا القرار. في اليوم التالي، اندلعت أعمال عدائية متقطعة. طُعن المارة اليهود؛ وقُصفت الأحياء الحدودية وقُنصت؛ ونُصبت كمائن لحركة المرور اليهودية. ردّت الهاجاناه ببطء في البداية، ظنًّا منها أن موجة الغضب العربي الأولى ستمر. في النصف الثاني من ديسمبر، اتخذت موقفًا دفاعيًا هجوميًا، وشنت أحيانًا غارات انتقامية واسعة النطاق على القرى العربية التي تؤوي عصابات مسلحة.
خلال يناير/كانون الثاني 1948، وصل أوائل "المتطوعين" العرب - ومعظمهم جنود سابقون أو عاملون في الجيوش العراقية والسورية والأردنية - إلى فلسطين، وبدعم من قوات فلسطينية غير نظامية، شنّوا أولى الهجمات واسعة النطاق على المستوطنات اليهودية النائية. في فبراير/شباط ومارس/آذار، اندلعت معارك على الطرق الرئيسية، حيث كانت القوات العربية تحشد بانتظام قوافل إمدادات الهاغاناه إلى المراكز السكانية اليهودية المعزولة، وخاصةً القدس. أما البريطانيون، الذين كانوا مصممين على الانسحاب بأقل عدد ممكن من الضحايا، فلم يتدخلوا إلا نادرًا.
في شهري أبريل ومايو، ومع انسحاب البريطانيين تدريجيًا، شنّت الهاغاناه، بمساعدة منظمة إرغون الأصغر حجمًا في بعض المناطق، هجومها، فاستولت على مراكز عربية كبيرة - حيفا وطبرية ويافا وأجزاء من القدس - وعشرات القرى، مما أطلق شرارة الموجة الرئيسية من نزوح الفلسطينيين. وبحلول 14 مايو، عندما أعلن

بن غوريون عن قيام دولة إسرائيل في دار سينما مُعدّلة في تل أبيب، كان نحو 300 ألف عربي قد فروا من فلسطين؛ وبحلول نهاية الحرب، في منتصف عام 1949، بلغ إجمالي عدد اللاجئين نحو 700 ألف لاجئ.1
في 15 مايو، اليوم التالي لتأسيس إسرائيل، غزت جيوش مصر وسوريا وشرق الأردن والعراق ولبنان فلسطين من الشمال والشرق والجنوب. كان هدفهم المشترك هو القضاء على الدولة اليهودية في مهدها، مع أن ملك شرق الأردن عبد الله، الذي اعتبر هذا الهدف غير واقعي، ربما كان يرغب في المقام الأول في الحصول على الأراضي التي خصصتها الجمعية العامة للأمم المتحدة للدولة العربية الفلسطينية لمملكته. تحدث قادة عرب آخرون عن "إلقاء اليهود في البحر" أو، مثل عزام باشا، الأمين العام لجامعة الدول العربية، عن مذبحة تنافس تلك التي ارتكبتها إسرائيل.

جحافل المغول. أعطى قادة اليشوف، بمن فيهم رئيس عمليات الهاجاناه، يغئال يادين، الدولة الجديدة فرصة 50% للبقاء. كان الأجانب أقل تفاؤلاً. اعتقد المشير البريطاني برنارد مونتغمري، المنتصر في معركة العلمين، أن إسرائيل قد تصمد ثلاثة أسابيع. اعتُبرت الحرب، التي سيموت فيها 6000 يهودي، أو واحد من كل 100 يهودي في فلسطين آنذاك، معركة من أجل البقاء. انتصر اليهود فيها بدفاع عنيد وشجاع في البداية، تبعه سريعًا هجمات خاطفة ناجحة في يوليو، وأكتوبر إلى نوفمبر، وديسمبر إلى يناير 1949، صدّوا ثم هزموا الجيوش العربية الغازية ووطّدوا الدولة. لكن لأسابيع، وربما أشهر، كان الوضع على المحك.

العمليات الخطرة
بحلول منتصف عام ١٩٤٧، وتوقعًا للحرب القادمة والحاجة المتزايدة للاستخبارات العسكرية المناسبة، اقترحت الهاغاناه توسيع نطاق الشاحر وتوسيع عملياتها خارج حدود فلسطين. وفي مايو من ذلك العام، أوصى يسرائيل جليلي، رئيس القيادة الوطنية للهاغاناه - اللجنة التوجيهية السياسية للهاغاناه - بتوسيع الفصيلة العربية إلى حجم سرية وإنشاء وحدات محلية صغيرة من "مستعربيم" في مختلف المناطق.
في يوليو/تموز، أمر رئيس هيئة الأركان العامة للهاجاناه - القيادة العملياتية للهاجاناه - يعقوب دوري، بتعبئة جديدة للمجندين في الشاحر.5 لكن الحملة سارت ببطء. تطلب تدريب مِسْتَعَرِيف قدرًا كبيرًا من الوقت والجهد، وكانت موارد الهاجاناه المحدودة تعاني أصلًا من ضغوط شديدة. في أغسطس/آب، أوصى إيغال ألون، الذي خلف إسحاق ساديه قائدًا للبلماح عام ١٩٤٥، بإنشاء "قواعد" دائمة لمِسْتَعَرِيف، يديرها "مواطنو تلك البلدان"، في بيروت أو دمشق أو بغداد.6
في نوفمبر/تشرين الثاني، قبيل قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة، زُرِعَ عدد من العملاء في بيروت ودمشق، لكن الصعوبات المالية أجبرتهم على الاستدعاء المبكر. أبلغ أحد رجال بيروت - عبر البريد - عن صعوبات الاستقرار التي واجهها بعد...

تمكنوا من استئجار متجر. اشتكى قائد الوحدة، يروحام كوهين، من أن رجال الشاحر اضطروا إلى العودة إلى "أسلوب عمليات خطير"، حيث كانوا يعبرون باستمرار الخطوط الفاصلة بين المناطق اليهودية والعربية في فلسطين وعلى طول حدودها للحصول على معلومات استخباراتية. 7
بُذلت محاولة ثانية لزرع عملاء "مستعربيم" في الدول العربية خلال صيف عام ١٩٤٨، عقب النزوح الفلسطيني، وعلى إثره. كانت الفكرة أن يدخل العملاء إلى دول العدو مع حشود اللاجئين العرب الهاربين.

لكن الصعوبات المالية عادت وتدخلت، فاشتكى مقر البلماح إلى جليلي قائلاً: "رغم جهودنا، لم نحصل على أي تمويل لتغطية تنفيذ خطة اختراق رجال شاحار. الفرص المتاحة تتضاءل، ونحن لا نفعل شيئًا".
ميّز الشاحر بين ثلاثة أنواع من المهمات: الهِشْبِزِّيم، والتياريم، والمِتْبَسِيم. كانت الهِشْبِزِّيم (الصقور السريعة) مهماتٍ قصيرةً لمرة واحدة، ذهابًا وإيابًا - أحيانًا لبضع ساعات فقط - عادةً لتحديد هدفٍ محدد أو الحصول على معلومةٍ محددةٍ للاستخدام العسكري الفوري. أما مهمات التياريم (السياحة)، فكانت طلعاتٍ جويةٍ تتراوح مدتها بين يومٍ وخمسة أيامٍ في المناطق الخاضعة للسيطرة العربية في فلسطين أو الدول العربية المجاورة. أما المِتْبَسِيم (المستوطنون)، فكانت مهماتٍ طويلة الأمد، تتضمن زرع عميلٍ في مدينةٍ عربية، عادةً ما تكون عاصمةً أجنبية، لسنوات.
خلال الحرب، تولى بيرتس غوردون، بمساعدة يروحام كوهين، قيادة وحدة شاهار الموسعة. وكان ضابط استخبارات آخر في الهاغاناه، عالم آثار من كيبوتس نان يُدعى شماريا غوتمان، بمثابة الأب الروحي والمدرب. تمركزت الوحدة في يافا، ثم انتقلت بعد ذلك إلى منزل معزول من طابقين في بستان برتقال خارج الرملة، كان في السابق مقرًا لحسن سلامة، أحد قادة الفصائل العربية غير النظامية.
أُعطيت عمليات شاهار أولوية قصوى. في فبراير/شباط ١٩٤٨، أرسل يادين برقية إلى جميع قادة الألوية والمدن، آمرًا بتقديم كل الدعم لـ"مِستْعَرافيم". اقترن العمل الاستخباراتي الميداني بنشر دعاية مشبوهة بين السكان العرب. بعد طلعة جوية إلى القنيطرة في

مرتفعات الجولان السورية، ورد أن: "الجندي السوري يبدو بشعًا... ينضح بالبؤس... [إنه] قذر... وكسول جدًا". كما استُغلت المهمة للمبالغة في القدرات العسكرية اليهودية.10 ومع تقدم الحرب، أمضى رجال الشاهار وقتًا أطول في المناطق العربية المتبقية من فلسطين، وغالبًا ما كانوا يرافقون اللاجئين الفارين ويحملون تقارير مفيدة عن معنويات العدو وقوته العسكرية.
في صيف عام ١٩٤٨، فقدت فرقة الشاحر رجلين في غزة المحتلة من قبل مصر. ديفيد مزراحي، من مواليد القدس، كان عضوًا في فرقة "مستعاريف" منذ عام ١٩٤٣. وانضم عزرا هورين، من كيبوتس أفيكيم، إلى الفرقة عام ١٩٤٥. وطلب مرارًا من رفاقه في الفصيلة تعذيبه ليكون مستعدًا في حال وقوعه في أيدي العدو. تسلل الاثنان إلى قطاع غزة في ٧ مايو لجمع معلومات استخباراتية عن الجيش المصري، الذي كان من المتوقع دخوله المنطقة في الأسبوع التالي. وبعد بضعة أيام من اعتقالهم عند حاجز طريق مصري، خضعوا للاستجواب والتعذيب، وبعد محاكمة ميدانية قصيرة أدانتهم بمحاولة تسميم بئر بمياه ملوثة بالتيفوس والدوسنتاريا من قواريرهم، تم إعدامهم رمياً بالرصاص.11 وكانت طلعات جوية أخرى أكثر نجاحاً، كما أنتجت عدة مهام إلى شرق الأردن وسوريا ولبنان معلومات استخباراتية دقيقة عن النوايا العسكرية العربية عشية الغزو.12 وقد أمضى اثنان من مستعربين، مزودين بكاميرا مخفية في ولاعة سجائر، أسبوعاً مثمراً في سوريا في أوائل شهر مايو/أيار.13
أحيانًا، كان جمع المعلومات الاستخبارية عملاً دمويًا. في أواخر يناير/كانون الثاني 1948، استقلّ فريق من شاحار سيارة أجرة عربية من طبريا إلى سمخ، جنوب بحيرة طبريا، واكتشفوا أثناء حديثهم أن سائقهم عضو نشط في القوات العربية غير النظامية. أفاد "شمعون"، أحد العملاء، لاحقًا أنهم حاولوا خنق العربي لكنهم فشلوا. عندما اقتربت دراجة نارية بريطانية، حُشر السائق في صندوق السيارة. لاحقًا، قتلوه وألقوا جثته في وادٍ. اختطفت سيارات عربية أخرى و"صُفّي" سائقوها.14

كان يتم استخدام "مستعربيم" في كثير من الأحيان في مهام "الخدع القذرة"، بما في ذلك التخريب واغتيال العسكريين العرب و

القادة السياسيون. في 28 فبراير 1948، فجّر رجال شاحار مرآب أبو شام في المنطقة العربية بوسط مدينة حيفا بعد ورود معلومات تفيد بأن قنبلة كانت مُعدّة في الموقع كان من المقرر زرعها في "شارع يهودي مزدحم" في سيارة إسعاف عسكرية "بريطانية". حدد فريق استطلاع شاحار موقع المرآب والسيارة، وحمّلوا سيارة صغيرة بـ 300 كيلوغرام من المتفجرات، وقادوا بحرية عبر عدة نقاط تفتيش عربية وأوقفوها بجانب المرآب. حُطمت مقدمة السيارة لتوفير ذريعة للإصلاحات. أخبر أحد أفراد مشاة العرب، يعقوب (يعقوبا) كوهين، متنكرًا في زي عربي ويتحدث بلكنة محلية مناسبة، عامل المرآب أن السيارة تعرضت لحادث وتحتاج إلى عناية. أجاب العامل: "في هذه الأوقات العصيبة لا نخدم أشخاصًا لا نعرفهم". "كيف لي أن أعرف أنه ليس لديك قنبلة بالداخل؟" احتجّ كوهين بيده على يد عامل الورشة. سيُبلّغ عن اسمه للجنة الوطنية المحلية لرفضه "مساعدة مقاتلٍ مرّ لتوه عبر الأراضي اليهودية". اقتنع عامل الورشة جزئيًا، وطلب من كوهين انتظار صاحب السيارة. فعّل العميل اليهودي سرًا صاعق القنبلة المؤجل، وانطلق مع شريكه "إسحاق" في سيارة احتياطية باتجاه "المثلث المحصّن"، وهي منطقة عسكرية بريطانية قريبة. بعد دقيقة تقريبًا، انفجرت القنبلة، مُسفرةً عن مقتل ثلاثين عربيًا وإصابة سبعين آخرين. في خضمّ الارتباك، اصطدمت سيارة شاهار الهاربة بسيارة جيب عسكرية بريطانية. أمر جنديان، مُسلّحان بمدافع ستين، العميلين بالنزول. ابتسم إسحاق، وقال بالإنجليزية: "ليس من الأدب التوقف أولًا دون إشارة، وأنتم، كما هو معروف، رجالٌ مهذبون". خففت هذه المزحة من حدة التوتر. ورغم أن البريطانيين فتشوا السيارة، إلا أنهم لم يعثروا على الأسلحة المخبأة بداخلها، فسمحوا لرجال شاهار بالخروج. وكان البريطانيون يعتقدون أنهم عرب.15

لقد أتاحت لهم حرية الحركة في المناطق العربية مزايا هائلة في مراقبة أهداف العدو. وكانت أشهر محاولة اغتيال نُفذت في الأسابيع الأولى من الحرب هي محاولة اغتيال الحاج محمد نمر الخطيب، وهو زعيم ديني بارز في حيفا وعضو في اللجنة الوطنية المحلية والمجلس العربي.

اللجنة العليا. أُحبط هجومان لشحر، ولكن في 19 فبراير/شباط، أطلق عميلان 32 رصاصة على سيارة أجرة كان الخطيب يستقلها شمال المدينة عائدًا من دمشق. كان الهدف، كما هو موضح بوضوح في تقرير العميلين اللاحق، هو قتله. لكن العملية فشلت. أصيب الخطيب بثلاث رصاصات في كتفه الأيسر وواحدة في رئته؛ وقضى بقية الحرب خارج فلسطين. توفي راكب آخر وجُرح آخر في الهجوم.16 كما وُضعت خطط لاغتيال أربعة أعضاء آخرين من اللجنة العربية العليا كانوا مسافرين في سيارتين من القدس إلى مصر، ولكن أُلغيت هذه العملية لعدم توفر المعلومات.17

في منتصف أغسطس، ومع اشتداد الحرب، دُمجت "الشاهر" في جهاز استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، وهو الجهاز الذي خلف "شاي". (في نهاية مايو 1948، أصبحت الهاغاناه، ميليشيا اليشوف السرية، رسميًا جيش الدفاع الإسرائيلي). أمرت هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي إيسر بئيري، رئيس الجهاز المُنشأ حديثًا، بدمج "مستعربيم" في منظمته.18 وفي غضون أسابيع، كانت الفصيلة العربية، التي أُعيدت تسميتها إلى "شين ميم 18" (شيروت موديعين 18)، بقيادة غوتمان وشمعون ('سمعان')

سوميخ، خبير الوحدة العراقي المولد في اللغة العربية والعادات الإسلامية، تعمل تحت قيادة بئيري. وظلت مسؤولة لمدة عقد على الأقل بعد ذلك عن تسلل عملاء إسرائيليين وزرعهم في الدول العربية. وشكّل أعضاؤها حلقة وصل مباشرة بين البدايات الصغيرة غير الاحترافية لعمل الاستخبارات الصهيونية والجهود الأكبر والأكثر احترافية التي بُذلت بعد عام 1948.
لعبت فرقة "مستعربيم" دورها الأخير في الحرب في ربيع عام ١٩٤٩، مع دخول اتفاقية الهدنة في ٣ أبريل (التي أنهت رسميًا الأعمال العدائية بين إسرائيل وشرق الأردن) حيز التنفيذ. من بين آلاف أسرى الحرب واللاجئين الذين نُقلوا إلى شرق الأردن كجزء من الاتفاقية، كان عميلان من الشين ميم ١٨ يُدعيان "إفرايم" ويعقوب بقاعي. وُلد بقاعي في دمشق عام ١٩٣٠، وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٤٥، وعمل كهربائيًا في كيبوتس أشدوت يعقوب. انضم إلى الفصيلة العربية عام ١٩٤٨، واختير، عن جدارة، ليكون عميلًا طويل الأمد في سوريا. هو

تدرب للمهمة على العادات الإسلامية، وتقنيات الراديو والاتصالات، والكتابة السرية، والقفز بالمظلات. وكان متخفيًا كلاجئ من يافا يُدعى إبراهيم نجيب حمودة.
لإثبات هويتهما الجديدة، سُجن البقاعي و"إفرايم" ثم أُرسلا إلى معسكر أسرى الصرفند، حيث خضعا للاستجواب والضرب بانتظام على يد سجانيهما الإسرائيليين، إلى جانب زملائهما السجناء العرب. في 2 مايو/أيار 1949، وبينما كانا متجهين إلى دمشق، أُرسلا عبر الحدود إلى الأردن عند معبر بوابة ماندلباوم في القدس، برفقة مئات من أسرى الحرب العرب المفرج عنهم. كانت تلك آخر مرة رآه فيها مسؤول "شين ميم 18" التابع للبقاعي، يعقوب نمرودي، وهو من قدامى المحاربين في شاحر، والذي قضى سنوات عديدة في المخابرات الإسرائيلية. وقد كشف تحقيق لاحق أن البقاعي وقع ضحية لمخبر، ربما كان زميلاً له في السجن في الصرفند، وقد لاحظ شيئًا غريبًا في سلوك العميل. اقتيد البقاعي إلى مركز شرطة القشلة في البلدة القديمة بالقدس، ثم نُقل إلى سجن في عمّان، حيث عُذّب وحوكم وشُنق في 3 أغسطس/آب 1949، بصفته جاسوسًا عربيًا يُدعى حمودة. ظنّ البقاعي نفسه أن عربيًا "اغتصبه". في رسالة أخيرة مؤثرة هُرّبت إلى إسرائيل قبل إعدامه، ووصلت إلى صحيفة "شين ميم 18" في سبتمبر/أيلول، كتب:
لستُ غاضبًا، وما زلتُ أعتقد أن النظام كان جيدًا، لكن بعض التفاصيل الصغيرة أضرّت بالعملية. أعتقد أن الرجل الذي ذكرته قبل مغادرتي هو من أبلغ عني. لو أردتُ أن أكتب كل ما في قلبي، لما كفى ورق العالم للتعبير عن شوقي إليك وإلى وطني. لقد سئمت من هذه الحياة البائسة في طابور الإعدام، وأعاني يوميًا من التعذيب والمعاملة اللاإنسانية.
ويبدو أن "إفرايم" وصل إلى سوريا.20

الشاي، 1 94 7-8
دخلت منظمة الشاي، وهي جهاز استخبارات الهاجاناه، عام ١٩٤٧ وهي غير مستعدة للحرب الوشيكة. وكانت أقسامها الثلاث، العربية،

بريطاني/سياسي ويهودي/داخلي، ظلّ جهاز المخابرات الإسرائيلي (الشاي) ذا تركيز سياسي أكثر منه عسكري. وصرح بن غوريون في أبريل/نيسان بأنه "يفتقر إلى التوجيه والتفكير المنهجي".21 ورغم التحسينات الكبيرة التي طرأت على إعادة تنظيم إسرائيل عامر عام ١٩٤٢، والاحترافية العالية التي أظهرها يعقوب شمعوني وآخرون، ظلّ جهاز المخابرات الإسرائيلي (الشاي) جهازًا استخباراتيًا يعمل بدوام جزئي ويعتمد في جوهره على الهواة.

وقد حققت انقلابًا ملحوظًا في يونيو 1946 عندما قام ضابط بريطاني
أثناء خدمته في قاعدة الجيش الكبيرة في صرفند، سلم زفي زيهافي، قائد الشاي في منطقة ريشون لتسيون، نسخة من خطط عملية برودسايد، التي كانت تهدف إلى اعتقال 5000 من الأعضاء القياديين في الهاجاناه وتقريباً جميع القيادة السياسية لليشوف. كانت الوثيقة تزيد عن 600 صفحة، ولم يكن لدى رجال الشاي، الذين أخذوها إلى كيبوتس قريب للتصوير، ما يكفي من الورق لتصوير 500 صفحة فقط. تم نسخ الصفحات المائة المتبقية بخط اليد من قبل مجموعة من المتطوعين اليهود الكنديين. رفض الضابط البريطاني، "جي جي"، أي دفع ولكنه طلب أن يُمنح غرفة في ريشون لتسيون حيث يمكنه قضاء بعض الوقت مع صديقته اليهودية. وبالتالي، كلف الشاي 8 جنيهات إسترلينية فقط شهريًا للحصول على معظم المواد التي جمعها الجيش البريطاني والشرطة والمخابرات عن الهاجاناه منذ الأيام الأولى للانتداب. كما حذر "جي جي" الشاي بالضبط من الموعد المقرر لبدء برودسايد. نجا جميع زعماء الهاجاناه تقريبًا من القبض عليهم من قبل البريطانيين في ما أصبح يُعرف باسم "الحرب السوداء".
السبت. 22
ومع ذلك، وبالنظر إلى أهمية الصراع القادم مع العرب، ظلّ جزء كبير من قوة "الشاي" البشرية وطاقتها مُكرّسًا لمراقبة "المنشقين" اليهود - الإرغون، وعصابة شتيرن، والشيوعيين. ومنذ نوفمبر 1946، أصبحت هذه المنطقة معقلًا للسيد "الصغير" هاريل، الذي عمل، بصفته رئيسًا للدائرة الداخلية أو اليهودية، بجدّ على بناء سجلّه السري والاستفادة القصوى من الإمكانات الهائلة التي رآها فيه. وكما أوضح لاحقًا:

رأيتُ أنه بإمكاني الحصول على المزيد من الأرشيف مقارنةً بتشغيل وكلاء. على سبيل المثال، فتحتُ ملفًا بعنوان "رجل ذو شعر أحمر من بريطانيا"

"مظهر"، رجل يُشتبه في كونه عميل مخابرات. بعد ذلك، رأيتُ في مكان آخر شخصًا بمظهر كذا وكذا، يتظاهر بأنه يهودي على ما يبدو. وهكذا، كان لدينا تقريران، وربما كان هو نفسه جينجر. ثم تلقينا تقريرًا آخر غير مرتبط تمامًا عن ضابط معين في المخابرات البريطانية. في مرحلة ما، طابقتُ الاسم، ثم تمكنا من كشف أحد أخطر عملائهم. بعد ذلك، حصلنا على صورته ونشرناها.23
وفي عام 1947 أصبح هاريل رئيسًا للشاي في تل أبيب، ثم تولى بعد ذلك مسؤوليات أعظم.24
جُمعت المعلومات الاستخبارية العربية في معظمها من قِبل عملاء عرب، بأجور زهيدة أو بدون أجر (وغالبًا ما يكونون غير موثوقين)، يديرهم ضباط يهود، ويُحفظون في ملفات شمعوني الفهرسية. وقد تم الحصول

على قدر كبير جدًا من المعلومات من أعضاء المعارضة العربية، وليس من القيادة الحسينية السائدة والأكثر اطلاعًا، والتي عادت إلى فلسطين من المنفى بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.
بلغت ميزانية "الشاي" لعام ١٩٤٧ ٩٤,٨٤٠ جنيهًا فلسطينيًا (ما يعادل تقريبًا الجنيه الإسترليني آنذاك). وشكلت الرواتب ونفقات المكاتب ٦٥٪، والوكلاء ١٨٪، والمخبرين العرب ١٥٪. ووظفت ثمانية وستين موظفًا بدوام كامل، وأدارت ستين عميلًا بريطانيًا ويهوديًا وثمانين عربيًا. وارتفعت ميزانية "الشاي" بنحو ٥٠٪ - لتصل إلى أكثر من ١٤٠ ألف جنيه إسترليني - في عام ١٩٤٨، ولكن كان لا بد من تقاسمها مع الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية. ٢ ٥
أُجري تحقيق داخلي في الهاغاناه حول منظمة الشاي في مايو/أيار 1947، ويُرجّح أن يكون ذلك التحقيق قد أجراه فيفيان (حاييم) هرتزوغ، المولود في بلفاست، ابن الحاخام الأكبر لإيرلندا، ثم لفلسطين لاحقًا. هرتزوغ، الذي كان يبلغ من العمر آنذاك تسعة وعشرين عامًا، وكان حاخامًا ومحاميًا مُدرّبًا، كان رائدًا في الاستخبارات العسكرية البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية، وكان على دراية بأعمال الاستخبارات الحديثة أكثر من أي شخص تقريبًا في اليشوف. وخلص التحقيق إلى أن منظمة الشاي "مغرورة"، تعاني من "التفاهة والفساد"، ومستقلّة بشكل مفرط عن كلٍّ من هيئة الأركان العامة للهاغاناه والوكالة اليهودية. وخلص التقرير إلى أن قواها البشرية كانت غير كافية ودون المستوى المطلوب. 26
فشل الشاي في إعطاء الهاجاناه إنذارًا مسبقًا

اختبار المعركة 47
دفع الانتشار العسكري السوري على طول الحدود، وتوقعه الخاطئ لأحداث شغب عربية في أوائل أكتوبر/تشرين الأول 1947، بن غوريون إلى تشكيل لجنة تحقيق في نوفمبر/تشرين الثاني. وخلصت اللجنة، المؤلفة من خليفة يسرائيل عامير في رئاسة منظمة شاي، ديفيد شالتييل، وإيلياهو ساسون ورؤوفين زسلاني من الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية، إلى أن "المخبرين" العرب المخضرمين في المنظمة "يفقدون قيمتهم"، وأن هناك حاجة ماسة إلى مخبرين جدد ذوي مواقع جيدة، لا سيما في لبنان وسوريا. واعتُبرت مصر وشرق الأردن مشمولتين بتغطية كافية.27

الاستماع في
عندما شنّ عرب فلسطين أعمالهم العدائية في أوائل ديسمبر/كانون الأول 1947، استخدم جهاز المخابرات الإسرائيلي (الشاي) جميع موارده - بل وأنفق ميزانيته، كما اشتكى بن غوريون - لمحاولة تحديد طبيعة وأهداف عمليات العدو. وتزايدت عمليات التنصت، عادةً من قِبل عملاء يهود يعملون في بدالات الهاتف. في أوائل يناير/كانون الثاني 1948، سجّل جهاز المخابرات الإسرائيلي سلسلة من المحادثات بين الدكتور حسين الخالدي، العضو البارز في اللجنة العربية العليا في القدس، والمفتي الحاج أمين الحسيني، الذي كان يعيش آنذاك في المنفى في مصر الجديدة.
خارج القاهرة.28
إفرايم كراسنر (ديكل) وزئيف جرودزينسكي من شاي
بدأت بمراقبة الاتصالات اللاسلكية والهاتفية البريطانية في أواخر ثلاثينيات القرن العشرين، مع إعطاء الأولوية لشعبة التحقيقات الجنائية. تلقّت مساعدة من بعض أعضاء الهاغاناه ذوي "الميول الرياضية"،

الذين أسسوا "مجموعة عقول" وتمكنوا أحيانًا من فك الشفرات البريطانية، التي كانت تُغيّر عادةً مرة واحدة أسبوعيًا. في عام ١٩٤٢، عيّن رئيس شاي القدس عاملًا يهوديًا في قسم التلغراف بمكتب البريد المركزي لنسخ جميع البرقيات الواردة إلى مكتب المفوض السامي.29 تحسنت الأمور في عام ١٩٤٤، عندما أُقنع العديد من الضباط البريطانيين، بدافع التعاطف مع القضية الصهيونية، بإعطاء شاي
مفتاح الرموز الاسبوعية.
كان المصدر المهم للمعلومات هو مكتب التحقيقات الجنائية نفسه

مركز تنصت على الهواتف في القدس، حيث حافظ ثمانية عشر شرطيًا بريطانيًا على مراقبة مستمرة لهواتف خمسة عشر شخصية عربية بارزة وخمسة مسؤولين رئيسيين في الوكالة اليهودية. قام واحد أو أكثر من رجال الشرطة بنسخ نصوص المحادثات وإرسالها إلى الشاي يوميًا. كما أجرى الشاي في حيفا تنصتين دائمتين على محادثات هاتفية من الخارج - معظمها من عمان ودمشق وبيروت - مع قادة عرب محليين ومسؤولين بريطانيين. كانت المتنصتات سكرتيرات كن يعملن نهارًا في مكتب الوكالة اليهودية بالمدينة وليلًا لصالح الهاغاناه. في منتصف مارس 1948، أعطت هذه العملية الهاغاناه تحذيرًا مسبقًا بوصول قافلة كبيرة من الأسلحة والذخيرة من بيروت. تعرض القافلة لكمين ودُمرت وقُتل قائد ميليشيا حيفا العربية، محمد بن حماد الحنيطي، مما كان له تأثير كبير على كل من الروح المعنوية والقدرات العسكرية لسكان المدينة العرب.
كانت عملية التنصت الأكثر شمولاً على شاي في
القدس، حيث كانت الخطوط المؤدية إلى المقر العسكري البريطاني في فندق بالاس بشارع ماميلا - حيث تنصت فنيون يهود على الجلسات السرية للجنة بيل قبل عقد من الزمان - وإلى مقار بريطانية أخرى، خاضعة للمراقبة الدائمة. يتذكر بوريس جورفيتش (جوربيل)، رئيس القسم السياسي في شاي من أواخر عام 1945: "في عام 1947 كنا نعرف عن كل حركة في المدينة القديمة [العربية]". "كان لدينا العشرات من المتسللين وفي يونيو [1947]، عندما جاءت لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين، كنا نعرف ما قاله كل عضو في اللجنة". لم يكن جوربيل المولود في روسيا يعرف الكثير عن الاستخبارات عندما تولى الوظيفة في نهاية عام 1945، لكنه كان جيدًا فيها. كان أحد أفضل مصادره هو يهودا الحاسيد، وهو يهودي من القدس عمل لدى البريطانيين منذ الأيام الأولى للانتداب. تعاون غوربيل مع يعقوب بيني، رئيس قسم العرب في منظمة شاي في المدينة، للعثور على عملاء عرب قد يخونون أصحاب عملهم البريطانيين. وكان أحدهم، وهو من بيت جالا، يزود الهاغاناه بانتظام بنسخ من وثائق حساسة كان من المفترض إتلافها.30
تزايدت محاولات الشاي لاختراق الإدارة البريطانية في القدس في صيف عام 1947.

عُيّن فراير، طالب الفيزياء في الجامعة العبرية، مسؤولاً. استخدم فراير، الملقب بـ"أوري"، أسلوباً استخباراتياً كلاسيكياً: اختار هدفاً سهلاً على هامش الحكومة البريطانية، وهو إدارة التأجير في رحافيا. كان الأمن متراخياً على الرغم من أن المكتب كان يتلقى بشكل روتيني تقارير عن تحركات القوات وغيرها من المواد السرية للغاية. تم إقناع العديد من الموظفين اليهود بالتعاون مع الشاي، الذي استخدم عملاؤه الحيلة القديمة المتمثلة في القول إن لديهم المعلومات بالفعل من مصادر أخرى وأنهم يرغبون ببساطة في تأكيدها. تم "استعارة" الوثائق خلال ساعة الغداء ونسخها أو تصويرها في مقر فراير في الطابق السفلي القريب. صنعت بعض السكرتيرات اليهوديات نسخاً كربونية إضافية من المواد التي كتبوها، أو هربوا الكربون نفسه، والذي

كان يُقرأ بعد ذلك باستخدام المرايا. تعاونت العديد من النساء مع الشاي لإثبات ولائهن لليشوف على الرغم من وجود أصدقاء بريطانيين. تم الحصول على معلومات قيمة عن نقاط القوة والخطط البريطانية بنفس الطريقة من مكاتب أخرى تبدو غير مهمة، مثل NAAFI أو مبنى هيئة رواتب الجيش الملكي في ثكنات شنيلر.31
في منطقة يافا-تل أبيب، استلمت فرقة الشاي نسخًا من كل برقية تصل إلى يافا حتى نهاية عام ١٩٤٧ من موظفين يهود في مكتب البريد المركزي بالمدينة. وعندما اندلعت الأعمال العدائية في ديسمبر، ولم يتمكن العمال اليهود من دخول يافا، قامت فرقة الشاي في تل أبيب، بقيادة إيسر هاريل آنذاك، بحفر نفق سري تحت كوخ خارج مدرسة ميكفي يسرائيل الزراعية، وتنصتت على كابل الهاتف الرئيسي تحت الأرض الذي يربط يافا بالرامي والقدس. ولأسابيع بعد ذلك، تمكنت فرقة الشاي من الاستماع إلى محادثات بين قادة وسياسيين عرب يافا وزملائهم في القدس وعمان، على الرغم من أن الأهمية الرئيسية للمصدر كانت تكتيكية أكثر منها استراتيجية.32 قال هاريل لاحقًا: "لن أنسى أبدًا وجه رجل الشاي الناطق بالعربية عندما وضع سماعات الأذن وسجل المحادثة الأولى". "لقد أظهرت الإمكانات الهائلة التي تتمتع بها محطة المراقبة السرية لدينا."33 في 14 نوفمبر/تشرين الثاني 1947، سجل مسجلو المكالمات في شاي محادثة بين آرثر جايلز، نائب مفوض الشرطة في فلسطين، وشقيقه في القاهرة، والتي أوضحت أن الأمر لم يكن سوى مسألة وقت قبل أن تنتهي الانتداب.34

خلال العد التنازلي للحرب، أنشأت منظمة الشاي أيضًا مركزًا لها في أوروبا، ترأسه حاييم بن مناحيم منذ أواخر عام ١٩٤٧. ومع تناقص مصادر منظمة الشاي داخل فلسطين باستمرار، تزايد الشعور بضرورة نقل المنظمة مقرها الرئيسي وعملياتها إلى أوروبا، وإنشاء "مكتب تجسس دولي مركزي... في روما أو باريس". واشتكى زسلاني من أن عمليات بن مناحيم كانت مخصصة "للشؤون الأوروبية". لكن ما كان مطلوبًا هو التجسس ضد الأنشطة العربية - شراء الأسلحة والمؤامرات السياسية - في أوروبا. وأيّد ساسون أيضًا إنشاء مثل هذا المكتب.35 ولكن مرت أشهر قبل أن يُرسل ساسون نفسه إلى فرنسا.
رأس المال اللازم لتنفيذ هذه المهمة (فضلاً عن المهام السياسية الأوسع).

انهيار الشبكات
في الأشهر الأولى من الحرب، انهار جهاز جمع المعلومات الاستخباراتية العربي التابع لـ"شاي"، والذي كان يديره مراقبون يهود محليون يديرون عملاء عرب، بشكل شبه كامل. ورغم استمرار الوجود البريطاني، خلقت الحرب حواجز منيعة بين المستوطنات اليهودية المجاورة والقرى العربية، وبين الأحياء اليهودية والعربية في المدن "المختلطة"، وبين الأحياء اليهودية والعربية المتجاورة. أصبحت المناطق الحدودية خطوط جبهة ومناطق إطلاق نار حر، وسرعان ما وجد المراقبون اليهود ومخبروهم العرب - الذين لم يستخدموا الاتصالات اللاسلكية - صعوبة في عبور تلك الخطوط.
للحصول على معلومات أو تسليمها. تزايدت مخاطر القبض عليهم بشكل هائل.
كان شموئيل توليدانو، الملقب بـ"عوزي"، أحد مسؤولي رقابة العملاء في قسم "شاي عرب" في منطقة يافا. كان توليدانو، الذي كان آنذاك في منتصف العشرينيات من عمره، ينحدر من مدينة طبريا، المدينة

العربية اليهودية المختلطة، حيث كان والده الحاخام الأكبر، وكان يتحدث العربية الفلسطينية بطلاقة. منذ عام ١٩٤٦، عمل هو وثلاثة من زملائه متخفين كعاملين في الطباعة في مكاتب صحيفة "دافار"، وقاموا بتجنيد المخبرين وتوزيعهم على نطاق واسع في أنحاء المدينة الساحلية. شموئيل غنيزي، ضابط سابق في جهاز الاستخبارات العسكرية الخاصة.

كان توليدانو، وهو عامل اتصالات، بمثابة حلقة وصل بين مراقبي يافا ومقر شاي في تل أبيب، حيث كانت تُرسل التقارير الميدانية وتُقيّم. تألفت أفضل شبكة لتوليدانو من خمسة من ضباط يافا المحترفين، الذين وفرت اتصالاتهم التجارية مع البريطانيين والعرب معلومات استخباراتية قيّمة. كان لديه أيضًا مصدران سياسيان رفيعا المستوى، لكن لم يُجدِ أي نفع مع اندلاع الحرب. قال توليدانو لاحقًا: "عندما أُغلقت الطرق، لم نعد قادرين على الوصول إلى يافا، وأصبح الوصول إلى القرى مستحيلًا. واجهتنا مشاكل خطيرة في التواصل، فارتجلنا، وعقدنا اجتماعات في المنطقة الحرام. عندما بدأ القتال، أصبحنا عبئًا. لم يكن أمامنا الكثير لنفعله، وتجاوزتنا الأحداث." 36
فرّ بعض المخبرين العرب من قراهم ومدنهم. وبالنسبة للبعض، أيقظ اندلاع الأعمال العدائية ولاءات وطنية كامنة، ورفض الكثيرون مواصلة العمل مع اليهود. في اللحظة التي احتاج فيها اليشوف إلى كل ما أمكنه من معلومات استخباراتية، جفت مصادر المعلومات التي رعاها الشاي بعناية.
وقد لخص يعقوب شيموني، الذي انتقل من منظمة الشاي إلى القسم العربي في الدائرة السياسية للوكالة اليهودية في عام 1945، المشكلة في أبريل/نيسان 1948. وكما ذكر:
تضررت الاتصالات مع العرب بشدة. قطع العرب هذه الاتصالات، إذ لا يجرؤون على الاستمرار فيها؛ الطرق مغلقة؛ يافا وتل أبيب شبه منفصلتين تمامًا. أُلقي القبض على عدد من العرب المرتبطين بنا [لطفي يعقوب في يافا؛ ومخبر شيعي في جنين]. لكن العائق الأكبر أمام استمرار الاتصالات هو من الجانب اليهودي. قتلت القوات اليهودية عددًا من المخبرين العرب الذين أرادوا التواصل معنا. واضطر العديد من عرب السهل الساحلي الذين عملوا كمخبرين إلى الهجرة بسبب الهجمات اليهودية على وسائل النقل العربية. وقد اختطفت منظمتا الإرغون وليحي عددًا من الأشخاص المرتبطين بنا.
منذ بداية القتال، شارك كبار ضباط شاي، إلى جانب قادة الهاغاناه ومسؤولي الفرقة العربية، في اجتماعات بن غوريون الاستشارية حول الوضع العام وحالة القيادة العربية ونواياها. وكان اجتماع 1-2 يناير/كانون الثاني 1948 الأكثر شمولاً. وانتقد دانين وساسون، وهما من أبرز المستعربين في اليشوف،

عمليات الهاغاناه والبالماح المختلفة، مثل عملية خيساس في ديسمبر/كانون الأول ١٩٤٧، التي قُتل فيها مدنيون، والتي "نشرت النيران" بلا داعٍ إلى مناطق هادئة حتى ذلك الحين في فلسطين. قبل بن غوريون طلبهم بتعيين "خبراء" عرب، معظمهم من الشاي، لتقديم المشورة إلى مقر قيادة اللواء الإقليمي. ٣٨
عُيّن مستشارون - حُدّت صلاحياتهم بأمر يسرائيل جليلي، رئيس القيادة الوطنية للهاغاناه. أُلحق إيمانويل "مانو" فريدمان، ويوسف فين، وجيورا زيد، وإليشع سولز، وجميعهم من المخضرمين والمرموقين في شؤون العرب في الشمال، بلواء غولاني في الجليل. أما أمنون يناي، فقد التحق بلواء كرملي في حيفا، وشمشون ماشبيتس، الذي عمل عن كثب مع دانين في منتصف الأربعينيات، فقد التحق بلواء ألكسندروني في السهل الساحلي. لكن نصائحهم نادرًا ما أُخذت في الاعتبار، كما اشتكى بالمون بعد شهرين فقط. وقال دانين إن

منظمة "شاي" نفسها، التي لا تزال نظريًا خادمةً لكلٍّ من الهاغاناه والوكالة اليهودية، نادرًا ما أخذت في الاعتبار المبادئ التوجيهية التي وضعها خبراء الفرقة العربية.39
منذ بداية الأعمال العدائية، كان من الواضح للهاجاناه أن المنظمة بحاجة إلى وحدة استخبارات جديدة، ملحقة بهيئة الأركان العامة، للإشراف على جمع وتحليل الاستخبارات العسكرية.40 اقترح يغئيل يادين إنشاء إدارة استخبارات داخل فرع العمليات في هيئة الأركان العامة (أجام 3) برئاسة أحد ضباط الشاي القدامى، عزرا هيلمر (عومر)، بمساعدة يهودا جينسبيرج (جدون). وعلى مدار الأشهر التالية، أنشأت هذه الإدارة شبكة من ضباط الاستخبارات الملحقين بمقرات الهاجاناه في المناطق (النفوت) والألوية والكتائب. وكان ضباط استخبارات الوحدة، الذين عملوا بشكل وثيق مع رجال الشاي في كل منطقة، مسؤولين عن جمع المعلومات الميدانية وإعداد تقارير الوضع وتوفير المعلومات للعمليات واستجواب أسرى الحرب. أمر يادين في يناير/كانون الثاني 1948 بأن "إطلاق سراح الأسرى أو تصفيتهم يتطلب إذن قائد اللواء".41 وفي ذلك الشهر، عُقدت دورة تدريبية أولى لضباط الاستخبارات تحت إشراف زروبافيل أربيل، وهو جندي مخضرم في وحدة استطلاع البلمة، وكان قد أنجز عمله الخاص في مشروع "ملفات القرى" في الشمال.
حاييم

وكان هيرتسوغ وأرييه سيمون، وهو ضابط استخبارات سابق آخر في الجيش البريطاني، وإسحاق شيفر (إيران)، وهو رجل من البالماخ، قد تم القبض عليهم في وقت لاحق.
المدربين.
الاختبار الرئيسي لكل من الشاي والمخابرات الجديدة
اهتمت إدارة المخابرات البريطانية عام ١٩٤٨ بالتنبؤ بتهديد غزو فلسطين من قبل الجيوش العربية النظامية. هل ستغزو، وفي أي تاريخ، وأي الجيوش ستشارك، وما هي الطرق التي ستستخدم، وكم عدد القوات التي ستُنشر، وما هي أهدافها؟ منذ منتصف أبريل، بدأ عملاء شاي بجمع معلومات حول الغزو المحتمل. كان معظمها يتعلق بالفيلق العربي التابع لإمارة شرق الأردن، والذي كان في فلسطين مُعارًا للجيش البريطاني حتى نهاية الانتداب.42 لم يكن هناك توقعٌ يُذكر في هذه المرحلة المبكرة لغزو مُدبر من قبل أكثر من جيش عربي واحد. "... • كانت المعلومات حول التدخل الوشيك للجيوش العربية النظامية... مُبالغًا فيها ومُشوهة إلى حد كبير"، كتب أحد مسؤولي الفرقة العربية، شموئيل يعاري، في ٢٦ أبريل.
1948.43
ومع ذلك، في النصف الثاني من الشهر، بدأ الشاي في قطف
معلومات دقيقة عن تحركات ونوايا السوريين والعراقيين. (في 30 أبريل، اجتمع رؤساء الأركان العرب في الزرقاء بشرق الأردن لمناقشة حجم وتكوين القوات الغازية). في أوائل مايو، بدأت المعلومات حول حشد الجيوش العربية قرب الحدود تظهر بانتظام في تقارير شاي، ولكنها كانت تُدفن عمومًا وسط سيل من المواد الأخرى حول جيش الإنقاذ العربي - القوة التطوعية العاملة جنبًا إلى جنب مع الميليشيات الفلسطينية داخل البلاد - وانهيار الفلسطينيين وفرارهم. لم يُلخص فرع العمليات/دائرة المخابرات في الهاغاناه كل ما كان معروفًا إلا في 9 مايو، أي قبل ستة أيام من الغزو الفعلي. حددت الوثيقة مسارات الغزو المقترحة للجيوش السورية واللبنانية والأردنية وأهدافها الأولية والمتوسطة والنهائية. وتوقع التقرير أن "الجيوش

العربية ستخصص 15000 جندي لهذه العملية". "الهدف من الهجوم هو هزيمة اليهود وإجبارهم على قبول وضع الأقلية في دولة عربية". وكان تقرير إدارة الاستخبارات غير دقيق إلى حد كبير.44

كانت تقييمات الشاي أكثر دقة، حيث قام مخبروها بتقدير أعداد القوات الغازية والطرق وأهداف الفيلق العربي والعراقيين بشكل صحيح إلى حد ما.45 وقد أنتج التوأم السياسي للشاي، القسم العربي في الدائرة السياسية، معلومات دقيقة إلى حد ما عن
القوة والتدريب والمعدات والبنية التحتية للجيوش العربية.46
بشكل عام، وعلى حد تعبير أحد المؤرخين الإسرائيليين الرسميين، كانت المعلومات المتاحة للاستخبارات الصهيونية حول الغزو "عامة وغامضة وغير دقيقة". تحدث يغئيل يادين، الذي تحمل العبء الأكبر في التحضير للهجوم الوشيك في فرع عمليات الهاغاناه، عن شعور "بضيق شديد" نابع من "عمى" استخباراتي أساسي. وبصورة عامة، فشلت أجهزة استخبارات اليشوف - الشاهار، والشاي، والفرقة العربية، وهيئة الأركان العامة/دائرة استخبارات العمليات في الهاغاناه - في مواجهة أهم تحدياتها.47

الإصلاح وإعادة التنظيم
هذا الفشل، الذي انعكس في دفاعات الهاجاناه الأولية ضد الغزو العربي، كما في المعارك الفاشلة في نتوء اللطرون وفي سوء استخدام بعض التشكيلات، كان السبب وراء التغيير الجذري في جميع أجهزة الاستخبارات في يونيو ويوليو 1948. أجمع القادة الميدانيون تقريبًا على أوجه القصور. قال الجنرال شلومو شامير، قائد اللواء السابع: "لا توجد استخبارات عسكرية، وبدونها يصعب القتال". واشتكى العقيد ناحوم ساريج، قائد لواء النقب، قائلاً: "لا توجد معلومات استخباراتية عن المنطقة أو العدو". وقال الجنرال إسحاق ساديه، قائد اللواء الثامن المشكل حديثًا: "إن نقص المعلومات الاستخبارية عن العدو يُخرب المجهود الحربي".
كان واضحًا لبن غوريون ضرورة إصلاح جهاز استخبارات الدولة الجديدة، وضرورة الفصل الواضح بين الشؤون العسكرية والسياسية. في السابع من يونيو/حزيران، عندما كانت إسرائيل المستقلة قد مضت ثلاثة أسابيع فقط على تأسيسها، وكانت تخوض معارك ضارية.

على مدى حياته، التقى رؤوفين زسلاني وإسر بئيري، اللذين تسلّما قيادة جيش الشاي خلفًا لشالتيل في فبراير. وتم الاتفاق على ما يلي:
ينبغي أن تُنشئ هيئة الأركان العامة جهازًا للاستخبارات العسكرية برئاسة إيسر [بئيري] وفيفيان هرتسوغ. وكان من المقرر إنشاء جهاز داخلي للاستخبارات برئاسة إيسر [هالبرين-هريل ويوسف ييزرائيلي]. وسيكون الجهاز العسكري في هيئة الأركان العامة مسؤولاً عن الأمن... والرقابة والاستخبارات المضادة. وسيرأسه جهاز الاستخبارات الخارجية، رؤوفين، وسيبقى تابعًا لوزارة الدفاع حتى نهاية الحرب، وربما يتبع وزارة الخارجية بعد ذلك.

بعد أسبوعين اقترح بئيري على بن غوريون فصل الاستخبارات العسكرية والأمن الداخلي أو مكافحة التجسس، بحيث يتولى بئيري نفسه مسؤولية الاستخبارات العسكرية ويدير السير هاريل الأمن أو مكافحة التجسس. لذا اتخذ بن غوريون قراره في نهاية الشهر. تم تفكيك جهاز المخابرات، وانتقلت وظائفه إلى عدة هيئات جديدة. تم تكليف جهاز المخابرات الجديد (شيروت هامودیعین)، الذي يعمل داخل هيئة الأركان العامة ويرأسه بئيري مع هرتسوغ نائبًا له، بمسؤولية "استخبارات المعركة والاستخبارات الميدانية ومكافحة التجسس؛ والرقابة والمراقبة الإلكترونية". وفي وقت لاحق، أضيفت "مهام خاصة" إلى هذه الوظائف. ظلت العلاقة بين الجهاز الجديد وقسم الاستخبارات الحالي (في هيئة الأركان العامة/العمليات)، برئاسة عزرا عومر، غير واضحة لأسابيع. تم دمج وحدة عومر في النهاية في جهاز المخابرات.
انقسم أعضاء الفرع العربي في منظمة شاي، وانتقل بعضهم إلى وحدة الأبحاث وقسم شؤون الشرق الأوسط بوزارة الخارجية، بينما نُقل آخرون، مثل ديفيد كارون، رجل شاي من كفار مناحيم، وبنيامين جيبلي، وشموئيل تول دانو، إلى جهاز المخابرات. أصبح جيبلي، الشاب الوسيم البالغ من العمر تسعة وعشرين عامًا، والذي عمل عن كثب مع عزرا دانين، والذي كان رئيسًا لمنظمة شاي القدس منذ أبريل، قائدًا لوحدة الاستخبارات القتالية شين ميم 1 التابعة للجهاز. على سبيل المثال، واصل كارون العمل في المناطق التي كان يعمل فيها.

كان خبيرًا. في نوفمبر من ذلك العام، حاول إقناع شيوخ البدو وقبائلهم في منطقة النقب إما بالانتقال إلى عمق الصحراء بعيدًا عن المناطق اليهودية أو مغادرة إسرائيل والاستقرار في شرق الأردن. 52 عُزز جهاز المخابرات بقدامى المحاربين في الجيشين البريطاني والأمريكي، وبمجموعة من الخبراء الفنيين، بمن فيهم رجال الراديو، ومحللو الشفرات، والجغرافيون، والعلماء. وبحلول أوائل عام 1949، ضم الجهاز أحد عشر قسمًا، وهو هيكل استمر لأكثر من عقد، مع بعض التغييرات الطفيفة.
شين ميم 1 - استخبارات قتالية، ملحقة بوحدات الخطوط الأمامية لجمع وتفسير المعلومات الاستخباراتية عن الجيوش العربية، وتوفير البيانات الطبوغرافية وتحليل الصور الجوية.
شين ميم 2 - الاستخبارات اللاسلكية، ومراقبة حركة إشارات العدو.
شين ميم 3 - أمن الميدان.
شين ميم 4 - الرقابة العسكرية.
شين ميم 5 - مركز أبحاث يخدم الاستخبارات العسكرية وأجهزة جمع المعلومات الاستخباراتية الأخرى.
شين ميم 6 - رسم الخرائط وتضاريس البلدان المعادية.
شين ميم 7 - مكتبة الاستخبارات المركزية وفرع الأبحاث الذي يتعامل مع الجيوش الأجنبية غير العربية.
شين ميم 8 - الفرع الفني الذي يوفر المعدات والمختبر المركزي لجميع أجهزة الاستخبارات.
شين ميم 9 - فرع الارتباط العسكري للملحقين العسكريين، للملحقين العسكريين الأجانب في إسرائيل والملحقين العسكريين الإسرائيليين في الخارج.
شين ميم 10 - مجموعة من المعلومات الاستخبارية من مصادر مفتوحة وملفات فهرسة حول المواضيع العربية.
شين ميم 18 - فرع العمليات الخاصة، المعروف سابقًا باسم وحدة شاحار التابعة لبالما (مستعربيم).

في صيف عام ١٩٤٨، ورثت مخابرات يسرى بئيري عملاء "الشاي" العرب القلائل المتبقين، وواصلت إرسالهم إلى المناطق العربية في فلسطين أو في غارات قصيرة داخل الدول العربية. في يوليو، قام عميل يُدعى أبو زكي بجولة في عمان وإربد في شرق الأردن ونابلس في شرق فلسطين الخاضعة للحكم العراقي. أفاد أبو زكي بـ"مظاهرات حاشدة" في عمان، مدفوعة بهزيمة الجيش العربي على يد...

جيش الدفاع الإسرائيلي في اللد والرملة. كانت هناك حالات فرار من الفيلق وموجة شعبية عارمة ضد استمرار توظيف الضباط البريطانيين في جيش شرق الأردن. (كان جيش شرق الأردن، الفيلق العربي، بقيادة ضباط بريطانيين إلى حد كبير في عام 1948. وكان قائده اللواء السير جون غلوب - "غلوب باشا"). كان هناك خوف أيضًا من المزيد من الهجمات الجوية الإسرائيلية، في أعقاب الغارات على عمان والقاهرة. كان الفيلق يدرب اللاجئين الفلسطينيين الأصحاء في الزرقاء على تكتيكات المشاة واستخدام معدات الاتصالات. في نابلس، تم اعتقال عربي للاشتباه في تجسسه لصالح إسرائيل؛ وُجد بحوزته شيك من بنك يهودي. وأشار تقرير إسرائيلي إلى أنه "اعترف لاحقًا بأنه كان يتجسس لصالح اليهود وأبلغ عن العديد من العرب الآخرين في جنين الذين كانوا يعملون لدينا". "من بين المعتقلين عربي يُدعى رجا ... ويبدو أن طوباسي [عربي من مدينة طوباس] قد تم القبض عليه.53
مصير راجا غير واضح، لكن جاسوسًا عربيًا آخر يعمل لصالح
أُلقي القبض على الإسرائيلي محمد أبو فلفل، من عجور، في نهاية العام في رام الله وحُكم عليه بالإعدام شنقًا. وورد أنه كان يعمل لدى IL7 شهريًا، وأُلقي القبض عليه وهو يتجسس بشكل مثير للريبة حول المدرسة الأمريكية، حيث كان يُؤوي مراقبو الهدنة التابعون للأمم المتحدة.54 أُرسل أبو زكي في مهمة ثانية في أغسطس، حيث زار الضفة الغربية وعمان مرة أخرى، وقدم معلومات مفيدة حول انتشار القوات العراقية والأردنية.55
خلال النصف الثاني من عام 1948، قامت أجهزة الاستخبارات
وسّعت المخابرات الإسرائيلية قدراتها على التنصت الإلكتروني بشكل كبير. وُجّه تركيز "شاي" القديم على سلطات الانتداب البريطاني إلى الجيوش العربية، التي أصبحت الآن الهدف الرئيسي. في يوليو/تموز، التقطت المخابرات سلسلة من الرسائل التي أعطت إسرائيل صورة دقيقة عن الروح المعنوية الأردنية بعد هزيمة الجيش العربي في اللد والرملة. اشتكى رئيس بلدية رام الله، حنا خلف، إلى الملك عبد الله من تدفق 70 ألف لاجئ من المدينتين العربيتين الواقعتين في السهل. قال خلف إن الوضع "مستحيل"، وطلب من الملك أن يأمر بإجلائهم. رفض عبد الله، وحثّ خلف على "التحلي بالصبر".56

وأظهرت رسائل أردنية أخرى تم رصدها في هذه الفترة الحالة الحرجة التي وصل إليها الفيلق، الذي قدم طلبات عاجلة للحصول على المزيد من الأسلحة والذخيرة والبنزين والغذاء والتعزيزات.5 7
كان استجواب أسرى الحرب مصدرًا مهمًا آخر للمعلومات الاستخباراتية خلال عام ١٩٤٨. قدّم أحد جنود الفيلق الأسير معلومات عن نتائج قصف عمّان في منتصف يوليو/تموز وعن وضع اللاجئين الفلسطينيين المُخيّمين في منطقة إربد. كما بذلت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية جهودًا لتحويل أسرى الحرب إلى جواسيس أو دعاة للقضية الصهيونية. حصل شيموني على موافقة من
الجيش، عن طريق رؤوفين زسلاني، لتحرير عدد من السجناء لهذه الأغراض.58

عار بئيري
في الأشهر الأخيرة من عام ١٩٤٨ ومطلع عام ١٩٤٩، اتضح أنه على الرغم من الأداء الجيد لجهاز المخابرات في قدراته العسكرية، إلا أنه لا يزال هناك غموض بشأن الفصل بين السلطات والوظائف بين جهازي المخابرات العسكرية والسياسية، وبين متطلبات الاستخبارات الداخلية والخارجية. أدى انهيار إيسر بئيري
- المعروف للجميع باسم "الكبير" - إلى
- إيسر بسبب طوله - أكد على الحاجة الملحة لمزيد من إعادة التنظيم.
بئيري، الرجل الشكاك بطبيعته، ذو الولع بالأمن الذي اكتسبه من عمله في قسم الشؤون الداخلية في جهاز الأمن، ترك جوهر مهامه العسكرية لنائبيه الكفؤين، هرتسوغ وجيبلي. أما إيسر الآخر - "الصغير" إيسر هاريل من تل أبيب - فقد أبدى استياءه من استبدال بئيري لشالتييل، في فبراير/شباط الماضي، كرئيس لجهاز الأمن. واشتكى هاريل قائلاً: "كنا في خضم حرب، ووجد وقتًا للتعامل مع الخونة والجواسيس وتجار السوق السوداء". وأضاف: "كان في معظم الأحيان يتعامل مع شؤون الشرطة بدلاً من واجبات الحرب. كان يُقرر أولاً أن فلانًا خائن وجاسوس. ولم يكن الإجراء اللاحق ذا أهمية بالنسبة له".
لم يكن "بيج" إيسر رجلاً محبوبًا. كان يرتدي دائمًا سروالًا قصيرًا وقميصًا كاكيًا عاديًا، دون أي شارات رتبته، وكان يبدو...

sant hunt one contemporary 'like a Jesuit ascetic during the Inquisition'. His inces for the 'enemy within' proved his downfall. On 14 May 1948 his officers arrested a prosperous Haifa Jew named Yehuda (Jules) Amster. Be'eri suspected that the city's powerful Mapai party boss, Abba Hushi, a close friend of Amster's, was two hours -ting with the British. Be'eri's men tortured Amster for seventycollabora in an attempt to extract evidence that could be used to incriminate Hushi. Blindfolded, Amster was subjected to Chinese water torture, beaten, drugged and he didn't crack and was finally freed. Be'eri later burned with cigarettes, but ordered Haim Waldner (Ya'ari) of the Shai laboratory to manufacture an exchange of three British CID cables implicating Hushi as an informer. Hushi complained to .Gurion and the matter was dropped-Ben
riddled body of a wealthy Arab, Ali Qassem, of Sidna -en, in June or July, the bulletTh Ali, a village on the coast north of Tel Aviv, was found in a wadi near Mount Carmel. known land dealer, had been an informer for the IDF. The -Qassem, a well ckadaisical IDF investigation led to Be'eri, who admitted ordering the subsequent la execution on the grounds that Qassem had been 'turned' and was spying for the other side. The Israeli justice minister, Pinhas Rosen, demanded that Be'eri be tried n agreed to Be'eri's dismissal as head of the Intelligence Gurio-for murder. Ben

Service, but decided that the charge should be manslaughter with 'extenuating .'circumstances

At his closed court martial, at the end of December 1948, Be'eri, facing three udges, declined the services of a defence counsel and colonels as j-lieutenant argued simply that 'the moment an intelligence service begins to act according to the law, it will cease to be an intelligence service'. The court rejected his argument m of manslaughter and dismissed him from his and in February 1949 convicted hi post.59

general -There was more trouble to come. Shortly after the trial the IDF adjutant Gurion that the Hushi cables 'found' by Be'eri were forgeries. The -informed Ben thrown out of the army with the rank former Intelligence Service commander was of private. Doubly disgraced, Be'eri was arrested again in July

عام 1949 واتهم بقتل مائير توبيانسكي، وهو مسؤول تنفيذي يهودي في شركة فلسطين للكهرباء وعضو مخضرم في الهاجاناه اتهمه بئيري بالتجسس لصالح البريطانيين وأعدمه فرقة إعدام رمياً بالرصاص تابعة لبالما بعد محاكمة عسكرية ميدانية موجزة في بيت جيز، غرب القدس، في 29 يونيو 1948، أي قبل يوم من حل منظمة الشاي. تألفت المحكمة العسكرية من بئيري وديفيد كارون ورجل آخر من منظمة الشاي يُدعى أبراهام كريمر (كيدرون) - وهو يهودي من جنوب إفريقيا أصبح فيما بعد سفير إسرائيل في بريطانيا - وجيبلي. كان بئيري يؤكد دائمًا أن قادة جيش الدفاع الإسرائيلي وبن غوريون قد وافقوا على المحاكمة العسكرية والإعدام. علمت أرملة توبيانسكي باعتقال زوجها ومحاكمته وإعدامه من تقرير صحفي بعد ثلاثة أسابيع. في عام 1949، وبعد التمثيلات المستمرة من قبل الأرملة، حقق جيش الدفاع الإسرائيلي في القضية وبرأ توبيانسكي من تهم التجسس. ومنحه بن جوريون رتبة نقيب بعد وفاته، وأمر بمنح معاش حكومي لأرملته وابنه.

بدأت محاكمة بئيري في أكتوبر/تشرين الأول 1949. وفي سره، واصل الإصرار على أن توبيانسكي كان جاسوسًا بريطانيًا، وأن لديه أدلة كافية لإثبات ذلك. ورفض الإفصاح عن ذلك علنًا أو تقديم الأدلة، بحجة أن ذلك سيُلحق ضررًا بالغًا بأسرة القتيل. كما رفض توريط بن غوريون، الذي كان يكنّ له إعجابًا كبيرًا، في قضيتي أمستر أو توبيانسكي، قائلًا إن ذلك سيضر بالدولة. أُدين بئيري وحُكم عليه رمزيًا بالسجن ليوم واحد من شروق الشمس إلى غروبها. توفي عام 1958، وحصل على عفو بعد وفاته - كما فعل توبيانسكي - بعد سنوات.60

في 8 فبراير/شباط 1949، أي قبل يوم من النطق بالحكم في قضية علي قاسم، التقى بن غوريون رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي، يعقوب دوري، وبئيري، وهرتسوغ، وقرر أن يكون لإسرائيل من الآن فصاعدًا أربعة أجهزة استخبارات محددة بوضوح. أحدها تابع للشرطة ويتعامل مع المجرمين. والثاني جهاز استخبارات عسكرية موجه ضد "الأعداء الأجانب". وسيكون هناك جهاز أمن داخلي "مؤقتًا ضمن الجيش" وجهاز استخبارات أجنبية تابع لوزارة الخارجية "للتنسيق مع الجهاز العسكري".61

أدت إعادة التنظيم الثانية لمجتمع الاستخبارات الإسرائيلي إلى إنشاء إدارة استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي في مارس 1949. ترأس الإدارة، التابعة لهيئة الأركان العامة/العمليات في جيش الدفاع الإسرائيلي، حاييم هرتسوغ، ونائبه بنيامين جيبلي. وعلى عكس بئيري، جادل هرتسوغ منذ البداية بأن إدارة الاستخبارات العسكرية المُصلحة لا ينبغي أن تتعامل مع الأمن الداخلي أو مكافحة التجسس - باستثناء الأمن الميداني داخل القوات المسلحة. وجادل هرتسوغ بأنه ينبغي أن تُدار هذه الأمور بشكل صحيح "من قِبل مؤسسة خاصة للأمن، تابعة لوزير الدفاع أو وزير الدفاع".
الداخلية'.62

التجسس في القاهرة

ربما كانت يولاند هارمر أفضل جاسوسة إسرائيلية عام ١٩٤٨، ولم تعمل لا مع جهاز المخابرات الإسرائيلي (شاي) ولا خليفته، جهاز استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، ولا مع القسم السياسي السري بوزارة الخارجية، وهو الجهاز الذي أصبح فيما بعد الموساد. كانت أبرز وأكثر العملاء فعاليةً الذين أدارهم القسم العربي التابع للدائرة السياسية للوكالة اليهودية في الدول العربية منذ منتصف الأربعينيات. وبعد استقلال إسرائيل في مايو ١٩٤٨، استمرت في العمل تحت إشراف مكتب الشرق الأوسط التابع لوزارة الخارجية.
قسم.
يولاند، وهي امرأة شقراء صغيرة وهشة وجذابة، أصبحت فيما بعد،
على طريقة العصر، ولتحويل اسمها إلى هار-مور، كانت ماتا هاري لليشوف في القاهرة. تزوجت ثلاثة أزواج في سنواتٍ مماثلة تقريبًا قبل أن تتزوج من عشيقاتٍ متوالية، بعضهم في آنٍ واحد، معظمهم من أثرياء مصر وذوي النفوذ ومن السلك الدبلوماسي الأجنبي في القاهرة. تحت غطاء عملها الصحفي - حيث كانت تنشر أحيانًا مقالاتٍ عن الشؤون المصرية في صحف باريس - استطاعت أن تتنقل بسلاسةٍ ونجاحٍ في أوساط المجتمع القاهري الراقي. قال تيدي كوليك لاحقًا: "كانت كتاباتها محدودة النطاق للغاية". "هي كانت سيدة مجتمع.'63
يولاند جاباي - اسمها قبل الزواج - ولدت في مصر لأب

أم تركية يهودية. تزوجت أول مرة في سن السابعة عشرة، وترملت عندما قُتل زوجها الثالث، رجل أعمال ثري من جنوب أفريقيا ووالد طفلها الوحيد، في حادث تحطم طائرة. جندها موشيه شيرتوك، مدير الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية، كعميلة سرية للقضية الصهيونية في حفل كوكتيل عام ١٩٤٥ أو ١٩٤٦. لخّص إيلي بيليغ، المبعوث السري لليشوف إلى حركة الشباب الصهيونية السرية في مصر، أنشطتها حتى مايو ١٩٤٨ في ذلك الشهر. أبلغ بيليغ شيرتوك، الذي كان آنذاك وزير خارجية إسرائيل، أن اتصالات يولاند شملت تاك الدين الصلح، كبير مساعدي عزام باشا، الأمين العام لجامعة الدول العربية، ومحمود محلوف، نجل مفتي القاهرة. تطوع محلوف بحرية بالمعلومات ووعد "بخدمة مصالحنا" ولكنه احتاج إلى 1000 جنيه مصري لتمويل حملته الانتخابية للبرلمان. كانت ليولاند أيضًا علاقات جيدة في صحيفة الأهرام الرائدة في القاهرة. كان الصلح، الذي أصبح فيما بعد رئيس وزراء لبنان، مفتونًا بها. كما وقع السفير السويدي في مصر، ويدار باجي، فريسة لسحرها. أفاد بيليج: "قبل عدة أشهر كان غير مبالٍ تمامًا بقضيتنا، لكنه اليوم

صهيوني متحمس. جاءت بعض المعلومات عن الجيش المصري منه". يمكن ليولاند بسهولة تطوير اتصالات مماثلة مع دبلوماسيين آخرين، وخاصة الأمريكيين والفرنسيين، إذا تلقت تعليمات بذلك. في السفارة البولندية في القاهرة، قال بيليج لشرتوك: "لدينا دبلوماسي، يهودي، عضو سابق في الحركة الصهيونية، وهو مخلص لنا دون تحفظ. "وكنت أتواصل معه عدة مرات في الأسبوع، وتلقيت منه معلومات حول المشاكل الداخلية المصرية، والشؤون العسكرية، وطريقة عمل وزارة الخارجية".
لكن باستثناء هذه الاتصالات المفيدة، كان جمع المعلومات الاستخباراتية الصهيونية في مصر في حالة يرثى لها. كان الجهاز يُدار منذ ديسمبر/كانون الأول 1947 من قِبل محامٍ يهودي مصري، صهيوني مخضرم يُدعى فلفل، خدم المخابرات البريطانية والفرنسية خلال الحرب العالمية. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك مُخبران مُأجوران في جامعة الدول العربية. وأفاد بيليغ بأنه كان من الممكن الاستعانة بخدمات "مُخبرين محترفين".

مقابل "مبالغ زهيدة"، وكان هناك يهود مصريون آخرون "يمكن الاستفادة منهم". إلا أن كل هذا أعاقه "نقص الميزانية وغياب التعليمات الواضحة". كان لدى يولاند جهاز إرسال لاسلكي، ولكن لم يكن هناك من يشغله، لذا كانت ترسل جميع تقاريرها بالبريد عبر الولايات المتحدة، مما يعني أنها لم تكن قادرة على "مواكبة وتيرة التطورات".64 ومع ذلك، فقد حققت نجاحًا ملحوظًا في هذه الفترة، حيث اخترقت السفارة الأمريكية وحصلت على نسخ من برقيات سرية أرسلها جيفرسون باترسون، القائم بالأعمال، إلى وزارة الخارجية في واشنطن. تضمنت إحداها، التي وصلت إلى وزارة الخارجية الإسرائيلية في أغسطس/آب، معلومات مفيدة عسكريًا حول أعداد القوات التونسية والجزائرية المقاتلة مع القوات العربية في فلسطين.65
في النهاية اشتبه عزام باشا في أنها كانت تعمل لصالح
الإسرائيليون، وعندما اعتُقلت يولاند بعد ذلك بوقت قصير، في يوليو/تموز 1948، لم تُجدِ قائمة معارفها وعشاقها الذين سُمّوا رموزًا نفعًا يُذكر. فقد اشتكى مسؤول إسرائيلي من أن "النبي" كان "يتصرف بشكل سيء للغاية"، وأن "المساعد" كان "قلقًا على نفسه"، ورغم عاطفته، كان تاك الدين الصلح "يتصرف وكأنه لا يعرف يوسف".66 مرضت يولاند في السجن، لكن شخصًا ما تمكن من مساعدتها، إذ أُطلق سراحها وطُردت من البلاد بعد شهر، في أغسطس/آب. لم يكن إلياهو ساسون متأكدًا مما إذا كان إطلاق سراحها نتيجة وساطته الشخصية لدى كبار المسؤولين المصريين أم لأنها "وافقت على اقتراح أمانة جامعة الدول العربية بأن "تنطلق حرة وتعمل لصالح العرب".67 أمر ساسون يولاند بالذهاب إلى باريس، حيث واصلت، منذ أوائل أكتوبر/تشرين الأول، لقاء ومراسلة معارفها المصريين، وزودت تل أبيب بسيل من المعلومات الاستخباراتية السياسية. كانت لدى يولاند عادةٌ لطيفةٌ في إدراج أفكارٍ ووجهات نظرٍ اقترحتها وزارة الخارجية من تل أبيب في رسائلها إلى القاهرة، وقد أعرب شيموني عن "سروره البالغ" بإحدى هذه الرسائل، لكنه أضاف بتأمل: "أحيانًا أشك في أن عمر بك وأصدقاءه ساذجون لدرجة تصديق ولاء يولاند لقضيتهم". واقترح عزرا دانين أن تشرح يولاند في إحدى رسائلها المستقبلية "ضرورة إعادة توطين اللاجئين في مكانٍ ما خارج إسرائيل".69

بحلول أوائل عام ١٩٤٩، أصبحت يولاند إحدى أهمّ عملاء "فرع باريس" التابع لدائرة الشرق الأوسط، والذي ضمّ أيضًا ساسون، وتوفيا أرازي، ضابط شاي سابق ومُورّد أسلحة للهاغاناه في أوروبا، وسليم بيخور، المسؤول عن الشؤون العراقية، وزياما زيليغسون (الذي غيّر اسمه لاحقًا إلى شموئيل ديفون)، ممثلًا للقسم السياسي. حدّد فرع باريس مهامه بأنها "إقامة اتصالات مع الدول العربية من أجل ... متابعة التطورات ... اقتراح مفاوضات سلام ... الاتصال بجماعات المعارضة بهدف عرقلة المجهود الحربي العربي". كان منصب يولاند غير مؤكد، وجادل بعض زملائها بأنها غير فعّالة. لكن ساسون اعتقد أنها قد تكون مفيدة بعد توقيع اتفاقية الهدنة بين مصر وإسرائيل في فبراير، فحال دون إرسالها إلى الولايات المتحدة، حيث كان من المقرر أن تتولى منصبًا دبلوماسيًا إسرائيليًا، "حفاظًا عليها للعمل مستقبلًا في مصر، ولإبقائها فوق الشبهات في عيون المصريين".70 وفي وقت لاحق، خلال خمسينيات القرن العشرين، عملت يولاند لدى إسرائيل في مدريد. توفيت عام 1959.

وكلاء النفوذ

طوال أربعينيات القرن العشرين، حافظ القسم العربي في الدائرة السياسية للوكالة اليهودية، ومنذ عام 1948، دائرة شؤون الشرق الأوسط بوزارة الخارجية، على اتصال مستمر، سواء كان علنيًا أو سريًا، مع مجموعة متنوعة من كبار المسؤولين من شرق الأردن وسوريا ولبنان ومصر، بمن فيهم كبير أطباء الملك عبد الله ورئيس أساقفة بيروت الماروني. وقد اعتُبرت هذه الاتصالات، التي بدأت بجدية في منتصف الثلاثينيات، قنوات يمكن من خلالها نقل آراء اليشوف إلى الحكام العرب - عملاء النفوذ، في المصطلحات الاستخباراتية. كانت العلاقة طويلة الأمد بين الوكالة وعبد الله هي الأهم من بين هذه العلاقات، لكن الروابط مع المسيحيين اللبنانيين - التي استُغلت بكثافة منذ عام 1937 لمحاولة كسب دعمهم لخطة بيل للتقسيم - كانت ذات قيمة كبيرة أيضًا. كما خدمت جميعها كقنوات وصلت من خلالها الاستخبارات السياسية العربية إلى القيادة الصهيونية.

بالإضافة إلى يولاند، أدار قسم شؤون الشرق الأوسط عددًا من العملاء المتسللين في النصف الثاني من عام 1948 وأوائل عام 1949. كان أحدهم، يوسف صباغ، "عميلًا" للقنصلية الفرنسية في مدينة صفد بالجليل، وكان يعمل لصالح المخابرات الفرنسية والإسرائيلية. قدم صباغ تقارير إلى الإسرائيليين في نهاية يونيو 1948، خلال الهدنة الأولى، عن حالة الطرق وتمركز القوات اللبنانية والفصائل الفلسطينية المسلحة في الشمال. حدد صفد على أنها الهدف الرئيسي للجيش السوري وجيش التحرير العربي غير النظامي بقيادة فوزي القاوقجي عند انتهاء الهدنة. كانت لديه معلومات سياسية وعسكرية مثيرة للاهتمام. كان اللاجئون الفلسطينيون في لبنان وسوريا حريصين على "إنهاء الحرب بأي ثمن"، على الرغم من أن المسلمين اللبنانيين والسوريين كانوا أكثر عدوانية. أرادت القيادة في دمشق "مواصلة الحرب وإبادة اليهود"، مع أن المسيحيين اللبنانيين كانوا مسرورين بتأسيس الدولة اليهودية ورأوا فيها حليفًا مستقبليًا. أوصى صباغ بتجديد الاتصالات مع المطران مبارك في بيروت.71

كان الدكتور قمران علي بدير خان، الممثل الأوروبي للحركة القومية الكردية والمؤرخ المعروف لماضي شعبه المهمل، أحد أهم الوكلاء الذين عملوا في إدارة شؤون الشرق الأوسط في تلك الفترة. في أواخر يوليو/تموز 1948، أوفدته الإدارة إلى شرق الأردن وسوريا ولبنان، وإلى مصر للقاء بعض معارف يولاند في القاهرة،

ولدراسة الوضع عن كثب. عاد حاملاً "شروط الملك عبد الله للتوصل إلى اتفاق" مع إسرائيل، وتقريرًا عن محاولات سوريا الحصول على دعم عسكري وسياسي من فرنسا. كان من أهم مقترحات بدير خان أن تساعد إسرائيل في تنظيم ثورات الأقليات الساخطة في سوريا ولبنان، مع التركيز على الدروز والموارنة. وجادل هو وأنصاره الإسرائيليون بأن الثورات الناجحة ستُخرج هذه الدول من الحرب، وربما، على سبيل المثال، تُساعد بشكل غير مباشر القضية القومية الكردية.72

في نهاية عام 1948، قامت إدارة شؤون الشرق الأوسط بتنشيط أحد مخبريها المخضرمين، وهو عربي من الطبقة المتوسطة من القدس، وأرسلته في رحلة بحرية لمدة ثلاثة أسابيع، عبر قبرص،

إلى مصر. طُلب منه تقديم تقرير عن مجموعة غريبة من الأمور: "المسافة التقريبية التي استقبلها مرشد هيئة قناة السويس في بورسعيد لدى وصولها"؛ وجنسية السفن الحربية الراسية في بورسعيد وأعمالها؛ والإجراءات الجمركية؛ وما إذا كان مفتي القدس السابق، الحاج أمين، قيد الإقامة الجبرية؛ والحياة الخاصة لأعضاء ما يسمى بحكومة فلسطين في المنفى في مصر. والأخطر من ذلك، طُلب منه أيضًا "السعي للحصول على عمل لدى تلك الحكومة".

بعد أن عرّف العميل مُخبِره الرئيسي في مصر بأنه عزمي بك نجيب، نائب القنصل المصري السابق في القدس، والذي كان يعمل آنذاك في وزارة الخارجية بالقاهرة، أفاد بوجود مُدمرة (بريطانية) واحدة في بورسعيد؛ وأن الفساد مُتفشي بين مُفتشي الجمارك؛ وأن المُفتي لم يكن قيد الإقامة الجبرية؛ وأنه هو نفسه لم يُعرض عليه وظيفة لدى حكومة فلسطين في المنفى. قال الجاسوس العربي بعد عودته خالي الوفاض إلى قبرص: "يجب أن أعتذر بتواضع عن عدم إعطائي، ربما، الرضا التام عن هذه المهمة. بدا لي المسؤولون الذين كنت على اتصال بهم (حتى عزمي) مُريبين للغاية في النهاية". 73

ركّز ساسون، أثناء وجوده في باريس، بشكل رئيسي على لقاء القادة والدبلوماسيين العرب واستكشاف آفاق التعايش العربي الإسرائيلي أو السلام. لكنه أدار أيضًا عملية عسكرية استخباراتية نشطة إلى حد ما لجمع المعلومات. في سبتمبر/أيلول 1948، على سبيل المثال، أرسل إلى شيموني (لينقلها لاحقًا إلى "السلطات العسكرية") قوائم بالأسلحة والذخائر (بما في ذلك 10,000 بندقية) التي كانت سوريا تحاول شرائها من أوروبا الغربية.

لم يكن ساسون خبيرًا في التجسس، وكان مُهملاً بما يكفي للكشف عن مصدر معلوماته. كان المقدم فوزي سيلالو من الجيش السوري في باريس على رأس مهمة شراء. وكان قد أمضى عدة أشهر في تشيكوسلوفاكيا، حيث اشترى مليون طلقة من ذخيرة البنادق، لكنه لم يُرسلها إلى سوريا حتى الآن. ضمت المهمة ضابطين آخرين، هما العقيد فؤاد مردم والنقيب فيصل، وكانا يقيمان في فندق البحر المتوسط بروما. من بين المطلوبين السوريين...

وفقًا لقائمة ساسون المفصلة للغاية، كانت المعدات ٢٥ ألف زيّ قتالي، و١٠٠٠ منظار ميداني، ومعدات رسم خرائط، ومناظير ٥٠ مم. وصف ساسون مصدره بأنه "موثوق". ٧٤

على ما يبدو، عن غير قصد، استحوذ ساسون على زمام الأمور فيما كان بلا شك أحد أعظم نجاحات شاي في أوروبا خلال حرب عام ١٩٤٨. بدأت العملية في ديسمبر ١٩٤٧، عندما حصلت شاي القدس على

نسخة من عقد بيع أسلحة بين الحكومة السورية ومصنع سكودا للأسلحة التشيكوسلوفاكي. تعاقدت سكودا على توريد ٨٠٠٠ بندقية و٢٠٠ رشاش و٦ ملايين رصاصة إلى دمشق.
كان هناك وفرة في الأسلحة آنذاك. حصل ضابط شرطة يهودي يُدعى لوستيغ على نسخة العقد من ملفات إدارة التحقيقات الجنائية البريطانية في القدس. باءت جهود غولدا مايرسون (مائير) وموشيه شيرتوك، رئيسَي القسم السياسي في الوكالة اليهودية، وحاييم وايزمان نفسه، لإقناع الحكومة التشيكية، التي كانت تُولي اهتمامًا خاصًا لليشوف، بإلغاء العقد بالفشل. إلا أن التشيك وافقوا، من جهة، على تأجيل تنفيذ العقد، ومن جهة أخرى، على توريد الأسلحة إلى الدولة اليهودية الناشئة.
في أواخر مارس 1948، أُرسلت شحنة الأسلحة السورية أخيرًا بالسكك الحديدية إلى يوغوسلافيا، حيث حُمِّلت على متن الباخرة لينو، التي أبحرت بعد ذلك إلى بيروت. لكن السفينة عانت من مشكلة في المحرك ورست في ميناء باري جنوب إيطاليا. بدأ شاي الأوروبيون وعملاء الموساد ليعاليا بيت (معهد الهجرة غير الشرعية) التابع لليشوف العمل. تم اقتراح الخطة الفعلية من قبل عميل الهاغاناه في إيطاليا، آدا سيريني، الأرملة الجميلة لإنزو سيريني، أحد رجال الهاغاناه الذي تم إنزاله بالمظلات من قبل جهاز العمليات الخاصة البريطاني في إيطاليا المحتلة من قبل النازيين، وتم القبض عليه ومات في داخاو عام 1945. تم حشد فريق هدم تحت الماء من البالماح وإرساله إلى باري، حيث قام رجال الضفادع البشرية بربط لغم لاصق بهيكل لينو وأغرقوه في الميناء في الساعات الأولى من صباح يوم 10 أبريل. ولم يشتبه الإيطاليون ولا السوريون في وجود عمل تخريبي صهيوني.
لكن السوريين لم ييأسوا. نظّم العقيد مردام، الذي أشرف على الصفقة مع التشيك، عمليةً مكلفةً

عملية الإنقاذ، وتم رفع معظم الأسلحة والذخيرة من قاع الميناء وتنظيفها وتخزينها في مستودع باري. استأجر مردام في النهاية سفينة حربية إيطالية قديمة، وهي أرجيرو؛ حيث تم توجيهه نحو التوظيف من قبل عملاء إسرائيليين. في أوائل أغسطس أبحرت أرجيرو إلى باري، حيث تم تحميل الأسلحة والذخيرة، وغادرت السفينة إلى بيروت في 19 أغسطس. كان على متنها إيطاليان يعملان لدى الموساد ليااليا بيت. في البحر، استقبلت أرجيرو سفينة صيد على متنها عميلان إسرائيليان، ديفيد بن حورين وأوفيد ساديه. تظاهروا بأنهم ضباط مصريون مع تعليمات بمرافقة أرجيرو إلى الإسكندرية. بعد أن صعدوا على متن أرجيرو، استولوا على السفينة مع الإيطاليين الاثنين في 21 أغسطس. في غضون ساعات، وصلت السفن الإسرائيلية إلى جانبها. تم نقل الأسلحة (وأفراد الطاقم) إلى السفن الإسرائيلية وأغرقت أرجيرو. بعد بضعة أسابيع، وُزِّعت البنادق على جنود لواء إتزيوني على جبهة القدس. أُعيد أفراد الطاقم الإيطاليون إلى وطنهم في مارس/آذار ١٩٤٩، باستثناء واحد توفي بمرض السل في الأسر الإسرائيلي.
في الشهر نفسه، وفي تكملة غريبة للقضية، أحالت السلطات العسكرية السورية العقيد مردم إلى المحاكمة بتهمة الخيانة بعد عودته إلى دمشق. وجاء في التهم أنه أُغوي في روما من قِبل يهودية تشيكية (أو، في رواية أخرى، يوغوسلافية) جميلة تعمل لصالح المخابرات الإسرائيلية، وأُقنع بتحويل الأسلحة إلى "الصهاينة". كما اتُهم مردم بالتربح الشخصي من شراء الأسلحة واستئجار السفينة. وحُكم عليه بالإعدام. ولإنقاذ حياة مردم، أصدر وزير الخارجية الإسرائيلي، موشيه شيرتوك، نفيًا علنيًا لأي صلة بين إسرائيل والعقيد السوري المسكين. 75

اختبار المعركة

وُلدت إسرائيل ونجت من محنتها القتالية عام ١٩٤٨ رغم قصور أجهزتها الاستخباراتية. وقد رافق الانسحاب البريطاني من فلسطين والغزو العربي الذي تلاه إخفاقات في الاستخبارات السياسية والعسكرية.

حتى اللحظة الأخيرة، في منتصف مايو/أيار، ظلّ القادة السياسيون لليشوف غير مقتنعين برحيل البريطانيين، وخشوا أن يكون هذا الرحيل جزءًا من مؤامرة أنجلو عربية تهدف إلى تمهيد الطريق لعودة بريطانية. فشلت أجهزة الاستخبارات في إبلاغ بن غوريون ورفاقه أو إقناعهم بالواقع الجديد (ما بعد عام ١٩٤٧) - وهو أن البريطانيين أرادوا ببساطة الخروج وقرروا التملص من فلسطين.
في الوقت نفسه، فشل كلٌّ من "شاي" والقسم العربي في الدائرة السياسية للوكالة اليهودية والفصيل العربي في البلماح في الحصول على معلومات استخباراتية قاطعة عن نوايا العدو وخططه حتى أسبوع تقريبًا قبل غزو 15 مايو. ويعود ذلك جزئيًا إلى طبيعة الوحش - التردد العربي. ففي منتصف أبريل أو حتى أواخره، كان معظم القادة العرب، إن لم يكن جميعهم، لا يزالون مترددين بشأن الغزو من عدمه. وكان الطابع غير الاحترافي وسوء التخطيط والتنسيق للغزو هو العامل الأساسي وراء هزيمته.
ومع ذلك، كان هناك صنع قرار وتخطيط عربيان، وكادت أجهزة الاستخبارات الصهيونية أن تفشل في الحصول على التفاصيل. وقد أبرزت حرب عام ١٩٤٨ أن جهاز المخابرات الإسرائيلي، وهو جهاز سري يُدار بميزانية ضئيلة داخل ميليشيا سرية، لم يكن كافيًا ليكون الجهاز الاستخباراتي الرئيسي للدولة - ودولة في حالة حرب أيضًا.
منذ أواخر ثلاثينيات القرن العشرين، طوّرت منظمة "شاي" شبكة من العملاء والمصادر بين العرب الفلسطينيين، ونجحت في اختراق حكومة الانتداب البريطاني. وقد خدمت هذه الشبكة اليشوف جيدًا في بداية الأعمال العدائية أواخر عام ١٩٤٧. ولكن بمجرد أن تجمّدت خطوط المواجهة وانفصل العرب واليهود فعليًا، انهارت شبكات العملاء. وإذا كانت المعلومات الاستخبارية عن الفلسطينيين غير كافية، فكم بالأحرى كانت معلومات اليشوف الاستخبارية موجهة ضد الدول العربية.
بشكل عام، كان أداء جهاز "شاي" سيئًا فيما يتعلق بجمع أو تقييم الاستخبارات العسكرية؛ وكذلك كان أداء المنظمة التي خلفته، جهاز استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي. كان إدراك بن غوريون أن الحرب تُخاض "على نحو أعمى" هو أساس إعادة هيكلة أجهزة الاستخبارات على مرحلتين في صيف عام ١٩٤٨ وأوائل عام ١٩٤٩. كما أن المرحلة الثانية تدين بالكثير لـ

ولكن في الواقع، كانت قضية إيسر بئيري هي القضية الأكثر إثارة للجدل، حيث سلطت الضوء . للمرة الأولى، ولكن ليس الأخيرة، في تاريخ إسرائيل . على غياب الرقابة الوزارية أو البرلمانية أو غيرها على الأجهزة السرية.
على المستوى التكتيكي، حققت أجهزة استخبارات اليشوف نجاحاتٍ مهمة. فقد جلبت الفصيلة العربية التابعة للبلماح معلوماتٍ مفيدة عن الروح المعنوية العربية والاستعداد العسكري. وتمكنت، بالتعاون مع الشاي - وإن كان في اللحظة الأخيرة - من استشراف المسارات المحتملة للجيوش العربية الغازية. واستطاعت وزارة الخارجية، من خلال عملاء مثل يولاند هارمر وبدير خان، الحصول على معلوماتٍ

استخباراتية سياسية دقيقة من بلاط الملك فاروق في القاهرة وعبد الله في عمان. كما تمكن الفرع الأوروبي للشاي من مراقبة مشاريع تسليح العدو، وفي حالةٍ واحدة على الأقل، إحباطها. كانت البداية، في المجمل، متفاوتة، ولكن سرعان ما أتيحت فرصٌ كافية للتحسين.

3
آلام المخاض:
51-1948

من القسم السياسي إلى الموساد
في مايو/أيار 1948، ورغم التحديات الأخرى العديدة، بما في ذلك غزو خمسة جيوش عربية، شرع بن غوريون وشرتوك، وزير الخارجية، ورؤساء أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية الناشئة، في تنظيم جهاز تجسس أجنبي. وكان نموذجهم منذ البداية، الذي روج له حاييم هرتزوغ من استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، هو جهاز المخابرات السرية البريطاني الأسطوري، والذي كان لا يزال قيد الدراسة - قبل الكشف لاحقًا عن العديد من "الجواسيس" السوفييت.
- كأفضل جهاز خدمة سرية في العالم.
في شهري مايو ويونيو، أنشأت وزارة الخارجية في تل أبيب "القسم السياسي" المسمى بشكل مضلل (HaMahlaka HaMedinit، والاسم الرمزي "Da'at" أو "Bina") تحت قيادة بوريس غوربيل، الذي صنع قبل الحرب سمعته الاستخباراتية كرئيس للقسم البريطاني أو السياسي في منظمة الشاي. جاء معظم موظفي القسم من منظمة الشاي ومن القسم السياسي المنحل في الوكالة اليهودية. كان الرجل المعين لرئاسة فرع العمليات الرئيسي في القسم السياسي هو آرثر (آشر) بن ناتان، وهو عميل هاجاناه ألماني المولد يتمتع بخبرة سنوات في تنظيم شبكات الهجرة غير الشرعية في جميع أنحاء أوروبا. في سبتمبر، نقل بن ناتان مقره إلى باريس، التي كانت قبل الحرب بمثابة المركز الأوروبي لمنظمة الشاي. احتفظ بن ناتان بالاسم الرمزي لمحطة باريس، "ياناي"، وأطلق عليها اسم "مركز ياناي".
في وطنه، أشرف غوربيل على عمليات الاستخبارات الداخلية ومكافحة التجسس التي تقوم بها الفرقة ضد السفارات الأجنبية

وقنصليات ومكاتب وموظفي الأمم المتحدة. رأى غوربيل في ذلك استمرارًا طبيعيًا لعمله في جمع المعلومات الاستخبارية ضد البريطانيين قبل قيام الدولة. شملت العمليات التنصت على المكالمات، ومراقبة الاتصالات اللاسلكية، وفتح الحقائب الدبلوماسية، بالإضافة إلى مراقبة وتجنيد الدبلوماسيين والموظفين المحليين. كان للفرقة فروع في القدس وحيفا، بالإضافة إلى مقرها الرئيسي في تل أبيب.
ادعى إيزر هاريل، الذي كان حينها رئيسًا لجهاز الأمن العام (الشاباك)، بغضب أن غوربيل لا يملك صلاحية القيام بمثل هذا العمل. ولم يلفت هذا الأمر انتباه إيزر "الصغير" إلا بعد أن اشتكت عدة بعثات من أوروبا

الشرقية من عمليات اقتحام لمقارها. كان الافتراض الأول لهاريل، بطبيعة الحال، أن هذه العمليات من تدبير أجهزة استخبارات غربية. لكن فرق مراقبة الشاباك سرعان ما ألقت القبض على عدد من عملاء القسم السياسي متلبسين.1 بعد ذلك، في 19 يوليو/تموز 1991، نُقلت جميع مهام الاستخبارات المحلية ومكافحة التجسس إلى جهاز الأمن العام.2

كان غورييل وبن ناتان، اللذان كانا على خلاف دائم، يعملان تحت إشراف رؤوفين شيلواه، الذي كان يحمل حينها لقبًا غامضًا، وهو مستشار وزير الخارجية للمهام الخاصة. كانت وظيفة شيلواه، إلى جانب الإشراف على عمل القسم السياسي، هي التنسيق بين الإدارات الرئيسية في وزارة الخارجية - القسم السياسي، ووحدة الأبحاث، ودائرة شؤون الشرق الأوسط - من جهة، وبين الوزارة ووزارة الدفاع، وجيش الدفاع الإسرائيلي، وجهاز المخابرات من جهة أخرى.

منذ عام ١٩٤٩، ترأس شيلوح أيضًا لجنة التنسيق لأجهزة المخابرات، وهي هيئة شُكِّلت بناءً على اقتراح حاييم هرتسوغ في محاولة للإشراف على عمل الأجهزة وتنسيقه والحد من الاحتكاك شبه الدائم بينها. اجتمعت اللجنة لأول مرة في أبريل من ذلك العام، وترأسها شيلوح حتى ١٩ مارس. تألفت اللجنة من رؤساء ونواب رؤساء إدارة الاستخبارات في جيش الدفاع الإسرائيلي، والشعبة السياسية، وجهاز الأمن العام. وكان المفتش العام للشرطة ونائبه عضوين فيها أيضًا.

أقامت الفرقة السياسية شبكاتها ومحطاتها الأولى في الخارج خلال النصف الثاني من عام 1948 وسرعان ما أصبحت كل محطة

ضمّ المكتب ممثلين عن كلٍّ من استخبارات الجيش وجهاز الأمن العام (الشاباك). خلال عام ١٩٤٩، عندما خلص جيش الدفاع الإسرائيلي إلى أن مركز الفرقة في باريس غير قادر على جمع المعلومات العسكرية اللازمة، افتتحت إدارة استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي مكتبًا خاصًا بها في العاصمة الفرنسية. وأمر المقدم بنيامين جيبلي، نائب مدير الاستخبارات العسكرية، رئيسها، الرائد حاييم غاؤون، بإنشاء جهاز متكامل لجمع المعلومات، مع عملائه الخاصين وخطوط اتصالات مستقلة مع تل أبيب. وافتتح ضباط إدارة استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي مكاتب في عواصم أوروبية أخرى.

أُنشئت في روما محطة كبيرة تابعة للقسم السياسي، استنادًا إلى شبكة الموساد الإيطالية الفعّالة "ليليا بيت". وفي أواخر عام ١٩٤٨، كان للقسم أيضًا محطات أو عملاء متفرغون في هولندا وشمال إفريقيا وبلجيكا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا. وقيل لبن غوريون إن هؤلاء جمعوا معلومات عن "مشتريات الأسلحة العربية، والنشاط العربي [في الخارج] بشكل عام، والعلاقات الاقتصادية بين الدول العربية وأوروبا، وسياسات فرنسا وإيطاليا [والفاتيكان] وبلجيكا وبريطانيا تجاه الشرق الأوسط...". وكان للعملاء الإسرائيليين صلات رسمية بأجهزة المخابرات الإيطالية والفرنسية "وكانوا يتلقون معلومات" منها. في المجمل، كان هناك خمسة عشر عميلًا إسرائيليًا متفرغًا يعملون في الخارج، وكان هناك عدد غير محدد من "المتطوعين" يساعدونهم. بلغت تكلفة العملية بأكملها حوالي ٣٠٠٠ ليرة لبنانية شهريًا.

كان إيسر هاريل ينتقد بشدة أسلوب عمل القسم السياسي.

كما كتب لاحقًا بسخرية:

اعتبر غورييل وبن ناتان أجهزة المخابرات أداةً لتنفيذ أي عمل غير قانوني وغير أخلاقي. ونظروا إلى العمل الاستخباراتي في أوروبا بنظرة رومانسية ومغامرة. تظاهرا بالخبرة في شؤون العالم الواسع... وسعيا إلى التصرف كجواسيس دوليين في وطنهما، في ظلام الليل والنهار، على الخط الفاصل بين القانون والفجور. وكان التهريب والسوق السوداء ضروريين لتمويل أسلوب حياتهم في غياب ميزانية رسمية كبيرة بما يكفي.5 وقال هاريل لبن جوريون في يونيو/حزيران 1950: "إن الإسرائيليين يشوهون سمعة الشعب الفلسطيني".

اسم البلد، والتجارة في السوق السوداء، والتعامل في العملة، وأكثر من ذلك.

جواسيس ودودون
سهّلت الروابط غير الرسمية التي أُقيمت مع الأفراد المؤثرين أو الصاعدين أثناء الحرب العالمية وبعدها، التواصل المبكر مع أجهزة الاستخبارات والأمن الأجنبية الصديقة. وبحلول عام 1945، كان شيلواه ونائبه، تيدي كوليك، قد عملا مع مكتب الخدمات الاستراتيجية الأمريكي (OSS) في واشنطن والقاهرة وإسطنبول. حتى أن كوليك، وهو من سكان الكيبوتسات في فيينا، والذي حظي بمواهب اجتماعية أكبر من رئيسه الصامت، أقنع الملحق العسكري الأمريكي في تركيا بإرسال برقيات بشفرته الخاصة إلى القنصلية الأمريكية في القدس، التي نقلتها بدورها إلى الوكالة اليهودية. 7 كما تعرف شيلواه على رئيس قسم مكافحة التجسس X-2 في مكتب الخدمات الاستراتيجية الأمريكي في إيطاليا، وهو ضابط شاب يُدعى جيمس جيسوس أنجلتون. وقد أثبتت علاقتهما أنها حاسمة في ترسيخ العلاقات مع وكالة المخابرات المركزية في السنوات اللاحقة.
قبل الصراع النهائي المرير ضد البريطانيين، كان من المفيد
أُجريت اتصالات مع أتباعهم أيضًا. كان كوليك على اتصال وثيق بموريس أولدفيلد من وكالة الاستخبارات الأمنية في الشرق الأوسط (SIME - الاسم المستعار لجهاز المخابرات البريطاني MI5) في القاهرة8، وعملا معًا ضد عصابة الإرغون وشتيرن في السنوات الأخيرة من الانتداب. وكتب كوليك لاحقًا: "بعد اغتيال اللورد موين على يد إرهابيين يهود عام ١٩٤٤، تعاونت الوكالة اليهودية بشكل وثيق مع البريطانيين لإثبات نبذنا للإرهاب ومنع وقوع المزيد من الحوادث المماثلة".9
كان وزير الخارجية العمالي، إرنست بيفين، معاديًا لفكرة الاستقلال اليهودي، لكن جهاز المخابرات السرية البريطاني أدرك بسرعة وبشكل عملي فوائد العمل مع الإسرائيليين. ووفقًا لمصدر بريطاني موثوق، "منذ عام ١٩٤٨ فصاعدًا، ضمن مركز المخابرات السرية البريطاني في تل أبيب، الذي كانت تشغله عادةً إحدى الضابطات القلائل، تدفقًا متبادلًا للمعلومات الاستخباراتية خلال السنوات التي شهدت علاقات علنية".

تراوحت العلاقات بين الحكومتين بين البرودة والبرودة.10 في فرنسا عامي 1946 و1947، تلقى عملاء منظمة البريخا (الهروب) التابعة للهاجاناه المساعدة من المسؤولين اليساريين في وزارة الداخلية القوية. كان أندريه بليميل، رئيس الاتحاد الصهيوني الفرنسي، محاميًا وصديقًا مقربًا لروجر ويبوت، وهو مقاتل مقاومة ديجولي ورئيس جهاز الأمن الداخلي آنذاك "إدارة مراقبة الأراضي". وعندما حدد جهاز الأمن الداخلي موقع جهاز إرسال سري للهاجاناه في منطقة باريس، تدخل ويبوت وتم إطلاق سراح الشخص - وهو يهود فرنسيون ومبعوثون فلسطينيون.11 كان من المقرر أن يرث الموساد العلاقات المفيدة بين القسم السياسي

و"إدارة مراقبة الأراضي"، ولكن من المفارقات أن استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي هي التي أقامت بالفعل صلة قوية بفرنسا بعد بضع سنوات.

آلام المخاض

لم تنتهِ مخاضات البيروقراطية الإسرائيلية في صيف عام ١٩٤٨. ففي الأشهر الأولى من الاستقلال، سادت فوضى عارمة في كثير من الأحيان، حيث تنافس المسؤولون المعينون حديثًا والوكالات والأجهزة والدوائر والوزارات المنشأة حديثًا على السلطة والنفوذ والمكانة المرموقة في آنٍ واحد. كان الاحتكاك والتوتر والازدواجية هو القاعدة. ولم تكن الاستخبارات استثناءً. وكثيرًا ما كانت إدارات وزارة الخارجية المختلفة في خلافات؛ فقد اصطدمت مرارًا وتكرارًا، منفردةً أو مجتمعةً، مع وزارة الدفاع وفروع جيش الدفاع الإسرائيلي المختلفة، وخاصةً جهاز المخابرات. من المسؤول عن جمع المعلومات الاستخباراتية العسكرية التي تحتاجها إسرائيل؟ من كان مسؤولًا عن تجنيد الجواسيس في الخارج وتشغيلهم؟ من كان بحاجة إلى تلقي بيانات الاستخبارات؟ من كان مسؤولًا عن تحليل البيانات الخام وتقييمها وتقديم المنتج المُهضوم إلى القادة السياسيين؟ ظلت العديد من هذه الأسئلة الحاسمة دون إجابة لشهور. وحقيقة أن كل هذه الولادات المؤسسية حدثت في ظروف فوضى عارمة - حرب، ونزوح جماعي للفلسطينيين، وهجرة جماعية لليهود - زادت من الارتباك.
وقد لخص يعقوب شيموني من إدارة شؤون الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الوضع بدقة:

... إن مجالات [المصلحة، السلطة] بيننا وبين رؤوبين [شيلواه والفرقة السياسية] مشكلة ثانوية وبسيطة مقارنة بـ [مشكلة] المجالات بيننا وبين رؤوبين معًا، وفي المقام الأول، جهاز المخابرات العسكرية... والحقيقة هي أن صديقنا إيسر [بئيري، رئيس الجهاز] لا يزال ينتهج سياسة جمع أقصى قدر من النشاط والصلاحيات تحت جناحه، وتحت جناحه وحده. وبقدر ما يتعلق هذا بالعمل الاستخباراتي بين العرب، فهذه مشكلة رؤوبين؛ وبقدر ما يتعلق هذا، على سبيل المثال، بالأنشطة بين الأقليات [في إسرائيل]، وتعبئة السرايا الدرزية [لجيش الدفاع الإسرائيلي] وما إلى ذلك، فهذه مشكلتنا. "لقد تولى رؤوبين مهمة ترتيب الأمور بشكل نهائي مع هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي... وفي الوقت نفسه، ناقش عزرا [دانين] الأمر مع رئيس هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي يعقوب دوري، وهناك أمل في أن يتم حل الأمور.12

عدو عدوي هو صديقي

في صيف عام ١٩٤٨، كان شيموني وزملاؤه قلقين للغاية بشأن الدروز، تلك الطائفة الصغيرة والسرية التي عاشت في جبال الجليل ولبنان وسوريا. أمل المسؤولون الإسرائيليون في حشدهم ضد العرب، سياسيًا وعسكريًا. كان الدروز يندرجون ضمن فئة الشعوب غير العربية أو غير المسلمة والأقليات الدينية التي نظر إليها بن غوريون ومستشاروه، سواء في فترة ما قبل الدولة أو بعد الاستقلال عام ١٩٤٨، كحلفاء طبيعيين للدولة اليهودية "الأقلية" في مواجهتها مع الأغلبية العربية المسلمة المحيطة بها. ١٣ وقد استُخدم مفهوم

"عدو عدوي صديقي" لسنوات كدليل للعلاقات الإسرائيلية مع المسيحيين الموارنة في لبنان، ومع أكراد العراق، ومع الروحانيين السود والمسيحيين في جنوب السودان، ومع إيران غير العربية، ومع الدروز داخل إسرائيل وخارجها. وأصبحت الروابط مع هذه الشعوب والأحزاب والدول "عدو العدو" في وقت لاحق من مسئوليات الموساد بالدرجة الأولى.
في يوليو/تموز 1948، لاحظت فرقة درزية تضم نحو ستين جنديًا تحولًا في مجرى الحرب في فلسطين، فحولت ولاءها من القضية العربية إلى اليهود، وانضمت إلى قوات المقاومة الفلسطينية.

جيش الدفاع الإسرائيلي في الجليل. عُيّن غيورا زيد، وهو من قدامى رجال شاي، قائدًا لهم. وسرعان ما نشأ خلاف بين جهاز استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي ودائرة شؤون الشرق الأوسط بوزارة الخارجية حول من سيحدد كيفية توظيف السرية. كما انشغلت الدائرة خلال أشهر الصيف تلك بمحاولة تجنيد سرية أخرى من المقاتلين الدروز من قرى يركا وجولس وأبو سنين في الجليل الغربي، والتي كانت تقع آنذاك في منطقة محايدة بين خطوط جبهة جيش الدفاع الإسرائيلي وجيش التحرير العربي. شارك جوش بالمون ومردخاي شاشيفيتس وزيد في المفاوضات السرية، وفي أغسطس/آب، زار شمعوني وعزرا دانين سرًا أبو سنين لإتمام التحالف الدرزي الإسرائيلي.14
لكن طموحات إدارة شؤون الشرق الأوسط كانت أبعد مدى. فقد أمل مسؤولوها في تحالف بين إسرائيل والدروز السوريين يُشعل ثورة ضد حكومة دمشق في جبل الدروز، ويُخرج سوريا من الحرب. في صيف عام ١٩٤٨، أجرى شمعوني ودانين اتصالاتٍ متواصلة مع قادة الدروز اللبنانيين والسوريين لمحاولة تشكيل مثل هذا التحالف ووضع خطة عمل. أُرسل عميل إسرائيلي يُدعى "لبيب" لمقابلة كبار قادة الدروز السوريين. في إحدى المرات، وهو عالق في حاصبيا جنوب لبنان، أفاد لبيب بأنه "مشتبه به ومُلاحق".١٥ وحاول ترتيب اجتماع لمناقشة، كما قال شمعوني، "التواصل مع القوى المتمردة المحتملة في سوريا، وعلى رأسها الدروز، بهدف إحداث تحول خطير وطعن الوحدة العربية بسكين مسموم...".
لكن موشيه شيرتوك حذّر شمعوني من أن إسرائيل تفتقر ببساطة إلى الموارد المالية والعسكرية اللازمة لدعم مثل هذه الثورة. وزير الخارجية، الذي لطالما شكّك في مثل هذه المخططات الضخمة، لم يكن مستعدًا إلا للموافقة على المزيد من "المجسات". وقد استمد شمعوني الشجاعة من احتمال انشقاق المزيد من الدروز السوريين وانضمامهم إلى جيش الدفاع الإسرائيلي، ومن تحول ولاء الشركس السوريين إلى إسرائيل.16
ومع ذلك، لم يُسدل الستار على المسألة تمامًا. خلال جهود الضغط التي بذلها ببدير خان في الخريف، سعى الممثل الأوروبي

أثارت الحركة القومية الكردية نقاشًا مطولًا في أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية حول احتمال اندلاع ثورة درزية-كردية-شركسية في سوريا. لكن الشكوك حول إمكانية اندلاعها قوضت مجددًا فكرة المساعدة الإسرائيلية. ولم تكن هذه هي المرة الأخيرة التي تُطرح فيها مثل هذه الأفكار.1 7
شغلت مسألة دعم الأقليات أو جماعات المعارضة في العالم العربي أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية لسنوات طويلة. في يناير/كانون الثاني 1949، اتفق كبار المسؤولين المعنيين - شيلواه، وشيموني، ودانين، وساسون، والمدير العام لوزارة الخارجية، والتر إيتان - على أن تُجرى هذه الاتصالات "بطريقة لا تُمس دولة

إسرائيل أو المسؤولين الإسرائيليين". في ذلك الوقت، كان من المتوقع أن يتعاون القسم العربي في القسم السياسي وقسم شؤون الشرق الأوسط في هذا المجال الحساس.18

الحجج السرية والمشاكل السرية

مع مرور الوقت، استمر ازدواجية المهام بين مراكز الشعبة السياسية ومكاتب إدارة استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي في أوروبا في التسبب بمشاكل خطيرة. إحدى العمليات الواعدة التي بدأها آشر بن ناتان من مقره في باريس - لزرع عميل تحت غطاء دبلوماسي أجنبي في مصر - انتهت بكارثة عندما أصر بنيامين جيبلي على أن يتولى الجيش مهمة المرشح للمهمة. تم القبض على الجاسوس الهاوي بسرعة.19

في فبراير/شباط ١٩٥٠، دبّر رؤوفين شيلوح تسويةً تُصبح بموجبها مراكز الشعبة السياسية مسؤولةً عن جمع المعلومات العسكرية في الخارج، بينما يُنتدب ضباط دائرة استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي إلى الشعبة طوال مدة خدمتهم الخارجية. إلا أن دائرة الاستخبارات استمرت في تشغيل عملاء مستقلين. وقد أثارت جهود شيلوح لتسوية الخلافات بين الوكالات في سبتمبر/أيلول ١٩٥٠ غضب كلٍّ من جيبلي وإيسر هاريل.

إن التنظيم والأهداف وطريقة عمل القسم السياسي، والتي ورثها الموساد قبل أقل من عقد من الزمان،

بعد عام، تم تحديدها بوضوح ملحوظ من قبل شيلواه في يوليو 1950 في اجتماع في القدس مع رؤساء البعثات الدبلوماسية الإسرائيلية في الخارج. تم تخصيص يوم في الندوة التي استمرت أسبوعًا للاستخبارات. حدد العرض التفصيلي لشيلواه بعض المشكلات الإسرائيلية على وجه التحديد بالإضافة إلى تسليط الضوء على العلاقة المتناقضة إلى الأبد بين الدبلوماسيين والجواسيس في كل مكان. وبصرف النظر عن السفراء والوزراء، حضر المؤتمر رئيس الأركان، يغئال يادين، ونائبه، مردخاي ماكليف، ورئيس ونائب رئيس إدارة الاستخبارات في جيش الدفاع الإسرائيلي، جيبلي ويهوشافات هاركابي، وكبار المسؤولين المدنيين، بمن فيهم جوش بالمون، الذي ترك وزارة الخارجية للعمل كمستشار للشؤون العربية لرئيس الوزراء.

بدأ شيلواه بالقول إنه بدلاً من تقديم مساهمة

وفي استعراض شامل لجهود الاستخبارات الخارجية الإسرائيلية بعد عامين من عمليات الفرقة السياسية، تحدث عن مشاكل محددة تتعلق بالتنسيق والتعاون بين البعثات الدبلوماسية الإسرائيلية في الخارج والفرقة.

وقد حدد أولاً الأهداف الأساسية للاستخبارات الإسرائيلية:

علينا اختراق هذه الدول [العربية]... علينا جمع المعلومات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وأن نكون على أهبة الاستعداد لتحذير حكوماتها في الوقت المناسب من أي عمل عدائي. علينا متابعة أنشطة هذه الدول حول العالم، وخاصة في أوروبا وأمريكا الجنوبية... حيث تتواجد جالية عربية كبيرة. علينا أن ندعم أعمال التخريب لإحباط مخططاتهم العدائية.

وانتقل شيلوا إلى أوروبا الشرقية، فقال:

لم نبدأ حتى الآن عملاً جدياً في دول أوروبا الشرقية. ونأمل أن ننجز ذلك قريباً. هناك حاجة إلى تقديم المساعدة للبعثات [الإسرائيلية] التي تُعنى بمشاكل الجاليات اليهودية [في تلك الدول] ومشاكل الهجرة إلى إسرائيل من تلك الدول.
كانت القوى العاملة مصدر قلق خطير:
نعاني بشكل متزايد من نقص الكفاءات المناسبة للعمل الاستخباراتي في الخارج. قبل تأسيس الدولة، كان بإمكاننا

نعتمد على مساعدة الموالين اليهود وغير اليهود، بالإضافة إلى وحدات خاصة من عناصر الهاجاناه من فلسطين. لقد تغير الموقف الداعم والمميز تجاهنا منذ عام ١٩٤٨، ومن الصعب الاعتماد على هذه الدوائر اليهودية وغير اليهودية، التي ترانا الآن عملاء لدولة ينبغي معاملتنا كعملاء لأي دولة أخرى.
وفي حديث أكثر عمومية، قال شيلوا لجمهوره:
إن الخبرة التي اكتسبتها وحداتنا الاستخباراتية قبل تأسيس الدولة هي خبرة في عمليات سرية لا تتناسب دائمًا مع واقعنا المعاصر، بل قد تُعرّضنا وبعثاتنا للخطر. ولتصحيح هذا الوضع، نعتزم قريبًا افتتاح معهد تدريبي، وتدريب عدد من الأشخاص المؤهلين للعمل الاستخباراتي سنويًا، وإرسالهم إلى البعثات الدبلوماسية المختلفة في الخارج كقوى عاملة إضافية.
ثم أوضح لماذا كانت عملية جمع المعلومات الاستخباراتية الأجنبية تتم من قبل القسم السياسي في إطار وزارة الخارجية ومهامها:
لأسباب مالية وأمنية وبشرية، قررنا أن نجعل وزارة الخارجية وحدها مسؤولة مسؤولية كاملة عن تنفيذ العمليات الاستخباراتية المختلفة، وليس لدى الدولة أجهزة استخبارات منفصلة في الخارج [تخدم] القوات الجوية والبحرية وما إلى ذلك. إن جمع المعلومات الاستخباراتية السياسية والعسكرية والجوية [و] الاقتصادية هو من اختصاص القسم السياسي وحده... يقبل القسم دون تحفظ افتراض أن الوزير [أي رئيس البعثة] نفسه يجب أن يتمتع بسلطة كاملة على كل عملية للقسم في الخارج. يجب أن يكون الوزير شريكًا في المسائل الاستخباراتية. من ناحية أخرى، من الواضح للقسم أن هناك حاجة ملحة لأن يكون لكل بعثة شخص واحد تكون وظيفته التعامل مع المسائل الاستخباراتية فقط.
في المناقشة التي تلت ذلك، اشتكى إلياهو إبشتاين (إيلات)، سفير إسرائيل في لندن، من عدم وضوح وضع عناصر الفرقة في البعثات الخارجية بشكل كافٍ: واقترح منحهم رتبة سكرتير ثانٍ أو ثالث، "لمساعدته على إقامة اتصالات فعّالة". وحذّر إيلات الشعبة السياسية من اعتبار جميع أعمالها سرية. وجادل قائلاً: "يمكن إنجاز جزء كبير منها علنًا"، "خاصةً في الدول الديمقراطية، حيث لا توجد مشكلة... في التواصل مع الدوائر التجارية والعسكرية والعلمية وغيرها".

أيّد موريس فيشر، نظير إيلاث في باريس، فكرة منح ممثل الشعبة السياسية في كل عاصمة "لقبًا دبلوماسيًا". وأشاد بالتعاون في مهمته، حيث كان الوزير يطلع مرتين أسبوعيًا على المواد الاستخباراتية المجمعة "ويقرر ما ينبغي على [عميل الشعبة] متابعته وما لا ينبغي. ويمنح ممثل الشعبة أقصى قدر من الحرية، لكنه يُدير تحقيقاته وأنشطته".

كما أشاد أبا إيبان، السفير لدى واشنطن، بعمل الشعبة، مسلطًا الضوء على المساعدة التي قدمتها لبعثة إسرائيل لدى الأمم المتحدة بإرسالها مواد من القاهرة تتعلق بمناقشات لجنة التوفيق الفلسطينية. (أنشأت الجمعية العامة للأمم المتحدة لجنة التوفيق الفلسطينية في ديسمبر 1948 لإيجاد سبل لحل النزاع العربي الإسرائيلي). وقد مكنت هذه الوثائق البعثة الإسرائيلية من مواجهة مقترحات اللجنة. وقال إيبان إن المواد المتعلقة بسياسة الكنائس بشأن قضية القدس الشائكة لاقت استحسانًا أيضًا، ملمحًا إلى انقلاب استخباراتي سياسي آخر. كما أشار إيبان إلى الحاجة إلى الحصول على معلومات عن الدول العربية من خلال زملائه الأعضاء في الأمم المتحدة الذين لديهم بعثات في العالم العربي لكنهم ودودون تجاه إسرائيل. ورأى إيبان أنه يجب منح ممثل الشعبة السياسية في كل عاصمة أجنبية رتبة سكرتير أول ويجب دمجه في العمل الروتيني للسفارة، حتى يوضع فوق الشبهات.

اشتكى إلياهو ساسون، الوزير الإسرائيلي في أنقرة، الخبير العربي المخضرم والرئيس السابق لدائرة شؤون الشرق الأوسط، من أنه على الرغم من "نطاق النشاط الواسع" المحتمل، لا يزال هناك فرع للقسم السياسي في تركيا - مما ترك ساسون نفسه في دور مزدوج محرج كعميل استخبارات ودبلوماسي. وأصرّ موشيه إيشاي، الوزير الإسرائيلي في بلجراد، على أن ممثلي القسم في أوروبا الشرقية لا يمكنهم العمل بفعالية دون غطاء دبلوماسي.

دعا إيهود أفريل، الوزير في بوخارست، إلى التمييز بوضوح بين عمل القسم في أوروبا الغربية والشرقية. ففي أوروبا الشرقية، لم يكن هناك وصول حرّ للأشخاص ذوي النفوذ أو المعرفة، وعلى أي حال، كان الدبلوماسيون الإسرائيليون تحت مراقبة مكافحة التجسس المستمرة. واقترح

أن عملاء الفرقة في أوروبا الشرقية يركزون على دراسة وإحباط أنشطة مكافحة التجسس التي تقوم بها الكتلة السوفيتية:

من هم الأشخاص الذين يتتبعوننا؟ ما هي الوسائل التي يستخدمونها؟ ماذا تعرف الكومينفورم عن اليهود؟ ... من المهم أن نعرف قبل ساعات قليلة على الأقل عن الإجراءات الوشيكة ضد اليهود؛ من المهم معرفة من هم الأشخاص الذين يخونوننا، والذين يحاولون تخريب أنشطتنا، إلخ... في هذه البلدان، يجب أن يعمل الوزراء أنفسهم كعملاء استخبارات. لديهم اتصالات ... بالإضافة إلى الوزير، يوجد مكان في كل مهمة لرجل من القسم السياسي... أفضل غطاء هو وظيفة الملحق التجاري، ومن الأفضل أن يكون من يحمل [اللقب] قادرًا على أداء المهمة على أكمل وجه.

أشار أفريل تحديدًا إلى الدبلوماسيين السابقين من أوروبا الشرقية باعتبارهم مصادر استخباراتية قيّمة. وقال: "يجب استغلالهم لهذا الغرض".

اشتكى يعقوب تسور، السفير الإسرائيلي في بوينس آيرس، (كما اشتكى مشاركون آخرون) من قلة المعلومات التي تصل إليهم من القسم السياسي. وطلب تسور تحديدًا معلومات استخباراتية عن الكنيسة الكاثوليكية وعن لبنان، نظرًا لوجود 400 ألف لبناني في الأرجنتين. وجادل بأن تحول الأرجنتين إلى ملاذ للنازيين والفاشيين يجب أن يكون محل اهتمام خاص من قِبل القسم، ويجب أن يدفعه ذلك إلى متابعة التطورات عن كثب. قد يؤثر هذا في مرحلة ما على وضع يهود الأرجنتين، وأي معلومة تُكتشف في الوقت المناسب يمكن أن توفر ليس فقط لليهود، بل أيضًا الكثير من المال. وقد شغل هذا الاهتمام المزدوج بالنازيين في الأرجنتين وجاليتها العربية الكبيرة، الموساد لسنوات.

وبعد الاجتماع، التقى كل سفير ووزير مع مسؤولي القسم السياسي - شيلواح، وجوربيل، وبن ناتان - وناقشوا المشاكل والاحتياجات الاستخباراتية الخاصة بمهمتهم.21

ولادة الموساد
الموساد - الذي كان يُطلق عليه في الأصل اسم "هاموساد لتيوم" (معهد التنسيق) وفي عام 1963 تمت إعادة تسميته

تأسس معهد الاستخبارات والمهام الخاصة (الموساد) رسميًا في 2 مارس/آذار 1951 بأمر من بن غوريون. وبدأ عمله، وكان رؤوفين شيلواه مؤسسه ومديره الأول، في 1 أبريل/نيسان 1951.
كانت الخطوات الأولية لإنشاء جهاز الاستخبارات السرية الإسرائيلي قد بدأت من قبل شيلوح في رسالة إلى بن جوريون في يوليو 1949. وكان شيلوح قد دعا إلى إنشاء "وكالة مركزية لمشاكل الأمن والاستخبارات" (موساد مير كازي ليبائيوت موديعين أوبيتاحون) داخل مكتب رئيس الوزراء.22 وبعد مساومات مطولة بين بن جوريون ورؤساء الأجهزة المختلفة، أرسل رئيس الوزراء الرسالة التالية إلى وزير الخارجية شاريت في 13 ديسمبر 1949:
بناء على تعليماتي يتم إنشاء معهد [الموساد] لتركيز وتنسيق أنشطة أجهزة المخابرات والأمن التابعة للدولة (إدارة المخابرات في الجيش، والقسم السياسي في وزارة الخارجية، وجهاز الأمن العام، وغيرها).
لقد عيّنتُ رؤوفين شيلواه، مستشار العمليات الخاصة في وزارة الخارجية، لتنظيم الموساد ورئاسته. سيعمل رؤوفين شيلواه تحت إمرتي، وسيعمل وفقًا لتعليماتي، وسيُقدّم لي تقارير دورية عن عمله. أما إداريًا، فسيعمل مكتبه ضمن إطار وزارة الخارجية.
لقد كلفتُ رؤوفين شيلواه بتقديم اقتراحٍ للقوى العاملة والميزانية لعام ١٩٥٠-١٩٥١ إلى مديرية وزارة الخارجية، بحيث يقتصر على ٢٠ ألف لِيرة إسرائيلية، على أن يُنفق ٥ آلاف ليرة إسرائيلية من هذا المبلغ على مهام خاصة، ولكن بموافقتي المسبقة فقط. يُرجى منكم بموجب هذا إضافة هذه الميزانية إلى ميزانية وزارة الخارجية لعامي ١٩٥٠-١٩٥١.
ولكن خمسة عشر شهراً من الخلاف المرير بين الإدارات . بين شيلواح، والشعبة السياسية، واستخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، وجهاز الأمن العام .كانت لابد أن تنقضي قبل أن يتم تنفيذ تعليمات بن جوريون، وتصبح الموساد أخيراً جاهزة للعمل، وتحل محل وتتولى المهام التي كانت تؤديها الشعبة السياسية في السابق، فضلاً عن مهام أخرى.
في نهاية عام 1950، وعلى خلفية الاشتباكات الغاضبة بين القسم السياسي ومخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي، شيلواه

أقنع بن غوريون أخيرًا بضرورة توحيد جميع عمليات جمع المعلومات الاستخباراتية في الخارج تحت مظلة واحدة - الموساد. جاء ذلك عقب توصية من لجنة خاصة مكونة من ثلاثة أعضاء برئاسة إيسي دوروت، نائب رئيس جهاز الأمن العام، ونائب رئيس الشرطة.
مفوض ومسؤول كبير في وزارة الخارجية يتمتع بخلفية استخباراتية.24

بمجرد حصول شيلواه على موافقة رئيس الوزراء، دعا إلى اجتماع للجنة تنسيق الخدمات في يناير 1951. ووافق على شكوى استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي من أنها تتلقى معلومات استخباراتية عسكرية غير كافية وغير ملائمة من محطات القسم السياسي. ولكن من غير المناسب أن تدير عدد من الوكالات عمليات تجسس في الخارج في وقت واحد. وقال: "لا يمكنني الموافقة على إنشاء خدمات منفصلة في الخارج". يجب أن تتم معالجة جميع عمليات التجسس الأجنبية وتنسيقها من قبل وكالة واحدة. وافق بن غوريون على هذا، وفي المستقبل، حكم شيلواه، أن يدير الموساد هامركازي ليتيوم (المعهد المركزي للتنسيق) جميع عمليات التجسس في الخارج. سيكون لدى الموساد في مديريته ممثلون عن مختلف الإدارات والخدمات "العملاء" والشقيقة - وزارة الخارجية وجهاز الأمن العام وهيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي - وستكون مهمتهم إبقاء الموساد على اطلاع باحتياجاتهم الاستخباراتية المحددة.
بعد بضعة أيام، في 8 فبراير/شباط 1951، اتفق شيلوح وشاريت وبن غوريون على تفاصيل إنشاء الوكالة الجديدة. قرر رئيس الوزراء إخراج جمع المعلومات الاستخبارية من سيطرة وزارة الخارجية، وحلّ الشعبة السياسية بعد أقل من ثلاث سنوات من الإهمال. وأقال شاريت مديرها بوريس غورييل فورًا، وأبلغه بحلّ شعبته.

ثورة الجواسيس
أثار القرار غضب القسم السياسي. في 2 مارس 1951، قدم كبار مسؤوليه، بمن فيهم آشر بن ناتان ومعظم رؤساء المحطات في الخارج، استقالاتهم الجماعية، وكانت هذه الخطوة الأولى في قضية قصيرة ولكنها دراماتيكية تحولت إلى...

عُرفت هذه الثورة في تراث أجهزة المخابرات الإسرائيلية باسم "ثورة الجواسيس". حذّر المتمردون من أنه إذا لم يُترك بن ناتان مسؤولاً عن عمليات التجسس الخارجية، فإن "عمل الاستخبارات الإسرائيلية سيعاني بشدة". ردّ شيلواه بقسوة على هذا السلوك الاستثنائي: أُمر أعضاء الشعبة السياسية بعدم الاجتماع أو مناقشة الأمر في محادثات هاتفية دولية. ثم أُتلفت الملفات الشخصية والحسابات وغيرها من الوثائق في ما وصفه هاريل بسياسة "الأرض المحروقة" التي انتهجتها الشعبة السياسية. فُصل العديد من المتمردين، ومُنع آخرون من تولي مناصب خارجية مستقبلية. حتى أن شيلواه صادر جوازات سفر بعض المسؤولين التنفيذيين مؤقتًا.25
اشتكى المتمردون في وقت لاحق من أن كل ما أرادوه هو فترة انتقالية يمكنهم خلالها نقل سلطاتهم إلى خلفائهم في الموساد بطريقة منظمة، لكن شيلواح،
وزعم أنه رفض ذلك.26 وعندما بدأ الموساد عمله،
ضمّ أفراد الجهاز الجديد مسؤولين سابقين في الشعبة السياسية، وعملاء سابقين في الموساد في منظمتي "عليا بيت" و"شاي". كما انضمّ إلى صفوف الجهاز الجديد عدد من ضباط جهاز الأمن العام (الشاباك) ودائرة استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي.
استُبدل فرع العمليات التابع للقسم السياسي في الموساد منذ أبريل/نيسان 1951 بـ"ريشوت ليموديعين بيحول" (هيئة الاستخبارات الخارجية، وعادةً ما يُشار إليها بالاسم الرمزي "ريشوت" أو "ريشوت غرين"

في برقيات الموساد). وترأسها حاييم يعاري (فالدنر)، وهو مظلي سابق من أصل روماني. وقد تولى عمليًا منصب بن ناتان والمحطات والعملاء الذين كانوا...
كان تحت قيادته.27ياري (اسمه الرمزي "الأخضر")
كان رئيس القسم الفني في جهاز المخابرات الإسرائيلي، ثم دائرة استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي. وهو الرجل الذي قام، في عام ١٩٤٨، بناءً على تعليمات إيسر بئيري، باختراع أجهزة "التحقيق الجنائي" الثلاثة. "الغرامات" التي حاول بئيري استخدامها للإشارة إلى أن أبا حوشي هو مخبر للبريطانيين.28 دوروت، نائبة السير هاريل في
أعير هاريل جهاز الأمن العام (GSS) إلى الموساد، حيث عمل لمدة عام نائبًا لشيلواه. ربما أراد هاريل مراقبة الجهاز الشقيق ورئيسه الجديد عن كثب. عُيّن عكيفا ليفينسكي، مسؤول الوكالة اليهودية، أمينًا لصندوق الموساد.
وكان مكلفًا أيضًا بمهام إدارية مختلفة.29

ترأس حاييم يعاري عمليات الموساد لمدة عامين. بعد أن تعامل مع الفوضى التي خلّفها المتمردون، ورث شبكات ومراكز تابعة للقسم السياسي في دول مختلفة، وبادر بتكثيف العمليات في الدول العربية، التي كانت لا تزال حكرًا على استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي. وفي هذه المنطقة الحساسة - وتحديدًا في العراق - بدأ الموساد مسيرته بإحدى أسوأ النكسات في تاريخه.

كارثة بغداد
في ظهر يوم 22 مايو/أيار 1951، ألقى ثلاثة رجال عراقيين بملابس مدنية القبض على يهودا تاجار (اسمه الرمزي "دان"، ثم "جاد") ومردخاي بن بورات (اسمه الرمزي "درور"، ثم "نوح") أثناء خروجهما من متجر أوروزدي بك المزدحم في بغداد، ووضعوهما في سيارة كانت تنتظرهما، واقتادوهما على عجل إلى مقر شرطة الأمن.
كان تاجر، متنكرًا بشخصية تاجر إيراني يُدعى إسماعيل صالحون، ممثل القسم السياسي/الموساد في بغداد؛ أما بن بورات، المولود في العراق، والذي كان متخفيًا كيهودي محلي يُدعى منشيه سليم، فكان مبعوثًا لجهاز الموساد "علاء الدين بيت"، المسؤول عن تنظيم هجرة يهود العراق إلى إسرائيل. وقد أدى القبض على الرجلين إلى انهيار "الشبكة العراقية"، إحدى أنجح شبكات التجسس والهجرة غير الشرعية في إسرائيل.
كانت هذه أيضًا واحدة من أكثر العمليات السرية هواةً في تاريخ إسرائيل. لم يكن هناك فصلٌ يُذكر بين فروع الشبكة الثلاثة - التجسس (الذي يتولاه القسم السياسي/الموساد)، والهجرة (التي يتولاها مركز "ليعاليا بيت" التابع للموساد)، ومنظمة الدفاع عن النفس اليهودية المحلية (التي يبدو أن الجميع يتولاها). أصبحت الهجرة اليهودية، التي كانت محظورة حتى عام ١٩٤٩، قانونيةً عام ١٩٥٠، لكنها كانت لا تزال تُنظم من قِبل عملاء إسرائيليين (غير شرعيين). اعتقلت الشرطة العراقية بن بورات ثلاث مرات خلال الثمانية عشر شهرًا الماضية - مرتين لمحاولته عبور الحدود إلى إيران بشكل غير قانوني، ومرة لدهسه راكب دراجة عربيًا ثم لكمه ضابطًا في الجيش العراقي.

صمد بن بورات، ولكن بصعوبة بالغة. ففي عام ١٩٥١، أرسل برقيات متكررة إلى تل أبيب يُعلن فيها رغبته في الانسحاب بسرعة. أما تاجر، فرغم غطائه، لم يكن يجيد الفارسية. كما كان يتحدث العربية بلكنة فلسطينية مميزة.

تعرض العميلان لتعذيب شديد، لكنهما صمدا على ما يبدو. أُطلق سراح بن بورات بعد أيام قليلة، ثم اعتُقل مرة أخرى، ثم أُطلق سراحه مجددًا. في منتصف يونيو/حزيران، فرّ من العراق في رحلة جوية مفاجئة في منتصف الليل من مطار بغداد. (لا تزال ظروف إطلاق سراح بن بورات محيرة حتى يومنا هذا). ومثل جميع مبعوثي الموساد في منظمة "عليا بيت"، خضع بن بورات لتدقيق دقيق من قِبل جهاز الأمن العام. ووصفه تقرير "الشاباك" بأنه "عنيد وطموح، لكنه يفتقر إلى المبادرة الشخصية، ولا يستطيع العمل إلا بتعليمات مفصلة". كما كان ثرثارًا للغاية: "يعلم العديد من معارفه وجيرانه أنه على وشك السفر إلى الخارج في مهمة"، وفقًا لجهاز الأمن.30

وفّر دليل هاتف تاجر للعراقيين جميع الأدلة التي يحتاجونها. وسرعان ما تم القبض على زميله في الموساد، روبرت رودني (هودي، ثم إيهود) وسبعة يهود يعملون في مكاتب تسجيل الهجرة في كنيس مسعودة شيم طوف. وأسفر تفتيش شقتي رودني وتاجر عن العثور على حبر سري، ووثائق مُعلّقة بالعبرية عن الحياة الخاصة للسياسيين العراقيين، ومعلومات استخباراتية سياسية أخرى. وأعقب ذلك المزيد من التعذيب اعتقالات أخرى، وكشف النقاب عن شبكة الدفاع عن النفس التابعة للجالية اليهودية في بغداد - وهي حركة شورى (الخط) أو حركة الرواد البابليين المُدرّبة من قِبل الهاغاناه. وصودرت مخابئ أسلحتها السرية التي ضمّت أكثر من 400 قنبلة يدوية، و200 مسدس، وعشرات الرشاشات. كما عُثر على متفجرات وملفات وآلات كاتبة ومطابع وقوائم عضوية مخبأة في معابد يهودية أو منازل خاصة.31 وفي مطار بغداد، بدأ رجال الشرطة يوقفون ويحققون بشكل روتيني مع اليهود الذين كانوا على وشك المغادرة إلى إسرائيل. واستغل المسؤولون العراقيون هذا الوضع لابتزاز الرشاوى على نطاق واسع. وبحلول نهاية يونيو/حزيران 1951، كان أكثر من ثمانين يهوديًا قيد الاعتقال.

تم تأسيس مجلس الشورى في عام 1942، بعد عدة أشهر من المذبحة التي وقعت في العام السابق في بغداد، والتي راح ضحيتها مئات اليهود.

قُتلوا خلال الثورة المؤيدة لدول المحور التي قادها رئيس الوزراء العراقي رشيد علي الكيلاني. وصل مبعوثو الهاغاناه - بمن فيهم شاؤول أفيغور، والإيطالي إنزو سيريني، وشماريا غوتمان - من فلسطين، واختاروا نواة من الصهاينة الشباب الذين اعتُبروا قادةً محتملين، وبدأوا برامج تدريبية وبرنامجًا سريًا لشراء الأسلحة. منذ عام ١٩٤٣، كان مجلس الشورى على اتصال لاسلكي دائم بمقر الموساد "عليا بيت" في تل أبيب. وبحلول عام ١٩٥١، أصبح لديه ستة عشر فرعًا وألفا عضو في جميع أنحاء البلاد. خضع حوالي ٣٠٠ منهم لتدريب عسكري.

خلال السنوات التي أعقبت الحرب مباشرة، قام مبعوثو الموساد في بغداد (كان الاسم الرمزي للمحطة هو "بيرمان"، ثم "ديكل"، ثم "أورين") وطهران (كان الاسم الرمزي "جولدمان"، ثم "نوري"، ثم "ألون") بإدارة خط هجرة سري واسع النطاق، حيث عبر مئات اليهود العراقيين شط العرب أو نقاط الشمال، وانتقلوا عبر عبادان وخرمشهر والأهواز، أو دزفول وكرمانشاه، متجهين إلى طهران ثم إلى تل أبيب. وتحولت هذه العملية تدريجيا إلى عملية واسعة النطاق، والتي أدت في غضون ثلاث سنوات إلى هجرة 104 آلاف من أصل 110

آلاف يهودي عراقي إلى إسرائيل، تحت إشراف مبعوث الموساد للعليا بيت شلومو هيليل (الذي كان مقره في بغداد في عامي 1947 و1948 وفي عام 1950، وفي طهران في عام 1949).
وُلِد هيليل (الاسم الرمزي "إميل" أو "شاماي") في بغداد عام ١٩٢٣ ونشأ في فلسطين. نظّم أول رحلات جوية مباشرة من بغداد إلى فلسطين في أغسطس ١٩٤٧. في عامي ١٩٤٩ و١٩٥٠، مُنتحلاً شخصية "تشارلز أرمسترونج" مدير تنفيذي في شركة "الشرق الأدنى للنقل الجوي"، نجح في التفاوض مع القيادة العراقية على جسر جوي لمدة عامين لنقل يهود العراق إلى إسرائيل. وقد ترسخت الاتفاقية في قانون فريد يُجرّد اليهود الراغبين في المغادرة من جنسيتهم. ولم تُمنح أي دولة عربية أخرى مواطنيها اليهود مثل هذا الخيار الذي لا رجعة فيه بشأن جنسيتهم ووجهتهم. ٣٢ كان هذا الأمر أكثر إثارة للإعجاب لأن العراق، الذي حارب إسرائيل عام ١٩٤٨، كان لا يزال رسميًا في حالة حرب مع الدولة اليهودية؛ وقد انتقدت دول عربية أخرى هجرة جاليتها اليهودية في ذلك الوقت باعتبارها تعزيزًا لإسرائيل وخيانةً للعرب.

لكن القيادة العراقية أولت الاعتبارات الاقتصادية اهتمامًا أكبر، وكان أبرزها عودة جميع ممتلكات اليهود المغادرين تقريبًا إلى خزينة الدولة. كما جُنيت أموال من الرحلات الجوية نفسها ومن إجراءات المغادرة المختلفة (رسوم الهبوط والتزود بالوقود، ورسوم التأشيرات، والرشاوى، وما إلى ذلك). وكان من الأسباب الإضافية للقرار العراقي اعتبار اليهود أقليةً مضطربةً ومزعجةً، وكان من الأفضل للبلاد التخلص منها.33
كان ذلك في نهاية هذا الجسر الجوي، بعد أن تم نقل هليل
خلفه بن بورات، بأن حلقة بغداد انهارت. كانت أول معلومة وصلت إلى الموساد وبيت الموساد للعليا في تل أبيب عن القبض على تاجر وبن بورات برقية من محطة بغداد بتاريخ 22 مايو/أيار 1951: "اختفى دان ودرور قبل الظهر. وُجدت سيارتهما مهجورة في الشارع الرئيسي. دخلت الشرطة مخيم المهاجرين في كنيس مسعودا شيم طوف واعتقلت سبعة أعضاء مهمين، وفتشوا منازلهم... لنفترض أن درور ودان قد أُلقي القبض عليهما."34
في اليوم التالي، أرسل الموساد تعليمات عاجلة إلى مركزه في طهران، الذي كان بمثابة مركز التحكم الإقليمي لبغداد. وجاء في البرقية: "اختفى دان ودرور، ويُفترض أنهما أُلقي القبض عليهما. ابحثوا في سبب الاعتقال". "... أين السجناء؟ من يُجري التحقيق ومن المسؤول عن اعتقالهما؟" 3 5
قيّمت إدارة شؤون الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الإسرائيلية أن حملة الشرطة العراقية كانت على الأرجح جزءًا من جهود بغداد لإثبات للعالم العربي أن العراق ليس على وفاق مع العدو الصهيوني. وكتب شموئيل ديفون إلى رؤوفين شيلواه: "الفترة من الوقت، كان شعبنا يخشى من أن الشرطة ستعتقل منظمي الهجرة مع اقتراب نهاية الهجرة". وأضاف: "من المحتمل أن أنشطة العراق في سوريا [انظر أدناه] ... دفعته إلى اتخاذ هذه الخطوة "المناهضة للصهيونية" التي من شأنها أن تُقدم دليلاً على حرب العراق على إسرائيل". واقترح ديفون مجموعة واسعة من الوسائل لمساعدة تاجار وبن بورات، بما في ذلك حشد مساعدة زعيم الجالية اليهودية العراقية يحزقيل شيم طوف (آمون)، وطلب مساعدة الممثل الدبلوماسي الإيراني في بغداد (لأن تاجار كان يحمل جواز سفر إيرانيًا)، وجمع التبرعات.36

لسنوات بعد ذلك، عانى مسؤولو الأمن الإسرائيليون من البحث عن مصدر التسريب الذي أدى إلى الاعتقالات الأولية المشؤومة. ووفقًا لتقرير مبكر من بغداد، "أبلغ أحد اليهود [الشرطة] أن مسؤولي الهجرة

[اليهود العراقيين] كانوا تحت إشراف أشخاص من [إسرائيل]".37 ولكن بعد بضع ساعات، أفادت محطة بغداد أن المعلومات قد نشأت في المفوضية البريطانية.38 ثم، بعد يومين من ذلك، أخبرت بغداد تل أبيب أن التسريب جاء من المفوضية العراقية في إيران.39 وكان التفسير الأكثر شيوعًا والأكثر شيوعًا الآن هو أن تاجر قد لاحظه لاجئ فلسطيني، ربما يُدعى "سليم"، وكان في الأسر الإسرائيلي عام 1948 ويعيش الآن في بغداد، وتم التعرف عليه كضابط سابق في جيش الدفاع الإسرائيلي.40 وبعد سنوات، أجرت لجنة خاصة تحقيقًا مطولًا في الأمر. وكان استنتاج الموساد هو أن "الافتراض الأكثر منطقية هو ... "أن لاجئاً عربياً كان يعرف [تاجر] في القدس... لاحظه وأحال الأمر إلى الشرطة".41

وبدأ آخر عميل إسرائيلي مهم في بغداد، وهو ممثل إدارة يهود الشرق في الوكالة اليهودية (الاسم الرمزي "يوآف"، ثم "دوف") في قصف تل أبيب بطلبات الإذن بمغادرة البلاد على الفور.42 ونصح "دوف" بتأخير رحيله "لأطول فترة ممكنة".43

في هذه الأثناء، انطلقت عملية إنقاذ إسرائيلية طموحة. سارعت الوكالة اليهودية بنقل مبلغ يزيد عن 5000 دينار عراقي عبر طهران إلى بغداد لتغطية الرشاوى والتكاليف القانونية لتأمين إطلاق سراح تاجر وبن بورات.44 وعُيّن محامون باهظو الثمن في العاصمة العراقية؛ واستُقدم آخرون من طهران ولندن. أُرسل رونالد ("روني") بارنيت (الاسم الرمزي "بوعز")، وهو يهودي بريطاني عمل لدى الموساد "ليليا بيت"، لمعرفة ما يمكنه فعله. بعد أسبوعين من الاعتقالات الأولى، تم التواصل في دولة ثالثة مع ضابط كبير في شرطة الأمن العراقية، و"وافق مقابل مبلغ كبير من المال... على إطلاق سراح الرجال [تاجر وبن بورات ورودني] بكفالة وإحضارهم إلى إيران".45 لكن لم يُسفر هذا التواصل عن شيء، والذي كان على ما يبدو جهدًا عراقيًا لاكتشاف أسماء عملاء إسرائيليين آخرين ما زالوا طلقاء.

ومع ذلك، نجح الموساد في إنقاذ حياة تاجر. ففي أواخر عام ١٩٥١، التقى بارنيت وشيلواه بممثلين عن وزير الداخلية العراقي في فندق كلاريدج بلندن وفي فندق بباريس، وسلما وزير الداخلية مبلغ ١٠ آلاف جنيه إسترليني. ولكن أُبلغ الإسرائيليون بأن حياة المتهمين اليهوديين العراقيين الرئيسيين، شالوم صلاح شالوم ويوسف إبراهيم البصري، لا يمكن إنقاذها.٤٦

أدت موجة الاعتقالات إلى ثلاث محاكمات، بدأت في أكتوبر/تشرين الأول 1951 وانتهت في يناير/كانون الثاني 1952. وُجهت إلى ثمانية وعشرين يهوديًا وتسعة عرب تهم التجسس وحيازة أسلحة غير مشروعة. كما اتُهم بعض المتهمين بهجمات القصف والقنابل اليدوية على مقهى البيضاء في بغداد، والتي أصيب فيها أربعة يهود في أبريل/نيسان 1950؛ وعلى مكتب تسجيل المهاجرين اليهود في كنيس مسعودة شيم طوف، والتي قُتل فيها ثلاثة يهود في يناير/كانون الثاني 1951؛ وعلى مكتب معلومات المفوضية الأمريكية في مارس/آذار 1951؛ وعلى منزل يهودي في مايو/أيار 1951؛ وعلى متجر يهودي في يونيو/حزيران 1951. وأكدت النيابة العامة أن هدف الهجمات كان تقويض النظام، وتشويه سمعته (معاداة للسامية)، وإثارة ضغينة بين العراق والقوى الغربية. وقد زعم بعض اليهود العراقيين، في ذلك الوقت ولسنوات بعد ذلك، أن الهجمات على الأهداف اليهودية، وخاصة على كنيس مسعودا شيم طوف، كانت من تنظيم الموساد و/أو وكالة الموساد لعليا بيت من أجل إقناع اليهود العراقيين المترددين بأن من مصلحتهم مغادرة وطنهم المعادي للسامية بشكل متزايد والهجرة إلى إسرائيل.

قدّم ويلبر كرين إيفلاند، المستشار السابق لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية والذي كان في العراق آنذاك، تعبيرًا كلاسيكيًا عن هذا الرأي لاحقًا، ودعم بالمناسبة التفسير العرضي لاعتقال يهودا تاجار. حيث كتب:
بعد وصولي إلى بغداد مباشرة، تم التعرف على مواطن إسرائيلي.
أدى استجوابه إلى اكتشاف خمسة عشر مخبأً للأسلحة جلبتها الحركة الصهيونية السرية إلى العراق. وفي محاولة لتصوير العراقيين على أنهم معادون لأمريكا وإرهاب اليهود، زرع الصهاينة قنابل في مكتبة هيئة المعلومات الأمريكية والمعابد اليهودية، وسرعان ما بدأت المنشورات بالظهور تحث اليهود على الفرار إلى إسرائيل. وشعورًا بالحرج، أطلقت الحكومة العراقية تحقيقًا شاملًا، وأطلعت سفارتنا على نتائجه.47

حُكم على صلاح وبصري بالإعدام وشُنقا في يناير/كانون الثاني ١٩٥٢؛ وحُكم على سبعة عشر آخرين بالسجن لفترات طويلة، وأُطلق سراح ثمانية عشر آخرين. حُكم على تاجار بالأشغال الشاقة المؤبدة، بينما حُكم على رودني بالسجن خمس سنوات مع الأشغال الشاقة.
رودني، واسمه الحقيقي بيتر نيف، هاجر من برلين إلى فلسطين مع والده في أوائل ثلاثينيات القرن الماضي. وخلال الحرب العالمية الثانية، خدم في الجيش البريطاني، معظمه في الهند (ومن هنا جاء اسمه الرمزي في الموساد "هودي" - "هندي")، وترقى إلى رتبة رائد. جنّدته المخابرات الإسرائيلية لاحقًا وأُرسل إلى العراق. عاد نيف إلى إسرائيل في أواخر الخمسينيات رجلًا محطمًا. طلقته زوجته الهندية أثناء وجوده في السجن. في النهاية، تزوج من شابة مغربية وهاجر إلى ألمانيا، حيث أسس مشروعًا صغيرًا في فرانكفورت. توفي هناك عام ١٩٦٨.
أما بالنسبة لصلاح والبصري، فقد أعرب العديد من المهاجرين اليهود العراقيين في إسرائيل، الذين عاشوا لفترات طويلة في مخيمات رثة ذات خدمات سيئة، إما عن لامبالاتهم أو سعادتهم بمصيرهم. قال البعض: "هذا انتقام من الله على الحركة التي أتت بنا إلى هنا". وظل الكثيرون يعتقدون أن صلاح والبصري ألقيا القنابل "لتشجيع الهجرة من العراق".
وضعت الاستخبارات العسكرية خطة جريئة لمحاولة إخراج تاجار من سجنه العراقي، لكنّها قوبلت باعتراض من لواء هاريل عندما خلف شيلواه بعد ذلك بوقت قصير. أُطلق سراح تاجار أخيرًا عام ١٩٦٠، بعد أن استغلّ الموساد صداقته الوثيقة مع جهاز المخابرات الإيراني السافاك لإيصال تحذير إلى الجنرال العراقي قاسم بن لادن من مؤامرة ناصرية ضده.٥١
بعد إطلاق سراح تاجار، عيّن هاريل لجنة من ثلاثة أعضاء - حاييم يعاري ويعقوب كاروز من الموساد، وشموئيل م. من الشاباك - للتحقيق في الاعتقاد السائد بأن الموساد، أو منظمة "العليا بيت" أو اليهود العراقيين، كانوا مسؤولين عن هجمات القنابل اليدوية في عامي 1950 و1951. بعد استجواب اثني عشر شاهدًا (ثلاثة مبعوثين إسرائيليين إلى بغداد وتسعة يهود عراقيين) وفحص الأدلة الوثائقية (حركة الكابلات بين تل أبيب وبغداد، والموساد والموساد)

(مذكرات ليااليا بيت)، قررت اللجنة عدم وجود "دليل" يُثبت أن القنابل أُلقيت من قِبَل يهود أو منظمة يهودية. كما لم تكتشف أي "سبب منطقي" قد يدفع أي منظمة يهودية أو فرد يهودي إلى إلقاء القنابل. وأشارت اللجنة إلى أن معظم الشهود الذين استُجوبوا أشاروا إلى أن القنابل أُلقيت من قِبَل يهود. وخلصت اللجنة، بشكل غامض إلى حد ما، إلى أن بعض هؤلاء الشهود "توصلوا إلى هذا الرأي... انطلاقًا من اعتبارات

غير واضحة للجنة". وعزت اللجنة هذه الآراء الخاطئة إلى آثار الدعاية العراقية، و"التزامن بين إلقاء القنابل الأولى وتقلبات استعداد اليهود للهجرة"، و"سلوك شالوم صلاح أثناء استجوابه".
وكانت اللجنة "مقتنعة بأن الأمر [بإلقاء القنابل] لم يصدر عن أي وكالة في إسرائيل" وأنه "حتى لو كان هناك ذرة من الحقيقة في رأي الشهود [بأن اليهود المحليين ألقوا القنابل]، فمن الواضح للجنة بما لا يدع مجالاً للشك أنه لم تصدر أي أوامر بارتكاب هذه الأفعال من قبل وكالة إسرائيلية أو وكالة محلية أوروبية".52
ساهمت كارثة بغداد، التي وقعت في الأشهر الأولى من عمر الموساد، في دفع وحدة "العليا بيت" التابعة للموساد نحو الزوال. كان من المفهوم أن ازدواجية المهام وتكاثر العملاء في الميدان يعيقان كفاءة العمل. وقد تبنى الجهاز الجديد العديد من أساليب العمل التي طورها وحسّنها وحدة "العليا بيت" التابعة للموساد (بما في ذلك التشغيل الناجح للغاية لشركات الشحن والطيران الوهمية)، وانضم بعض العملاء الرئيسيين في وحدة "العليا بيت" إلى الموساد.
لكن الوكالة الجديدة أحبطت في رغبتها في الشراء
شركة الشحن السرية الناجحة التابعة للموساد "ليعليا بيت" ("أونيوت أوسفينوت بعام"). واشترت شركة الشحن الوطنية الإسرائيلية، زيم، السفن بدلاً من ذلك - وبأسعار زهيدة - قبل أن تتمكن المخابرات من التدخل في عرضها.53 ربما يعود فوز زيم إلى حد ما إلى استياء مسؤولي الموساد "ليعليا بيت" من مغتصبيهم من الموساد.

كان الضرر الناجم عن كشف شبكة بغداد هائلاً: يبدو أن تاجر ورودني قد أفصحا لمحققيهما عن معلومات حول اختراق ناجح للغاية للمخابرات الإسرائيلية للجيش العراقي. كان هذا الاختراق من تخطيط ماكس بينيت، رئيس محطة استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي في طهران، والذي ظهر اسمه ودوره في محاكمات بغداد، وهي حقيقة كلفته غالياً في مصر بعد بضع سنوات فقط. كان بينيت قد أرسل إلى تل أبيب كمية كبيرة من المعلومات الاستخباراتية عالية الجودة من مكتب الملحق العسكري العراقي في العاصمة الإيرانية.
في 20 مايو 1951، على سبيل المثال، قبل يومين من سقوط الشبكة العراقية، أرسلت محطة طهران إلى تل أبيب أول تفاصيل حول إرسال سرب مقاتلات عراقي إلى دمشق لتعزيز السوريين، الذين كانوا في ذلك الوقت يخوضون مناوشات مع إسرائيل على طول حدود الجولان والجليل. أرسل العراقيون أولاً عقيدًا لإجراء محادثات سرية في دمشق. وعند عودته إلى بغداد، وُضع السرب السابع التابع لسلاح الجو العراقي في حالة تأهب. أفاد بينيت: "كان هناك اجتماع سري لمجلس الوزراء [العراقي] لم تُعرف نتائجه بعد".54
وأفادت برقية أخرى في ذلك اليوم من محطة طهران عن "اجتماع عاجل ومهم في هيئة الأركان العامة [العراقية]". ويعتقد المصدر أنه "تقرر [هناك] إرسال مساعدة جوية إلى سوريا". تم استدعاء قائد القوات الجوية [العراقية]، سرني فاتح، من أمريكا... 55 وبعد أربعة أيام، أرسلت طهران برقية إلى تل أبيب تفيد بأنه في 17 مايو، وصل 200 جندي عراقي وخمسة عشر ضابطًا من الكتيبة الملكية الأولى إلى دمشق. "هدف السرية هو حماية طائرات السرب السابع عند وصولها". كما وصلت بطارية من المدافع العراقية المضادة للطائرات إلى العاصمة السورية في ذلك اليوم. غادرت مقاتلات فيوري التابعة للسرب السابع إلى دمشق في 17 مايو "... بأوامر لحماية المدن والمستوطنات السورية من الهجمات الجوية الإسرائيلية". 56 في 27 مايو، أرسلت محطة طهران جردًا مفصلاً بدقة لأسلحة ومعدات السرب السابع. 57

تُقدم القصة المروعة للشبكة العراقية رؤى مهمة حول أولويات وأساليب الاستخبارات الخارجية غير العسكرية الإسرائيلية خلال العقد الأول من الاستقلال تقريبًا. وكان ذلك على رأس جدول أعمال الخدم السريين خلال

كانت تلك الأيام المبهجة التي بنيت فيها الأمة هي أيام تشجيع هجرة أعداد كبيرة من اليهود في الشتات إلى وطنهم الوليد.
اعتقد بن غوريون أن الجالية اليهودية في فلسطين - إسرائيل حاليًا - التي يبلغ تعدادها 650 ألف نسمة، لن تصمد طويلًا في وجه عداء العالم العربي المحيط بها ما لم تُعزز بشكل كبير بهجرة يهودية واسعة النطاق. وقرر أن المهمة الحيوية الأولى للدولة هي مضاعفة عدد سكانها اليهود، بل وحتى ثلاثة أضعاف، وهذا ما حدث في غضون عقد من الزمن.
كُرِّست جميع موارد الدولة السياسية والاقتصادية والبشرية لتحقيق هذا الهدف، حيث اضطلعت وكالة الهجرة واللجوء (الموساد)، والوكالة اليهودية، ووزارة الخارجية، بالأدوار الرئيسية. وكان من بين المهام الرئيسية للموساد في تلك السنوات الأولى المساعدة في بناء طرق الخروج والهروب، وترتيب نقل المهاجرين اليهود المتجهين إلى إسرائيل من "دول الضيق" - وهي دول تعرض فيها اليهود للاضطهاد و/أو لم تكن لإسرائيل علاقات مفتوحة معها.
في الواقع، ما برز لاحقًا كإحدى المهام الرئيسية للموساد - إقامة علاقات سرية والحفاظ عليها مع دول لم تكن تربطها بإسرائيل علاقات رسمية - يعود الفضل فيه إلى حد كبير إلى حملات الهجرة غير الشرعية في خمسينيات القرن الماضي. استندت العلاقة السياسية شبه السرية مع إيران، التي تحولت لاحقًا إلى تحالف وثيق ذي منفعة متبادلة، إلى علاقات أُقيمت وحُفظت في البداية لتسهيل هجرة يهود العراق وإيران إلى إسرائيل. وينطبق الأمر نفسه لاحقًا على المغرب.

القضية الكبرى

كانت قضية غروس إحدى أسوأ النكسات التي مُنيت بها الاستخبارات الإسرائيلية في هذه الفترة التكوينية، حيث اعتبرها إيسر هاريل، على سبيل المثال، دليلاً على إيمانه بروح المغامرة والفساد المتفشية في القسم السياسي. عيّن مكتب القسم في روما تيد (ثيودور) غروس، المعروف باسم ديفيد ماجن بالعبرية وكروس بالإنجليزية، عميلاً لديه. ووفقاً لهاريل، اعتبره بوريس غورييل "جوهرة في..."

"التاج، أفضل عميل للفرقة". غروس، المولود في المجر، والذي هاجرت عائلته إلى جنوب أفريقيا، قدّم نفسه لمجنّدي فرقته على أنه ضابط مخابرات جنوب أفريقي سابق، كان على تواصل خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها مع مختلف الوكالات السرية الإيطالية والحليفة. عندما حل الموساد محلّ الشعبة السياسية، نُقل غروس إلى الوكالة الجديدة كعميل مهم. في الواقع، كان يعمل، مقابل المال، لصالح المصريين.
أدرك الشاباك أمره في أواخر عام ١٩٥١ أو أوائل عام ١٩٥٢. ولكن عندما واجه هاريل بوريس غورييل بالأدلة، رفضها غورييل بغضب، ودافع عن غروس، واتهم هاريل بالثأر. ثم نقل إيسر "الصغير" الأمر مباشرةً إلى لجنة رؤساء الأجهزة، حيث أقنع الأعضاء بسرعة بذنب غروس. قال هاريل لاحقًا: "لقد قرروا - بمن فيهم شيلواح - استبعاد غروس. اعترضتُ بشدة وقلتُ إنه يجب إعادته ومحاكمته".

كان يُخشى أن يكون غروس على وشك الفرار إلى مصر، حيث اعتقد هاريل أنه سيخضع لاستجواب شامل من قِبل مراقبيه. لذلك سافر هاريل إلى أوروبا - وكانت هذه أول رحلة خارجية له كرئيس للشاباك - وتولى الأمر بنفسه. وتقرر في تل أبيب إعادة غروس، إما بالإقناع أو بالقوة. نجح هاريل بطريقة ما في خداعه للعودة إلى الوطن طواعيةً. حوكم غروس سرًا، وأُدين، وحُكم عليه بالسجن خمسة عشر عامًا. أدلى غوريبيل، الذي كان متقاعدًا آنذاك، بشهادته دفاعًا عنه. تُوفي غروس في السجن.58

استمر رؤوفين شيلوح رئيسًا للموساد حتى سبتمبر/أيلول 1952. وفي مارس/آذار 1953، استقال من منصبه الإضافي كرئيس للجنة تنسيق أجهزة الاستخبارات. وأوضح أصدقاؤه ومنافسوه أنه لم يكن يومًا مناسبًا للوظيفة: فقد وصفوه بأنه "رجل أفكار" لا رجل تنظيم غارق في أسرار العمليات السرية. وقيل لاحقًا إن انهيار شبكة بغداد، وفضيحة غروس، وغيرها من المشاكل قد أنهكته.

في منتصف عام 1952، أصيب شيلواه بجروح خطيرة في الرأس في حادث مروري، وهذا ساهم أيضًا في قراره بالتنحي

لكن السبب الرئيسي لاستقالته المزدوجة كان الحملة الخفية التي شنها ضده إسحاق هرئيل. طوال فترة إدارة شيلوا القصيرة للموساد، راقب هرئيل الطموح شريكه عن كثب من خلال إيسي دوروت، المنتدبة من جهاز الأمن العام، ظاهريًا لمساعدة شيلوا في الشؤون التنظيمية. كان هرئيل يصغي إلى بن غوريون، واستغل نفوذه بفعالية. دوّن رئيس الوزراء في مذكراته بعد لقائه رئيس جهاز الأمن العام في مايو/أيار 1952: "أعتقد أن رؤوفين قد فشل في مهمته". 59 كان شيلوا، الذي أظهر موهبة مبكرة واعدة، رجلاً محطمًا من نواحٍ عديدة. "لقد خاض المعركة وحلم بحلم نهضة إسرائيل فقط لكي يحرق نفسه على مذبح حلمه"، هكذا قال الأب إيبان بعد وفاة زميله في روبين في عام 1959. "كان هناك رغبة قهرية في استنزاف الذات، وللأسف، فشلنا في إنقاذه من نفسه".60

أصبح إسماعيل هاريل رئيسًا للموساد في سبتمبر 1952

وظل في منصبه أحد عشر عامًا. بناءً على إلحاح بن غوريون، احتفظ بالسيطرة الكاملة على الشاباك أيضًا (عُيّن رئيس جديد لجهاز الأمن الداخلي في العام التالي)، وحصل على لقب غير مألوف "هاميمونيه" (المسؤول أو المُعيّن) للدلالة على مسؤوليته الكاملة عن الجهازين.61 ظنّ أعداء هاريل، ربما بقسوة، أن هذه العبارة الطنانة نوعًا ما هي من تأليفه. استُخدمت لأول مرة في محاكمة كان فيها "ليتل" ليسر يدلي بشهادته. سأله القاضي كيف يصف نفسه. لم يُرد هاريل أن يقول مدير الموساد، ولأنه كان مسؤولًا أيضًا عن الشاباك، وإن لم يعد رئيسه، فقد قال: "أنا الميمونيه على أجهزة الأمن". وظلّ اللقب عالقًا في ذهنه.

4

من حرب إلى حرب:

56-1949

التجسس على العرب

نشأت إسرائيل عام ١٩٤٨ رغمًا عن رغبات جيرانها وجهودهم المضنية - وإن كانت ضعيفة التنظيم. ومع مرور السنين، وتبدد فرص السلام، سواءً كانت حقيقية أو مُتخيلة، أدرك القادة السياسيون والعسكريون للدولة أن العداء العربي سيستمر على الأرجح لسنوات قادمة، وأن العرب سيُصعّبون الحياة قدر الإمكان، سواء من خلال العقوبات الاقتصادية والسياسية أو من خلال المضايقات العسكرية المحدودة. كما اعتقدت إسرائيل أن مجموعة من الدول العربية، بقيادة مصر و/أو سوريا على الأرجح، ستشرع في "جولة ثانية" شاملة، بهدف الانتقام لهزائم عام ١٩٤٨ وسحق الدولة اليهودية، بمجرد أن تشعر بأنها مستعدة.

لأسباب تتعلق بالتقاليد والحجم و"المهمة"، أُسندت إلى استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي المسؤولية الرئيسية عن الجهد الاستخباراتي ضد الدول العربية، مع أن الموساد وجهاز الأمن العام (الشاباك) والشرطة (الفرع الخاص) لعبت جميعها أدوارًا مساعدة. كان الاهتمام الرئيسي لاستخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي يتمثل في التهديد الذي تُشكله الجيوش العربية: ما هي نواياها وقدراتها وأسلحتها وانتشارها وتكتيكاتها واستراتيجيتها؟ هل كانت تستعد حقًا لشن "الجولة الثانية"، وإذا كان الأمر كذلك، فمتى؟ حاول جيش الدفاع الإسرائيلي الإجابة على هذه الأسئلة في تقييمه الاستخباراتي الوطني السنوي.

كانت فترة انتقالية إلى جهاز أكثر رسمية وكفاءة. شولا أرازي كوهين، جاسوسة إسرائيلية عملت في

زارت شولا، التي كانت تعيش في لبنان حتى منتصف ستينيات القرن الماضي، مقر استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي في يافا لأول مرة أواخر عام ١٩٤٨، حيث كان الأثاث المنحوت الفاخر للمالك العربي الأصلي متجاورًا لطاولات عسكرية متداعية ومرتجلة مغطاة بالبطانيات. لاحظت فرقًا ملحوظًا عندما زارتها مرة أخرى، في خريف عام ١٩٥٠. «وُضعت إجراءات جديدة في البيت الأخضر. ضاع الجوّ غير الرسمي. أُضيف منضدة خشبية إلى الغرفة الأمامية حيث جلست جندية أخرى وسجلت اسم شولا ووقت وصولها في دفتر ملاحظات أسود سميك.»١

قسم الأبحاث في إدارة الاستخبارات، والذي كان

أنشأها حاييم هيرتسوغ في عام 1949، وتم توسيعها في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، مع تخصيص "مكاتب" منفصلة لكل دولة عربية. في عامي 1951 و1952، أصدر القسم تقريرًا سنويًا ضخمًا بعنوان "Mikre HaKol" ("الصورة الكاملة")، والذي وصف وحلل بشكل تفصيلي للغاية الوضع السياسي والعسكري للدول العربية ونواياها الحربية المحتملة وطرق تقدمها المحتملة والأهداف المحتملة في هجوم شامل على إسرائيل. راقب شين ميم 5، بقيادة شموئيل توليدانو، الصحافة العربية ومحطات الإذاعة وكان مسؤولاً أيضًا عن استجواب السجناء. استجوب قسم آخر المهاجرين اليهود الجدد من الدول العربية.2 ومع ذلك، كان جيش الدفاع الإسرائيلي بعيدًا عن أن يكون على علم بكل شيء بشأن أعدائه العرب في تلك السنوات الأولى. وقد تجلى ذلك في 23 يوليو 1952، عندما أطاح انقلاب "الضباط الأحرار" بالنظام الملكي المصري وأقام نظامًا اشتراكيًا غامضًا بقيادة الجنرال محمد نجيب؛ كان القوة الدافعة عقيدًا شابًا يُدعى جمال عبد الناصر. فوجئت إسرائيل تمامًا.1

لكن العمل الرئيسي لاستخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي لم يكن يتعلق بالصورة العامة، بل بالمراقبة والرصد والتقييم على المستوى المحلي، يوميًا وأسبوعيًا وشهريًا، على مستوى كل دولة ومنطقة. كان من الضروري

إجراء تغييرات لإتاحة هذا النوع من التغطية الشاملة. خلال حرب عام ١٩٤٨، انهارت شبكات عملاء "شاي"، وخاصة داخل فلسطين؛ وبعد عام ١٩٤٨، ركزت احتياجات جيش الدفاع الإسرائيلي الاستخباراتية على القوات المسلحة العربية النظامية، التي لم يخترقها "شاي" بشكل كبير.

في عام 1950، تولى المقدم بنيامين جيبلي منصب مدير إدارة استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي. (في ديسمبر 1953، أعيدت تسميته إلى فرع استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، أو أمان، وهو الاختصار العبري لأغاف موديعين). أعاد جيبلي تنظيم عمليات الإدارة وشبكاتها: تم تعزيز ضباط المهام الخاصة (DOsS، أو katamim بالعبرية) في شين ميم 10، الذين كانوا يديرون العملاء العرب، للقيام بأعمال الاستخبارات عبر الحدود؛ وتم توسيع قواعد اعتراض الراديو في شين ميم 2؛ وتم تطوير إدارة استخبارات القوات الجوية، التي تعاملت بشكل رئيسي مع التصوير الجوي؛ وتم إعادة تنشيط الوحدة 131 - التي عملت ضد مصر.

شبكة الجولان

كانت شبكة التجسس الدرزية السورية، التي انهارت عام 1951، من بين شبكات مكتب الدفاع عن النفس النموذجية. وكان معظم أعضائها ينحدرون من قرية مجدل شمس في مرتفعات الجولان، وقد تم تجنيدهم من قبل جهاز الشاي في عامي 1947 و1948، ثم ورثتهم استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي بعد قيام الدولة.

بدأت القصة مع رافائيل غرابلي، عامل مقسم هاتف في طبريا، انضم إلى وحدة الشاي عام ١٩٤٧. كان يتنصت على محادثات بريطانية وعربية، ويُبلغ قائد وحدة الشاي المحلية، أريه بيبي. عند تفكيك وحدة الشاي في يونيو ١٩٤٨، انضم بيبي وغرابلي إلى جهاز استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي. كان رئيس غرابلي هو بنيامين شابيرا، من كيبوتس أمير. كان شابيرا، إلى جانب هيليل لاندسمان، من كيبوتس أيليت هاشاهار، قد وطّدا علاقات مع قرويين دروز عبر الحدود السورية.

خلال عام ١٩٤٨، حوّل بيبي وغرابلي هذه الاتصالات إلى شبكة تجسس متكاملة، برئاسة حمود الصفدي من مجدل شمس. تألفت شبكة الصفدي من حفنة من الجنود الدروز في الجيش السوري، من بينهم قائد سرية ورقيب في مقر قيادة الجيش بدمشق. ووفقًا لغرابلي، كان دافع أعضاء الشبكة هو اعتقادهم بأن إسرائيل ستحتل مرتفعات الجولان يومًا ما، وبالتالي كان من المنطقي العمل ضد سوريا.

كان بيبي مسؤولاً عن الشبكة حتى عام ١٩٤٩، حين فقد ساقه في انفجار لغم أرضي. تولى جرابلي زمام الأمور. كان أعضاء الشبكة يعبرون الحدود مرة كل أسبوعين، ويسلمون المعلومات الاستخبارية إلى جرابلي أو ضابط آخر. على سبيل المثال، كان رقيب المقر يُحضر شفرة الاتصالات اللاسلكية العسكرية السورية. في عام ١٩٥٠، زودت الشبكة استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي بوثيقة من عشر صفحات تُحدد التغييرات التي يجب إجراؤها في تحصينات مرتفعات الجولان السورية، بما يتماشى مع نصيحة خبراء عسكريين ألمان في شؤون سوريا.٤ بعد الاشتباك الإسرائيلي السوري الكبير في تل مطيلة في مايو ١٩٥١، أبلغ أحد أعضاء حلقة الصفدي استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي بالاستدعاء العام وحالة التأهب في الجيش السوري.

وعادة ما كان الصفدي نفسه هو الذي تجاوز الخطوط وكان جرابلي هو الذي تجاوزها.

كان يلتقيه في أحد الكيبوتسات الحدودية. في أحد فصول الشتاء، تجمد أحد أعضاء الشبكة حتى الموت أثناء محاولته العبور إلى إسرائيل على سفوح جبل الشيخ. استخدمت الشبكة أيضًا جهاز إرسال لاسلكي (كان اسم المشغل الدرزي "جولان" رمزيًا، وهو اسم غريب الأطوار)، وكان يستقبل الرسائل عامل لاسلكي في جيش الدفاع الإسرائيلي يعمل من منزل جرابلي في طبريا.

في عام 1951، عبر أحد أبرز وجهاء الدروز في مرتفعات الجولان، كمال كنج، الحدود وعرض خدماته على استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي. اعترض جرابلي. كان يعلم أن عشيرة كنج أعداء للصفديين ويشتبه في أن كنج قد أُرسل من قبل السلطات السورية. بعد أيام قليلة من عودة كنج، توقفت شبكة الدروز عن العمل. أفادت الصحف في دمشق أنه تم القبض على الشبكة؛ وعُقدت محاكمة صورية وحُكم على الصفدي بالإعدام. خُفف عقوبته لاحقًا إلى السجن المؤبد لكنه مات تحت التعذيب في سجن تدمر سيئ السمعة. تم تأميم أراضي عشيرة الصفدي، على الرغم من أن إسرائيل أعادتها بعد احتلالها لمرتفعات الجولان عام 1967. ووفقًا للوثائق السورية التي اكتشفها جيش الدفاع الإسرائيلي في حرب الأيام الستة، كانت المعلومات من كمال هي التي أدت إلى اكتشاف شبكة الصفدي. تمكن عضو واحد فقط من الشبكة من الفرار إلى إسرائيل في عام 1951. تم تجنيده في استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، وتم "إعادة زرعه" في الجولان بهوية جديدة وتوفي في عام 1956. حصل بعد وفاته على رتبة ملازم أول في

جيش الدفاع الإسرائيلي. ترك جرابلي الجيش بعد سقوط شبكته وخلفه في منصب SDO في الشمال عكيفا فينشتاين، وهو عضو قديم في Palmah Mist'Arev كان مسجونًا في سوريا عام 1948.5

"الدروز مستعدون"

كان سقوط شبكة الجولان فرصةً لتجدد الخلافات بين الإدارات في القدس. وقد أشعلت هذه الخلافات جهودٌ إسرائيلية - أو بالأحرى غيابها - لمساعدة أعضاء شبكة التجسس المسجونين، إلا أنها في الواقع ارتبطت بالمشكلة الأوسع المتمثلة في اتخاذ القرارات بشأن تحالف درزي إسرائيلي سوري محتمل ضد دمشق.

طوال أوائل خمسينيات القرن العشرين، واصل المسؤولون الإسرائيليون التفكير في استغلال العناصر المنشقة داخل سوريا لمحاولة اختراق جدار العداء العربي الذي أحاط بالدولة اليهودية. وتركز الاهتمام بشكل كبير على العراق، الذي حاول مرارًا وتكرارًا خلال تلك الفترة الإطاحة بالأنظمة المتعاقبة في دمشق. وقدّر تقرير استخباراتي في الملفات الإسرائيلية يعود إلى يناير/كانون الثاني 1950 أن البعثة العسكرية العراقية في سوريا كانت مسؤولة عن جهود بغداد لتنظيم "ثورة مضادة" في دمشق. وذكر التقرير أن الدروز "سيكونون مستعدين للمشاركة بنشاط".6

انقسم المسؤولون الإسرائيليون حول مدى استصواب دعم انقلاب ضد الإدارات المعادية للغرب والموالية لمصر التي حكمت سوريا من عام 1949 إلى عام 1951. فقد تبنى النظام، في نهاية المطاف، موقفًا عمليًا وغير عدواني على طول الحدود مع إسرائيل. ففي يناير 1950، على سبيل المثال، اقترح موشيه ساسون من وزارة الخارجية إبلاغ السوريين بأسماء المتآمرين المناهضين للحكومة والدور الذي تلعبه البعثة العسكرية العراقية. 7 في النهاية، ومع ذلك، في أواخر نوفمبر 1951، لم تكن جماعة مدعومة من العراق بل موالٍ للغرب، العقيد أديب الشيشكلي، هو الذي أطاح بحكومة الدواليبي قصيرة العمر، مما أثار غضب

كل من بغداد والقاهرة. 8 وضع انقلاب الشيشكلي مثبطًا مؤقتًا للجهود الإسرائيلية (والعراقية) لاستخدام الدروز لمحاولة تقويض حكومة دمشق أو الإطاحة بها. لكن هذه

تجددت الجهود في عام 1954، عندما عادت الفوضى السياسية إلى سوريا.
وكان الإسرائيليون يراقبون عن كثب عندما بدأت
انتهى نظام الشيشكلي في أواخر يناير/كانون الثاني 1954. وكان ممثلو مختلف جماعات المعارضة، وعلى رأسهم الدروز، قد اجتمعوا سرًا في حمص في يوليو/تموز السابق، وقرروا الإطاحة بالعقيد.9 قرر الشيشكلي، الذي كان لديه بالطبع مخبريه الخاص، استباق المتآمرين وضرب الدروز - "العنصر الأخطر" بين الجماعات المتمردة، وفقًا لاستخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي. اعتبر الشيشكلي الدروز عمومًا "طائفة خائنة ومتعاونة مع إسرائيل".
منصور الأطرش، نجل الزعيم الدرزي سلطان الأطرش،
اعتقله المكتب الثاني السوري. وسرعان ما تطورت محاولة اعتقال والده إلى معركة شاملة، حيث اجتاح ستة آلاف جندي سوري، مستخدمين الدبابات والمدرعات والمدفعية، جبل الدروز، وواجهوا مقاومة شرسة في كثير من الأحيان. أُنزلت سرية مظلية على طول الحدود السورية الأردنية لإغلاق منافذ الهروب المحتملة من الجبل. لكن سلطان الأطرش، مع عائلته وحاشيته، تمكنوا من الفرار، وحصلوا على اللجوء السياسي في الأردن. أثارت العملية العقابية ضد جبل الدروز اهتمامًا إسرائيليًا متجددًا بجماعات المعارضة السورية، وبالمساعدة المحتملة التي قد تساعدهم على الإطاحة بحكومة دمشق.10 اشتكى حسن الأطرش لاحقًا من أن الشيشكلي "أفرط في التهمة الكاذبة بأننا كنا متواطئين مع إسرائيل بعرضنا الأسلحة الإسرائيلية التي غنمناها على الجبهة كما لو أنها صودرت في الجبل".11 وكان موشيه ديان، رئيس الأركان، قد اقترح بالفعل على ممثلي الدروز في إسرائيل المعنيين أن يجهز جيش الدفاع الإسرائيلي بعضهم ليكونوا "مخربين"، لكن الدروز رفضوا، مفضلين الغزو الإسرائيلي. اشتكى موشيه شاريت من غموض الوضع. وكتب رئيس الوزراء: "يتضح أننا لا نملك أدنى فكرة عما يحدث بالفعل في الجبل أو في سوريا عمومًا. لقد كشف هذا عن تقصير خطير في استخباراتنا".12 وفي المجمل، كلفت الحملة التي استمرت أربعة أيام الجيش السوري 400 قتيل و200 جريح؛ 150 درزيًا،

وقد قُتل ما بين 40 إلى 50 شخصاً، بمن فيهم النساء والأطفال، وجُرح ما بين 40 و50 شخصاً.13 ويبدو أن الحملة السورية نجحت.
لكن في أقل من شهر، أُقيل الشيشكلي. ثارت وحدات الجيش السوري في شمال البلاد؛ وفي غضون أيام، انضم إليها اللواء السادس المتخصص، المتمركز في منطقة جبل الدروز. كان رئيس أركان الجيش السوري الدرزي، شوكت شقير، محايدًا في البداية، لكنه أعلن هاشم الأتاسي رئيسًا. اجتمعت أحزاب المعارضة في حمص وشكلت حكومة ائتلافية. ووفقًا لاستخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، "لم يكن للعراقيين أي يد على ما يبدو في الانقلاب... ولم تكن لدى المفوضية العراقية في دمشق معلومات عما كان يحدث...". وقدّر القائم بأعمال مدير جهاز المخابرات، يهوشافات ('باتي') هركابي، أن الانقلاب، والعودة إلى الحكومة البرلمانية، سيجعلان سوريا أقل استقرارًا وقواتها المسلحة أقل استعدادًا لخوض حرب مع إسرائيل.

لكن وزير الدفاع، بنحاس لافون، رفض تحليل هركابي، وجادل بوجود أدلة تشير إلى تورط عراقي. ويبدو أن لافون كان يستند في تحليله إلى اعتراض رسالة لاسلكية من قادة المتمردين إلى العراقيين "بتجنب المبالغة في إظهارهم...". وألمح وزير الدفاع إلى أن العراقيين نظموا الثورة "ليس عبر القنوات المعتادة" (المفوضية العراقية في دمشق)، وبالتالي لم تكتشف استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي ولا النظام السوري مؤامراتهم. ووصف تقييم هركابي بأنه "خطأ".14 ربما كان موقف لافون حالة تجاهل لبعض المعلومات الاستخباراتية الحاسمة المتاحة والتفكير السياسي الهادف: فقد حاول جاهدًا إقناع شاريت الأكثر حذرًا بأن 'عراقي تدخل' متاح إسرائيل مع أ "فرصة تاريخية" للاستيلاء على الأراضي السورية الواقعة خارج المنطقة منزوعة السلاح.1 ومع ذلك فإن الأدلة اللاحقة كانت تميل إلى دعم الرأي القائل بأن التمرد ضد الشيشكلي "تم تشجيعه وتمويله من قبل العراق".16

لبنان: الاستخبارات والسياسة

ولم تركز استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي في الشمال على سوريا فقط ولم تقتصر على التجسس فحسب: فقد كان قائد المنطقة الشمالية هو الذي تولى هذه المهمة.

قاعدة شين ميم 10 في الشمال، حاييم أورباخ. انخرط أيضًا في السياسة اللبنانية. وترد فكرة عامة عن مجالات نشاطه في رسالة بتاريخ 14 فبراير 1951 إلى مقر إدارة المخابرات في تل أبيب. أفاد أورباخ أنه قبل ثلاثة أيام، زار موشيه ساسون وشموئيل ديفون من وزارة الخارجية قاعدته للقاء عدد من عملائه ومخبريه اللبنانيين. وصف أحد العملاء، وهو على ما يبدو لاجئ فلسطيني، واسمه الحركي "مناحيم"، حالة اللاجئين في لبنان. طلب ساسون وديفون منه إعداد تقارير حول إمكانية التأثير على جامعة الدول العربية لإعادة توطين اللاجئين في الدول المضيفة، وحول الطبقة المتوسطة اللبنانية المهتمة بتطوير علاقات تجارية مع إسرائيل.

في وقت لاحق من اليوم نفسه، التقى ساسون وديفون وأورباخ بعميلة لبنانية تُدعى "يائيل". كانت يائيل مرشحة للبرلمان في الانتخابات اللبنانية الوشيكة، وطلبت من الإسرائيليين تزويدها ببنادق ورشاشات لتسهيل انتخابها.

أوصى أورباخ رؤساءه بأن يزود جيش الدفاع الإسرائيلي "ياعيل" بكمية صغيرة من الأسلحة. «إذا لم ينجح في الوصول إلى البرلمان اللبناني، فسيحاول بلا شك، وربما ينجح، الحصول على منصب حكومي مهم، وسنتمكن من استغلاله لصالحنا.»17

كتب ديفون نفسه رسالةً لاحقةً إلى هاركابي، نائب مدير أمان، مؤيدًا إعطاء أسلحةٍ لـ"يائيل" - "مع مراعاة الاحتمالات المختلفة المتاحة لـ"يائيل" وعائلته في لبنان، واعترافًا منا بالخدمات التي قدمتها لنا عائلة "يائيل". علاوةً على ذلك، قد يُلحق رفضنا الضرر بالرجل أو يُنهي علاقته به..."18

تعاونت وحدات الأمن الخاصة التابعة لاستخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي بشكل وثيق مع الفرع الخاص للشرطة وجهاز الأمن العام. في مايو/أيار 1951، أصدرت كلتا الوكالتين تقارير منفصلة حول جوانب الانتخابات المقبلة في لبنان، ويشير محتوى مادتيهما بقوة إلى أنهما تلقيا خدماتهما من نفس العميل أو المخبر.19

وبعد بضعة أشهر أفادت الشرطة بأن الكتيبة العاشرة من الفيلق العربي الأردني قد تم حلها بسبب

كما علمت الشرطة الأردنية أن الأردن يعتزم إعدام الفلسطينيين الأربعة الذين اعتقلوا في قضية اغتيال الملك عبد الله والد طلال.11

استقت معظم معلومات أجهزة الأمن الإسرائيلية (SDOs) من عملاء عرب. كان أحدهم، أحمد زوت، من مواليد قالونيا، وهي قرية صغيرة غرب القدس استولت عليها الهاغاناه وهجرها سكانها في أبريل/نيسان 1948. جنّده جهاز الأمن الإسرائيلي (SDO) في القدس، وخدم مرارًا وتكرارًا خلال خمسينيات القرن الماضي في الأردن ودول عربية أخرى. في مرحلة ما، اكتشفه الأردنيون، لكنه تمكن من الفرار إلى إسرائيل. في أوائل الستينيات، عاد زوت إلى إسرائيل، واعتنق اليهودية، وغير اسمه إلى شلومو أمير، وتزوج واستقر. مُنح امتيازًا لتشغيل محطة وقود في أبو غوش، على بُعد ميلين تقريبًا من أنقاض قالونيا. توفي عام 1977.22

كان رافي سيتون، أحد ضباط الأمن القومي الإسرائيليين، الذي أدار عملاء عرب في القدس الشرقية والضفة الغربية لنحو عقدين من الزمن. وُلد سيتون في حلب، سوريا، وهاجر إلى إسرائيل عام ١٩٤٩، وسرعان ما انضم إلى جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان). وهناك، تدرب كضابط أمن قومي إسرائيلي على يد يعقوب نمرودي، والمستعار المخضرم، وإسحاق شوشان. وللتعرف على أسرار هذا الجهاز، رافق ضابط أمن قومي إسرائيلي مخضرم يُدعى هافاكوك إلى عدة لقاءات على الحدود مع عملاء عرب. لكن سيتون لم يرافق هافاكوك إلى آخر لقاء له، في منطقة البحر الميت، في ديسمبر ١٩٥١، عندما أخرج عميل زميله مسدسًا وأطلق النار على مراقبه الإسرائيلي وأرداه قتيلًا. وتذكر سيتون لاحقًا: "لقد كانت بداية صادمة للمهنة".

حتى عام ١٩٦٥، كان مكتب منظمة SDO في القدس يقع في مبنى سكني عادي بالقرب من جمعية الشبان المسيحية، مع لوحة باب تحمل اسم محامٍ. كان المكتب يضم خمسة موظفين ميدانيين محترفين، وسيارتين، وسائقًا، وسكرتيرة. ولتعويض النقص في القوى العاملة، كان ضباط المخابرات غالبًا ما يعملون عشرين ساعة يوميًا، مستخدمين ذكائهم للسيطرة على عملائهم وترهيبهم. وكما قال سيتون:

حرصنا على أن نكون دائمًا أعلى بمستويين من عملائنا. وهكذا غرسنا فيهم فكرة أنه لا يجب عليهم محاولة التهرب منا.

مبالغات أو أكاذيب... على سبيل المثال، كنا نعرف كل شيء عن القدس الشرقية، أفضل من المقدسيين العرب. كنا نعرف في أي الأزقة توجد شرائط خرسانية تغطي الدرجات لتمر بها المركبات، ومن يجلس مع من في أي مقهى، وما هي ألوان طلاء المقهى.

خلال خمسينيات القرن الماضي، جنّدت وحدات الأمن الخاصة عملاء من مختلف شرائح المجتمع، من البدو إلى المثقفين. شهدت تلك الفترة غارات على الحدود من قِبل متسللين عرب وهجمات إسرائيلية انتقامية على الضفة الغربية. تحدثت وحدات الأمن الخاصة مع المجندين المحتملين عن مصلحتهم المشتركة في تهدئة الحدود من خلال وضع حد لعمليات التسلل (والردود الإسرائيلية).

قال سيتون: "بعد ذلك، سعينا دائمًا إلى تحويل استمرارية العلاقة إلى علاقة مالية". لا يُمكن الحفاظ على هذه العلاقة إلى الأبد على أساس أيديولوجي فحسب.

لكننا كنا نسعى دائمًا إلى عدم الإفراط في الإنفاق. هذا عنصر مهم... لا ينبغي لأحد أن يُعطي قرويًا مبالغ تفوق مكانته، حتى لو قدّم معلومات استخباراتية مفيدة... كان الحد الأدنى للأجر الشهري مطابقًا لأجر ملازم ثانٍ في الفيلق العربي. كنا نعمل عادةً بأجر شهري، مع مكافآت على المعلومات الاستخباراتية المتميزة.
كما قامت وكالات الاستخبارات الأمنية بتزويد العملاء بمعدات خاصة يحتاجونها لمهام استخباراتية محددة. على سبيل المثال، طُلب منا إعداد تقرير عن شبكة طرق جديدة قيد الإنشاء شمال النبي صموئيل. زودناهم بمعدات خاصة و... علمناهم كيفية إعداد التقارير بدقة. كانت هناك مشكلة مع العملاء العرب في دقة الإبلاغ عن المسافات، لذلك قدمنا لهم دورة تدريبية في هذا المجال في منطقتنا... طورنا أساليب وأدوات تتناسب مع مستوى العملاء.23

الوحدة 131

الوحدة 131 - المعروفة في البداية باسم هيكر 2 (البحث 2) 24 - تم إنشاؤها في الأصل في عام 1948 كقسم سري للغاية داخل القسم السياسي لبوريس جوريل بمهمة إجراء عمليات التخريب والدعاية السوداء خلف خطوط العدو.

بعد الحرب، وعلى الرغم من اعتراضات القسم السياسي، تم نقل الوحدة 131 إلى جيش الدفاع الإسرائيلي، الذي نجح في إثبات أن أهدافه عسكرية.
كُلِّفت وحدة شقيقة، الوحدة 132، بشن حرب نفسية. قبل ثورة يوليو 1952 المصرية، وزَّع عملاؤها دعايةً مناهضة للملكية في القاهرة. وكان من بين مشاريعهم الأكثر دناءةً مونتاجٌ لصورةٍ تُظهر الملك فاروق في فراشه مع عاهرة. وكان إسرائيليٌّ من أصل عراقي يُدعى إلياهو ناوي مسؤولاً عن بثِّ دعايةٍ إذاعيةٍ سوداءَ إلى الدول العربية.
منذ عام ١٩٥٠، أشرف على عمليات الوحدة ١٣١ عضوان، هما رؤوفين شيلوح ونائب رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي، مردخاي ماكليف. في عام ١٩٥١، بدأ قائد الوحدة ١٣١، المقدم موتكي بن تسور، بتأسيس شبكات سرية في مصر. كان الرائد أفرا هام دار، الذي اختاره لقيادة العملية، مولودًا في فلسطين، وعمل في وحدة "العالية" التابعة للموساد في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، وعمل في الدول العربية خلال حرب ١٩٤٨. ترك الجيش بعد ذلك، لكنه عاد إليه عام ١٩٥١. وقد تفجرت فضيحة دار الاستخباراتية في أسوأ فضيحة استخباراتية في تاريخ إسرائيل.
وصل دار إلى مصر صيف عام ١٩٥١، حاملاً جواز سفر بريطانيًا يُعرّفه بأنه "جون دارلينج". بالتعاون مع مبعوثين سريين من الموساد، على غرار مشروع الهجرة غير الشرعية في العراق بين عامي ١٩٤٨ و١٩٥١، جنّد دار مجموعة من الشباب اليهود المصريين، وأنشأ خلايا سرية في القاهرة والإسكندرية. لم يكن هدف هذه الشبكة - الدفاع عن النفس اليهودي، والمساعدة في الهجرة غير الشرعية، والتجسس، أو التخريب ضد مصر - واضحًا في البداية لمقر الوحدة ١٣١، أو دار، أو الشباب اليهود. كان من المقرر تحديد مهام الشبكة وتعيينها في حال حدوث أي أزمة في العلاقات الإسرائيلية المصرية.

غادر دار مصر في نهاية أغسطس ١٩٥١، تاركًا وراءه خليتين، كل منهما بقيادة ضابط إسرائيلي وجهاز إرسال لاسلكي للاتصال بإسرائيل. سافر أعضاء الشبكة بشكل منفصل إلى إسرائيل، عبر فرنسا، وتلقوا دورات مكثفة - وإن كانت سطحية - في الاتصالات والتخريب والتجسس (تحديد هوية السفن) والتدمير البحري.

لم يتلقوا أي تعليمات بشأن كيفية التصرف في حال القبض عليهم؛ ولم يكن هناك أي تقسيم داخل الشبكة؛ ولم يتخذ العملاء سوى احتياطات قليلة لمنع اكتشافهم. في نهاية عام ١٩٥٣، وبعد عودة جميع الأعضاء إلى مصر، اشترت الشبكة مواد كيميائية تُستخدم في صنع القنابل من الصيدليات المصرية؛ وأنشأوا ورشة متفجرات؛ واستطلعوا الأهداف المحتملة في حال نشوب حرب.
قرر أمان تفعيل الشبكة في ربيع عام 1954.
كانت بريطانيا على وشك توقيع اتفاقية مع نظام عبد الناصر لإجلاء قواتها من منطقة قناة السويس وتسليمها لمصر. اعتبرت إسرائيل هذا التطور تهديدًا خطيرًا: فبعد تحررها من الوجود البريطاني (الذي كان بمثابة حاجز مادي يحمي إسرائيل)، ومع تعزيز هيبتها، قد تشن مصر "جولة ثانية" ضد الدولة اليهودية. أرادت إسرائيل تأخير رحيل البريطانيين بشن هجمات على أهداف بريطانية في مصر؛ فالخلافات التي ستنشأ بين القاهرة ولندن قد تُفسد اتفاقية الإجلاء.
في 26 مايو 1954 طار موتكي بن تسور إلى فرنسا للقاء
أفري (أبراهام) إيلاد (سيدنوبرغ)، عميل في جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان)، أمضى بضعة أشهر في القاهرة، يتعرف على أرضها (دون أن يعرف شيئًا عن الشبكة اليهودية المصرية). وُلد إيلاد في فيينا عام ١٩٢٦، ووصل إلى فلسطين عام ١٩٣٩. خدم في الجيش البريطاني في أوروبا، مساعدًا الموساد في نقل اليهود إلى فلسطين، وعمل سائقًا لفترة وجيزة في البالماخ وأماكن أخرى في جيش الدفاع الإسرائيلي عام ١٩٤٨. استمر في الجيش حتى وصل إلى رتبة رائد، قبل أن يُفصل ويُخفض رتبته إلى جندي لسرقته ثلاجة كانت ملكًا لعربي. في عام ١٩٥٢، عاطلًا عن العمل، بائسًا، وعلى وشك الطلاق، جنده بن تسور في الوحدة ١٣١.
في عام 1954، أُمر إيلاد بتولي قيادة الجيش المصري.
شبكة وتفعيلها ضد أهداف مصرية وبريطانية وأمريكية. بعد إطلاعه على الخطة في باريس، عاد إيلاد إلى مصر في نهاية يونيو بجواز سفر ألماني باسم رجل الأعمال بول فرانك. وكان يُعرف لدى الشبكة باسم "روبرت".26
منذ البداية كانت وظائف الوحدة 131 مصدرًا للتوتر.

جدلٌ داخل جيش الدفاع الإسرائيلي. رأى رئيس الأركان، موشيه ديان، أن إنفاق المال والقوى البشرية على عروض جانبية أمرٌ مُبذر؛ وجادل بأن على الجيش، ومعه جهاز الأمن الداخلي (أمان)، التركيز على الانتصار في ساحات المعارك الرئيسية المُحتملة. بينما رأى آخرون، بمن فيهم رئيس الأركان السابق، يغئال يادين، وخليفته، مردخاي ماكليف، خلاف ذلك. واندلع خلافٌ آخر بين قائد جهاز الأمن الداخلي، بنيامين جيبلي، ورئيس الموساد، إيسر هاريل. جادل إيسر "الصغير" بأن جميع العمليات الخارجية، بما في ذلك عمليات

الوحدة 131، يجب أن تخضع لإشراف منظمته. كما اعتقد أن خطط الوحدة 131 "متسرعة ومُغامرة، وتفتقر إلى الحكمة والحس السياسي". وكان هاريل سيُوجّه اتهامًا لاحقًا بأنه "لم يكن هناك تنسيق" بين الموساد وأمان بشأن العملية المصرية. 27 اعتقد هاركابي أن
كان من المفترض ألا يُفعّل النظام ١٣١ في زمن السلم. وصرح لاحقًا: "كان مُعدًّا للاستخدام في الحرب لتعويض ضعفنا الجوي. ظنّ البعض في جيش الدفاع الإسرائيلي أن الشبكات ستضع قنابل [ضد أهداف استراتيجية]. كان هذا ما تدربوا عليه، وليس لما حدث".
أبلغ هاركابي، الذي كان يتولى رئاسة جهاز الأمن في غياب جيبلي في الخارج، هاريل أن خطط الوحدة ١٣١ كانت معروفة لدى ديان ووزير الدفاع لافون، وأن فرع الاستخبارات قد وضعها بموافقة تامة منهما. وأصرّ رئيس الموساد لاحقًا على أنه متأكد من أن رئيس الوزراء بن غوريون لم يكن على علم بالخطط.
وطالب هاريل بإعادة تشكيل لجنة الاثنين.
- رئيس الموساد ونائب رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي - الذي تم تشكيله لتوجيه عمل الوحدة 131 في عام 1950. ناقشت هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي هذا الطلب ثم أصدرت تعليماتها إلى هاركابي بإبلاغ هاريل، في منتصف فبراير 1954، بأن وزير الدفاع قد قرر أن جيش الدفاع الإسرائيلي يجب أن يظل مسيطرًا على الوحدة.
131 (على الرغم من أن استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي يجب أن "تبقي [الموساد] في الصورة").29
في اجتماعٍ لاحق، قرب نهاية الشهر، فشل هاريل في إقناع لافون. تدهورت العلاقات بين الموساد واستخباراتِ جيش الدفاع الإسرائيلي أكثر عندما عاد جيبلي من

في الخارج في مارس/آذار ١٩٥٤: اشتكى "الصغير" إيسر قائلاً: "استغل جيبلي دعم لافون لعزل الموساد وإلغاء الترتيبات القائمة بينهما تعسفياً". ووافقه هاركابي قائلاً: "وصل تعاون استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي مع أجهزة جمع المعلومات الاستخبارية في الخارج، التي يديرها الموساد، إلى أدنى مستوياته". وأضاف: "كان لدى جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) عملاء يهود في الدول العربية أكثر بكثير مما لدى الموساد. كان الموساد يدير عملاء عرباً بشكل أساسي". اشتكى إيسر من أننا أرسلنا عملاء من الدرجة الثالثة. ربما كان محقاً. كنا عموماً نرسل أشخاصاً يعانون من مشاكل. من غيرنا سيكون مستعداً للخدمة في دولة عربية؟ أي شخص عادي؟ ٣٠

الخطأ
دون عائق من هاريل، شرعت الشبكة المصرية للوحدة 131 في موجة القصف. في 2 يوليو 1954، وُضعت قنابل حارقة صغيرة في عدة صناديق بريد في الإسكندرية. في 14 يوليو، انفجرت قنابل صغيرة غير ضارة في المراكز الثقافية الأمريكية في القاهرة والإسكندرية. في 23 يوليو، شرع أعضاء الشبكة في زرع قنابل في دور السينما في القاهرة والإسكندرية وفي ساحة حشد السكك الحديدية في الإسكندرية. انفجرت قنبلة قبل أوانها في جيب أحد أفراد المجموعة، فيليب ناتانسون، بينما كان على وشك دخول سينما ريو في الإسكندرية. أُلقي القبض على ناتانسون، وفي تلك الليلة ألقت شرطة الأمن المصرية القبض على بقية الشبكة: الدكتور موشيه مرزوق، وشموئيل أزار، ومارسيل نينيو، وفيكتور ليفي، وروبرت داسا، ومائير زعفران، ومائير ميوحاس، وإيلي يعقوب، وأزار كوهين. حاول نينيو الانتحار لكنه فشل.11

اعتقل المصريون أيضًا يوسف كريمونا، وهو يهودي آخر لا علاقة له بالشبكة. توفي كريمونا بعد فترة وجيزة في الأسر. قال المصريون إنه انتحار، بينما اعتقد جيبلي خلاف ذلك. بعد وقت قصير من إعلان الصحافة المصرية عن وفاة كريمونا، أبلغ رئيس أمان هاريل ووزارة الخارجية: "لقد صمد كريمونا لساعات طويلة من الضرب والتعذيب حتى فارق الحياة. عندما رأى المصريون أنه مات، شنقوه في الحمام وتركوه..."

هو... [لاحقًا، ذهب المصريون] "للبحث" عن كريمونا، فوجدوه مشنوقًا بلا حراك. وخلص تشريح جثة كريمونا إلى أنه توفي قبل شنقه.

كما ألقى المصريون القبض على ماكس بينيت، جاسوس الوحدة ١٣١ الذي كان يعمل بشكل مستقل في القاهرة، والذي كانت له صلة غير مباشرة بالشبكة. ويبدو أن أمان قد استخدم بينيت، في انتهاك صارخ لقاعدة التقسيم، مرة واحدة على الأقل، لنقل أموال إلى الشبكة اليهودية في القاهرة. إما أن تكون جهة اتصاله في الشبكة، مارسيل نينيو، أو إيلاد، قد أبلغت عنه المصريين. وكان على السير هاريل أن يؤكد أن إيلاد خان بينيت، على الرغم من أن بعض زملائه لم يتفقوا مع هذا التقييم. 33 كشف نينيو، تحت وطأة التعذيب، عن ماركة سيارة بينيت وسنة صنعها (مع أنه لم يكشف عن اسمه لأنها لم تكن تعرفه). وأكد هاريل أن إيلاد قد كشفت عن بينيت قبل أن تدلي نينيو باعترافها. 34

وُلد بينيت في المجر عام ١٩١٧ لأبوين ألمانيين، وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٥. عمل بحارًا في يافا، وسرعان ما اكتشفه جهاز الموساد الإسرائيلي (L'Aliya Bet). ثم عمل بينيت في استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي في طهران وبغداد. في عام ١٩٥١، انضم إلى الوحدة ١٣١، حيث كان مسؤوله أبراهام دار. في عام ١٩٥٢، أُرسل إلى ألمانيا الغربية لتعزيز سلطته.

دخل بينيت مصر ممثلاً لشركة ألمانية للأطراف الصناعية. وأصبح لاحقًا الوكيل الرئيسي لشركة فورد في مصر، وهو منصب مكّنه من زيارة القواعد العسكرية المصرية والتواصل الوثيق مع رئيس المجلس العسكري في القاهرة، اللواء محمد نجيب. قبل اعتقاله، تمكن بينيت من إرسال زوجته وابنته من القاهرة إلى ألمانيا الغربية. بقي بليد، قائد الشبكة، في مصر لمدة أسبوعين آخرين، ثم غادر البلاد. لسنوات بعد ذلك، اتهم هاريل إيلاد علنًا بخيانة الشبكة للمصريين.

بعد سقوط الشبكة بوقت قصير، اضطرت أمان للاعتراف بمسؤوليتها عما حدث، وعن السجناء وعن الجهود المبذولة لمساعدتهم. وفي اجتماع رفيع المستوى بين الوزارات في مكتب رئيس الوزراء بالقدس في أكتوبر/تشرين الأول 1954، اتفق جيبلي على ما يلي:

كان فرع الاستخبارات هو الجهة التي استوعبت هؤلاء الأشخاص، ودربتهم على أداء واجباتهم، وجنّد بعضهم، وكلّفتهم بمهام محددة. لذلك، عليه أن يتولى مسؤولية عائلات وأقارب [السجناء]، معنويًا وماديًا... علاوة على ذلك، فإن معرفة رجال الاستخبارات بخلفية [السجناء] وظروفهم العائلية تعني أنه وحده القادر، عند الحاجة، على منع الابتزاز والمطالبات غير المبررة [من قِبل أفراد العائلة].

وقد تقرر تعيين ضابط من جهاز الأمن العام في مكتب رئيس الوزراء طيلة مدة القضية، ليتولى التعامل مع العائلات.36

بعد هذا الاجتماع، قام جيبلي بتنشيط مجموعة واسعة من المبادرات الأوروبية

اتصالات لتحسين معاملة المتهمين في القاهرة أو إطلاق سراحهم. وكان من بين من تواصل معهم برلمانيون فرنسيون مثل كوف دو مورفيل ودانيال ماير، بالإضافة إلى محامين بريطانيين وفرنسيين بارزين. حتى أن جيبلي أقنع حكومة ألمانيا الغربية بالاعتراف بجنسية ماكس بينيه الألمانية والتوسط نيابةً عنه لدى السلطات المصرية.3 7

بدأت محاكمة الشبكة في القاهرة في 11 ديسمبر 1954.

انتحر بينيت في 21 ديسمبر/كانون الأول. بعد وفاته، وفي تعاون استخباراتي عربي نادر، أبلغ العراقيون القاهرة أن بينيت، الذي ورد اسمه في محاكمة عصابة الموساد عام 1951 في بغداد، كان "يرأس شبكة تجسس واسعة النطاق عملت في العراق وإيران..."38. حُكم على مرزوق وعزار بالإعدام، ونُفذ الحكم في 31 يناير/كانون الثاني 1955. وحُكم على العملاء الآخرين بالسجن، تراوحت بين سبع سنوات والسجن المؤبد. وبُرِّئ اثنان من الأعضاء، هما يعقوب وكوهين.

'من أعطى الأمر؟'

تُولّد كوارث من هذا النوع لجان تحقيق، ولم تكن المحاولة السافرة لإثارة الخلاف بين مصر والولايات المتحدة وبريطانيا استثناءً. وأكد بنحاس لافون أن تفعيل الشبكة المصرية كان...

وقعت العملية دون إذنه. عُيّن رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي السابق، يعقوب دوري، ورئيس المحكمة العليا، إسحاق أولشان، للتحقيق فيما عُرف في السياسة الإسرائيلية بـ"القضية" (هاباراشا) أو "الخطأ" (هايسك هابيش). واجهت اللجنة المكونة من شخصين أدلة متضاربة، ووثائق مزورة، ومجموعة متنوعة من عمليات التستر المشتبه بها، وقضت بأنها غير قادرة على تحديد أين تكمن الحقيقة بشأن السؤال الحاسم حول من أصدر الأمر. ادعت سكرتيرة جيبلي، داليا غولدشتاين، بعد سنوات أنها تلقت أوامر من رئيسها بتزوير وثيقة بالغة الأهمية - رسالة من صفحتين من جيبلي إلى ديان بتاريخ 19 يوليو/تموز 1954 - يُزعم أنها تُظهر أن لافون مسؤول عن الأمر المشؤوم بتنشيط خلية القاهرة.39 وخرج كل من وزير الدفاع ورئيس جهاز المخابرات (أمان) ملطخين بدماء لا يمكن إصلاحها.40

على الرغم من شكوك هاريل، أرسل جيبلي إيلاد إلى ألمانيا الغربية (وفقًا لهاريل، لمنع إيلاد من الإدلاء بشهادات صادقة في التحقيقات المختلفة التي أجريت في تل أبيب). تلقى إيلاد تعليمات بتجنيد عملاء وإنشاء شركات استيراد وتصدير وهمية. اتصل بالعقيد عثمان نوري، الملحق العسكري المصري في بون، الذي التقى به في القاهرة عندما كان نوري نائبًا لمدير المخابرات العسكرية المصرية. اقترح إيلاد على تل أبيب التعاقد مع نوري، عازمًا على الانطلاق في مسيرة مهنية كـ "عميل مزدوج". لعب أمان بالفكرة لكن هاريل رفضها بشدة وطالب بعودة إيلاد فورًا إلى إسرائيل. عاد إيلاد ولكن سرعان ما سمحت له الوحدة 131 بالعودة إلى أوروبا. في وقت مبكر من إقامته في ألمانيا، طُلب من إيلاد تزويد تل أبيب بقائمة تضم حوالي عشرة مجندين ألمان محتملين. أدرج في القائمة شابًا ألمانيًا غربيًا أحضره لاحقًا كشريك في شركة وهمية. (ولم يكن الألماني يعلم أن إيلاد إسرائيلي، ناهيك عن كونه جاسوساً.)

لكن يبدو أن إيلاد نسي القائمة، ففي عام ١٩٥٦، أرسل إيلاد الشاب الألماني وسيطًا إلى العقيد نوري مع عرض لبيع وثائق وأسرار عن الوحدة ١٣١. وبالصدفة، بدأ عميل شاب بريطاني المولد في الموساد يُدعى

ديفيد كيمحي بمراجعة قائمة المجندين المحتملين التي قدمها إيلاد. ودعا شريك إيلاد الألماني لتناول مشروب.

وتحت ستارٍ زائف (من الناتو)، استطلع كيمحي احتمال تجنيده. ذكر كيمحي العقيد نوري كهدفٍ محتمل. قال الشاب الألماني: "أجل، أعرف الرجل. شريكي [إلعاد] يحاول بيعه شيئًا ما". وهكذا انتهت اللعبة.41 استُدرج إلعاد إلى تل أبيب، واستُجوب، وحوكم، وسُجن عشر سنوات بتهمة التواصل غير المصرح به مع المخابرات المصرية. بعد إطلاق سراحه، هاجر إلى كاليفورنيا، حيث شرع في كتابة "الرجل الثالث" (هاآدام هاشليشي)، وهو سردٌ حيّ وذاتي لدوره في "الباراشا".
استقال لافون في 17 فبراير 1955 (وخلفه في وزارة الدفاع سلفه بن غوريون، الذي سرعان ما تولى رئاسة الوزراء أيضًا. كان بن غوريون في إجازة منذ ديسمبر 1953، عندما أصبح موشيه شاريت رئيسًا للوزراء). تدحرجت الرؤوس. في أبريل، تمت إزالة جيبلي من قيادة أمان وبن تسور من قيادة الوحدة 131. خلف جيبلي هاركابي. استقال أبراهام دار من مخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي في عام 1957 احتجاجًا على فشل إسرائيل في إجبار مصر على إطلاق سراح أعضاء شبكة القاهرة في تبادل للأسرى بعد حملة سيناء في نوفمبر 1956. دون علم الإسرائيليين، كان من بين هؤلاء الأسرى الجنرال محمد ديجوي، حاكم غزة، الذي شغل منصب رئيس المحكمة المصرية التي حكمت على جاسوسين القاهرة بالإعدام في عام 1955.
تم إطلاق سراح السجناء الأربعة المتبقين - مارسيل نينيو، وفيكتور ليفي، وفيليب ناتانسون، وروبرت داسا - إلى جانب جاسوسين إسرائيليين آخرين - وولفغانغ لوتز وزوجته - في عام 1967. وكان خليفة هاريل في رئاسة الموساد، مائير أميت، هو من خطط لإطلاق سراحهم، حيث اتخذ خطوة غير عادية بإرسال نداء شخصي إلى ناصر.
في نهاية حرب ١٩٦٧، كان لدى إسرائيل ستة آلاف أسير حرب مصري؛ واحتجزت مصر سبعة جنود إسرائيليين وستة عملاء. رفض ناصر بشدة إدراج العملاء في صفقة تبادل أسرى. أقنع أميت رئيس الوزراء، ليفي إشكول، بعدم المضي قدمًا في صفقة تبادل لا تشمل عملاء الشبكة. منح إشكول والحكومة أميت "بضعة أشهر".
في البداية حاول رئيس الموساد استخدام الحرب النفسية.

خاطب ناصر الضباط من بين أسرى الحرب، قائلاً لهم إن رفضه إطلاق سراح العملاء كان عائقًا أمام إطلاق سراح جميع الأسرى. ثم أطلق سراح اثنين من الضباط وألف جندي كبادرة حسن نية. لكن لم يصل أي خبر من القاهرة.
لضيق الوقت، جمع أميت خبراءه في الشؤون العربية ومجموعة من علماء النفس لصياغة رسالة شخصية إلى ناصر. اقترح أميت تبادلاً علنياً لأسرى الحرب. أما بالنسبة للعملاء المسجونين، فقد قال رئيس الموساد إن إسرائيل ستعتمد على نزاهة ناصر وحساسيته لمعاناتهم. من جانبها، ستُبقي إسرائيل موافقة مصر على إطلاق سراح العملاء سراً. عندما لم يتلقَّ أي رد، جدد أميت مناشدته عبر قائد هيئة الأمم المتحدة لمراقبة الهدنة (UNTSO)، الجنرال أود بول، الذي طُلب منه أن يطلب من ناصر الوعد بالإفراج عن الستة "في وقت لاحق". أعطى الزعيم المصري بول موافقته، وبعد أسابيع قليلة من تبادل الأسرى، نُقل الستة جواً إلى سويسرا. حددت أوراق إطلاق سراحهم "جنيف" "وجهتهم النهائية".42

تقييم الأضرار

لم يكن سجناء الوحدة ١٣١ في القاهرة، ولافون ومسؤولو المخابرات في تل أبيب، الضحايا الوحيدين لهذه القضية. بل كان الضرر الذي ألحقته، والأحكام القاسية، بعملية السلام الإسرائيلية المصرية، التي كانت قد استأنفت نشاطها آنذاك، وإن كانت سرية.

منذ انقلاب الضباط الأحرار عام 1952 وظهور عبد الناصر لاحقًا كحاكم جديد لمصر، نظر المسؤولون والسياسيون الإسرائيليون إلى القاهرة على أنها المرشح الأكثر وعدًا لتجديد جهود السلام الإسرائيلية العربية. تلاشت آمال سلام إسرائيلي أردني منفصل أو معاهدة عدم حرب في المسجد الأقصى في القدس الشرقية في 20 يوليو 1951، عندما اغتال قاتل فلسطيني الملك عبد الله ملك الأردن. منذ عام 1947، راود عبد الله فكرة إبرام سلام منفصل مع إسرائيل، لكنه تراجع عن حافة الهاوية كلما بدا التوقيع وشيكًا. وضع اغتياله حدًا للود الهاشمي الطويل مع اليهود؛ وكان خليفة عبد الله، طلال، بعيدًا كل البعد عن الرغبة في التدخل حيث

كان الأب الأكثر جلالًا قد خشي في النهاية أن يخطو خطوة كهذه. توجهت القدس الآن نحو ناصر.

لكن الاتصالات الإسرائيلية المصرية السرية خلال عامي 1953 و1954، والتي كانت في

بدت إحدى النقاط واعدة، لكنها تبددت بحملة القصف وسقوط شبكة الوحدة 131. طالبت إسرائيل مصر بالامتناع عن فرض أحكام قاسية على العملاء المسجونين، وتلقت "وعدًا مصريًا صريحًا بعدم فرض عقوبة الإعدام". كرر ناصر هذا التأكيد شخصيًا للدبلوماسيين الغربيين. لذلك، عندما أُعلنت أحكام الإعدام، ثم نُفذت، ساد شعور في القدس بأن ناصر قد تراجع عن وعده. علق دبلوماسي إسرائيلي بارز: "من الواضح أن نتائج المحاكمة قد حجبت في الوقت الحالي أي إمكانية للمضي قدمًا في المسار الذي حدده ناصر بنفسه، بمبادرة منه". "سيزداد العداء... وقد نفترض أن فترة ضبط النفس التي نتمتع بها في مواجهة الاستفزازات المصرية ستنتهي أيضًا عند أول بادرة عداء مصرية".

كان التقييم اللاحق لجدعون رافائيل، مستشار وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط، أن المحاكمة قد عززت موقف المسؤولين الإسرائيليين الراغبين في العمل العسكري. وكتب: "من ناحية أخرى، عزز الجيش وأجهزة المخابرات المصرية يقظتها وأنشطتها خوفًا من أن تُفعّل إسرائيل تهديداتها". في النهاية، كما قال رافائيل، "وُجّهت الضربة". جاءت في 28 فبراير/شباط 1955، بغارة انتقامية واسعة النطاق شنّها جيش الدفاع الإسرائيلي على معسكر للجيش المصري في غزة. نفّذت العملية، المسمّاة "حيتز شاحور" (السهم الأسود)، سريتان من المظليين، بقيادة المقدم إيل أريل (أريك) شارون. وأسفرت عن مقتل ستة وثلاثين جنديًا مصريًا وفلسطينيًا وغير نظامي، وثمانية إسرائيليين.44

الفدائيون

كانت غارة غزة إعلانًا عن تخلي إسرائيل عن علاقاتها مع مصر. لكن ذلك لم يكن نتيجةً لأحكام الإعدام في القاهرة، بل نتيجةً لسنوات من التدمير.

هاجمت قوات غير نظامية فلسطينية ومصرية عبر حدود قطاع غزة والضفة الغربية. وقد حوّلت عمليات الاجتياح العربية، التي كانت غالبًا على بُعد عشرة أميال من تل أبيب وعلى مشارف القدس، مساحات شاسعة من الحدود إلى مناطق قتال حقيقية، وكان الخوف من هجوم مفاجئ الشغل الشاغل للعديد من الإسرائيليين.

كان قتال الغزاة العرب، الذين سرعان ما أُطلق عليهم عالميًا اسم "الفدائيين"، والتحضير للجولة الثانية ضد الجيوش العربية النظامية، الشاغلين الرئيسيين لجيش الدفاع الإسرائيلي بين عامي 1949 و1956، وبالتالي استخباراته. دفعت الهجمات العربية إسرائيل إلى اتباع استراتيجية قائمة على الكمائن والدوريات، وشن ضربات انتقامية هجومية موجهة إما إلى "قواعد" المتسللين، أو إلى القرى الحدودية العربية، أو إلى مواقع الجيشين المصري والأردني. صُممت هذه الهجمات للضغط على الحكومات العربية المعنية لتضييق الخناق على الغزاة. -

بدءًا من تلقاء أنفسهم خلال الأشهر الأخيرة من حرب عام 1948، بدأت مجموعات صغيرة من اللاجئين الفلسطينيين أو اللاجئين الأفراد من بين حوالي 700000 الذين فروا من المنطقة التي أصبحت إسرائيل بالتسلل إلى حدود الدولة الجديدة شديدة الهشاشة. حدثت مئات من عمليات التسلل كل شهر. أراد بعض المتسللين العودة وإعادة التوطين - بشكل غير قانوني، في نظر الإسرائيليين - في منازلهم السابقة. رغب البعض في زيارة أقاربهم على الجانب الإسرائيلي من الحدود. كان معظمهم عازمًا على الكسب المادي - في البداية من خلال محاولة جمع الممتلكات والمحاصيل في القرى المهجورة، وفي وقت لاحق عن طريق السرقة من المزارعين اليهود أو تهريب المخدرات أو العملات. قطع المتسللون أسلاك الهاتف وأتلفوا معدات الري. اشتبك بعضهم مع القوات الإسرائيلية أو المستوطنين. كان عدد قليل من عمليات التسلل يهدف إلى قتل الإسرائيليين أو تخريب الأهداف الإسرائيلية أو جمع المعلومات الاستخبارية.

بحلول أبريل 1952 ارتكب المتسللون العرب "4000 جريمة"

- معظمها سرقة - على الأراضي الإسرائيلية. أُسر حوالي 6000، وأُعيد جميعهم تقريبًا عبر الحدود بعد قضاء فترات سجنهم. قُتل حوالي 100 إسرائيلي على يد المتسللين خلال هذه الفترة، وقُتل حوالي 200 آخرين حتى حرب عام 1956. وقعت إحدى أبرز لحظات الحملة في 17

في 19 مارس 1954، هاجمت عصابة من المهاجمين حافلة مدنية إسرائيلية في معاليه عقربيم في وسط النقب، مما أسفر عن مقتل أحد عشر راكباً.45

في البداية كانت عمليات التسلل غير منظمة، ولكن بحلول أوائل عام 1954، أصبحت مجموعة المنظمات السياسية والعسكرية العربية

- كان من الممكن ملاحظة وجود جماعات إرهابية - مثل جماعة الإخوان المسلمين، والهيئة العربية العليا، وحكومة عموم فلسطين شبه المنحلة التي كانت تتخذ من مصر مقراً لها - في بعض الغارات الأكثر دموية. على سبيل المثال، حددت المخابرات الأردنية هوية الشيخ توفيق إبراهيم الغلاييني (أبو إبراهيم الصغير)، وهو زعيم عصابة نشط في منطقة جنين، كعميل للجنة العربية العليا.46 كان من الواضح أن المخابرات العسكرية المصرية كانت وراء بعض غارات عام 1954.

"خلق الخوف"

في منتصف عام ١٩٥٥، وعقب الضربة الإسرائيلية الانتقامية الكبيرة في غزة، تحولت عمليات الفدائيين إلى حرب عصابات شاملة مولتها وأدارتها المخابرات العسكرية المصرية، مع تزايد مشاركة الجيشين السوري والأردني. ووفقًا للملحق العسكري الأردني في القاهرة، كانت نية مصر "خلق..."
... جوٌّ من الخوف وفقدان الأمن داخل إسرائيل، مما سيُزعزع الثقة بالحكومة والجيش. ستزداد الهجرة، وتنخفض أعداد الوافدين، وستتحسن معنويات الجيش المصري والفلسطينيين في منطقة غزة.47
كان التحدي الذي واجهه جهاز الاستخبارات الإسرائيلي معقدًا: تحديد هوية المتسللين وقادتهم وشركائهم؛ وتحديد قواعد التسلل ومساراته وأهدافه؛ وتتبع الإدارة السياسية والأهداف الاستراتيجية، إن وُجدت، للعمليات؛ وتقديم المشورة بشأن السبل التي يمكن من خلالها لجيش الدفاع الإسرائيلي والموساد والشين بيت مكافحة الفدائيين. وفي بعض الأحيان، كانت استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي تُنفذ عملياتها بنفسها، فترسل عملاءها لمهاجمة المتسللين أو من يُديرهم.

كان الفدائيون هم مصدر رزق أقسام العمليات والبحث في جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) - وبدرجة أقل، جهاز الأمن العام (الشاباك) وفرع الشرطة الخاص حتى عام 1956.

- القرويون على جانبي الحدود واللاجئون في المخيمات
- كانت هذه العمليات مصدرًا حيويًا للمعلومات. وكذلك كانت استجوابات المتسللين المعتقلين. أما دوريات جمع المعلومات الاستخبارية التي يقوم بها جيش الدفاع الإسرائيلي، والتنصت على المكالمات الهاتفية، واعتراض الاتصالات اللاسلكية، فكانت أقل أهمية.

كان من بين المخبرين عميل يُدعى "غادي"، أبلغ في أوائل عام ١٩٥٤ مسؤوله الإسرائيلي، مكتب أمن في منطقة القدس، عن محادثة دارت بينه وبين أحد سكان بيت لقيا، وهي قرية بالضفة الغربية غرب القدس، تتعلق بجريمة قتل في مستوطنة يهودية قريبة. ووفقًا لمصدر "غادي"، تسلل ثلاثة فلسطينيين مسلحين ببندقية شمايسر وبندقية تومي إلى منطقة بيت محسير لسرقة ماعز وأبقار. وفي قرية كسالون، أطلقوا النار على يهودي مسلح ببندقية ستين واستولى على سلاحه. كما وصف مخبر العميل الطريق الدقيق الذي سلكته العصابة من وإلى كسالون.
كان المتسللون الذين يتم القبض عليهم متعاونين عادةً أثناء الاستجواب. ألقت الشرطة الإسرائيلية القبض على حسين حسن فرج العبد، بائع خضراوات غزي يبلغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا، في 29 سبتمبر 1954 على بُعد حوالي خمسة عشر ميلًا شمال قطاع غزة. بعد الاستجواب، قدمه خاطفوه إلى مراقب من الأمم المتحدة كجزء من شكوى إلى لجنة الهدنة المشتركة المصرية الإسرائيلية. (كانت إسرائيل والدول العربية تقدم مئات الشكاوى سنويًا بشأن انتهاكات الحدود - التسللات وتبادل إطلاق النار - إلى كل لجنة هدنة ثنائية، والتي كان يرأسها ضابط من الأمم المتحدة. حاولت لجان الهدنة المشتركة تهدئة الحدود من خلال اتفاقيات محلية متفاوض عليها، وحكمت على من يتحمل مسؤولية انتهاكات الهدنة). قال العبد إنه دخل إسرائيل في منتصف سبتمبر. قال إنه لم يكن يعلم غرض المهمة، لكن العقيد مصطفى حافظ، رئيس المخابرات العسكرية المصرية في قطاع غزة، كلف شخصيًا في مركز شرطة غزة بالذهاب مع عبد ربه إلى جولس، قرب عسقلان. رفض عبد: "هددني حافظ بأنه إذا لم أعمل معهم، فسوف يضربونني ويزجون بي في السجن ويقطعون عني مؤونتي وطعامي".

"تموينات العائلة... [لذا] لم يكن أمامي أي بديل آخر". ووعد بجنيه مصري واحد.
وصف عابد العملية التي استمرت عشرة أيام، وادعى أنه كان
أعزل، لكن رفاقه كانوا يحملون بنادق ستين. كانت المهمة الرئيسية للمجموعة، على ما يبدو، جمع المعلومات الاستخبارية. بالإضافة إلى بندقية ستين وذخيرتها، مُنح عبد ربه "ورقة وقلم رصاص". خلال تجوالهم، تبادل المتسللون إطلاق النار مع حراس إسرائيليين، وفجّروا جرارًا، وسرقوا ملابس من حبل غسيل على أطراف مستوطنة، واختطفوا حمارين وإوزتين، وأخيرًا واجهوا دورية. أُصيب عبد ربه برصاصة في ساقه وأُسر، على الرغم من أن رفاقه الثلاثة تمكنوا من الفرار.49
كان جمع المعلومات الاستخباراتية ضد المتسللين صعباً حتى عام 1954، لأن عمليات المتسللين كانت غير منظمة وغير منسقة إلى حد كبير، ولم تكن هناك أهداف واضحة للرد عليها.50 وأصبح عمل الاستخبارات الإسرائيلية أكثر بساطة مع انخراط المنظمات العسكرية العربية المختلفة في عمليات الفداء، ثم بدء إدارتها فعلياً.
حتى عام 1954، كان جيش الدفاع الإسرائيلي يخبر "العالم الخارجي" (وكذلك كبار المسؤولين)
مسؤولون إسرائيليون) أن التسلل على الحدود الأردنية الإسرائيلية كان "برعاية أو إلهام أو توجيه أو على الأقل استغلال من قبل الفيلق [العربي]". ولكن في الخفاء كان جيش الدفاع الإسرائيلي يعرف أكثر من ذلك. ذكرت تقارير استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي مرارًا وتكرارًا صراحةً أن الفيلق العربي، وأحيانًا الجيش المصري أيضًا، كانا يبذلان جهودًا للحد من التسلل. 51 في بداية عام 1954، عندما طلب مسؤولو وزارة الخارجية من هاركابي بعض "الدليل الوثائقي" على "تواطؤ الفيلق"، رد نائب رئيس أمان - مرتين - بأنه لا يوجد مثل هذا الدليل. في الواقع، خلص هاركابي إلى أن الأردنيين كانوا "يبذلون قصارى جهدهم" لمنع التسلل. علق أحد مسؤولي وزارة الخارجية الإسرائيلية بسخرية: "عند الاستماع إلى باتي [هاركابي] أو زملائه هذه الأيام، يمكن للمرء أن يخطئهم تقريبًا على أنهم وزارة الخارجية البريطانية". ومضى المسؤول في شرح المشكلة التي نشأت على هذا النحو، بعد تصريحات متكررة على العكس من ذلك من قبل بن غوريون وشاريت وأبا إيبان. إذا كان التواطؤ الأردني كذبة، فعلينا أن نستمر في الكذب. إذا لم يكن هناك دليل [على هذا التواطؤ]، فعلينا أن

"اختلاقها"، كتب. "على الرغم من "الاكتشافات" الأخيرة للجيش، أعتقد أنه يجب علينا الاستمرار في الضغط على نقطة التواطؤ، ويمكننا القيام بذلك بضمير مرتاح." 52
كان من الواضح بالتأكيد لمعظم المسؤولين الإسرائيليين، على الأقل حتى نهاية عام 1955، أن القائد البريطاني للفيلق العربي، الجنرال جون غلوب (باشا)، كان متشددًا ضد الغارات لأنها جلبت أعمال انتقامية إسرائيلية ضد الأردن وعقدت واجبات الفيلق. في أوائل عام 1954، على سبيل المثال، اشتكى غلوب إلى وزير الدفاع الأردني من أن المتسللين إلى إسرائيل "لا يُعاقبون". جادل غلوب بأن "جميع أنشطة التسلل تستلزم رد فعل العدو". وعلق قسم الأبحاث بوزارة الخارجية الإسرائيلية على هذا قائلاً: "تتوافق هذه المعلومات مع معلومات استخباراتية موثوقة أخرى، مما يثبت أن الحكومة الأردنية غير مهتمة بالتسلل، بل على العكس، تتخذ خطوات للحد من هذه الظاهرة. من ناحية أخرى، يبدو أن هناك فجوة كبيرة بين الأمر العام [للحد من التسلل] وتنفيذه الفعال من قبل المسؤولين على طول الحدود". 53 وبعد بضعة

أسابيع، وبعد مذبحة حافلة معاليه عقربيم، أفادت الاستخبارات الإسرائيلية أن غلوب يبذل "جهوداً كبيرة" لتحديد هوية مرتكبي الجريمة ومكانهم. 54

لكن غلوب لم يكن يمثل جميع تيارات الرأي في المملكة الهاشمية. سرعان ما حذت الأردن حذو مصر في القيام بدور نشط في تشجيع العمليات الفدائية ثم تنظيمها. منذ منتصف عام 1955، اعتبر أمان - عن حق - حملة الفدائيين جزءًا من استراتيجية "تليين" عربية منسقة استعدادًا "للجولة الثانية" ضد إسرائيل. قال الحركابي إن الحملة كانت تديرها مصر، التي حولت في سبتمبر تركيز العمليات من قطاع غزة شمالًا إلى الأردن وسوريا ولبنان، حيث أدار العمليات الملحقون العسكريون المصريون. تم إرسال بعض العملاء المحليين إلى مصر لتدريب الكوماندوز. كشف الحركابي: "نعلم أن المخربين الذين يهاجمون من غزة قد أُمروا بالانسحاب إلى منطقة الخليل وعدم العودة إلى غزة بأي حال من الأحوال، من أجل طمس آثارهم وتحويل اللوم [بعيدًا عن مصر]". حدد مراكز الفدائيين المحلية - إربد في الأردن، ومارون الراس وبنت جبيل في

لبنان - وقال إن "أسماء بعض منظمي العصابات وأساليب عملهم معروفة، ونحن نراقبهم عن كثب".55

وعلى الرغم من هذه الأدلة القوية، فقد اضطرت أمان إلى الانتظار لأكثر من ستة أشهر قبل أن تحصل على موافقة مجلس الوزراء لشن حملة اغتيالات ضد المتحكمين الرئيسيين في عمليات الفدائيين.

الموت في غزة

كان العقيد مصطفى حافظ مديرًا للمخابرات العسكرية المصرية في قطاع غزة. وكان مسؤولاً أيضًا عن جميع أنشطة الفدائيين المصريين ضد إسرائيل. في مساء يوم 11 يوليو 1956، قبل ثلاثة أشهر من غزو إسرائيل وبريطانيا وفرنسا لمصر، كان حافظ جالسًا في حديقة مقره في غزة عندما وصل عميل من فلسطين. ذهب حافظ وزميله، الرائد عمرو الهريدي، لرؤية الرجل - محمد التلالكة. كان التلالكة قد زار إسرائيل ست مرات في الشهرين الماضيين في مهام لحافظ. باستخدام أقارب بدو إسرائيليين كوسطاء، تطوع التلالكة بخدماته للمخابرات الإسرائيلية، وكان يقدم تقارير منتظمة إلى حافظ. في ظاهر الأمر، بدا أن التلالكة في طريقه إلى مهنة ناجحة كعميل مزدوج. لكن أمان رأى من خلاله (بعد مراقبة محادثة بين التلالكة وقريب له، والذي كان أيضًا عميلًا مزدوجًا للمصريين). كانت هذه مهمته الأخيرة.

كلفه مراقبو تالالكا الإسرائيليون - الذين كان يعرفهم فقط باسم "صادق" و"أبو نصاف" و"أبو سليم" - بمهمة ذات أولوية قصوى، وكان يتوقع أن يحصل منها على مكافأة مناسبة. أُمر بتسليم كتاب مغلف بورق بني إلى مفتش شرطة غزة، لطفي العكاوي. أُبلغ تالالكا عمدًا أن الكتاب يحتوي على رسالة سرية إلى العكاوي من المخابرات الإسرائيلية. أخفى الكتاب، وكما كان متوقعًا، عبر الحدود وتوجه مباشرة إلى مقر حافظ، حيث أخبر حافظ وهريدي بما حدث. توسل تالالكا - الذي يبدو أنه لا يزال يتطلع إلى المكافأة الإسرائيلية - أن يُسمح له بتسليم الكتاب إلى العكاوي شخصيًا. لكن

كان فضول حافظ شديدًا. فنزع الغلاف. سقطت ورقة على الأرض، فانحنى ليلتقطها، فانفجرت العبوة بقنبلتها التي تزن 400 غرام. وفي رواية أخرى، طرد حافظ تالالكا من الغرفة قبل أن يفتح العبوة، لكن العميل، بدافع الفضول أيضًا، حدق في الغرفة من خلال نافذة أو ثقب مفتاح. أصيب حافظ والهريدي

وتالالكا بجروح بالغة. وتوفي حافظ بعد ساعات قليلة، وأصيب تالالكا بالعمى مدى الحياة. أُلقي القبض على عكاوي لاحقًا، لكن تحقيقًا مصريًا لاحقًا برأه. كما بُرِّئت تالالكا. وجاء في التقرير المصري، الذي قُدِّم إلى الرئيس عبد الناصر:

الهجوم على حافظ... كان ذلك نتيجة تخطيط استخباراتي إسرائيلي شيطاني. استغل الإسرائيليون غباء العميل المصري طلالقة واستخدموه أداةً في المؤامرة الأساسية... ظنّ أنه يُسلّم حافظ جاسوسًا خطيرًا [عكاوي]... كان خطأ حافظ أنه، على الرغم من حذره المبالغ فيه المعتاد وخبرته الواسعة، فتح الطرد بنفسه.56

كان الملحق العسكري المصري في عمّان، المقدم صلاح مصطفى، أكثر إهمالاً. كان مصطفى رجل حافظ في الأردن، الذي كان يُدار من خلاله العديد من هجمات الفدائيين على المستوطنات الحدودية الإسرائيلية. لا بد أن مصطفى قد سمع بوفاة حافظ في اليوم السابق. ومع ذلك، في 12 يوليو/تموز، اليوم التالي لاغتيال غزة، استلم سائق مصطفى من مكتب البريد المركزي طردًا مُرسلًا من القدس الشرقية، ظاهريًا من مقر مراقبي الهدنة التابعين للأمم المتحدة. أعاد السائق الطرد - الذي كان يحتوي على سيرة ذاتية للمارشال الألماني فون روندشتيدت - إلى السيارة وسلمه إلى مصطفى. عندما فتح الملحق المصري الطرد، انفجر في وجهه. توفي مصطفى بعد ساعات.

كان كلا التفجيرين من تنفيذ وكالة أمان، حيث تولى مديرها، يهوشافات هركابي، المسؤولية الشخصية عن العملية. في أكتوبر/تشرين الأول السابق، أعلن هركابي أن حافظ هو العقل المدبر لأنشطة الفدائيين، وأن صلاح مصطفى هو منظمها في الأردن. كان ينبغي على كليهما اعتبار البيان العام بمثابة تحذير - كما كان مقصودًا.

كانت التفجيرات بمبادرة من حاييم ليفاكوف، ضابط مخابرات مخضرم في بالرنا. بعد عدة أشهر، وبعد

بعد الغزو الإسرائيلي لقطاع غزة في نوفمبر 1956، ذهب ليفاكوف للبحث عن تالالكا. وجده في منزل بائس في مخيم للاجئين، وندبة طويلة تشق وجهه. كان أعمى تمامًا. يتذكر ليفاكوف لاحقًا: "قدّم لنا الشاي، لكننا رفضنا. قال تالالكا: لا تقلق، لن أسممك".

هدف الأردن

راقب أمان عن كثب الدور الأردني المتغير في عمليات الفدائيين، بدءًا من المقاومة، ثم السلبية، ثم المشاركة الفاعلة كشريك، وصولًا إلى المشاركة المستقلة في تنظيم الغارات. وحتى منتصف عام ١٩٥٥، حاولت السلطات الأردنية - ولا سيما الجيش العربي والمحاكم - وقف التسلل المعادي لإسرائيل من الأراضي الأردنية. «وفقًا لجميع المعلومات المتوفرة لدينا... فإن الأردنيين مهتمون حقًا بمنع التسلل من بلادهم إلى إسرائيل، وهم يحاولون...»

"... لإنهائه"، كتب أحد مسؤولي إدارة الأبحاث في منتصف عام 1953. "من الواضح تمامًا أن التسلل لم يتم تنظيمه أو توجيهه و/أو تشجيعه من قبل السلطات الأردنية المسؤولة". 59

وقد رصدت مذكرة صادرة عن فرع استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي في منتصف عام 1956 هذا التحول التدريجي من السلبية إلى النشاط:
منذ خريف عام 1955، شهدنا نشاط عناصر غير نظامية من الأردن، نظمتها السلطات المصرية والسورية... وقد استمر هذا النشاط حتى وقت قريب دون علم السلطات المركزية الأردنية وكان سريًا إلى حد كبير.. وفي أبريل 1956، تغير الوضع إلى الأسوأ، مع تزايد تعاون السلطات الأردنية في تنظيم مجموعات غير نظامية [فدائيين] موجهة للإرهاب ضد إسرائيل... ثم استضافت السلطات الأردنية... بطريقة منظمة مجموعات الفدائيين الذين وصلوا... من قطاع غزة... وعددهم لا يقل عن سبعين [مقاتلاً]... [وقد] استقبلتهم وحدات من الفيلق العربي بشرف، وحظوا بترحاب احتفالي في المدن العربية، وخاصة في الخليل وبيت لحم، وتم إيواؤهم في معسكرات الفيلق العربي... وبعد ذلك مباشرة،

بدأت السلطات الأردنية بنفسها في تشكيل مجموعات من غير النظاميين لمهاجمة إسرائيل. خلال الشهر الماضي، كان هناك تجنيد واسع النطاق للاجئين والمجرمين... ضباط التجنيد هم ضباط كتائب في الحرس الوطني وقادة مناطق الشرطة... ووعد المجندون براتب يدفعه الفيلق العربي... يتم تدريب متطوعين مختارين على التخريب في معسكرات الفيلق العربي... لدينا قوائم تتضمن أسماء ضباط الفيلق العربي والشرطة الأردنية الذين ينظمون هذا التجنيد... في الماضي، كانت عادتنا نقل مثل هذه المعلومات إلى الأمم المتحدة والسلطات الأردنية، ولكن في ضوء مشاركة السلطات الأردنية في هذه الأنشطة، يبدو أنه لا جدوى من تسليم القوائم، لأن النتيجة ستكون فقط تعريض مصادر معلوماتنا للخطر.60

الذكاء واختبار المعركة: 1956

كانت غارات الفدائيين على إسرائيل، وما رافقها من غارات مضادة، السبب الرئيسي لغزو جيش الدفاع الإسرائيلي لشبه جزيرة سيناء في 29 أكتوبر/تشرين الأول 1956، الجناح الشرقي للهجوم الأنجلو-فرنسي-الإسرائيلي على مصر، المعروف باسم حملة السويس. كان الدافع المباشر للهجوم الإسرائيلي هو الخوف من القدرة العسكرية المصرية، التي كان يُعتقد أنها ستزداد بشكل كبير قريبًا نتيجة صفقة الأسلحة المصرية التشيكية عام 1955. خشي قادة جيش الدفاع الإسرائيلي من أن عشرات الطائرات المقاتلة والقاذفات والدبابات والمدافع الحديثة، سوفيتية الصنع، التي بدأت تتدفق على مصر، ستقلب الموازين العسكرية ضد إسرائيل بشكل كبير في غضون أشهر، وأن توجيه ضربة استباقية كان ضروريًا للبقاء.
لجأ جنرالات إسرائيل، في حالة يأس، إلى فرنسا لتزويدها بمعدات غربية مضادة. وفي الوقت نفسه، ضغطوا على الحكومة لتنفيذ خططها لشن ضربة استباقية تهدف إلى تدمير الجيش المصري قبل أن يصبح قويًا جدًا بحيث لا يستطيع جيش الدفاع الإسرائيلي مواجهته. وبمجرد إبرام التحالف السري مع بريطانيا وفرنسا، منح بن غوريون رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي موشيه ديان الضوء الأخضر، وفي 29 أكتوبر/تشرين الأول 1956، انطلقت حملة سيناء.

بدأ العد التنازلي للحرب بخطأ استخباراتي إسرائيلي فادح. كانت غارة المتسللين هي التي دفعت جيش الدفاع الإسرائيلي إلى مهاجمة المعسكر العسكري المصري في غزة في 28 فبراير/شباط 1955. وخلافًا لجميع توقعات شعبة الاستخبارات، أدت تلك الغارة إلى حملة عصابات مصرية واسعة النطاق ضد إسرائيل، وإلى صفقة أسلحة تشيكية.

وفقًا لوكالة أمان، ساد الهدوء النسبي على حدود غزة خلال الأشهر التي سبقت الغارة. لكن منذ بداية فبراير، كثّفت مصر عملياتها الاستطلاعية عبر الحدود، "خوفًا من أن تستغل إسرائيل الأزمة العربية" (الناجمة عن توقيع حلف بغداد) لمهاجمة مصر. في 26 فبراير، قتلت هذه الكشافة المصرية راكب دراجة إسرائيليًا قرب رحوفوت؛ وشنّ جيش الدفاع الإسرائيلي هجومًا بعد يومين.

في تقييمها للتداعيات المحتملة لغارة غزة، جادلت استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي بأن الاستخبارات العسكرية المصرية "قد تُسبب توترًا على طول الحدود" أو تُقدم الدعم "للمنظمات المحلية". ولم يُشر التقرير إلى أن المصريين، كأحد خياراتهم، يُمكنهم شنّ حملة حرب عصابات واسعة النطاق عبر الحدود - وهو ما فعلوه بالضبط. كما لم تُشر أمان، في هذه الوثيقة الشاملة المكونة من اثنتي عشرة صفحة، إلى أن المصريين قد يلجأون، ردًا على غزة، إلى الكتلة الشرقية للحصول على الأسلحة - وهو ما فعلوه أيضًا. في الواقع، عند النظر في ردود الفعل الدولية على الغارة، أغفل التقييم الاستخباراتي تمامًا ذكر الكتلة السوفيتية.61

عندما أعلن ناصر علنًا عن صفقة الأسلحة التشيكية، في 27 سبتمبر/أيلول 1955، سادت حالة من الصدمة والهلع في القدس. وعلى الفور، شرعت هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي وشعبة الاستخبارات في نقاش داخلي واسع النطاق حول نطاق الصفقة، والمدة التي سيستغرقها المصريون لاستيعاب الأسلحة الجديدة ونشرها، ومدى فعاليتها. ونتيجةً للإخفاقات التي كشفت عنها الصفقة التشيكية، أنشأ فرع الاستخبارات قسمين جديدين: قسم فني، بقيادة تسفي رويتر، تولى دراسة قدرات مختلف الأسلحة السوفيتية الجديدة التي أُدخلت أو على وشك الدخول إلى المنطقة؛ وقسم دولي، ضمن إدارة الأبحاث، ركزت مهمته بشكل رئيسي على رصد التغلغل السياسي والعسكري السوفيتي في الشرق الأوسط.62

كان هناك إجماع شبه تام في هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي وفي أوساط جهاز المخابرات العامة (أمان) على أن مصر عازمة على الحرب، وأن صفقة الأسلحة مُعدّة لجولة ثانية. ولم يبقَ سوى التساؤل حول من سيبادر ومتى.

لم يتضح حجم الصفقة لإسرائيل إلا في نهاية يناير/كانون الثاني 1956، كما ذكر ديان في مذكراته الحربية: "إن حجم [الصفقة] أكبر بكثير مما كنا نتصور: 200 طائرة ميج-1 إس...؛ وخمسون قاذفة إليوشن؛ وستون مركبة نصف مجنزرة مزودة بمدفع عيار 122 ملم؛ و275 دبابة تي-34...".63 شعر ديان أن المصريين سيكونون في وضع يسمح لهم بمهاجمة إسرائيل، بأسلحة أقوى مما تمتلكه إسرائيل، في غضون "أشهر". وتبنى فرع الاستخبارات "نظرة أقل إثارة للقلق للوضع".

كان الفشل في التنبؤ بالعواقب المحتملة لغارة غزة، أو حتى التلميح إليها، خاتمةً مناسبةً لخمس سنوات من فشل استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي في تقييم النتائج المحتملة لرد إسرائيل على عمليات التسلل وتوغلات الفدائيين تقييمًا سليمًا. خلال أوائل العقد الأول من القرن العشرين، هاجمت وحدات صغيرة من جيش الدفاع الإسرائيلي منازل في قرى أو بالقرب منها حددتها استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي على أنها

قواعد أو نقاط انطلاق للمتسللين. وفي كثير من الأحيان، كانت الغارات الانتقامية - التي غالبًا ما كانت بنفس ضراوة الهجمات العربية التي دفعت إليها، إن لم تكن أكثر - تصيب الأبرياء بدلًا من المذنبين أو شركائهم. وإذا كان الهدف من هذه السياسة هو ترويع المتسللين أو الدول العربية المضيفة لوقف الغارات، فقد كان فشلًا ذريعًا.

في أكتوبر/تشرين الأول 1953، وعقب هجوم قبية الذي قُتل فيه أكثر من خمسين قرويًا عربيًا على يد فرقة غارة إسرائيلية، قررت هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي تغيير سياستها - مهاجمة القواعد والمواقع العسكرية العربية بدلًا من الأهداف المدنية التي اعتُبرت، عن صواب أو خطأ، قواعد فدائية. وكان الهدف إجبار الجيوش العربية على كبح جماح المتسللين لتجنب ضربات إسرائيلية انتقامية قد تؤدي إلى حرب شاملة، ينتصر فيها جيش الدفاع الإسرائيلي.

إن حقيقة أن سياسة الرد، في مرحلتيها، فشلت في كبح جماح التسللات، بل وأدت، منذ عام ١٩٥٥، إلى زيادة هجمات الفدائيين، لم تُقدَّر حق قدرها من قِبَل أمان، أو على الأقل، لم تُنقل بقوة إلى هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي. ولكن على

أدى فرع الاستخبارات الميداني، العملياتي، عمله بكفاءة. فقد اختار الأهداف وأنتج خرائط ومعلومات عن طرق الوصول ومواقع العدو. واستندت معلومات أمان الاستخباراتية عن الأهداف المحتملة في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى "ملفات القرى" - وهي من بقايا أيام شاي، عندما كان نظام فهرس البطاقات، الذي يتضمن بيانات مفصلة عن كل قرية عربية في فلسطين، أساس عمليات الهاغاناه والبلماح. وأمر قائده، أرييل شارون، جدعون مهنائي، ضابط الاستخبارات في لواء المظليين، بتحديث هذه المواد. وسرعان ما ظهر ملف يحتوي على صور برية وجوية، وتقارير مراقبة وتقارير عملاء عن كل قرية وموقع عسكري وشرطي. كما ساهمت دوريات الاستطلاع ومراكز التنصت داخل خطوط العدو واستجواب الأسرى في توفير المزيد من المعلومات.

هدف مصر

خلال عام ١٩٥٦، تحوّل تركيز جمع المعلومات من قِبل جهازي الاستخبارات والأمن (أمان) والموساد من أهداف الفدائيين في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى مصر نفسها. وقد حلّ محلّ وخزات حرب العصابات الانشغال بترسانة مصر المتنامية والمتطورة، وتهديدات القاهرة المتكررة بشن جولة "ثانية" و"نهائية" ضد إسرائيل.

جعل إعلان ناصر في 26 يوليو/تموز 1956 عن تأميم مصر لقناة السويس الحرب حتمية إلى حد ما. جمعت الوحدة 131، التي ضمت أفري إيلاد64 وأبراهام دار، لسنوات معلومات استخباراتية عن القوات المسلحة المصرية، وتحديدًا عن تشكيل المعركة المصرية في سيناء. توغلت فرق الاستخبارات الميدانية مرارًا وتكرارًا خلف الخطوط المصرية لجمع معلومات عن محاور التقدم (خاصةً تلك المناسبة للدبابات والمركبات نصف المجنزرة) والانتشارات المصرية. تكثفت هذه الجهود مع اقتراب موعد الغزو - ليلة 29 أكتوبر/تشرين الأول. دخلت ألوية المشاة والمدرعات التابعة لجيش الدفاع الإسرائيلي المعركة بتجهيز جيد نسبيًا.

كان لدى استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي صورة واضحة للغاية عن

ترتيب المعركة المصري (والأردني والسوري واللبناني)، حتى مستوى الكتائب وحتى السرايا، عشية الهجوم على سيناء. في 15 سبتمبر/أيلول 1956، دوّن بن غوريون بالتفصيل تقييم أمان (الذي أجراه قبل أربعة أيام) لترتيب معركة جميع الجيوش العربية.65

أشار ديان في فبراير/شباط إلى أن مصر ركزت تسعة من ألويةها الستة عشر في سيناء. (في عام ١٩٥٥، لم يكن هناك سوى لواء مصري واحد في سيناء). اعتقد رئيس الأركان - ربما عن خطأ - أن المصريين كانوا يستعدون للحرب في الربيع. على الرغم من أن القوات المسلحة المصرية لم تكن مستعدة لحرب ناجحة ضد إسرائيل، إلا أن الوثائق المصرية التي تم الاستيلاء عليها خلال حملة السويس تُظهر بوضوح أن نوايا نظام عبد الناصر "الجولة الثانية" قد تم بثها في جميع أنحاء الجيش المصري.66 أفاد الموساد في نهاية عام ١٩٥٥ أن "دوائر غربية موثوقة وذات معرفة كانت مقتنعة بأن مصر ستهاجم إسرائيل في غضون ثمانية أشهر تقريبًا".67 كانت تقييمات جيش الدفاع الإسرائيلي مبنية على أسس متينة.

انسحبت العديد من الوحدات المصرية المتمركزة في سيناء في أوائل عام ١٩٥٦ غربًا خلال الصيف لحراسة قناة السويس بعد إعلان ناصر الدرامي عن تأميم القناة. وراقب فرع المخابرات بدقة تغيرات الأوضاع المصرية.

لكن ديان حثّ بن غوريون باستمرار على شنّ ضربة استباقية ضد مصر. كما ضغطت إسرائيل على الولايات المتحدة للحصول على أسلحة لتعويض صفقة الأسلحة التشيكية. لم يكن الجميع ميّالاً للعدوان. فقد لاحظ موشيه شاريت، وزير الخارجية "الحمائمي"، تصاعد هستيريا الحرب بقلق: "تمتلئ الصحافة بعناوين صارخة حول تمركز القوات المصرية "على الحدود"... [بناءً على إحاطات من جيش الدفاع الإسرائيلي]. الانطباع المتبقي هو أننا على شفا الحرب، لكن القارئ المتشكك يستطيع أن يفهم أننا بالغنا بشكل مصطنع [في هذا الانطباع من أجل] تعزيز طلبنا على الأسلحة".68 شعر شاريت أن جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) يدعم هذه الهستيريا. وأشار بعد بضعة أشهر إلى أن "فرع المخابرات يعاني من تحيز واضح ويحشد الحقائق لتعزيز وجهة نظر سياسية".69

الخداع

كان النجاح الرئيسي الذي حققته أمان عام ١٩٥٦، إلى جانب التقييم الدقيق لترتيب المعركة العربية، هو خطة الخداع الكبرى التي أُطلقت في النصف الثاني من أكتوبر، في الأيام الأخيرة قبل الغزو. عبر وسائل الإعلام وعملاء في أنحاء العالم العربي، نشر فرع المخابرات شائعة مفادها أن الأردن، وليس مصر، هو الهدف الإسرائيلي المحتمل.

جزء من الخداع تضمن معلومات مضللة حول دخول وحدات الجيش العراقي إلى الأردن. قيل للعديد من جنود الاحتياط في جيش الدفاع الإسرائيلي أن الصدام مع الأردن وشيك. أعلنت القدس مرارًا وتكرارًا أنها ستعتبر تحركات القوات العراقية إلى الأردن سببًا للحرب؛ نشر الشائعة بأن هذا قد حدث بالفعل ساهم في تعزيز الاعتقاد في الدول العربية المجاورة وفي بعض العواصم الغربية بأن إسرائيل على وشك مهاجمة الأردن. في 29 أكتوبر 1956، قبل ساعات قليلة فقط من إنزال كتيبة مظليين إسرائيلية بالقرب من ممر متلا، في عمق الخطوط المصرية في سيناء، وصلت برقية إلى القدس من الرئيس أيزنهاور يعرب فيها عن

قلقه إزاء التعبئة الإسرائيلية ويبلغ إسرائيل بأن القوات العراقية لم تدخل الأردن. من جانبه، عزز الأردن انتشاره على الخطوط الأمامية ونشر العراق فرقة كاملة بالقرب من حدوده مع المملكة الهاشمية.
تم إطلاق عملية خداع ثانوية من قبل الموساد، تحت التوجيه الشخصي لإيسر هاريل.70 وتضمن ذلك تقديم معلومات مضللة للمصريين من خلال قناة غير متوقعة
- ربما عميل عربي أو سوفيتي معروف في إسرائيل. استمرت العملية لأشهر. مع اقتراب هجوم جيش الدفاع الإسرائيلي، زوّد هاريل هذه القناة بمعلومات قال لاحقًا إنها "العامل الرئيسي في ثني المصريين عن شن هجمات جوية على المدن الإسرائيلية".71
افتقرت مدن إسرائيل عام ١٩٥٦ إلى أي دفاعات جوية فعّالة، وخلال الأيام الأولى الحاسمة من الحرب، انشغلت أسراب مقاتلات سلاح الجو الإسرائيلي بشكل شبه كامل في أدوار الدعم الأرضي أو في الاعتراض الجوي فوق ساحة المعركة. كانت تل أبيب وحيفا والقدس بلا دفاعات إلى حد كبير (باستثناء حفنة من الطائرات التي نشرها الفرنسيون طوال فترة الحرب).

ساعد خداع هاريل في إبعاد القاذفات المصرية. ليس من الواضح ما هي المعلومات المضللة التي أقنعت القاهرة بوقف هجماتها الجوية. ربما كانت تقارير كاذبة أو مبالغ فيها عن تعزيز الدفاعات الجوية. أو ربما كانت تلميحات إلى وجود التزام أمريكي لإسرائيل بالتدخل إذا هاجم المصريون مدنها.
يبدو أن جيمس أنجلتون، رئيس قسم مكافحة التجسس في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (IAC)، كان قناةً أخرى غير مقصودة ومكملة لخدعة الموساد، حيث حافظ على علاقة وثيقة ومتعاطفة مع الإسرائيليين. ووفقًا لروبرت أموري، نائب مدير الاستخبارات في وكالة المخابرات المركزية، علمت واشنطن بالهجوم الإسرائيلي الوشيك عندما أبلغ الملحق العسكري الأمريكي في تل أبيب باستدعاء سائقه، وهو جندي احتياط إسرائيلي معاق. خلص أموري إلى أن التعبئة الشاملة جارية. اعترض أنجلتون بشدة. أخبره معارفه الإسرائيليون بشكل قاطع أنه لن يكون هناك هجوم. وصف أموري الغاضب أنجلتون بأنه "عميل إسرائيلي مُستغل"، لكن بعد سنوات، جادل أموري بأن أنجلتون "مخدوع وليس مخادعًا". 72
في عشية الحرب، أتاحت المعلومات الاستخباراتية الدقيقة للإسرائيليين توجيه ضربة تحضيرية قوية ضد المصريين. ففي ليلة 28 أكتوبر، وقبل ساعات فقط من إنزال المظليين قرب ممر متلا، أسقطت طائرة ميتيور تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي، باستخدام مدافعها المجنحة، طائرة نقل من طراز إليوشن-14 فوق البحر الأبيض المتوسط. كانت تقل ثمانية عشر ضابطًا مصريًا رفيع المستوى من هيئة الأركان العامة، كانوا عائدين إلى القاهرة من دمشق بعد توقيع اتفاقية دفاع مشترك مع سوريا. نجا القائد العام لجيش عبد الناصر، المشير عبد الحكيم عامر، لأنه تخلف في اللحظة الأخيرة. قال ديان لطيار ميتيور، يوآش تسيدون، عند عودته إلى القاعدة: "انتهى النصف الأول من الحرب. لنذهب ونحتسي الشراب حتى النصف الثاني".
لم تعترف إسرائيل بمسؤوليتها عن إسقاط طائرة إليوشن، وتلقى تسيدون استدعاءً مع ترك تفاصيل مغامرته فارغة لأسباب أمنية. 73
وكانت حساسية الانقلاب شديدة إلى درجة أنه عندما تم وصف الحادث بالكامل للمرة الأولى، بعد مرور أكثر من ثلاثين عاماً، اشتكت مصادر في جيش الدفاع الإسرائيلي من أن الرقابة العسكرية أخطأت في الموافقة على الانقلاب.

قصة للنشر. ٧٤ في ذلك الوقت، ترك الحادث انطباعًا قويًا لدى المصريين. بعد عامين، في عام ١٩٥٨، عندما زار ناصر الزعيم اليوغوسلافي تيتو، سافر على متن اليخت الرسمي "حرية" برفقة مدمرتين. كتب محمد هيكل، مؤتمن الرئيس، "كان يُعتقد أن البحر وسيلة نقل أكثر أمانًا من الجو، إذ كان يُعتقد أن الإسرائيليين تمكنوا عشية حرب السويس من إسقاط طائرة كانت تحلق فوق البحر الأبيض المتوسط باستخدام سلاح سري".٧٥

5
الأعداء في الداخل:
67-1948

بدايات الشاباك

وُلِد جهاز الأمن العام الإسرائيلي (شيروت هابيتاخون هاكلالي، الشاباك، أو الشين بيت) بما أسماه بن غوريون "الشاي الداخلي" في 30 يونيو 1948. أقام قائده، إيسر هاريل، مقرًا له في عدة مبانٍ مهجورة في جفعا، حيث قام رجاله قبل أسابيع فقط، مباشرة بعد الهجرة الفلسطينية، بتمشيط المدينة المهجورة بحثًا عن وثائق عسكرية وسياسية عربية. نُقل معظم موظفي "الشاي" إلى جهاز استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي الجديد الذي كان يرأسه إيسر بئيري. أما القلائل الذين انضموا إلى هاريل فقد عملوا تحت إمرته في تل أبيب، أو مثلوا "الشاي" في القدس وحيفا وأماكن أخرى. في أوائل عام 1949، بعد إقالة بئيري المخلوع من منصبه كرئيس لاستخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، طلب بن غوريون من هاريل تولي مكافحة التجسس بالإضافة إلى مهامه الأخرى؛ وقد جلب هذا وفرة مرحب بها من القوى العاملة الجديدة. تم نقل جهاز شين ميم 3 بالكامل من جيش الدفاع الإسرائيلي إلى جهاز الأمن.1

حتى عام ١٩٥٠، ظلّ جهاز الأمن العام (الشاباك) تابعًا إداريًا لجيش الدفاع الإسرائيلي، الذي كان يوفر له الغطاء والخدمات والرتب العسكرية والرواتب. رُقّي هاريل إلى رتبة مقدم. وكان نائبه إيسي دوروت (المعروف سابقًا باسم إيزيدور روث)، وهو يهودي بولندي نحيف أشقر الشعر، قدم إلى فلسطين عام ١٩٣٦، وخدم برتبة رقيب في وحدة استجواب أسرى الحرب التابعة للمخابرات العسكرية البريطانية، ثم عمل في جهاز الأمن الداخلي (شاي) في تل أبيب في الأيام الأخيرة من الانتداب. ومثل غيره في تلك الفترة، ساعد دوروت في تنظيم الدفاع عن النفس لليهود والهجرة غير الشرعية من أوروبا المحررة.

كان هاريل يؤمن إيمانًا راسخًا بالحاجة إلى جهاز أمن مدني بحت، وضغط مرارًا وتكرارًا لإبعاده عن جناح الجيش، الذي لم يوفر سوى حماية ضئيلة في معركة الميزانيات والمباني والقوى العاملة. في أوائل عام 1950، تم التوصل إلى حل وسط وتم إلحاق الشاباك بوزارة الدفاع، على الرغم من أن "الصغير" إيسر كان لا يزال يشكو لبن غوريون من وجود صعوبات في العلاقة. أخبره هاريل أن خمسة عشر رجلاً من الشاباك

العاملين في الخارج لم يتلقوا رواتبهم لمدة ثمانية أشهر. أمر بن غوريون بالسداد الفوري للمبلغ المستحق وقدره 70 ألف دولار.3 بعد ذلك بوقت قصير، أصبح الجهاز مستقلاً، ومسؤولًا مباشرة أمام رئيس الوزراء، وهو ترتيب لا يزال قائمًا حتى يومنا هذا. في يناير 1951، قدم هاريل مقترحين للميزانية السنوية: أحدهما (11888000) خصص رواتب 600 موظف؛ والثاني أصغر (11717940) لـ 420.4

كان الفساد والسوق السوداء من أبرز الظواهر السائدة قبل الاستقلال في السنوات الأولى من التقشف والتقنين، واعتمد بن غوريون اعتمادًا كبيرًا على هاريل، المعروف بتزمّته، في إعداد تقاريره حول تأثير ذلك على المزاج العام، وخاصةً على شعبية الحكومة. وقد دوّن رئيس الوزراء في مذكراته: "جميع المهاجرين يتحدثون عن المحسوبية [الحماية]، ونادرًا ما تجد عائلة لا تشتري من السوق السوداء. في منزل إيسر، لا يوجد ما يؤكل لأنه لا يفعل ذلك".

لم يتم الإعلان عن وجود جهاز الشاباك علناً،

على الرغم من أن أنشطتها جذبت الانتباه بسرعة. في عام 1949

وقد لاحظ أعضاء حزب هيروت المعارض اليميني، الذي شكله قدامى أعضاء منظمة إرجون بزعامة مناحيم بيجين، أنهم يتعرضون للمطاردة فأبلغوا الشرطة، التي اعتقلت شابين وامرأة، ولكن تم إطلاق سراح العملاء على الفور دون تفسير.6 ومنذ سبتمبر/أيلول 1952، عندما حل هاريل محل روفين شيلواح كرئيس للموساد، أدار دوروت . الملقب بـ"دافني" . جهاز الشين بيت لمدة عام، وهي حقيقة لم تصبح معروفة للعامة إلا بعد وفاته بعد ما يقرب من ثلاثين عاماً.7

بحلول خريف عام 1953، وبعد خروج شيلواه من واشنطن (كوزير مفوض في السفارة الإسرائيلية) وإعادة تنظيم الموساد تحت سيطرته القوية، أصبح هاريل

عندما أعاد بن غوريون دوروت المخلصة نائبةً له مسؤولةً عن الاتصال بأجهزة الاستخبارات الأجنبية الصديقة، ووافق على تعيين رئيس جديد للشاباك، طلب بن غوريون من هاريل اختيار مرشحه بنفسه، وهدد "الصغير" إيسر بالاستقالة - وهو ما أصبح عادةً إلى أن استقال أخيرًا بعد عشر سنوات - عندما أعرب بعض مستشاري رئيس الوزراء عن شكوكهم في اختياره، عاموس مانور.8 قال أحد زملائه: "انتقد بعض الناس إيسر واعتبروا مانور مجرد مهاجر جديد. لكنه كان لامعًا وغنيًا بالأفكار، وربما أراد النقاد المنصب لأنفسهم".9

مانور، المولود باسم آرثر مندلوفيتش لعائلة كبيرة وثرية في سيغيت، ترانسلفانيا المجرية، وصل إلى إسرائيل عام ١٩٤٩ وترقى بسرعة في سلك الخدمة الحكومية رغم وصوله المتأخر وانعدام انتماءاته الحزبية على نحوٍ غير مألوف. علّمه والده الصهيوني اللغة العبرية وكرة القدم، التي ظلّت شغفه طوال حياته. كان مانور يدرس في باريس عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية، ونجا من أوشفيتز ليخدم في منظمة بريخا. طوال فترة عمله كرئيس لجهاز الأمن التي استمرت عقدًا من الزمان، ظلّ مجهولًا لدى الرأي العام الإسرائيلي، لكنه نال احترامًا دائمًا من زملائه وقادته السياسيين.

قبل أن يخلف دوروت عام ١٩٥٣، صنع مانور اسمه وسمعته كرئيس لقسم الكتلة السوفيتية في قسم مكافحة التجسس بجهاز الأمن الداخلي (الشاباك). شكّل المهاجرون اليهود الجدد من وراء الستار الحديدي، والبعثات الدبلوماسية الإسرائيلية، والجاليات اليهودية في أوروبا الشرقية، مصادر استخباراتية قيّمة. والأهم من ذلك، أنهم وفّروا لإسرائيل رصيدًا لا يُقدّر بثمن في تعاملاتها مع أجهزة المخابرات الأجنبية الصديقة،

وخاصة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) ورئيسها السابق لمكافحة التجسس، جيمس جيسوس أنجلتون. قال هاريل لاحقًا: "جاء مانور بتوصيات ممتازة. كانت لديه خبرة واسعة مع الكتلة السوفيتية لأنها كانت موطنه. كان رجلًا موهوبًا للغاية يتمتع بحسٍّ ثاقب، وقد أثبت جدارته تمامًا. كانت علاقاتنا دائمًا على أسس متينة، لكننا لم نكن أصدقاء قط".
في سبتمبر/أيلول 1963، عندما قبل رئيس الوزراء ليفي إشكول استقالة "مسؤول حكومي كبير"

لقد كان مانور يرأس خدمة حكومية حيوية لأكثر من عشر سنوات، كما تم وصفه بخجل، وقد تم تقديمه بشكل مجامل - بشكل لا يزال مجهولاً - من قبل إحدى الصحف:
لقد أنجز مهمته دون أن تظهر صوره أو اسمه في الصحافة، وبظهوره الرسمي النادر فقط، وهو ما لا يتوافق مع روحه المرحة وميله العام إلى حب الناس، رغم بصيرته الفذة في إدراك نقاط ضعفهم. إنه طويل القامة، وسيم، وصاحب خطوة نشيطة تُسقط الأوراق عن الطاولة عند دخوله الغرفة، لكن حسه الفكاهي صمد في وجه كل المحن التي عانى منها يهود أوروبا في ظل النازية.11
لم يتحدث قط عن عمله. قال بسخرية لمؤرخ أراد إجراء مقابلة معه بعد ربع قرن من استقالته: "لا يهمني إن كنتَ بطلاً خارقاً. لستُ مصدراً للمعلومات عن الفترة التي كنتُ فيها رئيساً لجهاز الأمن".12
ربما كان إيهود أفريل، الذي عرفه منذ فترة بريخا، هو من عرّف مانور على العالم السري. كان يتحدث العبرية بلكنة مجرية ثقيلة، لكنه كان منفتحًا وعفويًا ومنفتحًا، وكان مختلفًا تمامًا عن إسر، الذي لم يُتهم قط بأنه رجل عالمي. شعر هاريل بالراحة مع مانور، لكن لم يكن هناك شك فيمن كان له وزن أكبر. قال أحد عناصر الشاباك لاحقًا: "عندما عيّن عاموس في البداية، كان إيسر يراقبه عن كثب، ليس لأنه لم يكن يثق به، بل ببساطة لأنه كان كذلك".13
كان من بين أفراد الشاباك الآخرين في هذه السنوات المبكرة العديد ممن خدموا في بريخا أو الجيش البريطاني، مثل مانور نفسه. كان يوسف هارملين أحد المجندين الأوائل الذين خدموا في كليهما. هاجر إلى فلسطين من فيينا عام ١٩٣٩، وترقى إلى رتبة نقيب في اللواء اليهودي، وعمل لفترة وجيزة في شين مي ٣، قسم الأمن الميداني في جهاز استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، قبل أن يُنقل، مع موظفي مكافحة التجسس الآخرين في الوحدة، إلى جهاز الأمن. كان أبراهام كيدرون من شاي - أحد قضاة مئير توبيانسكي - آخر. عمل تسفي أهاروني، وهو كيبوتسي وُلد في ألمانيا باسم هيرمان أرندت، محققًا لأسرى الحرب مع البريطانيين.

الاستخبارات العسكرية في الشرق الأوسط وأوروبا المحررة. تواصل معه دوروت (الذي خدم في الوحدة البريطانية نفسها) عام ١٩٤٩، وترأس فرع التحقيقات في الشاباك لمدة عشر سنوات من أوائل عام ١٩٥٠,١٤ جُنّد أهاروني من قِبل هاريل خلال اجتماع في مقهى كابولسكي. طرح رئيس الشاباك عدة أسئلة عامة، ثم سأل: "ما رأيك في المنشقين؟" (عصابتي الإرغون وشتيرن - "بورشيم" بالعبرية). كانت لغته العبرية ضعيفة آنذاك، ولم يكن لديه أدنى فكرة عن معنى "بورشيم". لكنه لاحظ أن إيسر "الصغير" قد ركّز بشدة على السؤال، كما لو كانت الإجابة حاسمة. تذكر لاحقًا: "بدا لي الأمر وكأنه بوشيم [مجرمين]". "لذلك قلت: "أنا أعارض بالتأكيد". بدا إيسر سعيدًا". وتم تجنيد أهاروني.١٥

دان ليختنشتاين (لاؤور)، قائد مكتب حيفا الإقليمي، بقي في الخدمة لمدة خمس سنوات حتى عام ١٩٥٥؛ وبنحاس كوبل، حتى انتقاله إلى الشرطة عام ١٩٥٣. آخرون، مثل مائير نوفيك، ابن عائلة يهودية أرستقراطية من وارسو، عملوا تحت إمرة هاريل في أواخر الأربعينيات كعضو بارز في القسم الداخلي للشاي. ثم أصبح نوفيك رئيسًا للفرع الخاص بالشرطة.١٦

كان المهاجرون اليهود الجدد من دول الشرق الأوسط، وخاصة العراق، مجندين مفيدين للتعامل مع الشؤون العربية، على الرغم من أن هاريل حرص عمومًا على أن يكون المسؤولون التنفيذيون في هذه المنطقة من الأشكناز. واجه هؤلاء الرجال الميدانيون السفارديم صعوبة أحيانًا في شرح أمور تتعلق بوتيرة الشرق الأوسط وأسلوبه وتوقيته لرؤسائهم في أوروبا الشرقية: فقد أصرّوا على أن العرب يتوقعون أن تتم ملاحقتهم ببطء وصرامة، وأن ثقتهم تكتسب تدريجيًا. لم تُجدِ أساليب التجنيد السريعة والرسمية نفعًا.1 7 كان السفارديم الوحيد الذي شغل منصبًا رفيعًا قبل عام 1967 هو "ف." المولود في دمشق، والذي وصل إلى إسرائيل عام 1950 وعمل لفترة وجيزة في وزارة الخارجية قبل انضمامه إلى جهاز الأمن العام (الشاباك)، وترقى ليخلف تسفي أهاروني في رئاسة فرع التحقيقات في الستينيات. كما كره "إيسر الصغير" خبراء العرب المخضرمين من "المدرسة القديمة" - أشخاص مثل عزرا دانين.

- كان يعتقد أن علاقاته الشخصية مع بعض العرب وجهوده لصالحهم كانت في كثير من الأحيان مدفوعة باعتبارات خاصة.18 كان هاريل لا يثق في تقييمات المستشرقين المحترفين الذين زعموا أنهم "يعرفون" العرب وعقليتهم.

كان يعقوب كاروز، وهو مجري آخر، قد خدم رقيبًا بريطانيًا في سوريا، وأدار عملاء في جهاز المخابرات الإسرائيلي (الشاي) في تل أبيب، وعمل مع جهاز الموساد "العاليا بيت" في شمال أفريقيا قبل أن ينضم إلى جهاز الشاباك في يوليو/تموز 1949. ومثل أهاروني، استُدعي لمقابلة هاريل في مقهى بالقرب من مقر الجهاز في يافا، وعُيّن على الفور قائدًا لمنطقة تل أبيب، حيث شكلت كثرة السفارات والبعثات الأجنبية - وجواسيسها - عبئًا ثقيلًا على ضباط مكافحة التجسس. تولى جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشين بيت) هذه الوظائف من القسم السياسي بوريس غوريبل في يوليو 1950. كما تم استهداف موظفي الأمم المتحدة أيضًا: كان بار ميلودي في حيفا وفندق كايتي دان في تل أبيب، حيث نصب جهاز الأمن العام الإسرائيلي ميكروفونات مخفية، من الأماكن المفضلة لأعضاء قوات حفظ السلام.19 خدم كاروز لاحقًا لفترة وجيزة كقائد لمنطقة القدس قبل أن يتولى قيادة الفرع العربي المهم للجهاز في عام 1952. وباعتباره عبريًا مدربًا أكاديميًا، قدم كاروز مساهمة قيمة في احترافية الجهاز من خلال تجميع مسرد عبري سري لمصطلحات التجسس ومكافحة التجسس: اخترع المصطلحات الجديدة ميدور (التقسيم)، وبود[(الفتحة)، وميشلاش دوميم (صندوق الرسائل الميتة)، وبيت ميفتاشيم (المنزل الآمن).20

ساد جو من الريادة والارتجال الخدمة الناشئة. أطلق هاريل على أسلوبه اسم "التجربة والخطأ". 21 وقال أحد كبار ضباطه: "كنا نحاول بناء شيء من الصفر".

كنا نسعى للتعلم، ونسعى للتطور، ونسعى لبناء تقاليد التميز والتفوق. كان تحديًا كبيرًا، ولكن من ناحية أخرى، كانت لدينا ميزة كبيرة بالبدء من الصفر. لم تكن التقاليد الموروثة أو الأنماط البالية عائقًا أمامنا. صحيح أنه كان علينا أن نتعلم، وأن نبني تقاليدنا الخاصة، لكن عقولنا كانت حرة، والسماء كانت أوميت.22

كان مانور يتمتع بإمكانية الوصول المنتظم إلى موشيه شاريت، الذي حل محل بن جوريون كرئيس للوزراء من نوفمبر 1953 إلى نوفمبر 1955. إن مذكرات شاريت السياسية الطويلة والمفصلة مليئة بالإشارات إلى الجديد، الذي وجده في بعض الأحيان مزعجًا، وهو

كان يُرافقه حراسٌ شخصيون من جهاز الشاباك باستمرار. كما أنقذه الجهاز من إحراجٍ بالغٍ عندما استعاد أحد ضباطه حقيبةً مليئةً بوثائق سريةٍ فقدها رئيس الوزراء سهوًا في طريقه من القدسٍ إلى تل أبيب.21 كانت مسؤولية الأمن المادي الروتيني للمعلومات السرية ومقار الحكومة والمؤسسات الدفاعية تقع على عاتق جهاز الشاباك منذ البداية.

الأولويات
انقسم عمل جهاز الأمن بشكل تقريبي بين مكافحة التجسس والتخريب الداخلي، مع إيلاء اهتمام خاص للأقلية العربية في إسرائيل. في نوفمبر/تشرين الثاني 1948، قُدِّر عدد السكان العرب بنحو 156,000 نسمة، أي ما يعادل حوالي 18% من إجمالي السكان. وبحلول عام 1951، وبسبب الهجرة اليهودية الجماعية، انخفض عددهم إلى حوالي 11%. وبحلول منتصف خمسينيات القرن الماضي، بلغ عدد المواطنين العرب في إسرائيل حوالي 200,000 نسمة، وكان معظمهم لا يزالون يعيشون، كما كانوا سيعيشون حتى إلغاء النظام نهائيًا عام 1966، تحت إدارة عسكرية، تشمل حظر التجول وقوانين المرور وتصاريح الإقامة. وقد قال عرب لزائر أجنبي إلى الناصرة عام 1958: "لم تكن الحكومة العسكرية سوى ستار دخان لإخفاء العمل الأمني الحقيقي الذي يقوم به جهاز الأمن العام (الشاباك) سرًا".24
لكن خلف الكواليس، ومع مرور الوقت، وجدت المنطقة الشمالية لجهاز الأمن العام (الشاباك)، المسؤولة عن الغالبية العظمى من المواطنين العرب، أن جهاز الحكم العسكري قمعي بلا داعٍ، فبدأت تُطالب بإلغائه. في السنوات الأولى، استخدم الجهاز النظام للضغط على العرب بمنح أو حجب الامتيازات. لكن هذا الجانب كان له حدوده، ولم يكن حجة كافية للحفاظ على الحكم العسكري إلى أجل غير مسمى.25
كان الشيوعيون العرب وارتباطاتهم خارج البلاد أولوية مبكرة. في عام ١٩٥١، طلب جهاز الأمن من وزارة الخارجية ودائرة استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي مزيدًا من المعلومات حول الأنشطة الشيوعية في المنطقة، وكشف عن معرفته بأسماء العديد من المواطنين الإسرائيليين الذين خططوا لـ

26 انتقد إلياهو ساسون من وزارة الخارجية التحليل غير المتوازن لتقرير الشاباك عن الأردن، لكنه طلب تشجيع المصدر الذي لم يُذكر اسمه للمادة، لأنه كان يتمتع بوضوح بإمكانية الوصول الجيد إلى الاستخبارات السياسية. 27
لم يكن للمراقبة الرسمية للأنشطة العربية علاقة بخطر التجسس والتخريب بقدر ما كان لها علاقة بخوف السلطات من التطرف السياسي بين الأقلية. وجادل شموئيل ديفان، مستشار رئيس الوزراء للشؤون العربية آنذاك، قائلاً: "تخيلوا ماذا سيحدث لو ألغينا القيود".
العرب الذين كانوا يعيشون في القرى المهجورة، بتحريض وتنظيم من الشيوعيين، سيعودون ويقيمون على أنقاضها، مطالبين باستعادة أراضيهم. ما فائدة ذلك؟ أراضيهم مستغلة. وبعد ذلك، عندما يُحدثون أكبر قدر ممكن من المتاعب بشأن أراضيهم، سيبدأون بالمطالبة بعودة اللاجئين. سيشكلون منظمات وأحزابًا

وجبهات، أي شيء لإثارة المتاعب. هذه هي الخطة في موسكو. لدينا معلومات. هذه "الجبهة العربية" التي شكلوها مؤخرًا كانت جزءًا من المخطط الكبير. كانوا يهدفون إلى خلق ما أعتقد أنهم يسمونه "وضعًا ثوريًا" - لجعل إسرائيل جزائرًا ثانية [حيث بدأت ثورة مسلحة ضد الحكم الاستعماري الفرنسي عام ١٩٥٤].٢٨

حُظرت "الجبهة العربية"، المعروفة باسم "الأرض"، من قِبل وزارة الدفاع عام ١٩٦٤ بعد صراع قانوني طويل. وكان ضغط الشاباك هو السبب الرئيسي وراء هذا القرار. ٢٩

عكست حجة ديفان بدقة وجهة نظر الشاباك بشأن الخطر العربي الداخلي. أفاد هاريل بن غوريون في ديسمبر/كانون الأول 1957 أن الانقسام الناشئ في الحزب الشيوعي بين الأغلبية العربية والقسم اليهودي، ماكي، يعني أن عرب إسرائيل ينوون اتباع تعليمات موسكو بالمطالبة بتقرير المصير وتحويل المثلث والجليل والنقب إلى "جزائر".30

كثيراً ما ذُكرت الاعتبارات الأمنية علناً كسبب لاستمرار نظام الحكم العسكري في المناطق العربية. كان خط وقف إطلاق النار مع الضفة الغربية الأردنية طويلاً، وغير واضح المعالم، وغير محمي، وكان يعيش خلفه مباشرة مئات الآلاف من اللاجئين. وبرزت حالات نادرة من التجسس الفعلي.

أُفيدَ بأن هذه العمليات، كما علّق صحفي بريطاني عام ١٩٥٨، "كانت في معظمها تشمل شبابًا غير ناضجين، يُمكن إرجاع غبائهم جزئيًا إلى إحباطات الحياة في ظل الحكم العسكري. ولم يكن جهاز الحكم العسكري مسؤولًا في كثير من الأحيان عن اعتقالهم: بل كان جهاز المخابرات هو المسؤول عن ذلك".٣١ وافق يعقوب كاروز على هذا التقييم بعد سنوات عديدة: "لم نكن قلقين حقًا بشأن أي شيء على وجه الخصوص"، كما قال. "كان كل شيء جديدًا، وتصرفنا كشاب واثق جدًا من نفسه. حتى الجواسيس لم يكونوا جادين للغاية".٣٢ أُلقي القبض على العديد من عملاء العدو وبحوزتهم نسخ من مجلتي "معرخوت" و"بمحاني"، وهما مجلتان عسكريتان أصدرهما جيش الدفاع الإسرائيلي، وكانتا تُباعان مجانًا للعامة.٣٣

ومع ذلك، صُوِّر الجواسيس العرب الذين ألقي القبض عليهم جهاز الأمن العام (الشاباك) في صورة مثيرة للدهشة وشبه شيطانية. وصفت مختارات صادرة عن وزارة الدفاع عام ١٩٦١ عن التجسس في خمسينيات القرن الماضي الحالة الغريبة لنايفة عاقلة، وهي امرأة من حيفا "تكن كراهية مرضية لليهود، وكانت تُقدّس الديكتاتور المصري جمال عبد الناصر". نفذت عدة مهام غير مهمة لصالح المخابرات الأردنية (شراء بطاقات بريدية لمحاولة العثور على صور لقواعد عسكرية)، وأُلقي القبض عليها مع شريكين لها في يونيو ١٩٥٧ بعد أن شوهدت وهي تعبر الحدود في بيت صفافا، وهي قرية تقع جنوب القدس، وكان نصفها في الأردن.

نصفهم في إسرائيل.

كان لدى محمود ياسين، من قرية عرابة في الجليل الغربي، نفس المشكلة: "كراهية عميقة لدولة إسرائيل وإعجاب أعمى بجمال عبد الناصر". توجه هو وصديقه، وهما عضوان في نادٍ رياضي يديره الحزب الشيوعي الإسرائيلي، ماكي، إلى القنيطرة في مرتفعات الجولان السورية. في دمشق، استجوبهما ضابط مخابرات سوري كبير يُدعى برهان بولس، رئيس قسم إسرائيل في المكتب الثاني، وأُمرا بالعودة إلى إسرائيل. فشلت محاولة ثانية محفوفة بالمخاطر لعبور الحدود من إسرائيل إلى سوريا عندما أصيب شقيق ياسين، أحمد، في عراك مع نيص كبير. في يوليو 1958، تم تنشيط الشبكة عندما ظهر ثلاثة رجال آخرين، مسلحين ويقودهم فلسطيني فر من عرابة خلال حرب 1948، بتعليمات من دمشق لتقديم معلومات عن إسرائيل.

موانئ ومطارات ومعسكرات عسكرية ومحطات رادار. كان ثلاثة عشر عربيًا يعملون لصالح المجموعة عندما اعتقلهم جهاز الأمن العام (الشاباك) في وقت لاحق من ذلك الصيف. احتوت التفاصيل القليلة التي نُشرت للصحافة على جميع عناصر التستر والإخفاء التقليدية لقصة تجسس جيدة: عملاء يختلطون بالحجاج الإسرائيليين الذين عبروا إلى البلدة القديمة في القدس للاحتفال بعيد الميلاد؛ رسل سوريون مسلحون يتسللون عبر الحدود للتواصل مع عملائهم؛ تعارف سري باستخدام كلمات مرور؛ وعلبة كبريت، من أصل سوري، ألقاها رسل على الجانب الإسرائيلي من الحدود، والتي زودت الشرطة والشاباك بدليل حيوي.34
كان لدى جهاز الأمن احترام مهني للمخابرات السورية، على الرغم من أن السوريين غالبًا ما بالغوا في توقعاتهم بشأن قدرات عملائهم: في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، أُرسل جاسوسان لمحاولة التسلل إلى المفاعل النووي الإسرائيلي في ديمونا، الموقع الأكثر حساسية في البلاد بأكملها.35
حقق رجال مانور نجاحاتٍ أخرى عديدة بتتبع يهود، غالبًا مهاجرين جدد من دول عربية، أفادوا بتلقّيهم أموالًا من عرب للتجسس لصالح أجهزة استخبارات معادية، وخاصةً الأردنيين. أدت إحدى عمليات المراقبة هذه إلى اكتشاف مواطن إسرائيلي أقل وطنية، وهو مهاجر عراقي حديث في منتصف العمر، وافق على العمل مع تجسس العدو.36 في النصف الثاني من عام 1957، قُبض على العديد من الإسرائيليين الذين عبروا الحدود إلى الأردن عن غير قصد أو دخلوا البلاد بشكل غير قانوني للتسلية.
- وهي ظاهرة شائعة نسبيًا في ذلك الوقت - أفادوا بأنهم خضعوا للاستجواب من قبل رجل ذي مظهر يهودي يتحدث العبرية بلكنة مغربية فرنسية. تم التعرف عليه بأنه حاييم أفيرجيل، وهو إسرائيلي مغربي المولد يبلغ من العمر تسعة وعشرين عامًا، اختفى من منزله في اللد ذلك الصيف. كانت المخابرات الأردنية قد وعدت بمساعدته على العودة إلى والديه في المغرب إذا تعاون معهم. أُلقي القبض على أفيرجيل وسُجن لمدة أربع سنوات عند عودته إلى إسرائيل عام ١٩٥٨.
في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، كانت مصر تمتلك أكثر أجهزة الاستخبارات العربية نشاطًا وتطورًا.
في عام ١٩٦٣، ألقى جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) القبض على جاسوس مصري يُدعى كابوراك يعقوبيان، الذي كان...

تم إعداده جيدًا لمهمته كعميل طويل الأمد ومجهز بهوية مزيفة. خضع يعقوبيان، وهو أرمني من أصل مصري، لتدريب أساسي في التجسس وأعطي معلومات مفصلة عن الحياة في إسرائيل والعادات الدينية اليهودية. كانت هويته المزيفة إسحاق: (زكي) كوتشوك، وهو من مواليد تركيا. تم تزويده بصور لأقاربه وحتى لقبر والدته. في أواخر عام 1960 حصل على شهادة لاجئ من الأمم المتحدة في القاهرة، وغادر إلى البرازيل في مارس 1961. في ريو دي جانيرو حصل على بطاقة هوية تفيد بأنه يهودي وأجرى اتصالات مع الجالية اليهودية المحلية - وهي صورة طبق الأصل، بشكل غريب، لما كان يفعله الجاسوس الإسرائيلي إيلي كوهين، مستخدمًا الاسم المستعار كمال أمين ثابت، في الجالية العربية في بوينس آيرس في نفس الوقت تمامًا استعدادًا لمهمته إلى سوريا. في ديسمبر 1961، ساعدت الوكالة اليهودية كوتشوك على الهجرة إلى إسرائيل.
مثل أي مهاجر جديد آخر، درس كوتشوك اللغة العبرية في
أولبان (حرفيًا، استوديو؛ مدارس تُدرّس فيها العبرية بكثافة). لكنه فشل في الانضمام إلى سلاح المدرعات في جيش الدفاع الإسرائيلي، بناءً على تعليمات مراقبيه المصريين. كان جهاز الأمن الداخلي (الشاباك) وجهاز

الأمن الميداني في جيش الدفاع الإسرائيلي موضع شك، وكانت مسيرته العسكرية كسائق شاحنة مملة، وهو ما كان عديم الفائدة تقريبًا من وجهة نظر استخباراتية. تشير الأدلة إلى أن يعقوبيان كان تحت المراقبة لفترة طويلة. علم جهاز الأمن أنه كان يستخدم حبرًا سريًا للحفاظ على اتصاله بمراقبيه في أوروبا، ولكن لم يكن يعلم أن المادة التي استخدمها لفك رموز التعليمات التي تلقاها من الخارج كانت مُموّهة على أنها مُلمّع أحذية. حُكم على يعقوبيان بالسجن ثمانية عشر عامًا، لكن أُطلق سراحه في مارس/آذار 1966، مع عميلين مصريين آخرين، مقابل ثلاثة سجناء إسرائيليين.38
كما كانت المخابرات المصرية تدير مغامرًا صغيرًا يُدعى مور
ديخاي لوك، إسرائيلي من أصل مغربي فرّ إلى مصر عبر غزة عام ١٩٦١. انكشفت قضيته بطريقة غريبة ومُحتفى بها في نوفمبر ١٩٦٤، عندما كان مُخبّأً في صندوق سيارة، ومُحمّلاً على متن طائرة كوميت تابعة للخطوط الجوية العربية المتحدة في مطار فيوميتشينو بروما. ساور لوك شكوكٌ حول ملاءمته للتجسس، وكان يُحاول التهرب من المصريين.

أنقذ حمال إيطالي متيقظ حياته، لكن "الرجل في الحقيبة" حُكم عليه بالسجن أحد عشر عامًا بعد ترحيله إلى إسرائيل. كما طُرد ثلاثة "دبلوماسيين" مصريين من إيطاليا. ووفقًا لمصادر إسرائيلية، كان المصريون قد خططوا لإجراء جراحة تجميلية للوك لتغيير مظهره، وتزويده بهوية مزورة، وإرساله إلى إسرائيل لفتح وكالة سفر. وعلق يعقوب كاروز قائلاً: "هذا يوفر غطاءً ممتازًا لعمل المخابرات، إذ يسمح بالاتصال المنتظم مع أشخاص من مختلف مناحي الحياة، ويبرر روابط متنوعة مع دول أجنبية، ويمثل قناة مناسبة لتحويل الأموال".39 لم تكن لدى لوك قط مقومات العميل الناجح، لكن المصريين أبقوه، كما يعتقد كاروز، لأنهم "أذهلهم ببساطة كونه يهوديًا إسرائيليًا... مستعدًا للعمل ضد بلده".40
ربما ساعد كشف لوك جهاز الأمن العام (الشاباك) في القبض على خائن إسرائيلي آخر. كان شموئيل (سارني) باروخ رجل أعمال من مواليد القدس، من عائلة سفاردية معروفة. تواصل مع المصريين في سويسرا في سبتمبر/أيلول 1963، على ما يبدو لأنه كان بحاجة إلى مساعدة مالية بسبب فشل مصنع نسيج أنشأه في مدينة كريات جات التنموية الجنوبية. خضع أفراد المخابرات المصرية في العواصم المحايدة للمراقبة بشكل روتيني، ورُصد باروخ على الفور تقريبًا. صُوّرت اجتماعاته وسُجّلت. شجعه المصريون على الانخراط في النشاط السياسي، وبحلول صيف عام 1964، أصبح أمين صندوق حركة يسرائيل هاتسيرا (إسرائيل الشابة)، وهي حركة جديدة أُسست للدفاع عن مصالح اليهود السفارديم والمنافسة في انتخابات الكنيست عام 1965. كان من المفترض أن يوفر مصنع كريات جات للمصريين موطئ قدم في منطقة النقب، التي كانت تعتبر ذات أهمية استراتيجية بسبب العدد الكبير من المنشآت العسكرية هناك.41 وكان مراقبو الشاباك يتابعونه ليل نهار، وكانت المكافأة الوحيدة لمهمتهم هي أن باروخ كان لديه صديقة شابة وجميلة.42 قال كاروز: "لو نجح في تنفيذ خططه نيابة عن المصريين، لكان باروخ قد صنف كواحد من كبار العملاء السريين في جيله".43 ولكن في الواقع، ألقي القبض عليه وحُكم عليه بالسجن لمدة ثمانية عشر عاماً في يناير/كانون الثاني 1965.

إذا فشلت المخابرات المصرية في تثبيت مردخاي لوك كوكيل سفر في إسرائيل، فربما نجحت مع عميل أفضل، لم يُكشف أمره إلا بعد وفاته. رفعت الجمال، وهو مصري من دلتا النيل، قضى عشرين عامًا يتجسس

في إسرائيل. عمل تحت اسم جاك بيتون، الذي أسس عام ١٩٥٦ وكالة سفر "سيتورز" في وسط تل أبيب، حتى غادر البلاد إلى ألمانيا الغربية عام ١٩٦٨.
اهتم الأجانب أيضًا بالشين بيت. ألقي القبض على ألكيبياديس كوكاس، رجل الأعمال اليوناني الذي قام بعدة رحلات إلى إسرائيل، في أغسطس 1957 وحُكم عليه بالسجن لمدة أربع سنوات لمحاولته إنشاء شبكة تجسس لصالح المخابرات المصرية. ومن الحالات الغريبة بشكل خاص التي انتهت في العام نفسه حالة أورليش شايفت، وهو ألماني غير يهودي خدم في قوات الأمن الخاصة، وختن نفسه أثناء وجوده في معسكر أسرى في إيطاليا وهاجر إلى إسرائيل كيهودي يُدعى غابرييل زيسمان في عام 1949. تم ترحيله لأول مرة في عام 1954 بعد أن ثمل وتباهى علنًا بهويته الحقيقية. اتصل بالمخابرات المصرية وعاد إلى حيفا بهوية جديدة ثانية كسائح. تم اعتقاله وترحيله مرة أخرى.45 كان رجال الدين المسيحيون، الذين سُمح لهم بعبور معبر بوابة ماندلباوم بين القطاعين الأردني والإسرائيلي من القدس، تحت مراقبة دقيقة. حكم على أحدهم، وهو قس قبطي من يافا، بالسجن لمدة اثني عشر عامًا لجمعه معلومات عسكرية للمصريين.46

التهديد الأحمر
كانت سفارات الكتلة السوفيتية وموظفوها أهدافًا واضحة لمراقبة الشاباك في تلك الفترة، عندما كانت الحرب الكورية مستعرة والحرب الباردة في أوجها. على الرغم من أن ستالين كان قد أيد تصويت الأمم المتحدة الحاسم على تقسيم إسرائيل في نوفمبر 1947، وأن علاقات إسرائيل بالولايات المتحدة لم تكن سوى ظل باهت لما ستصبح عليه في ستينيات القرن الماضي، إلا أن الكي جي بي سرعان ما جعل الدولة اليهودية أولوية استخباراتية. وقد سهّلت الأعداد الكبيرة من يهود الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية الذين وصلوا إلى البلاد منذ ذلك الحين عمليات الاختراق التي قام بها.

الاستقلال، على الرغم من أن إيليا دجيركفيلوف، الذي خدم في قسم الشرق الأدنى والأوسط في جهاز المخابرات السوفيتي (كي جي بي) آنذاك، كان معظم هؤلاء المهاجرين "نظيفين". مع ذلك، في نهاية عام ١٩٤٧، شُكِّلت مجموعات خاصة من ضباط المخابرات السوفيتية لتجنيد المهاجرين اليهود وتدريبهم وإرشادهم للعمل في إسرائيل. ترأس هذه المجموعات المقدم فلاديمير فيرتيبوروخ، الذي خدم سابقًا في مقر جهاز المخابرات السوفيتي (كي جي بي) في طهران، والعقيد ألكسندر كوروتكوف، رئيس مديرية "المهاجرين غير الشرعيين". مُنح الضابطان لاحقًا أوسمة حكومية تقديرًا لنجاحهما، ورُقِّيَا إلى رتبة جنرال. فيرتي بوروخ، المعروف بين أصدقائه بالعم فولوديا، أصبح لاحقًا أول مقيم في جهاز المخابرات السوفيتية (كي جي بي) في إسرائيل، حيث اعتبره رؤساؤه، وفقًا لدجيركفيلوف، "من أكثرهم فعالية، سواء في جمع المعلومات السرية أو في تجنيد عملاء جدد".47 لكن بعض المهاجرين اليهود السوفييت أبلغوا السلطات الإسرائيلية بمحاولات تجنيدهم؛ وبعضهم، وفقًا لإيسر هيرا، عملوا كعملاء مزدوجين مخلصين وفعالين.48 يتذكر هاريل: "كان بعضهم يخبرنا فور وصولهم. قلنا: لا بأس، اهدأ. الآن وقد أخبرتنا، ما هي سيطرتهم عليك؟ إذا ضغطوا عليك الآن، يمكنك أن تقول لهم: اذهبوا إلى الجحيم".49
بحلول منتصف خمسينيات القرن الماضي، بلغ عدد موظفي السفارة السوفيتية في تل أبيب ستين موظفًا، ويعتقد هاريل أن معظمهم كانوا منخرطين في العمل الاستخباراتي. وقد أبدى فريق من علماء الآثار والعلماء

السوفييت، الذين قدموا إلى القدس وأقاموا فرعًا لهم في المجمع الروسي القديم بالمدينة عام ١٩٥١، اهتمامًا أكبر بحالة العلوم الدقيقة في إسرائيل منه بتاريخ البلاد القديم. وحذّر جهاز الأمن العام (الشاباك) العلماء الإسرائيليين مرارًا وتكرارًا من مخاطر الصداقة مع "دبلوماسيي" الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية الأخرى، واحتمال وقوعهم في فخّهم. وكان التشيكيون والبولنديون والرومانيون جميعًا نشطين أيضًا، ونالوا تقديرًا عاليًا لكفاءتهم المهنية من "مراقبيهم" الإسرائيليين.٥٠
يُقدّم كتابٌ مثيرٌ للدهشة، نُشر عام ١٩٥٢، رؤيةً معاصرةً، وإن كانت أمريكيةً، للتهديد الشيوعي الداخلي في إسرائيل. وكما كتب راي بروك في كتابه "الدم والنفط والرمال":

رغم التدقيق الدقيق، تضم موجات المهاجرين إلى إسرائيل رجالاً ونساءً ملتزمين بإسقاط الحكومة الإسرائيلية فوضوياً في نهاية المطاف وإقامة دولة شيوعية يائسة في قلب الشرق الأوسط. ينحدر سكان إسرائيل المتناميون من مناطق وسط وشرق أوروبا، حيث وفرت الشيوعية وحدها التنظيم والتسليح اللازمين لمقاومة محدودة للعدو السابق.51
لم يكن لدى هاريل ومانور أدنى شك في خطورة التهديد الشيوعي. فقد اعتقدا أن تراجع الكرملين عن دعم إسرائيل، والتوجه نحو العداء العلني والعلاقات الودية مع العرب، كان يهدف إلى عزل الأقلية اليهودية في الاتحاد السوفيتي والسيطرة عليها. وقد أثار الاستقبال الحماسي الجارف الذي لاقته غولدا مائير، أول ممثلة إسرائيلية لدى الاتحاد السوفيتي، دهشة السلطات وأثار قلقها. وكان الهدف الرئيسي لجهاز المخابرات السوفيتي (كي جي بي) هو جمع المعلومات العسكرية، مصحوبًا بمحاولات جادة لاختراق أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية.
كان هاريل على علم بالجهود المتكررة التي بذلها السوفييت وحلفاؤهم
كانت إحدى الحالات التي كُشف عنها في أوائل عام ١٩٥٦ صادمة للغاية، إذ اتضح أنها تتعلق بجاسوس سوفيتي سابق في جهاز المخابرات السوفيتي (كي جي بي). افتضح أمر زئيف أفني، موظف السفارة الإسرائيلية في بلغراد، كجاسوس سوفيتي، وأُحضر إلى وطنه لمحاكمة سرية. ٥٢ قدّم كل من هاريل ومانور تقريرًا إلى شاريت، الذي كان في حالة من الرعب، عن التحقيق، ٥٣ اعترف خلاله أفني بكامل اعترافاته، على الرغم من أن مانور أخبر رئيس الوزراء أنه يعتقد أن المدعي العام، حاييم كوهين، قد أخطأ في عدم تقديم أدلة للادعاء، ويرجع ذلك على الأرجح إلى الحساسية الشديدة للمادة. ٥٤
وُلِد أفني، واسمه الحقيقي وولف غولدشتاين، في سويسرا، حيث آوى والداه لينين المنفي لفترة وجيزة، ثم هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٤٨ والتحق بالسلك الدبلوماسي. وبكونه متعدد اللغات ومدربًا اقتصاديًا، كان عنصرًا لا يُقدَّر بثمن. شغل منصب الملحق التجاري الإسرائيلي لدى دول البنلوكس، وشارك في مفاوضات التعويضات مع ألمانيا الغربية عام ١٩٥٢. التقى أفني، المعروف باسم "الرجل الثالث" في قضية لافون، في سجن رامي بعد فترة وجيزة من سجنه عام ١٩٥٨.

كتب إيلاد أن أفني "لفت انتباه الموساد بسرعة، وانضم إلى المنظمة، وفي غضون فترة وجيزة، تمكن بسهولة من تحديد هوية جميع العملاء الذين قابلهم، إذ كان بمثابة "صندوق بريد" بين مقر الموساد والعملاء في الميدان". حُكم على أفني بالسجن خمسة عشر عامًا. ولا تزال تفاصيل القضية سرية للغاية حتى يومنا هذا.

كان إسحاق زيلبرمان، وهو مهندس هاجر من بيسارابيا عام ١٩٤٩، إسرائيليًا آخر أُلقي القبض عليه بتهمة التجسس لصالح إحدى دول الكتلة الشرقية. كان يعمل في قسم المعادن بشركة كور في عكا، حيث كانت تُنفذ العقود العسكرية. حاول زيلبرمان تناول السم عند اعتقاله، وحُكم عليه بالسجن تسع سنوات في محاكمته في خريف عام ١٩٥٩,٥٦

الأعداء في الداخل

لم يكن الجواسيس والعرب مجال اهتمام الشاباك الوحيد. فقد صاحبت الهيمنة السياسية المطلقة لحزب ماباي في السنوات الأولى للاستقلال شكوك عميقة تجاه كل من أحزاب المعارضة القائمة والمنظمات السرية الصغيرة ذات التوجهات المختلفة، وإن كانت في الغالب يمينية متطرفة أو دينية متطرفة. ولم تكن حركة حيروت التي أسسها مناحيم بيغن، والتي انبثقت من جيش الدفاع الإسرائيلي قبل قيام الدولة، سوى هدف واحد. في يناير/كانون الثاني 1952، عندما بلغ بيغن ذروة استغلاله للمسألة العاطفية المتمثلة في تعويضات ألمانيا لمهاجمة بن غوريون وماباي، أبقى هاريل رئيس الوزراء مزودًا بمعلومات سرية حول خطط حيروت.57 وكان نشطاء عصابة ستيم السابقون، الذين تحركوا يمينًا ويسارًا بعد عام 1948، مجال اهتمام آخر. كان أول انقلاب لهارئيل هو تصفية آخر بقايا منظمة ليحي بعد اغتيال الوسيط السويدي للأمم المتحدة الكونت برنادوت في سبتمبر/أيلول 1948. قُتل برنادوت لأن خطته للسلام اقترحت تدويل القدس، وهي فكرة لم يقبلها المتشددون. تواصل عضو في ليحي يُدعى روميك غرينبرغ مع الشاباك وأبرم صفقة مع مائير نوفيك: مقابل الحصانة من الملاحقة القضائية، تم نصب كمين سري للمخبر في...

وفي عام 1994، هاجمت مجموعة من الإسرائيليين فندق ليمبل في تل أبيب وساعدت في توجيه البحث عن زعيم المجموعة، ناتان يلين فريدمان، الذي ألقي القبض عليه بسرعة في منطقة حيفا.58

على اليسار الراسخ، كان هناك حزب العمال المتحد الجديد، مبام، مع امتداده نحو الحزب الشيوعي، ماكي. كان بن غوريون قد قرر بناء ائتلافاته والحكم "بدون هيروت أو ماكي". كان كلاهما خارج نطاق الإجماع؛ لذا، كان من الواجب مراقبة كليهما بعناية فائقة. كانت مراقبة هذه الأحزاب والجماعات واختراقها من اختصاص بنيامين هوخشتاين، وهو رجل شديد الذكاء وقاصر النظر، كان من قدامى المحاربين في القسم الداخلي في حزب الشاي، وأصبح أول رئيس للقسم السياسي في جهاز الأمن.

بدأت مراقبة الشاباك لحزب المابام في يناير 1951. كانت لدى هاريل شكوك قوية بشأن "الولاء المزدوج" للحزب للدولة الجديدة والاتحاد السوفيتي. في الصيف السابق، أبلغ بن غوريون عن عدد أعضاء المابام أو مؤيديهم العاملين في صناعة "تاس" العسكرية الوليدة التي تديرها الدولة.59 استغل الشاباك مناسبة المظاهرات المناهضة للحكومة احتجاجًا على تغييرات في دعم الخبز لتصوير أعضاء حزب ماكي؛ وأُسندت المهمة إلى وحدة العمليات الخاصة التابعة لجهاز الأمن، والتي نُقلت إلى هاريل من البالماخ. كان قائد الوحدة، غيرشون رابينوفيتش، مثل العديد من رجال البالماخ، عضوًا في كيبوتس المابام (من روحاما في النقب). بعد ذلك بوقت قصير، طلب رابينوفيتش إعفاءه من مهامه. صُدم هاريل حين علم أن الوحدة بأكملها تعمل سرًا داخل جهاز الشاباك، حيث تنقل معلومات سرية عن الجهاز إلى حزب مبام، الذي كان يمتلك جهازًا أمنيًا مستقلًا. ربما كان استياء هاريل مخادعًا. فمن الواضح أنه كان يرغب في تطهير الشاباك من أشخاص اعتبرهم يساريين خطرين وخائنين محتملين؛ وقدَّم رابينوفيتش الذريعة.

على مدار العامين التاليين، انحرف الحزب بشدة نحو اليسار مع ترسيخ إسرائيل في المعسكر المعادي للسوفييت. عُقدت محاكمة سلانسكي الصورية في براغ، والتي شملت اثنين من أبرز قادة حزب المابام في تشيكوسلوفاكيا آنذاك، في ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٥٢، مما أدى إلى مؤامرة صهيونية دولية تستهدف قلب

العالم الشيوعي. وبعد شهر، أُلقي القبض على تسعة أطباء يهود في موسكو ووُجهت إليهم تهمة التخطيط لإبادة السلطة السوفيتية. صُدمت إسرائيل الرسمية مما بدا مظهرًا بشعًا من مظاهر معاداة السامية السوفيتية. استغل يعقوب حزان، زعيم حزب المابام، المناسبة لمهاجمة سياسة بلاده الخارجية "الرجعية" والموالية للغرب. في الوقت نفسه، اقترب منافسه اليساري، موشيه سنيه، من ماكي.

في ظل هذه الخلفية المضطربة، في يناير 1953، أُلقي القبض على اثنين من عملاء الشاباك متلبسين باقتحام مقر حزب مبام في تل أبيب. كان الحزب على علم منذ فترة بأن تفاصيل اجتماعاته الأكثر سرية قد تسربت إلى الصحافة بشكل غير مبرر، ووجد المسؤولون جهاز إرسال لاسلكي صغيرًا أمريكي الصنع مخفيًا تحت مكتب الأمين العام، مائير يعاري. تعرض رجلا الأمن لكمين عندما جاءا لتغيير بطاريات جهاز الإرسال.

رفضت الحكومة الاعتراف بمسؤوليتها عن الأمر، على الرغم من أن هاريل طالب ببيان في الكنيست، بحجة أنه إذا تم الكشف عن وجود الشاباك، فلن يتمكن مبام من تحقيق مكاسب سياسية من الأمر وستتفهم الدولة ككل الحاجة إلى المراقبة.60 ولكن في نقاش في الكنيست حول هذه القضية في العام التالي، أصر وزير الشرطة على أنه لا يوجد ما يستدعي التحقيق.

مزاعم أخرى حول التنصت السياسي والمراقبة من قبل

برز جهاز الأمن العام (شين بيت) بين الحين والآخر في منتصف خمسينيات القرن الماضي. ففي يونيو/حزيران 1955، اتهم وزير التجارة، وهو صهيوني عام يُدعى بيرتس بيرنشتاين، في صحيفة الحزب "هابوقر" بمراقبة "رسائل الوزراء غير المنتمين إلى حزب ماباي ومحادثاتهم الهاتفية". وكان رد شاريت أن الادعاء قد خضع للتحقيق وتبين أنه لا أساس له من الصحة. ومع ذلك، وبعد عام، أدت شكاوى أخرى إلى تحقيق أجرته لجنة فرعية خاصة مُعيّنة خصيصًا تابعة للجنة الداخلية في الكنيست. وأكدت نتائجها العديد من الاتهامات، لكن بيانها العام حثّ ببساطة، وبلا مبالاة، على أن تقتصر أنشطتها على الاحتياجات الأمنية الأساسية للبلاد. ومن الواضح أن جهاز الأمن العام لم يُعجبه الأمر: فبعد شهر واحد فقط

اشتكى مناحيم بيغن من اقتحام شقته في محاولة واضحة لتركيب أجهزة تنصت. وزعم زعيم حزب حيروت أن شرطيًا ودودًا أبلغه أن هذا من عمل جهاز الأمن.

لم يكن وجود مراقبة واسعة النطاق سرًا بين قادة حزب مباي. طوال خمسينيات القرن العشرين، كان كبار مسؤولي الحزب يتلقون "نشرة معلومات" شهرية غير موقعة ومزخرفة، تُغطي أنشطة مباي وماكي، وخاصةً اجتماعاتهم مع دبلوماسيين ومسؤولين من الكتلة السوفيتية. كما غطت النشرة محاولات اليمين المتطرف أحيانًا لإنشاء منظمات سرية تخريبية وجماعات دينية متشددة مثل "ناطوري كارتا" المناهضة للصهيونية.

في القدس، كان يُسلّم الوثيقة دائمًا عن طريق رسول خاص يأتي على دراجة هوائية من مكتب رئيس الوزراء، وكان من المعروف أنها من عمل "إيسر الصغير".61 وقد أشار كاتب سيرة بن غوريون الرسمية بشكل نقدي

إلى أن هاريل كان يُقدم المشورة لرئيس الوزراء بانتظام في مسائل سياسية بحتة لا علاقة لها بالأمن، وأنه كان كثيرًا ما يتطرق إلى التطورات داخل حزب مباي نفسه.62
كان التعامل مع ادعاءات المراقبة السياسية معقدا.
مُبررٌ بحقيقة أن الشاباك لم يكن موجودًا رسميًا. وقد صرّح يحزقيل ساهار، أول مفوض للشرطة، بشكل قاطع: "لا يوجد في هذا البلد جهاز مخابرات ولا شرطة سياسية". 63 أُسقط هذا الادعاء أخيرًا في يونيو 1957 في بيان برلماني لافت للنظر ألقاه بن غوريون. ردًا على الاقتراحات التي اقترحها بيرتس بيرنشتاين وحاييم لانداو من حزب هيروت، وضع رئيس الوزراء أوراقه على الطاولة. كانت بصمات هاريل في كل مكان في الخطاب: "لدى دولة إسرائيل جهاز أمني له ثلاثة أغراض وثلاثة أغراض فقط"، كشف بن غوريون. وأوضح أن 95% من ميزانية الشاباك وقواه البشرية مخصصة لمكافحة التجسس. وقد حقق الجهاز نجاحًا كبيرًا في هذا المجال، وفي بعض الحالات كانت هناك محاكمات سرية. وكانت انشغالاته الأخرى "شظايا المنظمات الإرهابية" و"الطابور الخامس". ولم يشر رئيس الوزراء إلى المواطنين العرب في البلاد، لكن ما يعنيه كان واضحا لا لبس فيه: "لسوء الحظ فإننا لا نعيش في سلام مع جيراننا بعد".

قال: "لقد خضنا حملة سيناء، ونفذنا عمليات أخرى، ولا يمكننا التنبؤ بما سيحدث في المستقبل. يجب أن نراقب الأشخاص والجماعات التي تُشكل طابورًا خامسًا، أو قد تُشكله".64 وفي مذكراته تلك الليلة، دوّن بن غوريون هذا الحدث التاريخي، ووصف المعارضة بأنها "تحاول تصوير الشاباك كوكالة تحقيق خاصة تابعة لحزب ماباي أو الحكام".65
كان هاريل قد وافق، في نهاية عام ١٩٥٥، على تشكيل لجنة وزارية دائمة - طلبها حزب مباي كشرط للانضمام إلى حكومة جديدة بقيادة مباي بعد انتخابات ذلك العام - تُطلع على عمل جهاز الأمن الداخلي (الشاباك).٦٦ أدى أول تعليق علني لبن غوريون على أنشطة جهاز الأمن إلى قدر محدود من الرقابة البرلمانية على ميزانيته. بعد شهر من بيان الكنيست، وضع رئيس الوزراء وسكرتيره العسكري، نحميا أرجوف، اقتراحًا بموجبه يقدم الشاباك تقريرًا سنويًا إلى لجنة الشؤون الخارجية والدفاع في الكنيست وتقريرًا عن إجمالي الميزانية السنوية للجهاز إلى لجنة فرعية خاصة، على أن يخضع التقريران بالكامل لرقابة مراقب الدولة.٦٧ لم يُعجب هاريل هذا الكشف. وبحلول نهاية العام، كان يطلب من بن غوريون تعديل قانون مراقب الدولة لاستبعاد التقارير الإلزامية عن "عدة مناطق عمليات".٦٨

'جهاز الظلام'
يعود الفضل في إدلاء بن غوريون ببيانه أمام الكنيست، في المقام الأول، إلى صحفي شاب مناهض للمؤسسة يُدعى أوري أفنيري، محرر مجلة "هعولام هازيه" الأسبوعية. أفنيري، العضو السابق في منظمة إرغون، لم يُسمِّ الشاباك قط، بل أطلق عليه اسم "جهاز الظلام" لتجنب قيود الرقابة. وطوال النصف الأول من خمسينيات القرن الماضي، نشر مقالاً تلو الآخر مثيراً للضجة يهدف إلى كشف قبضة بن غوريون وحزب ماباي الخانقة على البلاد بأكملها. وقال أفنيري لاحقاً: "كانت جميع أجهزة الحكم خاضعة مباشرة لبن غوريون، وكان بن غوريون والحزب شيئاً واحداً، وكان الشاباك جزءاً من ذلك".69

اشتبكت صحيفة "هعولام هازيه" مرارًا وتكرارًا مع السلطات. أما بقية الصحافة فكانت هادئة، ووجدت المجلة الصغيرة المتعثرة نفسها هدفًا لهجمات لفظية وجسدية متكررة أثناء هجومها على الحكومة وزعماء حزب ماباي، مثل أبا حوشي، رئيس بلدية حيفا النافذ. كان أسلوب أفنيري الجريء والمبتكر مختلفًا تمامًا عن أسلوب النثر الهادئ والمحترم الذي تتبعه بقية وسائل الإعلام. فقد أطلق على حيفا اسم "حوشيستان" وسخر من الجميع.70

كان "إيسر الصغير" يكره أفنيري كرهًا عميقًا. عندما تعرض رئيس تحرير الصحيفة ونائبه، شالوم كوهين، للضرب على يد مجهولين في ديسمبر/كانون الأول 1953، اشتكى أفنيري إلى بن غوريون قائلًا: "لا شك تقريبًا في أن هذا كان من تدبير الشاباك"، كما قال لرئيس الوزراء، "أو على الأقل كان قائده، السيد إيسر هالبرين، على علم مسبق بالأمر ووافق عليه".11 ازداد الكراهية: ففي يونيو/حزيران 1955، عندما زرع أحدهم قنبلة خارج مكاتب المجلة، أخبر الميموني شاريت أن أفنيري وأصدقاءه ربما دبروا الأمر برمته لخلق الانطباع بأن...

أنهم كانوا "شهداء"،12 على الرغم من أنه غير رأيه فيما بعد

واعترف بأن شخصًا آخر ربما يكون هو من فعل ذلك. كان أفنيري متأكدًا من أن الشاباك كان ينوي الإيقاع به.

بلغت المواجهة ذروتها بشأن قضية كاستنر، وهي حلقة مضطربة عاطفية أحيت ذكرى المحرقة المؤلمة ومشاعر الذنب الكامنة لأن اليشوف والوكالة اليهودية، الخاضعة لسيطرة حزب ماباي، لم يفعلا ما يكفي لإنقاذ إخوانهم في أوروبا المحتلة. كان الدكتور يسرائيل ("ريزو") كاسترن مسؤولاً رفيع المستوى في حزب ماباي، وكان زعيماً لليهود المجريين خلال الحرب وأجرى مفاوضات مع النازيين لإطلاق سراح آلاف اليهود. في عام ١٩٥٣، اتهم يميني مغمور يُدعى مالكيل غرينوالد، وهو نفسه أحد الناجين من المحرقة المجرية، كاستنر بالتعاون مع قوات الأمن الخاصة (SS) مقابل تحرير بضع مئات من الأقارب والأصدقاء. انضمت حكومة شاريت، التي صدمتها التداعيات السياسية والعاطفية للتهمة، إلى كاستنر في مقاضاة غرينوالد بتهمة التشهير الجنائي، ولكن في يونيو ١٩٥٥، أيدت محكمة أدنى صحة الاتهام ورفضت القضية.

قال تيدي كوليك: "قادة الوكالة اليهودية أنفسهم الذين حاولوا إنقاذ اليهود من المحرقة (ومن الواضح أنهم لم ينجحوا) هم من يديرون الحكومة الآن، وتساءل كثيرون عن مدى قدرتهم على القيام بهذه المهمة". 73 سقط الائتلاف بعد اقتراح بسحب الثقة من طريقة تعامله مع القضية، ثم في مارس 1957، اغتيل كاستنر. وعلق أحد المؤرخين قائلاً: "لقد فتح حكم المحكمة جرحًا غائرًا في نسيج التماسك الأخلاقي والاجتماعي الصهيوني. اغتيل كاستنر كما لو كان دليلاً على التوتر الشديد الذي قد يولده البحث في تاريخ المحرقة". 74

بالنسبة لـ"ليتل" إلسر، لم تكن القضية تتعلق بالذنب وذكريات الهولوكوست بقدر ما كانت مظهرًا مقلقًا آخر لخطر الجماعات السرية المتعصبة التي تسعى لتحقيق أهدافها على حساب المؤسسات الهشة للدولة الجديدة. كان لزئيف إيكشتاين، أحد المتطرفين القوميين الثلاثة الذين حوكموا بتهمة قتل كاستنر، صلات بجهاز الأمن الداخلي (الشاباك)، مع أنه من الواضح تمامًا أنه كان مخبرًا مأجورًا وليس عميلًا محرضًا. أشارت مجلة "هاعولام هازيه"، التي كانت دائمًا على دراية بمكائد "جهاز الظلام"، مرارًا وتكرارًا إلى أن جهاز الأمن كان وراء جريمة القتل، تمامًا كما دبّر هجمات سرية ضد المجلة، بما في ذلك الضرب المبرح عام 1953. 7

5 جادل أفنيري بأن الحكومة أرادت منع الكشف عن سياسات الوكالة اليهودية خلال الهولوكوست وأن قتل كاستنر كان أبسط طريقة للقيام بذلك. كان هاريل غاضبًا، وظل غاضبًا بعد أكثر من ثلاثين عامًا، عندما كتب روايته المفصلة عن القضية. كان أفنيري "ساخرًا، شريرًا، وقحًا"، كما كتب. "أولئك الذين حاولوا في الخمسينيات إضعاف الأجهزة الأمنية في حربها ضد الإرهاب السياسي كانوا يحاولون إضعاف المؤسسات الديمقراطية وتشجيع الإرهاب". 76
من شبه المؤكد أن منظمة "هعولام هازيه" كانت مخطئة بشأن دور الشاباك في قضية كاستنر، وكان أفنيري أكثر اهتمامًا باستغلال الفرصة لانتقاد الحكومة من تقديم تقرير "موضوعي" عن القضية. لكن أفنيري كان محقًا تمامًا بشأن تعرضه للاضطهاد من قبل السلطات. وتذكر لاحقًا: "كنا بالكاد نملك المال، بلا مال على الإطلاق". "كنا...

كنا على وشك الإفلاس، وكان إيسر يرسم صورة للبلاد كلها وهي مرعوبة منا تمامًا كما لو كنا العدو رقم واحد، ومتورطين في مؤامرة شريرة، مثل نسخة خيالية من بروتوكولات حكماء صهيون. 77 كُلِّفت الحكومة كاتبًا مشهورًا بكتابة مسرحية تهاجم الصحافة التي تُمثِّلها "هاعولام هازيه". سُمِّيت المسرحية "ارموه للكلاب"، وحضر بن غوريون وزوجته باولا وأعضاء الحكومة بأكملها حفل الافتتاح في مسرح "هابيما" بتل أبيب.
قام هاريل ومانور بتجنيد عدد قليل من الصحفيين المخلصين وتأسيس مجلة أسبوعية منافسة تسمى ريمون (رمان) والتي تم تصميمها خصيصًا لتقويض هاعولام هازيه. كان شاريت، الذي كان رؤساء أمنه يستشيرونه طوال الوقت، يدرك أنه على الرغم من مظهر ريمون اللامع إلا أنها كانت باهتة للغاية، على الرغم من أنها كانت توزع 10000 نسخة في أغسطس 1956 وبحلول الشهر التالي كانت تتفوق على هاعولام هازيه.78 في سبتمبر، نشرت المجلة ملفًا شخصيًا مجاملًا ومصورًا لرئيس الوزراء، بعد أن أجرى شاريت بعض التصحيحات الطفيفة على القطعة التي شعر أنها ممتعة ولكنها تفتقر تمامًا إلى العمق أو التألق. بعد حملة سيناء، أصبح الخط السياسي لريمون أكثر وضوحًا ونشرت مقالات تشيد بالعملية وتهاجم المواقف الأمريكية والسوفييتية.79 لكن المجلة كانت فشلاً ذريعًا. وبحلول سبتمبر/أيلول 1957 كانت الصحيفة قد خسرت ما بين 300 ألف و400 ألف جنيه إسترليني دون أن يؤثر ذلك بشكل خطير على شعبية هاعولام هازيه.80 وفي يونيو/حزيران 1957 اتهم أفنيري الصحيفة بأنها استثمرت 250 ألف جنيه إسترليني في "تلك المطبوعة القذرة التي لا تهدف إلا إلى نشر المواد المثيرة للاشمئزاز التي قدمها لها عملاء الشاباك".81

جواسيس سوفييت

لقد ظلت التجسس السوفييتي يشكل مصدر قلق في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات، وكانت اثنتان من أشهر انقلابات الشين بيت المثيرة للجدل تقع في المنطقة الرمادية بين التجسس ونوع النشاط السياسي اليساري المشروع الذي اعتبره هاريل ومانور تهديداً محتملاً لهيمنة حزب ماباي.

بدأت قضية أهارون كوهين عندما رصد شرطي يقظ خارج الخدمة سيارة تحمل لوحات أرقام دبلوماسية تتسكع بشكل مريب خارج البوابة الرئيسية لكيبوتس شاعار هعام أكيم بالقرب من حيفا في أبريل/نيسان

1958. وتم تقديم تقرير روتيني إلى جهاز الأمن الداخلي (الشاباك)، وتبين أن السيارة مسجلة باسم دبلوماسي سوفييتي يُدعى سوكولوف، والذي كان معروفًا بالفعل لجهاز الأمن بأنه عميل استخبارات.
بدأ موظفو فرع العمليات في عاموس مانور عمليات المراقبة، وبعد مشاهدة العديد من الاجتماعات السرية في الكيبوتس، تمكنوا من تحديد هوية الرجل المجهول الذي شوهد وهو يتحدث إلى الروس، وهو أهارون كوهين. كان كوهين، البالغ من العمر آنذاك ثلاثة وخمسين عامًا، قائدًا بارزًا في حزب مبام، وعضوًا سابقًا في حزب شاي، وخبيرًا مقيمًا في حزبه للشؤون العربية. كان يقيم في البلاد منذ عام ١٩٢٩، وكرّس حياته لدراسة العالم العربي والصراع مع إسرائيل.
عُرف لاحقًا مسؤول روسي ثانٍ شوهد وهو يلتقي بكوهين بأنه فيتالي بافلوفسكي، عضو الوفد العلمي السوفيتي في القدس، والذي كان لفترة طويلة موضع اهتمام جهاز الأمن العام (الشاباك). قدّم مانور تقارير منتظمة إلى هاريل عن نتائج المراقبة، وسرعان ما اتضح للميمونة أن ثمة أمرًا مريبًا يجري. كان هاريل لا يزال يكره حزب مبام بشدة، ولكن بما أن الحزب كان عضوًا في الائتلاف الحاكم، فقد كان قلقًا بشأن التداعيات السياسية لاعتقال علني. فقرر بدلًا من ذلك التحدث مع كوهين على انفراد أولًا.
لم ينزعج مسؤول المابام. أخبر "ليتل"

أن اتصالاته مع الروس كانت ذات طبيعة أكاديمية بحتة، وأصرّ على أنه لم يعقد أي اجتماعات سرية معهم.
حاول مانور اتباع النهج نفسه، لكن كوهين تمسك بروايته. في أكتوبر/تشرين الأول 1958، وبعد اجتماع آخر مع مسؤول سوفيتي، أُلقي القبض على كوهين على يد ضابط من فرع الشرطة الخاص، الذي كان على اتصال وثيق بجهاز الأمن العام (الشاباك) وكثيراً ما نفذ اعتقالات نيابة عنه. كان هاريل ومانور متورطين بشكل وثيق في جميع مراحل القضية.82 غادر بافلوفسكي البلاد فجأة؛ وواصل كوهين، الذي أُفرج عنه بكفالة، الاحتجاج على براءته؛ واتهم حزب مابام بشدة أن الاعتقال كان بدوافع سياسية وأن جهاز الأمن كان يستخدم تهم تجسس ملفقة لمهاجمة الحزب.

عندما بدأت محاكمة كوهين سرًا في نهاية يوليو/تموز 1961، واجه اتهامات بالاتصال غير المصرح به بعميل أجنبي (مع أنها لم تكن تهمة تجسس)، وحُكم عليه بالسجن خمس سنوات. كان قلق هاريل الرئيسي يتمثل في تبرئة الشاباك من تهمة أن القضية برمتها ذات دوافع سياسية، على الرغم من أن حزب مبام استمر في اعتبار كوهين بطلًا ومهاجمة جهاز الأمن باعتباره شرطة سياسية خاصة لحزب مباي. خففت المحكمة العليا الحكم في الاستئناف إلى عامين ونصف، وعفى عن أهارون كوهين وأُطلق سراحه في يوليو/تموز 1963 بعد أن أمضى سبعة عشر شهرًا من عقوبته.83
اعتقد "ليتل" إلسر أنه كان على حق. وكتب لاحقًا: "لم يكن أهارون كوهين "دريفوس إسرائيلي". كان كوهين مستشرقًا، وعضوًا في الكيبوتس، وشيوعيًا خفيًا وقع في فخ التجسس السوفيتي بفعله الخاص وتورط في أكاذيبه".84 وقال هاريل، مقتبسًا عن الشاعر أبا كوفنر بموافقته، إن حزب مبام "وُلد بورم خبيث في بطنه - الديبوك السوفيتي".85 عززت قضية كوهين، ورد فعل مبام عليها، وعي "ميمونة" الشديد بمخاطر جمع معلومات المخابرات السوفيتية بين اليساريين الإسرائيليين. أما صيده التالي في هذا المجال، العقيد يسرائيل بير، فكان أكبر بكثير.

قضية بيرة إسرائيل
وُلد بير في فيينا عام ١٩١٢، وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٨، وانضم فورًا إلى الهاغاناه، وترقى عام ١٩٤٨ ليصبح مساعدًا رئيسيًا ليغال يادين، رئيس فرع عمليات الهاغاناه. بعد الحرب، أصبح رئيسًا لقسم التخطيط في جيش الدفاع الإسرائيلي، وكان من المتوقع أن يُعيّن نائبًا ليادين عندما أصبح الأخير رئيسًا للأركان عام ١٩٤٩. عندما تولى مردخاي ماكليف المنصب بدلًا منه، استقال بير من الجيش اشمئزازًا والتحق بجيش الاحتياط. لاحقًا، من زنزانته في السجن، اتهم هاريل بمحاولة إجباره على الاستقالة. ٨٦
كان العقيد بير يساريًا ولم يُخفِ ذلك. انضم إلى حزب مبام عند تأسيسه عام ١٩٤٨، وكان قريبًا من زعيمه الكاريزماتي، الدكتور موشيه سنيه، الرئيس السابق لـ

القيادة الوطنية للهاغاناه. كان بير مساهمًا منتظمًا في صحيفة الحزب "الهميشمار"، وكتب في الشؤون العسكرية، بما في ذلك التطورات الدولية المهمة مثل الحرب الكورية، بكل سلطة ضابط أركان رفيع المستوى. استقال العديد من الضباط الآخرين من أعضاء مبام بعد حرب ١٩٤٨ بفترة وجيزة لعدم رضاهم عن تحول جيش الدفاع الإسرائيلي إلى جيش نظامي وفقدانه زخم فترة البلماح.
كان بير يتمتع بسيرة ذاتية مثيرة للإعجاب. كان عضوًا في شوتزبوند، وهي منظمة الدفاع التابعة للحزب الاشتراكي الديمقراطي النمساوي، وشارك في انتفاضة عمال فيينا ضد المستشار الموالي للنازية دولفوس عام ١٩٣٤ (وهو حدث كان له تأثير ملحوظ على جاسوس أكثر شهرة، الخائن البريطاني كيم فيلبي). في عام ١٩٣٦، أرسله الحزب للقتال في اللواء الدولي في إسبانيا تحت الاسم الحربي الكولونيل خوسيه جريجوريو. أدى اطلاعه المصادف على سيرة ثيودور هرتزل في أوائل عام ١٩٣٨ إلى تحوله المفاجئ إلى الصهيونية.٨٧
كان شخصية غير عادية في الهاجاناه في أربعينيات القرن العشرين.
يتذكر إفرايم ليفي، الذي حضر بعض محاضراته في أربعينيات القرن العشرين: "كان بير مثيرًا للإعجاب مقارنةً بالآخرين. لقد شارك في كل هذه الحروب، وحصل على العديد من الأوسمة، وكان ضابطًا نمساويًا. كانت لغته العبرية سيئة للغاية، وكان يمزح قائلًا: "بعبريتي، لا أستطيع التمييز بين المذكر والمؤنث، لكنني في الواقع أستطيع ذلك".
لفت العقيد انتباه "ليتل" لأول مرة في أوائل الخمسينيات، عندما كان يرأس قسم المعلومات في حزب مبام، المسؤول عن جمع المواد المتعلقة بالمسائل الأمنية، بما في ذلك - من خلال المساعي الحميدة لجيرشون رابينوفيتش ووحدة العمليات الخاصة التابعة له - أنشطة الشاباك. كان حزب مبام تحت مراقبة دقيقة من قبل جهاز الأمن في تلك الفترة، كما أظهر الاكتشاف الشهير للميكروفون في مقره. في عام 1953، عندما ترك سنيه وغيره من اليساريين في حزب مبام الحزب وانضموا إلى ماكي بسبب الخلافات حول محاكمة الأطباء في الاتحاد السوفيتي، تحول بير بشكل حاد إلى اليمين وانضم إلى ماباي، وبدأ الكتابة لصحيفة الحزب، دافار. أثار هذا التحول السياسي المفاجئ شكوك هاريل، وأمر

وُضعت البيرة تحت مراقبة محدودة. كانت بداية هوس طويل.

أُعجب موشيه شاريت بقدرة بير على الجمع بين الخبرة العسكرية والكتابة الجيدة. في أوائل عام ١٩٥٦، شجع وزير الخارجية صحيفة دافار على مواصلة نشر مقالات بير، على الرغم من مقاطعة رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي، موشيه ديان، للصحيفة، لأنه كان يكره بير بشدة.
استغل بير مكانته السياسية الجديدة في محاولة العودة إلى الجيش، رغم معارضة كلٍّ من ديان وهرئيل. في عام ١٩٥٥، بعد أن حل بن غوريون محل بنحاس لافون وزيرًا للدفاع، كُلِّف بير بكتابة التاريخ الرسمي لحرب ١٩٤٨، وتمتع بإمكانية الوصول بانتظام إلى "الشيخ" وأرشيفات جيش الدفاع الإسرائيلي السرية، ومُنح سكرتيرًا ومكتبًا في الوزارة.
كان "إيسر الصغير" يعتقد أن العقيد "انتهازيٌّ ضعيف الشخصية ومُجرّد من المبادئ"، ومع اقتراب نهاية العام، مع تصاعد التوتر على الحدود وقرب إبرام صفقة الأسلحة المصرية التشيكية، حاول سبر أغوار بير. وكتب هاريل لاحقًا: "كانت ذريعة محادثتنا هي سماع آراء بير حول التغلغل السوفيتي في الشرق الأوسط، لكن الهدف الحقيقي كان قياس ولائه". "بقيتُ مقتنعًا بأن بير لم يمر بتغيير سياسي وأيديولوجي حقيقي، وأنه يُشكّل خطرًا أمنيًا جسيمًا".
خلال النصف الثاني من عام ١٩٥٦، ومع تزايد زخم الاستعدادات السرية لعملية السويس، ساور هاريل، المسؤول عن الأمن، القلق من احتمالية حدوث تسريبات. في سبتمبر، كان بير واحدًا من عدة أشخاص حُذِّروا تحديدًا من الاقتراب من العملاء الأجانب، وخاصة الروس. أفاد بير بشكل قاطع أنه التقى مؤخرًا بلوساييف، ممثل وكالة تاس في إسرائيل، وأن عاموس مانور نصحه بتوخي الحذر. احتفظ هاريل بشكوكه المتزايدة سرًا. في عام ١٩٥٧، وصلت المراقبة إلى مرحلة أبعد: قام رافي إيتان، رئيس فرع عمليات الشاباك، بسرقة شقة بير في تل أبيب بحثًا عن أدلة تُدينه؛ ولكن لم يكن هناك أي دليل.
ازداد بير قوةً يومًا بعد يوم. بدأ بكتابة أعمدة في صحيفة هآرتس الليبرالية المستقلة، وفي عام ١٩٥٩ عُيّن رئيسًا لقسم التاريخ العسكري في جامعة تل أبيب.

كان بير مقربًا من شمعون بيريز، نائب وزير الدفاع الشاب الطموح، وبدأ يزور ألمانيا الغربية بانتظام، ويزور قواعد حلف شمال الأطلسي (الناتو) هناك. جعلته لغته الألمانية الأم بطلاقة، وسمعته الأكاديمية المتينة، وعلاقاته الوثيقة مع كبار المسؤولين في المؤسسة الدفاعية في تل أبيب، ضيفًا شرفًا، وقد استقبله في بون وزير الدفاع، فرانز جوزيف شتراوس، الشخصية المحورية في تطور العلاقات بين البلدين.
كانت العلاقة مثيرة للجدل. في ديسمبر 1957، علم وزراء غير منتمين لحزب الماباي في الحكومة، بطريقة ما، برحلة مُخطط لها إلى بون من قِبل ديان وبيريس، اللذين كانا يحاولان شراء غواصتين مُجددتين، ثم سُرِّبت الأخبار إلى الصحافة. كان بير مُشتبهًا به واضحًا. في خضمّ الغضب الشعبي الذي تلا ذلك، هدّد بن غوريون بالاستقالة. بالنسبة لرأي هاريل، كان يسرائيل بير ببساطة يعرف أكثر مما ينبغي. ازدادت شكوك عائلة ميمونة في منتصف عام 1958، عندما طلب العقيد الإذن بمقابلة الجنرال الغامض راينهارد غيلين.
كان جيلين رئيس جهاز التجسس لهتلر على الجبهة الشرقية. بعد الحرب، استولى مكتب الخدمات الاستراتيجية (OSS) على منظمته شبه الخاصة، ثم مولتها وأدارتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) حديثة التأسيس، حتى أصبحت جهاز المخابرات الخارجية الرسمي لألمانيا الغربية، جهاز المخابرات الخارجية الألماني (BND)، عام ١٩٥٦. كانت لدى جيلين طموحات عالمية، وفي أواخر الخمسينيات، تحول من تركيز جهازه التقليدي على الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية، مع التركيز على الاستخبارات

العسكرية، إلى الوسائل التقنية الحديثة لجمع المعلومات.91 طلب منه ألين دالاس، من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، المساعدة في ضخ "الخبرة والنشاط" في جهاز المخابرات المصري، وتم تزويد بعض ضباط قوات الأمن الخاصة (SS) والجيستابو السابقين، حيث جند أوتو سكورزيني دفعة أولى من حوالي ١٠٠ عنصر عام 92,١٩٥٣ ومع ذلك، أدرك جيلين "الدين السياسي الذي تدين به ألمانيا لليهود؛ كان علينا أن نفعل ما في وسعنا للمساهمة في بقاء إسرائيل".
وبعد حملة سيناء كتب رئيس جهاز المخابرات الألماني لاحقا:

بدأنا نولي اهتمامًا أكثر احترافية بالإسرائيليين. قدمنا لهم نصائح الخبراء حول تطوير جهازهم السري الصغير لكن القوي؛ ووفرنا لهم التسهيلات وساعدناهم في

لقد كان من الصعب للغاية أن نتصور كيف يمكن لإسرائيل أن توظف عملاء رئيسيين في الدول العربية، خاصة وأن ناصر كان يتورط بشكل متزايد مع موسكو، وقد أدركنا أن إسرائيل كانت بمثابة موقع متقدم للعالم الحر مثل برلين الغربية.

التقى يسرائيل بير بجيلين في مايو ١٩٦٠، رغم رفض هاريل المتكرر السماح له بذلك. كان ليسر في الخارج طوال معظم النصف الأول من العام، يستعد لعملية اختطاف أيخمان في الأرجنتين. كان هاريل مقتنعًا بأن عميلًا في المخابرات السوفيتية (كي جي بي) فقط هو من سيبذل قصارى جهده للقاء رئيس التجسس الألماني الأسطوري. كما انزعج من جهود بير لإقناع الألمان بأهميته وتقديم نفسه كقناة اتصال رسمية لصانعي القرار في تل أبيب. ووفقًا لهاريل، لم يكن للموساد سوى اتصالات محدودة مع جهاز المخابرات الألماني آنذاك. أراد جيلين المزيد.
بدأ بير يُظهر علامات نمط حياة جديد مُتباهٍ. بدأ الأكاديمي الأصلع ذو النظارات يرتاد نوادي تل أبيب الليلية، ويُفرط في الشرب، ويُلاحق النساء. في أوائل عام ١٩٦١، تعرّض للضرب على يد زوج شابة تُدعى أورا زهافي الغيور، وبرر إصاباته بإخبار زملاءه في وزارة الدفاع بأنه تعرض لحادث سيارة. انفجر هاريل غضبًا عند هذه النقطة، وأبلغ بن غوريون أخيرًا بشكوكه، قائلاً لبير: "أعتقد أن رئيس الوزراء ساذج بشأنك".
منع هاريل بير من مغادرة البلاد وعزز المراقبة. وعندما رُصد في وقت مبكر من صباح أحد الأيام وهو يتواصل مع عدد من مسؤولي السفارة السوفيتية، شُددت المراقبة، واتخذ فريق من العملاء موقعًا دائمًا مقابل شقته في شارع برانديز بتل أبيب. وتولى زفي مالشين، خليفة رافي إيتان في رئاسة فرع العمليات بالجهاز، المسؤولية.95 وفي مساء 30 مارس/آذار 1961، لاحظ مراقبو الشاباك أن بير يتصرف بتهرب، ويُعتقد أنه سلم حقيبة مليئة بالوثائق إلى الدبلوماسي السوفيتي سوكولوف، الذي كان قد وُصف بأنه ضابط في المخابرات السوفيتية (كي جي بي) بسبب اتصالاته مع أهارون كوهين.
كان قصر آموس خارج المدينة، لذا كان هاريل، الذي كان مهووسًا بالبيرة في ذلك الوقت ويبدو أنه كان يعتقد أن شين

لم يُتابع رئيس الشرطة القضية بنشاط كافٍ، فتولى بنفسه مسؤولية العملية. ولعله شعر بالخوف أيضًا من علاقة المشتبه به الوثيقة ببن غوريون. تم الحصول على مذكرة توقيف سريعة، وأُلقي القبض على بير في

ساعات الصباح الباكر. احتوت حقيبته، التي يُعتقد أن مراقبيه قد صوروا محتوياتها، على أجزاء من مذكرات بن غوريون الشخصية وتقرير عن موظف كبير في مؤسسة أمنية سرية للغاية.
أكد استجواب بير معظم شكوك "ليتل" الأكثر سوءًا، ولكن ليس كلها. احتوت بعض مُدخلات مذكرات بير الشخصية على ثلاثة أو أربعة رموز X، مع ظهور إجمالي عدد رموز X في نهاية كل شهر. كان هاريل مقتنعًا بأن هذه المُدخلات كانت مُلخصًا مُشفرًا يتعلق باجتماعاته مع ضباط المخابرات السوفيتية (كي جي بي).
أصر بير على مُحققيه - الذين كانوا مُعجبين سرًا بأسلوبه الدنيوي ونجاحه مع النساء - أن رموز X كانت سجلًا لإنجازاته الجنسية. شعرت السيدة زهافي بالحرج بطبيعة الحال من أسئلة الشاباك حول هذه المسألة الحساسة، لكنها اضطرت إلى الاعتراف بأن رواية بير كانت صحيحة.
لقد كان الميموني يعرف بالفعل أن العقيد كان
كان هاريل زائرًا منتظمًا لسفارات الكتلة السوفيتية، واكتشف أنه التقى سوكولوف سرًا لأول مرة في أواخر عام ١٩٥٧. كان قد اطلع على خطط شركة البناء الإسرائيلية "سوليل بونيه" لبناء قواعد لحلف شمال الأطلسي في تركيا، وكان على دراية واسعة بدفاعات الحلف. ويعتقد هاريل أنه هو من أخبر سوكولوف بمهمة بيريز السرية لشراء الأسلحة إلى ألمانيا عام ١٩٥٧، والتي أدى تسريبها إلى استقالة بن غوريون.
رفض هاريل في وقت لاحق الاقتراحات التي تفيد بأن الأمن الودي
ساعدت أجهزة المخابرات البريطانية جهاز الأمن الداخلي (شين بيت) في كشف بير.97 ووفقاً لأحد التقارير، نبهت أجهزة المخابرات البريطانية الإسرائيليين عندما تم العثور على اسم بير بين أوراق جوردون لونسديل، العميل السوفييتي كورون مولودي، الذي ألقي القبض عليه في يناير/كانون الثاني 1961 وسجن فيما يتصل بحلقة التجسس الشهيرة في بورتسموث.98 وتشير مصادر أخرى إلى أن بير عمل مع هيو هامبلتون، الخبير الاقتصادي الكندي الذي سُجن في بريطانيا عام 1982 بتهمة التجسس على حلف شمال الأطلسي لصالح الروس من عام 1956 إلى عام 1961.99

كانت علاقة بير بالدبلوماسي السوفيتي وثيقة ومنتظمة. التقى الجاسوس ومراقبه أكثر من عشرين مرة إجمالاً، أربع مرات منذ بداية عام ١٩٦١ حتى اعتقال بير في ٣٠ مارس. في ١٠ أبريل، ودون علمه باعتقال بير، حضر سوكولبف إلى موعدهما المعتاد، ثم غادر البلاد فجأةً بعد بضعة أيام، كما فعل بافلوفسكي من قبله.
تبيّن أن سيرة بير الذاتية المثيرة للإعجاب زائفة تمامًا. لم يكن العقيد عضوًا في شوتزبوند، ولم يقاتل في إسبانيا، بل كان في الواقع كاتبًا بسيطًا في الاتحاد الصهيوني النمساوي. أخبر المحققين أن اتصالاته مع السوفييت كانت تهدف إلى إقناع موسكو بتغيير سياستها تجاه إسرائيل. خلص هاريل إلى أن بير لم يتواصل مع السوفييت إلا عام ١٩٥٦، وأنه بدأ التجسس في العام التالي. إن اكتشاف سيرته الذاتية المزيفة لا يعني، كما أشارت بعض المصادر، أنه كان جاسوسًا منذ فترة طويلة بقصة تغطية.
كان إعلان اعتقاله بمثابة قنبلة موقوتة. يتذكر أحد محققي الجاسوس في الشاباك لاحقًا: "بعد اعتقال بير، استغرقت التحقيقات عدة أسابيع قبل إعلان الخبر. لم تكن هناك أسرار في تل أبيب الصغيرة. لكن الاسم لم يُسرب. كان الناس يتحدثون عن "مسؤول كبير" كان لصًا، وكل أنواع الهراء. وأنت تعرف كل شيء ولا تستطيع أن تحرك ساكنًا". كان شمعون بيريز قلقًا بشكل خاص من تأثير هذه القضية على سمعة وزارة الدفاع، وبذل هو ومساعدوه قصارى جهدهم لإقناع هاريل بالسماح لهم "بالتعامل" مع القضية بهدوء. لم

يرضَ "الصغير" بذلك. في نهاية مارس 1962، حُكم على بير بالسجن لمدة عشر سنوات، وبعد استئناف من جانب المتهم والدولة، زادت المحكمة العليا المدة إلى خمسة عشر عامًا في ديسمبر 1962. توفي في السجن في الأول من مايو عام 1966. نُشر كتابه "أمن إسرائيل: الأمس واليوم والغد" بعد وفاته، ويعتبره مؤرخو حرب الاستقلال أنه يحتوي على العديد من الأفكار الأصلية والرؤى الثاقبة في الحقائق العسكرية والدبلوماسية في تلك الفترة.

بعد أكثر من عقدين من الزمن، تضمّنت قضية بير ملحقًا مثيرًا للاهتمام. ففي عام ١٩٨٧، عندما اعترف أرشيف بن غوريون بفقدان جميع مذكرات رئيس الوزراء من يناير إلى يوليو ١٩٥٦ لسببٍ غامض، أشار مردخاي بار أون، الذي كان مساعدًا لديان آنذاك، إلى أن المجلدات العبرية المكتوبة بخط اليد، والمُدوّنة في دفاتر مدرسية مُسطّرة، ربما يكون بير قد سلّمها إلى الكي جي بي.
ادعى بير أنه أطلع الروس على المذكرات التي عُثر عليها بحوزته لإثبات انفتاح بن غوريون على علاقة بناءة مع كل من موسكو والدول العربية. ويعتقد بار أون أن مجلدات عام ١٩٥٦ المفقودة ربما سُلّمت في الوقت نفسه، ربما لأن الروس أرادوا معرفة المزيد عن التواطؤ المشتبه به ضد مصر. وتذكر بار أون أنه قبل انطلاقه مع بن غوريون ودايان إلى محادثات سيفر الحاسمة التي حسمت الجانب الفرنسي الإسرائيلي من مؤامرة السويس في أكتوبر ١٩٥٦، كان هو ودايان قد التقيا بير في مكتب وزير الدفاع في
تل أبيب.
"كان يوم جمعة بعد الظهر وكان معظم موظفي المكتب
يتذكر بار-أون: "غادرنا المكان. وبينما كنا نغادر، رأينا فجأة يسرائيل بير يخرج من إحدى الغرف. فوجئنا بكونه معروفًا بالكسل. في طريقنا إلى المطار، قال لي موشيه ديان: "ماذا كان يفعل هناك في ذلك الوقت، ذلك الجاسوس؟" كان ذلك قبل خمس سنوات تقريبًا من اعتقاله.
كان بن غوريون كاتب مذكرات مهووسًا طوال حياته.
لاحظ بنفسه، في أول دفتر ملاحظات يغطي النصف الثاني من عام ١٩٥٦، أن مجلدات الأشهر الستة السابقة كانت مفقودة. لكن ليس واضحًا متى اكتشف فقدانها، ولا يوجد أي سجل يوضح سبب فقدانها.
مفتقد.
كان التعامل مع الكتلة السوفيتية والتجسس العربي من أهم المهام التي قامت بها
لقد كان هذا هو الانشغال الرئيسي لجهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي (الشين بيت) حتى حرب عام 1967، ولكن أكثر ضباط مكافحة التجسس صدقاً في الجهاز اعترفوا بعد ذلك، في ضوء انتصار جيش الدفاع الإسرائيلي في حرب الأيام الستة، بأنهم "بالغوا إلى حد كبير" في تقدير مدى التهديد الاستراتيجي الذي يشكله العملاء الأجانب.

وأظهرت أرشيفات جهاز المخابرات الأردني، التي تضمنت ملفات الإسرائيليين الذين تجسسوا لصالح المملكة الهاشمية، أن جهاز الأمن العام (الشاباك) كان على علم بجميع هؤلاء.104

تغيير الحرس

وفقًا لرواية استقالة إسحاق هرئيل من منصب رئيس جهاز الأمن والمخابرات في مارس/آذار 1963، كان بن غوريون ينوي تكليف عاموس مانور بتولي قيادة الموساد، ولكن عندما تعذر العثور على رئيس الشاباك (كان في طريقه لقضاء عطلة في كيبوتس)، استدعى رئيس الوزراء مائير عميت، رئيس فرع الاستخبارات في جيش الدفاع الإسرائيلي. اعتقد هرئيل بالتأكيد أن مانور هو المرشح الأبرز، وهو ما كان يعتقده أيضًا. استقال من جهاز الأمن في سبتمبر/أيلول 1963، وحل محله نائبه، يوسف هارميلين، المولود في فيينا، وهو جندي مخضرم في اللواء اليهودي وفرقة بريخا.

ارتقى هارملين إلى أعلى وظيفة من داخل الخدمة، مستمتعًا

اشتهر هارملين بالصلابة لا بالبراعة، ونزاهة عالية، وسلوك شخصي رفيع المستوى. استُدعي من الخارج لتولي المنصب، مع أن الرئيس المنتهية ولايته كاد أن يُعيّن يعقوب (يانيك) بن يهودا، مدير الشاباك في شمال إسرائيل. ثم استقال بن يهودا. كان هارملين رجلاً طويل القامة، قوي البنية، وكان زملاؤه يعتبرونه الكيبوتسي الذي كان عليه في السابق. كان ليفي إشكول، الذي شغل منصب رئيس الوزراء من عام ١٩٦٣ إلى عام ١٩٦٨، يُعجب برئيس جهاز الأمن التابع له إعجابًا كبيرًا، وكان يتشاور معه كثيرًا - وإن لم ينجح في إضحاكه قط. 105 نادرًا ما تحدث هارملين عن عمله، مع أنه بعد استقالته أصبح أكثر ثرثرة بقليل من سلفه الصامت تمامًا. قال في مقابلة أجريت معه بعد عدة سنوات: "لا يمكنك إخبار أحد بما تفعله. من الصعب جدًا ألا تتمكن من مشاركة حتى نجاحاتك مع أقرب الناس إليك". 106

كان أهم عمل قام به هارملين في السنوات التي سبقت حرب عام 1967 هو توصيته القوية لرئيس الوزراء بإلغاء الحكم العسكري في المناطق العربية من إسرائيل.

إسرائيل. حثّ ميشكا دروري، رئيس فرع الشؤون العربية في الجهاز، منذ عام ١٩٥٨ على إلغاء هذا النظام، مع إصراره على ضرورة الإبقاء على أنظمة الطوارئ الموروثة من الانتداب البريطاني.١٠٧ كان جهاز الأمن العام (الشاباك) يعلم أنه في حال إلغاء هذه الأنظمة، فلن يُشرّع أي قانون أشد قسوة منها. ومن يدري متى قد تكون هناك حاجة إليها؟

إشكول، الذي تحرر من النفوذ الهائل لبن جوريون (الذي

كان أعضاء حزب "الليكود"، الذين سعوا للحفاظ على الحكم العسكري، يعتقدون أن اتباع نهج أكثر ليبرالية تجاه الأقلية سيبعث برسالة إيجابية إلى الدول العربية حول إمكانية التعايش العربي اليهودي داخل البلاد. سياسيًا، لم يكن الأمر سهلًا: فمن مقاعد المعارضة في الكنيست، واصل حزب حيروت بزعامة بيغن، وفصيل رافي الجديد، الذي انفصل عن حزب مباي عام ١٩٦٥، إثارة الفتنة. تذكر حزب حيروت كيف فرض البريطانيون أنظمة الطوارئ للتعامل مع مؤيديهم في أيام الحرب، واستغلّوا هذه القضية أيضًا ضد حزب مباي.

عارض الجيش، بقيادة رئيس الأركان إسحاق رابين، أي

التغيير، والنقاشات الوزارية والوزارية التي لا تنتهي لم تُقرّب المسألة من الحل. لكن هارملين والرئيس الجديد لشعبة الشؤون العربية، أبراهام أهيتوف، كانا مؤيدين. كان جهاز الأمن الداخلي (الشين بيت) يُغطي عرب إسرائيل جيدًا، وكان يعتقد أن جماعة "الأرض" المتطرفة، التي نجح في حظرها عام ١٩٦٤، هي وحدها التي تُمثّل تهديدًا تخريبيًا حقيقيًا. قدّم الجهاز قائمة بـ ٧٠٠ شخص ستظل أنشطتهم مقيدة. كما أيّد شموئيل

تول دانو، المدير التنفيذي السابق للموساد الذي أصبح مستشار إشكول للشؤون العربية عام ١٩٦٦، إلغاء القرار. وقال لاحقًا: "رأى أبراهام أهيتوف أن المسألة تتعلق بالأمن القومي، وليس بما إذا كان محمد أو أحمد أولادًا سيئين". ١٠٨ ووافقه الرأي إيسر هاريل، في أيامه الأخيرة كمستشار خاص لرئيس الوزراء لشؤون الأمن والاستخبارات. ١٠٩

6
قفزات عظيمة للأمام:
67-1956

أسرار من موسكو

لقد شكّلت السويس نقطة تحول بالنسبة لإسرائيل من نواحٍ عديدة، ولم تكن مكانة وسمعة أجهزة استخباراتها استثناءً. فقد بشّر النصر في سيناء بفترة طويلة من السلام على الحدود، والنمو الاقتصادي، واتساع القبول الدولي. وعلى هذه الخلفية، لعب الموساد بقيادة إيسر هاريل دورًا رائدًا في السياسة الخارجية، وفي الهجرة السرية لليهود، وفي مجموعة مبهرة من العمليات السرية الجريئة. سيطر هذا الجاسوس الصغير العنيد على مجالات شاسعة من الأمن القومي، رافعًا مكانة مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي إلى أبعاد أسطورية تقريبًا. وفي دوره الفريد كميمونة على كل من الموساد والشين بيت، وبعلاقته الوثيقة التي رعاها بن غوريون بغيرة، مارس صلاحيات أكبر بكثير من رؤساء الاستخبارات المدنية في الديمقراطيات الأخرى. لقد كان عصرًا بطوليًا شهد قفزات كبيرة إلى الأمام.

في الأشهر التي سبقت حرب عام ١٩٥٦، كان لاستحواذ الموساد على خطاب نيكيتا خروتشوف التاريخي أمام المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي أثرٌ بالغٌ في علاقته القوية أصلًا مع وكالة المخابرات المركزية. وقد حرص جيمس أنجليتون (جيم، كما يُلقبه أصدقاؤه الإسرائيليون) على إقامة علاقة وثيقة منذ أوائل خمسينيات القرن الماضي. ورغم أنه كان رئيسًا لقسم مكافحة التجسس في الوكالة، ولم تكن لديه أي علاقة واضحة بإدارة "الحساب" الإسرائيلي، إلا أن أنجليتون كان يعلم أن الأصول الإسرائيلية في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية قد زودت الأمريكيين بـ...

كان مصدرًا قيّمًا للمعلومات في وقتٍ تطلبت فيه الحرب الباردة تعزيز قدراتهم خلف الستار الحديدي. يقول مائير (ميمي) دي شاليط، الذي خدم في السفارة الأمريكية في واشنطن في أوائل الخمسينيات: "انطلق جيم من مبدأ "الاحترام وعدم الثقة"، وأصبح مؤيدًا متحمسًا لإسرائيل من وجهة نظر أمريكية. كان مناهضًا للشيوعية بشدة، وغيّرَ موقفه عندما بدأ يتعرف على أشخاص في إسرائيل، وازداد اقتناعه بأن البلاد لن تتجه نحو الشيوعية".1

رتّب أنجليتون لقاءً بين بن غوريون ووالتر بيدل سميث، مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، في مايو/أيار 1951. وبعد ذلك بوقت قصير، سافر رؤوفين شيلوح إلى واشنطن لوضع اتفاقية رسمية بين الولايات المتحدة وإسرائيل بشأن التعاون الاستخباراتي. وكتب السير هاريل لاحقًا: "وقع العبء الرئيسي، بل والوحيد تقريبًا، على عاتق جهاز الأمن. وسرعان ما اتضح أن إسرائيل تمتلك إمكانيات هائلة للمعلومات والقوى العاملة في المجال الاستراتيجي. كانت هذه مفاجأة لنا، وخاصةً لزملائنا الأمريكيين".2

ساهم جهاز الأمن العام (الشاباك) في التحالف الناشئ مع الولايات المتحدة من خلال وحدة استجواب خاصة فائقة السرية، تابعة لقسم التحقيقات في الجهاز، استجوبت المهاجرين اليهود من أوروبا الشرقية. لم تكن المنشآت العسكرية والمصانع والسكك الحديدية خلف الستار الحديدي ذات أهمية لإسرائيل. أما بالنسبة لوكالة المخابرات المركزية، فكانت النتيجة لا تُقدر بثمن. قال هاريل: "كنا نعرف أكثر بكثير مما يعرفه الأمريكيون. كنا نعرف عن المزاج السائد بين اليهود، والمزاج العام، وعن خيبة الأمل المريرة، والطوابير الطويلة، ونقص الموارد. كانت لدينا صورة أدق - ليس فقط عن الخطر السوفيتي، بل أيضًا عن حدوده - من أي جهة أخرى".3 قدّم هاريل وشيلواه شخصيًا تقريرًا مرحليًا عن استجواب المهاجرين إلى بن غوريون في فبراير/شباط 1952.4

في ذلك العام، استضافت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ستة من كبار ضباط المخابرات الإسرائيليين لحضور دورة تدريبية - "كانت سيئة التدريس نوعًا ما"، وفقًا لأحد المشاركين - حول أساسيات الاستخبارات الحديثة. قبل مغادرة إسرائيل، وزّع فرع عمليات الشاباك على الستة سترة وربطتي عنق ومعطف واقٍ من المطر بدلًا من ملابسهم المعتادة.

سراويل وقمصان كاكي. كانت الملابس غير مناسبة، لدرجة أنه عند وصولهم، أُخذ أحدهم إلى خياط في واشنطن لتجهيزه بالشكل المناسب.

قام هاريل بأول زيارة رسمية له إلى الولايات المتحدة كرئيس للموساد في مارس 1954. وكان ألين دالاس قد تولى رئاسة وكالة المخابرات المركزية خلفًا لبيديل سميث في فبراير 1953، واستقبل زميله الإسرائيلي استقبالًا حارًا. أهدى هاريل دالاس خنجرًا قديمًا صنعه حرفي يهودي فارسي، نُقش عليه كلمات من المزامير: "حارس إسرائيل لا ينام ولا ينعس".

اعتبر "إيسر الصغير" التعاون السري وسيلةً للتغلب على التحفظات الأمريكية بشأن دعم إسرائيل. وجادل هاريل قائلاً: "من وجهة نظر نفسية، كانت العلاقة الخاصة بمثابة ردٍّ حاسم ومناسب على كل من ساورته الشكوك حول دور إسرائيل، وتداعيات ذلك على اليهود الأمريكيين الذين انتموا إلى الدولة اليهودية". وأضاف: "بسبب الحرب الباردة، والعدوان والتخريب وأنشطة التجسس العالمية للسوفييت والشيوعية العالمية، تحسنت مكانة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بشكل كبير. ومن السهل تخمين الاستنتاجات التي كانت ستتوصل إليها بشأن إسرائيل لولا هذه العلاقة الخاصة". وفي مناسبة أخرى، كان أكثر تحديدًا: "في خمسينيات القرن الماضي، كان من المهم جدًا بالنسبة لنا خلق صورة إيجابية لإسرائيل في الولايات المتحدة، على خلفية تورط يهود من الحركات الشيوعية في قضايا تجسس لصالح السوفييت، مما تسبب في أضرار جسيمة لإسرائيل واليهود الأمريكيين".

كما وفّرت صلة الموساد بنظيره الأمريكي "قناة خلفية" مفيدة مكّنت من التحايل على الدبلوماسية التقليدية. قبل السويس، ساعدت وكالة المخابرات المركزية (عملية الحرباء أو عملية السراب) في محاولة تنظيم عملية سرية.
الاجتماع مع ناصر، خلف ظهر وزارة الخارجية.7
وبحسب إحدى الروايات، فإن نسخة الموساد من خطاب خروشوف الشهير عن "جرائم ستالين" نشأت لدى أحد مسؤولي الحزب الشيوعي في بولندا.8 وزعم آخر أنها جاءت من

يهودي سوفيتي يُبلغ إسرائيل. ربما رغب تيدي كوليك في إخفاء مصدره الحقيقي، فألمح إلى أن مرور المهاجرين اليهود عبر أوروبا في طريقهم إلى إسرائيل ساعد في كشف النقاب عن هذا الخطاب.9 أبقى إيسر هاريل الانقلاب سرًا مُحكم الكتمان حتى سُلِّم النص كاملًا إلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (IAC) وأُعلنت صحته. لم يقرأه وزير الخارجية موشيه شاريت إلا بعد تسريبه إلى صحيفة نيويورك تايمز في أوائل يونيو.10 حصلت وكالات استخبارات غربية أخرى، بما في ذلك جهاز المخابرات الألماني (BND) التابع للجنرال غيلين في ألمانيا الغربية، على نسخ جزئية خاصة بها. كان الإسرائيليون هم الوحيدون الذين حصلوا على الوثيقة كاملة. بعد سنوات عديدة، ورغم الضغط المتكرر عليه للكشف عن مصدره، اكتفى هاريل بالقول إن الخطاب قد تم الحصول عليه من وراء الستار الحديدي.11 وقال مسؤول تنفيذي كبير آخر في الموساد لاحقًا: "كانت لدينا بالفعل علاقة جيدة جدًا مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، ولكن لا شك أن الحصول على خطاب خروتشوف عزز مكانتنا لديهم".12

الاتصال الفرنسي

كانت الولايات المتحدة صديقًا جذابًا، ولكن في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي كانت فرنسا لا تزال أقرب حليف لإسرائيل، وهناك كان إيسر هاريل أقل ثقة. ومما أثار استياء الموساد أن استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي أجرت اتصالاتها الخارجية الخاصة في هذه الفترة. وساهمت الاستعدادات لحرب عام 1956 بشكل كبير في إقامة علاقات بين أمان والفرنسيين، وبدرجة أقل، مع أجهزة المخابرات البريطانية. وفي وقت مبكر من العام، أبلغ الملحق العسكري لجيش الدفاع الإسرائيلي في باريس، العقيد نشري، ديان ويهوشافات هاركابي ونائبه يوفال نعمان، عن اهتمام فرنسا بإقامة "رابط سري" مع أمان.13 وفي أول اجتماع لهما في باريس قبل أسابيع قليلة من غزو السويس، أسس هاركابي أساسًا متينًا للتعاون مع بيير بوريسكوت، رئيس SDECE (خدمة التوثيق الخارجي والتجسس) الفرنسية، ولكن فقط بعد إظهار معرفة مفصلة بالخدمة الفرنسية. كما قال رئيس أمان في وقت لاحق:

في البداية، سادت بعض الشكوك والارتباك. ظنّني رئيسًا لجهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلي (DST)، المنافس لجهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلي (SDECE). خففتُ من حدة التوتر بإخباره أن رئيس مركزنا (أمان) في جيبوتي على اتصال منتظم برئيس مركزه في تلك المستعمرة. ثم فتح الباب؛ وأقام حفل عشاء

مع جميع رؤساء أقسامه، وهكذا. ومنذ ذلك الحين، تبادل أمان وجهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلي (SDECE) المعلومات. كل شيء تقريبًا. عن مصر والعالم العربي. أساليب العمل. كل شيء.
عزز تعيين نعمان، الذي كان يتقن الفرنسية، ممثلاً جديداً لفرع الاستخبارات في باريس هذه الصلة. وتولى شلومو غازيت المنصب بعد ذلك بوقت قصير.
أغضبت هذه العلاقة هاريل، الذي شعر بأن هذا التنسيق بين الوكالات كان من اختصاص الموساد وحده، فهدد مجددًا بالاستقالة. إلا أن هاريل لم يكن على موقف ثابت. كانت علاقة الموساد الفرنسية، التي رعاها يعقوب كاروز، مع جهاز الأمن الداخلي (DST)، تجديدًا لعلاقات الصداقة التي تعود إلى فترة الهجرة غير الشرعية في أواخر أربعينيات القرن الماضي. رفض بن غوريون احتجاجات هاريل بحجة أن الحرب الوشيكة تستلزم روابط وتعاونًا بين جهازي الاستخبارات (أمان) و(SDECE). وفي النهاية، تم التوصل إلى حل وسط يحصل بموجبه الموساد على نسخ من أي مواد يتم الحصول عليها من خلال هذه القناة. أنشأ هاركابي قسمًا جديدًا داخل فرع الاستخبارات مسؤولاً عن الروابط مع وكالات الاستخبارات الغربية.15
استمرّ الارتباط الفرنسيّ لفترة طويلة بعد حرب السويس، واعتمد على التعاون الوثيق الذي نشأ قبل الحرب. وقد خلق اندلاع الثورة الجزائرية عام ١٩٥٤ طلبًا كبيرًا في باريس على معلومات استخباراتية دقيقة عن العالم العربي، وخاصةً مسألة الدعم المصريّ لمتمردي جبهة التحرير الوطنيّ.
تزايد الاهتمام الفرنسي بـ"العلاقة السرية" مع إسرائيل بشكل كبير مع تطور الحرب الجزائرية. في مايو 1955، كُلِّفت SDECE بـ"تحييد" القادة الرئيسيين لجبهة التحرير الوطني، لكنها لم تُحرز تقدمًا يُذكر حتى العام التالي. في مايو 1956، أُبلغ الحركابي أن أمان قد عثر بالصدفة على تقارير عن تحركات "عدة أشخاص مجهولين ويبدو أنهم غير مهمين"، والذين

بعد التدقيق، اتضح أن المعلومات تشمل زعيم جبهة التحرير الوطني، أحمد بن بلة نفسه، ومحمد خضر، المسؤول السياسي للمنظمة. قدّم مصدر أمان، وهو ثمرة جهود استخباراتية أخرى، تفاصيل عن رحلات القادة الجزائريين، وإدارتهم للثورة، وتهريب الأسلحة إلى الثوار.
أصبح لدى استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي الآن أداة قيّمة يمكن استخدامها لزيادة استعداد فرنسا لتزويدها بمزيد من أنواع الأسلحة، وإرساء أسس تعاون استخباراتي حقيقي. طُلب من الفرنسيين تقديم قائمة بأسماء قادة جبهة التحرير الوطني، لأن إسرائيل اكتشفت مصدر معلومات عن حركة العصابات المسلحة. انتبه الفرنسيون، وسرعان ما وقعوا في الفخ. في غضون أسابيع، كانت إسرائيل تُقدم معلومات آنية عن تحركات جبهة التحرير الوطني وإمداداتها من الأسلحة، ورحبت باريس بمزيد من طلبات الأسلحة الإسرائيلية. كان انقلاب أمان نقطة تحول على الطريق إلى السويس، وركيزة أساسية في العلاقات الإسرائيلية الفرنسية، التي لم تتراجع إلا مع حرب 1967.16
وتبع ذلك نتائج دراماتيكية سريعة: ففي منتصف أكتوبر/تشرين الأول 1956، لم يبق سوى
قبل أسابيع من عملية السويس، رُصدت سفينة "أثوس" التي تحمل العلم السوداني، بعد إبحارها من الإسكندرية في مسار متعرج مثير للريبة حول البحر الأبيض المتوسط، وتم اعتراضها وعلى متنها 70 طنًا من الأسلحة - ما يكفي لتجهيز 3000 رجل - أرسلتها المخابرات المصرية إلى الجزائريين.17 نفّذت محطتا القاهرة وبيروت التابعتان لجهاز المخابرات المصري (SDECE) عملية الاستيلاء على "أثوس"، على الرغم من أن المعلومات الاستخباراتية الأولية الحاسمة جاءت على الأرجح من مصدر "أمان". بعد أسبوع،

اختطفت طائرة فرنسية طائرة بن بلة فوق الجزائر في رحلة من المغرب إلى تونس؛18 وربما تكون إسرائيل قد زودت بمعلومات عن الرحلة. من الواضح أن "أمان" كان لديه الكثير ليقدمه. "لن أقول إننا كنا نجعل الفرنسيين يأكلون من أيدينا، ولكننا ركزنا على المسألة الجزائرية"، كما يتذكر حركابي.19 "كل فرنسي يقتل في شمال أفريقيا، مثل كل مصري يقتل في قطاع غزة، يأخذنا خطوة أخرى إلى الأمام نحو تعزيز العلاقات بين فرنسا وإسرائيل"، كما قال شمعون بيريز في يونيو/حزيران 1955.20
لقد فعل إيسر هاريل كل ما في وسعه لتقويض روابط أمان مع

المخابرات الفرنسية. استغلّ فرصةً أتيحت له في مارس/آذار 1961 عندما تواصل ضابطٌ سابقٌ ساخطٌ في الجيش الفرنسي مع إسحاق بارون، نائب الملحق العسكري لجيش الدفاع الإسرائيلي في السفارة الفرنسية، واقترح على إسرائيل تزويده بأحد عملائها العرب لاغتيال ديغول. في المقابل، ستُزوّد إسرائيل بأيّ معداتٍ عسكريةٍ ترغب بها من النظام الفرنسي الجديد. أبلغت السفارة القدسَ بالأمر، وقرر هاريل وبن غوريون، رغم اعتراضاتٍ شديدةٍ من أمان، تحذير ديغول فورًا.21 حُوكم الضابط السابق وأُعدم. عندما نشر هاريل روايته الخاصة عن القضية،22 قال عوزي نركيس، الملحق العسكري الرئيسي لجيش الدفاع الإسرائيلي في باريس، لاحقًا: "كانت فرنسا الدولة الوحيدة في العالم التي تُدار فيها الصلات بين جهاز المخابرات وإسرائيل عبر جيش الدفاع الإسرائيلي. حاول هاريل تغيير هذا الوضع لكنه فشل. لا يزال يغلي بالغيرة".23
كما خدم الارتباط الفرنسي إسرائيل بشكل جيد في سياق آخر: الهجرة السرية من شمال أفريقيا التي كانت واحدة من أهم أنشطة الموساد في هذه الفترة.

حملة الهجرة المغربية: 1955-1962
في ليلة الحادي عشر من يناير عام ١٩٦١، غرق اثنان وأربعون يهوديًا مغربيًا، وأحد أفراد طاقم السفينة، وعامل لاسلكي في الموساد، عندما اصطدمت سفينتهم البخارية المُحوّلة، الحوت، بالصخور وغرقت في عاصفة قبالة الساحل المغربي. كان القارب الذي يبلغ وزنه ٢٠ طنًا، ويرفع علم هوندوران، والذي أعاد الموساد تسميته إيجوز (الجوز)، ينقل مهاجرين يهودًا غير شرعيين من المغرب إلى جبل طارق، في المرحلة الأولى من رحلتهم إلى إسرائيل. تم انتشال جثث اثنين وعشرين ودُفنت في المقبرة اليهودية في بلدة الكوزيمة المغربية لصيد الأسماك. كان الغرق الجماعي بمثابة نقطة تحول في عملية استمرت سبع سنوات أدارها الموساد، والتي جلبت سرًا عشرات الآلاف من اليهود المغاربة إلى إسرائيل. كانت أكبر وأطول وأنجح جهود الهجرة السرية للموساد.
انطلقت العملية في السنوات الأخيرة من نضال المغرب من أجل الاستقلال عن فرنسا. في نوفمبر 1954،

قام عميل الموساد المُجنّد خصيصًا، شلومو هافيليو، والمُلقّب بـ"لويس"، بجولة في المغرب (المغرب والجزائر وتونس)، وأبلغ القدس في أوائل عام ١٩٥٥ أن الأراضي الفرنسية الإسلامية ستحصل قريبًا على استقلالها، وأن الموجة القومية - المدعومة من عدو إسرائيل الرئيسي، الرئيس المصري جمال عبد الناصر - من المُحتمل أن تُشكّل خطرًا على الجاليات اليهودية في هذه البلدان، وأن على إسرائيل المساعدة في إنشاء منظمة للدفاع عن النفس والهجرة ليهود شمال إفريقيا. في اقتراح مُطوّل قُدّم إلى إيسر هاريل، دعا هافيليو إلى إنشاء منظمة من ثلاث دول (المغرب والجزائر وتونس)، يكون مقرها في باريس وفرع مستقل

في طنجة (التي كانت لا تزال إقليمًا دوليًا حتى منتصف عام ١٩٥٦). اقترحت الخطة تشكيل فريق من عشرين عميلًا للموساد، ثمانية منهم متمركزون في المغرب، الذي كان يضم أكبر عدد من اليهود في المغرب.24

في 27 أبريل 1955، كان يعقوب كاروز، ممثل الموساد

في باريس، التقيتُ بالمفوض السامي الفرنسي في المغرب، فرانسيس لاكوست، في الدار البيضاء لطلب المساعدة الفرنسية في زيادة هجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل. وبسبب هذه المشاكل، ورغبةً في عدم إثارة غضب المغاربة على جبهة أخرى، فرض الفرنسيون قيودًا على هجرة اليهود من البلاد. اتفق لاكوست وكاروز على سقف مرن جديد يبلغ 700 مهاجر شهريًا.

في هذه الأثناء، وافقت حكومة القدس برئاسة بن غوريون على اقتراح هافيليو، وأنشأ فريق من عملاء الموساد، برئاسة هافيليو، مقرًا عملياتيًا في باريس في أغسطس/آب 1955. وأقام عملاء الموساد قواعد في المغرب. وفي ذلك الشهر، قُتلت مجموعة من المستوطنين الفرنسيين في وادي الصفر على يد قوميين مغاربة. وفي 24 أغسطس/آب، اقتحم مثيرو الشغب الملاح، وهو غيتو يهودي، في بلدة مازاغان (الجديدة)، قرب الدار البيضاء، فقتلوا ثمانية يهود وأصابوا أربعين آخرين. كما أُحرق أربعون منزلًا.25

اختار الإسرائيليون لحظةً مواتية. كان التهديد الذي يواجهه يهود المغرب يزداد وضوحًا مع مرور كل أسبوع، وكان المجتمع اليهودي المغربي أكثر تقبلًا للرسالة الصهيونية. في الوقت نفسه، ضمن استمرار الحكم الفرنسي في المغرب - حتى 2 مارس 1956 -

إجراء حماية لإنشاء "ميسجريت" (الإطار)، كما سُميت منظمة الدفاع عن النفس اليهودية بقيادة الموساد. كان لمقر "ميسجريت" في الدار البيضاء قائد، وضابط إداري، وضابط مخابرات، وضابط تدريب. أُبقي الجزء الموجه للدفاع من "ميسجريت" (الذي سُمي لاحقًا "لافي") منفصلاً عن جزء "عليا"، الذي سُمي في النهاية "ماكيلا" (جوقة)، لكن رجال "لافي" اختاروا نقاط انطلاق للمهاجرين غير الشرعيين ووفروا حراسًا للمغادرين في طريقهم إلى الشواطئ. تم حشد مئات المتطوعين اليهود؛ سافر أكثر من 100 إلى الخارج - معظمهم إلى إسرائيل - للتدريب العسكري، على الرغم من أن بعضهم تدرب في المغرب نفسه؛ تم تنظيم خلايا و"وحدات" في المدن الرئيسية (في النهاية كان هناك اثنتي عشرة وحدة محلية)؛ تم شراء الأسلحة وتوزيعها في مخابئ تحت الأرض ("سليكيم"، بلغة هاجا ناه، من أيام الانتداب البريطاني في فلسطين). دُرِّب الأعضاء على استخدام المسدسات والرشاشات والسكاكين. في أوجها، بلغ عدد أعضاء ميسجريت في المغرب 600 عضو (وفي الجزائر وتونس 600 آخرين مجتمعين). خضع حوالي 470 من العناصر المغربية لدورات تدريبية في فرنسا وإسرائيل.

وقعت الضربة المتوقعة في منتصف عام 1956. ردت الحكومة المغربية، بقيادة السلطان (الذي أصبح لاحقًا الملك) محمد الخامس، على الموجة المعادية للصهيونية في العالم العربي وفي المغرب نفسه، فأغلقت معسكر "كاديما" المؤقت للمهاجرين، وفي 27 سبتمبر، أصدر رئيس الشرطة السرية المغربية، محمد الغزاوي، "الأمر رقم 424"، الذي يحظر فعليًا الهجرة إلى إسرائيل. هاجر حوالي 110,000 يهودي مغربي إلى إسرائيل بين عامي 1948 و1956، منهم 60,000 في العامين الأخيرين؛ وبقي أكثر من 100,000. أدى غزو إسرائيل لسيناء في أكتوبر ونوفمبر 1956 إلى تقويض وضع النصف المتبقي من

المجتمع. لكن المذابح التي خشيت حدوثها لم تتحقق. حتى حرب السويس، كانت هجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل تُدار من قبل
من قِبل الوكالة اليهودية. من نوفمبر إلى ديسمبر، قام الموساد
وباستخدام Misgeret، تولى هذا الدور، الذي أصبح الآن غير قانوني وخطيرًا. 26
تمت الإشراف على العملية، مثل عملية ميسجيريت نفسها، بواسطة

جاك (كاروز). كان هافيليو القائد المباشر لفرقة ميسجيريت. وكان عميل آخر للموساد، متمركز في الدار البيضاء، مسؤولاً مسؤولية مباشرة عن فرقة ماكيلا. كان هناك قسم منفصل يُعنى بالاستخبارات، وهو أمر حيوي لنجاح العملية، وقد خدم ماكيلا و"لافي".27 أُديرت العملية من باريس، باستخدام أجهزة إرسال واستقبال لاسلكية وسعاة. أقام عملاء ميسجيريت اتصالات مع مختلف مستويات المسؤولين المغاربة، وضباط الشرطة والجيش، وجمعوا معلومات عن أفراد الشرطة والجيش والشرطة السرية وأساليب عملهم. بلغ اختراقهم للشرطة السرية المغربية درجةً جعلت عميلاً يُدعى "إيبي" يُخبر "جاك" في إحدى المرات أن الشرطة السرية على وشك اعتقال أربعة عملاء من ميسجيريت. تمكنت فرقة Misgeret من تأخير تنفيذ أوامر الاعتقال لبضع ساعات وتم تهريب الأربعة على الفور خارج البلاد.28 كشف السير هاريل بعد سنوات أن حوالي 500000 دولار - وهو مبلغ كبير من المال في تلك الأيام - قد تم دفعه كرشاوى للمغاربة.29 خلال الأشهر الأولى من العملية، تمكنت فرقة Misgeret من إخراج حوالي 500 يهودي من البلاد شهريًا، معظمهم بجوازات سفر فرنسية قديمة أو جوازات سفر مغربية مزورة. تم وضع بعض أفضل مزورين الموساد، بمن فيهم شالوم فايس (داني)، للعمل في إسرائيل وباريس ومرسيليا. تم تعبئة فايس، وهو ناجٍ من محرقة الهولوكوست من أصل مجري ومحارب قديم في الموساد لعليا بيت، من قبل جيش الدفاع الإسرائيلي في عام 1949، وانضم إلى الموساد في عام 1957 وأُرسل إلى باريس والمغرب. جمع أعمالًا فنية من شمال إفريقيا ورسم ودرس في مدرسة الفنون الجميلة في باريس. عاد إلى إسرائيل في نهاية عام 1961، بعد مشاركته في عملية القبض على أدولف آيخمان في الأرجنتين بواسطة الموساد، وتوفي بالسرطان في عام 1963.10
كان عناصر ميسجيريت يجمعون المهاجرين وينقلونهم ليلًا إلى نقاط التجمع - وهي ملاجئ آمنة قرب منافذ الخروج. وإذا أوقفت الشرطة المركبات، كان الركاب يلجؤون إلى قصص وهمية، مثل "نحن في طريقنا إلى حفل زفاف" أو "إلى مباراة كرة قدم".
وقد أدت المشاكل في الموانئ إلى تغيير كبير في عام 1957. ومنذ ذلك الحين، أخذ الميسجيريت المهاجرين عبر الحدود براً أو في قوارب الصيد، إلى الجيوب التي يحكمها الأسبان في سبتة ومليلية، بمعرفة وتعاون

من قِبل السلطات الإسبانية. وفي بعض الأحيان، كانت قوافل المهاجرين تمر أيضًا عبر إفني وطنجة. وكانت العبارات تنقل المهاجرين إلى جبل طارق، حيث كان يوجد معسكر عبور تابع للوكالة اليهودية، أو الجزيرة الخضراء، ومن هناك إلى مرسيليا، ثم بالقارب أو الطائرة إلى إسرائيل. قال هاريل: "لم يطلب الإسبان فلسًا واحدًا، ولم أتعمق كثيرًا في دوافعهم. لكنني اعتقدت طوال الوقت أنهم أرادوا تقديم لفتة للشعب اليهودي

للتعويض عن علاقات إسبانيا الوثيقة مع هتلر وموسوليني خلال الحرب. وبدون مساعدة الحكومة الإسبانية،
"كانت هذه العملية السرية مستحيلة التنفيذ."31
كانت السلطات البريطانية في الصخرة، التي كانت على دراية تامة بما يحدث، ودودة ومتعاونة تمامًا مثل الإسبان في المناطق المعزولة. في الشتاء، كانت الشرطة غالبًا ما تستقبل المهاجرين حاملةً قدورًا من الشاي الساخن. كما كان البريطانيون...
ساعد المهاجرين في الحصول على أوراق السفر، مما سمح في نهاية المطاف للمهاجرين الذين لا يحملون جوازات سفر بالدخول إلى جبل طارق.32 ،
على الرغم من حملات القمع المغربية المتقطعة، والتي حفزتها تقلبات السياسة الخارجية للملك (التي اتخذت أحيانًا منحىً ناصريًا أو قوميًا عربيًا)، استمرت فرقة ميسجريت في العمل. ولم يحاول المغاربة، الذين خضعوا لضغوط أوروبية وأمريكية متقطعة، والذين كانوا في الغالب منحازين للغرب بدلًا من "غير منحازين" أو موالين للسوفييت، وقف الهجرة بكل جدية. وقد زار إيسر هاريل نفسه (الملقب بـ"ببير") المغرب سرًا عدة مرات بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦٢، وفي إحدى المرات أمضى أسبوعين في البلاد، يطلع على عمليات فرقة ميسجريت. ٣٣
اشترت الموساد في جبل طارق عام ١٩٦٠ سفينة "الحوت"، التي استخدمها الحلفاء في الحرب العالمية الثانية لاستعادة الطيارين الذين هبطوا في البحر الأبيض المتوسط. في ذلك العام، استُبدل شلومو هافيليو كقائد لسفينة "ميسغيريت" برجل من الموساد يُدعى "إميل". كان اسمه الحقيقي أوليك غوتمان (أليكس غاتمون)، الذي لا يزال يُنظر إليه من قِبَل الكثيرين على أنه البطل المجهول في العملية المغربية. غاتمون، جندي من جنود الحرب العالمية الثانية.
كان مناضلاً يهوديًا بولنديًا وضابطًا سابقًا في القوات الجوية الإسرائيلية، وتم وضعه في
تولى مسؤولية ميسجريت في المغرب، وأقام في الدار البيضاء. 34

في أواخر عام 1960، باستخدام سفينة الحوت، بدأت سفينة ميسجريت في نقل المهاجرين مباشرة (متجاوزة سبتة ومليلية) من المغرب إلى جبل طارق، ورفعتهم من شاطئ خارج الكوزيمة. في رحلتها الثالثة عشرة، أبحرت سفينة الحوت في عاصفة وتحطمت على الصخور قبالة الكوزيمة مباشرة. غرق اثنان وأربعون مهاجرًا يهوديًا وعميل الموساد "تزرفاتي"، الذي كان مشغل الراديو للخدمة في محطة مرسيليا منذ عام 1957، وأحد أفراد الطاقم. في عمل من أعمال التحدي العلني، وزعت ميسجريت بعد ذلك ملصقًا حائطيًا في جميع أنحاء المغرب يقول إن جهود الهجرة ستستمر وهاجمت "مضطهدي" الجالية اليهودية.
ردت الشرطة السرية المغربية، بقيادة الجنرال محمد أوفقير، باعتقال وتعذيب حوالي عشرين عضوًا من ميسجريت، على الرغم من عدم القبض على أي من عملاء الموساد. أحد الأعضاء، رافي فاكنين، تعرّض لتعذيب شديد حتى فارق الحياة في مستشفى بباريس بعد بضعة أشهر. وكان فاكنين العضو الوحيد في ميسجيريت الذي لقي حتفه خلال العملية التي استمرت سبع سنوات.
أدى غرق سفينة الحوت واعتقال نشطاء ميسجريت إلى ضغوط هائلة على محمد الخامس لتغيير سياسته.
تخلت إسرائيل عن الدبلوماسية السرية، وأطلقت حملة جماهيرية واسعة النطاق لصالح يهود المغرب.
أرسل الرئيس الأمريكي جون كينيدي رسالة شخصية إلى الملك محمد؛ وهددت مجموعة من أعضاء

الكونغرس الأمريكي بتقديم مشروع قانون لوقف المساعدات الأمريكية للمغرب ما لم يتوقف الاضطهاد. كما حُشد الرئيس الفرنسي شارل ديغول للضغط على الرباط.
يبدو أن الملك كان بصدد الرضوخ لهذه الضغوط وتغيير سياساته عندما توفي في 25 فبراير/شباط 1961 تحت مشرط جراح. هذا، على الأقل، كان تقييم هاريل قبل خمسة أيام من وفاة الملك. كتب هاريل إلى أليكس غاتمون: "لا شك أن الخطوات الأخيرة للملك ووزير الداخلية هي نتيجة أفعالنا وحملتنا الإعلامية حول العالم". كتب هاريل أنه لم يعتقد قط أن المشكلة ستُحل بالتدفق البطيء للمهاجرين غير الشرعيين إلى إسرائيل، بل فقط "بقرار سياسي" من المغاربة. عملية ميسجريت، وغرق سفينة الحوت، والضجة العالمية، كل ذلك...

ساهم في تطور "القرار السياسي" في المغرب. ضغط هاريل على القائد لضمان تقديم أكبر عدد ممكن من اليهود في المغرب طلبات جوازات سفر فورًا (للضغط على وزارة الداخلية المغربية). وحذّر هاريل من أنه لا داعي للتسرع في تقديم عروض حوافز مالية للمغاربة للسماح لهم بالخروج.35
فُهمت وفاة الملك محمد في تل أبيب على أنها نقطة تحول محتملة في حملة الهجرة. وكتب هاريل مجددًا إلى غاتمن في باريس: "لا أحد يعلم كيف ستؤثر وفاة الملك على الوضع الداخلي في المغرب... ووضع يهود المغرب يعتمد بشكل كبير على هذا الوضع الداخلي... ليس من الواضح ما إذا كان الحسن الثاني [خليفة محمد] سيواصل سياسة "مؤتمر الدار البيضاء" [القومية العربية] أم أنه سيعود إلى التوجه المغربي السابق الموالي للغرب". اقترح هاريل أن تدرس إسرائيل جميع "مواردها" تجاه الملك الجديد ومستشاريه. كان من المستحسن "محاولة إيجاد صلة مباشرة بالحاكم الجديد. إذا ثبتت هذه الصلة، فستكون هناك حاجة في البداية لتزويده بمعلومات استخباراتية ستكون ذات أهمية بالغة للحاكم الجديد..." "إننا لا ندين لخصوم [حسن] بأي شيء". وكان اتجاه تفكير هاريل واضحاً.36
وبالفعل، في عهد الملك الحسن الثاني، تغيرت السياسة المغربية بسرعة. وافق المغرب في النهاية على إصدار "جوازات سفر جماعية" للمهاجرين اليهود. أصدرت وزارة الداخلية أول جواز سفر من هذا النوع في 27 نوفمبر/تشرين الثاني 1961؛ وشمل
١٠٥ يهود. غادروا البلاد جواً في اليوم التالي. خلال العامين التاليين، غادر معظم الجالية اليهودية المغربية المتبقية إلى إسرائيل. في عام ١٩٦١، كان هناك ١١,٤٧٨ مهاجراً؛ وفي عام ١٩٦٢، ٣٥,٧٥٨؛ وفي عام ١٩٦٣، ٣٦,٨٧٤,٣٧
وكان للموساد أيضاً يد في هجرة عدد من المجتمعات اليهودية الأخرى من شمال أفريقيا إلى إسرائيل، بما في ذلك سكان بورسعيد في مصر وبنزرت في تونس.
في يوم 9 نوفمبر 1956، انطلق فريق استخباراتي مكون من ثلاثة أفراد، وهم أريبه ('ليوفا') إلياف، المنتدب لهذه المناسبة إلى الموساد، والرائد أبراهام دار من أمان، وتومي أريبلي، خبير الاتصالات، في طائرة مارودر تابعة للقوات الجوية الفرنسية إلى بورسعيد للانضمام إلى القوات الفرنسية في منطقة القناة.

كان الفريق آنذاك تحت هجوم القوة الاستكشافية الأنجلو-فرنسية. أُرسل الفريق للتواصل مع الفرنسيين في شؤون استخباراتية، ولإبلاغ تل أبيب (عبر جهاز الراديو الذي حملوه معهم) عن حالة القوات الفرنسية

ونواياها، ولإبلاغهم عن وضع الجالية اليهودية في مصر، وفي حال زحف الفرنسيون إلى القاهرة، للمساعدة في إطلاق سراح العملاء اليهود المسجونين فيها خلال قضية لافون.

لقد أمضى إلياف ودار الأسبوع السابق في تعزيز العلاقات مع مصر؛ وشملت اجتماعاتهما جلسة طويلة مع شاؤول أفيجور، الرئيس السابق لجهاز المخابرات الإسرائيلي (الموساد) ومستشار بن جوريون في "الشؤون الخاصة"، وجلسات مع يهود مصريين سابقين خدموا في مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي، بما في ذلك بنيامين سيدبون من الموساد.

في 11 نوفمبر، ظهر إلياف ودار (في الزي الفرنسي) في صورة

تواصل جنود يهود من الفيلق الأجنبي الفرنسي مع ممثلي الجالية اليهودية في بورسعيد، التي يبلغ تعدادها 200 فرد. كان اليهود يخشون أن ينقضّ عليهم جيرانهم العرب انتقامًا لرحيل القوة الاستكشافية الأنجلو-فرنسية. طلب إلياف ودار إعداد قائمة باليهود الراغبين في الهجرة إلى إسرائيل. في هذه الأثناء، بحثا إمكانية تنظيم قافلة برية عبر سيناء للراغبين في الهجرة. لكن الفكرة أُلغيت، وقرر إلياف اتباع طريق بحري. طلب من تل أبيب إرسال سفينتين صغيرتين تابعتين للبحرية الإسرائيلية إلى ميناء فؤاد، على الضفة الشرقية للقناة، مقابل بورسعيد. في 17 نوفمبر، نقلت سفينة إنزال فرنسية حوالي 100 يهودي إلى ميناء فؤاد، حيث صعدوا على متن السفينتين الإسرائيليتين. وصل المهاجرون الجدد إلى إسرائيل في 18 نوفمبر.18

اندلعت أعمال عنف بين الجيشين التونسي والفرنسي على الاستيلاء على القاعدة البحرية الفرنسية الكبرى المجاورة للمدينة، ما دفع اليهود إلى الهجرة من بنزرت في سبتمبر/أيلول 1961. خلال المعارك الأولى، احتل الفرنسيون بنزرت نفسها. طالب التونسيون بانسحاب الفرنسيين، لكنهم رفضوا. لقي مئات العرب حتفهم. اتهم العرب الجالية اليهودية، التي يبلغ تعدادها 1200 نسمة، بالتعاون مع الفرنسيين. عمل العديد من اليهود في القاعدة أو خدموها. أدرك الجميع أن الفرنسيين سينسحبون في النهاية. هدد العرب بالانتقام من اليهود.

كان معظم اليهود يحملون جوازات سفر فرنسية، ما مكّنهم من المغادرة بسهولة فور انتهاء القتال. لكن حوالي 300 منهم كانوا يحملون جوازات سفر تونسية أو كانوا عديمي الجنسية. بدأت الوكالة اليهودية، بمساعدة الموساد والملحق العسكري الإسرائيلي في باريس، العقيد عوزي ناركيس، بتنظيم مغادرة الجالية. وتعاون الجيش الفرنسي. نُقل اليهود من المدينة مباشرةً إلى فرنسا أو عبر الجزائر العاصمة على متن سفن حربية فرنسية. نظّم الموساد عمليات المغادرة، وحرسها مظليون فرنسيون. 39

الانشغالات الطرفية

في السنوات العصيبة التي تلت حرب السويس، حاولت إسرائيل صياغة سياستها الخارجية بطريقة تُمكّنها من جني ثمار انتصارها العسكري على مصر. تمثلت هذه الطريقة في كسر عزلتها الإقليمية من خلال بناء روابط على أطراف الشرق الأوسط مع أنظمة غير عربية كانت قلقة للغاية، لأسبابها الخاصة، من انتشار الناصرية والشيوعية. لعب الموساد بقيادة إيسار هاريل دورًا هامًا في هذه الاستراتيجية المبتكرة، حيث طوّر وعزز دوره كأداة للدبلوماسية السرية الإسرائيلية. قال هاريل لاحقًا: "كان هدفي بناء سدٍّ في وجه الطوفان الناصري السوفيتي".

وللوفاء بهذا الدور أنشأ الموساد قسم العلاقات الخارجية المهم في أوائل عام 1958. وتحت قيادة ياكوف كاروز القادر الذي كان يقيم في باريس منذ انتقاله من جهاز الشاباك في عام 1954، سرعان ما أصبح القسم مكوناً فريداً من مكونات الاستخبارات الإسرائيلية، حيث عمل كنوع من وزارة الخارجية السرية الموازية لإنشاء والحفاظ على الروابط مع البلدان التي لا تستطيع أو لا ترغب في إقامة علاقات رسمية مع الدولة اليهودية.41

كانت إيران جوهرة تاج ما عُرف لاحقًا بمبدأ "المحيط"، وظلت كذلك لأكثر من عقدين، حتى سقوط الشاه عام ١٩٧٩. اعترفت إيران بإسرائيل بحكم الأمر الواقع عام ١٩٥٠، بعد تركيا بفترة وجيزة، وكان لها وجود محدود، وإن كان غير رسمي، في طهران منذ ذلك الحين. أدار ماكس بينيت محطة أمان هناك في أوائل القرن العشرين.

وقد كانت هذه المدينة بمثابة قاعدة لعمليات الاستخبارات ضد العراق ودعماً لخروج اليهود العراقيين إلى إسرائيل.

تحسنت العلاقات بين البلدين بشكل كبير بعد السويس. في سبتمبر 1957، التقى الجنرال تيمور بختيار، أول رئيس لجهاز الاستخبارات والأمن الداخلي الإيراني المُنشأ حديثًا، السافاك، سرًا في باريس مع كاروز، الذي كان يشغل منصب "المستشار السياسي" في السفارة الإسرائيلية.42 وكان ذلك إنجازًا بالغ الأهمية. قال كاروز لاحقًا: "نقل إيسر الأمر مباشرةً إلى غولدا [مائير، وزيرة الخارجية]". "كانت هذه هي المرة الأولى التي تُبدي فيها دولة إسلامية أي اهتمام بنا".43 حافظ بختيار، الذي نشأت بينه وبين هاريل "صداقة شخصية وطيدة"،44 على اتصال بالإسرائيليين ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية حتى إقالته عام 1961. اغتيل لاحقًا على يد السافاك في العراق أثناء رحلة صيد. كان خليفة بختيار، الفريق نيم عطا الله ناصري سيئ السمعة، على اتصال وثيق بالإسرائيليين حتى إقالته عام ١٩٧٨. في ربيع عام ١٩٥٩، استضاف نظيره الإيراني، الجنرال علوي كيا، حاييم هرتزوغ، رئيس جهاز المخابرات الإيراني (أمان)، في طهران، واتفقا، بموافقة شخصية من كل من الشاه وبن غوريون، على التعاون العسكري والاستخباراتي. ٤٥ ورغم أن الجيش والهيئات الإسرائيلية الأخرى سرعان ما انخرطت في العلاقة المتطورة مع الشاه، إلا أن الموساد ظلّ القناة الرئيسية. كتب هاريل بعد ذلك:

بما أن أداة ناصر الرئيسية - كما هو الحال مع السوفييت والشيوعية - كانت التخريب وتنظيم الطابور الخامس، فقد كان اتخاذ تدابير فعّالة في مجال الأمن الداخلي أمرًا بالغ الأهمية والإلحاح. لذلك، بذلتُ جهودًا كبيرة لمساعدة هذه الدول في تنظيم أجهزة استخبارات وأمن فعّالة، وقوة عسكرية أو شرطية ضاربة قادرة على مقاومة أي محاولة انقلاب مفاجئة، داخلية كانت أو خارجية.46

وسرعان ما تعاونت الأجهزة السرية الإيرانية والإسرائيلية بشكل وثيق: "لقد انخرط الموساد في عمليات مشتركة مع السافاك على مر السنين منذ أواخر الخمسينيات"، كما جاء في تقرير لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية كتب في عام 1976 وتم التقاطه في طهران في عام 1979. "ساعد الموساد

أنشطة السافاك ودعم الأكراد في العراق. كما نقل الإسرائيليون بانتظام إلى الإيرانيين تقارير استخباراتية عن أنشطة مصر في الدول العربية، والاتجاهات والتطورات في العراق، والأنشطة الشيوعية التي تؤثر على إيران.

كان لإسرائيل وإيران عدوٌّ مشترك في العراق، على الرغم من أن اختلاف الظروف فرض أحيانًا مناهج مختلفة. وظلت الحسابات الإسرائيلية ثابتةً إلى حدٍّ ما. كان العراق الدولة العربية الوحيدة التي لم تُوقّع اتفاقية وقف إطلاق نار مع الدولة اليهودية في نهاية حرب عام ١٩٤٨. وبعد الإطاحة بالجنرال قاسم عام ١٩٦٣، عندما تحالف نظام عارف الجديد في بغداد مع مصر بقيادة عبد الناصر، أبدى الشاه اهتمامًا أكبر بمحاولة إضعاف العراق داخليًا. وكانت مساعدة المتمردين الأكراد في البلاد، الذين استأنفوا تمردهم عام ١٩٦١، أبسط سبيلٍ لتحقيق ذلك.

بدأت العلاقات الإسرائيلية مع الأكراد العراقيين جدياً عام ١٩٦٤، حين كان مير عميت يدير الموساد ويبدأ في زيادة عملياته الهجومية ضد الأهداف العربية. التقى شمعون بيريز، المتمرس في منصبه كنائب لوزير الدفاع، سراً بقُمران علي بدير خان، الزعيم الكردي المخضرم الذي تجسس لصالح الإسرائيليين في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي. بدأت أول دورة تدريبية لضباط البشمركة - واسمها الرمزي "مرواد" (سجادة) - في أغسطس ١٩٦٥ واستمرت ثلاثة أشهر.٤٨ في الصيف التالي، طلب ليفي إشكول وعميت من د. أرييه "ليوفا" إلياف، نائب وزير حزب العمل النشيط لشؤون التصنيع والتنمية، زيارة المناطق الكردية العراقية ومقابلة بارزاني. وكان حاييم ليفاكوف، الخبير العربي المخضرم في منظمة البلماح، مسؤولاً عن برنامج المساعدة الإسرائيلية في تلك المرحلة المبكرة، وكان أحد المساهمات غير العسكرية الأولى هو مستشفى ميداني.49 زار إشكول طهران بنفسه في يونيو/حزيران ١٩٦٦، وكذلك فعل وزير الخارجية، أبا إيبان، في نهاية العام. وورد أن بارزاني تلقى مساعدة من إسرائيل.

ضباط عندما صدت قواته الهجوم العراقي الكبير في يونيو 1966.50

أولت حكومة القدس هذه العلاقة السرية أولوية قصوى، على الرغم من أن بعض خبراء الشرق الأوسط الإسرائيليين شككوا في جدواها. لم يعد عزرا دانين منخرطًا في الاستخبارات بحد ذاتها، لكنه عمل نيابةً عن

كان مسؤولاً عن برامج التنمية الزراعية والمائية في إيران في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات، وكانت لديه تحفظات شديدة بشأن المساعدات العسكرية للأكراد. كتب دانين لاحقًا:

It was clear to me that the assistance we gave to the Kurdish fighters in Iraq could as exploiting the Kurdish tragedy for our own ends, even not but be interpreted though the assistance itself was a noble contribution and despite the fact that Israel gained military advan- tages by tying the hands of a considerable part of the Iraqi ith the Kurdish problem.51army by forcing it to deal w

hand intelligence on the -Support for the Kurds also provided the Israelis with first Iraqi army. One of the Mossad's most brilliant coups before the 1967 war, the

in -and his plane - painstakingly planned defection of an Iraqi air force MiG pilot August 1966, was made possible with Kurdish help. It was in this period that the Mossad began to become even more influential with SAVAK than the CIA.52 US sources say that the Israelis played an important role with respect to Department Three, SAVAK's hated internal security and surveillance apparatus. Relations with Iran developed slowly and cautiously, and although they were never formalized by an exchange of am- bassadors, 'the amplitude of their substance outweighed the their form', as the Foreign Ministry's Gideon Rafael put it.5 3 It was an deficiency of excellent summary of the whole policy. The second side of the periphery 'triangle' .was Ethiopia

Emperor Haile Selassie had first begun to put out feelers about establishing ties th Israel in 19 55. Fears of Nasserist subver- sion and hopes for development and wi Natan went to Addis Ababa -military assistance were his main motives. Asher Ben at the end of the year, although Sharett doubted whether Haile Selassie was really establish formal diplomatic relations at that stage.54 prepared to

Against the same background, similar contacts were made with Sudan, which was due to become independent in January 1956. In September 1955 Josh Palmon held Sudanese opposition Umma (Nation) secret talks in Istanbul with leaders of the

British, was keen to strengthen ties with the West and was -party, which was pro Egyptian and leftist- neutralist orientation of other political -opposed to the pro ion in August 19 56. Gur-to see Ben -Omar -groups. Palmon brought one of the -They speak Arabic and are Muslims,' the prime minister noted after' wards, 'but the Egyptians treat them scornfully and plan to dominate them.'55

لاحقًا، غيّرت إسرائيل سياستها السرية تجاه السودان. في ستينيات القرن الماضي، قدّم الموساد دعمًا محدودًا لمتمردي حركة أنيانيا في جنوب السودان. وكان الجنوبيون السود غير العرب قد ثاروا لأول مرة ضد الحكومة المركزية في الخرطوم عام ١٩٥٥، وفي السنوات اللاحقة، وفقًا للجنرال جوزيف لاغو، زعيم حركة أنيانيا، تلقوا أسلحة ومعدات اتصالات وبعض التدريب من الإسرائيليين. وأظهرت وثائق أنيانيا التي استولى عليها الجيش السوداني أن "أفرادًا إسرائيليين" زاروا معسكرات المتمردين، على الرغم من أن المساعدة ككل كانت على نطاق ضيق نسبيًا. وقد فرض المنطق السياسي نهجًا حذرًا وهادئًا. "إذا كان من الممكن إلحاق أي ضرر بالدولة العربية، فهذا، من وجهة نظر الدولة اليهودية، أمر جيد..." بشرط عدم الإضرار بالمصالح الأخرى ... إلى حد أن الإجراء الذي كان يهدف إلى الإضرار بالسودان أصبح غير منتج، كما أشار خبير غربي لاحقًا. "لقد كان واضحًا للإسرائيليين أن الموقف الصريح لصالح الجنوب وعملية المساعدات الكبيرة
"لصالح المتمردين كان من شأنه أن يحدث انطباعا كارثيا في أفريقيا السوداء".56

أُقيمت علاقات رسمية مع إثيوبيا بعد حرب عام ١٩٥٦ بفترة وجيزة.٥٧ وشارك يوسف نحمياس، ممثل وزارة الدفاع في باريس، في بعض هذه البعثات الاستكشافية المبكرة. وعزز الاتحاد المصري السوري في الجمهورية العربية المتحدة في فبراير ١٩٥٨ اعتقاد إسرائيل بأن سياستها في المحيط ضرورية وقابلة للتنفيذ.
كانت شركة إنكودا، المملوكة بالكامل لإسرائيل، والمُصدّرة للحوم الأبقار الإثيوبية، واجهةً تجاريةً فعّالة لأنشطة الاستخبارات. أدار يوسي هاريل، الضابط السابق في جهاز الأمن الإثيوبي (أمان)، أحد مصانع الشركة في أسمرة على البحر الأحمر. وصرح أحد مديريها لاحقًا: "كانت إنكودا بمثابة محطة للاستخبارات الإسرائيلية في أفريقيا".

كان لدينا مخبأ ضخم للأسلحة. كان موجودًا عند وصولنا. كنا مجرد غطاء. كان هناك وفد عسكري، وكانوا يتواصلون من خلالنا، مع جواسيس إسرائيليين في دول عربية أيضًا. كنا مجرد غطاء في صفقات الموساد. عندما كانوا يضطرون لإرسال شخص ما إلى دولة عربية، كانوا يفعلون ذلك من خلالنا.
في ديسمبر 1960، ساعد الإسرائيليون هيلا سيلاسي في سحق محاولة انقلاب من خلال تزويده بمعلومات عن خصومه وتصرفاتهم عندما كان عائدًا من رحلة إلى الخارج.59 تحسنت العلاقة، بدلاً من أن تفسد، عندما اتضح أن رئيس جهاز الأمن الداخلي للإمبراطور، الذي تم إنشاؤه بمساعدة إسرائيلية، كان أحد المتآمرين الرئيسيين.60 وفي الشهر نفسه، تجاهل بن غوريون نفسه قيود الرقابة العسكرية وكشف أن جيش الدفاع الإسرائيلي كان يساعد في تنظيم وتدريب الجيش الإثيوبي.61 تم تقديم المزيد من المساعدة في عام 1962 عندما بدأت جبهة تحرير إريتريا الانفصالية في قتال هيلا سيلاسي، بدعم من مصر والسودان وسوريا. قام حوالي أربعين مستشارًا إسرائيليًا بتدريب شرطة الطوارئ، وهي مجموعة نخبوية لمكافحة التمرد تضم 3100 رجل تم تشكيلها للعمل في إريتريا.62 أقام الإريتريون لاحقًا روابط مع منظمات حرب العصابات الفلسطينية.
لقد استكملت تركيا "المثلث" المحيطي، على الرغم من كونها
عضو في حلف شمال الأطلسي (الناتو) ومتلقي دعم أمريكي كبير، كان أقل عرضة للخطر من إيران وإثيوبيا. ابتداءً من سبتمبر 1957، التقى إلياهو ساسون، الذي كان يشغل آنذاك منصب السفير في روما، بانتظام مع وزير الخارجية التركي، باتين زورلو. كما لعب رؤوفين شيلواه، الذي عاد من سفارة واشنطن كمستشار خاص لغولدا مائير، دورًا مهمًا في الاتصالات أيضًا.63 ساعدت الأحداث في أماكن أخرى من الشرق الأوسط الإسرائيليين. حملت الحرب الأهلية في لبنان وإنزال مشاة البحرية الأمريكية، والإطاحة بالنظام الملكي العراقي في يوليو، والانهيار الوشيك للنظام الهاشمي في الأردن، بصمات التخريب الناصري. وعندما سافر الرئيس المصري إلى دمشق وأعلن دعمه للنظام الثوري في بغداد، تغلب الأتراك على ترددهم بشأن التعامل مع الإسرائيليين.64 في نهاية

في أغسطس/آب، وبعد سعيه للحصول على دعم أمريكي لخطة المحيط، سافر بن غوريون سرًا إلى أنقرة لإجراء محادثات مع نظيره التركي عدنان مندريس. وكان التعاون السياسي والاقتصادي والعسكري على جدول الأعمال، كما تم الاتفاق على ضرورة تبادل المعلومات الاستخباراتية بانتظام.65 ووفقًا لتقرير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) عن أجهزة المخابرات الإسرائيلية، أنشأ الموساد منظمة ثلاثية مع جهاز

الأمن القومي التركي (TNSS) وجهاز السافاك الإيراني. ونصت اتفاقية ترايدنت على أن يراقب الموساد الأنشطة السوفيتية في تركيا وأماكن أخرى، وأن يتلقى في المقابل معلومات عن الجمهورية العربية المتحدة، ويفترض أن تشمل هذه المعلومات جناحها السوري. ووعد الإسرائيليون بتدريب جهاز الأمن القومي التركي وتقديم المشورة الفنية بشأن مسائل مكافحة التجسس، كما فعلوا مع السافاك.66

مطاردة النازيين

لم يكن مطاردة النازيين أولويةً لإسرائيل في السنوات الأولى لقيامها. مع نهاية الحرب في أوروبا، قامت مجموعات صغيرة من جنود اللواء اليهودي والناجين من الهولوكوست، ممن أطلقوا على أنفسهم اسم "نوكميم" (المنتقمون)، بالبحث سرًا عن مئات من رجال قوات الأمن الخاصة (SS) والغيستابو وغيرهم من المسؤولين النازيين في إيطاليا والنمسا وألمانيا نفسها، وأعدموهم بإجراءات موجزة. نظّم "نوكميم" كلٌّ من إسرائيل كارمي، الذي أصبح لاحقًا قائد لواء دبابات في جيش الدفاع الإسرائيلي، وحاييم لاسكوف، الذي أصبح لاحقًا رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي، ومائير زوريا، الذي أصبح لاحقًا لواءً في جيش الدفاع الإسرائيلي، وهم ثلاثة جنود عاملين في اللواء اليهودي التابع للجيش البريطاني الثامن في شمال إيطاليا في مايو/أيار 1945. عملوا لمدة نصف عام تقريبًا، حيث حددوا هوية مجرمي الحرب النازيين وحددوا أماكنهم، وأعدموهم بإجراءات موجزة. عملوا بالزي البريطاني، مستخدمين وثائق ومعدات ومركبات عسكرية بريطانية.

في السنوات التي تلت تأسيسها عام ١٩٤٨، انشغلت إسرائيل بمشاكل أكثر إلحاحًا: بناء الدولة، واستيعاب المهاجرين، والعداء العربي. لم يترك هذا وقتًا كافيًا لطرد أشباح الماضي. ولكن بعد السويس، انتعشت...

اهتمامًا بالعصر النازي. أوضح هاريل لاحقًا: "في ذلك الوقت، قررنا توجيه اهتمامنا للنازيين. أعترف أن ذلك كان متأخرًا بعض الشيء. لكن الحاجة الأولى كانت ضمان حياة الشعب اليهودي."68

في أواخر عام 1957 تلقى هاريل معلومات عن المكان

نبذة عن أدولف أيخمان، ضابط قوات الأمن الخاصة (SS)، الذي جسّد، أكثر من أي نازي آخر لا يزال على قيد الحياة، الرعب البيروقراطي البارد الذي مثّله "الحل النهائي" لهتلر. روى هاريل قصته المؤثرة عن الأسر في كتابه "البيت في شارع غاريبالدي". مع بعض الإغفالات المتعلقة بتفاصيل العمليات، وميله الطبيعي للمبالغة في دوره على حساب مرؤوسيه - الذين يظهرون جميعًا بأسماء مستعارة - وقلة ذكره لليهود الأرجنتينيين الذين ساعدوا، يُعدّ الكتاب رواية دقيقة، مع أن الرقابة لم توافق على نشره إلا عام ١٩٧٤.

لم يكن الصيد سلسًا منذ البداية. بعد عامين

صدر القرار بعد استلام أول تقرير موجز عن عيش أيخمان تحت اسم مستعار في بوينس آيرس، قبل تنفيذ العملية في مايو/أيار 1960. تولى زفي أهاروني، رئيس فرع التحقيقات في الشاباك، والذي أعاره عاموس مانور للموساد، مهمة المراقبة الحاسمة في الأرجنتين. كان أهاروني، الذي ورد اسمه في كتاب هاريل باسم "يوسف كينيت"، "أحد أفضل المحققين في البلاد... رجل متفانٍ لا يلين أبدًا بمجرد أن ينخرط في مهمة". شارك أهاروني في التحقيقات الداخلية لـ "إيسك هابيش" في مصر، واستجوب "الرجل الثالث"، أفري إيلاد.69

وقد زود جهاز الأمن الداخلي (الشين بيت) المختطفين بأعضاء آخرين ذوي قيمة عالية.

فريقٌ وُصف آنذاك بـ"المتطوعين" نظرًا للحساسية الدبلوماسية للعمل غير القانوني في دولة أجنبية صديقة. وكان من بينهم رافي إيتان، رئيس فرع عمليات جهاز الأمن العام، ونائبه أبراهام شالوم (بندور)، وكلاهما من قدامى المحاربين في البلماح. وكان شالوم داني، كبير المزورين في الموساد، والذي كان متورطًا بشكل كبير في عملية هجرة المغاربة وكان هو نفسه أحد الناجين من الهولوكوست، أحد هؤلاء. اختُطف أيخمان في 11 مايو/أيار، حيث أُلقي القبض عليه في شارع غاريبالدي على يد تسفي مالشين، البالغ من العمر 70 عامًا، وهو رجلٌ قوي البنية في عمليات جهاز الأمن العام.

رجلٌ كان بارعًا في التقنيات ومُحترفًا في التمويه - احتُجز في منزلٍ آمن - واحدٌ من سبعة منازل مُستأجرة في أنحاء بوينس آيرس - حتى نُقل جوًا إلى إسرائيل بعد تسعة أيام على متن طائرة تابعة لشركة العال كانت قد نقلت أعضاء الوفد الإسرائيلي المُشارك في احتفالات الأرجنتين بالذكرى المائة والخمسين لتأسيسها. سلّطت محاكمته، التي بدأت في 11 أبريل/نيسان 1961، الضوء، على ما قالته حنة أرندت الشهيرة، على "تفاهة الشر" المُريعة. أُعدم أيخمان في 31 مايو/أيار 1962، وهو الرجل الوحيد الذي أُعدم قضائيًا في تاريخ إسرائيل. 71
كان من الصعب العثور على نازي آخر سيئ السمعة، وهو جوزيف مينجيل، الطبيب الذي أجرى تجارب جينية مروعة على نزلاء أوشفيتز اليهود، وخاصة التوائم. كان الإسرائيليون يعرفون عنه أقل بكثير، وفشلت محاولات تحديد مكانه في الأيام الأخيرة من عملية أيخمان. مُنح زفي أهاروني زمام الأمور ونُقل بشكل دائم إلى الموساد. أقام مقرًا له في باريس، حيث مكث حتى عام 1964. في ربيع عام 1962، وبعد عدة زيارات فاشلة إلى باراغواي، اعتقد أهاروني أنه أخيرًا على درب مينجيل. جاء الاختراق من مخبر، ضابط سابق في قوات الأمن الخاصة يُدعى ويليم ساسن، الذي أجرى مقابلة مع أيخمان قبل اختطافه وأصبح مقتنعًا بأن كل ما قاله اليهود عن الهولوكوست كان صحيحًا وأن الشرف الألماني قد تم التستر عليه. تم التواصل مع ساسن في أوروغواي فيما وصفه كاتبو سيرة مينجيله بأنه "واحدة من أغرب عمليات التجنيد في تاريخ التجسس". 72 وافق أهاروني على دفع 5000 دولار شهريًا له. قاد ساسن ومعارفه عميل الموساد إلى مزرعة خارج ساو باولو، حيث رأى رجلاً كان متأكدًا من أنه مينجيله نفسه. قال أهاروني لاحقًا: "لقد شاركت في العديد من العمليات. لقد لحقت بأيخمان في الحافلة قبل الاختطاف. قضيت ليلة مستلقيًا في الحقل المقابل لمنزله، لكنني في تلك اللحظة كنت أرتجف من الإثارة". ومع ذلك، عاد هاريل إلى باريس، مع ذلك، تجاهل معلوماته بسبب قضية ملحة أخرى. اشتكى أهاروني بمرارة: "اعتقدت أننا سنشرع الآن في التخطيط للعملية لأنني كنت مقتنعًا بأن مرحلة البحث قد انتهت". "عندما بحثت عن إيسر لأخبره، أخبروني أنه مشغول، يبحث عن يوسيليل إيسر ولم يكن مهتمًا

وقد توفي منجيله بسلام في البرازيل عام 1985. وكان هاريل يصر دائماً على أنه بذل كل ما في وسعه لتقديمه إلى العدالة. ولكن أهاروني لم يوافق على هذا الرأي.

البحث عن يوسيل

في مارس/آذار 1962، قبيل مشاهدة إعدام منغيله وآيخمان، طلب بن غوريون من هاريل تولي قضية طفل في الثامنة من عمره يُدعى يوسيل شوماخر. كان قد اختُطف من والديه قبل عامين على يد يهود متشددين معارضين للصهيونية ودولة إسرائيل. كان الخاطفون على صلة بجدّي الصبي، اللذين أرادا تربيته تربية دينية مناهضة للصهيونية. انزعج بن غوريون بشدة من القضية وتداعياتها على العلاقات بين اليهود العلمانيين والمتدينين وعلى سيادة القانون. ورغم الجهود الحثيثة، فشلت الشرطة والمحاكم في إعادة يوسيل إلى والديه المفجوعين.

في البداية شك هاريل فيما إذا كان ينبغي للأجهزة السرية أن تحصل على

كان متورطًا، لكنه سرعان ما اقتنع، مثل بن غوريون، بأنها مهمة ذات أهمية وطنية حيوية. أصبح مهووسًا بالبحث وكرّس لها موارد هائلة. وفي النهاية، شارك أكثر من أربعين عميلًا. وكتب لاحقًا: "في بعض الأحيان، بدا أن الدولة تفقد السيطرة... وأن التوازن الدقيق بين الدين والعلمانية، وبين القانون المدني والشريعة اليهودية [الهلاخية] سينهار بسبب النزاع المرير والمؤلم حول طفل مخطوف واحد".75

كانت "عملية النمر"، كما سُميت رمزيًا، غير عادية ومعقدة، وقد عارض أكثر من ضابط كبير، بمن فيهم رئيس جهاز الأمن العام (الشاباك)، عاموس مانور، بشدة التدخل فيها. يقول شموئيل توليدانو، أحد رجال الموساد العديدين المكلفين بالقضية: "كانت ميزتنا الكبرى دائمًا هي وجود أشخاص يمكن اعتبارهم من أي جنسية، عربًا أو ألمانًا أو أي جنسية أخرى. أما في قضية شوماخر، فكانت ملفاتنا مليئة بصور الحاخامات، لكننا واجهنا صعوبة في العثور على أشخاص ينتحلون صفة لوبافيتشر أو ساتمارر حسيد".76

لكنهم وجدوا أنهم كانوا كذلك. أبراهام أهيتوف، الذي كان مُعارًا للموساد وأصبح لاحقًا رئيسًا للشاباك، ارتدى زيًا أسود وأطلق خصلات شعره الطويلة كالأرثوذكس المتشددين؛ ثم أُمر باختراق عالم الحسيديم المُغلق والسري. نشأ أهيتوف في بيئة دينية، لكنه لم يكن على قدر صرامة وظيفته. على أمل جمع معلومات استخباراتية عن الصبي المفقود في مدينة مونترو السويسرية، طلب الطعام من امرأة يهودية، ليُقابله ردٌّ صادمٌ بأنه يوم صيامٍ قصير.77 قال عميلٌ آخر: "شعرتُ وكأنني هبطتُ على المريخ، واضطررتُ للاختفاء وسط حشدٍ من الرجال الصغار الخضر دون أن يُلاحظني أحد".78 تم تجنيد مُخبرين وإرسال عملاء إلى أماكن بعيدة مثل أنتويرب وباريس ولندن. صُممت حيلٌ مُعقدة لاستدراج المشتبه بهم الرئيسيين ومواجهتهم والضغط عليهم. عُثر على الطفل في نهاية المطاف في نيويورك، وأُعيد إلى إسرائيل بمساعدة مكتب التحقيقات الفيدرالي.79 وكان تيدي كوليك، من مكتب رئيس الوزراء، من بين المشككين في جدوى العملية. وكما قال لاحقًا:

أهملت الموساد أنشطةً مهمةً أخرى لنقص القوى العاملة. ولم تُطرح البدائل على بن غوريون قط. ولعله لو أُبلغ بأن البحث عن يوسيل سيكون على حساب مراقبة أنشطة العدو بدقة، لكان قد قرر عدم القيام بذلك - أو على الأقل منحه أولويةً أقل. وعندما عُثر على يوسيل أخيرًا - وكيف كان لإيسر أن يتحمل عدم العثور عليه بعد أن نجح في تعقب أيخمان؟ - واجه إيسر فجأةً قصصًا عن علماء ألمان في مصر، وقد أخافته.80

صواريخ لـ "ليتل" Isser
في 21 يوليو/تموز 1962، وخلال العرض العسكري التقليدي بمناسبة الذكرى العاشرة للثورة المصرية، كشف الرئيس جمال عبد الناصر عن سلاح سري جديد في الصراع ضد إسرائيل. وتباهى بأن صاروخ "الظفير" الذي يعمل بالوقود السائل وصواريخ "القاهرة" الأطول مدىً قادرتان على ضرب أي هدف "جنوب بيروت". وُجهت اللوم إلى "هيرا!" لفشله في توقع تطورات الحرب.

كان هناك الكثير من التذمر بشأن إضاعته وقت الموساد وموارده في مطاردة النازيين ومطاردة يوسيل شوماخر حول العالم. كانت العلاقات بين أمان والموساد متوترة لسنوات. وعد "الصغير" إيسر بإطلاع بن غوريون على المستجدات بسرعة، وسرعان ما أفاد عملاؤه أن الصواريخ تُصنع على يد علماء ألمان يعملون في مصر منذ عام ١٩٥٩ على الأقل.
وكان أشد منتقدي الموساد هو الجنرال مائير أميت.
رئيس الاستخبارات العسكرية المُعيّن حديثًا. وكما قال لاحقًا:
كنا في أمان نعتقد أن المشكلة الرئيسية تكمن في الأمن، وليس يوسيل شوماخر ولا حتى اختطاف أيخمان. إن إعادة أيخمان إلى إسرائيل، على عكس إعادة يوسيل، منح استخباراتنا خبرة مهنية وسمعة طيبة. لكن أمان كانت تعاني آنذاك من مشاكلها الخاصة. استغرقت هذه العمليات الأخرى جهدًا كبيرًا لدرجة أنني اضطررت لإبلاغ رؤسائي أنني لست مستعدًا للاستمرار على هذا النحو في ظل نقص حاد في المعلومات بسبب تحويل مواردنا.82
قبل أميت طلب رئيس الأركان، تسفي تسور، بتولي قيادة جهاز المخابرات العسكرية (أمان) في أوائل عام ١٩٦٢، في وقتٍ كانت فيه الآثار المدمرة لفضيحة لافون لا تزال محسوسة، وكانت العلاقات مع الموساد في أدنى مستوياتها. وكان مرؤوسو أميت قد حذروه من التواصل مع "إيسر الصغير"، لكنه تجاهلهم، وسرعان ما تدهورت الأجواء. وسرعان ما اشتكى أميت من قلة فهم الموساد للجيوش العربية أو خططها الحربية. استشاط هاريل غضبًا لأنه وحده من يعرف كيف. قال أميت لزميل متعاطف: "لقد كان حقًا الرجل الذي يعرف كل شيء، لكنه لم يكن يحتمل أي انتقاد".
تحرك إيسر بسرعة. في نهاية يوليو 1962، بدأ الموساد
أنشأ وحدة خاصة للتعامل مع مسألة الصواريخ وغيرها من الأسلحة الحديثة. نسقت الوحدة بشكل وثيق مع القسم الفني في جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان). وبحلول منتصف أغسطس، كان قد حقق بالفعل ما يُعتبر، بكل المقاييس، إنجازًا استخباراتيًا هائلًا. أطلع بن غوريون على رسالة، مؤرخة في 24 مارس من ذلك العام، من عالم ألماني بارز يُدعى البروفيسور فولفغانغ بيلز، إلى...

مدير مصري لمصنع صواريخ يُدعى الرمز 333. ووفقًا للوثيقة، كان من المقرر تصنيع 900 صاروخ، وكانت هناك أدلة إضافية، وإن كانت أضعف، على إجراء أبحاث لتزويد الأسلحة برؤوس حربية غازية أو كيميائية أو بيولوجية. أما الجانب المشرق الوحيد فكان وجود شكوك كبيرة حول فعالية أنظمة توجيه الصواريخ. فقد

أنشأ الألمان ثلاثة مصانع سرية، تعمل على التوالي على الطائرات النفاثة والمحركات النفاثة والصواريخ متوسطة المدى التي تعمل بالوقود السائل. وتم تشكيل عدة شركات وهمية في ألمانيا لتوفير غطاء للخدمات اللوجستية، وتم إنتاج ثلاثين صاروخًا بالفعل. 84 وكانت أنشطة بيلز تخضع لمراقبة زفي مالشين وأعضاء آخرين من فرق المراقبة التابعة للموساد العاملة في ألمانيا. وتمكن مالشين من اقتحام مختبر بيلز في كولونيا وتصوير المخططات والأوراق بعد أن خطط في البداية لخطف كلب حراسة ضخم من نوع دوبرمان.85

اعتقد هاريل أن العلماء الألمان كانوا يعملون على أسلحة تُهدد وجود إسرائيل ذاته. واقترح أن يطلب بن غوريون رسميًا من رئيس وزراء ألمانيا الغربية، كونراد أديناور، التدخل لوقف عملهم، مُجادلًا بانفعال بأن حكومة بون تتحمل واجبًا أخلاقيًا تجاه الدولة اليهودية. لكن بن غوريون قاوم بإصرار أي إجراء قد يُعيق التعاون المُتطور باستمرار بين البلدين، وفضّل أن يطلب من بيريز التعامل مع الأمر بهدوء مع فرانز جوزيف شتراوس، وزير الدفاع. كما رفض إيسر بغضب الاتهامات بأن الموساد كان ينبغي أن يكون على دراية أكبر.86

كان رجاله قد أبلغوا لأول مرة عن محاولات مصرية للحصول على تقنية غير محددة في عام ١٩٥٦، ثم مرة أخرى في أعوام ١٩٥٩ و١٩٦٠ و١٩٦١. اقتصر الموساد في تلك الفترة على جمع المعلومات الاستخباراتية، وكانت مواده الخام تُمرَّر بشكل روتيني إلى جيش الدفاع الإسرائيلي ووزارة الدفاع للتقييم. في سبتمبر ١٩٦١، أصدر جهاز الاستخبارات العسكرية (أمان) تقييمًا أوليًا حول تطوير صواريخ أرض-أرض في مصر. وتوقع تقييم ثانٍ لفرع الاستخبارات في أكتوبر ١٩٦٢ إمكانية تشغيل حوالي ١٠٠ صاروخ في غضون عام إلى ثمانية أشهر.

شعر إيسر "الصغير" بأن منظمته تُختار كبش فداء لإخفاقات الآخرين. ألقى باللوم على بيريز، الذي كان يبغضه، في الكشف المبكر عن قدرات إسرائيل الصاروخية الناشئة في يوليو 1961، وجادل بأن إطلاق صاروخ شافيت-2 عشية الانتخابات العامة في ذلك العام كان بادرة سياسية جاءت بنتائج عكسية، إذ نبه المصريين إلى حالة تكنولوجيا عدوهم.33 لم يصدق أحد التفسير الرسمي بأن شافيت (المذنب) كان مخصصًا في الواقع لأبحاث الأرصاد الجوية. ولم يكلف أحد نفسه عناء السؤال عما حدث لشافيت-1. والحقيقة أنه لم يكن هناك صاروخ.

رفض هاريل الانتقادات الموجهة إلى عمليتي أيخمان ويوسيلي بكونهما إهدارًا للموارد: فقد حظيتا كلتاهما بموافقة بن غوريون الشخصية، واعتُبرتا مهمتين وطنيتين بالغتي الأهمية. وكتب لاحقًا بازدراء أن بيريز "أصاب رئيس الوزراء بالذعر" و"نقل إليه عدوى" مخاوفه المبالغ فيها. كما اعتقد أن نائب وزير الدفاع الطموح قد وقع ضحية لرؤيته المبالغ فيها لتفوق إسرائيل التكنولوجي على العرب.89

ما بدأ كخلاف بيروقراطي حول نجاح الاستخبارات وأولوياتها، سرعان ما اتخذ منحى سياسيًا واضحًا. هاريل - الذي وصفه مسؤول متشكك بأنه "ليس رجلاً يتسامح مع المشككين" - نال دعم وزيرة الخارجية، غولدا مائير، التي انضمت إلى رئيس الموساد في المطالبة بحرب شاملة ضد العلماء، كما لو كانوا لا يزالون نازيين بامتياز، وأنه لا وجود لما يُسمى بألمانيا "الجديدة" التي تُسهم إسهامًا بالغ الأهمية في الوضع المالي والأمني

لإسرائيل. أدرك أميت، الجندي المحترف، لاحقًا أن الصراع يدور حول السياسة الإسرائيلية الداخلية والحرب على خلافة بن غوريون أكثر من أي شيء آخر.

عملية ديموقليس

وقد تعززت التقارير المثيرة للقلق بشأن حجم البرنامج المصري بشكل كارثي عندما اقترب عالم نمساوي ساخط يدعى أوتو جوكليك من الإسرائيليين.

بعد تبديد الشكوك الأولية بأنه مُخابر، نُقل سرًا إلى تل أبيب وخضع للاستجواب. زعم جوكليك أن المصريين كانوا يستعدون لتزويد صواريخهم برؤوس حربية تحتوي على نفايات مشعة في عملية تحمل الاسم الرمزي "إيبيس 1". والأخطر من ذلك، أن مشروعًا يُدعى "كليوباترا" كان مُصممًا لإنتاج رؤوس حربية نووية.
انطلقت عملية الموساد، التي أُطلق عليها اسم "ديموقليس"، على قدم وساق. سافر هاريل نفسه مرارًا وتكرارًا إلى أوروبا لمقابلة قائده في الموقع، وهو إسرائيلي من أصل ألماني يُدعى جو رعنان (رايزمان)، انضم إلى الجهاز قادمًا من استخبارات سلاح الجو الإسرائيلي في مايو/أيار 1957. كان إيسر، كعادته، في أوج عطائه في الميدان. كان رئيس الموساد يأمر رعنان قائلاً: "اقبل الكعكة"، بينما كانا يلتقيان مرارًا في المقاهي ويحاولان جاهدين الظهور بمظهر طبيعي، "وإلا فسنبدو مشبوهين".92
كان إسحاق شامير، أحد الشخصيات الرئيسية في "ديموقليس"، زعيم عصابة شتيرن السابق الذي جنده هاريل عام ١٩٥٥، كجزء من سياسته في "استقطاب" المنشقين السابقين الذين اكتسبوا مهارات في الأنشطة السرية خلال النضال السري ضد البريطانيين. أُعطي شامير غرفة بجوار هاريل، وأدار بعض العمليات غير المخطط لها، والتي عادةً ما شملت دولًا للاغتيال، وأُرسل إلى باريس عام ١٩٥٦. استقدم بدوره خمسة من أعضاء شتيرن السابقين لعمليات "منخفضة المستوى". كان أحدهم هرتزل عميكام، الذي انضم إلى الموساد عام ١٩٦١ وبقي في الموساد لمدة أحد عشر عامًا.
اختفى الدكتور هاينز كروج، مدير شركة واجهة مصرية مقرها ميونيخ تُدعى "إنترا"، في ظروف غامضة، ويُعتقد أنه قُتل في سبتمبر/أيلول 1962. في 7 أكتوبر/تشرين الأول، غادر هاريل إلى أوروبا "ليشرف شخصيًا على العمليات المصرح بها وبرنامج جمع الأموال الخاص". 94 وفي نوفمبر/تشرين الثاني، أرسل أمان عدة طرود مفخخة إلى منشآت الصواريخ في مصر، وأسفرت إحداها، وهي طرد كبير أُرسل بحرًا من هامبورغ، عن مقتل خمسة مصريين. وقد وصف شخص يتمتع بحس فكاهة ساخر الحملة بأنها "حادثة ما بعد الوفاة". 95
في فبراير 1963، حاول قاتل مأجور من الموساد، أرسله شامير، اغتيال الدكتور هانز كلاينفاتشر، خبير الإلكترونيات الذي عمل على مشروع هتلر V2 خلال الحرب، لكنه فشل. كان هاريل مهووسًا بالقضاء عليه.
رئيس الموساد

قضى ليلةً كاملةً في سيارة مع أحد قتلة شامير، الذي كان يحمل رشاشًا تحت بطانية، خارج منزل كلاينفاتشر في لوراش، لكن الهدف لم يصل. أطلق القاتل الثاني النار مبكرًا جدًا، فانحرفت الرصاصة من نافذة السيارة

واستقرت في وشاح الألماني. ثم تعطل سلاحه. أُرسلت رسائل تهديد، مُرسلة في مصر، إلى العلماء وعائلاتهم.
بعض هذه الرسائل كتبها وأرسلها جاسوس إسرائيلي يُدعى فولفغانغ لوتز، الذي كان أيضًا مصدر الكثير من معلومات الموساد عن العلماء الألمان في مصر. كان لوتز إسرائيليًا من أصل ألماني، يعمل من القاهرة منذ أوائل عام ١٩٦١، بعد أن أمضى عامًا في ألمانيا لإخفاء هويته كضابط سابق في الفيرماخت (القوة المسلحة الألمانية) ومربي خيول ثري. وُلد في مانهايم عام ١٩٢١ لأب غير يهودي وأم يهودية، أحضرته إلى فلسطين عام ١٩٣٣. لم يكن مختونًا - "وهو عامل،" كما كتب لاحقًا، "كان حاسمًا في إثبات قصتي السرية وإنقاذ حياتي".٩٧
كان الأمن المصري مُشددًا للغاية، وكان الأجانب يخضعون لمراقبة روتينية من قِبل المخابرات العامة والشرطة السرية. كتب دبلوماسي بريطاني كان يعمل في القاهرة آنذاك: "إن انتشار أجهزة المخابرات التي اعتمد عليها ناصر قد نشر جوًا من الخوف. كانت الهواتف تُنصت عليها بسخاء، والمحادثات تُسْتَرْسَت، وكانت القلعة تعجّ بأشخاص يُزعم أنهم أساءوا للدولة".98 لكن لوتز، وهو رجل مجتمع مُخضرم وطيب القلب، كون صداقات قوية. شجع شائعات قديمة بأنه خدم في قوات الأمن الخاصة (SS) بدلًا من الفيرماخت (الجيش الألماني)، وبالتالي انخرط في زمرة سرية من النازيين السابقين الذين يعيشون في القاهرة. في أغسطس/آب 1962، بعد وقت قصير من الكشف عن الصواريخ الجديدة في استعراض يوم الثورة، سافر لوتز إلى باريس للقاء مُراقبه "يوسف"، وأُمر بمعرفة المزيد عن مشروع الأسلحة.99
امتدت حملة مطاردة النازيين، التي أدارها تسفي أهاروني من العاصمة الفرنسية، إلى "ديموقليس". كان التعامل مع قدامى محاربي قوات الأمن الخاصة (SS) أمرًا مقززًا بالنسبة للإسرائيليين، لكن ويليم ساسن قرّبهم من منغيله؛ إذ لم يكونوا مصدرًا يُذكر.

كان من الممكن إغفاله. وقد وفّر تجنيد الموساد لأوتو سكورزيني، العقيد الكوماندوز الأسطوري الذي شنّ غارة جريئة بطائرة شراعية لإنقاذ موسوليني من أيدي الثوار الإيطاليين في سبتمبر/أيلول 1943، معلومات أكثر أهمية عن العلماء الألمان. كان سكورزيني يعيش في إسبانيا عندما تواصل معه عملاء الموساد في أوائل عام 1963. ليس من الواضح ما إذا كان النازي السابق يعلم أنه يتعامل مع إسرائيليين. لكن المؤكد هو أنه عندما زاره أحد رفاق سكورزيني القدامى، الذي كان يعمل على مشروع الصواريخ في مصر، التقى العالم الألماني بإسرائيليين متنكرين في زي "مسؤولين من الناتو". وقد وفّر هذا "التحايل" الكلاسيكي معلومات استخباراتية أكثر قيمة لـ"ديموقليس".
وكان من بين العملاء الإسرائيليين الآخرين الذين عملوا في مصر في هذه الفترة أهارون موشيل، وهو صحفي يهودي ألماني، والذي، وفقاً لمذكراته، اتصل به ديفيد كيمشي من الموساد في عام 1961 في رسالة مكتوبة على ورق مجلة مقرها باريس تسمى "مراقب الشرق الأوسط وأفريقيا".10،1
ذهب موشيل إلى القاهرة مراسلاً لصحف ألمانية، وأخفى تقاريره الاستخباراتية على أنها رسائل إلى "خالته" في كولونيا. سكن بالقرب من مكتب التلغراف المركزي، مما ساعد على إخفاء جهاز إرساله اللاسلكي. لا تتضح قيمته كجاسوس من روايته الغريبة عن مسيرته القصيرة في التجسس، مع أنه سرق ذات مرة بطاقة هوية تابعة للشرطة السرية المصرية من موظف في فندق، وسلمها إلى الموساد، مما سمح لهم بتزويرها بأنفسهم.

مثل لوتز، كان موشيل يبحث عن علماء وفنيين ألمان. التقى ببعضهم في حفل أقامه الملحق الصحفي في سفارة ألمانيا الغربية، وسمعهم يناقشون المشاكل التي يواجهونها في برامج بناء الطائرات والصواريخ المصرية، بما في ذلك عدد من "الأخطاء الفادحة".102 غادر موشيل القاهرة بعد اعتقال عصابة وولف لوتز. ترك التجسس، لكن الموساد استمر في مساعدته عندما انتقل إلى لوكسمبورغ، ونشر نشرة إخبارية عن الشرق الأوسط، حظيت بشعبية لدى السفارات العربية في بون.
انفجرت قضية العلماء الألمان علنًا في مارس 1963. كان جوكليك وعميل الموساد يوسف بن جال

أُلقي القبض عليه في سويسرا بعد تهديده هايدي جورك، ابنة الدكتور بول جورك، خبير الإلكترونيات الذي كان يعمل في القاهرة. كان الإسرائيليون قد أدوا واجبهم على أكمل وجه، وكانوا يأملون بوضوح في استخدام ابتزاز بسيط لإقناع جورك بالعودة إلى الوطن: كشف رعنان لاحقًا أن هايدي نفسها كانت على علاقة غرامية مع مسؤول مصري كبير، وأن والدها كان يُجري علاقة سرية مع زوجة مهندس مصري كبير، وكان يُدير عشًا سريًا في ضاحية الزمالك الراقية بالقاهرة؛ وكان العديد من زملائه يمارسون المثلية الجنسية.
كان رعنان متوترًا بشأن الخطة وأطلع بن
راقب غال بعناية قبل ذهابه هو وجوكليك لرؤية هايدي في فندق "دراي كوينيجي" في بازل في 2 مارس. لكن هايدي غوركي أبلغت الشرطة السويسرية، فتم تعقب رجل الموساد والعالم النمساوي واعتقالهما. راقب رعنان، عاجزًا، بن غال وهو يُقبض عليه في محطة قطار زيورخ. سمع هاريل الخبر السيئ من رعنان، وفي 8 مارس، عادت الميمونة جوًا إلى إسرائيل لإبلاغ بن غوريون به.
كانت الأزمة تخرج عن السيطرة بشكل خطير. في 15 مارس،
أعلن السويسريون عن اعتقالات، وطالبت الحكومة الألمانية بتسليم بن غال. استشاط بن غوريون غضبًا، فبادر بمبادرة شخصية منه بإطلاع كبار الصحفيين الإسرائيليين على خلفية القضية. زودهم بمعلومات شريطة أن يقدموا تقاريرهم من أوروبا، في محاولة مكشوفة للإيحاء بأن التسريبات صادرة من هناك وليس من إسرائيل. وكانت النتيجة حملة صحفية مكثفة وهستيرية هددت بإلحاق ضرر بالغ بالعلاقات مع بون، وتقويض سياسة رئيس الوزراء المثيرة للجدل تجاه ألمانيا الغربية. ودار الحديث عن "أشعة الموت" وأسلحة أخرى من الخيال العلمي، وعن محاولات ألمانية متجددة لإيجاد "حل نهائي" للمسألة اليهودية.

إعادة التقييم والاستقالة
عاد شمعون بيريز من فرنسا وتولى زمام الأمور. ووبخ هاريل على "تصرفه غير المدروس المبني على تكهنات"

التقارير رقم 104، وأمرت جيش الدفاع الإسرائيلي ووزارة الدفاع بإعادة تقييم التهديد الصاروخي المصري. وكانت النتيجة استثنائية. بين عشية وضحاها تقريبًا، غيّر جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) موقفه: خلص قسم الأبحاث بقيادة أهارون ياريف إلى عدم وجود دليل قاطع على أن علماء ألمان يعملون على أسلحة كيميائية أو بيولوجية؛ ووصف يوكليك بأنه محتال أو دجال؛ وأن مشروعي "إيبيس" و"كليوباترا" ببساطة غير قابلين للتنفيذ. في 24 مارس/آذار، استمع بن غوريون إلى تقرير بهذا المعنى من بيريز وتسور وأميت.

استشاط هاريل غضبًا. وأخبر رئيس الوزراء أن بيريز قدّم رواية ذات ميول سياسية لمعلومات استخباراتية لا تقبل الجدل. في اليوم التالي، استقال "إيسر الصغير".
كان أميت يقوم بجولة في منطقة البحر الميت في 25 مارس/آذار عندما أُمر بالاتصال برئيس الوزراء في تل أبيب على وجه السرعة. أُرسلت طائرة خصيصًا لنقله، وأراه بن غوريون رسالةً أرسلها لتوه إلى الميمونة يقبل فيها استقالته. أمر بن غوريون أميت بتولي قيادة الموساد فورًا ريثما يتم إيجاد خليفة لهاريل. في اليوم التالي، حضر أميت إلى مكتب إيسر، حيث كان رئيس التجسس القديم، كما وصفه أميت لاحقًا، "حامضًا كالليمون". هاريل
قال بضع كلماتٍ نابية لخليفته وغادر. كان جميع الموظفين تقريبًا يبكون.105
على الرغم من الانتقادات السابقة، استمرت الحملة ضد العلماء الألمان في عهد أميت، مما زود هاريل بحجة قوية مفادها أن "إعادة تقييم" أمان كانت ببساطة جزءًا من "مؤامرة" ذات دوافع سياسية للتخلص منه. استقال جو رعنان من منصبه في الموساد في أوروبا، وحل محله رافي (المُلقب بـ"النتن") إيتان، رئيس عمليات الشاباك الذي قاد فريق اختطاف أيخمان في الأرجنتين. أما المنصب التنفيذي الذي وعد به إيسر "الصغير" رعنان، فقد ذهب بدلًا منه إلى رحافيا فاردي، وهو ضابط سابق في جهاز الأمن القومي.
كان يرأس سابقًا قسم تحصيل أمان تحت قيادة أميت.106
لكن إيسر لم يستسلم. دعا حلفاؤه السياسيون إلى اجتماع للجنة الأمنية الوزارية لعرض قضيته. ظهر هاريل بملف منتفخ، وشرع في اقتباس مطول من وثائق سرية للغاية، حتى قاطعه بن غوريون بغضب وخرج من الغرفة غاضبًا.

إن رواية إيسر تتجاهل بشكل حكيم هذا الجانب من الاجتماع.
سمح هاريل لنفسه بمتعة سرية أخيرة. كان يقضي عطلته في أوروبا مع زوجته، ثم سافر إلى باريس للقاء يوسف بن غال، الذي أُطلق سراحه لتوه من السجن في سويسرا. التقيا في يار، وهو مطعم روسي صغير كان إيسر يرتاده.
كان هذا الأمر متكررًا عندما كان في المدينة.108 "لم يحدث من قبل أبدًا"، كتب هاريل
لاحقًا، في ملاحظة شخصية نادرة، "هل شربتُ الكحول في ذلك المطعم؟"، لكن صاحب المطعم لاحظ أن هذه مناسبة خاصة، فأحضر زجاجة فودكا على حسابه. لدهشته الكبيرة، وافقت، ولدهشته الأكبر، شكرته بلغته الأم، الروسية، التي لم يخطر بباله قط أنني أعرفها.'109
لم يكن الرضا برحيل هاريل مقتصرًا على أمان. فقد اعترض تيدي كوليك، الذي شغل منصب المدير العام لمكتب رئيس الوزراء منذ عام ١٩٥٢، لفترة طويلة على طريقة إدارة الأعمال بين رئيس الموساد وبن غوريون. وكتب: "كان إيسر يُقدم تقاريره مباشرةً وبسرية إلى بن غوريون دون أي شخص آخر. لم تكن هناك طريقة للتحقق من صحة التقييم الاستخباراتي، إذ كان جميع أعضاء الحكومة - دون استثناء - يُبقون على جهل. حتى ثقة بن غوريون غير المحدودة بإيسر لم تكن كافية".
يبدو أن هناك ما يبرر مثل هذه الممارسة.110

يأجوج وماجوج

ندم إيسر هاريل على استقالته، ووجد صعوبة في قبول استبداله بمائير عميت. ووفقًا لروايات عديدة، لم يُضيع ميمونة السابق أي فرصة لمحاولة تقويض رئيس الموساد الجديد، خاصة بعد أن أصبح التعيين دائمًا في يناير/كانون الثاني 1964. قاوم عميت، بتردد في البداية ثم بشراسة. شبّه يسرائيل ليور، السكرتير العسكري لإشكول، تنافسهما بصراع يأجوج ومأجوج المذكور في التوراة - معركة ضارية بين قوتين عظيمتين. فشل هاريل في إثبات صوابه في اتخاذ موقف حازم.

على العلماء الألمان، لكنه وجد فرصة جديدة لشن حرب على أميت عندما عيّنه إشكول مستشارًا خاصًا لشؤون الاستخبارات والأمن في سبتمبر/أيلول 1965. كانت لجنة يادين-شارف، التي شُكّلت عام 1963 للنظر في هيكلية وطريقة عمل مجتمع الاستخبارات بأكمله في ضوء "الخطأ" الذي وقع في مصر عام 1954، قد اقترحت هذا المنصب.
بطبيعة الحال، عارض أميت تعيين هاريل مستشارًا لإشكول وهدد بالاستقالة إذا ما مضى قدمًا في ذلك. كان أميت يعتقد أن هاريل يخدم مصالح وزراء مثل غولدا مائير ويغال ألون في صراعهم ضد بن غوريون. كان على أميت أن يقاتل داخل الموساد وخارجه على حد سواء. كان نائبه، يعقوب كاروز، من أشد مؤيدي إيسر ولاءً - "خادمه الأمين"، كما اشتكى أحد زملائه الساخطين111 - وفي أكتوبر 1965، انتقامًا لعلاقة كاروز الوثيقة بهاريل، طالب أميت نائبه بأخذ إجازة. عندما رفض كاروز، قيد أميت وصوله إلى وثائق حساسة.112 سلم أميت مواد استخباراتية لهاريل، لكنه لم يحاول إخفاء تردده في القيام بذلك. في بعض الأحيان، أثناء غياب أميت المنتظم في الخارج، كان هاريل يستدعي رؤساء أقسام الموساد لمقابلة إشكول وإبلاغ رئيس الوزراء بآرائهم في أميت. في الاجتماعات التي كانت تهدف إلى الموافقة على عمليات الموساد، رفض هاريل جميع المقترحات تقريبًا رفضًا قاطعًا، كما كتب ليور لاحقًا. «كان أميت عاجزًا». 113

قضية بن بركة

بلغت المواجهة ذروتها في أواخر عام ١٩٦٥ على خلفية أخطر أزمة في مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي منذ قضية لافون. وكان السبب تورط الموساد في اختطاف وقتل المهدي بن بركة، زعيم المعارضة والناشط المغربي.١١٤
أدت قضية بن بركة إلى تحقيقات داخلية على مستوى مجلس الوزراء في إسرائيل وفرنسا، ومطالبة هاريل بإقالة أميت، أو استقالة إشكول نفسه. حاول هاريل استخدام القضية كنقطة ارتكاز تُمكّنه في النهاية من...

للإطاحة بمنافسه. إلا أن الأمر انتهى باستقالة هاريل النهائية في يونيو/حزيران ١٩٦٦.
في مذكراته، تحت ضغط الرقابة، كتب هاريل:
بشكل غامض عن "هفوة خطيرة للغاية". منذ خلافة الملك الحسن الثاني لعرش المغرب عام 1961، تمتعت المخابرات الإسرائيلية بعلاقة خاصة مع جهاز الأمن الخاص به. كان لدى الدولتين عدو مشترك هو الرئيس المصري جمال عبد الناصر وقلق مشترك بشأن طموحاته القومية العربية والجمهورية. سرعان ما رأى هاريل الإمكانات الهائلة في هذه الصلة السرية وساعد العملاء الإسرائيليون الملك الجديد على إصلاح جهازه السري ودربوا عملائه بشكل منتظم.115 في عام 1965، تم إحضار الجنرال محمد أوفقير، وزير

داخلية الملك الحسن الثاني والمسؤول عن جهاز الأمن، سراً إلى إسرائيل بواسطة ديفيد كيمشي من الموساد.116 في ربيع ذلك العام، اقترب أوفقير من عميت وطلب مساعدة الموساد في العثور على بن بركة وقتله. كما تم جلب ضباط جهاز مكافحة التجسس الفرنسي (SDECE)، الذين كان ناصر وأصدقاؤه القوميون العرب خارج مصر يشكلون مصدر إزعاج لهم منذ دعمهم لجبهة التحرير الوطني منذ بداية الحرب الجزائرية، بواسطة المخابرات المغربية.

بن بركة، معلم سابق للملك الحسن والرئيس السابق

كان بن بركة، عضو المجلس الوطني الاستشاري لبلاده، متورطًا في مؤامرات لإسقاط النظام الملكي، وحُكم عليه بالإعدام غيابيًا مرتين من قِبل المحاكم المغربية. بدأ عملاء إسرائيليون وفرنسيون ومغاربة بتعقبه من منزله في جنيف. استُدرج السياسي المنفي إلى باريس - وكان للموساد دورٌ أساسي في وضع الخطة - حيث اختطفه فريقٌ مختلط من العملاء الفرنسيين والمغاربة في 29 أكتوبر/تشرين الأول 1965. اقتيد بن بركة إلى فيلا يملكها أحد زعماء الجريمة الفرنسية في إحدى ضواحي باريس الراقية، وخضع للاستجواب والتعذيب، ثم قُتل بحضور أوفقير. دُفن في حديقة الفيلا، ونُبش قبره وأُعيد دفنه بعد بضعة أسابيع على ضفاف نهر السين.

دفع الاحتجاج الذي أثارته أحزاب المعارضة في فرنسا عقب اختطاف بن بركة الرئيس ديغول إلى إطلاق تحقيق حظي بتغطية إعلامية واسعة. واستخدم

فرصة لتطهير SDECE من اليمينيين المرتبطين بمنظمة الدول الأمريكية خلال فترة "الجزائر الفرنسية". تلت ذلك محاكمتان؛ في إحداهما، أُدين أوفقير وحُكم عليه غيابيًا.11 7

كان الفرنسيون على دراية بالدور الإسرائيلي في القضية، لكن التوافق بين الأجهزة أقنعهم بإبقاء الأمر طي الكتمان. لكن هاريل، في القدس، علم بالأمر من يعقوب كاروز، وأثار ضجة. واشتكى هاريل من أن الموساد بقيادة عميت قد استُخدم من قبل دولة أخرى لاغتيال خصم سياسي. وقد عرّضت أفعال الموساد، في انتهاك واضح للقانون المحلي والدولي، وعلى أرض أجنبية صديقة، العلاقات الإسرائيلية الفرنسية للخطر، التي كانت حجر الزاوية في السياسة الخارجية الإسرائيلية منذ عام ١٩٥٦. وكان من أهم مكونات هذه العلاقات دور فرنسا كمورد رئيسي للأسلحة لإسرائيل. وقد كان هذا أيضًا معرضًا للخطر. أنكر أميت مشاركة عملاء إسرائيليين في عملية الاختطاف والقتل، وأكد أن دور الموساد كان "هامشيًا": إذ لم يقم الجهاز سوى بتزويد علب موروك بـ"جواز سفر" و"عدة سيارات مستأجرة".118 كما أكد أميت أنه تلقى موافقة إشكول على العملية. وأصرّ إشكول لاحقًا على أنه لم يكن يعلم شيئًا عنها إلا بعد وقوعها. ولم تُنشر أي كلمة عن دور إسرائيل في القضية. وكما هو الحال في قضية لافون، كان السؤال: "من أصدر الأمر؟"

فُتحت ثلاثة تحقيقات؛ وعيّن إشكول فريق يادين-شارف للتحقيق في الأمر "على انفراد". وألقت اللجنة المكونة من عضوين باللوم على إشكول فيما حدث. ودعا تحقيق داخلي موازٍ لحزب الماباي إلى استقالة إشكول. لكن هاريل أقنع إشكول، استنادًا إلى وثائق الموساد التي أتاحها له كاروز، "بأن أميت خدعه"، وطالب رئيس الوزراء بإقالة رئيس الموساد. وكتب مؤرخ إسرائيلي: "ظلت تفاصيل الحادثة غامضة كغموض تفسير الوثيقة المحورية في القضية: رسالة من إشكول إلى أميت يمكن تفسيرها على أنها موافقة على مساعدة الموساد للمغاربة في اختطاف بن بركة".

إشكول، يحاول يائسًا تجنب إحراج

مواجهة حاسمة مع أميت، والتي وعد أميت بأنها ستكون صاخبة وفوضوية، عينت لجنة أخرى رفيعة المستوى - وزيرة الخارجية جولدا مائير، ووزير العدل يعقوب شمشون شابيرا، والوزير بلا حقيبة يسرائيل جليلي، ورئيس الموساد السابق لعليا بيت شاؤول أفيجور - للنظر في القضية. طالبت اللجنة باستقالة أميت الفورية. رفض رئيس الموساد، قائلاً إنه لن يذهب إلا مع إشكول. مع وجود بن غوريون وحزب رافي الذي شكله حديثًا في الكواليس، في انتظار الانقضاض، رفضت قيادة ماباي وإشكول فرض القضية، مما كان سيعني معركة علنية مفتوحة. تلا ذلك جمود طويل الأمد. طالب هاريل بقرار. لم يأتِ أحد. محبطًا ومريرًا، وقد أفرغت وظيفة مستشاره من أي محتوى حقيقي، استقال أخيرًا في يونيو 1966، وتبعه كاروز بسرعة. لقد نجح إشكول وأميت في التغلب على العاصفة وإبقاء الأمر برمته تحت طي الكتمان تقريبًا.120

كان هناك استثناء واحد للسرية الشديدة التي أحاطت بالقضية. فكما سعى سياسيو حزب الماباي المخضرمون إلى التكتم عليها، سعى منافسوهم إلى استخدامها ضد إشكول. في أوائل سبتمبر/أيلول 1966، سُرّبت القصة إلى مجلة "بول"، وهي مجلة أسبوعية مثيرة وشبه إباحية. صودرت جميع نسخ المجلة، ووُجهت اتهامات لمحرريها بموجب قانون التجسس، وحُكم عليهما، في جلسة سرية، بالسجن لمدة عام. ورغم تطبيق الرقابة الصارمة، انكشفت الحقيقة. نشرت صحيفة نيويورك تايمز تفاصيل في فبراير/شباط 1967.121

ظلّ هاريل وعميت أعداءً لدودين لسنوات طويلة. ردًّا على انتقاد إيسر اللاذع لإحدى روايات علاقتهما المضطربة، كتب عميت:

لم أصادف قط مثل هذا الكمّ من أنصاف الحقائق، والحقائق المُنتزعة من سياقها، والأكاذيب الفاضحة. تفسيري الوحيد لهذه الظاهرة المؤسفة هو أن إيسر هاريل، الذي أغلق الباب خلفه بقوة عندما غادر الموساد، ظنّ أنه من المستحيل الاستغناء عنه. والحقيقة المذهلة هي أنه بعد رحيله، تحسّن عمل الموساد بشكل لا يُحصى.

7
ستة أيام في يونيو:
1967

سرقة طائرة ميج

في 16 أغسطس/آب 1966، هبطت طائرة ميج-21 تابعة لسلاح الجو العراقي، وكانت آنذاك أكثر الطائرات المقاتلة تطورًا التي زود بها الاتحاد السوفيتي الدول العربية، في قاعدة جوية شمال إسرائيل، منهيةً بذلك واحدةً من أعقد وأذكى العمليات السرية التي نفذها الموساد على الإطلاق. تمكنت إسرائيل والولايات المتحدة من دراسة تقنية الطائرة وخصائصها القتالية والطيرانية عن كثب، وهي معرفةٌ عادت بالنفع على

سلاح الجو الإسرائيلي بعد أقل من عام، عندما قضت تقريبًا على القوات الجوية المصرية والسورية والأردنية مجتمعةً في الساعات الأولى من حرب الأيام الستة في يونيو/حزيران 1967.
بدأت العملية في منتصف عام ١٩٦٣ بتعليق ساخر على نحوٍ مألوف من قائد سلاح الجو الإسرائيلي، عزرا وايزمان، لمائير عميت، الذي كان قد خلف إيسر هاريل في منصب مدير الموساد. قال وايزمان: "إذا أحضرت لي طائرة ميج-٢١، فستكون قد أديت عملاً ممتازاً". كانت أحدث نسخة من الطائرة، التي خرجت من خطوط الإنتاج السوفيتية عام ١٩٥٩، قد دخلت الخدمة في الخطوط الأمامية في مصر وسوريا والعراق، وكان يُعتقد أنها ستشكل التحدي الجوي الرئيسي المحتمل لإسرائيل في أي حرب مستقبلية.
تُعدّ دراسة أنظمة أسلحة العدو المتطورة أولويةً لجميع أجهزة الاستخبارات؛ والحصول عليها أمرٌ نادرٌ للغاية. سبق للموساد أن حاول الحصول على طائرة ميج وفشل. جان توماس، عميل إسرائيلي يعمل في مصر في

كان أرمنيًا من مواليد مصر في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن الماضي، وقد سافر إلى الخارج بعد ثورة 1952. ومن المحتمل أنه تم تجنيده في ألمانيا الغربية وأداره جو رعنان، ضابط الموساد الذي يعمل في أوروبا، على الرغم من أنه من غير الواضح ما إذا كان توماس يعرف في البداية أنه كان يعمل لصالح إسرائيل. ومن المؤكد أن شركائه اعتقدوا أنهم موظفون لدى سفارة غربية في القاهرة، مما يشير بقوة إلى أن التجنيد الأولي كان عملية "علم زائف" - وهي تقنية قياسية للموساد - مصممة لإخفاء الصلة الإسرائيلية.
حاولت الشبكة العثور على طيار في سلاح الجو المصري ليقود طائرة ميج 21 إلى إسرائيل مقابل مليون دولار. وكانت هذه المحاولة هي التي أدت إلى كشفهم من قبل ضابط في سلاح الجو يدعى أديب حنا. وألقي القبض على توماس وخمسة آخرين في يناير 1961. ومن بين المتهمين الآخرين والد توماس، وهو أرمني آخر، قام بتطوير أفلام للجاسوس المزعوم، ومسؤول في وزارة الحرب المصرية. وأُعدم توماس واثنان من شركائه في ديسمبر 1962؛ وتلقى الآخرون أحكامًا مخففة.1
لم تكلل المحاولة التالية للحصول على طائرة ميج بالنجاح. فقد اعتدى عملاء الموساد على طيارين عراقيين، أحدهما في دورة تدريبية بالولايات المتحدة والآخر في بغداد، لإسكاتهما بعد صدهما محاولات إسرائيلية لتجنيدهما.
لكن المحاولة الثالثة نجحت. في أواخر عام ١٩٦٤، فُتح باب جديد للتجنيد عندما قدّم تاجر يهودي عراقي، يُدعى "يوسف"، طلبًا للتجنيد.
- مريض سكر في الستينيات من عمره وله علاقات بالعالم السفلي العراقي
تواصل مع مسؤولين إسرائيليين في طهران وأوروبا. كانت شقيقة صديقته متزوجة من طيار في سلاح الجو العراقي يُدعى منير ردفا، وهو كاثوليكي كان نائب قائد سرب طائرات ميج-21. أخبر يوسف الإسرائيليين أن منير قد تم تجاوزه في ترقية قائد السرب، وأنه متمركز في قاعدة بالقرب من كركوك، حيث كان ينفذ مهام هجومية ضد المتمردين الأكراد، بدلاً من قرب منزله في بغداد، ولم يُسمح له بالطيران إلا بخزانات وقود صغيرة، لأنه مسيحي. لم يثق به قادته وشعر منير بالإحباط. وفقًا ليوسف، كان منير مستعدًا للذهاب إلى إسرائيل - بطائرته الميج. للمساعدة في تخطيط العملية، تم إعارة طيار كبير وضابط مخابرات في سلاح الجو إلى الموساد.

كُلِّف يوسف بإقناع منير بالموافقة على لقاء ممثلين إسرائيليين في أوروبا. عُقد الاجتماع، الذي حضره منير، ضابط استخبارات سلاح الجو الإسرائيلي، ويوسف وصديقته، في غرفة فندق بروما، حيث كان مائير عميت يراقب منير بنفسه من خلال ثقب صغير - وهو في حد ذاته مؤشر واضح على الأهمية البالغة المُعلَّقة على العملية منذ البداية. كان السؤال الرئيسي هو كيفية إخراج عائلة منير من العراق، وهو ما اشترطه الطيار لانشقاقه. أراد منير تهريب والديه وزوجته وأطفاله وأقاربه الآخرين إلى خارج البلاد قبيل رحلته إلى إسرائيل. كما تم الاتفاق على دفع أكثر من مليون دولار له.

تم الاتفاق على النقاط الرئيسية، وبقيت الأمور في انتظار نقل العراقي إلى قاعدة أقرب إلى حدود إسرائيل. أُرسل فريق من عملاء الموساد إلى بغداد لمراقبة الطيار والتحضير لمغادرة العائلة. في منتصف عام ١٩٦٦، نُقل منير إلى قاعدة الرشيد الجوية قرب بغداد. ثم بدأ الموساد في إرسال عائلته: سافر أحدهم إلى أوروبا "لتلقي العلاج الطبي"، بينما غادر آخر البلاد كسائح.

دُعي منير نفسه إلى إسرائيل لرؤية المطار الذي سيهبط فيه. سافرت عميلة من الموساد - وصفتها بعض المصادر بأنها أمريكية ثرية - إلى بغداد ورافقت منير إلى باريس، ثم إلى إسرائيل بعد الحصول على وثائق سفر مزورة. التقى منير بقائد سلاح الجو الإسرائيلي، الجنرال مردخاي ('موتي') هود، الذي قدّم للعراقي ضمانات شخصية بشأن مسار الرحلة المخطط له وإنقاذ عائلته.

في أوائل أغسطس 1966، أبلغ منير أنه سيُسمح له قريبًا برحلة طويلة مزودة بوقود يكفي لقطع مسافة 900 كيلومتر.

في ١٦ أغسطس، رصد رادار الدفاع الجوي الأردني طائرة نفاثة تحلق بسرعة عالية فوق شمال الأردن. اتصل الأردنيون بالقوات الجوية السورية، التي ردّت بأن الطائرة ربما كانت قاذفة سورية في مهمة تدريبية. ثم هبطت الطائرة في إسرائيل.

في مؤتمر صحفي عُقد في إسرائيل بعد ساعات قليلة، وصف منير رحلته. عند اقترابه من المجال الجوي الإسرائيلي، استقبلته طائرتان من طراز ميراج تابعتان لسلاح الجو الإسرائيلي، فأمال جناحيه.

وأنزل عجلاته تحيةً قبل أن يهبط على آخر قطرات وقود. صرّح أحد طياري الميراج بأنهم لم يُبلّغوا بأي شيء عن العملية، وأنهم تلقوا أوامر باعتراض طائرة الميج العراقية المقتربة فقط، وليس إطلاق النار عليها بأي حال من الأحوال.

في الصباح الذي انطلق فيه منير، استأجر عملاء الموساد اثنين من كبار

شاحنات صغيرة، واصطحبت بقية أفراد عائلة الطيار، الذين غادروا بغداد ظاهريًا لقضاء نزهة. نُقلوا إلى الحدود الإيرانية، ورافقهم مقاتلون أكراد عراقيون مناهضون للعراق عبر الحدود. بعد وصولهم سالمين إلى إيران، نقلتهم مروحية إلى مطار، ومنه نقلتهم طائرة أخرى إلى إسرائيل.2 بعد بضعة أشهر، أُعيرت طائرة ميج-21 إلى الولايات المتحدة لفترة اختبار. بعد عامين، وبعد أحد عشر شهرًا من حرب الأيام الستة، قادت الطائرة العرض الجوي التقليدي لسلاح الجو الإسرائيلي بمناسبة عيد الاستقلال في مايو/أيار 1968.

بعد الحرب، كان من المقرر أن يشاهد الجنرالات الإسرائيليون عملية الاستيلاء على

شكّلت طائرة ميج-21 مساهمةً هامةً في تخطيط هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي. فقد مكّنت سلاح الجو الإسرائيلي من تحديد الطائرات الرئيسية في الخطوط الأمامية في العالم العربي بدقة - سعة

الوقود، والارتفاع، والمدى، والسرعات، ووقت الصيانة، والتسليح - استعدادًا لهجومها صباح 5 يونيو/حزيران 1967 على مطارات الدول العربية المجاورة، وهو ما شكل بدايةً حاسمةً للحرب.
نظرت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إلى الاستيلاء على طائرة ميج العراقية بنفس الطريقة
حتى قبل الاستفادة من دروس ما بعد الحرب. في اجتماع لمجلس الأمن القومي بواشنطن في 24 مايو/أيار 1967، قال مدير الوكالة ريتشارد هيلمز، ردًا على تقييم وزير الدفاع روبرت ماكنمارا الضعيف لقدرات سلاح الجو الإسرائيلي: "لقد استخدم الإسرائيليون طائرة الميج التي انشقّت عن العراق العام الماضي عبر مختلف أنواع المناورات... وأثبتوا في معركة 7 أبريل/نيسان الجوية مع سوريا أنهم تعلموا دروسهم جيدًا".
كانت تلك المعركة، التي أسقطت فيها طائرات ميج-21 سورية ست طائرات اعتراضية من طراز ميراج إيل تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي دون خسائر إسرائيلية، مقدمةً مناسبةً للنصر الجوي المذهل الذي تحقق بعد شهرين. كما كانت تتويجًا لأشهر من الاشتباكات السورية الإسرائيلية المحدودة والغارات الفلسطينية المسلحة برعاية سورية ضد

أهداف مدنية وعسكرية إسرائيلية على طول الحدود السورية-الإسرائيلية، واللبنانية-الإسرائيلية، والأردنية-الإسرائيلية. كانت هذه المخاوف، إلى جانب المخاوف السورية والسوفيتية من أن إسرائيل عازمة على معاقبة النظام في دمشق على التوغلات الفلسطينية، هي التي أطلقت سلسلة الحسابات الخاطئة والأخطاء التي أدت إلى حرب الأيام الستة، وهي حرب لم تكن مرغوبة ولا مقصودة من أيٍّ من الجانبين، لكنها أسفرت عن عواقب وخيمة على المستقبل.

مفاجأة ناصر

في 14 و15 مايو/أيار 1967، بدأت وحدات قيادية من فرقتين مصريتين بالتقدم شرقًا عبر قناة السويس، وتمركزت في شبه جزيرة سيناء. وفي غضون ثلاثة أسابيع، نُشرت سبع فرق مصرية - قوامها نحو 100 ألف جندي و900 دبابة - في شبه الجزيرة الصحراوية على طول الحدود الإسرائيلية. وقد فاجأت هذه الخطوة المصرية، التي قررها عبد الناصر وقيادته العليا في 13 مايو/أيار أو أوائل 14 مايو/أيار، أجهزة المخابرات الإسرائيلية تمامًا.
بموجب اتفاق متبادل بوساطة الأمم المتحدة، أصبحت سيناء منطقة عازلة بحكم الواقع بين مصر وإسرائيل، وإن كانت خاضعة للسيادة المصرية. وكان تجريدها من السلاح فعليًا (لم يكن للمصريين سوى فرقة واحدة في المنطقة قبل عام ١٩٦٧) وتمركز قوة حفظ سلام تابعة للأمم المتحدة على طول الجانب المصري من الحدود، الشرطين الأساسيين لانسحاب إسرائيل من شبه الجزيرة بعد حرب ١٩٥٦.
في فبراير/شباط 1960، عندما كان حاييم هرتسوغ رئيسًا لاستخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، فاجأت مصر إسرائيل وأرسلت قوات كبيرة إلى سيناء (أطلق جيش الدفاع الإسرائيلي على العملية المضادة الاسم الرمزي "روتيم") بهدف ردع إسرائيل عن مهاجمة سوريا. كان نشر القوات المصرية غير مبرر. لم تكن لدى إسرائيل نية لمهاجمة سوريا، على الرغم من أن المناوشات الإسرائيلية السورية المستمرة على طول الحدود أبقت التوتر مرتفعًا لأسابيع. على أي حال، القوات المصرية
"تم سحبهم بهدوء من سيناء دون وقوع حوادث أو إثارة اهتمام الرأي العام."

ولكن في منتصف الستينيات كان التقييم السائد لوكالة أمان هو أن مصر لن تكون مستعدة للحرب على الأقل حتى نهاية عام 1970. واستند هذا الرأي إلى حالة الاقتصاد المصري؛ وحالة قواتها المسلحة (التي لم تستوعب بعد عددًا من أنظمة الأسلحة السوفيتية التي تم تقديمها مؤخرًا)؛ والأهم من ذلك، استمرار نشر القوات المصرية في اليمن عام 1967، حيث كانوا يدعمون الجانب الجمهوري في الحرب الأهلية مع الملكيين المدعومين من السعودية. وجادلت وكالة أمان بشكل عام بأن مصر لن تبدأ حربًا ضد إسرائيل طالما كانت قواتها أدنى بكثير من القوات الإسرائيلية. طوال الستينيات، اعتقدت وكالة أمان أن هذا هو الحال.
ولكن في عام 1967، لم تسمح استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي بما هو غير منطقي ولا يمكن التنبؤ به: فقد فشلت في تقدير أن تقييم ناصر للتوازن العسكري المصري الإسرائيلي قد يكون مختلفًا. في شهر مايو/أيار، بدا أن ناصر كان يعتقد، وربما استند في ذلك إلى مقارنة كمية بين القوة العسكرية العربية والإسرائيلية والأسلحة، أنه إذا ما وصلت الأمور إلى الحرب، فإن مصر قادرة على الصمود في وجه جيش الدفاع الإسرائيلي.
كان تفكير إسرائيل مختلفًا. ففي تقييمها نصف السنوي لشهر أكتوبر/تشرين الأول 1964، على سبيل المثال، خلص فرع الاستخبارات إلى أنه من غير المتوقع وقوع هجوم عربي على إسرائيل قبل عام 1968.
٧٠. كتب عزرا وايزمان، رئيس هيئة الأركان العامة عام ١٩٦٦، قائلاً: "لم يتوقع أحد اندلاع حرب شاملة قبل عام ١٩٦٩". ٦. في عامي ١٩٦٦-١٩٦٧، لم يُصدر جهاز الاستخبارات العسكرية (أمان)، لأسباب فنية، تقييمه السنوي الدوري. ٧. لكن الشعور السائد في جهاز الاستخبارات العسكرية، على مستوى شبه اليقين، كان أن الحرب "بعيدة المنال". في المسودات التحضيرية للتقييم الاستخباراتي الوطني السنوي لعام ١٩٦٧، والذي نوقش في هيئة الأركان العامة في أوائل مايو، قضت أمان صراحةً بأنه "لا يوجد أي احتمال" لاندلاع حرب في العام المقبل.٨.
وقال أهارون ياريف، رئيس الأمان، في وقت لاحق:

وكان التقييم أنه في المستقبل المنظور - سنتين إلى ثلاث سنوات
- كان من غير المرجح شن هجوم عربي شامل على إسرائيل. من ناحية أخرى، كان هناك تقييم بأن مصر قد ترسل قوات إلى سيناء وتصمد في حرب دفاعية... في أحد تقييمات [أمان]، في أواخر عام ١٩٦٥ أو أوائل عام ١٩٦٦، أثرنا إمكانية إغلاق [مصر]

المضائق. ولكن من الصحيح أنه فيما يتعلق بالدخول الفعلي للمصريين

وعندما دخلت القوات الإسرائيلية إلى سيناء [في الفترة من 14 إلى 16 مايو/أيار]، كان لدينا تحذير مسبق لا يتجاوز بضع ساعات.9

لكن رئيس الوزراء الإسرائيلي، ليفي إشكول، كان لديه شعورٌ مختلف، مع أن هذا الشعور ربما كان نابعًا من طبعه أكثر منه من معلومات استخباراتية دقيقة. ففي فبراير/شباط 1967، على سبيل المثال، أبلغ اجتماعًا لكبار ضباط جيش الدفاع الإسرائيلي أن الحرب قد تندلع قريبًا، وحثّ على شراء المزيد من الدبابات والطائرات.10 واعتقد أمان أنه إذا شنّت إسرائيل عمليةً عسكريةً واسعةً ضد سوريا، فلا مفرّ للمصريين من التدخل. وقال ياريف لاحقًا: "لكننا لم نأخذ في الاعتبار أن كلًا من السوفييت ومصر سيتصرفان كما لو كنا على وشك شنّ هجومٍ واسع النطاق على سوريا".11

التحذيرات السوفيتية

انطلقت شرارة الهجوم المصري على سيناء في 14 مايو/أيار إثر تقارير سوفيتية وسورية أفادت بأن إسرائيل تُحشد تشكيلات مدرعة كبيرة على طول الحدود الشمالية وتعتزم مهاجمة سوريا. ووفقًا لموشيه ديان، الذي عُيّن وزيرًا للدفاع الإسرائيلي قبيل الحرب، فقد قدّم ضابط مخابرات في السفارة السوفيتية بالقاهرة في 12 مايو/أيار "تأكيدًا" للجيش المصري لتقارير حشد القوات الإسرائيلية.12 وكانت تقارير من هذا النوع، والتي انبثقت عن التوتر السوري على خلفية الاشتباكات الحدودية المستمرة، قد صدرت من دمشق لأسابيع. ولا يزال من غير الواضح ما إذا كان السوفييت هم من أجّجها أم أنها كانت مؤامرة سورية مستقلة. وخلصت المخابرات العسكرية الأردنية، التي "لم تكشف عن أي دليل على حشد القوات الإسرائيلية على الحدود السورية"، إلى أن السوفييت كانوا "يحاولون تأجيج" التوترات، ربما بهدف نهائي هو زيادة اعتماد مصر عليهم.13

منذ عام ١٩٦٥، دأبت وكالة الاستخبارات المركزية (أمان) والموساد على تحذير الحكومة (وواشنطن) من تجدد الجهود السوفيتية لإثارة الاضطرابات في الشرق الأوسط. ووفقًا لجيمس

وفقًا لـ كريتشفيلد، رئيس قسم الشرق الأوسط في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في ستينيات القرن الماضي، عبّرت التقديرات الإسرائيلية للدور السوفيتي عن "قلق شديد ومتزايد". وكان رئيس الموساد، مائير أميت، يُبلغ هذه التقديرات عادةً إلى وكالة المخابرات المركزية. واستذكر مدير وكالة المخابرات المركزية، ريتشارد هيلمز، أن الإسرائيليين "كانوا يشعرون بالخوف في أوائل عام ١٩٦٦، وازداد قلقهم مع مرور الأشهر. وكان هناك شعور بقلق متزايد في تقديراتهم" بشأن النوايا والأفعال السوفيتية.14

في منتصف مايو/أيار 1967، ومع غياب أي تمركز لقوات جيش الدفاع الإسرائيلي على طول الحدود السورية، ومع غموض دور موسكو في التصعيد، دعا إشكول السفير السوفيتي في تل أبيب، دميتري تشوباخين، إلى زيارة الجانب الإسرائيلي من الحدود السورية للاطلاع على الوضع بنفسه. رفض تشوباخين.

وفي 14 مايو/أيار، أبلغ يو ثانت، الأمين العام للأمم المتحدة في بورما، مجلس الأمن في نيويورك أن مراقبي الأمم المتحدة في الموقع لم يعثروا على أي دليل على حشد قوات من جيش الدفاع الإسرائيلي.
لكن في اليوم السابق، 13 مايو/أيار، أبلغ الرئيس السوفيتي نيكولاي بودجورني أنور السادات، مساعد عبد الناصر، الذي كان آنذاك في زيارة لموسكو، أن القوات الإسرائيلية تحشد قواتها وتعتزم غزو سوريا. وكان الزعيم السوفيتي قد تحدث عن "11-13" لواءً من جيش الدفاع الإسرائيلي؛ وربما ذكر أيضًا "17 مايو/أيار" كتاريخ محتمل للهجوم الإسرائيلي المفترض على سوريا. أبلغ السادات ناصر على الفور. وكانت موسكو قد حذرت دمشق في وقت سابق من الهجوم الإسرائيلي الوشيك. وفي 13 مايو/أيار، أبلغ حافظ الأسد، وزير الدفاع السوري، نظيره المصري عبد الحكيم عامر، بالحشد الإسرائيلي، وطلب تحركًا مصريًا لتخفيف الضغط على سوريا. وفي ذلك اليوم، سافر رئيس أركان الجيش المصري، محمد فوزي، إلى دمشق.15
كانت التحذيرات السوفيتية والتوغل المصري في سيناء، وإن فاجأت أمان، متجذرة بقوة في تطورات الأسابيع الستة السابقة. ففي أبريل/نيسان وأوائل مايو/أيار، ازدادت التحذيرات العلنية الموجهة إلى سوريا من قبل سياسيين وجنرالات إسرائيليين: وقد أشعلت هذه التحذيرات تزايد الغارات التي تشنها العصابات الفلسطينية انطلاقًا من سوريا ضد إسرائيل، والتي شنتها في الغالب حركة فتح بزعامة ياسر عرفات. وقال ياريف في إحاطة إعلامية عُقدت قبل ثلاثة أيام: "يستخدم السوريون هذا السلاح، سلاح حرب العصابات، لأنهم لا يستطيعون مواجهتنا في معركة مفتوحة".

قبل أسابيع من الحرب. لكن تمركز القوات كان من نسج خيال العرب، وربما أيضًا من نسج المؤامرات السوفيتية. يبدو أن موسكو اعتقدت أنه إذا ما وصل الأمر إلى قتال، فإن المصريين سيهزمون إسرائيل أو على الأقل سيقاتلون جيش الدفاع الإسرائيلي في سيناء حتى يصلوا إلى طريق مسدود. لكن يبدو أن السوفييت لم يكونوا ينوون الحرب فعليًا. لقد دفعوا عملاءهم نحو نجاح سياسي وإذلال إسرائيل، حليفة أمريكا، لكنهم اعتقدوا على ما يبدو أن كلًا من إسرائيل والعرب سيتوقفون قبل أن يصلوا إلى حافة الهاوية. أخطأت المخابرات السوفيتية في حساباتها بشكل كبير.
ولم يتضح مدى قلة تفكير موسكو في احتمال الحرب الفعلية إلا بعد الانتصار، عندما أخبر زعيم الحزب الشيوعي الإسرائيلي، موشيه سنيه، أهارون ياريف عن محادثة أجراها في شهر مايو/أيار مع تشوباخين، السفير السوفييتي في تل أبيب:
سنيه: "إسرائيل ستفوز في الحرب".
تشوباخين: من سيقاتل؟ بائعو الإسبريسو وبائعات الهوى في شارع ديزنغوف [شارع التسوق الرئيسي في تل أبيب]؟

الأزمة

وصلت التقارير الأولى من فرع الاستخبارات عن تحركات غير اعتيادية للقوات المصرية شرقًا إلى السكرتير العسكري لرئيس الوزراء، العقيد يسرائيل ليور، وإشكول نفسه، مساء 14 مايو. وفي وقت لاحق من تلك الليلة، قدّم رئيس الأركان، إسحاق رابين، لرئيس الوزراء مزيدًا من التفاصيل حول التحرك المصري، بينما كان

إشكول وشخصيات سياسية وعسكرية بارزة أخرى يتجولون حول شرفة مكتب رئيس الوزراء، المطلة على ملعب الجامعة العبرية، حيث كان العرض العسكري السنوي لعيد الاستقلال على وشك البدء.
في صباح اليوم التالي، 15 مايو/أيار، أبلغ رابين إشكول أن القوات المسلحة المصرية وُضعت في حالة تأهب قصوى. كان المصريون يتجهون إلى انتشار دفاعي، وكان رئيس أركانهم، محمد فوزي، قد أمضى يومي 13 و14 مايو/أيار في دمشق. "علمنا أن فوزي طالب السوريين بمنع الأعمال ضد إسرائيل [من قِبل المقاتلين الفلسطينيين]"

قال ليور: "حتى لا يكون لدى إسرائيل أي سبب للتحرك". بحلول فترة ما بعد الظهر، كان رابين يعلم عدد الدبابات المصرية وكمية المدفعية التي دخلت سيناء، ومواقع انتشار القوات. في 16 مايو، أفاد فرع المخابرات بوجود ثلاث فرق كاملة في سيناء. بدأت إسرائيل بتعبئة ما بين 15 و18 ألف جندي احتياطي.
كان تقدير رابين وأمان الفوري أن المصريين كانوا يُعيدون تمثيل خدعة "روتيم" لعام ١٩٦٠ لردع إسرائيل عن مهاجمة سوريا.١٩ ولعل معركة ٧ أبريل الجوية، التي انتهت بتحليق طائرات سراب تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي بازدراء فوق دمشق، قد أقنعت القاهرة ودمشق بأن إسرائيل تُدبّر المزيد من العقوبات على سوريا. وبدا أن التصريحات العدوانية الموجهة ضد سوريا من قِبل الجنرالات والسياسيين الإسرائيليين، بمن فيهم رئيس الوزراء إشكول نفسه، تُؤكد هذا.٢٠
إن نشر القوات المصرية في سيناء، وليس في سوريا، كان قراراً صائباً من إسرائيل.
كان القلق الرئيسي في 15 مايو. ومع ذلك، اعتقدت أمان في البداية أن الخطوة المصرية لم تكن سوى استعراض، وأن الفرق ستعود بسرعة إلى قواعدها. وكان تقييم هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي أن مصر "لم تكن لديها نوايا هجومية". ورأى الإسرائيليون أن تحركات القوات كانت نتاج استعراض وخداع أكثر منها تصميمًا عدوانيًا حقيقيًا. واستند هذا التقدير بشكل رئيسي إلى حقيقة أن الوحدة المدرعة المصرية المتميزة، الفرقة الرابعة، لا تزال منتشرة غرب القناة. لكن ياريف أشار أيضًا إلى بعض المؤشرات المثيرة للقلق، بما في ذلك نقل سرب من قاذفات إليوشن-28 من مصر إلى مطار بئر ثامر في خط المواجهة في سيناء.
في 16 مايو طلب ناصر من يو ثانت سحب الولايات المتحدة
قوة الطوارئ الدولية (UNEF) من الحدود الإسرائيلية المصرية. حتى هذا لم يُدْقِ ناقوس الخطر في القدس. في اجتماع هيئة الأركان العامة في تل أبيب يوم 17 مايو، كان الرأي السائد هو أن الخطوة المصرية صُممت لردع أي هجوم إسرائيلي على سوريا. قال ياريف: "سيُجادل المصريون بأنهم يتصرفون... وفقًا لاتفاقهم مع السوريين، وأنهم يُساعدونهم في أوقات الشدة. وهكذا يُظهر المصريون قيادتهم للعالم العربي".

وكان تقييم رئيس جهاز الأمن الإسرائيلي يعتمد إلى حد كبير على الانتشار الدفاعي للقوات المصرية في سيناء، وخاصة الفرقة الثانية، على خط العريش-الكسيمة.22 والأمر الأكثر شؤماً هو أن ياريف أفاد أيضاً بأن القوات المصرية كانت مجهزة بالغاز السام.
غيّر قسم الأبحاث في فرع الاستخبارات موقفه بشكل جذري مساء 17 مايو/أيار، عندما وصلت أنباء استسلام يوثانت المتسرع للمطلب المصري إلى القدس: "إذا انسحبت قوات الأمم المتحدة من المنطقة، فقد ينشأ وضع جديد، مما سيعطي [الانتشار] المصري طابعًا هجوميًا - وليس دفاعيًا فحسب"، هذا ما جاء

في التقدير الجديد. وقدّر أمان أن المصريين أنفسهم فوجئوا - وربما انزعجوا - من سرعة موافقة الأمين العام للأمم المتحدة على مطلبهم. لكن أمان جادل بأنه بعد أن أقدموا على هذه الخطوة، لا يمكنهم، لأسباب تتعلق بالكرامة، التراجع عن حافة الهاوية.

ولكن في المشاورات الأمنية التي عقدت صباح الثامن عشر من مايو/أيار . والتي حضرها إشكول ووزير الخارجية أبا إيبان والجنرالات رابين وياريف ومائير أميت من الموساد. ظل تقدير الاستخبارات اليومي على أن الحرب ما زالت "احتمالاً بعيداً".24

في اجتماع هيئة الأركان العامة في اليوم التالي، 19 مايو/أيار، وبينما كان المصريون ينشرون بالفعل ست فرق كاملة في سيناء، واصل ياريف القول إن نوايا ناصر لم تكن عدوانية بالضرورة، وأنه على الرغم من أن الوضع قد تغير جذريًا نتيجة لاتفاق الأمم المتحدة على الانسحاب، فإن المصريين سيترددون طالما لم يصلوا إلى تعاون استراتيجي كامل مع الدول العربية الأخرى، وطالما ظلت قواتهم الرئيسية مقسمة بين ضفتي قناة السويس. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، قيّم ياريف أن مصر لديها الآن أربعة خيارات: (1) الشروع في استفزاز لجر إسرائيل إلى صراع شامل؛ (2) الحفاظ على الوضع الراهن الجديد وعدم فعل أي شيء آخر؛ (3) شن هجوم شامل عبر الحدود إلى النقب؛ و(4) بدء حملة استنزاف ثابتة، لاستنزاف إسرائيل، التي كانت قد حشدت معظم قواتها آنذاك، استعدادًا لهجوم بري في نهاية المطاف.25 واقترح أميت أن تنشر إسرائيل صورًا استطلاعية جوية في الخارج للانتشار المصري الضخم في

لتبرير تعبئة إسرائيل نفسها. لكن الفكرة رُفضت.26

علم فرع الاستخبارات أن المصريين أمروا ثلاثة من ألويتهم المتمركزة في اليمن بالعودة إلى ديارهم، وفي 20 مايو/أيار، استولوا على شرم الشيخ في الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة، مسيطرين بذلك على مدخل خليج العقبة، البوابة التجارية لإسرائيل إلى أفريقيا وآسيا. وزعمت أمان حينها أنه في حين أن دخول سيناء في 15 مايو/أيار كان عملية مرتجلة، بتخطيط مسبق محدود وأهداف ردع محدودة، فقد انجرف الرئيس المصري وراء تحركاته وتداعياتها المتكشفة، محوّلاً إياه إلى مخطط ضخم ذي أهداف سياسية بعيدة المدى، إن لم تكن عسكرية فورية. وفي 21 مايو/أيار، أعلن ناصر التعبئة العامة للجيش المصري.

في اجتماعٍ لاحقٍ لهيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي، عُقد في 22 مايو/أيار، توقع ياريف أن تُكمل مصر في اليوم التالي نشر قواتها في شبه الجزيرة. وأُثيرت إمكانية قيامها لاحقًا بإغلاق مضيق تيران، مما يُغلق خليج العقبة، لكن فرع الاستخبارات قيّم ذلك بأنه غير مُرجّح. في منتصف ليل تلك الليلة، أعلن ناصر إغلاق المضيق أمام الملاحة الإسرائيلية، وأُنزِلت كتيبة مصرية بالمظلات في شرم الشيخ. حُسم الأمر. لطالما اعتبرت إسرائيل إغلاق المضيق ذريعةً للحرب.

كان رد فعل ياريف، في اجتماع هيئة الأركان العامة صباح اليوم التالي في تل أبيب، والذي حضره أيضًا إشكول، حاسمًا ودراماتيكيًا: "لقد انتهت فترة ما بعد السويس"، قال. "الأمر لا يقتصر على حرية الملاحة. إذا لم تستجب إسرائيل لإغلاق المضائق، فلن يكون هناك أي قيمة لمصداقيتها أو لقوة الردع لدى جيش الدفاع الإسرائيلي، لأن الدول العربية ستفسر ضعف إسرائيل كفرصة ذهبية لمهاجمة أمنها ووجودها بحد ذاته". ودعا رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) إلى عمل عسكري إسرائيلي فوري؛ وأيّد عزرا وايزمان الاقتراح.

لقد كانت وجهة نظر ياريف تحمل قدرًا كبيرًا من الثقل، ويرجع ذلك جزئيًا إلى التقدير العالي الذي كان يتمتع به من قبل الجنرالات والسياسيين على حد سواء، وجزئيًا لأنه كان يرأس "الجسم الوحيد القادر على إدارة شؤون البلاد".

"تقديم الاستخبارات العسكرية الاستراتيجية والتقييم". 2 7 ولد ياريف في موسكو عام 1920، ووصل إلى فلسطين وهو طفل وانضم إلى الهاجاناه عام 1939. وخلال الحرب العالمية الثانية، خدم كنقيب في الجيش البريطاني الثامن وعمل بعد ذلك مع الموساد لعليا بيت في أوروبا. وفي عام 1948 كان قائد كتيبة في لواء كرملي. وفي عام 1954، عُيّن أول رئيس لكلية الأركان والقيادة في جيش الدفاع الإسرائيلي، وبعد ثلاث سنوات أصبح الملحق العسكري لإسرائيل في واشنطن. وعُيّن مديرًا لاستخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي عام 1964، وهو المنصب الذي شغله حتى عام 1972. وقبل حرب عام 1967 وأثناءها وبعدها، شغل ياريف منصبًا بارزًا في مجتمع الاستخبارات، متفوقًا بكثير على رؤساء الأجهزة الأخرى. وكانت مكانته وسجله من هذا القبيل لدرجة أنه شارك بانتظام في اجتماعات مجلس الوزراء، حتى أن بعضها تعامل مع أمور غير عسكرية. سواء داخل هيئة الأركان العامة، أو بشكل أكثر إثارة للدهشة، في تعاملات الوزراء مع الجيش، برز ياريف باعتباره الرجل الثاني في السلطة العسكرية.
بعد إسحاق رابين، رئيس الأركان.
مع بعض التحفظات، أيد رابين ياريف ووايزمان في اجتماع 23 مايو. كانت توصية الجيش بشن الحرب فورًا قد قُدّمت. الآن، القرار بيد مجلس الوزراء. 28 لكن الوزراء، الذين سيطر عليهم تردد إشكول الطبيعي ورغبته في السماح للقوى الغربية

- في المقام الأول الولايات المتحدة - حان الوقت لحل المشكلة بالوسائل الدبلوماسية، مما أدى إلى تأجيل القرار.

وفي الأيام التالية، خلص فرع الاستخبارات إلى أن نجاحات الأيام السابقة كانت في صالح ناصر وأنه ينوي الآن شن هجوم.29
مشاعر النشوة والانتصار العربية على "الكيان الصهيوني"

- بلغ التوتر - الذي كان بحد ذاته عنصرًا أساسيًا في التصعيد نحو الحرب - ذروته في 30 مايو/أيار، عندما قام الملك حسين، ملك الأردن، بزيارة مفاجئة إلى القاهرة، حيث وقّع مع عبد الناصر، الخصمين المخضرمين، اتفاقية دفاع مشترك. فوجئت استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي مجددًا. فأعلن القادة العرب ومحطات الإذاعة، من بغداد إلى تونس، يوميًا عن الدمار الوشيك لإسرائيل. وشعر سكان القدس بأن الخناق العربي يضيق.

في الأيام التي سبقت الحرب، كاد فرع الاستخبارات أن يرتكب خطأً فادحًا آخر في التنبؤ. أصر زئيف بار لافي، الرئيس المخضرم لمكتب أمان في الأردن، والمعروف بين زملائه باسم "بيبر"، على تقييمه بأن حسين سيبقى بعيدًا عن الحرب. قال له ياريف: "بيبر، استيقظ. الوضع مختلف الآن". 30
ting Jordanian behaviour on the ground was difficult in the period Predic immediately before the war. According to Rafi Siton, an Aman Special Duties Officer running -collection and agent-(Katam) in Jerusalem, intensive intelligence

fighting started, but then it became impossible, continued until two days before
because the military deployments along the front lines were simply too dense.
Although they [the Jordanians] had deployed, we didn't believe that they'd go to '
ture of the offensive and the war,' he recalled. 'Their deployment was a mix
defensive.'31 From 25 May, anticipating war, but not against Jordan, officers of the
Shin Bet security service deployed with army units only on the southern front, in
preparation for the capture of the Gaza Strip.32

May period, Aman had proved itself unable to anticipate 30-the 15 Throughout
the push into Sinai, the expulsion of UNEF and the -Nasser's moves accurately
closure of the straits. Later it was explained by Gazit, Amit and others that the
had been due to the fact that everything had been 7 multiple failures of May 196
dictated by the will of one man who had acted out of character and irrationally,
and, at least in part. had been guided in his actions by unpredictable external
t Israeli troop concentrations and U factors (such as the Soviet 'warning' abou
Thant's fatal decision to withdraw UNEF from Sinai).33

week delay, characterized by fruitless diplomatic shuttling and exchanges -The two
of telegrams between Jerusalem and Washington. and grave anxiety in Israel over
andonment and a possible second Holocaust, approached its end on 2 June, ab
when a joint meeting of the full cabinet and the IDF General Staff decided in
principle on war. Aharon Yariv was again the main speaker on the military side. He
nt of action would only strengthen Egypt's hand: more argued that postponeme
troops

would arrive from Yemen, more equipment would arrive from the Soviet Union and
more fortifications would be built in Sinai. 'Every day that passes substantially
attaining air superiority,' he said. On the political front, lessens the chances of Israel
the Aman chief argued, each passing day reduced Israel's deterrent capability and
diminished the West's position in the Middle East. 'Our view is that the US does not
e naval quarantine [against Israel in the Straits of Tiran] seriously intend to break th
by force ... the US understands that we must act.'34

في محاولة لإقناع مجلس الوزراء بضرورة شن هجوم استباقي، كشف ياريف عن جانب من المعرفة الواسعة لأمان بانتشار قوات العدو ومعنوياته. أخبر الوزراء أن المصريين ما زالوا منشغلين بدفع الوحدات عبر القناة، وأنهم يفعلون ذلك على عجل لدرجة أن بعض قواتهم تُركت بلا طعام أو ماء ليومين متتاليين. في إحدى الحالات، وصل جنود الاحتياط إلى الجبهة وهم لا يزالون يرتدون الجلابيب (الزي العربي التقليدي)، إذ لم

يكن هناك وقت لإصدار زيهم العسكري لهم. 3 5 ضغط بقية ضباط هيئة الأركان العامة الذين تحدثوا على مجلس الوزراء بنفس الطريقة. سأل رئيس الأركان العامة ماتيتياهو بيليد: "ماذا ننتظر؟"

ومع ذلك، أحجم إشكول. اتُّخذ القرار النهائي بخوض الحرب في اجتماع مجلس الوزراء بالقدس في الرابع من يونيو/حزيران. وقد أقنع مائير عميت، الذي قضى الأيام الثلاثة السابقة في واشنطن سرًا، باحثًا قادة أمريكا في هذه النقاط تحديدًا، رئيس الوزراء، الذي كان قلقًا بشأن موقف القوى العظمى من ضربة إسرائيلية استباقية، ومهتمًا بمسارات الحرب السياسية. وصل عميت، برفقة سفير إسرائيل في واشنطن، أبراهام هارمان، إلى منزل إشكول في منتصف ليل الثالث من يونيو/حزيران. وكان جميع كبار القادة السياسيين والعسكريين في البلاد - إشكول، إيبان، ديان، رابين، ألون، يادين، وآخرون.

- كنا ننتظره.36

بدأ أميت بتكرار تعليماته. أُرسل إلى واشنطن (أ) لتوضيح معلومات وتقييمات أجهزة الاستخبارات الأمريكية بشأن القوات العسكرية ... والتطورات السياسية، والتحقق منها ومقارنتها بها.

(ب) توضيح مهمة القوة البحرية الخاصة للتعامل مع شؤون الشرق الأوسط. (ج) توضيح رد الفعل الأمريكي إذا قررنا التحرك عسكريًا.

... وكان أميت مكلفًا أيضًا بإحضار مجموعة من أحدث صور المراقبة عبر الأقمار الصناعية الأمريكية والتقارير حول نشر الجيوش العربية على طول حدود إسرائيل.

وكان رئيس الموساد قد أجرى محادثات طويلة مع نظيره الإسرائيلي.

رقم، رئيس وكالة المخابرات المركزية، ريتشارد هيلمز، ومع العديد من كبار الشخصيات في البنتاغون. وجد أميت "لا اختلافات" بين التقديرات الإسرائيلية والأمريكية للوضع العسكري. إن قوة المهام البحرية الأمريكية أو الغربية المقترحة التي كان من المفترض أن تكسر الحصار المصري لمضيق تيران لن تتحقق. وجادل بأن الأمريكيين "سيباركون العملية إذا نجحنا في تحطيم ناصر". بدا هذا التصريح الجريء متناقضًا مع سيل التصريحات العامة الأمريكية الأخيرة والبرقيات الواردة من الدبلوماسيين الإسرائيليين في واشنطن وأماكن أخرى، وقد فاجأ القادة الإسرائيليين المجتمعين. على ما يبدو، مع استمرار الأزمة حتى أوائل يونيو، فقد الأمريكيون الأمل في حل سياسي واستسلموا لحتمية الحرب - مع الاستمرار في تبني طرق وفضائل الدبلوماسية علنًا.

كان أبا إيبان، وزير الخارجية، قد توصل بشكل منفصل إلى نفس النتيجة التي توصل إليها أميت، بناءً على تقرير سري نقله إليه مسؤول أمريكي بارز في الأول من يونيو/حزيران. وكان خلاصة الرسالة: «ستدعم الولايات المتحدة إسرائيل الآن».3 7

ولكن الآن، إذا بدا الأمر وكأن النرد قد أُلقي أخيرًا، فإن أميت

كان في جعبته مفاجأة. اقترح أن تنتظر إسرائيل أسبوعًا آخر، لاختبار المصريين وصدق حصارهم بإرسال أسطول من سفنها عبر مضيق تيران. لكن مجلس الوزراء في القدس رفض الفكرة.

أسفرت محادثات الموساد ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية عن نتائج متبادلة: توصل أميت إلى استنتاج مفاده أن الولايات المتحدة ستدعم ضربة استباقية للجيش الإسرائيلي، بينما خرج محاوروه الأمريكيون وهم يشعرون بأن إسرائيل على وشك شن تلك الضربة. عززت الاجتماعات مع أميت تصورات الولايات المتحدة لعزم إسرائيل على خوض الحرب. في 2 أو 3 يونيو/حزيران، أرسل هيلمز

أرسل الرئيس ليندون جونسون رسالةً "للمُشاهدين فقط"، مُقدّرًا أن إسرائيل ستشن هجومها خلال بضعة أيام.38 ويبدو أن الأردن قد توصل أيضًا إلى نفس النتيجة في نفس الوقت تقريبًا. أفادت الاستخبارات العسكرية الأردنية، في 3 يونيو/حزيران، بعد أن لاحظت تمركزات جديدة لجيش الدفاع الإسرائيلي غرب نتوء اللطرون وفي منطقة العفولة، المُقابلة لمدينة جنين بالضفة الغربية، بأن الأعمال العدائية وشيكة. وأعلن الملك حسين في مؤتمر صحفي في 4 يونيو/حزيران أن الحرب "على بُعد أيام قليلة".39

طفح كيل جنرالات ووزراء إسرائيل من دبلوماسية الصبر. قرر إشكول، ودايان، وألون، ورابين الحرب. واستُدعي مجلس الوزراء بكامل هيئته الساعة 8:15 صباحًا يوم 4 يونيو. وأطلع ياريف الوزراء مجددًا على الوضع: نُقلت كتيبتان مصريتان من الكوماندوز جوًا إلى الأردن؛ ويمكن لإسرائيل أن تتوقع بداية وشيكة لعمليات إرهابية وتخريبية عبر الحدود. وأفاد رئيس المخابرات: "من الواضح أن المصريين يتجهون إلى الهجوم في سيناء، ويمكن توقع تفعيل وحدات الكوماندوز المصرية في منطقة إيلات لعزل المدينة واحتلالها". 4° وافق ديان تمامًا على الصورة القاتمة التي رسمها ياريف. أخبر إشكول مجلس وزرائه أنه، على مضض، شعر هو أيضًا أنه لا جدوى من التأجيل. صوّت الوزراء لصالح الحرب، تاركين تحديد التوقيت الدقيق لرئيس الوزراء ووزير الدفاع والجنرالات.41

المعركة

من إحاطة قائد سلاح الجو الإسرائيلي موتي هود إلى الاجتماع المشترك لمجلس الوزراء وهيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي في الثاني من يونيو/حزيران 1967، كان من الواضح، كما سجل يسرائيل ليور في ذلك الوقت، أن "سلاح الجو الإسرائيلي كان يعرف على وجه الدقة... مكان كل طائرة مصرية، وماذا كانت تفعل، وما يمكنها أن تفعله".

كان مفتاح النصر الإسرائيلي هو هجوم 5 يونيو على القوات الجوية المصرية والسورية والأردنية. دمّر سلاح الجو الإسرائيلي، مستخدمًا طائرات ميراج IIIC الحديثة وطائرات سوبر ميستير وأوراغان وفاتور القديمة، 304 طائرات مصرية (من أصل 419 طائرة)، و53 طائرة سورية، معظمها على الأرض.

(من أصل ١١٢) وثمانية وعشرون طائرة أردنية (من أصل ثمانية وعشرين، معظمها من طراز هوكر هانتر بريطانية الصنع): شكلت هذه الطائرات ما بين ٧٠ و٨٠٪ من القوة الجوية العربية في الخطوط الأمامية. كما تمكنت الطائرات الإسرائيلية من تدمير معظم المطارات العسكرية لهذه الدول مؤقتًا. انتهى هجوم اليوم الأول بهجوم بعيد المدى على القاعدة الجوية العراقية H-3، الواقعة في أقصى غرب البلاد، حيث دُمرت عشر طائرات على الأرض. كان تدمير H-3 نتيجة للقصف العراقي لعدة أهداف في
إسرائيل قبل ساعات قليلة.42

شُنّ الهجوم الرئيسي، الذي نُفّذ على دفعتين منفصلتين، صباح الخامس من يونيو/حزيران على سبع عشرة قاعدة جوية ومنشآت رادار مصرية. ولم يترك سلاح الجو الإسرائيلي سوى اثنتي عشرة طائرة مقاتلة لحماية المجال الجوي الإسرائيلي. أما الموجة الثالثة، التي شُنّت الساعة ١٢:١٥ ظهرًا ضد سوريا والأردن، فقد

أعقبت هجمات جوية على أهداف إسرائيلية شنّتها طائرات سورية وأردنية قبل ذلك بنحو عشرين دقيقة. (لم يُبلغ عبد الناصر دمشق ولا عمان بأن سلاحه الجوي قد دُمّرَ فعليًا).
كان سر هذا الهجوم الجوي المتعدد، الذي يُعدّ من أكثر الضربات الأولى تدميرًا وحسمًا في التاريخ العسكري، يكمن في دقة المعلومات الاستخباراتية - عن القوات الجوية المصرية وطائراتها (قدراتها، روتينها، هيكل القيادة، إلخ)، والمطارات، والدفاعات المضادة للطائرات (الرادار، الصواريخ، المدافع). وكما قال الملك حسين، وهو طيار، لاحقًا: "كان طياروهم يعرفون تمامًا ما يتوقعونه... كان لديهم سجل كامل لأدق تفاصيل كل قاعدة من القواعد الجوية العربية الاثنتين والثلاثين، والأهداف التي يجب ضربها، وأين، ومتى، وكيف. لم يكن لدينا ما يُضاهي..."
ذلك.'43
ربما كان المصريون، من خلال مستشاريهم السوفييت، قادرين على
فكرة تقريبية عن الاستراتيجية الإسرائيلية المحتملة في حال شنّ الهجوم. زعم حسين لاحقًا أنه في اجتماعه بالقاهرة مع ناصر في 30 مايو، "نبه ناصر إلى احتمال وقوع هجوم إسرائيلي... شرحتُ له... أنه إذا قررت إسرائيل الهجوم، فسيكون هدفها الأول هو القوات الجوية العربية، وأن هجومها الأول سيكون بطبيعة الحال ضد القوات الجوية المصرية". وسجّل حسين أن ناصر أجاب: "هذا واضح. نتوقعه...". 44 خاطبًا جنراليه

قبل أيام من بدء المعركة، حذرهم ناصر بشكل خاص من شن ضربة جوية إسرائيلية استباقية.45
لكن توقيت الهجوم الجوي واتجاهه في بعض الحالات جاءا بمثابة صدمة هائلة للقاهرة. ويعود الفضل في التوقيت بالكامل إلى الاستخبارات الإسرائيلية الدقيقة، وخاصة تلك التي قدمتها إدارة الاستخبارات التابعة لسلاح الجو الإسرائيلي. وعلى مدى أسابيع، كانت القواعد الجوية المصرية في حالة تأهب عند الفجر، مع دوريات اعتراضية معززة باستمرار في الجو تحسبًا لهجوم إسرائيلي بين الساعة 4.00 أو 5.00 و7.00 صباحًا. ووفقًا للملك حسين، أرسل المصريون أربع دوريات من اثنتي عشرة طائرة من الساعة 4.00 صباحًا حتى 7.00 على مدار الساعة، على طول الحدود الإسرائيلية وقناة السويس وفوق البحر الأبيض المتوسط. وبعد ذلك تراجع المصريون وعادوا إلى القاعدة، وذهب الطيارون وفرق التحكم الأرضي لتناول الإفطار. كانت هذه هي نقطة الضعف المصرية القصوى. وكما أوضح موتي هود لرابين في 4 يونيو: "على مدار الأسبوعين الماضيين، كنا نراقب التحركات الدقيقة للقوات الجوية المصرية... مع أول ضوء، تقلع في دورية، وتظل مستيقظًا لمدة ساعة تقريبًا. ثم يعودون إلى القاعدة وينطلقون لتناول الإفطار. بين السابعة والثامنة، يكون كل شيء قد انتهى، والساعة 7:45 صباحًا هي التوقيت الأمثل لنا.'46 الطيارون الإسرائيليون، الذين استمتعوا بنوم هانئ، ضربوا في الساعة 7:45.
أنا في القواعد الجوية المصرية غير المحمية إلى حد كبير.
نُفِّذت العديد من عمليات القصف الجوي والقصف الأولى من الغرب إلى الشرق أو من الشمال إلى الجنوب، بدلاً من الشرق الأكثر وضوحاً وتوقعاً. وقد استطاعت التشكيلات الإسرائيلية، بعد أن اطّلعت على قدرات الرادار المصرية وانتشارها، والتي ركّزت شرقاً باتجاه إسرائيل، أن تحلّقت على ارتفاع منخفض فوق البحر الأبيض المتوسط، ثم حلّقت جنوباً فوق الوجه البحري، ثم اتجهت شرقاً، وضربت القواعد الجوية من

الغرب أو الشمال. ولعل هذا قد ساهم في الاتهام المصري الأولي (الذي لا أساس له) بأن طائرات أمريكية (من الأسطول السادس) وبريطانية (من قبرص) نفّذت الهجوم أو على الأقل شاركت فيه.
كما استفاد الطيارون الإسرائيليون من مكافأة كبيرة غير مخططة: ففي صباح يوم 5 يونيو/حزيران، انطلق وزير الدفاع المصري عبد الحكيم عامر وقائد قواته الجوية، اللواء محمد صدقي، في طائرة نقل من طراز إليوشن 14.

طائرة من القاهرة إلى سيناء لتفقد قواعدهم الرئيسية. وخوفًا من وقوع حادث للقوات المتوترة، أمرت القيادة العليا البطاريات المصرية المضادة للطائرات على طول القناة وفي أجزاء من شبه الجزيرة بعدم إطلاق النار على أي طائرة تحلق في الأجواء.4 7 ليس من الواضح متى، إن كان قد علم أمان بهذا الأمر أصلًا.
في صباح الخامس من يونيو/حزيران، تسلّم طيارو سلاح الجو الإسرائيلي أوراق أهداف حددت بدقة الأهداف الحقيقية والوهمية - الطائرات، والمدارج، والمدافع المضادة للطائرات، وغيرها. انتهى الهجوم الرئيسي على سلاح الجو المصري بحلول الساعة الحادية عشرة صباحًا. وبدأت الهجمات على سلاحي الجو الأردني والسوري وقاعدة H-3 الجوية العراقية بعد حوالي ساعة، بعد أن شنّت طائرات أردنية وسورية وعراقية عدة هجمات فاشلة إلى حد كبير على أهداف داخل إسرائيل. وفي غضون ساعتين، دُمّر سلاحا الجو الأردني والسوري.

هومينت

اجتمعت الاستخبارات البشرية (Humint) والاستخبارات الإشارية (Sigint) بالإضافة إلى الاستخبارات الفوتوغرافية (Photint) لإعطاء هيئة الأركان العامة وقادة سلاح الجو الإسرائيلي صورة دقيقة عن القوات الجوية العربية، وفي المقام الأول المصرية. أمضى الجواسيس الذين يديرهم كل من فرع المخابرات والموساد سنوات في تصوير وجمع المعلومات الاستخبارية عن المطارات العربية وأنظمة الدفاع الجوي.
بعد الحرب بوقت قصير، أفادت الصحافة المصرية عن القبض على عميل إسرائيلي (عربي) كان يعيش بالقرب من ميناء الإسكندرية. كان المضمون هو أن العميل قد زود إسرائيل بتفاصيل حول المرافق البحرية المصرية والقوارب والروتين في ميناء الإسكندرية، الذي تعرض بالفعل لغارة من قبل الضفادع البشرية البحرية الإسرائيلية خلال الحرب.49 كما تداولت القصص أيضًا عن عميل إسرائيلي آخر، وهو رائد إشارات في الجيش المصري، توفي أثناء الحرب في غارة قصف إسرائيلية في سيناء. كان الرائد، الذي تم تجنيده في القاهرة وأداره فرع المخابرات لمدة ثلاث إلى أربع سنوات، قد أعطى جيش الدفاع الإسرائيلي معلومات دقيقة عن ترتيب المعركة المصري وعن كبار القادة. أُمر بالاتصال بالإسرائيليين فقط عند نقله إلى سيناء. بُثّت رسالته الأولى في 17 مايو/أيار.50

وكان هومينت مسؤولاً إلى حد كبير عن قدرة القوات الجوية الإسرائيلية، في يوم الحساب، على التمييز بين الأهداف الحقيقية والأهداف المزيفة على الأرض.
بعد الحرب، صرّح سمير الرفاعي، أحد مساعدي الملك حسين، لمراسلين غربيين بأن طائرة إسرائيلية من طراز سوبر ميستر هاجمت مكتب الملك حسين في القصر الملكي بعمان بعد ظهر يوم 5 يونيو. وأضاف

الرفاعي أن الطائرة الإسرائيلية "أطلقت النار من مدفع رشاش على مكتب الملك من مسافة قريبة بدقة ومعرفة فائقة لهدفها، وهو ما كان مذهلاً".51

إيلي كوهين

حتى عام 1964، كان نشر وتشغيل الجواسيس الإسرائيليين في الدول العربية المجاورة لإسرائيل يتم بشكل رئيسي من قبل استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي؛ وكان يتم إرسال عملاء الموساد في الدول العربية والسيطرة عليهم من دول ثالثة، عادة أوروبا الغربية، وكانت باريس بمثابة المقر الإقليمي.

تم تشغيل الجواسيس في جميع أنحاء العالم العربي من العاصمة الفرنسية. وفر الاتحاد قصير الأمد بين مصر وسوريا في الجمهورية العربية المتحدة بين عامي 1958 و1961 فرصة قصيرة ولكن مرغوبة للتجنيد تحت راية كاذبة. كان رجال الموساد مجهزين بشكل ممتاز لهذه الطريقة: يمكن للإسرائيليين الذين يتظاهرون بأنهم مصريون إقناع المواطنين السوريين بالعمل مع الرئيس ناصر بسهولة أكبر بكثير من الصهاينة - كانت هذه مسألة مختلفة تمامًا. كان أحد كبار الضباط، شموئيل توليدانو، يتحدث العربية الفلسطينية الأصيلة بطلاقة. في صيف عام 1965، في مهمة في سويسرا، التقى بصديق طفولته من طبريا، فايز صايغ، الذي كان مسؤولاً مهمًا في منظمة التحرير الفلسطينية المشكلة حديثًا. دعا رجل الموساد صايغ - وهو لاجئ - لزيارة وطنه. فشلت الحيلة لأن صايغ رفض، قائلاً إنه لن يعود إلا إلى فلسطين المحررة. قال توليدانو لاحقًا: "أتخيل أنه كان يعرف وظيفتي وكنت أعرف وظيفته". "كان كل منا مطلوبًا من قبل منظمة الآخر". 52 ديفيد كيمتشي، عميل التهريب الذي اكتشف خيانة أفري إيلاد - "الرجل الثالث" في "الحادثة الفاشلة" في مصر - كان يتحدث الإنجليزية كلغة ثانية.

اللغة الأم. كان إيلياهو بن إليسار، المولود في بولندا، يُنظر إليه بسهولة على أنه فرنسي أو بلجيكي (عمل لاحقًا في إثيوبيا وشرق إفريقيا، وفي عام ١٩٧٩ أصبح أول سفير لإسرائيل في مصر)؛ بينما كان جو رعنان وفولفغانغ لوتز ألمانيين، وهكذا. شاليئيل بن يائير، العضو المخضرم في عصابة شتيرن، والذي انضم إلى الموساد بعد إسحاق شامير، كان يتحدث العربية والفرنسية بطلاقة. عمل في مصر تحت ستار خبير ماشية بلجيكي، مقدمًا معلومات قيّمة عن القواعد العسكرية وغيرها من المنشآت الحساسة. كان العديد من جواسيس الموساد الآخرين في النصف الأول من ستينيات القرن الماضي من الأوروبيين غير اليهود: فقد ألقى المصريون القبض على إيطاليين وهولندي و"حوّلوهم" إلى عملاء مزدوجين.53

في عام ١٩٦٤، عندما تولى أميت وياريف قيادة الموساد وأمان على التوالي، نُقلت وحدة أمان ١٨٨ (خليفة الوحدة ١٣١ التي لم يحالفها الحظ في قضية لافون)، والتي كانت مسؤولة عن زرع وتشغيل جواسيس إسرائيليين في الدول العربية، إلى الموساد. اتفق رئيسا الجهازين على أن يدير الموساد عملاء إسرائيليين وعربًا في الدول العربية، بينما يتولى أمان السيطرة فقط على العملاء العرب في دول العدو على خط المواجهة. ساعد هذا الترتيب الجديد، الذي ضمّ مسؤولي أمان التنفيذيين - رؤساء الوحدة ١٨٨ بالإضافة إلى أميت نفسه - إلى الموساد، على تبديد شكوى جيش الدفاع الإسرائيلي التقليدية من أن الوكالة المدنية فشلت في تزويد الجيش بما يكفي من المعلومات الاستخباراتية العسكرية البحتة. ٥٤

كان إيلي كوهين أحد أبرز العملاء الواعدين الذين نُقلوا من جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) إلى الموساد عام ١٩٦٤، وقد ألقي القبض عليه وأعدمه السوريون في العام التالي. خلال السنوات الثلاث التي قضاها

في دمشق، زوّد كوهين تل أبيب بكمية هائلة من المعلومات الاستخباراتية السياسية والعسكرية عالية الجودة، بما في ذلك تفاصيل كثيرة عن خط المواجهة للتحصينات السورية في مرتفعات الجولان، التي احتلها جيش الدفاع الإسرائيلي في يونيو/حزيران ١٩٦٧.
كوهين، أول جاسوس إسرائيلي يُقبض عليه ويُعدم كإسرائيلي، وُلد في الإسكندرية، مصر، عام ١٩٢٤، وهاجر إلى إسرائيل عام ١٩٥٧، بعد طرد الصهاينة النشطين من مصر عقب حرب السويس. في عام ١٩٥٥، جاء سرًا إلى إسرائيل للقيام بمهمة تخريبية قصيرة واتصالات.

بعد اعتقالات ومحاكمة قضية لافون. بعد هجرته إلى إسرائيل، خدم كوهين لفترة وجيزة في جيش الدفاع الإسرائيلي مترجمًا، ثم جُنّد في الوحدة 188 في مايو/أيار 1960.
في فبراير/شباط 1961، سافر كوهين إلى بوينس آيرس، مزوَّرًا أوراقًا ثبوتية تُشير إلى أنه كمال أمين ثابت، سوري-أرجنتيني، حيث بدأ يختلط بالمهاجرين السوريين واللبنانيين المحليين، مُفصِّلًا هويته ومُنشئًا علاقات. عائلة "ثابت" المزعومة هي عائلة سورية انتقلت إلى مصر عام 1933، ثم إلى الأرجنتين عام 1948. وُلد كمال في بيروت عام 1930. أخبر أصدقاءه الجدد في الأرجنتين أنه رجل أعمال ثري، وأنه على وشك العودة إلى موطنه الأصلي، سوريا. وصل كوهين إلى دمشق في يناير/كانون الثاني 1962.
كان كوهين عميلاً واعداً منذ البداية. عندما أجرى أول اتصال لاسلكي له، عبر مورس، إلى تل أبيب في 25 فبراير، فُتحت زجاجة شمبانيا في مقر الوحدة 188. استخدم "منشيه"، كما كان يُلقب، حبراً سرياً لتقاريره الطويلة، مُهرّباً إياها إلى جهة اتصال في أوروبا في حجرات سرية داخل أثاث دمشقي بدأ بتصديره. بصفته رجل أعمال ثرياً يتمتع بعلاقات واسعة في أمريكا الجنوبية وأوروبا والشرق الأوسط، تمكن كوهين من الاختلاط بشخصيات سورية بارزة في المجالين المالي والعسكري والسياسي، وتمكن من بناء علاقات وثيقة مع عدد من قادة حزب البعث.
في يوليو 1962، سافر جواً إلى تل أبيب، عبر أوروبا، في إجازة منزلية. أمضى ضباط الأمن أياماً في استجوابه بشأن الشؤون العسكرية والسياسية السورية. وفي سبتمبر، عاد كوهين إلى سوريا، واصطحبه صديق في جولة إرشادية إلى تحصينات مرتفعات الجولان. ربما تكون أهمية هذا - وهي جزء من الأسطورة البطولية التي نشأت حول كوهين في إسرائيل - مبالغاً فيها: فقد جادل بعض خبراء الاستخبارات بأن المعلومات حول هذه الدفاعات كانت متاحة بسهولة من الاستطلاع الأرضي والجوي. كما ألقى نظرة أولى على مختلف أنظمة الأسلحة السوفيتية الجديدة. ارتفعت قيمة كوهين لتل أبيب بعد أن سيطر حزب البعث على دمشق في انقلاب مارس 1963، وتولى بعض أقرب أصدقائه مناصب حكومية مهمة.

بعد بضعة أسابيع، قام كوهين بزيارة قصيرة إلى تل أبيب، حيث التقى رئيس الموساد الجديد، مائير عميت. ثم عاد إلى دمشق في مايو/أيار.
لم يكن كوهين جاسوسًا مثاليًا. خلال زياراته المنزلية، حذّره رؤساؤه مرارًا وتكرارًا من الإفراط في البثّ والتهوّر على الهواء. أرسل ذات مرة رسالةً عبّر فيها عن خيبة أمله من هزيمة المنتخب الوطني الإسرائيلي لكرة القدم، وكثيرًا ما أرسل تحياته لزوجته نادية، بالإضافة إلى رسائل شخصية أخرى. كان موريس، شقيق كوهين، يعمل آنذاك في قسم الاتصالات بالموساد، وسرعان ما خمّن هوية "منشيه". اعتقد بعض زبائنه في أجهزة الاستخبارات آنذاك أنه يلعب لعبةً خطيرة. قال أهارون ياريف: "كان عميلًا ممتازًا للغاية، بمعنى

أنه أصبح قريبًا جدًا من شخصيات سورية مهمة، وبالتالي، برز كثيرًا". 55 أما رافي إيتان، المسؤول المخضرم عن عملاء الموساد، فقد اعتبر كوهين "جاسوسًا سيئًا للغاية" تصرف بغباء في دمشق. 56

استخدم كوهين جهازه اللاسلكي كجهاز هاتف. قال أحد مراقبيه لاحقًا: "كنا نسأله سؤالًا في الصباح، وبحلول الظهر تكون الإجابة جاهزة". على سبيل المثال، بين 15 مارس و29 أغسطس 1964، أرسل بعض...

مئة رسالة، مدة كل منها حوالي تسع دقائق. بين 2 ديسمبر واعتقاله في 18 يناير 1965، أرسل إحدى وثلاثين رسالة، جميعها في الساعة 8:30 صباحًا. ورغم أنه كان يُعتبر فنيًا خبيرًا في مجال اللاسلكي، إلا أن الإفراط في استخدام موجات الأثير مثّل خللًا أمنيًا تراكميًا، وكان على الأرجح سبب اعتقاله. في النهاية، لاحظت عربات البحث عن اللاسلكي، التي يديرها رجال أمن سوريون ومستشارون سوفييت، تكرار الإرسال، وحددت مصدره - شقة كوهين.

عاد "رجل إسرائيل في دمشق" مرتين أخريين في إجازة منزلية - من ديسمبر 1963 إلى مارس 1964 وخلال شهري أكتوبر ونوفمبر 1964. وخلال الزيارة الثانية، ولإجراءات أمنية إضافية، تم استجوابه من قبل ضباط أمان من خلف ستار من القماش، ويرجع ذلك جزئيًا إلى وجود شعور في المقر الرئيسي - والذي كان يتقاسمه كوهين نفسه آنذاك - بأن حظه كان على وشك الانتهاء.

Sigint في 196 7

إلى جانب "الهومينت"، كانت "فوتينت" أو التصوير الجوي أهم وسيلة اعتمدتها إسرائيل لجمع معلومات استخباراتية حول ترتيب المعركة. لطالما شكّل تصوير الأهداف المحتملة في سيناء ومصر قبل عام ١٩٦٧ مشكلة، خشية أن يُثير توترًا عسكريًا، أو رد فعل دبلوماسي غربي عنيف، بل وحتى أعمالًا عدائية؛ إلا أن مهام التصوير الجوي والاستطلاع نُفذت على مر السنين ضد أهداف محددة ذات أولوية عالية. وخلال معظم شهر مايو/أيار ١٩٦٧، كبحت الحكومة رغبة جيش الدفاع الإسرائيلي الطبيعية في تكثيف مهام الاستطلاع الجوي. ولكن في الأيام الأخيرة قبل الخامس من يونيو/حزيران، سُمح للقوات الجوية أخيرًا بتنفيذ مهام استطلاع متكررة قصيرة وطويلة المدى للحصول على صورة دقيقة للانتشارات العسكرية العربية المتطورة.

ساهمت تقنية Sigint بشكل كبير في تحقيق النصر، وتحديدًا في نجاح الغارة الجوية الأولى لسلاح الجو الإسرائيلي. وقد سجّل الملك حسين لاحقًا أن "الإسرائيليين اعترضوا [رسائلنا اللاسلكية] كثيرًا، جوًا وبرًا".58 كما وفرت تقنية Sigint بعض الفوائد السياسية والاستراتيجية المهمة. ومن الأمثلة الجيدة - والمثال الأشهر - على جودة قدرات Sigint الإسرائيلية اعتراض وتسجيل مكالمة هاتفية لاسلكية بين ناصر وحسين، في وقت مبكر من صباح يوم 6 يونيو/حزيران. وقد جرت المحادثة، وفقًا للملك، "عبر نظام الهاتف العمومي العادي".59

ناصر: كيف حالك؟ الأخ [ناصر يُشير إلى حسين] يريد أن يعرف إن كان القتال مستمرًا على طول الجبهة... هل تعلم أن الولايات المتحدة تُشارك إلى جانب إسرائيل في الحرب؟ هل نُعلن ذلك؟... هل نُعلن أن الولايات المتحدة وبريطانيا تُشاركان أم الولايات المتحدة فقط؟ [أعلن ناصر لاحقًا أن الأمريكيين شاركوا في الهجوم الجوي الحاسم الأولي، لتبرير الهزيمة].

حسين: الولايات المتحدة وانجلترا.

ناصر: هل لدى بريطانيا حاملات طائرات؟ حسين: [غير واضح]
ناصر: حسنًا. سيُصدر الملك حسين إعلانًا، وأنا سأفعل

"أصدرنا إعلانًا... سنتأكد من أن السوريين [أيضًا] يصدرون إعلانًا بأن الطائرات الأمريكية والبريطانية تستخدم حاملات طائراتها ضدنا... [وفي الوقت نفسه]، كانت طائراتنا تهاجم مطارات إسرائيل منذ الصباح.60

نُفِّذت عملية الاعتراض في قاعدة قرب تل أبيب على يد ضابطين مخضرمين من قوات الأمن الإسرائيلية، باستخدام معدات قديمة من الحرب العالمية الثانية. كان الضابطان قد أمضوا اليوم السابق، 5 يونيو/حزيران، في "متابعة" انسحاب وحدات مصرية مختلفة في سيناء. لم يكن أيٌّ منهما مُدركًا للأهمية الكاملة لعملية الاعتراض، لكن سرعان ما أدركا ذلك الضابط المسؤول، الذي قال لهما: "إنها تساوي ملايين. اصنعوا أربع نسخ منها".

رغم بعض الغموض، بدا أن مضمون محادثة ناصر وحسين هو أن ناصر كان يحاول إقناع حسين بأن غارة 5 يونيو الجوية نُفِّذت بشكل مشترك من قِبل طائرات إسرائيلية وأمريكية وبريطانية. بل من المحتمل أن يكون الزعيمان العربيان آنذاك قد اعتقدا ذلك.61 ويبدو أن ضابطًا سوفيتيًا رفيع المستوى كان متمركزًا في الإسماعيلية، على قناة السويس، قد اعتقد ذلك أيضًا.62

عارض ياريف نشر محادثة ناصر-حسين لتجنب الكشف عن مدى قدرات إسرائيل وعملياتها الاستخبارية. لكن ديان وإشكول عارضا ذلك، ونشرت إسرائيل المحادثة المسجلة في اليوم التالي، بينما كانت الحرب لا تزال مستعرة، وكان لها تأثير سياسي بالغ.

دفع نشر المحادثة المُراقَبة العرب إلى تحسين أمن اتصالاتهم بشكل كبير، مما جعل التنصت الإلكتروني لجهاز أمان أكثر صعوبة. وصرح ضابط استخبارات إسرائيلي كبير لاحقًا بأن النشر كلف إسرائيل 60% من قدرتها على اعتراض إشارات سيجنت في الدول العربية.63 وكان الشعور السائد في العواصم العربية هو أنه إذا استطاع الإسرائيليون التقاط مثل هذا التبادل الحميم رفيع المستوى، فمن يدري ما الذي تستطيع وحدات سيجنت التابعة لجهاز أمان فعله أيضًا؟ وكان تعزيز هذا القلق، بالطبع، أحد الأهداف المحددة للنشر. وكان الدافع الآخر هو محاولة دق إسفين بين مصر والأردن من خلال كشف ازدواجية ناصر للملك. (لم يعترف ناصر بـ

(لقد كان نتنياهو على يقين من أن إسرائيل سوف تدمر قواتها الجوية، بل وأخبر حسين . في السادس من يونيو/حزيران .أن طائراته لا تزال مشغولة بمهاجمة القواعد الجوية الإسرائيلية.)

منذ الصباح الباكر من يوم 6 يونيو/حزيران، بثت محطات الإذاعة المصرية والأردنية والسورية خبر "المؤامرة" الأنجلو-أمريكية مع إسرائيل ومشاركة أسراب بريطانية وأمريكية في عمليات القصف الجوي على المطارات المصرية. اقتحمت حشود غاضبة القنصلية الأمريكية في الإسكندرية وأحرقتها، وانطلقت دعوات عارمة من القاهرة ودمشق إلى بقية العالم العربي لمهاجمة المنشآت الأمريكية. قطعت الدول العربية علاقاتها مع الولايات المتحدة بشكل جماعي. وقد أحرج نشر المحادثة ناصر وحسين بشدة.64

فيما يتعلق بالعمليات البرية، كان الأهم هو اعتراض أمر ناصر العام لقواته في سيناء بالتراجع إلى قناة السويس، حوالي الساعة الثانية ظهرًا من يوم 6 يونيو/حزيران، وذلك عقب الاختراقات الكبيرة التي حققتها الفرق الإسرائيلية بقيادة الجنرال إسرائيل تال (على محور شمال سيناء) والجنرال أرييل شارون (على المحور الجنوبي) في وقت مبكر من ذلك اليوم. وقد مكّن هذا هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي من اتخاذ قرار بشن هجوم على سوريا في جنوب مرتفعات الجولان بعد ثلاثة أيام.65

قبل الحرب، فكّ ضابط من جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) يُدعى شاؤول شاماي،66، شفرة الجيش المصري، وكان لذلك تأثيرٌ كبير. وخلال القتال، أربك فرع المخابرات القادة والوحدات المصرية مرارًا وتكرارًا بإصدار أوامر زائفة. لاحقًا، نقلت الصحافة السوفيتية حادثة مماثلة، حيث أمر ضباط استخبارات إسرائيليون طيارًا مصريًا من طراز ميج بإلقاء قنابله فوق البحر بدلًا من شن هجوم على مواقع إسرائيلية. وعندما طُلب من الإسرائيليين إثبات حسن نيتهم، قدّموا للطيار، المدعو "مرتجى"، تفاصيل عن زوجته وأطفاله. حتى أنه تخلى في النهاية عن القنابل والطائرة فوق البحر وقفز بالمظلة إلى بر الأمان.67

في الأسابيع التي سبقت الحرب، كان فرع الاستخبارات في

تمكنت الجبهة الجنوبية من إدارة عملية خداع كبرى كان هدفها إقناع المصريين بأن الهجوم الرئيسي لإسرائيل سيكون على محور جنوب سيناء وحتى أبعد إلى الجنوب، بالقرب من كوسيما، وليس على طول المحور الأكثر أهمية.

طريق ساحلي شمالي واضح. استخدم أمان وحدة وهمية خاصة لهذا الغرض. انطلت الخدعة على المصريين وأعادوا نشر قواتهم، بما في ذلك فرقة المدرعات النخبوية التابعة للواء سعد الدين الشاذلي، بما يتماشى مع التهديد المفترض على طول المحور الجنوبي.

خلال القتال نفسه، كان فرع الاستخبارات ضئيل الأهمية نسبيًا، إذ فاقت التشكيلات المدرعة لجيش الدفاع الإسرائيلي في سيناء التوقعات بسرعة ونجاح تقدمها. وتفكك المصريون وهربوا غربًا بسرعة كبيرة، مما صعّب على وحدات الاستخبارات الميدانية مراقبتهم. تم التخلي عن التصوير الجوي والاستطلاع خلال اليومين الأولين الحاسمين، حيث تم تعبئة موارد سلاح الجو الإسرائيلي بالكامل لمهام الهجوم والاعتراض. في 7 يونيو فقط، انضم سرب من إحدى عشرة طائرة من طراز بايبر كاب، مع ضباط من سلاح الجو الإسرائيلي، إلى الأرتال البرية الإسرائيلية المتقدمة، كمراقبين متقدمين لوحدات المدفعية والمدرعات.

فوائد

من الناحية الاستخباراتية، كانت حرب ١٩٦٧ بمثابة منحة كبيرة لجهاز الاستخبارات الإسرائيلي (أمان). فقد حصل جيش الدفاع الإسرائيلي على معلومات واسعة عن الجيوش العربية الثلاثة التي هزمها - هياكلها، وأسلحتها، ونظريتها القتالية، وأفرادها. قضت وحدات جهاز الاستخبارات الإسرائيلي (أمان) أشهرًا في استجواب أسرى الحرب، وفحص الوثائق التي تم الاستيلاء عليها.

- من المخابرات العسكرية المصرية والشرطة السرية في قطاع غزة وسيناء، ومن مخابرات الفيلق العربي، وجهاز المخابرات الأردني في القدس ورام الله ونابلس، ومن مقر المخابرات العسكرية السورية في القنيطرة. كان من المقرر أن تُستخدم هذه المواد الأردنية في كشف وتدمير البنية التحتية لمنظمة التحرير

الفلسطينية، وخاصةً الحزب الشيوعي، وخلاياه في الضفة الغربية، خلال الأشهر الأولى من الاحتلال الإسرائيلي الذي تلا حزيران/يونيو 1967.
لقد تركت الحرب بطبيعة الحال دماءً سيئة بين السوفييت و
عملائهم العرب. ألقى ناصر والسوريون باللوم بشكل كبير على رداءة جودة المعدات السوفيتية وعلى عدم كفاية العقيدة العسكرية السوفيتية و

التدريب الذي قدمه المستشارون السوفييت. سارعت إسرائيل إلى تعميق هذا الخلاف. في يوليو/تموز 1967، بعد أسابيع فقط من المعارك، نشر فرع استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي تقريرًا للمخابرات العسكرية السورية يعود لعام 1965، يُظهر أن عملاءه كانوا يراقبون عن كثب المستشارين السوفييت المتمركزين في دمشق والقنيطرة. كان التقرير قاسيًا بعض الشيء على الروس: "إنهم بخلاء حتى تجاه بعضهم البعض"، كما كتب الرائد محمد شريف آل سعود.68
سارعت أمان إلى نشر وثيقة استخباراتية سورية أخرى، هذه المرة أملاً في تشويه صورة سوريا أمام موظفي الأمم المتحدة. الوثيقة، وهي أمر صادر عن قائد اللواء السادس، العقيد محمد زياد الحريري، يعود تاريخه إلى عام ١٩٦٢، تُلزم الحاميات السورية في مرتفعات الجولان بإخفاء الأسلحة الثقيلة والوحدات الزائدة عن الحاجة، والتي يُشكل وجودها انتهاكاً لأحكام تحديد القوات في اتفاقية الهدنة الإسرائيلية السورية لعام ١٩٤٩، والتي راقبها مراقبو الأمم المتحدة العسكريون.٦٩

لصوص في الليل
شكلت حرب الأيام الستة بداية نهاية التحالف الإسرائيلي الفرنسي، الذي كان من أهم مكوناته مبيعات الأسلحة. نشأت هذه العلاقة في منتصف خمسينيات القرن الماضي على خلفية الثورة الجزائرية، والعداء المشترك لمصر في عهد عبد الناصر، والمعلومات الاستخباراتية القيّمة التي قدمتها إسرائيل عن تحركات قادة جبهة التحرير الوطني. لكن الجزائر نالت استقلالها عام ١٩٦٢، وبحلول منتصف العقد، وجد الرئيس ديغول أنه من الحكمة إحياء العلاقات الفرنسية العربية. خلال أزمة مايو ١٩٦٧، حذّر إسرائيل من شنّ ضربة استباقية. وعندما تجاهلت إسرائيل هذه النصيحة، اعتبرها إهانة شخصية.
ردّت فرنسا بفرض حظر على بيع طائرات الميراج إلى إسرائيل، وهي الطائرات التي أثبتت فعاليتها في 5 يونيو/حزيران. وبعد غارة قوات الكوماندوز الإسرائيلية على مطار بيروت في ديسمبر/كانون الأول 1968، والتي فُجّرت فيها ثلاث عشرة طائرة مدنية فارغة على المدرج ردًا على هجوم منظمة التحرير الفلسطينية المتمركز في بيروت،

بعد هجمات على حركة الملاحة الجوية الإسرائيلية، شُدّد الحظر ليشمل جميع أنواع الأسلحة. حافظ الفرنسيون لعقود على موقفٍ خاصٍّ وحمائيٍّ تجاه لبنان. اعترض ديغول على تسليم زوارق الصواريخ الخمسة المتبقية (من أصل اثنتي عشرة سفينة طُلب بناؤها) إلى إسرائيل، والتي كانت شركة CMC (CCM) للإنشاءات الميكانيكية في نورماندي (CCM).
ردت إسرائيل على الحظر الفرنسي على مستويين:

لقد شنت الحكومة حملة لإقناع الولايات المتحدة باستبدال فرنسا كمورد رئيسي للأسلحة لإسرائيل؛ وعلى المستوى العملي الفوري، صدرت الأوامر لأجهزة الاستخبارات والأجهزة المسلحة بتعويض الخسائر، بكل الوسائل الممكنة.
في سويسرا، حيث كانت الطائرات الفرنسية تُنتج بموجب ترخيص، نظّم الموساد وسلاح الجو الإسرائيلي ووحدة التجسس التكنولوجي التابعة لوزارة الدفاع الإسرائيلية (لاكام) عملية الاستحواذ على مخططات بناء طائرة ميراج IIIC، مما مكّن إسرائيل في نهاية المطاف من بناء نسخ طبق الأصل من طائرات ميراج، هما نيشر وكفير. أُلقي القبض على المهندس السويسري ألفريد فراونكنخت عام ١٩٦٩، وحُكم عليه عام ١٩٧١ بالسجن أربع سنوات ونصف من قِبَل محكمة سويسرية، ولكن فقط بعد أن نقل إلى عملاء الموساد حوالي ٢٠٠ ألف مخطط ومواصفات أدوات الآلات الدقيقة المستخدمة في بناء طائرة ميراج.
هُرِّبت قوارب شيربورغ الخمسة، التي اعتبرتها إسرائيل جزءًا حيويًا من أسطولها الصاروخي الجديد، من فرنسا عشية عيد الميلاد عام ١٩٦٩ وأبحرت إلى ميناء حيفا عشية رأس السنة. نظّم العملية، التي استُخدمت فيها شركة وهمية من دولة ثالثة وأطقم إسرائيلية جُلبت إلى فرنسا بملابس مدنية، الأدميرال مردخاي (موكا) ليمون، رئيس بعثة المشتريات العسكرية الإسرائيلية في فرنسا والقائد المتقاعد للبحرية الإسرائيلية. خُدعت الحكومة الفرنسية وأُوهمت بأن القوارب كانت تُشترى من قِبَل شركة نرويجية للتنقيب عن النفط. (كان المسؤولون الفرنسيون من المستوى الأدنى على دراية جيدة بما كان يحدث قبل انطلاق الرحلة من شيربورغ، لكنهم فشلوا في نقل المعلومات إلى المستويات العليا، أو تجاهلهم رؤساؤهم). لم يكن للموساد أي دور يُذكر في العملية. ٧١

8
التحديات الفلسطينية:
73-1967

ثمن النصر
على الرغم من أن النصر العسكري الذي استمر ستة أيام كان مذهلاً، إلا أن إسرائيل لم تكن مستعدة لعواقبه. فقد حُوِّل الفلسطينيون تاريخياً وجغرافياً إلى أجنحة النضال العربي اليهودي منذ كارثة عام 1948؛ والآن عاد معظمهم إلى مركز الصدارة مرة أخرى، ما يقرب من مليون شخص، مصدومين ومُستنكرين الكارثة الجديدة التي حلت بهم. وبحلول 10 يونيو 1967، ومع سيطرة إسرائيل الكاملة على الضفة الغربية والقدس الشرقية وقطاع غزة، كانت إحدى المهام الأولى للغزاة هي تحديد كيفية السيطرة على عدد كبير من السكان العرب، وربما المعادين، في المستقبل المنظور، في انتظار أي تسوية سلمية قد تنشأ - أو لا تنشأ - من رماد الحرب. وقد طرحت مرتفعات الجولان السورية المحتلة والمساحات الشاسعة من صحراء سيناء المصرية مشاكل مختلفة.

وقد حدد شلومو غازيت، العقيد في فرع الاستخبارات الذي تم تعيينه في ذلك الصيف كأول "منسق للعمليات" للحكومة في الأراضي المحتلة، الهدف الأمني الرئيسي للنظام الجديد: "عزل الإرهابي [الكلمة العبرية المستخدمة عمومًا للإرهابي هي mehabel، على الرغم من أن معناها الأكثر دقة وأصلاً هو saboture] عن عامة السكان وحرمانه من المأوى والمساعدة حتى لو كان التعاطف الطبيعي لهذا السكان مع الإرهابيين وليس الإدارة الإسرائيلية".1
غازيت، ضابط رصين لكنه ثقيل بعض الشيء خدم

تحت قيادة أهارون ياريف، رئيس قسم الأبحاث في جهاز الأمن العام (أمان) للسنوات الثلاث السابقة، زعم لاحقًا أنه على الرغم من بعض العثرات المبكرة، فإن نظام الأمن الإسرائيلي عمل بكفاءة مذهلة. حافظت استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، وجهاز الأمن العام (الشاباك)، والموساد على وظائفها التي كانت قائمة قبل الحرب، لكنها اكتفت بتوسيع أنشطتها الاعتيادية لتلبية متطلبات الوضع الجديد.
احتفظت أمان بمسؤوليتها العامة عن الاستخبارات الوطنية، وبالتالي حددت أولويات جمع المعلومات والبحث للعنصرين الرئيسيين الآخرين في مجتمع الاستخبارات. مُنح الشاباك السيطرة على الاستخبارات العملياتية في الأراضي المحتلة، وأُمر الموساد بزيادة استهدافه وتغلغله في المنظمات الفلسطينية في الخارج. لم تكن هذه أولوية قصوى قبل الحرب: فمنذ عام 1948، غالبًا ما اختفت الجماعات الوطنية الفلسطينية الجديدة بنفس سرعة ظهورها، وعلى مر السنين لم تُعرها المخابرات الإسرائيلية سوى اهتمام ضئيل. ضم قسم الأبحاث في أمان الشؤون الفلسطينية - وخاصة منظمة التحرير الفلسطينية بزعامة أحمد الشقيري - تحت عناوين أخرى، وكانت هناك بعض المعارضة من ضباط فرع المخابرات لإنشاء ما أسماه غازيت مكتب النشاط التخريبي العدائي (PAHA اختصارًا بالعبرية، HSA بالإنجليزية) في عام 1965، وهو العام الأول للعمليات العسكرية لحركة فتح بزعامة ياسر عرفات.2 حتى ذلك الحين، كان الفلسطينيون كأهداف استخباراتية يُراقبون جنبًا إلى جنب مع الدول التي ساعدتهم - مصر وسوريا والأردن. في عام 1964، عندما تولى ياريف رئاسة فرع الاستخبارات خلفاً لمائير عميت، قيل له إن منظمة التحرير الفلسطينية "لا ينبغي لها أن تسبب قلقاً لإسرائيل".3
قبل حرب عام ١٩٦٧، بدت حركة فتح، وهي أكبر المنظمات الفلسطينية وأكثرها تجانسًا، تهديدًا أكبر بكثير للأردن مما كانت عليه لإسرائيل، وقد تعامل جهاز الأمن الشامل للملك حسين - الذي نالت المخابرات الإسرائيلية إعجابه لخبرته المهنية ٤ - معه بحزم. ففي أبريل ١٩٦٦، على سبيل المثال، اعتقل الأردنيون حوالي ٢٠٠ "مخرب"، بمن فيهم معظم موظفي مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في عمان، الذي أُغلق تمامًا بعد شهرين. وبين أكتوبر ومنتصف نوفمبر من ذلك العام،

ست من أصل إحدى عشرة غارة شنّها فلسطينيون مدعومون من سوريا على إسرائيل عبر الأراضي الأردنية، مما شكّل خطر ردّ إسرائيلي واسع النطاق على قرى الضفة الغربية. هذا ما حدث بالضبط في 13 نوفمبر/تشرين الثاني 1966، عندما هاجم الجيش الإسرائيلي السموع، جنوب الخليل، في أكبر اشتباك له منذ حرب السويس. وقت غارة السموع، أوضح الملك حسين لإسرائيل أنه لم ينجح بعد في قمع أنشطة فتح في منطقة الخليل.5 في هذه الفترة، قبل الأردن من إسرائيل قوائم بأسماء سكان الضفة الغربية

المتعاونين مع مجموعات الفدائيين، وفي عدة مناسبات، نُفّذت اعتقالات واسعة النطاق بناءً على هذه المعلومات.6

الشاباك يتولى المسؤولية

في أعقاب الحرب مباشرةً، لم يكن جهاز الشاباك، كغيره، مستعدًا لضخامة المهمة التي واجهها. فرغم تعبئة جميع قوات الاحتياط التابعة للجهاز - وخاصة الناطقين بالعربية - إلا أن الأمر استغرق وقتًا قبل أن يتمكن من تجنيد وتدريب الأفراد الجدد اللازمين للانتشار العملياتي.7 قال ضابط كبير في الشاباك: "لم يكن الجهاز مستعدًا للسيطرة على مساحة شاسعة كهذه وعدد كبير من الأفراد. كانت تجربتنا السابقة الوحيدة في قطاع غزة عام ١٩٥٦، وافترضنا أن الأمر نفسه سيحدث، وأن كل شيء سينتهي وأننا سنغادر في غضون بضعة أشهر".8

قال أهارون ياريف، رئيس جهاز الأمن العام (أمان)، لاحقًا: "شعرتُ بارتياح كبير لأن جهاز الأمن العام استولى على كل شيء. لقد طفح الكيل". خلال السنوات الإحدى عشرة الهادئة التي تلت حرب السويس، تطور جهاز الأمن العام (الشاباك) إلى منظمة صغيرة واحترافية للغاية في مجال الأمن ومكافحة التجسس، كانت مهمتها الرئيسية السيطرة على الأقلية العربية الهادئة نسبيًا في البلاد، ومواجهة خطر عمليات الاستخبارات الأجنبية المعادية على الأراضي الإسرائيلية، ومعظمها من الكتلة السوفيتية والدول العربية. لم يكن إلغاء الحكم العسكري في المناطق العربية داخل "الخط الأخضر" عام ١٩٦٦ يعني تقليل العمل الذي يقوم به.

كان إغلاق جميع سفارات الكتلة السوفييتية بعد قطع العلاقات الدبلوماسية الشامل عام ١٩٦٧ قد أتاح لبعض أفراد جهاز مكافحة التجسس القيام بمهام أخرى، على الرغم من أن الناطقين بالروسية أو التشيكية لم يكونوا ذوي فائدة تُذكر في الضفة الغربية أو غزة.

خلال الأسابيع القليلة الأولى بعد انتهاء الأعمال العدائية، ظل الفلسطينيون في حالة صدمة جماعية. ولكن بحلول منتصف يوليو/تموز 1967، أبلغ جهاز الأمن العام (الشاباك) إشكول أن الفزع بدأ يفسح المجال للغضب، وأن هناك بوادر استعداد لبدء حملة عصيان مدني ضد سلطات الاحتلال.9 وكان أحد العوامل التي دفعت الفلسطينيين إلى مواجهة الواقع الجديد هو العدد الكبير من الإسرائيليين الذين بدأوا يخرجون لمشاهدة المعالم السياحية والبحث عن الصفقات في أسواق القدس الشرقية ونابلس والخليل.

كانت أجهزة الأمن متورطة في العملية منذ البداية.

جاءت فكرة لجنة التنسيق الحكومية المشتركة بين الوزارات، التي طلب ديان من غازيت رئاستها في منتصف أغسطس، من شموئيل توليدانو، ضابط الموساد السابق ومستشار رئيس الوزراء إشكول للشؤون العربية آنذاك. لكن يوسف هارملين، رئيس جهاز الشاباك منذ عام ١٩٦٣، هو من وضع الاقتراح التنظيمي. شرح هارملين لديان كيفية تنسيق العمليات الحكومية المتعلقة بالعرب الإسرائيليين، واقترح إطارًا مشابهًا للضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية. 10 مثّل أبراهام أهيتوف، رئيس فرع الشؤون العربية في الشاباك، الجهاز في اللجنة.

تطلب الوضع الجديد رجالًا جددًا وأساليب جديدة: انتهت حرب إطلاق النار، لكن الصراع الحقيقي لم يبدأ إلا للتو. كلف هارملين يهودا أربيل، مدير المكتب الإقليمي الصغير للجهاز في القدس، المولود في المجر،

بمسؤولية الضفة الغربية والقدس الشرقية. وفور وقف إطلاق النار، أُقيم مقر متقدم في فندق السفير بحي الشيخ جراح بالمدينة، حيث كانت تتمركز أيضًا القيادة المركزية للجيش.11
قبل الحرب، كانت القدس أصغر مناطق الشاباك وأكثرها هدوءًا، ولم يكن لها أي علاقة تُذكر بالشؤون العربية. باستثناء أبو غوش وثلاث قرى أصغر،

(بما في ذلك النصف الإسرائيلي من بيت صفافا المقسمة) لم يكن هناك عرب في المنطقة. كان أربيل يدير معظم أعماله من مقهى بيتر، وهو مطعم شهير تديره أرملتان مجريتان في حي المستعمرة الألمانية الخلاب. في مرحلة ما من أوائل الستينيات، فكر في ترك الخدمة لأن العمل كان مملًا للغاية.12 تم تجنيد أربيل في عام 1958 من قبل زميله ترانسلفانيا، عاموس مانور، بعد عدة سنوات في قوة الشرطة. أطلق عليه مانور لقب "الغجري". من عام 1959 إلى عام 1962، وهي فترة العمليات ضد مجرمي الحرب النازيين والعلماء العاملين في مصر، كان معارًا إلى الموساد في ألمانيا.13 كان أربيل رجلاً صغيرًا نحيفًا وجذابًا ذو عيون زرقاء ثاقبة، وذوق للحفلات الصاخبة والمرأة الجذابة؛ كان يبدو وكأنه نسخة نحيفة من ريتشارد بيرتون. كان يُحب أن يُخبر أصدقاءه: "أنا ثمرة ليلة حب بين ملك تتاري وامرأة غجرية".14 كان من الممكن رؤيته علنًا من حين لآخر في تلك الأيام الأولى التي تلت الحرب، مرتديًا زيًا عسكريًا، يرافق ديان وغيره من كبار الشخصيات السياسية والعسكرية في جولات بالمنطقة. خلال إحدى رحلاته إلى الخليل، ساعدت ابنة أربيل، البالغة من العمر اثني عشر عامًا، في إشباع فضول وزير الدفاع الأثري بموافقتها على إنزاله في مساحة صغيرة في مغارة المكفيلة.15 أما العمل الحقيقي، فقد كان يُنجز خلف الكواليس.

تصعيد الصراع
فتح، التي لم تشارك في الحرب نفسها، أطلقت الآن تصريحاتٍ عدائية. أعلن جناحها العسكري، العاصفة، في دمشق في 22 يونيو/حزيران 1967: "قررت منظمتنا مواصلة النضال ضدّ الغزاة الصهيونيين. نخطط للعمل بعيدًا عن الدول العربية حتى لا يتعرضوا للانتقام الإسرائيلي على أعمال الفدائيين. لذا، يستحيل تحميل الشعب العربي مسؤولية حربنا. منظمتنا هي منظمة الشعب الفلسطيني، ونحن متحدون في عزمنا على تحرير وطننا المسلوب من أيدي الصهاينة".16

كانت هذه كلمات شجاعة، لكن الفلسطينيين كانوا بعيدين كل البعد عن الاستعداد لنوع النضال الشعبي الذي تصوروه، مستلهمين من حركات التحرير المناهضة للاستعمار في الجزائر وفيتنام. أرسل نائب عرفات، خليل الوزير، المعروف باسم أبو جهاد، ضباط تجنيد إلى الضفة الغربية وغزة. خضع حوالي 500 متطوع لدورات تدريبية عسكرية وأيديولوجية لمدة ثلاثة أسابيع في معسكرات فتح في سوريا، حيث تم فحصهم أولاً من قبل "لجنة أمنية" للتأكد من أنهم ليسوا عملاء إسرائيليين. في الوقت نفسه، تم توزيع حوالي 500 فلسطيني آخرين كانوا يدرسون في أوروبا ومصر، وتلقوا تدريبًا قصيرًا في الجزائر، على مدنهم وقراهم الأصلية في الأراضي المحتلة، بعد أن دخلوا الأردن متنكرين في زي القوات العراقية.11 لكن هذه الدورات المكثفة لم تكن كافية. وكان الفحص الأمني لفتح غير فعال على الإطلاق.
عندما وصل الفدائيون الأوائل إلى الضفة الغربية وغزة

في ذلك الصيف، كانوا غالبًا ما يتجاهلون إخفاء آثارهم وهوياتهم. وقد صعّبت كفاءة وقسوة أجهزة الأمن الأردنية والمصرية على الحركة الوطنية الفلسطينية الناشئة بناء بنية تحتية قوية قبل الحرب.18 كانت العمليات المبكرة متهالكة، وكان التقسيم - وهو المبدأ الأساسي لجميع الأنشطة السرية - شبه معدوم. كانت الخلايا كبيرة جدًا. وكما كتب صحفي إسرائيلي:
كان تحديد هوية هؤلاء الأشخاص أمرًا سهلاً. في بعض الأحيان، كانت أجهزة الأمن تنتظر عملاء الحركة السرية في المقاهي وتعتقلهم عند اقترابهم من طاولاتهم. وعندما يغيب أحد أعضاء الحركة السرية عن مقهى معين، كانت القرية بأكملها تعرف زعيم خليته، وكان هناك دائمًا من يرشده. وكقاعدة عامة، كان اعتقال عضو واحد كافيًا لتفكيك الخلية بأكملها.19
يتفق الجانبان على هذه النقطة المهمة: فقد عزا أحد نواب عرفات، وهو صلاح خلف (أبو إياد)، هذه النكسات التي منيت بها منظمة التحرير الفلسطينية إلى عاملين توأمين هما "كفاءة أجهزة المخابرات الإسرائيلية وإهمال مقاتلينا".20 وكان عرفات نفسه قد وصل إلى الضفة الغربية سراً في منتصف يوليو/تموز أو أغسطس/آب،

أقاموا مقرًا لهم أولًا في قباطية، شمال نابلس، ثم في نابلس نفسها. لكن قائد فتح كان متعجلًا وضغط لاتخاذ إجراء فوري، في حين كان من الأفضل له بناء قواعد وبناء دعم تدريجي. لم ينجح في فعل أكثر من التحدث إلى أنصاره لاختبار الموقف ورفع المعنويات. كان فيصل الحسيني أحد من قابلهم، وكان...
تم تسليمه بندقيتين وتم اعتقاله وسجنه من قبل الإسرائيليين بعد فترة وجيزة.
أُجبر عرفات على مغادرة المنطقة، متنكرًا بزي امرأة، في النصف الثاني من شهر ديسمبر/كانون الأول، بعد أن كاد أن يُفاجأ بمداهمة شنّها جهاز الأمن العام (الشاباك)، بقيادة يهودا أربيل، على منزل آمن كان يقيم فيه في رام الله، على بُعد أمتار قليلة من مقرّ الحكومة العسكرية.21 كانت المرتبة التي كان ينام عليها زعيم فتح لا تزال دافئة، وقد صودرت، وكانت في خدمة ضابط أمن متمركز في المدينة لسنوات. فر عرفات عائدًا إلى نابلس، ومنها إلى العاصمة السورية، حيث كان زملاؤه في فتح يجتمعون لمناقشة آفاق المقاومة المستقبلية. (زعم عرفات لاحقًا أنه زار الأراضي المحتلة، وتل أبيب، مرة أخرى عام 1968، لكن مصادر إسرائيلية تنفي ذلك).
من هذه البدايات المتواضعة في موجة الانتصار الأولى، سرعان ما أصبح جهاز الأمن العام (الشاباك) قوةً لا يستهان بها. كان لدى الإسرائيليين ميزة تطبيق إجراءاتهم المضادة بينما كانت فتح في المرحلة الأولى من التنظيم، قبل بدء عمليات التخريب الفعلية. أذن إشكول بتجنيد أعداد كبيرة من العناصر الجديدة في جهاز الأمن، بالإضافة إلى الموساد والشرطة وحرس الحدود.22 تم تجنيد كل عربي متاح في الأراضي الفلسطينية، مما أدى إلى استنزاف المنطقة الشمالية للجهاز بشكل كبير، حيث كان معظمهم متمركزًا. قال أحد المسؤولين التنفيذيين لاحقًا: "كنا نأخذ أي شخص يجيد التحدث بالعربية ونضعه في العمل فورًا. لقد كانت مهمة شاقة. كان علينا التعرف على كل قرى المنطقة، ولم يستطع بعض أفرادنا تحمل وتيرة العمل، وخاصة أولئك الذين تركوا عائلاتهم في الشمال".23

تحديد الوتيرة

على الرغم من أن قبضة الرقابة العسكرية الصارمة حجبت دوره عن الرأي العام الإسرائيلي، إلا أن اسم الشاباك سرعان ما أصبح مصدر خوف بين الفلسطينيين الذين حكمهم. وسرعان ما تحوّل الخلاف المبكر مع بعض ضباط جيش الدفاع الإسرائيلي - حكام عسكريين وقادة كتائب وغيرهم - إلى تعاون وثيق. قال أحد ضباط جهاز الأمن: "بدأ الشاباك بتحديد وتيرة العمل وأساليبه وتوقيته. كان التغيير الكبير أننا لم نعد نجمع المعلومات الاستخبارية فحسب، بل أصبحنا نمارس عملنا باستقلالية تامة".24

كان كنز ضخم من الملفات السرية التي تم الاستيلاء عليها من قواعد المخابرات الأردنية في القدس الشرقية وحوارة بالقرب من نابلس، بمثابة أصل مفيد حيث تحسست المنظمة طريقها بحذر إلى الواقع الجديد، حيث جندت مخبرين خاصين بها واستشعرت إقطاعيتها، 25 على الرغم من أن المعلومات سرعان ما عفا عليها الزمن 26 ولم يكن هناك سوى القليل من القيمة المتعلقة مباشرة بدعم الفدائيين. 2 7 احتوى أحد الملفات على حقيقة مثيرة للجدل ولكنها مثيرة للاهتمام مفادها أن شخصية عامة معروفة من نابلس قد غش في امتحانات الثانوية العامة. قدم هذا النوع من المواد أدلة لا تقدر بثمن لجهاز الأمن الداخلي (الشاباك): من المرجح جدًا أن يكون الفلسطينيون الذين راقبتهم المخابرات الأردنية بسبب أنشطتهم القومية أو الشيوعية موضع اهتمام الإسرائيليين أيضًا.

كان يهودا أربيل القوة الدافعة، إذ ابتكر أساليب جديدة من العدم، وطرد مرؤوسيه بحماسه الأسطوري. ركّز اهتمامه الشديد على تجنيد أفضل العناصر التي يستطيع إيجادها. بعد عقد من الزمان، شغل جميع تلاميذه مناصب قيادية في الجهاز. وسرعان ما مُنحت منطقة القدس صلاحيات اتخاذ قرار أوسع من مناطق الشاباك الأخرى، مما ألغى الحاجة المُرهقة للحصول على موافقة المقر الرئيسي في يافا لكل اعتقال أو عملية. كانت وتيرة العمل سريعة للغاية، لذا كان الوافدون الجدد يتلقون تدريبًا عمليًا.

استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، التي شعرت بالارتياح لأن شخصًا آخر يتحمل العبء، سلمت إلى جهاز الأمن الداخلي (الشاباك) عملاء فلسطينيين كانوا تحت إدارة أجهزة أمن (الكتاميم) في الضفة الغربية والقدس الشرقية قبل الحرب. رافي سيتون،

وصف أحد المحاربين القدامى في منظمة SDO، ومقرها القدس، التغيير الهائل الذي حدث في غضون ستة أيام فقط. وقال لاحقًا: "بعد الحرب، كنا نقوم بعمل مختلف تمامًا. لقد اختفت الحدود، ومهما بدا ذلك غريبًا، لم نكن لنستطيع البقاء بدونها، مثل سمكة قُذفت على اليابسة".28

ومع ذلك، واصلت أمان استخدام أدواتها المُجرّبة على الجانب الآخر من خط وقف إطلاق النار. قدّم أحد أفضل عملاء سيتون، وهو فلسطيني مقيم في الأردن يُدعى "إدموند"، النسخة العربية الأصلية الكاملة للبروتوكول العربي لمؤتمر القمة العربية الطارئ الذي بدأ في العاصمة السودانية الخرطوم، في 29 أغسطس/آب. سبح مبعوث "إدموند" عبر نهر الأردن حاملاً نصّاً من 38 صفحة، تُرجم إلى العبرية ووُضع على مكتب إشكول في القدس في 4 سبتمبر/أيلول، أي في اليوم التالي لاختتام القمة بـ"اللاءات الثلاث" الشهيرة - لا سلام، لا تفاوض، لا اعتراف بإسرائيل. دُفع لإدموند مبلغ 500 دينار أردني.29

لقد تغيرت الحدود ببساطة. أرسل الإسرائيليون ضابطًا أردنيًا سابقًا في المخابرات، عزمي الصغير، في مهمة تجسس إلى الضفة الشرقية، حيث سلم نفسه للثوار. بعد أن أوضح مدى معرفة الحكام الجدد بهيكل منظمة التحرير الفلسطينية وأنشطتها، أُعيد تأهيل الصغير في صفوف فتح، وقُتل في لبنان خلال غزو عام ١٩٨٢,١٠ قدّم رجل مخابرات سابق آخر في منطقة طولكرم معلومات مفيدة في مطاردة ياسر عرفات.١١

اتفق القادة الفلسطينيون لاحقًا على أن الأمن العملياتي لفتح كان شبه معدوم، لكنهم قدموا حجة إضافية لتفسير ضعف أدائهم. ألقى هاني الحسن، أحد المقربين من عرفات، باللوم على مراقبة الموساد الفعالة للطلاب الفلسطينيين في أوروبا الغربية، وخاصة في ألمانيا والنمسا. وكما أوضح مسؤول فتح:

نتيجةً لعمل الموساد، كان لدى السلطات العسكرية الإسرائيلية ملفٌّ خاصٌّ بكلٍّ منا وقت استعدادنا لبدء أنشطتنا العسكرية. كانوا يعرفون أسماءنا وعناويننا، وكان لديهم صورٌ لنا.

رسوم بيانية لنا. ولا بد لي من القول إن عناصر المخابرات الإسرائيلية كانوا دقيقين للغاية. علمنا بوجود صورتين مع كل ملف من ملفاتنا. إحداهما نسخة من الصورة الأصلية - أي كيف كنا نبدو عندما التحقنا بالجامعات والكليات في أوروبا. والأخرى كانت الصورة نفسها ولكن مع رسم كوفية على الرأس. بارتداء الكوفية، يمكنك بسهولة تغيير مظهرك. من الواضح أن الإسرائيليين كانوا يتوقعون منا أن نفعل ذلك. بمجرد أن حصل الإسرائيليون على كل هذه المعلومات عنا، لم يكن من الصعب عليهم تعقبنا عندما بدأ العمل.32
ترفض المصادر الإسرائيلية ادعاءات الحسن باعتبارها محض هراء. ربما يكون ذلك مُفسَّرًا بالنظر إلى حجم الفشل الذريع لمنظمة التحرير الفلسطينية، ولكنه مع ذلك هراء. فالحقيقة هي أنه في السنوات الأولى للاحتلال - على الأقل حتى عام ١٩٧٠ - لم يُولِ الموساد اهتمامًا يُذكر للفلسطينيين في الخارج. فقد جُمعت جميع المعلومات تقريبًا عن أنشطة الفدائيين ميدانيًا، في الضفة الغربية وغزة.
لكن رغم امتلاك الإسرائيليين معلومات استخباراتية جيدة، إلا أنها لم تكن ميزتهم الوحيدة. وكما أشار صحفي بريطاني آنذاك:
مهما كانت تعاليم حرب العصابات، فإن الضفة الغربية ليست فيتنام. جبال يهودا والسامرة، رغم جمالها الأخّاذ، خالية وصخرية. يسهل رصد الحركة والتحكم فيها. عند عبور نهر الأردن، يضطر المتسللون إلى تسلق الوادي العميق، وتسلق المنحدرات الصخرية حاملين أي أسلحة أو معدات. ثم كان عليهم الاعتماد على سكان الضفة الغربية (الذين قد يكونون في النهاية عائلاتهم وأصدقائهم) للحصول على الطعام والمأوى والتنكر.
لم تكن التضاريس دائمًا في صالح المحتلين. فالمنطقة القاحلة المحيطة بالخليل، على سبيل المثال، كانت مليئة بمئات الكهوف، ملاذات مثالية للفدائيين، خاصةً إذا كانت لديهم معرفة محلية أو مساعدة. وكثيرًا ما فشلت عمليات التمشيط العسكرية الواسعة في اكتشاف الهاربين، إذ لم يكن هناك سوى معلومات دقيقة.
بدأت العمليات العسكرية لفتح على نحو جدي في سبتمبر/أيلول، لكن
كان الإسرائيليون أكثر قلقًا بشأن العصيان المدني في تلك المرحلة. وقال ديان لاحقًا إن شهري سبتمبر وأكتوبر كانا أصعب شهرين لإسرائيل منذ وقف إطلاق النار.34

اجتمع القادة السياسيون والدينيون في نابلس ورفعوا راية الثورة. أُعلنت إضرابات عامة. لكن بحلول نوفمبر/تشرين الثاني، كان الوضع الأسوأ قد انتهى. في الأشهر الثلاثة الأخيرة من عام ١٩٦٧، أُسرت شبكات الفدائيين بشكل جماعي. كان الإسرائيليون واثقين - ومتعالين - من عدوهم الفلسطيني. تحدث الجنرال عوزي نركيس، القائد العسكري للضفة الغربية، عن الفدائيين، كما أشار ديفيد برايس-جونز بفطنة، "كما لو كانوا فتيانًا صالحين ضلوا طريقهم". أدرك نركيس أن الأمور تسير في صالح إسرائيل.

قال الجنرال إنه مقابل كل مقاتل يُؤسر في المعركة، يُعتقل أربعون آخرون عبر التبليغ. لا يُمكن إخفاء أي شيء في مجتمع تتقاطع فيه الولاءات والعداوات العائلية أو العشائرية، مما يُبقي الجميع في حالة تأهب. بعض البلاغات كانت ببساطة لتسوية نزاع قديم، أو لبدء نزاع جديد، أو من أجل كسب بعض المال... زرعت قوات الأمن الإسرائيلية مُخبرًا في إحدى القرى للاتصال ببعض المقاتلين المعروفين. في غضون أربع وعشرين ساعة، وشى به شقيقه، مُنتقدًا لمواصلته العمل، إن صح التعبير.35
أشار مايكل ساسار، المتحدث باسم الحكومة العسكرية في الضفة الغربية في السنوات الأولى بعد الحرب، في مذكراته آنذاك إلى أن العديد من هذه الإدانات كانت مشكوكًا في جدواها. قدّم محامٍ من رام الله "قائمة اعتقال" بأربعة أسماء. اثنان منهم محاميان - منافساه المهنيان. في حالة أخرى، أخبر رجل مسن، كان يرغب في الزواج من امرأة أصغر سنًا، لكن صهره المُحتمل عارضه، الإسرائيليين أن من أفسد سعادته كان عضوًا في حركة فتح. يُصرّ ضباط الشاباك على أن معلوماتهم كانت في الواقع أكثر موثوقية بكثير.
كانت الخيانات الفلسطينية الأخرى أكثر دهاءً. كان الشيخ محمد علي الجعبري، رئيس بلدية الخليل المخضرم والمحافظ بشدة، يعلم جيدًا أن أنشطة منظمة التحرير الفلسطينية قد تجلب الخراب والمعاناة لمدينته. في صيف عام ١٩٦٧، ألمح بشدة إلى ممثل الشاباك المحلي - وهو عربي مخضرم من المدرسة القديمة استخدم اسم "نور" وكان يقيم قبل الحرب في بئر سبع - بأن غريبًا وصل حديثًا يستحق التحقيق. سُرّ "نور".

ولكن لم يكن مفاجئا عندما تبين أن الغريب هو أحد المطلوبين من حركة فتح.17
كانت هذه الإدانات مجرد أحد مصادر شين
أراهن أن قلة خبرة الفلسطينيين وعدم التزامهم بإجراءات العمل السرية كانا لا يزالان ألد أعدائهم. في ديسمبر/كانون الأول 1967، اعتقل الإسرائيليون ما لا يقل عن اثنين وأربعين رجلاً من فتح من خلال مراقبتهم لمن اقتربوا من صندوق بريد ميت يقع بالقرب من كشك مشروبات غازية في الخليل. ولأن هذا الصندوق كان يُستخدم أيام الجمعة فقط، كان من السهل الانتظار والمراقبة ثم اعتقال من يظهر بهدوء. رجل واحد سرعان ما قاد إلى آخرين.38 كان من الممكن أن يبدأ غريب يُكتشف وهو يشتري طعامًا أو سجائر في قرية معزولة بسلسلة تنتهي باعتقالات جماعية.
في الأشهر الأولى، كان بإمكان الإسرائيليين الاعتماد على حليف واحد موثوق به في حربهم ضد منظمة التحرير الفلسطينية: الأردن. كان طاهر السعدي، المولود في يافا عام ١٩٤٦، قد قاتل مع الجيش العراقي خلال حرب الأيام الستة، وفرّ عبر النهر إلى عمّان، وانضم إلى فتح في الوقت الذي كانت فيه تبدأ غاراتها في الضفة الغربية. وكما ذكر السعدي لاحقًا:
كانت أول عملية لي مهمة استطلاعية لتصوير مصنع بوتاسيوم غور الصافي جنوب البحر الميت. في طريق عودتنا، ألقت المخابرات الأردنية القبض علينا وانهالوا علينا ضربًا. ثم وجّهوا أضواء سياراتهم نحونا، وأجبرونا تحت تهديد السلاح على عبور نهر الأردن حتى يتمكن الإسرائيليون من الوصول إلينا. كان ذلك في 15 نوفمبر/تشرين الثاني 1967. الأردن بالنسبة لي لا يختلف عن الولايات المتحدة.
حالف السعدي ورفاقه الحظ مرتين. فقد تمكنوا من عبور النهر دون أن تكتشفهم الدوريات الإسرائيلية، وحصلوا على طعام من فلاح في طوباس، شرق نابلس. ثم عبروا النهر بعد ليلتين وعادوا إلى قاعدتهم. أما

الآخرون فكانوا أقل حظًا. ففي تلك الأيام الأولى، لم يجد المغاوير القلائل الذين نجحوا في عبور نهر الأردن غربًا سوى القليل من الدعم المحلي.19
تم تعزيز الحاجز الطبيعي الذي أنشأه النهر من خلال إجراءات الحماية الثابتة والمتحركة التي اتخذها جيش الدفاع الإسرائيلي، والتي أصبحت أكثر تطورًا مع مرور الوقت. وشملت هذه الإجراءات "مسارات التلطيخ" من الأرض المحروثة التي تظهر عليها آثار الأقدام بسهولة.

أسوار من الأسلاك الشائكة تفصل بينها حقول ألغام وأفخاخ متفجرة وأجهزة مراقبة إلكترونية. واستُكملت الدوريات غير النظامية على طول خط المواجهة - من جنوب بحيرة طبريا إلى شمال البحر الميت، ثم على طول صحراء العربة إلى إيلات - بكمائن عرضية على طرق الفدائيين المعروفة.
بذل المتسللون جهودًا حثيثة لاختراق الدفاعات الإسرائيلية: وكان أبسطها وأكثرها ابتكارًا هو ارتداء الأحذية بطريقة معكوسة بحيث تبدو آثار الأقدام وكأنها تشير إلى المغادرين بدلًا من الداخلين. كان أحدهم يحمل آخر على ظهره لتضليل الإسرائيليين بشأن عدد المتسللين؛ وكان يُرشّ الفلفل على الأرض لمحاولة تشتيت انتباه كلاب التعقب. وإذا فشل الجيش في القبض على الفدائيين خلال ساعات قليلة، كان جهاز الأمن العام (الشاباك) يبدأ في إجراء تحقيقات في القرى الواقعة على التلال المطلة على وادي الأردن. وبمجرد القبض على المتسللين واستجوابهم، كان جهاز الأمن يُبلغ جيش الدفاع الإسرائيلي بكيفية ومكان عبورهم للخطوط. وهكذا، كانت الدفاعات تُحسّن باستمرار.40

المصادر والطرق
ابتداءً من أغسطس، واشتدت حدتها في سبتمبر، بُذلت جهود حثيثة لتجنيد عملاء عرب لتقديم معلومات عن العصابات المسلحة. كانت المشكلة ملحة، واستُوحي الحل من جهاز المخابرات الألماني الغربي (BND)، الذي وجد نفسه ذات مرة دون تغطية استخباراتية كافية للمنطقة على جانبي جدار برلين، فشنّ حملة "تنقيب" ناجحة وواسعة النطاق لتجنيد عدد كبير من المخبرين بشكل عشوائي. كانت النظرية أنه إذا تم التواصل مع عدد كبير بما فيه الكفاية من الأشخاص، فمن المرجح أن يتحول بعضهم، ببساطة بموجب قانون المتوسطات الإحصائية، إلى مصادر مفيدة. كان للإسرائيليين تجربتهم الخاصة: "سليمان"، وهو رجل من جهاز الشاباك يعمل في مرتفعات الجولان، نفذ عملية مماثلة على طول الحدود اللبنانية قبل حرب عام 1967، واستدعاه أربيل إلى القدس للنظر في تطبيق...

نموذج في الضفة الغربية. "عملية الطوفان"، الاسم الرمزي لحملة التجنيد الجديدة، نجحت ببساطة. قضى "سليمان" ووحدة من الجنود أسبوعين في تمشيط أطراف صحراء يهودا، مع إيلاء اهتمام خاص للأماكن على طرق التسلل المعروفة من نهر الأردن. كان ضابط الشاباك يكتشف المخبرين المحتملين، ويستجوبهم ويصورهم، ثم يسلم نصف ورقة نقدية أردنية من فئة عشرة دنانير، واعدًا بأن النصف الآخر، المطابق، سيكون متاحًا إذا قدم المستلم معلومات استخباراتية مفيدة. إذا سلم العملاء البضائع، وبدا أن لديهم إمكانات طويلة الأجل، فسيتم تسليمهم بعد ذلك للاتصال الدائم بممثل جهاز الأمن الإقليمي. في أوائل نوفمبر 1967، في واحدة من أولى النجاحات العديدة لـ "الطوفان"، أبلغ مزارع من الشيوخ، بالقرب من

الخليل، عن فرقة فدائية مكونة من سبعة رجال مختبئة في كهف. قُتل السبعة جميعهم في هجوم شنه جيش الدفاع الإسرائيلي بعد ساعات من ذهاب المزارع إلى "نور" في مكتب الشاباك بالخليل، ممسكًا بنصف ورقة العشرة دنانير، متفائلًا. أُعطي النصف المفقود، وعشرة دنانير إضافية كمكافأة.41
لقد كانت فترة من الإثارة والارتجال على المستوى الإسرائيلي.
الجانب. قام يعقوبا كوهين، وهو خبير عربي مخضرم بدأ مسيرته المهنية كعضو في وحدة "بالماه مستعار" في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي، وأُرسل لاحقًا في مهمات سرية إلى مصر، بجمع مجموعة كاملة من المتسللين من خلال التنكر في زي فلسطيني والتظاهر بأنه أحد أعضاء جماعة فتح. قاد يهودا أربيل العديد من العمليات والاستجوابات بنفسه، متحدثًا كلماته القليلة باللغة العربية بلكنة مجرية ثقيلة. في إحدى المرات، في عام 1968، تغلب على حاجز اللغة عند استجواب مجموعة من مقاتلي جيش التحرير الفلسطيني الذين تعلموا اللغة الألمانية أثناء تدريبهم في ألمانيا الشرقية.42 وقد تلقى أربيل مساعدة كبيرة من نائبه وخليفته في النهاية، وهو خبير عربي ثابت وذو خبرة قضى سنوات في المنطقة الشمالية لجهاز الأمن العام (الشاباك).
لقد أثبتت الأجهزة الأمنية منذ البداية أنها ماهرة
في التعامل مع الإرهاب التقليدي. أُلقي القبض على خلية هامة تابعة لفتح تعمل في منطقة القدس بسرعة بعد انفجار في فندق فاست في سبتمبر/أيلول،

محاولة تفجير فاشلة في سينما ساحة صهيون المزدحمة في 8 أكتوبر. لم يُصب أحد بأذى، لكن هجوم السينما شكّل سابقة خطيرة ومقلقة للغاية: كانت هذه هي المرة الأولى التي يحاول فيها الفلسطينيون مهاجمة هدف مدني بحت؛ لو نجحوا، لكان من الممكن أن يُصاب عدد كبير من الناس. كان قائد الخلية، عمر عودة خليل، أو "الدكتور نور"، كما كان يُعرف في الحركة السرية، لاجئًا فلسطينيًا من لبنان. وقد جنّد حوالي ثلاثين شخصًا، من بينهم سكان القدس ومخربون تدربوا في سوريا وعبروا نهر الأردن عند بدء العمليات. وكان العديد منهم من أفراد الجالية الأفريقية في القدس، من نسل الحجاج المسلمين الذين استقروا في البلدة القديمة. لذلك عندما أُلقي القبض على شابتين سوداوين فور محاولة تفجير السينما، كان لدى الإسرائيليين دليل واضح. كان الأمر أشبه بعملٍ غير احترافي: فقد كشف المشتبه بهم الأوائل كل شيء، وزودوا الشاباك بأسماء رفاقهم وأماكن تواجدهم، ومعلومات دقيقة عن تدريبهم في سوريا، وطرق تسللهم، وتنظيم خلايا أخرى في الضفة الغربية. وفي غضون ثمانٍ وأربعين ساعة، تم القبض على الخلية بأكملها، واكتشف الشاباك أسلحةً ومتفجراتٍ ومركبات.43
لكن جهاز الأمن كان أقل نجاحًا بشكل واضح عندما يتعلق الأمر بنوع المقاومة الشعبية واسعة النطاق التي كانت ستؤرق الإسرائيليين، بدرجات متفاوتة من الخطورة، لسنوات تالية. في سبتمبر 1967، تقرر إبعاد الشيخ عبد الحميد السائح، زعيم لجنة التوجيه الوطني المشكلة حديثًا ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى. كان ذلك علامة على العصر. كان من الصعب التعامل مع منظمات مثل اتحاد الطلاب الفلسطينيين والاتحاد العام للمرأة العربية. فقط عندما امتزجت المعارضة السياسية بالتخريب الفعلي، أصبح من الممكن اعتقال الناس. تم تسجيل النشطاء السياسيين ومراقبتهم، بحيث يمكن اعتقال المشتبه بهم واستجوابهم بسرعة بعد أي هجوم. شغل السائح، مثل العديد من المرحلين البارزين في السنوات الأولى للاحتلال، منصبًا مهمًا

في منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج. رأى جهاز الأمن العام (الشاباك) أن الترحيل السريع هو سلاحه الأكثر فائدة: عندما تكون مرحلة الاستئناف - إلى لجنة مراجعة عسكرية ثم إلى

مع أن محكمة العدل العليا - التي أُنشئت في السنوات اللاحقة - فقدت الكثير من فعاليتها. في تلك المرحلة المبكرة، كانت إسرائيل لا تزال تأمل أن يكون للقادة الفلسطينيين في الأراضي المحتلة تأثيرٌ معتدلٌ على الموقف العربي العام. وقد أشار تقرير روتيني لجهاز الأمن العام (الشاباك) وُزّع على الوزراء في ديسمبر/كانون الأول 1967 إلى أن الرسائل التي وُجهت إلى الدول العربية من شخصيات بارزة في نابلس كانت تحث على تبني موقف أكثر واقعية تجاه إسرائيل.
بحلول نهاية العام الأول من الاحتلال، كانت الضفة الغربية هادئة نسبيًا، ولكن كان لا يزال هناك المزيد مما يجب فعله. وقد قدر جهاز الأمن العام (الشاباك) أن ما بين 100 و200 ناشط فلسطيني ما زالوا مختبئين في شبكة من المنازل المبنية حول الأزقة الضيقة لحي القصبة القديم في نابلس. ضغط حرملين وأربيل للتحرك. لكن ديان لم يكن سعيدًا. وعلق أحد المسؤولين آنذاك: "إذا كان جهاز الأمن والحكومة العسكرية عاجزين عن تفتيش بعض المنازل في حي القصبة واعتقال المشتبه بهم، والمشتبه بهم فقط، فإنه يفضل عدم القبض على المخربين على الإطلاق، بدلًا من الإخلال بالنظام ومعاقبة مجتمع بأكمله بحظر التجول والتفتيش". كان جهاز الأمن العام (الشاباك) يخشى أنه إذا لم يتم تفكيك نواة الفدائيين، فسيكونون قادرين على التدريب والتنظيم دون انقطاع وبدء العمل عندما يتحسن الطقس. تعرض شلومو غازيت لضغوط متزايدة من جهاز الأمن لإقناع ديان بالموافقة على عملية نابلس، التي سُميت "رينغ". لم يُعطِ وزير الدفاع الضوء الأخضر إلا بعد اغتيال فلسطيني لتعاونه مع إسرائيل. في 13 فبراير/شباط 1968، طُوِّقت القصبة؛ ووُضع آلاف الرجال في معسكرات، وسُيِّروا في استعراض جماعي أمام مخبرين ملثمين وفرهم جهاز الأمن العام (الشاباك). عُثر على مخبأين للأسلحة، وتم تحديد هوية أربعة وسبعين شخصًا ينتمون إلى منظمات فدائية.45
قد يكون ديان غير صبور مع جهاز الأمن و
تطور أسلوب عملها ليناسب - أو بالأحرى يتجاوز - نظامًا قانونيًا غالبًا ما كان يرفض الإدانة بناءً على تقارير أو اعترافات المخبرين التي ربما تم الحصول عليها في ظروف مريبة أو بطرق غير مقبولة. في أحد اجتماعات الموظفين، سأل عن ممارسة وضع

فلسطينيون رهن الاعتقال الإداري، في حين كان من الممكن توجيه اتهامات إليهم وتقديمهم للمحاكمة وإصدار أحكام عادلة بحقهم. وقد اشتكى إلى أبراهام أهيتوف قائلاً:
اعترف أحدهم بانتمائه إلى مجموعة ألقت قنبلة يدوية. فلماذا لا يُحاكم؟ أو هناك حالة أخرى لشخص حوكم وبُرِّئ، ثم وُضع رهن الاعتقال الإداري من قِبل الشاباك. لا أعتقد أن هذا صحيح. هذا يُسخر من النظام القضائي. نسبة كبيرة من الحالات التي عرضتها عليّ اعترفت، فلماذا لا تُحاكم؟ تقول: "كوّن المحققون عنه انطباعًا سيئًا". أنا متأكد من أن أي شخص استجوبني قد يكون لديه انطباع جيد أو سيئ، ولكن، بيننا، كل محقق سيكوّن انطباعًا جيدًا عن من يُقبّل حذاءه، وانطباعًا سيئًا عن من يقول إن هذا وطنه. احتجّ أهيتوف قائلاً: "قد نرتكب أخطاءً أحيانًا عند تنفيذ الاعتقالات، ولكن ليس كثيرًا".46 وكان صمت ديان عادةً ما يتراجع عندما يُعرض عليه الدليل السري - الذي يُعدّ بالغ الحساسية بالنسبة للمحاكم - ضد

المعتقلين الإداريين. كما اتخذ جهاز الأمن العام (الشاباك) موقفًا متشددًا في مسائل أخرى، منتقدًا رئيس جهاز الرقابة في جيش الدفاع الإسرائيلي لتبنيه نهجًا ليبراليًا للغاية تجاه الصحافة العربية في القدس الشرقية.47

الكرامة وما بعدها

تحول محور العمل في الأشهر الأولى من عام 1968. فقد تم صد الفدائيين الفلسطينيين عبر نهر الأردن بعد تكبدهم خسائر فادحة، وواصلوا ضغطهم على إسرائيل من قواعد في الأردن وسوريا ولبنان. جرت محاولات متكررة لعبور النهر والعودة إلى تلال الضفة الغربية، ولكن تم اكتشاف معظم المجموعات بعد عبورها بوقت قصير، وقُتلت أو أُسرت. ردت إسرائيل على الهجمات بغارات انتقامية - من البر والجو - على مواقع الجيش الأردني والمناطق الحدودية، وهي استراتيجية كان لها التأثير المطلوب في زيادة التوتر بين الملك حسين والفلسطينيين. في أوائل مارس، قام كل من عملاء عرفات في الأراضي المحتلة ومخابرات الجيش الأردني

وبدأت الوكالة في تلقي تقارير تفيد بأن الإسرائيليين يستعدون لعملية عسكرية كبيرة.48

وقعت الحادثة التي أطلقت شرارة الغارة الإسرائيلية واسعة النطاق على قاعدة فتح في الكرامة، في 21 مارس/آذار 1968، عندما دهست حافلة مدرسية لغمًا في صحراء العربة، مما أسفر عن مقتل شخصين بالغين وإصابة عدد من الأطفال. كان هجوم جيش الدفاع الإسرائيلي، الأضخم منذ الحرب، يهدف جزئيًا إلى تثبيط الدعم الأردني الجديد والمتزايد الخطورة للمقاومة الشعبية الفلسطينية، والذي كان الملك حسين ووزراؤه يحظرونه حتى فبراير/شباط. وصرح حاييم بارليف، خليفة إسحاق رابين في رئاسة أركان جيش الدفاع الإسرائيلي، بأن هدف العملية هو "مساعدة حسين على سحق فتح". 49 كانت الكرامة نقطة تحول لأكثر من سبب.

شُنّ هجومٌ ثلاثيُّ الأطراف، بمشاركة 15,000 رجل، ودبابات، ومدفعية، وطائرات، بدعمٍ وثيق، على قاعدة حرب العصابات. خسرت إسرائيل ثمانيةً وعشرين رجلاً، بينما خسر الفلسطينيون 150 رجلاً.

أُسر 130 شخصًا. لعبت الاستخبارات دورًا حيويًا في التخطيط للعملية. رافق كلٌّ من الأرتال الثلاثة ضابطٌ من الشاباك ومقاتلٌ أسيرٌ تدرب في الكرامة.50

اصطفّ حشدٌ من المتطوعين للانضمام إلى فتح. وبحسب أبو إياد:

بعد معركة الكرامة، زجّ الإسرائيليون بنا مئات العملاء والجواسيس - فلسطينيين جنّدوهم في الضفة الغربية وغزة بالأساس عن طريق الترهيب والابتزاز... لا شك أن بعض العملاء والجواسيس الذين كانوا بيننا قدّموا معلومات حيوية مكّنت سلاح الجو الإسرائيلي من شنّ هجمات دقيقة للغاية على قواعدنا. لكننا علمنا أيضًا أن العديد من أبناء شعبنا أُجبروا على الخيانة.51

لن يُعرف أبدًا المدى الحقيقي لاختراق إسرائيل لحركة فتح وغيرها من المنظمات الفدائية، لكن غرضها الرئيسي كان واضحًا أنه قصير المدى: القضاء على الشبكات قبل أن تتمكن من تنفيذ خططها العملياتية.

كان الإسرائيليون يواجهون ما اعتبروه مشكلة آنية، لا طويلة الأمد. كانوا مهتمين بالحصول على المعلومات، لا...

إنشاء جواسيس، خاصة وأن فتح كانت متشككة بشكل طبيعي تجاه المجندين الجدد القادمين من الضفة الغربية.
وفي وقت مبكر من شهر سبتمبر/أيلول عام 1967، قال أحد المتسللين المعتقلين في محاكمته إن هناك بالفعل سبعة وثلاثين فلسطينياً متهمين بالتجسس لصالح إسرائيل مسجونين في قاعدة التدريب الرئيسية لفتح في سوريا.52 وكتب أحد الخبراء الإسرائيليين في وقت لاحق: "لقد بُذلت جهود خاصة لزرع المخبرين في قواعد الإرهابيين في الأردن وتسللهم إلى شبكات تعمل داخل الأراضي الخاضعة للإدارة الإسرائيلية".53

العملاء والعملاء المزدوجون
اعتقد الفلسطينيون أنفسهم أن الاختراق واسع النطاق، واستمروا، على مر السنين، في القلق بشأنه. قال أبو إياد عن العملاء:
جاؤوا وأخبرونا أنهم نُقلوا إلى مكان كذا وكذا، وتعلموا كيفية استخدام الأحبار غير المرئية لإعداد رسائلهم السرية. لكن نتيجةً للعبة إسرائيل، أتيحت لنا الفرصة أيضًا. طلبنا من بعض عناصرنا مواصلة التجسس لصالح الإسرائيليين، ولكن فقط لإبلاغهم بالمعلومات التي أعددناها، فخلقنا العديد من العملاء المزدوجين. بهذه الطريقة، تمكنا من تزويد الإسرائيليين بمعلومات خاطئة، وساعدتنا بعض المعلومات التي تلقيناها من عملائنا المزدوجين على توقع تحركات إسرائيل.54
قد يكون للكبرياء المجروح دورٌ في هذه الادعاءات الفلسطينية. تُصرّ المصادر الإسرائيلية على أن "العملاء المزدوجين" لأبي إياد كانوا من نسج خياله، أو على الأقل، كان عددهم مُبالغًا فيه إلى حدٍّ كبير. كان تزويد الشاباك بمعلوماتٍ كاذبةٍ حول الخطط الفلسطينية أمرًا، ولكن لم تُسجّل أي اختراقاتٍ معروفةٍ لمنظمة التحرير الفلسطينية لجهاز الأمن الإسرائيلي.
كان جهاز الأمن الداخلي (الشاباك) سريعًا في استغلال الشكوك الفلسطينية. ومن الأساليب الشائعة، والتي استخدمها الفرنسيون بفعالية كبيرة في الجزائر، تسمية "متعاون" "عرضًا" أمام سجين ثم إطلاق سراحه أو ترحيله. في كثير من الحالات، كان الفلسطيني المحرر يندد بزملاءه ويصفهم بالخونة، مما يؤجج التوتر الشديد أصلًا.

الخوف من الاختراق الإسرائيلي وخلق عمليات تطهير داخلية "بالتحكم عن بعد".55
وفقًا لأحد كبار الضباط:
كان إنجازنا العظيم هو بناء حاجز واضح بين السكان والمنظمات الإرهابية. كان الناس يعلمون أن أي شخص يساعد الإرهابيين سيُفجّر منزله، أو يُرحّل، أو يُعتقل. كما أريناهم أن الإرهابيين المعتقلين هم أول من يُبلغ. خلقنا انطباعًا بأن من يُفترض أنهم يُحرّرون الناس هم الأكثر عرضة للخيانة لمن ساعدوهم. كان هذا قرارًا مُتعمّدًا. كنا نذهب إلى قرية، ونفرض حظر تجول، ونضع جميع الرجال في الساحة، ثم نمرّ بهم أمام أحد سجنائنا - إرهابي معتقل - جالسًا في سيارة مُغطّى بغطاء للرأس. وسواء تعرّف السجين على أي مشتبه بهم أم لا، كنا نتظاهر بأنه فعل. وكانت النتيجة التراكمية لكل هذا أنه عندما يأتي الإرهابيون إلى قرية، كان السكان المحليون يقولون: "اخرج من هنا. نعلم أنك ستُبلغ عنا". حتى أننا اختبرنا ذلك ذات مرة بإرسال مجموعة من الجنود، متنكرين بزيّ إرهابيين، إلى قرية لطلب المساعدة. وقد حصلوا على ذلك بالضبط.
الإجابة رقم 56

ثغرة أمنية خطيرة في الأمن الفلسطيني ساعدت جهاز الأمن العام (الشاباك) بشكل كبير. حتى نهاية العقد، أجرت معظم فصائل منظمة التحرير الفلسطينية - وخاصة فتح - دورات تدريبية واسعة النطاق في معسكراتها في الأردن وسوريا. وكانت مجموعة كبيرة من المجندين الفدائيين يرتدون نفس القماش المميز والأحذية ذات النعال الكريبية، ويواصلون ارتدائها بغباء بعد عبورهم إلى الضفة الغربية.
في هذه الحالة، جعلت الأعداد الهائلة من عمل الإسرائيليين مستحيلاً.
كان الأمر أسهل بكثير: يمكن لمقاتل واحد أُسر أن يُلحق ضررًا جسيمًا. كان الشاباك يأخذ الأسير، ويُلبسه زي جيش الدفاع الإسرائيلي ونظارات شمسية، ويجوب الضفة الغربية من شمالها إلى جنوبها بينما يُشير الأسير إلى الوجوه التي رآها في المخيم على الضفة الأخرى. عندما يشعر ضباط جهاز الأمن بأن الفلسطيني قد استنفد فائدته، كان يُعاد ببساطة إلى السجن. ووفقًا لمبدأ التسلسل الهرمي، يمكن أن يُؤدي اسم واحد بسرعة إلى أسماء أخرى كثيرة. لطالما حرص الشاباك على إخفاء هوية مُخبريه، مما زاد بدوره من شكوك الفلسطينيين في الاختراق الإسرائيلي.

ومن الأساليب المُجرّبة الأخرى البحث عن شخصٍ معروفٍ بغيابه عن قريةٍ ما، مع العلم أن العثور عليه كان مُبهمًا، مما يُوهم المشتبه به الحقيقي - الذي يُمكن مُلاحظته بهدوء - بأمانٍ زائف. فيبقى في مكانه، ويُمكن احتجازه لاحقًا.
كان أحد أكثر المخبرين فعالية في ذلك الخريف والشتاء الحاسم من عام 1967 رجل من جيش التحرير الفلسطيني يُدعى أبو سبع. دخل المقاتل الضفة الغربية بعد فترة وجيزة من انتهاء الحرب، وألقي القبض عليه أثناء محاولته العودة إلى الأردن، وأثبت تعاونه الشديد أثناء استجوابه من قبل "هارون"، رجل الشاباك المسؤول عن منطقة أريحا. تم إطلاق سراح أبو سبع - عن غير قصد، وفقًا لمصدر إسرائيلي - وتمكن من الفرار إلى الضفة الشرقية. في معسكر جيش التحرير الفلسطيني، تم اعتقاله للاشتباه في أنه جاسوس إسرائيلي، ولكن سُمح له في النهاية بالعودة إلى الأراضي المحتلة بشرط أن يقتل "هارون". سلم أبو سبع نفسه في 1 سبتمبر وقاد الشاباك على الفور إلى كهف بالقرب من طوباس حيث كان يختبئ اثنا عشر متسللًا مدججين بالسلاح. وكمكافأة على هذه الخدمات وغيرها من الخدمات المقدمة، تم "تجنيد" العميل المزدوج الفلسطيني في الشاباك في حفل صوري أقيم في منزل آمن في القدس. ترأس يهودا أربيل الحفل، حيث أقسم أبو سبع رسميًا على القرآن الكريم، ووعده براتب منتظم بالإضافة إلى المكافآت الكبيرة التي حصل عليها بالفعل. 7 5
مع مرور الوقت، تعلمت منظمة التحرير الفلسطينية الدرس، فأُجري التدريب على نطاق أصغر بكثير، مما قلل من خطر أي تسرب. وكلما ازداد الفلسطينيون خبرةً، شددوا إجراءات الأمن العملياتي بتقليص حجم مجموعات التدريب وعمليات التسلل. وبحلول أوائل سبعينيات القرن الماضي، نُفِّذ جزء كبير منه على أساس فردي. وأصبح التدريب معيارًا.
إجراء لإبقاء فرق الفدائيين في عزلة حتى بدء العملية.
كانت حركة فتح قلقة للغاية من ظاهرة الاختراق، لدرجة أنها أنشأت في نهاية عام ١٩٦٧ وحدة خاصة لمكافحة التجسس تُسمى "جهاز الرصد"، مصممة لإحباط عمليات التجسس، والقضاء على عملاء العدو، وإعادة بعضهم إلى الإسرائيليين. استُبدل رئيسها الأول، فاروق القدومي، بأبو إياد، الذي طلب لاحقًا من شاب يُدعى علي

حسن سلامة تولى القيادة.59 عُزِّزت نواة المجموعة لاحقًا بعشرة أعضاء من فتح، من بينهم أبو داود، الذين شاركوا في دورة استخباراتية لمدة ستة أسابيع في القاهرة بدأت في أغسطس 1968.60 لكن التنسيق ظل غائبًا بين مختلف الجماعات الفدائية: فإذا لاحظت فتح أن جهاز الأمن العام (الشاباك) والجيش الإسرائيلي قد اتخذا إجراءً مضادًا جديدًا، نادرًا ما كانت تُنقل المعلومات إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، أو العكس. كان الإسرائيليون قادرين على البناء بسرعة وباستمرار على الخبرة. أما الفدائيون فكانوا أبطأ بكثير. لقد كان صراعًا غير متكافئ.

زعمت مصادر فلسطينية أن اختراق إسرائيل لصفوفهم كان مُخططًا له عمدًا للمساعدة في خلق مواجهة مع الملك حسين. لا تزال هذه نقطة خلافية، ولكن مما لا شك فيه أن التوتر المتصاعد بين الفدائيين والأردنيين كان تطورًا مرحبًا به من جانب إسرائيل. بدأت الاشتباكات العنيفة بين الفدائيين والجيش الأردني في نوفمبر/تشرين الثاني 1968، عندما قُتل ثمانية وعشرون فلسطينيًا وأربعة أردنيين.61

بعد أقل من عامين، في خريف عام ١٩٧٠، تلقى الفلسطينيون ضربة موجعة عندما وجّه الملك حسين، غاضبًا من إنشاء دولة منظمة التحرير الفلسطينية المتنامية الغرور والمستقلة داخل مملكته، جيشه ضد الفلسطينيين، مذبحًا الآلاف منهم فيما عُرف بـ"أيلول الأسود". وكانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بزعامة الدكتور جورج حبش هي التي أشعلت شرارة تلك المواجهة، حيث استولت على ثلاث طائرات ركاب دولية مختطفة إلى مهبط طائرات صحراوي يُدعى "حقل داوسون".

تابعت إسرائيل عملية الاختطاف عن كثب. أمر ديان جهاز الأمن العام (الشاباك) بضمان أن يعلم مخططو عملية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين سريعًا أن المئات من أقاربهم المقيمين في الأراضي المحتلة كانوا، في الواقع، رهائن: أُمر العشرات منهم بعبور الجسر إلى الأردن، الذي فُتح خصيصًا يوم سبت لهذا الغرض، لتوضيح الموقف. أُطلق سراح ركاب الطائرات الثلاث سالمين. وفُجرت الطائرات.62

فر عشرات الفدائيين من الضفة الشرقية خلال المواجهة الثانية والأخيرة مع الملك حسين في يوليو/تموز 1971.

استسلم اثنان وسبعون للإسرائيليين في أربعة أيام بدلاً من مواصلة المواجهة الدموية مع الجيش الأردني.63 وقد "تحوّل" بعض هؤلاء المقاتلين، امتناناً لأرواحهم، إلى خطر كبير، واستُخدموا للتواصل مع جماعات أخرى، التي قبض عليها الإسرائيليون بعد ذلك. ووُعِدَ أعضاء خلية فتح واحدة على الأقل بمبالغ طائلة وتذاكر سفر إلى أمريكا الجنوبية إذا وافقوا على العمل كمتتبعين لوحدات المقاتلين المختبئة في الضفة الغربية.64 وسُمح للفدائيين بالاحتفاظ بأسلحتهم وزيهم العسكري ومعداتهم، بالإضافة إلى الطعام والإمدادات التي أحضروها معهم عبر النهر، وكانوا تحت رقابة جهاز الأمن العام (الشاباك) والجيش. تلت ذلك نجاحات عديدة: عُثر على مخبأ أسلحة كبير في نابلس في 25 يوليو/تموز، وأعلن الإسرائيليون كشفهم شبكة فتح المسؤولة عن تفجيرات حيفا وتل أبيب بين يوليو/تموز 1969 و1970. في 30 سبتمبر/أيلول 1971، وفي واحدة من أكبر وأطول وأعقد العمليات من نوعها، اعتُقل تسعون مشتبهًا بانتمائهم إلى فتح في منطقة الخليل. عادةً، كانت هذه المداهمات تبدأ باعتقال اثنين فقط من الفدائيين، ثم تضخّمت بسرعة. خلال التحقيق، عثر الإسرائيليون بالصدفة على خطة، كانت آنذاك في مراحلها التنفيذية الأخيرة، لتفجير سيارة مفخخة في القدس.

أثبتت نجاحات الشاباك في السنوات الأولى للاحتلال أن العمل الجاد والمكر والحظ، إلى جانب ضعف العدو، كانت وصفة فعّالة للنجاح. رسميًا، لم يكن من المفترض أن يُشغّل الجهاز عملاء خارج الضفة الغربية أو قطاع غزة، ولكن موارده في الأراضي المحتلة استُغلّت بالكامل لجمع معلومات استخباراتية تكتيكية قصيرة المدى حول عمليات منظمة التحرير الفلسطينية. من الناحية الفنية، ظلّ تشغيل عملاء في الخارج من مسؤولية جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) (ضد الأهداف العسكرية) والموساد (سياسيًا وعسكريًا)، مع أن المنظمات الفلسطينية كانت لا تزال هدفًا منخفض الأولوية لكلا الجهازين.
أبدت استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي استياءها الشديد عندما اقترح جهاز الأمن تغيير هذه الترتيبات، كما أوضحت خلال مناقشات بيروقراطية طويلة ومضنية. كان التنسيق بين الوكالات صعبًا في بعض الأحيان في السنوات الأولى من

الاحتلال، ولكن بعد حرب ١٩٧٣، ومع فوضى مجتمع الاستخبارات بأكمله، لم يُستغل مجال الإصلاح على نحوٍ مُرضٍ. وُضعت تقسيمات دقيقة للمسؤولية عن إدارة العملاء وجمع المعلومات الاستخبارية ضد الأهداف الفلسطينية عام ١٩٧٤ من قِبل رئيس جهاز المخابرات الجديد، شلومو غازيت. وظلت الاستخبارات السياسية بشأن منظمة التحرير الفلسطينية
نقطة ضعف.65

بلا رحمة في غزة
إلى الجنوب الغربي، في قطاع غزة، بلغ صراع إسرائيل ضد الفدائيين ذروته في النصف الثاني من عام 1971. وكتب صحفي أجنبي في ذلك الشهر: "غزة هي المكان الوحيد الذي تستحق فيه المقاومة الفلسطينية هذا الاسم، بتكلفة باهظة وبعناد انتحاري".66 كانت الظروف مختلفة جذريًا عن الضفة الغربية. كانت المنطقة، التي يبلغ عرضها 8 كيلومترات وطولها 48 كيلومترًا، أصغر بكثير، لكن سكانها البالغ عددهم 350 ألف نسمة - نصفهم تقريبًا من اللاجئين - كانوا أكثر كثافة بكثير، ويعيشون في ظروف مادية مروعة لم تتغير تقريبًا منذ الخروج الكبير عام 1948. في الصيف، كانت رائحة مياه الصرف الصحي المفتوحة في الأزقة الضيقة لمخيمات اللاجئين لا تُطاق. وفي الشتاء، تحولت الشوارع غير المعبدة إلى سيول من الطين غير سالكة. لقد كان لدى سكان غزة ما يخسرونه أقل بكثير من سكان الضفة الغربية، الذين لا يتجاوز عدد الذين يعيشون في مخيمات اللاجئين 10% منهم.
في ظل الحكم الأردني، جرت محاولات جادة لـ
دمج الضفة الغربية في المملكة الأردنية الهاشمية، بموجب قرار الضم الرسمي الذي أصدره الملك عبد الله عام ١٩٥٠. حصل الفلسطينيون على الجنسية الأردنية. على النقيض من ذلك، حرص المصريون دائمًا على تعزيز الهوية الفلسطينية لغزة. انعقد المؤتمر الثالث لمنظمة التحرير الفلسطينية هناك عام ١٩٦٦، وكان جيش التحرير الفلسطيني يتمتع بشعبية كبيرة قبل عام ١٩٦٧. بعد الحرب بوقت طويل، ظلت مئات الأسلحة، معظمها بنادق كارل غوستاف وكلاشينكوف، متداولة أو مخبأة في مخابئ سرية. هُرّبت العديد من البنادق والقنابل اليدوية إلى قطاع غزة.أ قديمة من قبل البدو الذين وجدوها في المواقع المصرية المهجورة

في سيناء. كان يتم الحصول على المتفجرات بطرق خطرة عن طريق تفكيك حقول الألغام القديمة - وكانت تُباع بأسعار باهظة. كان لدى البدو حس تجاري قوي، لكن ليس لديهم ولاء سياسي: في العام الذي عرض فيه الحاكم العسكري الإسرائيلي لشمال سيناء دفع 1000 جنيه إسترليني مقابل كل قنبلة يدوية، تم بيع 15000 منها.

تم تسليمها. ووعدت بمبالغ مماثلة للرشاشات والبنادق وما إلى ذلك.67

في أواخر عام ١٩٦٨ وأوائل عام ١٩٦٩، نجحت كلٌّ من فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في تعزيز قوتهما، لا سيما في مخيمات اللاجئين، وكثيرًا ما شاب التنافس بينهما عداءٌ شديد. عمل جهاز الأمن العام (الشاباك) في القطاع بقيادة أبراهام أهيتوف بعد الاستيلاء عليه في حملة سيناء حتى الانسحاب الإسرائيلي عام ١٩٥٧. بعد عقد من الزمان، وفي ظل ظروف مختلفة جذريًا، تولى الجهاز مجددًا مسؤولية الاستخبارات والأمن الداخلي ومكافحة الإرهاب.

كان لدى الشاباك الكثير من المعلومات الموثوقة، معظمها من شبكة واسعة من المخبرين المأجورين، ولكن واجه صعوبة في استخدامها على النحو الصحيح. وتماشيًا مع سياسته القائمة على الحد الأدنى من التدخل في الحياة اليومية، أمر ديان الجيش بالانسحاب من مخيمات اللاجئين في أوائل عام ١٩٧٠، رغم الاحتجاجات الشديدة من أهيتوف.٦٨

اشتكى أحد زملائي الكبار:

كانت النتيجة أننا تخلينا فعليًا عن المخيمات لسيطرة المنظمات الإرهابية والعصابات الإجرامية في آنٍ واحد. كانت لدينا معلومات استخباراتية جيدة، ولكن عندما أبلغنا الجيش بوجود فرقة من فتح، على سبيل المثال، في الكتلة "ج" بجباليا، كانت القوة تغادر مركز المدينة، وبحلول وصولها يكون الإرهابيون قد تلقوا تحذيراتهم وغادروا. كان الناس يهتفون "بِيْو، بِيْو" (بيع، بيع) للدلالة على قدوم الجنود. كانوا كالخلد. لذلك لم نتمكن من الإمساك بهم فحسب.

الإرهابيين، ولكن هذا تسبب أيضًا في انعدام الثقة في جهاز الأمن الداخلي (الشاباك) فيما يتعلق بالمعلومات الاستخباراتية.69

استمر حظر التجول ساريًا لفترات طويلة، وفي عام ١٩٧٠، وقعت حوادث إلقاء قنابل يدوية وقنص على الدوريات الإسرائيلية بشكل متكرر، على الرغم من أن القتال عبر قناة السويس والحرب الأهلية في الأردن طغى على هذه الأحداث. خلال عام ١٩٧٠، قُتل ١٠٦ من سكان غزة، منهم أربعة وتسعون في

صراعات داخلية، مع إلقاء الجثث بانتظام رتيب في "الجورة"، تلك البحيرة النتنة في وسط جباليا، أكبر مخيم في قطاع غزة. قُتل اثنا عشر فلسطينيًا على يد جيش الدفاع الإسرائيلي. في نهاية العام، قُتل طفلان إسرائيليان - عائلة أرويو - وأصيبت والدتهما بجروح بالغة عندما أُلقيت قنبلة يدوية على سيارتهما. قرر ديان وبارليف ضرورة تهدئة غزة. كانت المهمة من مسؤولية الجنرال أرييل (أريك) شارون، القائد المتشدد للمنطقة الجنوبية، الذي حسّن التعاون العملياتي مع جهاز الأمن بشكل كبير.

بالتعاون الوثيق مع جهاز الأمن العام (الشاباك)، قسّم الجيش قطاع غزة إلى مربعات، أُطلق عليها أسماء رمزية. وأُمرت وحدة كوماندوز نخبوية بتمشيط المنطقة مربعًا مربعًا حتى القضاء على أي إرهابيين. وأمر شارون بقطع الأغصان السفلية للأشجار في جميع البساتين، لتحسين مجال رؤية الجنود وإطلاق النار، والقضاء على أي غطاء. وأُغلقت الكهوف والمخابئ. وكتب كاتب سيرته الذاتية: "حقق شارون أهدافه

بالعمل المنهجي والدؤوب. بدا دائمًا حاضرًا عند ظهور المشاكل، يقدم الحلول، ويشجع الجنود، ويطالب بالنتائج". 70

انتشرت شائعات حول تجوال الجنرال في المنطقة حاملاً قائمة بأسماء المطلوبين، يشطبها عند تصفيتهم. وبالفعل، كانت وحدات الجيش تُزوّد بقوائم "الشاباك" المُحدّثة بانتظام، تتضمن أسماء الفدائيين الهاربين، وصورهم عند توفرها. طُبعت أسماء "المطلوبين" العادية باللون الأسود، و"المطلوبين والخطيرين" باللون الأحمر. أُوقف الذكور البالغون وفُتشوا عشوائيًا، وفُرض حظر تجول على مخيمات اللاجئين. في يناير/كانون الثاني 1971، استُدعيت وحدات من شرطة الحدود الدرزية، وفي الأسبوع الثالث من الشهر وحده، أطلقوا النار على خمسة فلسطينيين لم يتوقفوا للتفتيش الروتيني، فقتلوهم. تضاعفت مزاعم الوحشية، وكذلك عمليات الإعدام بإجراءات موجزة - أحيانًا في وضح النهار - للفلسطينيين المشتبه في تعاونهم مع "الشاباك" والجيش. لكن لم يُستهدف سوى عدد قليل جدًا من مُخبري جهاز الأمن الحقيقيين.11

وقف إطلاق النار في قناة السويس، والذي دخل حيز التنفيذ في

في 19 أغسطس/آب 1970، سيطر التمرد، مما سمح بإدخال المزيد من وحدات الجيش النظامي إلى غزة. في عهد شارون، جُمعت عائلات المطلوبين وأُرسلت إلى مركز احتجاز أبو زنيمة النائي على ساحل سيناء. هُدمت المنازل في مخيمات مثل الشاطئ وجباليا لتوسيع الطرق وخلق ساحات قتال. قال غازيت لاحقًا: "كان أهم ما في الأمر هو صدمة هدم عدد هائل من المنازل ونقل سكانها. أظهر ذلك جدية اليهود في عملهم".72

وكما كتب أحد الخبراء الأجانب بعد فترة وجيزة:

حسب الإسرائيليون أن هناك نحو 100 رجل على قائمة المطلوبين لديهم في أي وقت، وربما 100 فدائيّ آخر يعملون سرًا في قطاع غزة، ولم يكونوا يعرفون عنهم الكثير. بدا أن المقاتلين الأسرى يتحدثون بسهولة، ويُبلغون عن زملائهم (الذين أُلقي القبض عليهم بدورهم)، ويبرر خيانتهم بزعم تعرضهم للتعذيب. 73

انتحر زياد الحسيني، العقيد في جيش التحرير الفلسطيني والزعيم المعترف به لمقاومة غزة، بدلاً من تسليم نفسه في نوفمبر 1971، بعد اختبائه في قبو منزل رئيس بلدية غزة، رشاد الشوا. أفلت قائد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين المحلي، والمعروف لدى الإسرائيليين باسم "تشي جيفارا" (جيفارا، الثوري الأرجنتيني المولد الذي قُتل في بوليفيا في أكتوبر 1967، وكان بالفعل شخصيةً مقدسةً)، من الأسر لفترة طويلة. بين يوليو وديسمبر 1971، قُتل أو أُسر 742 "إرهابيًا"، غالبًا في معارك ضارية قريبة المدى في مخابئ مخفية. في يوليو 1971، عندما تولى شارون السيطرة المباشرة وتولى قائد جديد لجهاز الأمن العام (الشاباك)، سُجلت أربعة وثلاثون حادثة إرهابية؛ في ديسمبر من ذلك العام، لم يكن هناك سوى حادث واحد. قال أحد كبار مسؤولي الشاباك: "قبل تولي شارون السلطة، كان كل ضابط يتجادل معنا حول كيفية إدارة العمليات، لكن قيادة الجيش بدأت تدريجيًا تدرك مدى جودة الخدمة. رأى أريك أننا حققنا نتائج، وهذا حسّن الأمور أيضًا".74 في فبراير/شباط 1972، قُتل خمسة من كبار قادة الفدائيين في اشتباك مع الجيش، واستسلم عشرون آخرون. في مارس/آذار، وللمرة الأولى منذ احتلال غزة عام 1967، لم تُسجل أي حوادث إرهابية.

الموساد

كانت شرارة أزمة الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية في عامي 1970 و1971 ترجع إلى التحول التدريجي نحو العمليات الدولية التي كانت تحدث في الاستراتيجية الفلسطينية، وخاصة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، منذ عام 1968. فبينما اهتم جهاز الأمن الداخلي (الشاباك) بالأمن الداخلي داخل الأراضي المحتلة، ظل الموساد مسؤولاً، كما كان الحال قبل الحرب، عن جميع أنشطة الاستخبارات الإسرائيلية في الخارج. وقرر مائير عميت، الذي بذل الكثير لتطوير اهتمام الجهاز بالقدرات العسكرية ونوايا الجيوش العربية النظامية، وبحكمة كافية في ظل الظروف الجديدة، تخصيص موارد إضافية للمنظمات الفلسطينية وخاصة لتحسين الاتصال الأمني مع الأجهزة الأجنبية الصديقة. ومع ذلك، لم يبدأ الموساد في مراقبة منظمة التحرير الفلسطينية عن كثب وبشكل دائم إلا بعد أحداث أيلول الأسود. فقد وصلت تقارير استخباراتية موثوقة عن خطط فلسطينية لنقل نضالهم إلى الخارج إلى إسرائيل في صيف عام 1968.75 لكن أول عملية اختطاف لطائرة تابعة لشركة العال، على متن رحلة مجدولة من روما إلى تل أبيب في 22 يوليو، كانت لا تزال مفاجأة غير سارة. ثلاثة مسلحين، عُرف لاحقًا أنهم أعضاء في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، أمروا قائد الطائرة، وهي من طراز بوينغ 707، بالتوجه إلى الجزائر "لتذكير العالم" بمعاناة العديد من الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية. كانت الطائرة تقل ثمانية وثلاثين راكبًا وعشرة من أفراد الطاقم. أُطلق سراح الأجانب وجميع النساء والأطفال بعد خمسة أيام؛ بينما احتُجز الإسرائيليون الاثني عشر الباقون لمدة تسعة وثلاثين يومًا، ثم أُطلق سراحهم في النهاية مقابل خمسة عشر فلسطينيًا محتجزين في السجون الإسرائيلية.76 لقد كان ذلك إذلالًا مريرًا للإسرائيليين، والأسوأ من ذلك، أنه أسس لما كان يمكن أن يكون سابقة خطيرة. بدأ اختطاف طائرة روما مرحلة جديدة ومكثفة ومبتكرة في عقيدة الأمن الوقائي الإسرائيلية. في الداخل، تم إغلاق حدود نهر الأردن بنجاح، وتم احتواء تهديد الفدائيين إلى مستوى مقبول. الآن، أصبح لا بد من تطبيق تدابير دفاعية على الطرق الجوية والبحرية المؤدية إلى إسرائيل وعلى منشآتها في الخارج. تقع المسؤولية على عاتق فرع الأمن الوقائي التابع لجهاز الأمن الداخلي (الشاباك). اتُخذت الخطوات الأولى فورًا، في غضون يوم أو يومين من اختطاف طائرة روما. تم نشر حراس مسلحين على

جميع طائرات شركة العال ومعدات الحماية المُثبّتة. كانت التكلفة باهظة. 7 7

كانت مهمةً ضخمةً ومُرهِقة، ولم تكن هناك ندرةٌ في التذكيرات بمدى إلحاحها. لم يكن جمع المعلومات الاستخباراتية الروتيني واختراق المنظمات الفلسطينية سوى جزءٍ من القصة. مهما بلغ النظام من كمال، ومهما اتّسع نطاق تعاون أجهزة الاستخبارات والأمن الأجنبية، فإنّ الحاجز الأخير أمام الإرهابي المُصمّم يبقى حاجزًا هائلًا.

كان الحدث التالي هو 26 ديسمبر 1968. أطلق مسلحان من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين النار على طائرة تابعة لشركة العال على الأرض في مطار أثينا، مما أسفر عن مقتل مهندس إسرائيلي. وصل الفلسطينيون الذين أسرهم اليونانيون من لبنان وتدربوا فيه. كان رد إسرائيل مرتجلاً، لكنه لم يكن أقل قوة نتيجة لذلك. دعا ليفي إشكول، رئيس الوزراء، كبار مسؤوليه العسكريين والأمنيين إلى اجتماع أزمة في نفس اليوم: قرر ديان وبارليف وهرملين وزفي زامير - الذي سيخلف مائير عميت قريبًا في منصب رئيس الموساد - مهاجمة مطار بيروت وتدمير طائرات الركاب المدنية على الأرض. كانت الخطة قد دعت إلى تدمير ثلاث إلى أربع طائرات مملوكة للعرب. في النهاية، ولإزعاج إشكول الشديد، تم تفجير أربع عشرة طائرة، على ما يبدو لأن ديان كان يخشى أن يتم تفسير أي شيء آخر على أنه ضعف إسرائيلي. ومع ذلك، فقد صدم رد

الفعل الدولي الغاضب على غارة بيروت القدس. منذ ذلك الحين، اتخذ الرد على هجمات منظمة التحرير الفلسطينية شكل قصف مدفعي وغارات جوية وهجمات برية ضد أهداف فلسطينية في المناطق الحدودية للدول المضيفة، وخاصة الأردن ولبنان. ما أسمته غولدا مائير (التي تولت رئاسة الوزراء في مارس/آذار 1969 بعد وفاة إشكول) سياسة الحكومة المتمثلة في "الدفاع النشط عن النفس" يعني أن هذه الهجمات نُفذت دون الإشارة إلى توقيت أو طبيعة أو موقع الحوادث الإرهابية المحددة. 78

الدفاع عن النفس النشط

وكانت عملية الكرامة أكبر الغارات الإسرائيلية على أهداف فلسطينية في الدول العربية المجاورة، ولكنها لم تكن الوحيدة.

منذ نهاية عام 1969، عندما منحت اتفاقية القاهرة منظمة التحرير الفلسطينية حرية العمل في لبنان (على الرغم من أنها ظاهريًا "دون المساس بالسيادة العامة للبنان")، أصبحت 79 غارة على جنوب لبنان، وخاصة منطقة الحدود الوعرة التي كانت تُعرف باسم "فتح لاند"، متكررة. في أبريل ومايو 1970، تم شن 61 هجومًا من فتح لاند ضد أهداف إسرائيلية، بما في ذلك 22 مستوطنة. استخدم جيش الدفاع الإسرائيلي الكمائن وقصف المدفعية والغارات الجوية وفقًا لتقارير الاستخبارات حول تصرفات منظمة التحرير الفلسطينية، ولكن تبين أن هذه الهجمات غير فعالة بشكل عام. في 12 مايو 1970، تم إطلاق عملية أطلق عليها اسم كالات 2 ضد خمس قرى في فتح لاند، باستخدام الدبابات وناقلات الجند المدرعة في منطقة وعرة. كان العنصر الاستخباراتي في الهجوم الفعلي مهمًا. تم إلحاق ما لا يقل عن 46 محققًا مدربًا من أسرى الحرب بكتيبة الغارة لاستجواب الأسرى وفحص وثائق منظمة التحرير الفلسطينية. أصبح لبنان هدفًا أكثر تكرارًا للغارات العقابية الإسرائيلية بعد الطرد النهائي لمنظمة التحرير الفلسطينية من الأردن. شُنّت عملية واسعة النطاق في "فتح لاند" في نهاية فبراير/شباط 1972، وبعد عام شُنّت غارة بعيدة المدى على قواعد حرب العصابات في منطقة طرابلس. بشكل عام، لم يكن لهذا النشاط العسكري المحض تأثير رادع واضح على العمليات الفلسطينية، مع أنه عزز الروح المعنوية الإسرائيلية وأعطى انطباعًا بجهود متضافرة لمكافحة الإرهاب. بدا أن الخسائر المدنية التي تكبدها الفلسطينيون - وخاصةً في غارات سلاح الجو الإسرائيلي - قد عززت ببساطة عزم منظمة التحرير الفلسطينية على مواصلة النضال.

حرب الأشباح

في عام ١٩٦٩، كانت الهجمات الفلسطينية على أهداف إسرائيلية في الخارج لا تزال تُمثل نسبة ضئيلة من إجمالي الهجمات التي نُفذت داخل البلاد وفي الأراضي المحتلة.٨١ في ١٨ فبراير، أطلق أحد حراس السماء الجدد في شركة العال النار على رجل من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، كان قد أطلق النار على طائرة ركاب، مما أدى إلى إصابة الطيار ومساعده، على مدرج مطار زيورخ. أصبح الحارس، مردخاي رحاميم، الذي برأته محكمة سويسرية لاحقًا، بطلًا في

وإسرائيل رمز للاستعداد الجديد لمحاربة الإرهاب الفلسطيني في الخارج.
في مايو/أيار، أُلقي القبض على ثلاثة عرب وسويدي في كوبنهاغن بتهمة التخطيط لاغتيال ديفيد بن غوريون، رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، ولكن أُفرج عنهم لعدم كفاية الأدلة. وادعى أحد المعتقلين لاحقًا أن المخابرات الإسرائيلية هي من دبرت التهمة للمجموعة.82
في أغسطس/آب 1969، اختطفت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين طائرة بوينغ تابعة لشركة الخطوط الجوية عبر العالم (TWA) متجهة إلى دمشق، واحتجز السوريون الإسرائيليين اللذين كانا على متنها لمدة ستة أسابيع، والذين، رغم دعمهم للفلسطينيين، لم يرغبوا في الظهور بمظهر الداعم العلني للقرصنة الجوية. أُطلق سراح طيارين سوريين أسيرين بهدوء لاحقًا.83 في سبتمبر/أيلول، أعلنت منظمة حبش مسؤوليتها عن إلقاء قنابل يدوية على السفارتين الإسرائيليتين في لاهاي وبون، وعلى مكتب شركة العال في بروكسل. وفي نوفمبر/تشرين الثاني، ألقى أعضاء من جبهة النضال الشعبي، التي كانت تربطها صلات وثيقة بالمخابرات المصرية، قنبلة يدوية على مكتب شركة العال في أثينا.
مع مطلع العقد، كان الجزء الأكبر من جهود إسرائيل الاستخباراتية ضد الفلسطينيين ينتقل إلى الخارج. في عام ١٩٧١، شكلت العمليات الخارجية ما يزيد قليلاً عن ٣٪ من إجمالي الأنشطة العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية. وفي العام التالي، ارتفعت النسبة إلى ١٢٪، لتصل إلى أعلى مستوى لها على الإطلاق عند ٣٠٪ عام ١٩٧٣,٨٤ خلال هذه الفترة، حلت أوروبا الغربية محل الشرق الأوسط كساحة المعركة الرئيسية فيما عُرف سريعًا بـ"حرب الأشباح" بين الجانبين.
باروخ كوهين، ناطق أصلي بالعربية من عائلة يهودية عريقة في حيفا، كان أحد كبار ضباط الموساد في هذا المجال. انضم إلى جهاز الأمن العام (الشاباك) عام ١٩٥٩، بعد أن رفضته الشرطة لقصر قامته. عمل في المنطقة الشمالية، في قرى الجليل العربية، والتحق بقسم التحقيقات في الجهاز عام ١٩٦٦. بعد حرب ١٩٦٧، خدم في جهاز الأمن العام في نابلس، أكبر مدن الضفة الغربية، حتى تم تعيينه في قطاع غزة عام ١٩٦٩. في عام ١٩٧٠، أُعير إلى الموساد، وأُرسل، تحت غطاء دبلوماسي، إلى السفارة الإسرائيلية في بروكسل، مستخدمًا اسم موشيه حنان يشاي.

كانت مهمة كوهين هي مراقبة الأنشطة الفلسطينية في أوروبا. وقد أخذه عمله إلى جميع أنحاء القارة، مسافرًا من مدينة إلى أخرى للقاء معارفه ومخبريه. لم يختلف الأمر كثيرًا عن عمله في الضفة الغربية وغزة، إلا أنه كان أكثر انكشافًا وسرية وخطورة، لا سيما أنه لا بد أنه كان معروفًا، بالرؤية إن لم يكن بالاسم والمهمة، للعديد من الفلسطينيين الذين قابلهم في الأراضي المحتلة. وقد ظهر هو وزميله، صادوق أوفير، الذي أصيب برصاصة على يد عميل مزدوج مغربي استدرجه إلى مقهى في بروكسل في سبتمبر/أيلول 1972، في ألبوم صور فوتوغرافية نشره الجيش عام 1970 بمناسبة مرور 1000 يوم على حرب الأيام الستة. وفي وقت لاحق، بعد اغتيال كوهين، تساءل البعض كيف سُمح بمثل هذا الخرق الخطير لأمن العمليات.85 جمع أوفير الناطق بالعربية، مثل كوهين، معلومات عن الأنشطة الفلسطينية. كان مهاجمه، وهو مغربي يُدعى محمد رباح، قد راسل السفارة الإسرائيلية في بروكسل - وبعثات إسرائيلية أخرى في أوروبا - أثناء قضائه عقوبة في سجن بلجيكي. قدّم رباح معلومات عن فتح وتمكّن من الفرار بعد محاولة الاغتيال.86

أيلول الأسود

أنشأ باروخ كوهين شبكة من الطلاب الفلسطينيين، معظمهم من الأراضي المحتلة، والذين استُخدموا لجمع المعلومات واختراق صفوف الفدائيين.8 7 وبحلول أواخر عام 1971، بدأ الإسرائيليون يسمعون تفاصيل عن منظمة جديدة غامضة داخل فتح: أيلول الأسود. وقد تم اختيار أهدافها في الغالب للانتقام لمذبحة الملك حسين للفلسطينيين. وقد ظهر هذا التنظيم علنًا لأول مرة في القاهرة في 28 نوفمبر، عندما اغتيل رئيس الوزراء الأردني، وصفي التل، على درجات فندق الشيراتون بينما كان على وشك حضور اجتماع لجامعة الدول العربية. ووفقًا لكاتب إسرائيلي مطلع للغاية، "كانت إحدى النتائج هي استعداد الأردن للتعاون مع الأمن الإسرائيلي في ملاحقة الفلسطينيين".

فرق الإرهاب الإستونية وتصفية قادتها في مواقع مختلفة خارج الشرق الأوسط.88 وفي الشهر التالي، جرت محاولة اغتيال زيد الرفاعي، السفير الأردني في لندن. وفي فبراير/شباط 1972، عُثر على خمسة عملاء من المخابرات الأردنية مقتولين في قبو في بون. وتبع ذلك هجمات أيلول الأسود التخريبية على مصافي النفط والمنشآت الصناعية في هولندا وإيطاليا. وأظهرت تقديرات المخابرات أن المنظمة ضمت حوالي 100 فلسطيني وحوالي 15 أوروبيًا.89

وفقًا لكاتب سيرة عرفات البريطاني، آلان هارت، نجح الموساد في اختراق منظمة أيلول الأسود بعد وقت قصير من اغتيال وصفي التل. وزعم أبو إياد أن الإسرائيليين أدخلوا رجالهم إلى المنظمة عبر تهديد الفلسطينيين في أوروبا، وخاصة في ألمانيا الغربية، بأنهم لن يُجددوا تصاريح عملهم ما لم يوافقوا على التعاون. وحُذِّر آخرون من أن عائلاتهم في الأراضي المحتلة ستعاني. وقال القيادي في فتح: "عندما كان عملاء الموساد يقتربون، كانوا عادةً ما يحملون صورًا وأحيانًا أفلامًا لعائلة الشخص المعني. ومن المعلومات التي كشفها عملاء الموساد، كان من الواضح أنهم يعرفون كل شيء عن العائلات - الأسماء، العادات، المشاكل، نقاط الضعف، وما إلى ذلك".

ربما يكون الإسرائيليون قد استخدموا أيضًا غير العرب لكتابة

انضمت المنظمات الفلسطينية إلى حركة فتح. قُبل واحد على الأقل، وهو فرنسي يُدعى روجر كودروي، بعد فحص أمني دقيق عام ١٩٦٨. ولكن بعد بضعة أسابيع، أُبلغ عن مقتله رمياً بالرصاص في "حادث تدريب". سرت شائعات آنذاك بأنه انكشف عميلاً للموساد وأُعدم. في عامي ١٩٦٩ و١٩٧٠، استُضيف مئات من الشباب الأوروبيين المتعاطفين في معسكرات منظمة التحرير الفلسطينية في الأردن، على الرغم من أن قلة منهم تلقوا تدريباً فعلياً على حرب العصابات. أما القلة التي تلقت تدريباً فكانت مرتبطة بشكل رئيسي بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. في أبريل ١٩٧١، أُلقي القبض على أربعة مواطنين فرنسيين في مطار اللد وبحوزتهم متفجرات وأجهزة تفجير.

لم يُهمَل الشرق الأوسط نفسه في الجهود الاستخباراتية ضد منظمة التحرير الفلسطينية. باروخ مزراحي، وهو إسرائيلي من أصل مصري عمل متخفيًا قبل عام ١٩٦٧ كمدرس في

أُرسلت حلب، سوريا،92 إلى شمال اليمن في أوائل سبعينيات القرن الماضي لمراقبة الأنشطة الفلسطينية هناك. في يونيو/حزيران 1971، أطلقت وحدة تابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، تعمل انطلاقًا من ميناء الحديدة اليمني على البحر الأحمر، صواريخ على ناقلة نفط متجهة شمالًا إلى إيلات. أُلقي القبض

على مزراحي، الذي انتحل صفة رجل أعمال مغربي، في مايو/أيار 1972 أثناء التقاطه صورًا في الحديدة. سُلِّم إلى المخابرات المصرية وسُجن لبعض الوقت، قبل أن يُطلق سراحه في صفقة تبادل جواسيس وأسرى حرب عام 1974.93

تصاعدت الحرب الإسرائيلية الفلسطينية عام ١٩٧٢. في أوائل مايو، اختُطفت طائرة تابعة لشركة سابينا كانت متجهة من بروكسل إلى تل أبيب، وهبطت في مطار اللد. طالب الخاطفون بالإفراج عن ٣١٧ فلسطينيًا مسجونين في إسرائيل. اقتحم جنود متنكرون في زي فنيي طائرات الطائرة على المدرج، مما أسفر عن مقتل اثنين من الخاطفين الأربعة وراكب واحد، في ارتجال لعملية إنقاذ مُخطط لها مسبقًا، سُميت "إيزوتوب"، والتي خطط لها فرع عمليات جيش الدفاع الإسرائيلي.٩٤ وأعلنت منظمة أيلول الأسود مسؤوليتها عن عملية الاختطاف. كان القائد، علي أبو سنينة، عضو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الذي قاد أول عملية اختطاف لطائرة بوينغ تابعة لشركة العال إلى الجزائر في يوليو/تموز 1968، ولطائرة لوفتهانزا إلى عدن في فبراير/شباط 1972. وكشفت الخاطفتان الأسيرتان، وهما فلسطينيتان من بيت لحم وعكا، أثناء التحقيق معهما أنهما أُرسلتا في مهمتهما من قِبل رئيس عمليات منظمة أيلول الأسود في أوروبا، وهو شاب يُدعى أبو حسن. وكان اسمه الحقيقي علي حسن سلامة.

كان الأسوأ قادمًا. ففي نهاية مايو، قتل ثلاثة أعضاء من الجيش الأحمر الياباني، جندتهم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ستة وعشرين شخصًا، معظمهم راهبات بورتوريكيات، وجرحوا ستة وسبعين آخرين في مذبحة عشوائية في صالة الوصول بمطار اللد. انتحر اثنان من الإرهابيين، بينما أُلقي القبض على ثالثهم، كوزو أوكاموتو، وحوكم وسُجن.

مذبحة ميونيخ

في سبتمبر 1972، تم احتجاز أحد عشر رياضيًا إسرائيليًا مشاركًا في دورة الألعاب الأولمبية في ميونيخ كرهائن في القرية الأولمبية على يد

ثمانية رجال من أيلول الأسود، الذين كانوا يخططون للعملية - المسماة "إقرت وبيرام" (نسبةً إلى قريتين دمرتا في شمال الجليل) - منذ اجتماع في بيروت في يناير. قُتل اثنان من الرياضيين في الاقتحام الأولي لمقر إقامتهم في كونوليستراس. رفضت رئيسة الوزراء، جولدا مائير، طلب الإرهابيين بالإفراج عن 234 فلسطينيًا محتجزين في السجون الإسرائيلية. وقالت: "إذا استسلمنا، فلن يشعر أي إسرائيلي في أي مكان في العالم بأن حياته آمنة". رفضت السلطات الألمانية إلغاء الألعاب الأولمبية. طوال يوم 5 سبتمبر العصيب، تلقى أعضاء أيلول الأسود ما بدا أنه رسائل مشفرة من صوت ثورة فلسطين، التي تبث من دمشق. تم وضع وحدة إسرائيلية لمكافحة الإرهاب على أهبة الاستعداد، لكن الوقت كان قصيرًا ورفض الألمان السماح للوحدة بالعمل على أراضيهم. وصل رئيس الموساد، تسفي زامير، إلى مكان الحادث في اللحظة الأخيرة، لكنه لم يُستقبل بشكل جيد؛ رفض رئيس شرطة ميونيخ نقله بسيارته إلى المطار العسكري في فيرستنفيلدبروك، حيث كان الإرهابيون يتوقعون أن يتوجهوا منه إلى الحرية مع رهائنهم.

وكان برفقة زامير رجل من جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي (شين بيت) يتحدث العربية، وقد اعتبر جهاز الأمن (الذي كان في بعض الأحيان مستاءً من الصورة العامة الأكثر بطولية للموساد) أن دوره في الكارثة .

حيث تحدث لفترة وجيزة مع أعضاء حركة سبتمبر السود. كان بمثابة تأكيد على خبرته الأكبر كثيراً في التعامل مع الإرهاب الفلسطيني.
راقب زامير ومساعده من برج المراقبة السلطات الألمانية وهي تُفشل عملية الإنقاذ. وقال رئيس الموساد لاحقًا، في أول ظهور علني له على الإطلاق: "كانت هناك فجوات هائلة بين تقييمنا لقدرة الألمان وتخطيطهم وتنفيذهم". قُتل جميع الرياضيين الإسرائيليين التسعة المتبقين. أُلقي القبض على اثنين من الإرهابيين أحياءً، لكن أُطلق سراحهما لاحقًا.
كانت مائير تشعر بالمرارة: "أعتقد أنه لا يوجد إرهابي واحد محتجز في أي مكان في العالم"، قالت. "الجميع يستسلمون. نحن الوحيدون الذين لا يستسلمون".95 كانت ميونيخ حدثًا صادمًا للغاية: فإلى جانب حقيقة أن البيئة الألمانية للمذبحة استحضرت ذكريات مؤلمة، كان هناك

من الواضح أن ما حدث كان خللاً أمنياً إسرائيلياً هائلاً، نتيجةً للفشل في توقع التهديد المحتمل بشكل كافٍ. قوبلت الدعوات المتكررة للانتقام بصمت رسمي، على الرغم من إبلاغ عائلات الرياضيين القتلى سراً بأن أحباءهم سيُنتقمون. لم تكن المذبحة سوى الحلقة الأكثر دراماتيكية في سلسلة من الإخفاقات في الحرب على الإرهاب. تعرض صادوق أوفير لهجوم في بروكسل في 12 سبتمبر، وبعد أسبوع قُتل الملحق الزراعي في السفارة الإسرائيلية في لندن برسالة مفخخة. حتى قبل ميونيخ، امتلأت الصحف بمقالات غاضبة تطالب بالرد. في يونيو، أشار إلياهو بن إليسار، وهو عميل سابق في الموساد، في صحيفة هآرتس إلى وجود سوابق لاتخاذ مبادرات غير تقليدية ضد عنف العدو: فقد تذكر تقارير عن مقتل مراقبي الفدائيين في العقد الأول من القرن العشرين والحملة ضد العلماء الألمان بعد عقد من الزمان.96 بعد عمليات القتل في الألعاب الأولمبية، كان هناك غضب. أُلقي القبض على عميحاي باجلين، رئيس العمليات السابق في منظمة الإرغون، في نهاية سبتمبر/أيلول بعد محاولته تهريب أسلحة ومتفجرات إلى الخارج لاستخدامها في هجمات انتقامية ضد العرب.9 7 بدت الحكومة عاجزة. صرّح وزير الخارجية، أبا إيبان، بأن الرد الإسرائيلي سيقتصر على الشرق الأوسط. وتساءل أحد المعلقين بغضب: "كيف يظن وزير الخارجية أننا نستطيع مكافحة العمليات الإرهابية في أوروبا بالرد في الشرق الأوسط؟"98
في أوائل أكتوبر/تشرين الأول، وبعد تحقيق سري في الثغرات الأمنية في قرية ميونيخ الأولمبية، قاده بنحاس كوبل، الضابط السابق في الشاباك ومفوض الشرطة، طُرد ثلاثة مسؤولين كبار في الجهاز. هدد يوسف هارملين بالاستقالة، لكن مائير أقنعته بأن هذه الإقالات ستساعد في استعادة ثقة الجمهور بالشاباك. بقي هارملين في منصبه وعيّن أبراهام شالوم، وهو عضو سابق في البلماح وضابط في فرع العمليات، وكان العميل الثاني في عملية اختطاف أيخمان، رئيسًا جديدًا لفرع الأمن الوقائي في الشاباك.
مع توصل لجنة كوبل إلى استنتاجاتها، استشاط الشاباك غضبًا من الأدلة التي قدمها زفي زامير. وأبلغ رئيس الموساد لجنة التحقيق أن منظمته تلقت

وقد وردت معلومات استخباراتية عن وحدة تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية تطير من الشرق الأوسط إلى مكان ما في أوروبا؛ ولكن التقرير كان غامضاً إلى حد عدم جدواه، على حد قول جهاز الأمن، ولم يكن من المتوقع أن يؤدي إلى تغيير درجة اليقظة التي كانت تحيط بالفعل بالفريق الأوليمبي الإسرائيلي.

الانتقام
شكّلت مذبحة ميونيخ نقطة تحول في حرب إسرائيل على الإرهاب الفلسطيني. قررت غولدا مائير أن الوقت قد حان للانتقام الشامل، ليس لمجرد الانتقام، بل كرادع. بعد التشاور مع أهارون ياريف، الذي ترك الجيش وعُيّن مستشارًا خاصًا لها لشؤون الإرهاب، وزامير، الذي كان يكتنفه بعض الغموض بسبب النكسات المتكررة، أذنت للموساد باغتيال قادة منظمة أيلول الأسود، أو على الأقل أولئك الذين اعتُبروا مسؤولين مباشرين عن مذبحة ميونيخ.
الحقيقة الكاملة بشأن فرق الاغتيال الإسرائيلية لن تظهر أبدًا على الأرجح.

مجزرة مايو في مطار اللد. وخلفه، بسام أبو شريف، أصيب بجروح بالغة جراء انفجار طرد مفخخ بعد أيام قليلة.
لكن بعد مذبحة الأولمبياد تسارعت وتيرة الأحداث. فخلال الأشهر العشرة التي أعقبت كارثة ميونيخ، قُتل ما لا يقل عن تسعة رجال ارتبطوا بالإرهاب الفلسطيني من قبل الإسرائيليين في ظروف عنيفة. وربما لم تكن بعض الاغتيالات مرتبطة بميونيخ. فعلى سبيل المثال، وائل زعيتر، الذي قُتل بالرصاص في روما (حيث كان الممثل الرسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية) في 16 أكتوبر، حمّله الإسرائيليون مسؤولية تنظيم أول عملية اختطاف لطائرة العال المتجهة إلى الجزائر في أغسطس 1968، وكذلك مسؤولية مسجل الأشرطة المفخخ الذي تم تهريبه على متن طائرة العال في أغسطس 1972. أما محمود الهمشري، فقد فُجر بواسطة قنبلة مزروعة في هاتف شقته في باريس وفُجر عن بُعد في 8 ديسمبر. وكان الهمشري ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في العاصمة الفرنسية، ومثل زعيتر، كان مثقفًا أكثر منه إرهابيًا. لكن الإسرائيليين اعتقدوا أنه كان متورطًا في العديد من الحوادث، بما في ذلك ميونيخ. حسين الشير، اغتيل في نيقوسيا في 25 كانون الثاني (يناير) 1973، ووُصف بأنه جهة الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية.

أن تكون معروفة. أساس كل هذه العمليات هو الإنكار الكامل

رجل مع المخابرات السوفيتية في قبرص.

لقد قُتل على يد

مهما بدت هذه النفيات غير معقولة. في هذه الحالة، كانت الحاجة إلى السرية العملياتية مزدوجة: ضمان سلامة القتلة وفرقهم المساندة، ومنع كشف أي صلة رسمية بالاغتيالات. وبطبيعة الحال، أثارت هذه الحادثة اهتمامًا كبيرًا وسيلًا من الكتب والمقالات على مر السنين. ومع أن الإخفاقات العملياتية خلقت هامشًا ضيقًا من الدعاية غير المرغوب فيها، مما سمح بتسريب بعض الحقائق الغامضة، إلا أن أي رواية لا بد أن تكون مجتزأة ومتناقضة ومربكة.
المشكلة الأولى تتعلق بالتأريخ. كان الفلسطينيون، وخاصة مسؤولو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، هدفًا للإسرائيليين قبل فترة طويلة من موجة الاغتيالات التي أعقبت ميونيخ: ففي يوليو/تموز 1970، أُطلقت صواريخ على شقة وديع حداد، رئيس العمليات الخارجية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، في بيروت؛

وقُتل غسان كنفاني، الروائي الموهوب والمتحدث باسم حبش، مع ابنة أخيه البالغة من العمر سبعة عشر عامًا، في انفجار سيارة مفخخة في العاصمة اللبنانية في يوليو/تموز 1972. واتهمته الصحف الإسرائيلية بـ...

قنبلة موضوعة تحت سريره في غرفته بفندق أولمبيك. وفُجِّرت هذه العبوة أيضًا عن بُعد.
في اليوم التالي، جاء دور إسرائيل لتتكبد خسارة في "حرب الجواسيس". اغتيل باروخ كوهين خارج مقهى في مدريد بعد تأجيل لقائه مع أحد معارفه - شاب فلسطيني في الخامسة والعشرين من عمره يدرس الطب في العاصمة الإسبانية - ليوم واحد بناءً على طلب العربي. ووفقًا لأبو إياد، كانت أنشطة كوهين معروفة جيدًا لدى فتح/أيلول الأسود، لكن
ما لم يكن يعلمه هو أن العديد من الطلاب الذين جنّدهم ينتمون إلى منظمة أيلول الأسود، ويتظاهرون بالتعاون معه بناءً على طلب المنظمة. وعندما بدأت تساوره شكوك جدية حول ولاء من فشلوا في تنفيذ المهام الموكلة إليهم بذرائع مختلفة، تقرر إعدامه. أصبح القضاء عليه أمرًا ملحًا، عندما أعلن كوهين، في أوائل يناير/كانون الثاني، بعد وقت قصير من اغتيال محمود الهمشري في باريس، أنه سيغادر إسبانيا لتولي مهام أخرى.

وزعم أبو إياد أن عملية القتل استلزمت تفكيك الشبكة الإسرائيلية بأكملها في إسبانيا، لأن الموساد لم يكن يعرف من هو العميل المزدوج لمنظمة أيلول الأسود.
نجا ثلاثة قتلة.102
لم يحظَ موت باروخ كوهين باهتمام شعبي كبير آنذاك، لكن الكشف عنه لاحقًا ألقى نظرة خاطفة على الجانب الإنساني لهذه الفترة المظلمة من الحرب الإسرائيلية الفلسطينية. ووفقًا لأرملته نوريت:
لم يكن بروكي رجلاً صلباً. بل على العكس، كان قصير القامة، وبعيداً كل البعد عن صورة جاسوس الشمبانيا. لم يكن يجيد الرقص، ولا يجيد الشرب. كان خجولاً، ومنطوياً جداً. لكنه كان يجيد الإنصات. لو اختار مهنة أخرى، لكان طبيباً نفسياً. كان الحديث معه ممتعاً. كان يقول كلمة هنا، وكلمة هناك، فينفتح الشخص الآخر. كان ينضح بالثقة.
الجدارة. ماذا لدى هؤلاء الصغار ليقدموه إن لم يقدموا أنفسهم؟ إذا كان الشاباك يستجوب ثنائيًا، فإن بروكي كان "الجيد".
ذات مرة، رأى ابن كوهين الصغير والده في الشارع يتحدث مع عربي، فسأله مباشرةً إن كان جاسوسًا. كما عثر على أدوات تُستخدم للتمويه، مثل نظارات ذات عدسات زجاجية عادية. بعد ذلك، لم تجد أرملته أي عزاء في التلميحات غير المباشرة بأن موته قد تم الانتقام له.
كانوا يأتون إليّ بين الحين والآخر ويسألونني، كما لو كانوا يمرحون: "هل رأيتِ في الصحيفة خبرًا عن ذلك الرجل الذي قُتل، أو عن ذلك الذي فُجّر؟" ما رأيكِ في أن ذلك قد عزّاني؟ كان يعني أن عائلة أخرى قد أُصيبت، وامرأة أخرى تُركت وحدها، وبضعة أطفال آخرين فقدوا والدهم.
استمرت الحرب. في 12 مارس 1973، قتلت منظمة أيلول الأسود إسرائيليًا آخر وصفته بأنه عميل للموساد، سيمحا جيلزر، في قبرص105، لكن الصحافة الإسرائيلية أفادت بالإجماع أنه

كان رجل أعمال مُسنًّا لا صلة له بالاستخبارات. على النقيض من ذلك، أُعلن علنًا أن باروخ كوهين كان مسؤولًا بعد وقت قصير من إعلان وفاته. في أبريل/نيسان، قُتل عراقي يُدعى باسل الكبيسي في باريس، وقُتل فلسطيني آخر بالرصاص في نيقوسيا.
في 13 أبريل/نيسان، شن الإسرائيليون أكبر وأخطر هجماتهم الصاروخية.

غارة انتقامية دراماتيكية، لم تشهدها من قبل، عندما قتلت قوة مشتركة من عملاء الموساد وقوات كوماندوز جيش الدفاع الإسرائيلي ثلاثة ضباط كبار من منظمة التحرير الفلسطينية في منازلهم بقلب بيروت. وُصف اثنان منهم، محمد النجار وكمال عدوان، بأنهما الشخصيتان البارزتان في أيلول الأسود. أما الثالث، كمال ناصر، فكان المتحدث الرسمي باسم منظمة التحرير الفلسطينية. هاجمت قوة ثانية مبنى الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، ونفذت وحدتان أخريان هجمات منفصلة - إحداهما
منها عمليات تحويلية - على المراكز اللوجستية الفلسطينية في شمال وجنوب المدينة.106 العملية، التي تم ترميزها شعريًا
سُميت العملية "ربيع الشباب"، وأصبحت رمزًا لقدرة إسرائيل على الجمع بين الاستخبارات الدقيقة والنشاط العسكري لضرب قلب معسكر العدو. كانت عمليةً فريدةً من نوعها. وصل عملاء الموساد الستة إلى العاصمة اللبنانية قبل أسبوع من العملية على متن رحلات جوية منفصلة من لندن وروما وباريس. كان ثلاثة منهم مسافرين بجوازات سفر بريطانية. استأجروا سيارات وفتشوا مخابئ.
قبل وصول قوة الهجوم بالقارب.107 ملفات تم ضبطها أثناء
أسفرت غارة بيروت عن مجموعة من المعلومات الحيوية عن بلاك
عمليات سبتمبر وخلايا منظمة التحرير الفلسطينية - وخاصة الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين المنظمة جيداً - في الضفة الغربية.108 واعترفت إسرائيل
المسؤولية عن الهجوم.
بعد ذلك بوقت قصير، قتل الإسرائيليون ثلاثة عناصر آخرين من أيلول الأسود. كان أهمهم جزائريًا يُدعى محمد بوديا، الذي حافظ على الروابط العملياتية للمنظمة مع مجموعة واسعة من الجماعات الإرهابية الأوروبية، بما في ذلك الفنزويلي سيئ السمعة "كارلوس". تقول بعض المصادر إن بوديا عمل مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وليس أيلول الأسود. وبغض النظر عن انتمائه التنظيمي الدقيق،
تم تفجيره بواسطة قنبلة وضعت في سيارته في باريس في 28 يونيو.109

فشل في ليلهامر
في يوليو 1973، ساءت الأمور بشكل كبير، وظهر ذلك جليًا. قام فريق من عملاء الموساد، شُكِّل على عجل، بتعقب رجل ظنوا أنه علي حسن سلامة، لكنهم بدلاً من ذلك قتلوا شخصًا بريئًا.

نادل مغربي يُدعى أحمد بوشيكي في بلدة ليلهامر النرويجية النائية. أُلقي القبض على ستة من العملاء الإسرائيليين وحوكموا فيما اتضح أنه أكبر كشف مُضرّ على الإطلاق للأنشطة السرية لبلادهم في الخارج؛ ومما زاد الطين بلة، أنه جرى على أرض دولة صديقة. يُرجّح أن يكون قد تم التعرف النهائي، أو بالأحرى

خطأ في التعرف، على سلامة من قِبل ساعٍ جزائري من أيلول الأسود يُدعى كمال بن منمان، والذي تعرّض للترهيب بطريقة ما ليصبح عميلاً مزدوجًا للموساد.110
ترأس مهمة ليلهامر مايك هراري، رئيس فرع عمليات الموساد البالغ من العمر ستة وأربعين عامًا. كان هراري، وهو من البلماهنيك السابقين، قد تدرب كمشغل لاسلكي، وعمل في روما لصالح وحدة "العليا بيت" التابعة للموساد خلال حملات الهجرة غير الشرعية التي أعقبت الحرب، حيث أُطلق عليه اسم "أليكس". في عام ١٩٥٠، وبعد إتمام خدمته العسكرية، جُنّد هراري في جهاز الأمن الداخلي (الشين بيت) على يد يعقوب كاروز، واختفى في عالم الأسرار. في أوائل الستينيات، كان مسؤولاً عن تهريب عملاء الموساد في أوروبا (كان قد أطلع أهارون موشيل قبل مهمته إلى مصر عام ١٩٦٢). وبحلول نهاية العقد، أصبح نائب رئيس عمليات الموساد، وترقى إلى رئاسة الفرع منذ عام ١٩٧٠. ولم يظهر هراري إلا في منتصف الثمانينيات، كشريك مقرب ومثير للجدل للديكتاتور البنمي السابق الجنرال مانويل نورييغا.١١١
فشلت محاولات التعتيم على التورط الإسرائيلي. كان الفريق مفرط الثقة بقدر ما كان عديم الخبرة، وهو في حد ذاته مقياس لصعوبة الموساد في العثور على الأشخاص المناسبين لتنفيذ عمليات الانتقام. وكان ينبغي على هراري، وهو عميل سري مخضرم، أن يكون أكثر وعيًا من تنفيذ عملية اغتيال في بلدة صغيرة مثل ليلهامر، حيث كان الغرباء بارزين للغاية ولم تكن هناك جريمة قتل لمدة أربعين عامًا. في 1 فبراير 1974، حُكم على سيلفيا رافائيل وأبراهام جيهمر بالسجن لمدة خمس سنوات، ودان إيربل بخمس سنوات، وجميعهم بتهمة القتل من الدرجة الثانية. وحُكم على ماريان جلادنيكوف بالسجن لمدة عامين ونصف، وزوي شتاينبرغ بعام واحد. وأُطلق سراح مايكل دورف، رجل الاتصالات في فريق الاغتيال. لقد كانت كارثة: علق خبيران إسرائيليان رفيعا المستوى قائلاً: "لقد وجهت كشوفات العملاء الأسرى ضربة قوية لجهاز الاستخبارات السرية".

هيكل الموساد في أوروبا. كان لا بد من استدعاء العملاء الذين انكشف أمرهم، وهجر المخابئ، وتغيير أرقام الهواتف، وتعديل أساليب العمل.
يُعتقد أن كارثة ليلهامر وضعت حدًا لعمليات اغتيال الموساد للإرهابيين الفلسطينيين. هذا غير صحيح، مع أن وتيرة الهجمات تباطأت بعد ذلك، وجُرِّبت أساليب مختلفة. في أغسطس/آب 1973، أجبرت مقاتلات إسرائيلية طائرة ركاب لبنانية على الهبوط، ظُن خطأً أنها كانت تقل جورج حبش. بعد نحو ست سنوات، في يناير/كانون الثاني 1979، قُتل علي حسن سلامة - الملقب بـ"الأمير الأحمر" من قِبل الموساد - في انفجار سيارة مفخخة في بيروت. ولم يكن سلامة آخر زعيم لمنظمة التحرير الفلسطينية يُقتل على يد إسرائيل.

الجواسيس الأيديولوجيون

في ديسمبر 1972، وفي نهاية عام دامٍ في النضال ضد الفلسطينيين، كشف جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) في إسرائيل عن مجموعة صغيرة من اليهود اليساريين والقوميين العرب الذين تعاونوا في شبكة تجسس وتخريب تديرها المخابرات السورية. وبلغت أهمية القضية حدّ استدعاء باروخ كوهين من وظيفته في الموساد في أوروبا لتولي مسؤولية التحقيق. 111 أُلقي القبض على يهود إسرائيليين يعملون لصالح الكتلة السوفيتية وأجهزة المخابرات العربية في الماضي، ولكن لم تُحدث أي قضية سابقة التأثير الذي أحدثته هذه القضية. كانت سوريا أشدّ أعداء البلاد ضراوة، وكان اليهود المتورطون من نخبة المجتمع

الإسرائيلي. وكان أبرزهم أودي عديف، طالب جامعي يبلغ من العمر 25 عامًا، وعضو في حزب المابام، وكان لاعب كرة سلة نجمًا، وقد خدم في جيش الدفاع الإسرائيلي في القوات المظلية وقاتل في حرب الأيام الستة. وكان من الشخصيات البارزة الأخرى دان فيريد، مدرس رياضيات يبلغ من العمر 28 عامًا من عائلة ثرية في تل أبيب. في السياق الإسرائيلي، كان المعنى الاجتماعي للقضية أشبه، بل ربما أسوأ، بخيانة أعضاء المؤسسة البريطانية الذين بدأوا بالتجسس لصالح الاتحاد السوفيتي في "كامبريدج كومينتيم" في ثلاثينيات القرن الماضي. أما من الناحية الاستخباراتية، فلم تكن أهميتها تتجاوز كونها هامشية.

تم إنشاء الشبكة من قبل داود تركي، وهو عربي مسيحي كان يدير مكتبة سياسية في حيفا وكان لديه منذ فترة طويلة آراء قومية عربية وشيوعية قوية جعلته هدفًا واضحًا لمراقبة الشاباك. التقى أديف في عام 1970 في اجتماع للمنظمة الاشتراكية الإسرائيلية، والمعروفة باسم ماتزبين، وهي مجموعة صغيرة يهودية إلى حد كبير مناهضة للصهيونية ظهرت في طليعة المعارضة الداخلية للاحتلال بعد عام 1967.114 كانت أيديولوجية ماتزبين مزيجًا من العقائد الماوية والتروتسكية التي كان لها تأثير قوي على حرم الجامعات في أوروبا الغربية في ذلك الوقت. وفرت "الثورة الفرنسية" في مايو 1968 وحرب فيتنام والمناهضة الدولية للاستعمار الخلفية التي نظر من خلالها نشطاء ماتزبين إلى الصراع الإسرائيلي العربي. في عام 1970، في ذروتها، كان لديها حوالي 100 عضو، مع محيط من 100 متعاطف آخر. انقسمت المنظمة مرارًا إلى مجموعات صغيرة متنافسة، وغادر معظم قياداتها الفكرية وأعضائها المؤسسين البلاد في أواخر الستينيات، لكنها اكتسبت سمعة تفوق بكثير عدد أعضائها الصغير أو قوتها السياسية. ساهمت تقارير عن "حوار ثوري" مع الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بقيادة نايف حواتمة، والتي انفصلت مؤخرًا عن حركة حبش، في تعزيز سمعة "متسببين" في المجتمع الإسرائيلي. وقد اخترقها جهاز الشاباك بكثافة.
تواصل تركي مع المخابرات السورية سعياً وراء دعم مالي لمنظمة ثورية سرية جديدة. وبحلول نهاية عام ١٩٧٠، كان قد جنّد العديد من الأعضاء العرب الآخرين، بالإضافة إلى أديف وفيريد، اللذين زارا دمشق سراً وتلقّيا تدريباً على استخدام الشفرات البسيطة والأسلحة والمتفجرات، وأبلغا عن الوضع السياسي والاقتصادي والعسكري في إسرائيل. صرّح أديف لاحقاً بأن المعلومات التي قدّمها كانت "تافهة".115 كانت معلومات هواة، مدفوعة بالأيديولوجيا أكثر من الاحتراف. كتب أحد المراسلين الأجانب: "برز أديف وفيريد كمحركين أساسيين للثورة، وقعا في فخ منطق عقيدتهما، وهما ينجرفان يساراً من المعارضة إلى الخيانة. ومثل كوزو أوكاماتو، المسلح الياباني في اللد، اعتقدا أن التنظير لم يكن كافياً. احتقرا التطرف السائد في المقاهي، وحملا السلاح".116

غنى تركي النشيد الوطني عندما حُكم عليه، مع أديف، بالسجن سبعة عشر عامًا في مارس/آذار 1973. أُطلق سراحهما عام 1985، بعد أن قضيا اثني عشر عامًا وثلاثة عشر عامًا على التوالي. أُطلق سراح تركي كجزء من صفقة تبادل أسرى إسرائيلية استثنائية ومثيرة للجدل مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة بزعامة أحمد جبريل. وصرح لاحقًا بأنه يعتقد أن الشبكة قد اخترقها جهاز الأمن العام (الشاباك)، وأنه أبلغ أديف بذلك قبل أسبوعين من اعتقالهما.11 7

المیزانية العمومية

تم احتواء المقاومة الفلسطينية بشكل فعال من قبل أجهزة الأمن والمخابرات الإسرائيلية في السنوات التي تلت حرب 1967. في الضفة الغربية، تم القضاء فعليًا على النشاط المسلح لجماعات منظمة التحرير الفلسطينية بحلول نهاية عام 1968؛ وفي قطاع غزة بحلول أوائل عام 1971. الشاباك، الذي لم يكن مستعدًا لعواقب انتصار حرب الأيام الستة، ونما حجمه بشكل كبير بعد ذلك، انتشر بسرعة وبإبداع لسحق الفدائيين قبل أن تتاح لهم فرصة ترسيخ جذورهم واكتساب الخبرة العملياتية. كان التاريخ والجغرافيا والتنظيم كلها في صف إسرائيل. كان إغلاق الحدود مع الأردن يعني أن الضفة الغربية أصبحت معزولة تمامًا تقريبًا عن العالم الخارجي؛ وسكانها - وهم جزء كبير من الشعب الفلسطيني - معزولون وخاضعون لسيطرة المحتل. لم تكن هناك "مناطق محظورة" على الإسرائيليين، ولا "مناطق محررة" يمكن أن تزدهر فيها المقاومة. كان جهاز الأمن الداخلي (الشين بيت)، الذي عمل بشكل وثيق مع الجيش، لا هوادة فيه، وسريعًا، وقاسيًا، يزرع عدم اليقين من خلال استخدامه المكثف للمخبرين، ولا يعطي أي ربع في الصراع.
منع هذا النجاح الفلسطينيين من شنّ حرب شعبية في اللحظة التي اقتضت ذلك أيديولوجيتهم. لم تُصبح الأراضي المحتلة جزائرًا أو فيتنامًا قط. بل بنى الإسرائيليون نظامًا أمنيًا قائمًا على استخدام "الجزرة" من الإغراءات، مقرونًا بـ"العصا" من العقاب الشديد في كثير من الأحيان. كان هذا النظام ناجحًا بشكل مدهش لسنوات تالية.

ومع ذلك، كان لكبح المقاومة داخل الأراضي المحتلة ثمن. فبعد أن طرد الملك حسين منظمة التحرير الفلسطينية من الأردن عام ١٩٧١، وأُغلقت حدوده مع الضفة الغربية التي فقدها إغلاقًا شبه محكم، نقل الفلسطينيون أنشطتهم المسلحة إلى الخارج. وكان لإعادة انتشارهم في لبنان عواقب وخيمة وكارثية على المستقبل. ونظرًا لعجزها عن ضرب إسرائيل من الداخل أو عبر الحدود، لجأت جماعات متطرفة مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش إلى ركيزتها الضعيفة.
- طائراتها وسفاراتها ومكاتب شركة العال وغيرها من المنشآت في الخارج. كما قُصفت أهداف يهودية أيضًا، لمجرد أنها يهودية ومرتبطة تلقائيًا بدعم إسرائيل. تطلبت مكافحة هذه الظاهرة جهدًا هائلاً في مجال الأمن الوقائي، وبعد تذكيرات مروعة بإلحاح المهمة مثل مذبحة ميونيخ الأولمبية، سرعان ما تربع جهاز الأمن العام (الشاباك) على القمة. تطلبت الوقاية معلومات استخباراتية مفصلة وفي الوقت المناسب: الحصول على معلومات حول الخطط الفلسطينية، واختراق المجموعات الصغيرة ولكن المنظمة بشكل متزايد التي شنت الهجمات، غالبًا بمساعدة الدول العربية. هنا أيضًا، ساعدت إسرائيل حقيقة أنها سيطرت فعليًا على الأراضي المحتلة وامتلاكها موارد استخباراتية جيدة على الأرض: يمكن تسلل عملاء من الضفة الغربية وغزة إلى مجموعات منظمة التحرير الفلسطينية العاملة في الخارج. في الحرب ضد الإرهاب، كان هومينت، ولا يزال، المفتاح الذهبي.
مع ذلك، تعقدت مهمة إسرائيل بسبب الحاجة إلى العمل في أراضٍ معادية أو محايدة. لم يكن بإمكان عملاء الموساد في بروكسل أو مدريد العمل علنًا، تحت حماية الجيش، مثل زملائهم في الشاباك في نابلس أو الخليل. كانت أنشطتهم أكثر خطورة وانكشافًا، ومع تزايد التواصل مع أجهزة الأمن الأجنبية الصديقة في هذه الفترة، لم يكن بإمكان أي حكومة أوروبية التسامح مع انتهاك قوانينها. وجهت كارثة ليلهامر في يوليو/تموز 1973 ضربةً قاسية، وإن كانت مؤقتة، لقدرة الموساد على العمل في الخارج.

كان الإرهاب مصدر إزعاج - أحيانًا مصدرًا دمويًا ومُهينًا - ولكنه لم يكن أكثر من مجرد إزعاج. كان تأثيره الدعائي أقوى بكثير من أي ضرر قد يُلحقه بالأمن الإسرائيلي. ومع ذلك، فقد تطلب نشر قوات إضافية.

موارد بشرية ومالية هائلة سخّرتها أجهزة الاستخبارات. وكذلك فعلت هجمات جيش الدفاع الإسرائيلي الوقائية والانتقامية على قواعد منظمة التحرير الفلسطينية ومخيمات اللاجئين في الأردن ولبنان. وقد شجعت هذه الهجمات بدورها على ديناميكية رد وانتقام لم تُفضِ إلا إلى إدامة الصراع وتعميقه. مع حلول عشية حرب 1973، لم يكن للمقاومة الفلسطينية سوى دور هامشي في تعطيل الحياة الإسرائيلية. وهكذا، يحق لجهاز الأمن العام (الشاباك) والموساد أن يفخرا بإنجازاتهما في الحفاظ على الوضع الراهن - على الأقل لأبناء وطنهما. لكن المعركة لم تنتهِ بعد.

9
مهدال:
1973

احتمالية منخفضة
وبعد فترة وجيزة من انتصار عام 1967، قدرت استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي أن الأمر لن يستغرق سوى "عام إلى ثمانية عشر شهراً" للتعافي، على الأقل من حيث تجديد المعدات التي فقدتها.1 والواقع أن القوة العسكرية المصرية بحلول عام 1968، على الأقل على الورق، كانت أعظم مما كانت عليه قبل الحرب. خلال سنوات ما بعد الحرب مباشرة، والتي هيمنت عليها معركة إسرائيل ضد تسللات العصابات الفلسطينية على طول نهر الأردن، وحرب الاستنزاف التي شنتها مصر على الضفة الشرقية لقناة السويس، أنشأت المخابرات العسكرية شبكة من محطات المراقبة الإلكترونية ورصد الاتصالات على طول خطوط وقف إطلاق النار الجديدة. وشُيّدت حصون مغطاة بالحجارة ومُزينة بالهوائيات على جبل الشيخ، على الحافة الشمالية لمرتفعات الجولان المطلة على سهل دمشق؛ وعلى طول نهر الأردن؛ وعلى قناة السويس، مع محطة أم خشيبة على المرتفعات التي تبعد ثلاثين كيلومترًا شرق القناة، وتطل على عمق مصر السفلى. في نقاط مختلفة على طول الخطوط الأمامية، تمكن أمان من استغلال
الاتصالات العسكرية العربية. في أوائل سبعينيات القرن الماضي، بالقرب من قواعد عسكرية على طول خليج السويس، اكتشفت مكافحة التجسس المصرية عمود هاتف أجوف يحتوي على جهاز إرسال يعمل بالبطارية للتنصت على المكالمات على طول الخط. استبدلت شركة أمان العمود الأصلي بهذا الجهاز غير التقليدي.
خلال حرب الاستنزاف الثابتة (1968-1970)، والتي كانت

تميز فرع استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي بتبادل متواصل للقصف المدفعي، وغارات الكوماندوز، وفي مرحلته الأخيرة، هجمات جوية إسرائيلية على مواقع في الخطوط الأمامية وأهداف استراتيجية في وادي النيل. وقد لعب الفرع دورًا مساعدًا هامًا، حيث زود الكوماندوز والطيارين الإسرائيليين بخرائط الأهداف. وشملت نجاحاته الرئيسية جمع المعلومات الاستخباراتية التي سهلت تدمير جسور وأبراج الكهرباء في نجع حمادي؛ وغارة سلاح المدرعات الإسرائيلي على طول شريط بطول 100 كيلومتر على ساحل خليج السويس، باستخدام دبابات تي-55 وناقلات الجنود المدرعة السوفيتية؛ والاستيلاء على أحدث رادار سوفيتي من طراز بي-12 وإزالته بواسطة وحدة مظلات محمولة جوًا ليلة عيد الميلاد عام 1969، والذي تم رفعه من تلة في غردقة على خليج السويس.
في هذا الوقت بدأت استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي في تطوير طائرات بدون طيار تحمل كاميرات لمراقبة الجبهة المصرية دون تعريض الطيارين ذوي القيمة للنيران الأرضية. أطلق المشروع الرائد في أمان، مردخاي بريل، الذي أقنع رؤساءه بشراء ثلاث طائرات لعبة يتم التحكم فيها عن بعد في الولايات المتحدة مقابل 850 دولارًا. أثبتت تجربة تشغيل فوق بطارية إسرائيلية مضادة للطائرات أن الطائرة بدون طيار التي يبلغ عرضها 1.5 متر لم يكن من السهل استهدافها بنيران أرضية. كانت أول عملية تشغيلية في صيف عام 1969 فوق المواقع المصرية بالقرب من الإسماعيلية ناجحة للغاية: لم يطلق المصريون النار حتى على الطائرة وعادت إلى القاعدة بصور جيدة وواضحة. كما نجحت رحلة أخرى فوق مواقع الفيلق العربي في وادي الأردن.3 أصبحت الطائرات بدون طيار الأكثر تطورًا، ذات القدرات بعيدة المدى وكاميرات الرؤية التلفزيونية، فيما بعد ركيزة أساسية لجمع معلومات استخبارات أمان فوق أراضي العدو.
تم إطلاق سلاح الجو الإسرائيلي على طول قناة السويس في يوليو 1969
بعد أن عجزت قوات المشاة والمدرعات والمدفعية الإسرائيلية، التي كانت أقل تسليحًا من الجيش الإسرائيلي، والمتحصنة على الضفة الشرقية، عن مواجهة القوة النارية المصرية الهائلة دون مساعدة. في الواقع، كان سلاح الجو بمثابة مدفعية طائرة. في يناير/كانون الثاني 1970، وبعد ستة أشهر من الغارات الجوية التي فشلت في إسكات المدفعية المصرية، بدأ سلاح الجو الإسرائيلي، الذي اختبر قاذفات إف-4 فانتوم المقاتلة التي حصل عليها حديثًا، بمهاجمة معسكرات الجيش والأهداف الاستراتيجية في وادي النيل وقربه.
أجبرت هذه القصفات العميقة ناصر، الذي سافر إلى موسكو في 24 يناير/كانون الثاني، على طلب المساعدة السوفييتية واسعة النطاق في

الدفاع عن المجال الجوي المصري. ردّ السوفييت بسرعة، فأرسلوا بطاريات صواريخ سام، بما في ذلك أحدث صواريخ سام-3، مع طواقم سوفيتية، وأسرابًا من طائرات ميج-2، مع طيارين وأطقم أرضية سوفيتية. ومع ذلك، ورغم تراكم المعلومات الاستخبارية التي تُشير إلى الاتجاه الصحيح، بين أكتوبر ونوفمبر 1969، لم يتوقع جهاز الأمن والاستخبارات (أمان) وصول وحدات الدفاع الجوي السوفيتية إلى مصر. وقد أيّد تقييم جهاز الأمن والاستخبارات (أمان) لضعف احتمال نشر القوات السوفيتية تقييمًا مماثلًا لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

ابتداءً من أبريل/نيسان 1970، حلّقت دوريات جوية سوفيتية فوق وادي النيل، وأوقفت إسرائيل قصفها الجوي العميق. ثم بدأ السوفييت تدريجيًا في دفع بطاريات صواريخهم ودورياتهم الجوية شرقًا نحو القناة لتوفير غطاء للقوات المصرية في الخطوط الأمامية، التي كانت لا تزال تتعرض لقصف جوي يومي من سلاح الجو الإسرائيلي. ردّت إسرائيل بقصف قواعد الصواريخ السوفيتية الواقعة في أقصى الشرق. أرسل السوفييت طائرات ميج لحماية الصواريخ، فانحرف سلاح الجو الإسرائيلي مجددًا. لكن الأمر لم يكن سوى مسألة وقت قبل أن تصطدم الطائرات الإسرائيلية والسوفيتية. في نهاية يوليو/تموز 1970، أسقطت طائرات فانتوم إسرائيلية أربع أو خمس طائرات ميج يقودها طيارون سوفييت في اشتباك جوي واسع النطاق غرب القناة.

أدى الاحتمال المقلق لتصعيد المواجهات الإسرائيلية السوفيتية إلى دخول الأمريكيين في الصورة. وضع وزير الخارجية ويليام روجرز خطة لوقف إطلاق النار على طول القناة، ووافق الجميع على إنهائها. كان ناصر قد توصل منذ فترة طويلة إلى استنتاج مفاده أن حرب الاستنزاف التي شنها قد فشلت في تحقيق هدفها المتمثل في إخراج إسرائيل من القناة، ولم يرغب السوفييت ولا الإسرائيليون في مواجهة جادة. دخل وقف إطلاق النار حيز التنفيذ في 7 أغسطس/آب 1970.

لكن المصريين خرجوا بانتصارٍ بعيد المدى، كان له أثرٌ بالغٌ بعد ثلاث سنوات. في 8 أغسطس، وسعوا شبكة صواريخهم المضادة للطائرات شرقًا، حتى كادت تصل إلى ضفاف القناة. وكان الاتفاق الذي توسط فيه روجرز قد دعا إلى وقف إطلاق النار و"تجميد" الانتشار الإسرائيلي والمصري في 7 أغسطس. بنقل شبكة الصواريخ المضادة للطائرات، راهنت القاهرة على أن إسرائيل لن تلجأ إلى أعمال عدائية ردًا على انتهاكها لبند "تجميد الانتشار". وكان المصريون على حق: صمدت إسرائيل ولم تحرك ساكنًا.

ومن المفارقات أن أمان كان قد حذر الحكومة قبل أسابيع من أن المصريين سينتهكون على الأرجح بند "التوقف" وينقلون مظلة الصواريخ شرقًا. وبحلول أكتوبر 1970، كان هناك حوالي خمسين بطارية صواريخ سام على طول جبهة السويس، ستة عشر منها من طراز سام-3 يقودها جنود سوفييت. وعندما اشتكت إسرائيل لواشنطن من انتهاك المصريين للاتفاقية، أبلغ راي كلاين، رئيس وحدة الاستخبارات في وزارة الخارجية الأمريكية (INR)، البيت الأبيض أن الشكوى الإسرائيلية لا أساس لها. وعندما أخبر السفير الإسرائيلي إسحاق رابين ملحقه العسكري، الجنرال إيلي زعيرا، بما حدث، طلب زعيرا على الفور من تل أبيب إرسال مترجم فوتوغرافي ومجموعة من الصور الجوية تُظهر الانتشار المصري. وصلت هذه الصور إلى واشنطن في الوقت المناسب، واستُدعي زعيرا إلى البيت الأبيض، حيث عرض الأدلة على الرئيس نيكسون. ثم أمر نيكسون، غاضبًا من كلاين، البنتاغون بسحب حق النقض (الفيتو) الذي يتمتع به على عدة فئات من الأسلحة التي طلبها الإسرائيليون خلال الأشهر السابقة.

«الفجل» - الرسالة المشؤومة

لمدة ثلاث سنوات، بين صيف عام ١٩٧٠ وخريف عام ١٩٧٣، ساد الهدوء على طول حدود إسرائيل مع سوريا ومصر. بدا الوضع الراهن صامدًا. فقد تم احتواء المقاومة الفلسطينية المسلحة في الضفة الغربية وقطاع غزة بفعالية، وبينما جذبت الهجمات الإرهابية المروعة التي شنتها منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج اهتمامًا دوليًا، إلا أنها أكدت أيضًا عجزها المعنوي الأساسي في مواجهة عدوها القوي. رضت

إسرائيل. لكن العرب، الذين ظلوا يعتبرون احتلال مرتفعات الجولان وشبه جزيرة سيناء إهانةً دائمة، كانوا مصممين على إنهاء هذا المأزق.
في الساعة 1:55 من ظهر يوم السبت، 6 أكتوبر/تشرين الأول 1973، هاجم الجيشان السوري والمصري في آنٍ واحد مواقع إسرائيل الأمامية في الجولان وعلى الضفة الشرقية لقناة السويس. عمليًا، أُخذ جيش الدفاع الإسرائيلي على حين غرة. كان الإسرائيليون أقل تسليحًا وأكثر هزيمة في معظم النقاط.

في غضون دقائق أو ساعات. كانت هذه واحدة من أسوأ المفاجآت الاستراتيجية والتكتيكية غير السارة منذ غزو هتلر لروسيا عام ١٩٤١. وادعى قادة جيش الدفاع الإسرائيلي لاحقًا أن الجيش قد خُذل من قِبل جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) والموساد.
مع ذلك، كانت إسرائيل قد تلقت تحذيرًا فعليًا قبل ست وثلاثين ساعة من الهجوم الوشيك. في الساعة الثانية والنصف من صباح يوم الجمعة، الموافق 1 أكتوبر/تشرين الأول، وصلت برقية إلى رئيس الموساد، تسفي زامير، تحمل رسالة من أهم عميل في جهاز المخابرات. لم تتضمن الرسالة سوى كلمة "تسنون" (وتعني "فجل" بالعبرية)؛ وهي الكلمة المتفق عليها لـ "الحرب وشيكة"، وهو ما كان ينتظره الموساد وأمان لمدة أسبوعين، أسبوعين لم يتواصل خلالهما العميل، الذي وصفه مسؤول إسرائيلي رفيع المستوى بأنه "أفضل عميل عرفته أي دولة في زمن الحرب، ومصدرٌ خارق للطبيعة"، مع إسرائيل. قال رئيس مكتب زامير لاحقًا، وهو أول مسؤول إسرائيلي يطلع على البرقية ويستوعب أهميتها الصادمة: "لم نشهد مثلها من قبل". ووعدت الرسالة بمزيد من التفاصيل خلال الأربع والعشرين ساعة التالية.6
لم يُخبر زامير رئيسة الوزراء غولدا مائير، ولا وزير الدفاع ديان، ولا رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي ديفيد إليعازار بالرسالة. بعد دقائق، اتصل رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) إيلي زعيرا بزامير لإبلاغه بآخر المعلومات الاستخباراتية من مصر وسوريا؛ فأبلغ زامير نظيره العسكري بوصول الرسالة من مصدره الرئيسي. قال رئيس الموساد ببساطة: "إنها حرب. ليس لدينا موعد محدد، لكنها وشيكة".7 ومع ذلك، كان غياب موعد أو توقيت الهجوم أمرًا بالغ الأهمية. ومرة أخرى، دون إبلاغ رئيسة الوزراء، قرر زامير، بعد مشاورة قصيرة مع زعيرا، السفر إلى أوروبا للقاء المصدر شخصيًا والتحقق من التقرير.8 أراد تأكيدًا وكان بحاجة إلى موعد. جلس زعيرا على الرسالة، منتظرًا سماع رد زميله في الموساد.
أبلغ زيرا ديان برسالة "التنون"، لأنه في وقت لاحق من ذلك الجمعة، أشار وزير الدفاع إلى المعلومات الاستخباراتية التي تلقاها زامير "من صديقه"، وذكر أن رئيس الموساد سيتلقى تأكيدًا على محتواها قريبًا. غادر زامير منزله الساعة الخامسة صباحًا، وسافر جوًا والتقى بوكيله عند منتصف الليل. لم تُحسب بعد ذلك سوى ثلاث إلى أربع ساعات. اتصل زامير بزيرا الساعة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة صباح يوم السبت، 6

في أكتوبر/تشرين الأول، أُبلغ بأن المصريين والسوريين ينوون شنّ حرب في ذلك اليوم "عند غروب الشمس". وبعد ساعة تقريبًا، أُرسلت برقية مشفرة إلى مقرّ الموساد وزييرا.
يبدو أن زامير لم يُبلغ فورًا بالمعلومات التي حصل عليها حوالي منتصف ليل السادس من أكتوبر/تشرين الأول، لعدم وجود موظف تشفير في السفارة الإسرائيلية المحلية بسبب عطلة عيد الغفران. على أي حال، لم يُبلغ إلا في الساعة 3:45.

هل قرر التخلي عن احتياطات الأمن الأساسية والاتصال بالمعلومات عبر خط مفتوح؟
وشهد زيرا في وقت لاحق أمام لجنة أجرانات، التي حققت في الفشل الاستخباراتي الذي سبق الحرب، بأن كان هذا المصدر قد ذكر سابقًا عددًا من الأوقات والتواريخ لاندلاع الحرب، ولم تندلع. من المحتمل أن الحرب لم تندلع حينها لأن المصريين لاحظوا أننا حشدنا القوات في تلك التواريخ. ولكن من المحتمل أيضًا أن هذا المصدر كان دائمًا يُضلّلنا... على أي حال، هذه المرة [في 6 أكتوبر] ذكر المصدر بوضوح: اليوم!9
لا يزال المصدر الدقيق لرسالة الحرب المصيرية سرًا محفوظًا. وصفها ديان على النحو التالي: "لم تكن تقريرًا عن نشاط عربي في الميدان، بل رسالة استخباراتية تتعلق بقرار عربي بخوض الحرب. تلقينا رسائل مماثلة في الماضي، ولاحقًا، عندما لم يتبع ذلك أي هجوم، جاء التوضيح بأن الرئيس السادات غيّر رأيه في اللحظة الأخيرة."10
وفي حوالي الساعة الرابعة والنصف صباحاً اتصل المقدم أفنير شاليف، رئيس مكتب إليعازر، برئيس الأركان وأخبره أن "المعلومة التي كانوا ينتظرونها وصلت وكانت لا لبس فيها - وهي أن الجيشين المصري والسوري يعتزمان شن هجوم على إسرائيل في الساعة السادسة مساءً. وسوف يتم شن الهجوم في وقت واحد على جبهتي السويس والجولان".11
كان الخطأ أو التضليل بشأن توقيت الهجوم السوري المصري المشترك - "السادسة مساءً" - حاسمًا وذا قيمة كبيرة للجانب العربي. في الواقع، بدأ الهجوم قبل أربع ساعات كاملة، الساعة الواحدة وخمس وخمسين دقيقة ظهرًا، مما أدى إلى تسلل العديد من الوحدات الإسرائيلية بين القواعد الخلفية ومواقع الخطوط الأمامية.

يبدو أن المعلومة الاستخباراتية الأصلية كانت دقيقة أو أكثر دقة. ولكن، كما اتضح في تحليل لاحق، في مكان ما أثناء نقلها، قبل أن تصل إلى القادة العسكريين الإسرائيليين، تم تحريف الرسالة، التي كانت تتحدث عن اندلاع الحرب خلال "ساعات ما بعد الظهر" أو "قبل غروب الشمس"، وحُوِّلت إلى "السادسة مساءً" أو "غروب الشمس" الأكثر دقة.12 حدث غروب الشمس في 6 أكتوبر/تشرين الأول 1973 الساعة 5:20 مساءً. ألقت لجنة أغرانات اللوم على زيرا ونائبه، مدير إدارة أبحاث أمان، العميد أريبه شاليف، في التوقيت الخطأ.13
في اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلي صباح السادس من أكتوبر، قالت رئيسة الوزراء مائير إن "الحرب ستبدأ الساعة السادسة من مساء اليوم... أو ربما المقصود هو الرابعة". ووصفت وصول الرسالة المشؤومة بأنه "معجزة".14 وقال ديان إنه افترض أن العرب سيطلقون النار الساعة الخامسة.
شكك وزير التجارة والصناعة حاييم بارليف، سلف إليعازر في رئاسة أركان جيش الدفاع الإسرائيلي، في تقرير الساعة السادسة مساءً، معتبرًا إياه بلا معنى عسكري. وأيّد وزير التعليم يغال ألون، وهو لواء في حرب ١٩٤٨، بارليف. لكن إليعازر أصرّ على أن هذه هي الرسالة وأنها موثوقة.١٥

خطة الحرب العربية
كان أمان على علم بخطة مصر للهجوم عبر قناة السويس - حتى العديد من تفاصيلها العملياتية الدقيقة، بما في ذلك تكوين موجات الهجوم والجداول الزمنية وأهداف المدرعات والمدفعية - منذ نهاية عام 1971.16 بناءً على مناورة عبور قناة مصرية واسعة النطاق في ذلك الشتاء والتدريبات السابقة الأصغر في

السنوات السابقة، تمكن قسم الأبحاث في أمان من تجميع معظم الخطة. في تحليله نصف السنوي المكتوب في منتصف عام 1972، قيم القسم أن القيادة العليا المصرية رفضت فكرة حرب استنزاف متجددة وكانت تخطط لعبور قناة واسع النطاق، بهدف الاستيلاء على أجزاء من سيناء شرقًا حتى ممرات متلا وجدي الحيوية استراتيجيًا.

دعت الخطة المصرية، التي أُطلق عليها اسم "عملية بدر"، إلى هجوم على مرحلتين عبر الممر المائي، حيث تُنشئ خمس فرق مشاة خمسة رؤوس جسور منفصلة بعمق عشرة كيلومترات (والتي ستنضم في النهاية إلى جبهة متصلة) وكتائب من الكوماندوز المحمولة جواً لتعطيل المؤخرة الإسرائيلية عند مفترق طرق رئيسي. كانت الفرق الخمس - 18 و2 و16 و17 و19 - العناصر الرئيسية لجيشين، الجيش الثاني والثالث، والذي ضم أيضًا ثلاث فرق مدرعة. (تم ترك جيش أول، يتكون من فرقتين ميكانيكيتين وفرقة واحدة من القوات الخاصة، للدفاع عن القاهرة ووادي النيل.) كان من المقرر أن يتبع هجوم المشاة مرحلة ثانية، حيث ستعبر فرقتان مدرعتان ولواءان مدرعان مستقلان الممر المائي، وتتحركان عبر رؤوس الجسور وتتقدمان حتى الممرات. ومن المقرر في الوقت نفسه أن تسيطر قوة مشتركة منفصلة من الوحدات البحرية والقوات المظلية على شرم الشيخ في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة سيناء.
بحلول منتصف عام 1973، كانت الخطة معروفة لأمان تقريبًا في مراحلها النهائية.
على هذا الصعيد، أخطأت استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي في جهلها بأنه، خلافًا للوثائق العسكرية السوفيتية المتعارف عليها لعبور العوائق المائية، فرض المصريون استراحةً اصطناعية أو "توقفًا عملياتيًا" بين عبور الموجة الأولى وتوطيدها وبدء مرحلة الاختراق الثانية المدرعة. لو كان جيش الدفاع الإسرائيلي على علم بذلك، لما أهدر كتائب دبابات كاملة في الهجمات المضادة الفاشلة والدموية على رؤوس جسور المشاة في 8 أكتوبر، خوفًا لا أساس له من أن المصريين ينوون التقدم فورًا نحو ممري متلا وجدي. وضع السادات والجنرال سعد الدين الشاذلي الخطوط الرئيسية للخطة. كما كان العديد من تفاصيل خطة الحرب السورية على علم بها جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) - كما صرّح زيرا في اجتماع لكبار قادة جيش الدفاع الإسرائيلي في 5 أكتوبر.11
كانت معرفة خطة أو خطط الحرب العربية شيئًا، والاعتقاد بأن العرب ينوون الحرب حقًا كان أمرًا آخر تمامًا. في خريف عام ١٩٧٣، عجز القادة السياسيون والعسكريون الإسرائيليون عن الانتقال من هذه المعرفة إلى هذا الاعتقاد. وكان منعهم، إن جاز التعبير، هو ما أصبح يُعرف في

اللغة العبرية باعتبارها "كونتسيبتزيا" (مفهوم)، أو مجموعة من الافتراضات الخاطئة المتشابكة.

"المفهوم" أو الافتراضات الخاطئة
بعد تولي الرئيس أنور السادات رئاسة مصر خلفًا لجمال عبد الناصر في سبتمبر 1970، بدأ يُعلن عن نيته تجديد الحرب مع إسرائيل. وفي أوائل عام 1971، أعلن أن ذلك العام هو "عام الحسم". لكن عام 1971 مرّ دون تجدد للأعمال العدائية. وقد أقنع هذا، إلى جانب عوامل أخرى، قسم الأبحاث في معهد أمان، وهيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي، والقادة السياسيين في البلاد بأن الزعيم المصري الجديد لم يكن جادًا في كلامه. ووصفه الكثيرون بأنه "مهرج".

خلال أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، ساد اعتقادٌ مفاده أن العرب لا ينوون تجديد الحرب ضد إسرائيل، وأنهم غير قادرين على ذلك، على المديين القريب والمتوسط. واستند هذا الاعتقاد إلى عدة افتراضات: (1) الهزيمة الساحقة التي ألحقتها إسرائيل بالجيوش العربية عام 1967، واستمرار سيطرتها على الأراضي المحتلة، مما وفر لها عمقًا إقليميًا، منحها تفوقًا عسكريًا غير مسبوق، وهو أمرٌ كانت الدول العربية تدركه تمامًا؛ (2) لن تجرؤ سوريا بمفردها على المخاطرة بحرب ضد إسرائيل؛ (3) لن تخاطر مصر بخوض الحرب طالما أنها ضعيفة جوًا، من حيث الطائرات والدفاعات المضادة للطائرات.18

ظلّ تقييم أمان العام للمخططات العربية حتى 5 أكتوبر/تشرين الأول 1973، أي قبل يوم من يورن كيبور، قائمًا على أن الحرب "مستبعدة للغاية" أو "غير محتملة". كان هذا الافتراض الخاطئ جوهريًا هو أساس الخطأ الاستخباراتي الفادح - "المهدَل"، على حدّ تعبير ما بعد الحرب العبرية - الذي كاد أن يُفضي إلى كارثة ويُغيّر وجه الشرق الأوسط لسنواتٍ تلت.

استند رفض إسرائيل لإمكانية الحرب إلى ازدراءٍ مُفرطٍ للعرب. تجاهل الإسرائيليون ببرودٍ التصريحات المصرية المتكررة بأن الوضع الراهن لا يُحتمل وأن الحرب حتمية. قال تسفي زامير لاحقًا:

ببساطة، لم نكن نعتقد أنهم قادرون. في الواقع، كانت هذه أيضًا مشكلتي الشخصية، فقد كنا نحتقرهم. قال لي أحد اللواءات: "ضعوا جميع قواتهم المظلية المزودة بصواريخ ساغر [الصواريخ المضادة للدبابات التي دمرت دروع إسرائيل] على تلة، وسأبيدهم بدبابتين". حتى عندما تلقينا معلومات موثوقة عن مدفع المياه، الذي كانوا ينوون استخدامه لاختراق الضفاف الترابية على خط بارليف، كان هناك نفس رد الفعل الرافض: أي مدفع مياه؟!19

في أعلى مستويات الحكومة الإسرائيلية، وخاصةً في وزارة الخارجية، كان هناك من لم ينخدعوا بـ"الكونتسيبتسيا". كتب جدعون رافائيل، وهو دبلوماسي رفيع المستوى، لاحقًا:

تجرأ بعضنا على مخالفة هذا الرأي. فبغض النظر عن التطورات الملحوظة منذ بداية عام ١٩٧٣، أصبحت تقييمات الاستخبارات أكثر ثقةً وانتشارًا. وتوقعت باستمرار استمرار وقف إطلاق النار دون أي عائق. من الذي أثّر على من؟ من الصعب الجزم. وسيظل السؤال: هل كان الجيش هو من هدّأ عقول السياسيين، أم أن الشعور الوطني بالرضا هو الذي خفّف من يقظة العسكريين، موضوع تكهنات تاريخية ونفسية. على أي حال، كانت عملية تلاقح أدت إلى كارثة.

الخداع السياسي العربي

عنصر مهم من عناصر الخداع - سواء السياسي أو العسكري

كان هذا جزءًا لا يتجزأ من خطط الحرب المصرية السورية. وتزامنت سلسلة من الأحداث المتزامنة خلال الأشهر والأيام التي سبقت الحرب مع حملة التضليل المتعمدة، وساهمت في تضليل الإسرائيليين لما كان يحدث أو على وشك الحدوث. وقد أدت هذه الأحداث إما إلى صرف الانتباه عن الاستعدادات العربية للحرب، أو إلى خداع المراقبين والمستمعين الإسرائيليين ودفعهم إلى الاعتقاد بأن ما يرونه لم يكن استعدادات للحرب. وقد نجحت حملة التضليل العربية - مما أثار دهشة مُدبّريها.

ومن المفارقات أن التصريحات العلنية المتكررة للرئيس السادات عن نواياه خلال عام 1972 والنصف الأول من عام 1973 أدت إلى إغماض أعين الناس عن حقيقة ما حدث.

كان قادة إسرائيل يتحدثون عن استعدادات مصر الحقيقية للحرب. بدت تصريحاتهم في أذهان الإسرائيليين وكأنها تكرار لما حدث. لقد انتهى "عام الحسم" للسادات. واتسم العام التالي بنمط مماثل. في الأول من مايو عام 1972، أعلن السادات: "في حربنا القادمة، لن أكتفي بتحرير الأرض. يجب أن تتوقف وقاحة إسرائيل وغطرستها التي دامت ثلاثة وعشرين عامًا. وكما قلتُ سابقًا: أنا مستعد للتضحية بمليون إنسان في هذه المعركة". في نوفمبر، أبلغ الرئيس حزبه الحاكم، الاتحاد الاشتراكي، أن مصر ستخوض الحرب في غضون ستة أشهر، أو عام على الأكثر. في ديسمبر، أبلغ السادات مجلس الأمن القومي التابع له أن الجهود المبذولة للتوصل إلى حل دبلوماسي قد فشلت: فالسبيل الوحيد "لتحرير الأراضي المحتلة" هو الحرب.21
لقد قوّضت تهديدات السادات المتكررة مصداقيته، وأصبح الأمر أشبه بـ"الذئب الكاذب". طوال ربيع وصيف وخريف عام ١٩٧٣، تُرجم تجاهل إسرائيل للسادات إلى تجاهل لتهديداته. كما تحوّل تجاهل تصريحاته العلنية إلى تجاهل خاطئ للنشاط الميداني. وكان هذا عاملاً حاسماً في تهدئة إسرائيل.
وهكذا فإن إعلان إذاعة القاهرة في 11 سبتمبر/أيلول 1973 بأن هدف الاجتماع الذي عقد آنذاك في العاصمة المصرية بين السادات والملك حسين ملك الأردن كان "مناقشة الاستعدادات للمعركة المصرية ضد إسرائيل" لم يؤخذ على محمل الجد في القدس.22
استُخدم خطاب السادات في ذكرى وفاة عبد الناصر في 28 سبتمبر 1973 - أي قبل أسبوع من الحرب - لتضليل المستمعين الإسرائيليين، الذين كانوا قلقين آنذاك من تزايد تمركز القوات المصرية والسورية على طول الحدود. لم يتضمن الخطاب شرحًا مطولًا لضرورة قتال إسرائيل، وبدا تأكيد السادات بشكل مبهم أن تحرير الأرض لا يزال الأولوية القصوى، مجرد كلام فارغ. قال: "إن شاء الله سنحقق هدفنا".

تحويل في شوناو
استُكمل الخداع السياسي بعمليات تحويل خلال العد التنازلي للحرب. وكانت أخطر هذه الخدعة، التي حوّلت

لقد كانت قضية شوناو سبباً في تحويل الاهتمام السياسي والاستخباراتي الإسرائيلي من الشرق الأوسط إلى أوروبا لمدة خمسة أيام حيوية.
في 28 سبتمبر/أيلول، احتجز إرهابيان عربيان قطارًا قادمًا من تشيكوسلوفاكيا يحمل منحًا إيمي يهودية سوفيتية على الحدود النمساوية. واحتجز المسلحان رهائن يهودًا ونمساويين، وطالبا بإغلاق معسكر شوناو المؤقت في فيينا، الذي كان بمثابة محطة لليهود السوفييت المهاجرين إلى إسرائيل، كثمن لإطلاق سراح الرهائن. استسلم المستشار النمساوي برونو كرايسكي بسرعة. أثار هذا الخضوع للإرهاب غضب إسرائيل، وفي 1 أكتوبر/تشرين الأول، سافرت رئيسة الوزراء مائير إلى فيينا لمحاولة إقناع كرايسكي (وهو يهودي كان يُنظر إليه في القدس على أنه "خائن" نوعًا ما بسبب ميوله المؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية) بإلغاء إغلاق شوناو. لكنها فشلت. في 3 أكتوبر/تشرين الأول، أبلغت زملاءها في مجلس الوزراء بمرارة أن كرايسكي لم يقدم لها حتى كوبًا من الماء.

لكن دراما الاختطاف، واستسلام كرايسكي، ومهمة مائير الفاشلة إلى فيينا، ساهمت جميعها في صرف انتباه إسرائيل عن التطورات المشؤومة القريبة منها. ولكن هل كانت حادثة شوناو في الواقع جزءًا من عملية الخداع؟ الأدلة غامضة. لم يدّعِ أي زعيم عربي ذلك، ولكن من الصعب توقع أن يعلنوا مسؤوليتهم عن هجوم إرهابي، مهما كانت دوافعه الخفية. ينتمي المسلحون إلى الصاعقة، وهي فرع من منظمة التحرير الفلسطينية تديره الحكومة السورية. يكاد يكون من غير المعقول أن ينطلقوا في مهمة سياسية حساسة كهذه دون ضوء أخضر من دمشق. وقبل أيام قليلة فقط، ندد زعيم المنظمة، زهير محسن، بالهجمات الإرهابية في الخارج ووصفها بأنها "أعمال مراهقة". ومع ذلك، فقد خدم هذا الهجوم بشكل مفيد في جذب اهتمام إسرائيل لمدة أربعة أو خمسة أيام حاسمة.21

ما حدث في القدس وتل أبيب، نتيجةً للأحداث على الحدود النمساوية التشيكية وفي فيينا خلال تلك الأيام الأولى من أكتوبر، كان، إلى حدٍّ ما، نموذجًا مصغرًا لتضليل طاقات الاستخبارات الإسرائيلية الذي حدث منذ عام ١٩٧٠، وبشكلٍ أكثر تحديدًا، منذ عام ١٩٧٢ فصاعدًا. أدى تزايد الهجمات الفلسطينية على أهداف إسرائيلية ويهودية في الخارج إلى تحويل موارد الاستخبارات تدريجيًا بعيدًا عن...

الجيوش العربية النظامية تتجه نحو مكافحة الإرهاب. وقد ازداد هذا التحول في التركيز حدةً بعد مذبحة ميونيخ للألعاب الأولمبية في سبتمبر/أيلول 1972. وزعمت مصادر عربية لاحقًا أنه منذ حرب الأيام الستة، سحبت إسرائيل عددًا كبيرًا من عملائها من سوريا ومصر، "لأنها توقفت عن التعامل بجدية مع خطر الحرب، وقررت التركيز على اختراق المنظمات الإرهابية".24

ربما كان من العوامل الإضافية التي ساهمت في عمى إسرائيل في الأشهر التي سبقت الحرب انكشاف العديد من عملاء الموساد ذوي المناصب الرفيعة في مصر في ذلك العام. اثنان منهم، ضابط كبير في سلاح الهندسة المصري وصديقته، أُلقي القبض عليهما في يونيو 1973 وأُعدما بعد عام بعد أن اكتشف موظف بريد في القاهرة ما اتضح أنه رسالة دقيقة مشفرة على ظهر طابع بريد. احتوت الرسالة على معلومات حول قواعد الصواريخ. كان نبيل النحاس، رئيس القسم الفني لمنظمة التضامن الأفروآسيوية في القاهرة، عميلاً إسرائيلياً مهماً ومخضرماً آخر في مصر. اعتُقل في منتصف نوفمبر 1973، لكن يبدو أنه كان تحت المراقبة المطولة وتم تحييده لبعض الوقت قبل اعتقاله. أُعلن عن القبض على ستة عشر مصرياً آخرين متهمين بالتجسس لصالح إسرائيل، وفي بعض الحالات إعدامهم، في عام 1974. كان معظمهم قد اعتُقلوا في عام 1973.2 5

كان إبراهيم شاهين أحد العملاء الإسرائيليين النشطين حتى عشية يورن كيبور، حيث عمل مع زوجته، ثم أبنائه الثلاثة، على تصوير ورسم خرائط "مواقع ميدانية" مثل مواقع الخنادق والمطارات وقواعد الصواريخ وانتشار الوحدات المختلفة. جنّد جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) شاهين، وهو فلسطيني، في العريش بعد وقت قصير من احتلال سيناء عام ١٩٦٧، وكعميل ذي رتبة منخفضة، طُلب منه أولاً تقديم معلومات تبدو بريئة - مثل تفاصيل أسعار المواد الغذائية وأجور النقل - قبل أن يُنقل إلى الشؤون العسكرية ودفع رواتب منتظمة من مراقبيه. قدّم معلومات استخباراتية عن تحركات عسكرية كثيفة بشكل غير عادي في منطقة قناة السويس قبل حوالي شهر من يورن كيبور، ولكن زُعم لاحقًا أن هذه المعلومات لم تصل إلى إسرائيل إلا بعد الحرب. أُلقي القبض على شاهين في أغسطس/آب ١٩٧٤ وأُعدم شنقًا عام ١٩٧٧,٢٦

وفي أوائل سبتمبر/أيلول 1973 جددت مصر والأردن علاقاتهما الدبلوماسية.

العلاقات المصرية الإسرائيلية، التي قطعتها القاهرة في مارس/آذار 1972 عندما نشر الملك حسين خطته لإنشاء اتحاد أردني فلسطيني. وقد فشلت الاستخبارات الإسرائيلية في ربط هذه الخطوة باستعدادات مصر للحرب.
طوال معظم عام 1973، عقد الوزراء المصريون محادثات شبه متواصلة مع الحكومات الغربية، حيث "تحدثوا بلغة سلمية... بينما تم تشجيع الصحافة والإذاعة على تضخيم قلق مصر وسوريا بشأن البحث عن حل سلمي للصراع في الشرق الأوسط...".21 وفي نهاية سبتمبر/أيلول، اتفق وزراء الخارجية الإسرائيليون والعرب على الاجتماع سراً في الولايات المتحدة في نوفمبر/تشرين الثاني لمناقشة إجراءات المفاوضات الجوهرية.28
ذكرت صحيفة الأهرام في أوائل أكتوبر/تشرين الأول أن وزير الدفاع المصري، إسماعيل علي، كان من المقرر أن يلتقي نظيره الروماني في القاهرة يوم 8 أكتوبر/تشرين الأول.29 وفي اليوم الذي بدأت فيه الحرب، أرسل الرئيس السادات مبعوثًا يحمل تحياته لقادة الجالية اليهودية في مصر بمناسبة عيدهم الكبير، عيد الغفران.30 لكن محللًا إسرائيليًا واحدًا على الأقل خلص إلى أن المصريين لم يكن لديهم آمال كبيرة في الخداع السياسي ولم يستثمروا فيه كثيرًا. كان السادات يعتقد أن إعداد شعبه للمعركة أهم بكثير من خداع العدو. وفي زياراته وخطاباته للوحدات المصرية خلال العد التنازلي، حاول الرئيس عمدًا خلق "شعور واضح بأن الحرب [القادمة] ضرورية".31
وكان هناك خداع سياسي من جانب سوريا أيضاً: فقد أعلن راديو دمشق في الرابع من أكتوبر/تشرين الأول أن الرئيس الأسد سيبدأ في العاشر من أكتوبر/تشرين الأول جولة تستغرق تسعة أيام في المحافظات الشرقية لسوريا.

الخداع العسكري الفوري
كان الخداع أحد الأسلحة الرئيسية لمصر قبل 6 أكتوبر، مع أن السادات لم يشترط نجاح خطة الخداع لبدء الحرب. في الواقع، قدّرت المخابرات المصرية أن إسرائيل ستتلقى "تحذيرًا ملموسًا من ثلاثة إلى خمسة عشر يومًا" قبل الهجوم الوشيك. وتوقعت أن تكون الهجمات المضادة الإسرائيلية في أفضل الأحوال...

شُنّت هجماتٌ على رؤوس الجسور المُحتملة على الضفة الشرقية للقناة بعد أربعٍ وعشرين ساعةً من بدء العملية؛ وفي أسوأ الأحوال، كان من المُرجّح أن يحدث ذلك بعد ست إلى ثماني ساعات من العبور. وقد فاجأ نجاح الخداع القيادةَ العليا المصرية بلا شك.
كان العنصر الرئيسي للخداع في "عملية بدر" هو أنها وقعت في إطار، وفي نهاية، مناورة حظيت بتغطية إعلامية واسعة النطاق باسم "تحرير 41". خُدعت أمان وأذرع الاستخبارات الإسرائيلية الأخرى بالاعتقاد بأن التحركات الضخمة للقوات على الجانب المصري من القناة كانت كلها جزءًا من مناورة عبور القناة بدلاً من الاستعدادات للشيء الحقيقي.33 في عام 1970، وزعت شعبة البحوث العسكرية بوزارة الحرب المصرية على قادة الفرق ورقة عن الخداع أثناء عبور قناة السويس - قبل مناورة عبور القناة، التي حملت الاسم الرمزي "تحرير 41"، والتي كان من المقرر إجراؤها في أكتوبر من ذلك العام. حددت ورقة عام 1970

وسائل الخداع المختلفة التي سيتم استخدامها وشرحت كيف سيتم تحويل "المناورة" إلى هجوم حقيقي في يوم النصر.
لقد كان نجاح خدعة "تحرير 41" عظيماً لدرجة أن
رفض رئيس جهاز الأمن الإسرائيلي، إيلي زعيرا، مرارًا وتكرارًا مختلف الإجراءات المصرية المتخذة خلال المناورات (مثل إعلان حالة التأهب القصوى في القطاعين الشمالي والوسطى من منطقة القناة، إلخ) معتبرًا أنها نابعة من مخاوف مصرية من استغلال إسرائيل للمناورات لشن هجوم. حتى أن زعيرا استخدم هذه الحجة في اجتماع لكبار الضباط في 5 أكتوبر/تشرين الأول، قبل ستة وعشرين ساعة من اندلاع الحرب.34
بدأت "التحرير 41" في الأول من أكتوبر، وكان من المقرر أن تستمر حتى السابع من أكتوبر عام 1973. ونص الأمر العملياتي، الصادر في الثلاثين من سبتمبر، على أنه مع الإعلان عن كلمة سرّ مُعدّة مسبقًا، ستتحول المناورة إلى هجوم حقيقي. استُدعي جنود الاحتياط المصريون في سبتمبر على دفعتين، وسُرّح العديد من جنود الدفعة الأولى بشكل مُباشر في الأيام الأولى من أكتوبر. وأصدرت القيادة العليا تعليمات مُسبقة لجنود الاحتياط المُسرّحين بالعودة إلى العمل بعد السابع من أكتوبر. وبالمثل، أُعلن عن استئناف الدراسة في كلية الأركان والقيادة المصرية والأكاديمية الحربية.

في 9 أكتوبر. أُعلنت التعليمات للضباط الراغبين في المغادرة أثناء التدريب لأداء العمرة، وهي رحلة الحج الصغيرة إلى مكة، في جريدة الأهرام وشبكات الاتصالات العسكرية التي كان من المؤكد أن أمان تراقبها. نُقلت معدات الجسر إلى القناة قبل أسابيع. ثم أُخفي بعضها في مخابئ تحت الأرض قريبة، ونُقل بعضها الآخر بشكل ظاهري إلى القواعد العسكرية الرئيسية على طول نهر النيل خلال الأيام الأخيرة قبل الحرب. في 4 أكتوبر، أفادت وسائل الإعلام المصرية بتسريح 20 ألف جندي احتياطي. مباشرة قبل الهجوم في صباح 6 أكتوبر، نشر المصريون فرقًا خاصة من القوات على طول القناة؛ كانت مهمتهم التحرك بدون خوذات أو أسلحة أو قمصان، والسباحة، وتعليق خيوط الصيد، وتناول البرتقال.35
كان الخداع العسكري المصري فعالاً للغاية.
في اجتماع هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي في الأول من أكتوبر، وصف زيرا "تحرير 41" بإسهاب، واستبعد فكرة أن تكون هذه المناورات العملاقة تمويهًا لهجوم حقيقي. وأشار رئيس جهاز المخابرات العسكرية (أمان) إلى أن القيادة العليا المصرية أصدرت تعليمات لوحداتها بتجديد إجازاتها في الثامن من أكتوبر، أي في اليوم التالي لنهاية المناورات. وقد سُمح لبعض الضباط بأداء فريضة الحج في مكة، وهو أمرٌ كان من الصعب توقعه في حال التخطيط لحرب.36 وفي صباح الخامس من أكتوبر، وفي اجتماع لكبار قادة الجيش، استشهد زيرا، الذي كان لا يزال يُجادل بأن "الاحتمال ضعيف"، بتقرير يفيد بأن الضباط المصريين الذين أُرسلوا إلى منطقة القناة للمشاركة في المناورات تلقوا أوامر بالعودة إلى القاهرة في الثامن من أكتوبر.37 كانت الصورة كاملة - وخاطئة تمامًا.
أفادت وسائل إعلام لبنانية وسورية في الثاني من أكتوبر/تشرين الأول أن الجيش السوري وُضع في حالة تأهب تحسبًا لضربة إسرائيلية استباقية محتملة. عزز هذا ميل أمان الطبيعي للاعتقاد بأن الانتشار السوري كان دفاعيًا بالفعل. وربطت أمان حالة التأهب التي أُعلنت في اليوم نفسه في القطاعين الشمالي والأوسط من القناة بـ"تحرير 41".38 وكان من أهم أسباب النجاح الباهر لخطة الخداع أن القيادة العليا المصرية نفذتها مع مراعاة المراقبة الإسرائيلية وقواتها.

في الأشهر التي سبقت الأول من أكتوبر، لم يكن يعلم بالحرب المُخطط لها في الخريف سوى عشرة وزراء وجنرالات مصريين، وعدد مماثل من السوريين. وشمل ذلك الرئيسين السادات والأسد، ووزيري الحرب والقائدين العامين، ومديري العمليات، ومديري المخابرات العسكرية، وقائدي القوات الجوية وشبكات الدفاع الجوي. أما على الجانب المصري، فكانت الخطة بأكملها على ما يبدو على علم بها السادات ووزير حربه إسماعيل علي فقط. 39 ولم يُبلّغ قادة الفيالق والفرق في الجيش المصري، وضباط هيئة الأركان العامة المكافئين، بالحرب إلا في الأول من أكتوبر في اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية. 40 وعلم نظراؤهم السوريون بالحرب ويوم النصر في اجتماع مماثل في دمشق. ولم يعلم قادة الألوية والكتائب في كلا الجيشين بالهجوم الوشيك إلا في الخامس من أكتوبر أو صباح اليوم التالي، أي في اليوم الفعلي للهجوم. أما الغالبية العظمى من الضباط والجنود المصريين والسوريين فقد علموا بالأمر قبل ساعة أو ساعتين فقط من بدء الهجوم الفعلي.

خلال الأيام الأخيرة من العد التنازلي، امتنع القادة العسكريون والسياسيون السوريون والمصريون، الذين تعلموا الدرس المرير من قدرات اعتراض إشارات Sigint الإسرائيلية عام ١٩٦٧، تمامًا عن تبادل الرسائل عبر الهاتف أو الراديو أو الكابلات. وتم تسهيل أمن الاتصالات بواسطة جهاز سويسري سويدي متطور يُدعى Cryptovox، والذي أُدخل إلى الجيش السوري عام ١٩٧٢,٤١

العد التنازلي للحرب وفشل إسرائيل الاستخباراتي: من 1972 إلى 6 أكتوبر 1973

في منتصف يوليو 1972، طردت مصر 20 ألف مستشار سوفيتي من جيشها. فسّر أمان هذه الخطوة على أنها إشارة إلى قرار السادات بعدم خوض حرب مع إسرائيل في الوقت الحالي، إذ بدا أن الطرد يعني أيضًا، ولو مؤقتًا، وقفًا لشحنات الأسلحة السوفيتية إلى مصر وإضعافًا عامًا لجيشها. وفي تبريره لهذه الخطوة لاحقًا، انتقد السادات موسكو علنًا لتقصيرها في تزويد مصر بأنواع معينة من الأسلحة التي كان الأمريكيون يزودونها طواعيةً.

عزز هذا اعتقاد أمان بأن السادات كان مدركًا لضعف جيشه مقارنةً بالجيش الإسرائيلي، فرفض الخيار العسكري. في الواقع، كان دافع السادات جزئيًا هو رغبته في التحرر من القيود السوفيتية؛ فلم يكن ليسمح لموسكو باستخدام حق النقض (الفيتو) ضد قرار خوض الحرب.

وفقًا لأمان، كان طرد السادات للمستشارين السوفييت يهدف أساسًا إلى إقناع الولايات المتحدة بأن مصر قد انفصلت عن الاتحاد السوفييتي وأنها عازمة على التوصل إلى حل سياسي للصراع في الشرق الأوسط، وهو حل لا يمكن إلا لواشنطن أن تصممه أو تتوسط فيه. لكن الأمريكيين فشلوا في الرد بالمثل من خلال ممارسة ضغط جدي على إسرائيل لتقديم تنازلات.42 في وقت ما من ذلك الخريف، توصل السادات إلى استنتاج مفاده أن الحرب يجب أن تكون أحد خياراته الرئيسية. ومع ذلك، فقد واصل التحركات الدبلوماسية على أمل أن يتمكن الضغط الأمريكي أو الأمريكي السوفيتي من انتزاع تنازلات من إسرائيل ونوع من الانسحاب الإسرائيلي دون حرب. بحلول أوائل ربيع عام 1973، يبدو أن السادات قد أصبح مقتنعًا بأن

الخيار الدبلوماسي لا يؤدي إلى أي شيء. وقد تعزز هذا الانطباع بالاجتماع السري غير المثمر بين مستشاري الأمن القومي لإدارة نيكسون ونظام السادات، هنري كيسنجر وحافظ إسماعيل، في فبراير من ذلك العام.
الاستعدادات للحرب في كريت وصلت إلى ذروتها.43
ظهرت أولى الدلائل الرئيسية على تفكير السادات الجاد في القتال عندما استبدل وزير حربه، الفريق أول محمد أحمد صادق، بالفريق أول أحمد إسماعيل علي، الذي تولى القيادة في الأول من نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٧٢. ويُعتقد أن صادق فضّل نهج "الكل أو لا شيء" المتجسد في خطتي الجيش المصري "جرانيت ٢" و"جرانيت ٣"، واللتين دعتا إلى هجوم مصري شامل يهدف إلى غزو شبه جزيرة سيناء بأكملها، وربما قطاع غزة أيضًا. أما السادات، بدعم من رئيس أركان جيشه، سعد الدين الشاذلي، فقد آمن فقط بإمكانية شن حرب محدودة عبر قناة السويس، مع التوقف عند معابر سيناء.٤٤
خلال فصل الشتاء، عزز المصريون دفاعاتهم على ضفاف القناة بقوة. وعُدِّلت خطة عبور القناة مرارًا وتكرارًا، وظل المفهوم الحاسم لـ"التوقف العملياتي" - بين عبور موجة المشاة الأولى وتعزيزها، و

تم إدخال الدفعة الثانية المدرعة إلى الداخل. زار حافظ إسماعيل ووزير الحربية إسماعيل علي موسكو في يناير وفبراير 1973 وأبرما اتفاقيات جديدة لشراء الأسلحة.
زار إسماعيل دمشق مرة واحدة على الأقل في فبراير لتنسيق الاستراتيجية مع السوريين، وربما لحثهم على الانضمام إلى الهجوم الفعلي. وبينما لم يبدو السوريون متحمسين في البداية، اتفق السادات والأسد في 23 أبريل 1973 على مبدأ هجوم مشترك ومتزامن قبل نهاية العام. وشُكِّل مجلس عسكري مشترك لتنسيق الاستعدادات. وفي 2 مايو، اجتمعت القيادة العليا للجيشين لتنسيق الهجوم الجوي وجوانب أخرى من يوم النصر.45
في أواخر أغسطس، قررت الدولتان شن الحرب بين 7 و11 سبتمبر، أو بين 5 و11 أكتوبر، وتم الاتفاق على أن تُخطر مصر سوريا قبل خمسة أيام من يوم النصر. ويبدو أن تاريخ السادس من أكتوبر لم يُختر إلا في 12 سبتمبر، خلال قمة السادات والأسد السرية في القاهرة (ووفقًا لبعض الروايات، في 1 أو 2 أكتوبر فقط، خلال اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية). في 3 أكتوبر، سافر وزير الحرب إسماعيل علي مرة أخرى إلى دمشق وأبلغ السوريين بالموافقة المصرية النهائية على هذا التاريخ. في هذا الاجتماع، اتفق الجيشان على موعد الساعة الرابعة. فضّل السوريون الهجوم عند الفجر (مع وجود الشمس خلف صفوفهم المهاجمة)؛ بينما فضّل المصريون غروب الشمس. كان الموعد النهائي هو الساعة الثانية ظهرًا. ويبدو أن المصريين أبلغوا السفير السوفيتي في القاهرة في 3 أكتوبر بنية مصر "انتهاك وقف إطلاق النار". في اليوم التالي، أبلغ الأسد السفير السوفيتي في دمشق بموعد الساعة الرابعة.46
منذ أبريل ١٩٧٣، التقطت الاستخبارات الإسرائيلية إشارات قوية على استعدادات مصرية وسورية للحرب. في أوائل ذلك الشهر، هبط سرب من ست عشرة طائرة هنتر عراقية وسرب من ست عشرة طائرة ميراج ليبية في مصر لدعم سلاح الجو المصري. وأشارت مصادر استخباراتية - بما في ذلك المصدر الرفيع المستوى نفسه الذي زوّد الموساد بالإنذار النهائي الحاسم "tsnon" في ٦ أكتوبر - إلى أن السادات قد قرر يوم ١٥ مايو كيوم النصر لهجوم من خمس فرق لعبور القناة.٤٧

وبدأ جيش الدفاع الإسرائيلي الاستعداد للهجوم المحتمل؛ وأطلق على العمليات - التي شملت تعبئة بعض وحدات الاحتياط وتعزيز التحصينات وفخاخ الدبابات وحقول الألغام في الشمال والجنوب - اسم "كاحول لافان" (أزرق وأبيض).
في البداية، كان رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي، ديفيد إليعازار، متشككًا بطبيعته. في اجتماع هيئة الأركان العامة في 6 أبريل، سأل: "كم مرة يستطيع قائد [أي السادات] أن يكرر نفس التهديد؟" في عام 1971، قال إن ذلك العام كان عام الحسم؛ وقال إن عام 1972 كان عام الحسم؛ وقال إنه قبل ميلاد محمد، ستُحرر الأراضي المحتلة؛ ووعد بأن الصدام سيكون هذا العام.
... اتفق إلعازار مع مدير وكالة الاستخبارات العسكرية، زيرا، الذي جادل في اجتماعات هيئة الأركان العامة يومي 12 و15 أبريل/نيسان بأن احتمال الحرب بعيد، و"احتمال ضعيف". كما رفض أمان إمكانية شن هجومين متزامنين على جبهتين (سورية-مصرية). وقال أمان إن السوريين لن ينضموا إلى الحرب إلا بعد أن يثبت المصريون نجاحهم بمفردهم؛ إذ كانوا يخشون سلاح الجو الإسرائيلي.
لكن في اجتماع 15 أبريل، لم يكن رئيس الموساد زامير متجاهلاً للنوايا والقدرات العربية: لم يكن هناك يقين من أن العرب سيهاجمون، ولكن لم يكن هناك يقين أيضاً من أنهم سيمتنعون عن ذلك، على حد قوله. على أي حال، كانت استعدادات مصر مثيرة للقلق وكان هناك احتمال معقول للحرب. لقد تحققت شروط السادات لخوض الحرب: أصبحت فرق عبور القناة الآن مزودة بمظلة صواريخ مضادة للطائرات؛ ولديها معدات جسور كافية؛ ولديها نظام دفاع جوي فعال لوادي النيل. وقد شارك وزير الدفاع ديان زامير في نهجه المتشائم: كان العرب ينوون الحرب لأنهم لم يعودوا قادرين على تحمل استمرار الجمود السياسي الدبلوماسي.
انعقد الاجتماع الحاسم لقادة إسرائيل في هذه المرحلة من الأزمة في 9 مايو/أيار في غرفة عمليات وزارة الدفاع بتل أبيب. وواصل زيرا استبعاد احتمال الحرب. أما إليعازر، فقد صنف الاحتمال بأنه "منخفض"، لكنه قال إنه أعلى من أي وقت مضى منذ عام 1967. وأشار الآن إلى أنه في حال اندلاع الحرب، فإنها ستقع في وقت واحد على الجبهتين.

في أبريل ومايو، أكد زيرا مرارًا لهيئة الأركان العامة ومجلس الوزراء أن الاستخبارات الإسرائيلية ستُقدم، على أي حال، إنذارًا مسبقًا قبل "خمسة إلى ستة" أيام من أي خطة عربية لشن حرب شاملة؛ وأنه سيتم إصدار إنذار لا يقل عن "ثمانٍ وأربعين ساعة" في أسوأ الأحوال (أو "كارثي"). لم يُطرح للنقاش قط ما إذا كان جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) سيتمكن، عند حلول الوقت، من توفير الإنذار اللازم قبل ستة أيام أو حتى ثماني وأربعين ساعة؛ ولم يرَ أحد ضرورةً للتشكيك في تأكيدات زيرا المتكررة بشأن هذه النقطة الحاسمة.
لكن أشهر الصيف، التي برزت فيها بوادر جديدة للحرب الوشيكة، مرت دون أحداث تُذكر. برزت إدارة الأبحاث التابعة لزعيرا وأمان كـ"منتصرين" واضحين على الموساد المتخوف من الحرب، وإلى حد ما على إلعازار ودايان. عزز هذا النصر هيمنة أمان والفشل الاستخباراتي الفادح الذي مُني به في سبتمبر/أيلول وأكتوبر/تشرين الأول التاليين. كان أمان مُحقًا في الربيع؛ وبالتالي، أُجِّلَت مهمته في الخريف، بتكلفة مأساوية.49
حدث التغيير الرئيسي التالي في الوضع العسكري الراهن على جبهة الجولان في أغسطس/آب، عندما نفّذ السوريون، الذين عادةً ما يكونون حذرين، انتشارًا واسع النطاق وغير مسبوق وغير مبرر على طول خطوط

وقف إطلاق النار. والأمر الأكثر إثارة للقلق هو نشر شبكة صواريخ مضادة للطائرات مُركّبة بإحكام مقابل دفاعات الجولان، والتي غطّت سماء الجولان والمجال الجوي فوق الفرق السورية. لكن وكالة أمان رفضت هذا واعتبرته خطوة دفاعية لحماية الطرق المؤدية إلى دمشق من الغارات الجوية الإسرائيلية. 50 إلا أن "الهجوم المضاد" لا يزال قائمًا.

الهدوء الذي يسبق العاصفة

ظلّ هدوء أمان خلال شهري أغسطس وأوائل سبتمبر دون أن تُعكّره أعمال الحفر المصرية على طول القناة. وشُوهد المصريون وهم يبنون طرقًا جديدة للوصول إلى القناة، ويُدرّبون قواتهم على اختراق الأسوار الترابية المنحدرة نحو الماء. وقبِل الإسرائيليون التفسير المصري، الذي نُقل عبر الأمم المتحدة، بأنّ هذه الأعمال كانت "روتينية".51

بدأت مصر وسوريا بدراسة يوم كيبور كيوم النصر، لافتراض أنه في هذا العيد اليهودي الأقدس، الذي تحتفل به حتى الأغلبية العلمانية من الإسرائيليين، وعندما تُغلق جميع الخدمات العامة (المواصلات والإذاعة وغيرها)، سيواجه جيش الدفاع الإسرائيلي صعوبة مضاعفة في تعبئة احتياطياته بسرعة. إضافةً إلى ذلك، جعل اكتمال القمر واعتبارات المد والجزر في قناة السويس ذلك اليوم مثاليًا من وجهة نظر مصر.52

على الصعيد السياسي الأوسع، لم تتأثر إسرائيل بمؤشرات تحذيرية مختلفة، مثل استيلاء ليبيا على شركات النفط الغربية والحديث عن حظر نفطي عربي على الغرب. وقد استخفّ أحد كبار ضباط الأمن القومي بالمملكة العربية السعودية بازدراء قائلاً: "فوقها رمال، وبعض المتخلفين، وتحتها نفط".53

ثم وقعت معركة جوية في 13 سبتمبر/أيلول، حيث هاجمت طائرات ميغ طائرات سلاح الجو الإسرائيلي، التي كانت في مهمة استطلاعية فوق سوريا. وفي الاشتباك الذي تلا ذلك، أُسقطت اثنتي عشرة طائرة سورية وطائرة إسرائيلية واحدة. وقد خففت المعركة من حدة المخاوف الإسرائيلية، ووفرت غطاءً للاستعدادات العربية. وقد اعتبرت وكالة أمان الاستنفار الذي أُعلن عنه فورًا في القوات الجوية السورية والمصرية ووحدات مصرية أخرى نابعًا من المعركة الجوية، ولذلك اعتُبر دفاعيًا بحتًا. 54

في 17 سبتمبر، أجرت هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي مراجعةً شاملةً للوضع، خلصت إلى التقييم التالي الذي قدمه زيرا. ظل العرب عاجزين عن شن حرب بسبب التفوق الجوي الإسرائيلي الحاسم - وهو ما ثبت جليًا قبل أيام قليلة. وجادل بأنه إذا تحسنت قدراتهم المدرعة والمضادة للطائرات، فقد يفكرون في شن حرب استنزاف متجددة - ولكن ليس قبل نهاية عام 1975. وكرر زيرا هذا التقييم في اجتماع مغلق للمسؤولين التنفيذيين في وزارة الخارجية في 21 سبتمبر.

وفقًا لأحد المصادر، أبلغ السادات الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف في 22 سبتمبر أن الحرب ستبدأ في 6 أكتوبر.56 وفي يومي 24 و25 سبتمبر، رصد أمان بوادر تحرك كبير جديد للقوات المصرية من قواعد النيل باتجاه قناة السويس. وتبع ذلك تقارير عن نقل قوارب إلى مواقع على ضفاف القناة؛ وتفريغ سفن في علب؛ وتأجيل من أكتوبر إلى نوفمبر.

اختبارات ترقية الرتب للضباط المصريين. وقبل نهاية الشهر، أفادت وكالة أمان بتعبئة وحدات الاحتياط المصرية.

لكن قسم الأبحاث في أمان رفض كل هذا النشاط واعتبره مجرد استعدادات لعملية "تحرير 41"، المقرر انطلاقها في الأول من أكتوبر/تشرين الأول. وتوقعت استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، بناءً على تدريبات سابقة، أن المصريين سينقلون ذخيرة ومعدات بناء جسور ووحدات إضافية إلى الجبهة - وهو ما حدث بالفعل. 57 لكن تعزيز الوحدات في حوران وإلغاء الإجازات وحالة التأهب واستدعاء قوات الاحتياط في الجيش السوري بدا أكثر إثارة للقلق.
في 26 سبتمبر، قضت دائرة أبحاث أمان مجددًا بأن سوريا لن تخوض الحرب بمفردها، وبما أن مصر لم تكن تخطط للحرب، فلن يكون هناك أي اندلاع للأعمال العدائية. لكن قائد المنطقة الشمالية في جيش الدفاع الإسرائيلي، إسحاق حوفي، ووزير الدفاع ديان أبديا قلقهما إزاء الحشد العسكري السوري. في اجتماع هيئة الأركان العامة في 25 سبتمبر، أعلن حوفي وجود "خطر هجوم مفاجئ". وأعرب ديان عن مخاوفه من "استيلاء" سوري سريع وحاد على جزء من أرض الجولان. وقال رئيس الأركان إليعازار إن هذا مستبعد، إذ يمكن لسلاح الجو الإسرائيلي التغلب على نظام الدفاع الجوي السوري في غضون "نصف يوم".
في 24 سبتمبر/أيلول، أُرسل إلى إسرائيل تقدير استخباراتي أمريكي مشترك، صادر عن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA)، ووكالة الأمن القومي (NSA)، ووكالة استخبارات الدفاع (DIA)، يُفيد بإمكانية وقوع هجوم سوري مصري مشترك. واستند هذا التقييم الأمريكي إلى مناورة مصرية غير عادية على مستوى الفرق، باستخدام شبكة اتصالات ميدانية معقدة. 58 لكن طلبًا من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بعد يومين للحصول على تقييم من المخابرات الإسرائيلية للوضع أثار ردًا مفاده "لا داعي للقلق". 59
في 26 سبتمبر، مدفوعًا بمخاوف حوفي وإصرار ديان، قرر جيش الدفاع الإسرائيلي تعزيز دفاعاته في مرتفعات الجولان، والتي كانت تتألف من لواء مدرع واحد (188) مزود بدبابات قليلة وكتيبة أو اثنتين من المشاة، مع عناصر من لواء مدرع ثان (السابع). كان لهذا التعزيز - الذي سيصل باقي اللواء السابع إلى الجولان قبل بدء القصف بوقت قصير - دور حاسم خلال الأيام الأولى من الحرب: في الواقع، كان وجود اللواء السابع وبراعته

كان الهدف هو الفصل بين الهزيمة وخسارة الجولان وصد الغزاة السوريين. بدأت الدبابات الإضافية بالوصول إلى المرتفعات عشية رأس السنة العبرية (روش هاشناه)، 28 سبتمبر/أيلول.
كان قرار مجلس الوزراء بتمكين رئيسة الوزراء مائير من إلقاء كلمة أمام البرلمان الأوروبي في ستراسبورغ في 30 سبتمبر، وإرسال وزير الخارجية إيبان إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، دليلاً على عدم اهتمام إسرائيل بشكل عام. كما اصطحب رئيس الأركان، ديفيد إليعازر، عائلته إلى شرم الشيخ لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.
مع ذلك، ظلّ الحشد العسكري السوري يُقلق جيش الدفاع الإسرائيلي. في 30 سبتمبر/أيلول، قررت هيئة الأركان العامة إرسال كتيبة إضافية من اللواء السابع إلى الجولان. في ذلك الاجتماع، شكّك نائب رئيس الأركان، اللواء إسرائيل تاي، في تقييمات أمان المُتشدّدة، وربما قال (مع اختلاف المصادر حول هذه النقطة الحساسة للغاية): "ستكون هناك حرب". لكن تاي لم يُصرّح برأيه ولم يطلب اجتماعًا مع وزير الدفاع لعرض وجهة نظره. وظلّت هيئة الأركان العامة، بقيادة أمان، تعتبر الحرب "احتمالًا ضئيلًا للغاية". 60
لقد تغيرت الأمور بشكل كبير في اليوم التالي، 1 أكتوبر

أوبر. في ساعات الصباح الباكر، تلقت وكالة أمان تقريرًا يفيد بأن مصر وسوريا تعتزمان شن هجوم شامل في وقت لاحق من ذلك اليوم. ووفقًا لهذه المعلومات، قررت مصر عبور القناة، وإنشاء رؤوس جسور، والضغط على القوى العظمى لإجبار إسرائيل على الانسحاب من الأراضي المحتلة. وذكر التقرير أن التدريب المصري سيتحول إلى هجوم حقيقي لعبور القناة.

كانت هناك دلائل أخرى على استعداد العرب: أُغلق مطار القاهرة الدولي لفترة وجيزة، واستُدعي 61 جنديًا إضافيًا، وتحركت وحدات جديدة نحو القناة. انعقدت هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي صباح ذلك اليوم. ورغم "تقرير الصباح الباكر" لوكالة أمان، خلص زعيرا إلى أن "الوضع طبيعي تمامًا ولن يتطور إلى حرب، ولا نية لتحويله إلى حرب". كان زعيرا يشير إلى بدء "التحرير 41"، التي بدأت صباح ذلك اليوم؛ وقد راعت المناورة التحركات غير العادية للقوات المصرية،

أعلن. بدأت فرقة مدرعة سورية أخرى بالتحرك من شمال سوريا باتجاه الجولان. لكن هذا أيضًا لا علاقة له بالحرب، لأن السوريين لن يخوضوا الحرب بدون مصر، ومصر لن تخوضها لأنها تفتقر إلى ثقل موازن لسلاح الجو الإسرائيلي. لم يعترض أحد - لا الجنرالات ولا ديان ولا رئيس الموساد زامير - على ذلك. طُلب من الأمريكيين ألا يقلقوا. ومع ذلك، أُمر بقية اللواء السابع بالتوجه إلى الجولان - وفي اللحظة الأخيرة.62

في غضون ذلك، التقت غولدا مائير بقادة أوروبا الغربية في ستراسبورغ، ثم سافرت جواً إلى فيينا في الأول من أكتوبر لحضور اجتماع "شوناو" مع المستشار كرايسكي. اتصل بها يسرائيل جليلي، أحد كبار وزرائها، قبل مغادرتها ستراسبورغ، وأشار إلى التوتر في مرتفعات الجولان، لا أكثر. توجهت رئيسة الوزراء إلى فيينا، مدعومةً بمسيرات في تل أبيب وهجمات إعلامية إسرائيلية على كرايسكي ومنظمة التحرير الفلسطينية؛ فتحوّل الاهتمام عن الشرق الأوسط في اللحظة التي كان بأمسّ الحاجة إليه.

خلال هذا الأسبوع، بين رأس السنة العبرية (28 سبتمبر/أيلول) و5 أكتوبر/تشرين الأول، قرر زيرا عدم استخدام ما وُصف لاحقًا، بشكل غامض، بـ"إجراءات إضافية لجمع المعلومات الاستخباراتية" بهدف استنباط النوايا الحقيقية للقاهرة ودمشق. ولتقصيره في استخدام هذه الإجراءات، مع إعطاء إيلعازار وديان الانطباع بأنه فعل ذلك، وبّخته لجنة أغرانات بشدة في العام التالي.63

في الثاني من أكتوبر/تشرين الأول، سأل رئيس الموساد زامير - الذي كان أكثر قلقًا بشأن التطورات منذ مايو/أيار من زملائه في وكالة الاستخبارات المركزية (أمان) - زيرا عن سبب عدم تعزيز الخطوط الأمامية. فأجاب زيرا: "سنرسل لواءً آخر [أي اللواء السابع] إلى الجولان". في الثالث من أكتوبر/تشرين الأول، حاول زامير، على ما يبدو، تنبيه غولدا مائير إلى الوضع، لكن رئيسة الوزراء طلبت منه التحدث إلى ديان. في ذلك الصباح، أفادت وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية عن طريق الخطأ أن الجيشين الثاني والثالث المصريين في حالة تأهب. نفى المسؤولون المصريون هذا التقرير في غضون دقائق.64

وفي الساعة الحادية عشرة من صباح يوم 3 أكتوبر/تشرين الأول، اجتمع كبار الوزراء، بمن فيهم مائير، الذي كان قد عاد بحلول ذلك الوقت من أوروبا، وقادة الجيش لإعادة تقييم الوضع على جبهة الجولان.

كيف كان على إسرائيل أن تتصرف إذا هاجم السوريون؟ كان زيرا مريضًا؛ وكان العميد أرييه شاليف، رئيس مركز أمان للأبحاث، ممثلًا لاستخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي. بناءً على طلب إليعازر، سارع شاليف وزميله، المقدم أفنير شاليف، رئيس مكتب إليعازر، إلى إعداد ورقة تحليلية حول الانتشار السوري. أفاد

الشاليفان بوجود ما بين 750 و800 دبابة سورية على الجبهة، مقارنةً بـ 250 دبابة في مايو السابق؛ و550 قطعة مدفعية، مقارنةً بـ 180؛ وواحد وثلاثين بطارية صواريخ مضادة للطائرات، مقارنةً ببطاريتين في بداية عام 1973. ومع ذلك، خلصت الورقة إلى وجود "احتمال ضئيل" لهجوم سوري، وشرحت الغرض من هذا الحشد الضخم بأنه دفاعي.65
في اجتماع 3 أكتوبر (الذي لم يُدعَ إليه زامير)، أعرب إليعازر وديان عن قلقهما إزاء التحركات السورية؛ وكانا قلقين بشكل خاص من بناء شبكة الدفاع الجوي، والتي لم يُقدّم لها أي تفسير معقول. قال العميد شاليف: هناك تقرير... يُحدد خطة هجوم سورية. ووفقًا للتقرير، هناك نية لتفعيلها قريبًا... أما بالنسبة لمصر، فهناك تقرير مُقلق من مصدر موثوق بتاريخ 30 سبتمبر، يُفيد بأنه في صباح الأول من أكتوبر، أي قبل يومين، كانت مصر على وشك مهاجمة سيناء، وأن السوريين سيتحركون بالتزامن على الجولان...
لكن شاليف رفض هذه التقارير، وكذلك مخاوف إلعازار ودايان. كان شن هجوم مصري سوري "غير محتمل. [الحرب] احتمال ضعيف". وظل تقييم أمان مسيطرًا.66
وفي ذلك اليوم سافر وزير الحرب المصري إسماعيل علي إلى دمشق لحضور جلسة تنسيق نهائية؛ ويبدو أن أحداً في عمان لم يعلق على شذوذ مغادرته مصر أثناء المناورات الضخمة "تحرير 41".

أصوات في البرية
في حين كان رؤساء استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي منشغلين بإقناع السياسيين بأن الحرب أمر لا يمكن تصوره، كان ضباط أمن من الرتب المتوسطة في القيادة الجنوبية منشغلين بقمع التصريحات التي كادت أن تشعل فتيل الحرب.

المنشق الوحيد الذي خرج (لاحقًا) بشرف من فوضى الاستخبارات - الملازم بنيامين سيمان-توف، أحد ضباط المخابرات المساعدين في القيادة. في الأول من أكتوبر، يوم انطلاق "تحرير 41" على الجانب الآخر من القناة، كتب سيمان-توف مذكرة بعنوان "الحركة في الجيش المصري - احتمال استئناف الأعمال العدائية". جادل سيمان-توف بأن المناورة بدت وكأنها تمويه لهجوم حقيقي لعبور القناة. في غياب أي رد فعل من رئيسه، المقدم ديفيد جداليا، كبير ضباط المخابرات في القيادة الجنوبية، تابع سيمان-توف هذا في الثالث من أكتوبر بتحليل ثانٍ أكثر شمولاً بعنوان "تقرير موقف عن الجيش المصري: 13 سبتمبر - 2 أكتوبر 1973". لم يقتنع المقدم جداليا بالأمر، فجلس على المذكرتين ولم يسلمهما إلى مقر أمان.
وفي مرحلة ما من الإجراءات الطويلة للجنة، سُئل جداليا: "متى توصلت إلى استنتاج مفاده أن الأمر يتعلق بالحرب؟"
أجاب جداليا: "في يورن كيبور [6 أكتوبر]، الساعة 2.00 بعد الظهر، أخشى أن يكون ذلك في الساعة 2.00 بعد الظهر"67
كان الملازم سيمان-توف، صوتًا وحيدًا في صحراء "الكونتسيبتزيا"، ذا رتبة متدنية جدًا بحيث لم يكن على دراية بمنشق آخر عن أمان انغمس في المعركة ذلك الأسبوع. كان هذا العميد يوئيل بن بورات، قائد قسم جمع الأموال في أمان، الذي طالب في 2 أكتوبر/تشرين الأول زيرا بإصدار أمر بتعبئة أفراد الاحتياط في وحدته. رفض زيرا. عندما انتشرت تقارير عن الانسحاب السوفيتي من

مع حلول الرابع من أكتوبر، تحدى بن بورات اعتراض زيرا، وحشد العشرات من رجاله "طواعيةً"، وفي ذلك المساء ذهب إلى زعيم أمان وعدد العلامات التي يعتقد أنها تشير إلى الحرب. أجاب زيرا: "كفّ عن التقييم والتزم بعملك، وهو جمع المعلومات الاستخبارية".

أضواء التحذير في تل أبيب
في يوم الخميس، 4 أكتوبر، بدأت الأضواء الحمراء تضيء في تل أبيب. كان زامير يشعر بقلق متزايد لكنه فشل في...

شارك رؤاه مع الوزراء. في ذلك المساء، عقد هو وزيرا لقاءً ثنائيًا حاسمًا، راهن فيه زامير على نشوب حرب، وأخبر زيرا بالمبادرة التي ينوي اتخاذها. وافق زيرا. في غضون ساعات، كان رئيس الموساد في طريقه إلى موعده المشؤوم في أوروبا لمحاولة تأكيد تحذير "التنون".69
التقطت وكالة أمان إشاراتٍ أكثر شؤمًا في ذلك اليوم. اعترضت سيجنت أمرًا من القيادة العليا المصرية لبعض الوحدات بإفطار رمضان (الذي يمتنع فيه المسلمون عن الطعام والشراب من الفجر حتى الغسق لمدة ثمانية وعشرين يومًا)، وأطفأ المصريون النيران المنبعثة من حقول نفط خليج السويس لتقليل تعرضها للهجمات الجوية. في تلك الليلة، وصلت أول التقارير إلى وكالة أمان والموساد عن الاستعدادات المتسرعة لمغادرة عائلات المستشارين السوفييت مصر وسوريا: غادر أسطول من طائرات النقل التابعة لشركة إيروفلوت الاتحاد السوفييتي متجهًا إلى الشرق الأوسط.
بحلول ظهر يوم 5 أكتوبر، كانت الطائرات في طريقها عائدةً إلى الاتحاد السوفيتي. وبعد ظهر يوم 5 أكتوبر بقليل، أبلغ زيرا كبار قادة جيش الدفاع الإسرائيلي أن إحدى عشرة طائرة نقل سوفيتية هبطت خلال الساعات القليلة السابقة في مطار دمشق.70
خلال الليلة السابقة، أكمل قسم الأبحاث في أمان تطوير وتحليل دفعة كبيرة من الصور الجوية التي التقطتها طائرات إسرائيلية في وقت سابق من ذلك اليوم (الخميس) غرب القناة. كانت هذه أول عملية استطلاع جوي منذ نهاية سبتمبر؛ حيث قلص جيش الدفاع الإسرائيلي مهام الاستطلاع الجوي بشكل كبير تفاديًا لتفاقم التوتر ونظرًا للخطر الذي تشكله بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات على الطيارين. أظهرت الصور أن نشر المدفعية المصرية قد زاد، في غضون عشرة أيام، من 800 مدفع إلى 1100 مدفع. اتخذت تشكيلات الدبابات مواقعها مباشرة خلف الأسوار الترابية على جانب القناة؛ وكان هناك تركيز غير مسبوق لمعدات الجسور. وصف ضباط قسم الأبحاث لاحقًا تأثير "ضربة المطرقة" الذي أحدثته الصور عليهم. انتهى أول تقييم للصور، الذي كُتب في الساعة 6:55 صباحًا يوم 5 أكتوبر، بعبارة جافة ولكن مشؤومة: "في منطقة القناة [

لقد قام المصريون بنشر قواتهم على وجه السرعة، وهي قوات أكبر من أي قوات أخرى عرفناها من قبل. ولكن الصدمة الأولية تلاشت، ففي تقدير لاحق أكثر اكتمالاً لنتائج الاستطلاع الجوي، كتب المقدم يونا بيند، من مكتب الشؤون المصرية في إدارة الأبحاث (في الساعة 13.15 ظهراً):
(أ) من المحتمل أن يكون الانتشار الطارئ أحد المواضيع التي تُدرس في إطار المناورة متعددة الفرق [أي التحرير 41]. (ب) على الرغم من أن قيام المصريين بالانتشار الطارئ على جبهة القناة ينطوي للوهلة الأولى

على مؤشرات تدل على مبادرة هجومية، إلا أنه وفقًا لتقديرنا، لم يطرأ أي تغيير على التقييم المصري للقوة النسبية لجيشينا. لذا، فإن احتمالية نية المصريين تجديد الأعمال العدائية ضئيلة.
ومع ذلك، فإن ضباط إدارة الأبحاث، الذين اجتمعوا مرة أخرى في ذلك اليوم الجمعة بعد الظهر لمناقشة الوضع، عادوا إلى منازلهم لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في يورن كيبور "بقلوب ثقيلة".71
لقد قضمت الصور الجوية على يقين أمان؛ ووجه رحيل العائلات السوفيتية ضربة أخرى له. هل كان الرحيل بسبب مخاوف العرب من هجوم إسرائيلي أم بسبب خطط هجومية عربية؟ إذا كان السبب الأول هو الخوف، ألم يكن السوفييت ليتواصلوا مع واشنطن لكبح جماح إسرائيل؟ وقدّم الخامس من أكتوبر إشارات جديدة ومشؤومة. انطلقت السفن التجارية السوفيتية فجأة من الإسكندرية وبورسعيد إلى البحر المفتوح، وانطلقت أربع طائرات بوينغ جديدة تابعة لمصر للطيران من مطار القاهرة الدولي إلى جدة، المملكة العربية السعودية - لتكون بعيدة عن الأذى.72 أعلن إليعازر حالة تأهب من المرحلة الثالثة (وهي أعلى مستوى لجيش الدفاع الإسرائيلي) على الجبهتين؛ تم إلغاء جميع الإجازات ووضع القوة الأساسية التي تحشد وحدات الاحتياط في البلاد على أهبة الاستعداد. اهتزت ثقته بنفسه، ولم يبدِ زيرا أي اعتراض. لكن لم يدعُ إليعازر ولا ديان إلى تعبئة واسعة النطاق للاحتياط.
وفي اجتماع آخر للقادة السياسيين والعسكريين في
في الساعة ١١:٣٠ صباحًا من يوم ٥ أكتوبر، أقرّ رئيس الأركان بأنه لم يعد متأكدًا من أن الحرب "احتمال ضعيف". وقال إليعازر إنه لا يزال يتوقع، إذا كانت الحرب وشيكة بالفعل، أكثر من اثني عشر.

إلى تحذير قبل أربع وعشرين ساعة؛ فإذا لم يكن هناك أي تحذير، فسيكون ذلك بمثابة "مفاجأة كاملة".
لكن في اجتماع هيئة الأركان العامة الكامل الذي تلا ذلك، عاد زيرا إلى تقييمه السابق: كان هناك "احتمال ضئيل جدًا" لهجوم سوري مصري مشترك. لا يزال مدير وكالة المخابرات المركزية لا يعتقد أن الحرب - التي تفصلنا عنها الآن أربع وعشرون ساعة - وشيكة. تفرقت هيئة الأركان العامة دون قرار؛ وكان الجميع ينتظرون معلومات استخباراتية جديدة ونهائية من زامير. (قالت غولدا مائير لاحقًا إنها منذ أيام سبتمبر وأكتوبر، "لم تعد قادرة على تحمل كلمة "احتمال" [سيفيروت]... كلما سمعتها، أشعر بقشعريرة...")
في الساعة الخامسة مساءً من يوم 5 أكتوبر، تم اعتراض قطعة حيوية من "سيجنت" - رسالة غير عربية تُفيد بقرب اندلاع حرب على الجبهتين. نقلها بن بورات إلى رئيس مركز أبحاث أمان، العميد أريبه شاليف، ولكن لسبب ما، لم تصل هذه المعلومات الحيوية إلى رئيس الوزراء أو وزير الدفاع أو رئيس الأركان.73 وبعد ساعة تقريبًا، في
في الساعة 6.35 مساءً، تلقى زيرا نبأ مفاده أن السفن السوفيتية كانت تبحر من موانئ مصر إلى البحر المفتوح.74
كان زيرا قد حصل بالفعل على معلومات الموساد الحيوية - "تسنون" - التي نُقلت إلى زامير من أوروبا الساعة الثانية والنصف من صباح الخامس من أكتوبر. لكنه كان لا يزال ينتظر تأكيد زامير الشخصي. وصل هذا التأكيد بعد ساعات قليلة من اجتماع منتصف الليل في أوروبا بين رئيس الموساد وعميله. ثم شرع زيرا في الاتصال بالجنرالات والوزراء لإبلاغهم بالخبر: إنها حرب. انتهت أسابيع التردد والشك.
اجتمع كبار الجنرالات حينها، حوالي الساعة السادسة صباحًا من يوم 6 أكتوبر، في مكتب إليعازر بتل أبيب. أفاد زيرا أن إجلاء عائلات المستشارين السوفييت أعقبه الآن نزوح المستشارين أنفسهم. 75 وحدد زيرا

المسار المحتمل للهجوم المصري، بما يتماشى مع الخطط المعروفة منذ زمن طويل. وكان وصف زيرا دقيقًا. كانت المشكلة المؤلمة أن جيش الدفاع الإسرائيلي غير المُعبأ لم يكن في وضع يسمح له باستغلال المعلومات التي بحوزته. في نفس الوقت تقريبًا الذي وصلت فيه رسالة "التسون" الحاسمة من زامير إلى تل أبيب، بين الساعة الثامنة والتاسعة مساءً بتوقيت واشنطن (حوالي الثالثة صباحًا بتوقيت إسرائيل)، قال وزير الخارجية

توصل راي كلاين، من وحدة الأبحاث في المعهد الوطني للبحوث النووية، إلى استنتاج مفاده أن الأعمال العدائية كانت شبه حتمية. لكنه تأخر في نقل هذا التقييم إلى كيسنجر. 76
بدأ الهجوم السوري المصري الساعة 1:55 ظهرًا، بينما كان مجلس الوزراء الإسرائيلي لا يزال في جلسة طارئة (ويتوقع بدء الأعمال العدائية بعد أربع ساعات، الساعة 6:00 مساءً). نشر السوريون حوالي خمس فرق، بـ 1400 دبابة وأكثر من 1000 قطعة مدفعية؛ وواجههم لواءان مدرعان، بإجمالي 177 دبابة، وكتيبتان للمشاة، وحوالي خمسين قطعة مدفعية. نشر المصريون تسع فرق، بـ 1700 دبابة و2000 قطعة مدفعية؛ وواجهتهم قوات بلغت فرقة مدرعة واحدة، بـ 300 دبابة وحوالي ثلاثين مدفعًا. كانت المشكلة التي واجهتها القوات الإسرائيلية غير المعززة في تلك الساعات والأيام الأولى من المعركة واضحة وجلية.

أداء أمان خلال حرب 1973
بعد الحرب، انتقدت لجنة أجرانات أداءَ أمان بشدة خلال الأيام الأولى من القتال. قدّمت استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي للجنرالات الذين أداروا المعارك صورةً مضللةً، بل خاطئةً في كثير من الأحيان، عن انتشار القوات العربية وأسلحتها وخطوط تقدمها ونواياها. وكما قال إليعازر لاحقًا بعد ظهر يوم 6 أكتوبر: "ما كانوا يعرفونه كان خاطئًا، وما كان صحيحًا لم يتمكنوا من إخباري في تلك المرحلة - من [أي وحدة عربية] كانت وأين". لم يكتشف أمان بسرعة عدد الجسور التي أقامها المصريون عبر القناة، وأبلغ قبل الأوان عن عبور فرقتين مدرعتين مصريتين إلى الضفة الشرقية.
رغم علم أمان بوجود أحدث الأسلحة المضادة للدبابات في أيدي العرب، مثل صاروخ ساغر السوفيتي الصنع، إلا أنها لم تُقيّم تأثيرها المحتمل على ساحة المعركة بشكل صحيح، ولم تُنشر معلومات كافية عن هذه الأسلحة الجديدة بين وحدات جيش الدفاع الإسرائيلي القتالية. كما لم تتنبأ بالاستخدام الواسع النطاق لهذه الأسلحة، أو بتأثيرها.

فعالية كبيرة عند استخدامها بكثافة. صواريخ ساغر وآر بي جي-7 التي استخدمتها المشاة المصرية ووحدات الكوماندوز السورية دمرت دروع جيش الدفاع الإسرائيلي في الأيام الثلاثة الأولى من الحرب.77
كان هناك فشل مماثل من جانب أمان (والسلاح الجوي الإسرائيلي) في تقدير الفعالية الكاملة لشاشة الصواريخ المضادة للطائرات التي بناها ونظمها السوفييت في سوريا ومصر. وقد استرشدت التقييمات بتجربة حرب الاستنزاف في الفترة من 1968 إلى 1970، عندما كانت طائرات الفانتوم الإسرائيلية عادةً ما تصمد أمام صواريخ سام المصرية. في صباح يوم 6 أكتوبر، ومع اقتراب الحرب بساعات قليلة، أخبر قائد سلاح الجو الإسرائيلي بيني بيليد إليعازر أنه "نمنح سلاح الجو السوري ساعة في ظروف جوية مناسبة [أي أن سلاح الجو الإسرائيلي يمكنه تدمير سلاح الجو السوري في ساعة واحدة] ... يمكننا الانتهاء من نظام

الصواريخ المضادة للطائرات بحلول الظهر ... ثم يمكننا التوجه إلى مصر". 78 وقد أثبتت هذه التقييمات أنها متفائلة للغاية وأشارت إلى أن مقيمي أمان/قسم استخبارات القوات الجوية لم يقوموا بواجبهم على النحو الصحيح.

فيما يتعلق بالأسلحة المضادة للدبابات، استوعب أمان سريعًا ما حدث بناءً على التقارير الأولية الواردة من الجبهة. أثناء التخطيط لأول هجوم مضاد كبير لجيش الدفاع الإسرائيلي في الحرب ليلة 7-8 أكتوبر، حذّر زيرا من تعريض المدرعات الإسرائيلية للأسلحة الجديدة قبل وضع التدابير المضادة المناسبة ونشرها. لكن إلعازار غلبه الرأي، مجادلًا بأنه إذا كان الوضع سيئًا الآن، فقد يكون أسوأ بكثير بعد أيام قليلة، عندما يكون المصريون قد أضافوا المزيد من الصواريخ وحقول الألغام والعوائق المضادة للدبابات إلى انتشارهم الدفاعي على الضفة الشرقية للقناة. شنّت فرقتا أبراهام أدان وأرييل شارون المدرعتان الهجوم في 8 أكتوبر، وصدّته المدفعية والمشاة المصريتان. تكبّدت فرقة أدان خسائر فادحة. 79

كان من أبرز إخفاقات أمان خلال الحرب وصول قوة استطلاعية عراقية كبيرة إلى جبهة الجولان، دون سابق إنذار لفرق جيش الدفاع الإسرائيلي في المنطقة ودون أي اعتراض جوي أو كوماندوز. خلال الأيام الأولى من الحرب، كانت القوة العراقية، المكونة من فرقتين مدرعتين (الثالثة والسادسة)، مع حوالي 500 دبابة و700 عربة مدرعة،

تحركت ناقلات جند و30 ألف جندي، دون أن يُكشف أمرهم، من قواعد قرب الحدود العراقية السورية، لمسافة 400 ميل تقريبًا عبر الصحراء المفتوحة، على محور أو محورين، إلى حوران، ووصلوا ودخلوا المعركة مباشرة بين 12 و19 أكتوبر. ورغم صد الهجوم العراقي المضاد، وخسائره الفادحة للعرب، على يد الدبابات الإسرائيلية، إلا أنه أوقف زخم جيش الدفاع الإسرائيلي، ومنح الوحدات السورية التي هُزمت بشدة عدة أيام من الراحة، أعادت خلالها تنظيم صفوفها وعززت دفاعاتها غرب دمشق. ليس من الواضح ما إذا كانت أمان قد أبلغت هيئة الأركان العامة بوصول القوة العراقية الوشيك ومسارات تقدمها، وأن هيئة الأركان العامة لم تتخذ أي إجراء بناءً على هذه المعلومات، أو كما تزعم بعض المصادر، أن أمان لم تُصدر أي تحذير، أو أصدرت تحذيرًا غامضًا وغير جوهري لدرجة تجاهله المتلقون له بشكل مشروع تمامًا.80

حققت أمان بعض النجاحات خلال الأيام العصيبة ليوم الغفران. كان من بينها توقعها قبل يومين من بدء المرحلة الثانية من الهجوم المصري. وقد ذكر تقييم أمان، الذي قُدّم إلى إليعازر في 12 أكتوبر/تشرين الأول، في وقتٍ كانت فيه هيئة الأركان العامة ومجلس الوزراء في حيرة من أمرهما بشأن كيفية إدارة الحرب، أن مصر سترسل فرقها المدرعة عبر القناة وتتقدم نحو ممري متلا وجدي الحيويين في 14 أكتوبر/تشرين الأول. وكانت مدرعات جيش الدفاع الإسرائيلي جاهزةً لاستقبالهم.81

حقق قسم جمع المعلومات الاستخبارية في أمان نجاحًا كبيرًا ثانيًا في 16-17 أكتوبر، عندما تتبع اللواء المدرع الخامس والعشرين المصري وهو يشق طريقه شمالًا من جيب الجيش الثالث باتجاه منطقة العبور الإسرائيلية. مكّن الإنذار المبكر بتقدمه فرقة الجنرال شارون من نصب فخٍّ للواءين على طول شاطئ البحيرة المرة الكبرى. دُمر اللواء الخامس والعشرون بالكامل تقريبًا، مع خسائر إسرائيلية قليلة.82

كان من المؤشرات الدالة على انهيار الجيش المصري في 14 أكتوبر، التغير في جودة تقارير الجيش المصري من ساحات القتال إلى أعلى مستويات القيادة. ففي الأيام الأولى من الحرب، ورغم نجاح المصريين، كانت

تلك التقارير دقيقة. وفي 14 أكتوبر، نشر القادة المصريون أكاذيب غريبة - زعموا فيها أن قواتهم "استولت على بالوزة".

قاعدة خلفية إسرائيلية، أو ممر جيدي. التقطت وكالة أمان سيجينت هذه الإشارات، وأدركت هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي أن مجرى المعركة قد انقلب: فقد ضُللت القيادة العليا المصرية، وبغياب صورة حقيقية لساحة المعركة، فقدت السيطرة على قواتها فعليًا.
كما توقعت أمان بشكل صحيح - خلافًا لتجربتها عام ١٩٦٧ - أن الأردن سيمتنع عن دخول الحرب، وهو تقييم مكّن جيش الدفاع الإسرائيلي من إرسال فرقة إلى الجولان كانت مخصصة أصلًا للانتشار على طول نهر الأردن. يوم الأحد، ٧ أكتوبر/تشرين الأول، رصدت سيجنت الرسالة الحاسمة التي مفادها أن الملك حسين سيمتنع عن المشاركة في هذه الحرب. خلال الأيام الأولى من الحرب، لم يتمكن جيش الدفاع الإسرائيلي من ترك سوى ثمانٍ وعشرين دبابة على كامل الجبهة الأردنية.٨٣
لعلّ أهم معلومة استخباراتية وصلت إلى وحدات جيش الدفاع الإسرائيلي في الميدان كانت تحديد موقع "الخط الفاصل" بين الجيش المصري الثاني، الذي عبر القناة حول الإسماعيلية، والجيش الثالث، جنوبًا، الذي عبر بين السويس والبحيرات المرة. مثّل هذا الخط الفاصل أقصى نقطة ضعف مصرية، وكان من المفترض أن يكون المكان الذي اخترق فيه جيش الدفاع الإسرائيلي الجبهة المصرية في 15 أكتوبر، ووصل إلى القناة عند دير صوير، وعبر إلى الضفة الغربية، مُمهّدًا الطريق لانهيار مصر. ولكن، على الرغم من اختلاف الروايات، لم يكن أمان هو من اكتشف هذا الخط الفاصل.
وفقًا لأريل شارون، كانت كتيبة الاستطلاع التابعة لفرقته هي التي عثرت عليها في 9 أكتوبر/تشرين الأول، عندما كانت تتحرك شمالًا على طول الضفة الشرقية للبحيرة المرة الكبرى، محاولةً الاتصال بالمواقع الإسرائيلية المحاصرة في دير صوير. وادّعى الجنرال شموئيل غونين (غورودیش)، قائد الجبهة الجنوبية، الأمر نفسه. وقال غونين إنه عثر على "الخط الفاصل" عند فحص صور الاستطلاع الجوي لسلاح الجو الإسرائيلي صباح 11 أكتوبر/تشرين الأول.84
رغم ضعف أداء الاستخبارات الميدانية أو القتالية خلال عام ١٩٧٣، إلا أن عمليات استخبارات الإشارات حققت بعض النجاحات المهمة. لا تزال معظمها سرية للغاية، إلا أن اعتراضًا بارزًا مكّن القيادة الشمالية لجيش الدفاع الإسرائيلي من الحصول على فكرة دقيقة عن موقع وهدف اللواء المدرع السوري الرائد، اللواء ٤٧. أمان

وقد رصد القائد السوري الذي أفاد بأنه «يرى بحر الجليل، وسيستحم فيه بعد ساعة».85

تشريح الجثة: لجنة أغرانات

بما أن جهاز المخابرات العامة (أمان) كان الجهاز الرئيسي لجمع المعلومات الاستخبارية في إسرائيل، والمقيّم والمُقيّم والمُفسّر الوحيد لها، فقد كان الضحية الرئيسية للتطهير الذي أعقب حرب يورن كيبور. أصدرت لجنة أغرانات، التي شُكّلت في نوفمبر/تشرين الثاني 1973 برئاسة رئيس المحكمة العليا، شمعون

أغرانات، ثلاثة تقارير. تضمن تقريرها المؤقت، الصادر في 2 أبريل/نيسان 1974، معظم النتائج والتوصيات الرئيسية للجنة. أما التقرير النهائي، الصادر في 30 يناير/كانون الثاني 1975، فقد انتقد أداء جهاز المخابرات العامة (أمان) في الميدان خلال الأيام الثلاثة الأولى من الحرب، وانتقد بشكل لاذع عدم كفاءة الاستخبارات الميدانية قبل وأثناء الهجوم المضاد الفاشل الذي شنّه جيش الدفاع الإسرائيلي في الجنوب في 8 أكتوبر/تشرين الأول.86

أوصت اللجنة بإقالة إيلي زيرا، ونائبه أرييه شاليف، وديفيد جداليا، ضابط الاستخبارات في القيادة الجنوبية، ورئيس المكتب المصري في قسم أبحاث أمان، المقدم يونا بندمان، من العمل الاستخباراتي. (كما أوصت اللجنة "على مضض" بإقالة كبير ضباط العمليات ديفيد إليعازر من منصبه، وبتردد أقل، قائد القيادة الجنوبية، شموئيل جونين). بعد أيام قليلة من نشر التقرير المؤقت، غادر زيرا الجيش وحل محله الجنرال شلومو غازيت، الذي ترأس قسم أبحاث أمان حتى عام 1967 وكان منذ ذلك الحين منسق العمليات في الضفة الغربية وقطاع غزة. تم استبدال شاليف بيوشع ساجوي، ضابط الاستخبارات السابق في القيادة الجنوبية وقائد مدرسة استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي. تم استبدال جداليا بالمقدم تسفي شيلر.

وفي مجال التنظيم، كانت التوصية الرئيسية للجنة أجرانات هي كسر احتكار أمان لتقييم الاستخبارات وإدخال ما أسمته "التعددية في الاستخبارات".

"أنواع التقييمات الاستخباراتية المختلفة". بعد نشر التقرير المرحلي، وُسِّعت دائرة الأبحاث الصغيرة التابعة لوزارة الخارجية بشكل كبير، بهدف إعداد تقييمات "استخباراتية سياسية-استراتيجية مستقلة"، وأُنشئت دائرة أبحاث كبيرة في الموساد. كما أوصت اللجنة (مُكرِّرةً توصية لجنة يادين-شارف عام ١٩٦٣، التي شُكِّلت بعد أحداث قضية لافون والجدل حول العلماء الألمان في مصر) بأن تُعيِّن الحكومة "مستشارًا لرئيس الوزراء لشؤون الاستخبارات"، يكون قادرًا، مع عدد قليل من "الموظفين ذوي المهارات العالية"، على تقييم المُقيِّمين بشكل مستقل. لم تُنفَّذ هذه التوصية قط.

مع إنشاء قسم الأبحاث في الموساد

مع توسع إدارة الأبحاث بوزارة الخارجية، انتهى احتكار أمان للتقييم. لكنه ظلّ مسؤولاً حصرياً عن تقييم الاستخبارات العسكرية، وعملياً، بقي مسؤولاً عن إعداد تقييمات استراتيجية وطنية ومنع تكرار المفاجآت الاستراتيجية.

في الأشهر التي تلت اندلاع حرب يورن كيبور ونشر التقرير المؤقت للجنة أجرانات، سادت حالة من الندم العميق في أمان. ونشأت حالة من "عقدة بيرل هاربور"، وواجه غازيت صعوبة بالغة في رفع الروح المعنوية.

وكانت لجنة أجرانات قد كلفت أمان تحديدًا بإصلاح إدارة الأبحاث بحيث يُنفق أقل عدد من القوى العاملة والوقت والطاقة على جمع وتحليل المعلومات الاستخباراتية السياسية، ويُخصص أكثر للأبحاث العسكرية البحتة. وزاد عدد الضباط في الجانب العسكري زيادة كبيرة. وأُعيد هيكلة الإدارة، وأُنشئت أقسام جغرافية متكاملة، بحيث يكون كل رئيس قسم مسؤولًا عن الاستخبارات العسكرية والتكنولوجية والسياسية والاقتصادية لمنطقته. وأُنشئ قسم جديد ومستقل - قسم المراجعة، بقيادة ضابط كبير - ليكون بمثابة "محامي الشيطان" في كل مجال: وكانت مهمته تقديم وجهة نظر مخالفة وغير تقليدية في كل قضية. 88 وشُجّع الضباط الصغار على تقديم آرائهم الخاصة.

آراءٌ، سواءً كانت مُلتزمة أو مُعارضة. وُضع نموذجٌ لإشارات تحذيرية للحرب الوشيكة. وكانت تقييمات أمان، التي وُزِّعت بانتظام على القادة العسكريين والسياسيين في البلاد، أكثر انفتاحًا في المستقبل، وأقل حسمًا في لهجتها، وغالبًا ما تضمنت آراءً غير تقليدية. وبُذل جهدٌ لفصل الحقائق بوضوح عن التقييمات.
من أهم نتائج لجنة أغرانات أن جهاز الاستخبارات العسكرية (أمان) فشل في التمييز بدقة بين "إشارات" الحرب الوشيكة و"الضوضاء" الخلفية التي تتداخل فيها هذه الإشارات. لم تكن الإشارات مفقودة أو غائبة؛ بل كانت موجودة، متداخلة، وتراقبها أجهزة الاستخبارات العسكرية (أمان) وأجهزة جمع المعلومات الاستخبارية الإسرائيلية الأخرى.90 لكن استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي - أي إدارة الأبحاث - فشلت في فصلها عن الضوضاء الخلفية، بعضها متعمد (خداع)، ومعظمها عرضي، مما أدى إلى روتين واستمرار وقف إطلاق النار.
وفي تقريرها المؤقت، خلصت لجنة أجرانات إلى ما يلي:
في الأيام التي سبقت حرب يورن كيبور، كان لدى أمان (البحث) وفرة من المعلومات الاستخباراتية التحذيرية، مقدمة من قسم جمع المعلومات في أمان نفسه ومن جهات تحصيل معلومات أخرى تابعة للدولة. لم يُقيّم أمان (البحث) ومدير أمان التحذيرات التي قدمتها هذه المعلومات تقييمًا صحيحًا، نظرًا لالتزامهما العقائدي بمبدأ "الصراع" واستعدادهما لتفسير تحركات العدو على خطوط المواجهة على أنها انتشار دفاعي في سوريا وتمرين متعدد الأذرع في مصر، على غرار التدريبات التي جرت سابقًا.
في تقريرها النهائي، أوصت اللجنة بإجراء تغييرات جوهرية في الاستخبارات القتالية والميدانية لجيش الدفاع الإسرائيلي. وكانت وحدات الأمن الميدانية قد توقفت تقريبًا عن العمل خلال الأيام الأولى من الحرب. وتجلى ذلك بشكل خاص خلال المواجهات الدفاعية بين 6 و8 أكتوبر/تشرين الأول على الجبهة الجنوبية. كانت التغييرات الرئيسية في الاستخبارات الميدانية هي إدخال مجموعة من الطائرات بدون طيار للاستطلاع الجوي على مستوى القيادة الإقليمية والفرق وإنشاء وحدة مراقبة أرضية تستخدم أحدث التقنيات الكهربائية.

المعدات البصرية. عُزِّزت وحدات أمان في القيادات الإقليمية الثلاث (الشمالية والوسطى والجنوبية) لجعلها ثقلًا موازنًا فعالًا لإدارات مقر أمان. واستُحدثت وظيفة جديدة، وهي رئيس ضابط استخبارات، برتبة عميد، لتخفيف العبء الإداري على مدير أمان وتمكينه من تخصيص المزيد من الوقت لمهام البحث والتقييم الحيوية للفرع. وكان أول رئيس استخبارات لأمان هو دوف تاماري، نائب قائد لواء المظليين السابق وفرقة مدرعة سابقة في قيادة القوات. وقد تجاوز الرجال الجدد أخطاء عام ١٩٧٣، لكن تلك الأخطاء ستظل تطاردهم - وتطارد البلاد بأكملها - لسنوات قادمة.

الدروس

لقد قدّم الفشل الاستخباراتي الفادح لإسرائيل عام ١٩٧٣ درسين رئيسيين: أن الأفكار المسبقة والتحيزات غالبًا ما تتغلب على الحقائق الثابتة، لا سيما عندما تُشير تلك الحقائق إلى مستقبل قاتم؛ وأن أجهزة الاستخبارات، مهما بلغت كفاءتها في القيادة والتنظيم ومهما بلغت تطور معداتها، ستواجه حتمًا صعوبات في التمييز بين الغث (المعلومات الاستخباراتية الجيدة) والسمين (المعلومات الاستخباراتية المضللة أو غير ذات الصلة)، وبين الإشارات المهمة و"الضجيج" الخلفي الذي لا معنى له. في النهاية، سيبقى الأمر

دائمًا متروكًا للمقيّمين والمقيّمين، وللسياسيين الذين يخدمونهم، لتفسير المعلومات الاستخباراتية المتاحة تفسيرًا صحيحًا. إذا رفضوا عدوهم بازدراء باعتباره أحمقًا أخرقًا وغير كفؤ عندما يكون ذلك مبررًا موضوعيًا، فلن يُلحقوا أي ضرر على الأرجح؛ ولكن عندما يكون هذا النهج غير مبرر، فقد يقودون بلادهم إلى الهلاك.
لقد أدت كارثة يورن كيبور إلى مزيد من الحذر والتردد
في التقييمات الاستخباراتية، وإلى موقف أقل استخفافًا بجيران إسرائيل المحتملين للحرب. ومن الآثار السلبية لذلك، والتي برزت بشكل حاد عام ١٩٧٧، درجة التشكك المحرجة التي أظهرها مجتمع الاستخبارات.
- وخاصة أمان - تجاه مبادرة السلام المصرية.

رغم إصلاحات ما بعد الحرب - التي شكك العديد من الخبراء في جدواها، إلا أن عوامل موضوعية وجيوسياسية واستراتيجية متنوعة استمرت في تقييد مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي بأكمله بشدة، مما حدّ حتمًا من قدرته على توقع هجوم عربي. ومن أبرزها أن الجزء الأكبر من جيش الدفاع الإسرائيلي يتكون، حاليًا كما كان سابقًا، من جنود احتياطيين يجب استدعاؤهم وتجهيزهم ونشرهم في زمن الحرب لمساعدة الجيش النظامي من المحترفين والمجندين الذين يؤدون خدمتهم الوطنية. في المقابل، يحتفظ أعداء إسرائيل بجيوش نظامية كبيرة قادرة على الانتقال من الدفاع إلى الهجوم في غضون ساعات. إن التقييم الخاطئ لتهديد عسكري عربي قد يكون له عواقب سياسية واقتصادية بعيدة المدى على الدولة اليهودية.
كما أن التعبئة غير الضرورية لاحتياطيات جيش الدفاع الإسرائيلي - التي يسهل على أي عدو رؤيتها - قد تؤدي في حد ذاتها إلى تصعيد خطير للأزمة. لقد كانت هوامش الخطأ، ولا تزال، ضيقة بشكل خطير.
إن طبيعة الأنظمة العربية التي تواجهها إسرائيل هي طبيعة ثابتة لا تتغير.
هذا عاملٌ مؤثرٌ أيضًا. فمعظمها لا تزال أنظمةً استبداديةً، حيث يستطيع رجلٌ واحدٌ، بين ليلةٍ وضحاها، أن يقرر الحرب أو السلام. ولا يحتاج الرؤساء الأسد في سوريا وصدام حسين في العراق والملك حسين في الأردن إلى نقاشٍ برلمانيٍّ أو وزاريٍّ مطولٍ قبل إصدار أمرٍ بشنِّ هجوم. ومن غير المرجح أن تصل معلوماتٌ واضحةٌ عن قرارهم إلى الاستخبارات الإسرائيلية مُسبقًا. فالمصادر ذات المكانة المرموقة، مثل كاتب رسالة "tsnon" المُفجعة التي تلقاها زفي زامير في 5 أكتوبر/تشرين الأول 1973، قليلةٌ ومتباعدة.
لا يزال يورن كيبور جرحًا مفتوحًا في إسرائيل. يواصل أبطال مجتمع الاستخبارات المُنهك، المتقاعدون منذ زمن طويل، الشجار بين الحين والآخر، مدافعين عن سجلهم، ومحاولين تبرئة ساحتهم عند ظهور التهم القديمة، مع تزايد المعلومات المتسربة مع كل عام يمر. التزم تسفي زامير الصمت تقريبًا حتى ردّ، في عام ١٩٨٩، بشراسة وعلنية على اتهامات يوئيل بن بورات، رئيس قسم جمع المعلومات في جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان)، عام ١٩٧٣، مُصرًّا بشدة على أن استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، وليس الموساد، هي التي فشلت في اللحظة الأكثر حسمًا.٩١
قصة المهدل هي صندوق باندورا المليء بالألم والحزن.

أعمالٌ لم تُنجز بعد، وما إن كشفتها لجنة أغرانات حتى تكشف أسرارًا غامضة ومحرجة. ولعلّ أكثر ما كُشف مؤخرًا هو الإشارة إلى أنه في 25 سبتمبر/أيلول 1973، أي قبل اثني عشر يومًا من بدء الحرب، تلقت رئيسة الوزراء غولدا مائير تحذيرًا شخصيًا من الملك حسين، ملك الأردن، بالهجوم المصري السوري الوشيك، والذي (باستثناء إرسال قوة رمزية صغيرة متأخرًا لمساعدة السوريين في مرتفعات الجولان) ظلّ بعيدًا عن القتال منذ بدايته. أخذت مائير هذا السرّ معها.
لها إلى القبر.
كانت أهمية هذا الادعاء هائلة. في السابق،
لطالما تحمّلت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، وليس ساستها، العبء الأكبر من المسؤولية عن يورن كيبور.
ولكن إذا كانت رئيسة الوزراء نفسها قد تلقت بالفعل مثل هذا التحذير - ومن مصدر عربي مُطّلع على نحوٍ فريد - فكيف كان من المُمكن أن تتجاهل إبلاغه لجهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) والموساد؟ ولكن حتى لو فعلت، فهل كان ذلك كافيًا لتغيير "المفهوم المُدمر"؟
ضياء؟92

10
فترة انتقالية مع السلام:
80-1974

تغييرات ما بعد الحرب
وجدت إسرائيل نفسها في حالة صدمة جماعية عميقة بعد يوم الغفران. وبحلول الوقت الذي دُفن فيه 2500 قتيل، وأصدرت فيه لجنة أغرانات تقريرها عن الأخطاء الفادحة والرضا عن النفس الذي سبق الحرب، كان ثلثا أجهزة الاستخبارات في البلاد الأكثر تضررًا تحت إدارة جديدة. وبين نشر التقريرين الأول والأخير للجنة، حلّ إسحاق "هاكا" هوفل، الجندي المحترف والرئيس السابق للقيادة الشمالية في جيش الدفاع الإسرائيلي، محل تسفي زامير، محافظًا على تقليد ما بعد هاريل بتعيين جنرالات جيش الدفاع الإسرائيلي رؤساءً للموساد. وتولى شلومو غازيت رئاسة جهاز الاستخبارات في جيش الدفاع الإسرائيلي خلفًا لإيلي زيرا الذي أُقيل من منصبه. وفي نهاية عام 1974، كان يوسف هارملين، رئيس جهاز المخابرات الوحيد الذي لم يتأثر بإخفاقات ما قبل أكتوبر والاتهامات المتبادلة بعد الحرب،
تم استبداله كمدير لجهاز الأمن العام (الشين بيت) بنائبه أبراهام أهيتوف.
بدا اندلاع حرب جديدة في الشرق الأوسط مستبعدًا في أعقاب إبرام اتفاقيات فك الارتباط التي تم التفاوض عليها في دبلوماسية مكوكية ماراثونية من قبل وزير الخارجية الأمريكي هنري كيسنجر بين إسرائيل ومصر (يناير 1974 وسبتمبر 1975)، والمعروفة باسم سيناء الأولى وسيناء الثانية، وسوريا (جون 1974، على مرتفعات الجولان). أجبر كيسنجر إسرائيل على التنازل عن شريط صغير من الأراضي حول القنيطرة لسوريا

والانسحاب من قناة السويس إلى الشرق من ممرات متلا والجيدي، ولكن معظم سيناء، والأهم من ذلك، الضفة الغربية بأكملها، كانت تحت سيطرة إسرائيل.

ظلت الضفة وقطاع غزة تحت الاحتلال. وهكذا، ظلت القضية الفلسطينية، التي يعتقد الكثيرون أنها جوهر الصراع العربي الصهيوني، دون حل. وبدا أي نوع من السلام بعيد المنال.

صدمة السلام

ولكن بعد مرور أربع سنوات فقط على كارثة عام 1973، فشل جهاز الاستخبارات الإسرائيلي مرة أخرى في توفير إنذار مبكر لحدث مزلزل: وكان الخلل هذه المرة في عدم التنبؤ بمبادرة السلام التي طرحها الرئيس أنور السادات، والتي أسفرت عن توقيع اتفاقيات كامب ديفيد في سبتمبر/أيلول 1978، وبدء المفاوضات لحل القضية الفلسطينية، ومعاهدة السلام بين إسرائيل ومصر في مارس/آذار 1979، والتي أنهت ما يقرب من ثلاثين عاما من الصراع بين الدولة اليهودية وأكبر وأقوى أعدائها العرب.

في أوائل عام 1976، بدأ مدير أمان شلومو غازيت بالقلق من أن أي تغيير في الرأي في العالم العربي، من العدوانية إلى النوايا السلمية، سيمر دون أن يلاحظه أحد في إسرائيل.1 بعد صدمة يورن كيبور، نبهت أمان هوائيها إلى كل ما يتعلق بالتحضيرات العربية للحرب. ولكن هل كان مستقبلوها منسجمون بشكل صحيح مع التحركات العربية نحو السلام؟ ما هي علامات التغيير العربي في الرأي؟ في سبتمبر 1976، بدأ غازيت يفكر بجدية في المشكلة. اتصل بالعديد من أجهزة الاستخبارات الأجنبية - وخاصة وكالة المخابرات المركزية - وسأل عن آرائهم حول مثل هذه المؤشرات، لكن إجاباتهم أثبتت أنها قليلة الفائدة. ثم تحول غازيت إلى هيئة الأبحاث الرائدة في الشرق الأوسط في إسرائيل، معهد شيلواح بجامعة تل أبيب (الذي سمي على اسم الراحل رؤوفين شيلواح)، وطلب من الأكاديميين مجموعة من المؤشرات. في النهاية، صاغ ضباط أمان والأساتذة سؤالين: (1) هل كان هناك تغيير في التصريحات العربية العلنية حول إسرائيل؟ (2) هل حدث تغير معياري في الموقف العربي تجاه إسرائيل وفكرة السلام؟

وبناءً على هذه المبادئ التوجيهية العامة إلى حد ما، بدأ قسم الأبحاث في أمان العمل وظهر في وقت مبكر

أكتوبر 1977 - قبل حوالي ستة أسابيع من وصول السادات إلى القدس

- مع استنتاج أنه لم يحدث أي تغيير في العالم العربي فيما يتعلق بالمواقف تجاه إسرائيل. اعتقد قسم الأبحاث أن السادات قد وصل إلى مفترق طرق ويمكنه اختيار السلام أو الحرب. كان من المقرر أن تنتهي اتفاقية فك الارتباط الثانية بين إسرائيل ومصر في سيناء في سبتمبر 1975 في أكتوبر 1978، وكان أمان مقتنعًا بأن مصر لن تجددها، مما يعني أن الوضع الراهن في سيناء كان في خطر. مال القسم إلى الرأي القائل بأن السادات سيختار الحرب، على الرغم من عدم استعداد مصر الملموس لتجديد الأعمال العدائية: منذ عام 1973 سُمح للقوات المسلحة المصرية بالسقوط في حالة من الخراب والدمار.2 في إحدى المناقشات التحضيرية التي أدت إلى صياغة تقييم أمان السنوي للأمن القومي لعام 1977، اقترح ضابط كبير في أمان، مازحًا إلى حد ما، أن مصر قد تختار السلام. يتذكر غازيت لاحقًا: "ضحك الجميع".

إن المفهوم الإسرائيلي الجوهري للمواقف العربية تجاه الصراع جعل حتى التفكير في فكرة السلام أمرًا صعبًا. كتب ألوف هارفين، الذي شغل مناصب بحثية عليا في كل من استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي والموساد: "لقد بلورت سنوات الصراع الثلاثون التي سبقت زيارة السادات عمليات تفكيرنا بطريقة جعلت الكثيرين منا لا يرون سوى احتمالين: التعايش المسلح أو الحرب".3

في ربيع عام 1977، دُعيت شارلوت جاكوبسون، رئيسة منظمة هداسا الصهيونية النسائية الأمريكية، لزيارة القاهرة، في لفتة غير مألوفة من النظام المصري. استفسرت عن رأي حكومة رابين، ونُصحت بعدم الذهاب، لأنه، كما قال الإسرائيليون، يمكن للمصريين استغلال مثل هذه الزيارة لأغراض دعائية. لكن جاكوبسون ذهبت. عادت إلى الولايات المتحدة عبر القدس، حيث أبدت حماسًا لما رأته وسمعته. أخبرت الحكومة الإسرائيلية أن المصريين مهتمون بالتوصل إلى تسوية، وأنها حظيت بمعاملة تفضيلية. يتذكر غازيت: "لكن لم تظهر كلمة واحدة عن الزيارة في وسائل الإعلام المصرية الداخلية، ولم تكن هذه علامة جيدة". كان يُعتقد أن ذكر زيارة جاكوبسون علنًا كان سيوحي بدفء أكبر تجاه الدولة اليهودية. لذلك في تقييمها السنوي لعام 1977-

في هذا السياق، خلص أمان إلى أنه على الرغم من وجود بعض التغييرات الدلالية في إشارات وسائل الإعلام المصرية إلى إسرائيل، إلا أنها على الأرجح كانت "مسألة دعائية". لم يكن هناك أي مؤشر على سلام وشيك.
ولم يكن الموساد أكثر حكمة، على الرغم من قسم الأبحاث الذي أنشأه نتيجة لتوصيات لجنة أغرانات.
كانت استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي في وضع غير مؤات. لم تكن
أُبلغت إسرائيل بالاجتماع السري في المغرب يوم 16 سبتمبر بين وزير الخارجية موشيه ديان وحسن التهامي نائب رئيس الوزراء السادات، وربما الأهم من ذلك، لم يكن لديها أي وسيلة لمعرفة أن رئيس الوزراء بيغن سيستجيب بشكل إيجابي لمبادرة مصرية. نادرًا ما كانت علاقة إسرائيل الطويلة الأمد بالملك الحسن ملك المغرب مفيدة إلى هذا الحد. زار إسحاق رابين سرًا كرئيس للوزراء في أكتوبر 1976 واستمع إلى قلق الملك بشأن المد المتصاعد للتطرف العربي الذي كان يخشى أن ينمو إذا لم يتم حل الصراع مع إسرائيل.4 تم ترتيب محادثات ديان والتهامي في مراكش وحضرها ضابط كبير في الموساد (وفقًا لبعض المصادر كان رئيس الجهاز نفسه، إسحاق حوفي؛ ويدعي آخرون أنه كان ديفيد كيمحي)، لكن السر كان محفوظًا جيدًا، وعلى أي حال، كانت المحادثات غير حاسمة. وفي بداية شهر نوفمبر/تشرين الثاني، اقترح نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي، يغئال يادين، استدعاء قوات الاحتياط في جيش الدفاع الإسرائيلي لمواجهة أي تهديد مصري محتمل في سيناء.
لذا، عندما أعلن السادات في 9 نوفمبر/تشرين الثاني 1977 استعداده للانسحاب من غزة،
فيما يتعلق برغبته في إلقاء خطاب أمام الكنيست في القدس، كان أمان متشككًا للغاية، إن لم يكن مُطلقًا. وجادل غازيت بأن الأمر لا يزال يبدو "متناقضًا تمامًا مع المزاج العام والتفكير السائد في مصر". وكان وزير خارجية السادات، إسماعيل الفهري، مندهشًا بنفس القدر، فاستقال على الفور. وفي اليوم نفسه، قال غازيت لمردخاي غور بشكل دراماتيكي: "هذه خدعة القرن".
كان لدى أمان سبب وجيه للشك في صدق خطوة السادات. فقد غرست ذكرى عام ١٩٧٣ المريرة في خبرائها المصريين وعيًا مبالغًا فيه بدور الخداع في الاستراتيجية العربية. وأظهرت تقارير الاستخبارات أن الجيش المصري كثّف تدريباته ويستعد للحرب في...

١٩٧٨. أثارت تصريحات السادات خلال زيارته للسعودية مخاوف الخداع. قال الرئيس المصري: "لو كنتُ أعتقد أن الإسرائيليين يريدون السلام، لما ذهبتُ إلى القدس، بل سعيتُ وراء مفاوضات عادية. لكن الإسرائيليين متطرفون، وهذا ما أريدهم أن يظهروا به للعالم أجمع".
وبعد بضعة أيام، ترجمت شكوك أمان، بشكل محرج، إلى بيان منشور من قبل رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي، مردخاي جور، مفاده أن الخطوة التي اتخذها السادات ربما تكون خدعة مصرية جديدة لإخفاء مخططات عدوانية حقيقية.6
وفي 14 نوفمبر/تشرين الثاني، قال غازيت لوزير الدفاع عزرا وايزمان:
مهما قال المصريون، علينا أن نفترض أنهم يستعدون للحرب، ولن نعرف متى. أفعالهم قد تكون ستارًا للحرب. سيجادل السادات بأنه كان مستعدًا للمضي قدمًا، وأن إسرائيل لم ترد. قرار الحرب يعتمد على خمسة أو ستة أشخاص، ولا يمكننا الاعتماد على تاريخ محدد.
لكن الزيارة التاريخية مضت قدمًا. وصل السادات إلى القدس في 19 نوفمبر/تشرين الثاني، وألقى خطابًا أمام الكنيست، ومهد الطريق بشكل دراماتيكي للمحادثات الإسرائيلية المصرية، واتفاقية كامب ديفيد، والسعي العقيم وراء "الحكم الذاتي" الفلسطيني في الضفة الغربية، وفي النهاية معاهدة السلام وعودة سيناء إلى السيادة المصرية. وأوضح غازيت لاحقًا أن سياسة السلام كانت "نتيجة قرار شخصي، قرار لم يُناقش أو يُدرس أو يُقبل من قِبل أي منتدى داخل الدوائر الحاكمة في القاهرة. ولم يستند إلى أي إجماع عربي واسع".
غور، الذي استقبل الزعيم المصري على مدرج مطار بن غوريون (قال له السادات: "لم أكن أخادع")، ظلّ غير نادم. وقال لاحقًا: "ظننتُ حقًا أنها خطة خداع على مستوى استراتيجي رفيع. لم أعتقد أن الرئيس المصري سيبدأ حربًا أثناء الزيارة أو بعدها مباشرةً. لم أقصد هذا النوع من الخداع، بل خداعًا بمعنى التحضير الدقيق للحرب حتى عام ١٩٧٨". وبينما كان السادات يخاطب الكنيست، قال عزر:

أرسل وايزمان مذكرة إلى رئيس الأركان يقول فيها: "ابدأ بالاستعداد للحرب".9
إن فشل مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي بأكمله في
يُتوقع أن تُلقي مبادرة السادات للسلام بظلالها الخطيرة على الإصلاحات التعددية في أعقاب يورن كيبور، وعلى قدرتها على استشراف التغيرات السياسية أو الاستراتيجية الكبرى في الشرق الأوسط. ولم تكن هذه المرة الأخيرة التي تُظهر فيها هذه المبادرة هذا الضعف الجوهري.

إسرائيل وإيران والأكراد: 1967-1979
في فبراير 1979، قبل شهر من توقيع معاهدة السلام مع مصر، فقدت إسرائيل أهم حليف لها في الشرق الأوسط. وكما تمكنت أخيرًا من اختراق ثلاثين عامًا من العداء العربي، سقط شاه إيران أمام تحالف من الأصوليين الإسلاميين واليساريين، وكانت ضربة موجهة بالأساس للولايات المتحدة، ولكنها ضربة لإسرائيل أيضًا. وقد اتسعت العلاقة بين طهران والقدس وتعمقت منذ أن بدأ قسم العلاقات الخارجية في الموساد في رعايتها باعتبارها حجر الزاوية في "سياسة المحيط" الناجحة في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات. اشترى شاغل عرش الطاووس كميات هائلة من الأسلحة الإسرائيلية وكان شريكًا لا يقدر بثمن في التجارة

وتبادل المعلومات الاستخباراتية. كان آية الله الخميني يكره اليهود، ويعارض وجود إسرائيل ذاته، وكان قريبًا من أكثر أعدائها الفلسطينيين تطرفًا. ولم تكن مجرد لفتة رمزية عندما سلمت قوات الحرس الثوري التابعة للنظام الجديد مبنى السفارة الإسرائيلية في طهران لمنظمة التحرير الفلسطينية.
وبحلول الوقت الذي سقط فيه الشاه، لم تعد العلاقات الإسرائيلية الإيرانية
لم يعد الأكراد المساكين يشاركون في هذه الحرب. ازدادت المساعدات الإسرائيلية للبشمركة العراقية بشكل كبير بعد حرب ١٩٦٧، وسرعان ما أصبحت من أسوأ الأسرار المحفوظة في الشرق الأوسط. زار زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني، الملا مصطفى بارزاني، إسرائيل في سبتمبر من ذلك العام، وقدم لموشيه ديان خنجرًا كرديًا معقوفًا. هجوم بقذائف الهاون مُخطط له جيدًا على مصافي النفط في كركوك في مارس.

كان يُعتقد على نطاق واسع أن عام ١٩٦٩ كان من عمل الإسرائيليين. قيل للصحفي المصري محمد حسنين هيكل عام ١٩٧١ إن "ضباطًا إسرائيليين في كردستان كانوا على اتصال لاسلكي دائم بإسرائيل وتورطوا في عمليات تجسس داخل العراق".١٠ وذكرت الصحافة العراقية بانتظام الوجود الإسرائيلي. واصل الشاه اتباع سياسة إضعاف العراق داخليًا، وعندما وُقعت معاهدة الصداقة العراقية السوفيتية في أبريل ١٩٧٢، اكتسب مؤيدين جددًا أقوياء. في الشهر التالي، رتب الشاه سرًا مع الرئيس نيكسون ووزير خارجيته، الدكتور هنري كيسنجر، لدعم اقتصادي وعسكري ضخم للأكراد العراقيين، وذلك لتحييد الجيش العراقي إقليميًا. على مدى السنوات الثلاث التالية، تم تحويل أكثر من ١٦ مليون دولار من أموال وكالة المخابرات المركزية إلى الأكراد.١١ أفادت مصادر أمريكية، ربما كانت في وزارة الخارجية، التي عارضت هذه السياسة، بعد ذلك بوقت قصير أن الإسرائيليين كانوا بمثابة قناة اتصال، وكانوا يسلمون ٥٠ ألف دولار شهريًا. قام تسفي زامير، رئيس الموساد آنذاك، بزيارة أيضًا.12 كان ترتيبًا محسوبًا ببرود، كما وصفه لاحقًا تقرير بايك المقدم إلى مجلس النواب الأمريكي. وجاء فيه: "كان الرئيس والدكتور كيسنجر ورئيس الدولة الأجنبية [الشاه] يأملون ألا ينتصر عملاؤنا [الأكراد]". "وفضلوا بدلًا من ذلك أن يواصل المتمردون مستوى من الأعمال العدائية يكفي لاستنزاف موارد الدولة المجاورة لحليفنا [العراق]. لم تُنقل هذه السياسة إلى عملائنا، الذين شُجِّعوا على مواصلة القتال. حتى في سياق العمل السري، كانت خطوتنا مشروعًا ساخرًا".13 انطبقت الحسابات نفسها على إيران وإسرائيل، اللتين زادتا مساعداتهما للأكراد بشكل كبير في صيف عام 1972. التقت غولدا مائير بالشاه في طهران قبيل وصول نيكسون وكيسنجر.14 في أغسطس 1972، اندلعت اضطرابات جديدة في
كردستان.
نُقلت كميات هائلة من الأسلحة السوفيتية التي استولت عليها إسرائيل عام ١٩٦٧ إلى الأكراد. وكان يعقوب نمرودي، الملحق العسكري الإسرائيلي ذي النفوذ الكبير في طهران، القناة الرئيسية. وتروي حكاية معاصرة كيف فوجئ بارزاني، المعتاد على استلام أسلحة من الكتلة الشرقية، وسعد ذات مرة بحصوله عن طريق الخطأ على شحنة من الأسلحة الإسرائيلية.

صنع قذائف هاون، ووجدها متفوقة، فطلب المزيد. بالغ بارزاني في توقعاته بشأن القدرات الإسرائيلية: فقد كان، وفقًا لمصدر مطلع، "يُخطط لحملة مشتركة تسيطر فيها إسرائيل على سوريا بينما يغزو العراق".15 ورغم انخراطهم المتزايد، حاول الإسرائيليون التخفي، ومن غير المؤكد ما إذا كان مقاتلو

البيشمركة العاديون يعرفون هويتهم. كان المستشارون الإسرائيليون يرتدون أحيانًا زي الجيش الإيراني، لكن لم يكن جميعهم يتحدثون الفارسية.16
لم يكن لدى الإسرائيليين سوى القليل من الأوهام حول الطبيعة الحقيقية لسياساتهم.
العلاقة مع الشاه. مع نهاية دعم الأكراد العراقيين، في عام 1974 وأوائل عام 1975، بدأ التوتر يظهر. أرادت إيران مضايقة العراق، ولكن ليس أكثر من ذلك، إذ كان عليها دائمًا مراعاة 5 ملايين كردي يعيشون داخل حدودها. كان الممثلون الإسرائيليون في إيران يدركون أن وجودهم، الذي لم يُمنح قط وضعًا دبلوماسيًا كاملاً، مقبول فقط طالما أنه يخدم مصالح عرش الطاووس. كان أوري لوبراني، الذي أصبح سفيرًا في سبتمبر 1973، سفيرًا في إثيوبيا من عام 1968 إلى عام 1971 في ظروف سياسية هشة و"هامشية" مماثلة؛ أصبح خيارًا منتظمًا للمناصب الصعبة في الأماكن الحساسة، وفي مايو 1983 عُين منسقًا للأنشطة الإسرائيلية في لبنان. ظلت الاستخبارات والأمن جزءًا حيويًا من العلاقات الإيرانية الإسرائيلية حتى النهاية في عام 1979. وكان آخر سفير إسرائيلي في طهران قبل الإطاحة بالشاه هو يوسف هارملين، رئيس جهاز الأمن الداخلي (الشاباك) من عام 1963 إلى عام 1974.
وفقًا لبعض المصادر، طلبت إسرائيل من بارزاني شن هجوم جديد في أكتوبر/تشرين الأول 1973 لمحاولة منع العراقيين من التقدم لدعم الجيش السوري على جبهة الجولان. اعترضت وكالة المخابرات المركزية وكيسنجر على الخطة. في الوقت نفسه، وعد الشاه صدام حسين بأنه لن يستغل انتشار القوات العراقية - ستين طائرة، و30 ألف جندي، و400 دبابة - على خط المواجهة ضد إسرائيل. عندما هُزم العراقيون في الجولان - وخسروا إحدى وعشرين طائرة، وثمانين دبابة، و125 قتيلاً - كان بإمكان الشاه أن يرضى تمامًا عن مناورته.
في مارس 1970، كانت حكومة بغداد وبارزاني

وضعوا خطة سلام من خمس عشرة نقطة، كان من المقرر تنفيذها عام ١٩٧٤ بعد فترة انتقالية مدتها أربع سنوات. وهكذا، تعرّضت تسوية القضية الكردية في العراق لخطر بالغ بسبب تزايد الدعم الإيراني الأمريكي الإسرائيلي لبارزاني. هذا الدعم الدولي مكّنه من مواصلة الحرب. في تلك اللحظة، صعّد قائد البيشمركة مطالبه، مُصرّاً على أن تشمل المنطقة الكردية كركوك وآبارها النفطية، وأن للأكراد سلطة الحفاظ على جيشهم الخاص وإدارة شؤونهم الخارجية. في الواقع، رفض المقاتلون الأكراد التخلي عن أسلحتهم ووقف الحرب الأهلية في مارس ١٩٧٤، في نهاية المرحلة الانتقالية. سرعان ما تمكن الجيش العراقي، المُجهّز بشكل متزايد بالأسلحة السوفيتية، من تحقيق نجاح عسكري. في أوائل مارس ١٩٧٥، قبل العراقيون عرضاً إيرانياً بوقف دعم الأكراد مقابل تسوية على طول شط العرب. انهار التمرد الكردي، وتجاهلت المناشدات اليائسة من بارزاني إلى كيسنجر. استجوب ويليام كولبي، رئيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وزير الخارجية، وقيل له بصراحة إن "عمليات المخابرات السرية ليست عملاً تبشيرياً".17 وبالنظر إلى مدى شيوع هذا الأمر، ظل سر دعم إسرائيل للأكراد حساساً للغاية. عندما تحدث رئيس الوزراء بيغن بصراحة وفخر عن هذا الموضوع بعد اندلاع حرب الخليج عام ١٩٨٠ بفترة وجيزة، انتقده مائير عميت - الذي بدأت العلاقة في عهده - لتهوره بشأن العمليات السابقة.18
إذا كانت أمريكا والغرب قد "خسرا" إيران عام ١٩٧٩، فلم يكن ذلك لنقص تحذيرات الإسرائيليين، الذين كانوا "أول من دق ناقوس الخطر".١٩ كان لوبراني، المعروف بمعرفته الواسعة، يكتب تقييمات قاتمة لفرص

الشاه في البقاء منذ أوائل عام ١٩٧٨. في أوائل يونيو، أرسل برقية مطولة إلى الوطن، مجادلاً بأن الأمر لم يعد يتعلق بـ "قدرة الشاه على البقاء"، بل بـ "مدة بقائه". رفض الأمريكيون تقاريره باعتبارها مثيرة للقلق، كما رفضوا تقارير جهاز الاستخبارات الفرنسي (SDECE)، وهو جهاز الاستخبارات الغربي الوحيد الآخر الذي توقع الكارثة. ٢٠ كتب لوبراني لاحقاً: "بعد أن ذهبت إلى إيران من إثيوبيا، رأيت نظاماً ملكياً في طور الاضمحلال. أدركت مبكراً جداً

"خلال إقامتي، أدركت أن البنية التحتية المنظمة الوحيدة التي كان لديها مجال للعمل داخل البلاد كانت المجتمع الديني.21 وتوصل رؤوفين ميرهاف، ممثل الموساد في طهران، إلى استنتاجات مماثلة.22 وفي نفس الوقت تقريباً، كان ضابط اتصال كبير آخر في الموساد يتشاور مع رئيس السافاك، الجنرال ناصري مقدم، حول "مثيري الشغب" الذين قد يكون من المفيد اعتقالهم لمحاولة منع المزيد من المعارضة للنظام.23

تقرير وكالة المخابرات المركزية

كانت إحدى عواقب الثورة الإيرانية محرجة للغاية لأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية. تضمنت الوثائق التي تم الاستيلاء عليها من السفارة الأمريكية في طهران في نوفمبر 1979 نسخة من تقرير سري لوكالة المخابرات المركزية بعنوان "إسرائيل: مسح لأجهزة الاستخبارات والأمن الأجنبية". نشر الإيرانيون التقرير. أعيد توزيع الوثيقة المكونة من سبع وأربعين صفحة، والتي أُعدت في الأصل عام 1976 واستندت جزئيًا إلى معلومات متاحة للجمهور، في عام 1979. احتوت على العديد من الأخطاء الواضحة، لكنها كانت بشكل عام التقرير الأكثر تفصيلاً الذي نُشر على الإطلاق عن هيكل وأولويات وأداء أجهزة المخابرات الإسرائيلية العامة. ذكر التقرير أن الموساد وظف ما بين 1500 و2000 فرد، منهم "حوالي 500" ضابط. كان لدى الشاباك 1000 عضو من بينهم 550 "برتبة ضابط". وظفت المخابرات العسكرية 7000 فرد، من بينهم 450 ضابطًا.

وفقًا لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، تم تقسيم الموساد إلى ثمانية أقسام: (1) التخطيط والتنسيق العملياتي؛ (2) جمع المعلومات؛ (3) العمل السياسي والاتصال؛ (4) القوى العاملة والمالية واللوجستية والأمن؛ (5) التدريب؛ (6) البحث؛ (7) العمليات الفنية؛ و(8) التكنولوجيا. كان لدى الشاباك أيضًا ثمانية أقسام، ثلاثة أقسام عملياتية - الأمن والشؤون العربية والشؤون غير العربية - وخمسة أقسام دعم - التخطيط والتنسيق والدعم العملياتي والتكنولوجيا والتحقيقات والشؤون القانونية/الإدارية.24 وجد إيسر هاريل، الذي كان دائمًا على استعداد للتعليق، أن ظهور التقرير "عمل مذهل"

"عدم المسؤولية". كان غاضبًا بشكل خاص لأنه لم يُذكر: ذكر استحواذ الموساد على خطاب خروشوف الشهير حول نزع الستالينية في مؤتمر الحزب الشيوعي السوفييتي عام 1956.25

فاصل عراقي: قصف مفاعل بغداد

كانت إسرائيل مترددة بشأن كيفية الرد استراتيجيًا عندما اندلعت الحرب بين إيران والعراق في سبتمبر/أيلول 1980. لكن كانت هناك بوضوح فرص تكتيكية قصيرة الأجل ينبغي اغتنامها. ورغم الطابع المعادي للغرب

وإسرائيل لنظام الخميني، استمرت إمدادات الأسلحة إلى طهران سرًا، وبدا من المنطقي استغلال انشغال بغداد بالخليج لضرب هذا العدو العربي القوي.
لقد جاءت الضربة الأشد صدمةً التي تلقتها إسرائيل في صيف عام 1981.
في الساعة 5:34 مساءً من يوم 7 يونيو/حزيران، انقضّت قوة من ثماني طائرات إف-16 تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي، مغطاة بست طائرات إف-15 اعتراضية، على مفاعل أوزيراك النووي العراقي، الذي بنته فرنسا، في التويثة، شمال بغداد، ودمرته بالكامل. كان توقيت الغارة، كما صرّح رئيس جهاز المخابرات العراقي، يهوشوا ساغي، لاحقًا، "دقيقًا للغاية": فقد انتهى العمل في المحطة، التي كانت في مرحلة متقدمة من البناء، قبل ساعة تقريبًا.26
أنهت هذه الضربة الجراحية، التي قُتل فيها فني فرنسي وجُرح تسعة عراقيين، أشهرًا من التخطيط الإسرائيلي لتحييد برنامج التطوير النووي العراقي. كان من المقرر أن يبدأ مفاعل التويثة العمل - بإدخال قضبان اليورانيوم في قلبه - في يوليو أو سبتمبر. بعد ذلك، كانت الغارة ستُسبب تلوثًا نوويًا حول بغداد، مع خسائر فادحة في الأرواح والإصابات بين السكان العراقيين، وإن كانت مؤكدة.
كانت إسرائيل والعراق رسميًا في حالة حرب منذ الغزو العراقي لفلسطين عام ١٩٤٨؛ وعلى عكس الدول العربية الأخرى، رفض العراق لاحقًا توقيع اتفاقية هدنة. اعتقد قادة إسرائيل، بقيادة مناحيم بيغن، أن البرنامج النووي الذي أطلقه الرئيس صدام حسين

كان البرنامج النووي الإيراني مُصممًا لإنتاج قنابل نووية، وأن هذه الأسلحة - رغم الحرب الدائرة ضد إيران الخمينية - مُصممة أساسًا للاستخدام ضد إسرائيل. فكّر بيغن ومعظم زملائه الوزراء في إمكانية حدوث "محرقة ثانية".
بدأ البرنامج النووي العراقي في أواخر سبعينيات القرن الماضي. ووُقِّعت اتفاقيات سرية مع الحكومة الفرنسية وشركات فرنسية لتوفير المفاعل والفنيين والوقود النووي. وبدأ التخطيط لهجوم سلاح الجو الإسرائيلي في نوفمبر/تشرين الثاني 1979.27
منذ البداية، في أواخر عام 1978، كان كل من رئيس أمان شلومو غازيت
(الذي حلَّ محلَّه لاحقًا يهوشوا ساغي) ورئيس الموساد إسحاق حوفي عارضا خطة القصف. واعتقدا أن بعض السنوات
سينقضي قبل أن يبدأ المفاعل في تشكيل تهديد لإسرائيل، وخشوا أن تتصاعد الضربة إلى حرب، مما يعيق أو حتى يدمر عملية السلام الإسرائيلية المصرية.
حتى عام 1981، كان مدعومًا من قبل نائب رئيس الوزراء ييغال يادين.28 ووفقًا لغازيت، كان لدى أمان "شخصية موثوقة وذات سلطة"
معلومات تفيد بأن العراق كان عازمًا على تطوير أسلحة نووية بدلًا من السعي وراء أبحاث نووية. لكن طوال فترة العد التنازلي للغارة، ظلّ مقتنعًا بضرورة سعي إسرائيل لعرقلة البرنامج العراقي بوسائل غير عسكرية.
ووفقًا لتقارير صحفية فيينية، كان روجر ريختر، الموظف في الوكالة الدولية للطاقة الذرية، أحد المصادر الرئيسية للموساد حول حالة البرنامج النووي العراقي في مراحل زمنية محددة (طُرد ريختر بعد القصف، إثر شكاوى عراقية من تزويده كلًا من إسرائيل والولايات المتحدة بمعلومات سرية).29

اتبعت إسرائيل عددًا من الاستراتيجيات الدبلوماسية لوقف تقدم البرنامج النووي العراقي. وتواصلت مع فرنسا مرارًا وتكرارًا، بشكل مباشر وغير مباشر؛ وحُشدت الولايات المتحدة للضغط عليها. لكن دون جدوى. في 6 أبريل/نيسان 1979، اتخذت إسرائيل مبادرتها الميدانية الأولى لعرقلة البرنامج: داهم عملاء الموساد مخازن محطة نووية فرنسية في سين سور مير، بالقرب من تولون، حيث كان يجري بناء قلب المفاعل. فُجّر القلب، وتبنت الهجوم منظمة غير معروفة سابقًا تُدعى...

المجموعة البيئية الفرنسية. اشتبه جهاز الأمن الفرنسي (DST) في أن الموساد هو الجاني على الأرجح. 30 بُذلت محاولة ثانية لثني الفرنسيين عن مواصلة مساعدتهم النووية أو العراقيين عن مواصلة المشروع في يونيو/حزيران 1980. قُتل الدكتور يحيى المشد، عالم معادن مصري المولد وعضو في هيئة الطاقة الذرية العراقية، والذي كان في باريس لإتمام ترتيبات مع الفرنسيين بشأن شحن الوقود النووي إلى بغداد، في غرفته بالفندق على يد مهاجمين مجهولين. عثرت خادمة على جثته في 14 يونيو/حزيران. كان مصابًا بعدد كبير من الجروح بالسكاكين، رغم أن السرقة لم تكن الدافع. ذكّرت هذه الجريمة الكثيرين بالهجمات الغامضة التي تعرض لها العلماء الألمان العاملون في برنامج ناصر الصاروخي في أوائل الستينيات. استجوبت إدارة الاستخبارات العسكرية في 1 يوليو/تموز عاهرة التقت بالعالم المصري مساء وفاته وسمعت أصواتًا قادمة من غرفته. وفي 12 يوليو/تموز، قُتلت في حادث سيارة صدم وهرب. 31
في سبتمبر 1980، تلقت إسرائيل مساعدة غير متوقعة من
الربع: أغارت الطائرات الإيرانية مرتين على موقع التويثة، مُلحقةً أضرارًا طفيفة بالمباني الملحقة بالمفاعل. عزز العراقيون إجراءات الأمن والدفاعات الجوية حول محيط الموقع. ولعل هذا قد أتاح للإسرائيليين فرصة أخرى، هذه المرة لتجنيد عملاء على الفور. بعد الهجمات الإيرانية، عاد جميع الخبراء الفرنسيين والإيطاليين العاملين في المفاعل إلى ديارهم، ولم يعودوا إلا في فبراير/شباط 1981. ومن شبه المؤكد العثور على مصادر داخلية خلال الفترة الفاصلة.32
في 14 أكتوبر/تشرين الأول 1980، اجتمع كبار صناع القرار الإسرائيليين ورؤساء الجيش والمخابرات في القدس لمناقشة مشكلة المفاعل. كان العقيد أفييم سيلا، رئيس العمليات الجديد في سلاح الجو الإسرائيلي، منشغلاً بالعمل على خطة القصف. أصر بيغن بشدة على وجهة نظره - أن تدمير الموقع هو أهون الشرين. واصل يغئال يادين ووزير الداخلية يوسف بورغ معارضة القصف. وحظيا بدعم من حوفي وساغي ورئيس التخطيط في جيش الدفاع الإسرائيلي، اللواء أبراهام تامير. جادل ساغي بأن الضربة قد تدفع العراق وإيران إلى دفن...

وجّهوا أنظارهم نحو إسرائيل. ومن المثير للاهتمام أن نائبي رئيسَي المخابرات دعما بيغن. فقد أكد نائب رئيس المخابرات العسكرية، أفيزر يعاري، أن قنابل بغداد كانت تُصنع لاستخدامها ضد إسرائيل؛ بينما جادل نائب حوفي، ناحوم أدموني، بأن الضربة ستكون بمثابة تحذير مفيد للآخرين في العالم العربي.
ناقش مجلس الوزراء بكامل هيئته القضية في 28 أكتوبر، حيث دعا ساغي وحوفي إلى تأجيل الغارة لمعرفة كيفية تطور البرنامج العراقي. وعارض رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) بشدة نهج "الهولوكوست الثاني". فوجود أسلحة نووية في أيدي العرب لا يعني بالضرورة تدمير إسرائيل. ولن يوقف تدمير المفاعل البرنامج النووي العراقي. وعلى أي حال، لن يكون العراق في وضع يسمح له بإنتاج أسلحة نووية حتى أوائل

التسعينيات على الأقل. كان ساغي قلقًا بشأن ردود الفعل الأمريكية والعربية المحتملة على مثل هذه الضربة. وجادل بأنها قد تُسبب "صدعًا عميقًا وأزمة حادة بين إسرائيل والولايات المتحدة". 34 وظل مقتنعًا بإمكانية عرقلة البرنامج العراقي بوسائل أخرى. 35 لكن غالبية الوزراء ظلوا غير متأثرين بآراء رئيسي جهازي المخابرات الإسرائيلي (أمان) والموساد. وقرر مجلس الوزراء من حيث المبدأ شن ضربة جوية. وفي 10 نوفمبر/تشرين الثاني 1980، قدم ديفيد إيفري خطة سلاح الجو الإسرائيلي إلى هيئة الأركان العامة.
في 15 مارس/آذار 1981، وافقت هيئة الأركان العامة على الخطة. أبدى ساغي تحفظاته في البداية، مشيرًا إلى أن سلاح الجو الإسرائيلي قد يفشل في تدمير المفاعل، مما سيجلب غضب العالم على إسرائيل. 36 وفي 3 مايو/أيار، صرّح رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) بأن الغارة المقترحة ستؤدي إلى إعادة تأسيس الجبهة الشرقية المعادية لإسرائيل - سوريا والأردن والعراق - وعلى أي حال، فإن "القنبلة" العراقية لا تزال بعيدة المنال. 37 وكادت معارضة ساغي أن تُشعل أزمة رفيعة المستوى قبل يومين من انطلاق الغارة أخيرًا (كانت هناك تأخيرات متكررة في التنفيذ، بسبب أزمة في لبنان واجتماع قمة بين بيغن والرئيس المصري السادات، إلخ). في 4 يونيو/حزيران، وبعد أن لم يُبلّغ بموعد الهجوم في 7 يونيو/حزيران، انفجر ساغي غضبًا، قائلًا إنه ليس مسؤولًا عن العملية، ولن تكون هناك "معلومات استخباراتية". لكنه هدأ في النهاية. 38

سارت الغارة بسلاسة. حلقت الطائرة فوق السعودية والأردن لأكثر من ساعة، وفاجأت الدفاعات الجوية العراقية، ودمرت قلب المفاعل والمباني المجاورة له تدميرًا كاملًا. أطلق العراقيون متأخرًا بعض صواريخ سام، وأرسلوا طائرات اعتراضية، لكن دون أي اشتباك، ووصلت القوة الإسرائيلية إلى أرض الوطن سالمة.
وخلافًا لمخاوف وتحذيرات أمان والموساد، لم تُسفر الغارة عن عواقب سلبية تُذكر. كانت هناك إدانات من العالم العربي، وبعض الانتقادات الفاترة من الغرب، وتعليق قصير لتسليم طائرات إف-16 من الولايات المتحدة، لا أكثر. تراجع برنامج التطوير النووي العراقي لسنوات. وأما الفرنسيون، فقد أعادوا النظر في الأمر برمته، فتوقفوا عن تزويد العراقيين باليورانيوم الصالح للاستخدام في صنع الأسلحة، كما طالبت إسرائيل منذ فترة طويلة.
كان أحد الآثار السلبية المؤقتة قرار الولايات المتحدة تقييد وصول إسرائيل إلى معلومات استخبارات الأقمار الصناعية الأمريكية عن الدول التي لا تُشكل تهديدًا مباشرًا لإسرائيل أو ليست على حدودها. أعرب ويليام كيسي، رئيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية المتهور، عن سروره سرًا لنجاح الإسرائيليين في حل المشكلة النووية العراقية، وأُعجب بجرأتهم، لكنه وافق على القيود الجديدة وحجب تسليم طائرات إف-16. بعد شهر من القصف، زار ساغي كيسي، ولم يتضرر التعاون الاستخباراتي طويل الأمد بين البلدين. 19 حقق بيغن مكاسب سياسية، وحقق فوزًا ساحقًا في الانتخابات على رأس كتلة الليكود للمرة الثانية في الشهر التالي. وتباهى بنجاحه، وأفصح عن الكثير من المعلومات الاستخباراتية المتاحة أثناء التخطيط للغارة، متطوعًا بمعلومات غير صحيحة عن عمق مختبر عراقي سري تحت الأرض، وملمحًا بشدة إلى تعاون أمريكي. وأجرى رئيس الموساد، إسحاق حوفي، مقابلة صحفية غير مسبوقة لحث السياسيين علنًا على التوقف عن تعريض اتصالاتهم بأجهزة الاستخبارات الأجنبية الصديقة للخطر من خلال الكشف عن معلومات سرية قدمتها. وأشار كاتب سيرة بيغن إلى أنه "لم يكن بحاجة إلى ذكر أسماء السياسيين الذين كان يفكر فيهم".

هزيمة أمان بسبب الهجوم على المفاعل - لقد كانوا دائمًا

كان للهجوم - الذي عارضه الإسرائيليون، ووقع بالفعل، وبالكاد تحققت التداعيات السلبية التي توقعوها - تأثيرٌ بالغٌ خلال الأشهر التالية على إسهامات استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي خلال العد التنازلي لغزو لبنان بعد عامٍ واحدٍ بالضبط. أما ساغي، الذي اعترض على عملية التويثة وعارض الغزو المُحتمل، فلم يُنصت إليه.

منظمة التحرير الفلسطينية تتكيف

كان هنري كيسنجر قد وعد إسرائيل عام ١٩٧٥ بأن واشنطن لن تتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية بزعامة ياسر عرفات ما لم تقبل صراحةً قراري الأمم المتحدة ٢٤٢ و٣٣٨ وتعترف بحق إسرائيل في الوجود. لكن طوال النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي، قبل وبعد زيارة أنور السادات الدرامية إلى القدس، ظلت منظمة التحرير الفلسطينية تُمثل مشكلة خطيرة، سواءً لصانعي السلام في المنطقة أو لأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية.

كان الفلسطينيون غير راضين عن اتفاقيات فك الارتباط الثلاث التي أبرمتها إسرائيل مع مصر وسوريا، ويعود ذلك إلى حد كبير إلى أن النهج الثنائي الناجح الذي انتهجته كيس سينغر تجاه مشكلة الشرق الأوسط كان يقوض فرص مشاركتهم في مؤتمر سلام شامل؛ فقد شعروا بالعزلة وعدم الأهمية. لكن منظمة التحرير الفلسطينية سرعان ما بدأت في تعديل استراتيجيتها لتتلاءم مع وضع ما بعد الحرب. في يونيو/حزيران 1974، تعهد المجلس الوطني الفلسطيني - "برلمان" المنظمة - بإنشاء "سلطة وطنية مقاتلة مستقلة" على أي أرض فلسطينية تُحرر من الإسرائيليين. وعلى الرغم من تفسير ذلك على أنه تغيير تكتيكي، إلا أنه، كما علق أحد الخبراء لاحقًا، يمثل "تحولًا حقيقيًا في موقف منظمة التحرير الفلسطينية تجاه الأراضي المحتلة؛ فقد استُكمل الدعم القاطع للنضال العسكري منذ ذلك الحين برغبة في النظر في الوسائل السياسية أيضًا".41 كان هذا القرار ضمنيًا استعدادًا للاكتفاء بالسيادة الفلسطينية على جزء فقط من فلسطين التاريخية.

وفي مؤتمر القمة الذي عقد في الرباط بالمغرب في أكتوبر/تشرين الأول 1974، اتفقت جميع الدول العربية، وأهمها الأردن،

أعاد التأكيد على مكانة منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها "الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني"، ومنحها سرًا حق النقض (الفيتو) على أي مقترح سلام عربي. وكان الأثر الرئيسي لهاتين الخطوتين هو وضع الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلَّين في صدارة السياسة والاستراتيجية الفلسطينية. كما زادا من حدة التوترات والتنافسات القائمة بين مختلف الجماعات التي التمست "مظلة" منظمة التحرير الفلسطينية.

بدعم من النظام البعثي في بغداد، سعى المجلس الثوري لحركة فتح المنشق، بقيادة صبري البنا، إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية.

- المعروف باسم أبو نضال - بدأ في شن حرب اغتيالات ضد منظمة فتح التي يتزعمها عرفات في أوروبا والشرق الأوسط. لكن أبو نضال لم يكن وحيدًا. فقد قادت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الأكبر بزعامة جورج حبش المعارضة لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني وأصبحت مرادفة لمفهوم "الرفض"، على

الرغم من أن المعسكر السائد نفذ نصيبه من الهجمات الدموية. قبل انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني، في أبريل 1974، قتل ثلاثة أعضاء من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة بزعامة أحمد جبريل ثمانية عشر إسرائيليًا، بينهم ثمانية أطفال، في هجوم على مبنى سكني في كريات شمونة. في مايو، بينما كان كيسنجر يتنقل بين دمشق والقدس لمحاولة الانتهاء من اتفاقية فك الارتباط الإسرائيلية السورية، تسلل ثلاثة أعضاء من الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بزعامة نايف حواتمة - التي دعمت خط عرفات البراغماتي المتزايد - عبر الحدود الشمالية لإسرائيل واستولوا على مدرسة في مدينة معالوت التنموية في الجليل. قُتل الإرهابيون الثلاثة واثنان وعشرون طفلاً وجُرح أكثر من سبعين آخرين في تبادل إطلاق النار اللاحق مع جيش الدفاع الإسرائيلي. وُجدت صواريخ الكاتيوشا، التي اكتشف جهاز الأمن العام (الشاباك) لاحقًا أنها مُهرَّبة عبر البحر الميت، مُوجَّهة صوب فندق الملك داوود في القدس، حيث كان كيسنجر يُقيم. حقق عرفات تقدمًا دبلوماسيًا. في 14 نوفمبر/تشرين الثاني 1974، ألقى كلمة أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، قال فيها: "لقد جئتُ حاملًا غصن زيتون وبندقية مناضل من أجل الحرية. لا تسقطوا غصن الزيتون من يدي". بعد أقل من أسبوع، شنّت فرقة أخرى من الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين هجومًا، أسفر عن مقتل أربعة إسرائيليين وإصابة عشرين آخرين، قبل أن يُقتل الإرهابيون أنفسهم في مبنى سكني في بيت شان. في مارس/آذار 1975، هاجمت فرقة حرب عصابات بحرية فندق سافوي في تل أبيب.

ووقع انفجار قنبلة كبيرة في القدس في أوائل يوليو.
اندلعت الحرب الأهلية اللبنانية في صيف عام 1975. من
في ربيع عام ١٩٧٦، بدأت إسرائيل تتطلع شمالًا لترى كيف يمكن تحويل التركيبات السياسية اللبنانية المتغيرة لصالحها في الحرب مع الفلسطينيين. ظل الإرهاب أولوية قصوى لدى رؤساء أجهزة الأمن والمخابرات في البلاد، وسيظل كذلك لسنوات قادمة. وللمرة الأولى منذ عام ١٩٦٧، اضطروا أيضًا إلى التعامل مع نشاط مسلح سري لمتطرفين يهود.

الإنقاذ في عنتيبي
نُفِّذت أشهر عملية إسرائيلية على الإطلاق في حربها ضد الإرهاب على مدرج مطار عنتيبي الأوغندي في 4/3 يوليو 1976. وتُعَدُّ هذه العملية مثالاً كلاسيكياً على الجرأة العسكرية الممزوجة بمعلومات استخباراتية دقيقة جُمِعَت من مصادر متنوعة في ظروف سريعة التغير وفي مناطق نائية ووعرة. وقد لعب كلٌّ من جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) والموساد دوراً محورياً في التخطيط لهذه العملية.
بدأت الأزمة في 27 يونيو/حزيران عندما سقطت طائرة تابعة لشركة الخطوط الجوية الفرنسية
اختُطفت طائرة كانت متجهة من تل أبيب إلى باريس بعد توقفها في أثينا، حيث كان أمن المطار متراخيًا بشكل ملحوظ. بعد يومين، وبعد قضاء ليلة في الدار البيضاء ورفض السماح لها بالهبوط في الخرطوم، وصلت الطائرة إلى عنتيبي. طالب الخاطفون، وهم مجموعة مختلطة من العرب والألمان يعملون لصالح فصيل وادي حداد التابع للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بالإفراج عن أربعين فلسطينيًا في سجون إسرائيل، بالإضافة إلى حوالي اثني عشر آخرين من الدول الأوروبية. كما أرادوا أيضًا شابين من ألمانيا الغربية، توماس رويتر وبريجيت شولتز، اللذين أُلقي القبض عليهما سرًا في كينيا قبل بضعة أشهر عندما حاولا

إسقاط طائرة تابعة لشركة العال أثناء إقلاعها من مطار نيروبي بصاروخ سام-7. سيتم تفجير طائرة الخطوط الجوية الفرنسية وركابها إذا لم يتم نقل السجناء إلى أوغندا بحلول 30 يونيو.
لم يكن وزراء الحكومة متحمسين للجيش

عُرضت عليهم خياراتٌ، وفضّلوا في البداية الموافقة على مطالب الخاطفين. تحسبًا للاعتراضات، أمر رئيس الوزراء رابين جهاز الأمن العام (الشاباك) بإعداد تقرير يُظهر وجود سوابق لإطلاق سراح قتلة مُدانين.42 وقبل انقضاء مهلة 30 يونيو/حزيران بقليل، صرّح رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي، مردخاي ('موتا') غور، بأنه لا يستطيع التوصية بعمل عسكري بسبب غياب معلومات استخباراتية كافية عن الوضع على الأرض، على الرغم من فصل الركاب الإسرائيليين واليهود عن الآخرين - الذين أُطلق سراحهم بعد ذلك.
- بدا الأمر مشؤومًا، وأثار ذكريات مروعة لدى البعض.
ساهم بيان وزاري مُصاغ بعناية في كسب المزيد من الوقت الثمين: فقد مُنح الوزراء صلاحية مواصلة جهود تحرير الرهائن. ويبدو أن الخاطفين افترضوا أن مطالبهم ستُلبى، فأجّلوا الموعد النهائي حتى 3 يوليو/تموز لإتاحة الفرصة لتبادل الأسرى. وربما كان للتضليل الإعلامي حول النوايا الإسرائيلية، والذي سُرّب عمدًا إلى جهات خارجية، دورٌ في هذا التضليل.
ثم انطلق التخطيط العسكري على قدم وساق مع توافر المزيد من المعلومات الاستخباراتية. وساعد على الاستعدادات وجود عدد من كبار ضباط وطيارين جيش الدفاع الإسرائيلي الذين خدموا في أوغندا في مهمات تدريب ودعم لنظام عيدي أمين، الذي كان على علاقة جيدة بإسرائيل حتى عام ١٩٧٢. كما تم استدعاء مسؤولين من شركة البناء "سوليل بونيه" التابعة للهستدروت، والتي شيدت مطار عنتيبي. وعُرضت أفلام لأمين وهو يُستقبل في المطار، وخطرت لأحد الضباط فكرة رائعة وهي استخدام سيارة ليموزين مرسيدس سوداء طويلة - مثل تلك التي استخدمها أمين - كحيلة لتجاوز الحراس الأوغنديين. قال الرائد موكي بيتزر، أحد المخططين والمشاركين في قوة الهجوم: "لكن لم يساعدنا أي من هذا في معرفة معلومات محددة مثل مكان الطائرة وعدد الإرهابيين والغرفة التي كانوا فيها في المحطة". ٤٣ تم الاتصال بأمين نفسه هاتفيًا، وهذا ساعد الإسرائيليين على فهم أنه كان يتعاون بنشاط مع الخاطفين.
عملاء الموساد في كينيا وفي أوغندا نفسها، حيث تعمل منظمة التحرير الفلسطينية.
كان لديه مكتب، وساعد في رسم صورة مفصلة للوضع على الأرض. في 2 يوليو، أي قبل يوم من عملية الإنقاذ الفعلية،

تلقى المخططون معلومات استخباراتية حيوية، منها صور لمطار عنتيبي التُقطت في اليوم السابق.44 واستُدعي عملاء الموساد من جميع أنحاء أوروبا إلى باريس لاستجواب المسافرين غير الإسرائيليين الذين أُطلق سراحهم ونُقلوا جواً إلى مطار أورلي، وعندها فقط تم الحصول على المعلومات المفقودة الحاسمة. كان أحدهم، وهو يهودي فرنسي يُدعى ميشيل كوجو، بارعاً في تذكر تصميم المطار وموقع الرهائن والإرهابيين والعبوات الناسفة التي زرعوها.45
لقد لعب دورًا تنسيقيًا رئيسيًا في هذه العملية

مستشار رابين لشؤون الإرهاب، اللواء رحبعام (غاندي) زئيفي، وهو رئيس سابق متحمس للقيادة المركزية للجيش، وكان أول من تولى هذا المنصب. في باريس، واصل زئيفي محادثاته مع الخاطفين عبر الفرنسيين، ولم يُبلّغ ببدء مهمة إنقاذ؛ مما أضاف عنصرًا إضافيًا من الخداع إلى الخطة العامة.46
أُطلق على عملية الإنقاذ اسم "كرة الرعد" (Thunderball)، وقد أُنجزت أخيرًا بناءً على معلومات استخباراتية دقيقة حول مواقع الخاطفين والقوات الأوغندية. ومن المشكلات المقلقة وجود مقاتلات ميج أوغندية في مطار عنتيبي، واحتمال استخدامها، وإن كان احتمالًا ضئيلًا، وفقًا لرئيس جهاز الأمن، شلومو غازيت، لإسقاط طائرات النقل الإسرائيلية من طراز سي-130 هيركوليس أثناء رحلتها شمالًا بعد عملية الإنقاذ. وقد دُمرت جميع طائرات الميج الإحدى عشرة خلال الغارة لضمان عودة آمنة لقوة المهمة والرهائن.
حلقت القوة المكونة من ست طائرات على ارتفاع منخفض فوق البحر الأحمر لتجنب رادار العدو. هبطت طائرة هيركوليس الرئيسية - وهي طائرة هادئة للغاية رغم حجمها الضخم - في عنتيبي بعد دقائق قليلة من هبوط طائرة بريطانية. وانتهى الأمر في دقائق معدودة: قُتل جميع الإرهابيين، بالإضافة إلى أكثر من اثني عشر جنديًا أوغنديًا؛ وخسرت القوة المهاجمة ضابطًا، هو المقدم يوناتان نتنياهو، وجنديًا مصابًا بجروح بالغة وشللًا مدى الحياة. قُتل ثلاثة رهائن، وقُتلت دورا بلوخ، وهي مسافرة تبلغ من العمر ثلاثة وسبعين عامًا كانت قد نُقلت إلى مستشفى في كامبالا، على يد قوات عيدي أمين. ولم تُختطف أي طائرة متجهة إلى إسرائيل أو منها منذ ذلك الحين.

كان اتصال الموساد الكيني حيويًا في توفير قاعدة متقدمة.48 سارت عملية الإنقاذ بسلاسة إلى حد كبير بفضل مساعدة بروس ماكنزي، رجل الأعمال البريطاني والوزير الكيني السابق الذي كان يعمل آنذاك مستشارًا للأمن والاستخبارات للرئيس جومو كينياتا. كان رجال ماكنزي هم من ألقوا القبض على توماس رويتر وبريجيت شولتز في يناير السابق ورتبوا نقلهما سرًا إلى إسرائيل للمثول أمام المحكمة. حُكم على الألمانيين بالسجن لمدة عشر سنوات، لكن أُطلق سراحهما بعد قضاء أقل من نصف مدة عقوبتهما في ديسمبر 1980. قُتل ماكنزي عام 1978 بقنبلة زُرعت على طائرته الخاصة. ساد الاعتقاد على نطاق واسع أن ذلك كان من عمل عملاء أوغنديين انتقامًا لدوره في إنقاذ عنتيبي.

بطاقات الاقتراع أم الرصاص؟
في منتصف سبعينيات القرن الماضي، شهدت الأراضي المحتلة تحولاً سياسياً. ففي ديسمبر 1975، أعلن وزير الدفاع عن حزب العمل، شمعون بيريز، إجراء انتخابات في مدن الضفة الغربية في أبريل التالي. وعُدِّل قانون الانتخابات الأردني، ووُسِّع نطاق حق الانتخاب ليشمل جميع البالغين الذين تزيد أعمارهم عن واحد وعشرين عاماً، ولأول مرة على الإطلاق، بمن فيهم النساء. "بيريز"، وفقًا لكاتب سيرته الذاتية، "كان يعتقد أن السماح لسكان المناطق بتجربة مباشرة لقيم الديمقراطية من شأنه أن يمنحهم شعورًا أكبر بالحكم الذاتي، وبالتالي يخفف من الآثار الأقل جاذبية للاحتلال".49 وبعبارة أقل سخاءً، كان وزير الدفاع يأمل أيضًا في استخدام الانتخابات كأساس لنوع من الإدارة المحلية المستقلة، وكان يعتقد أن رؤساء البلديات الحاليين المحافظين والبراغماتيين والمؤيدين للأردن في الغالب، والذين كان يأمل أن يعودوا إلى مناصبهم، سيشكلون حاجزًا أمام النفوذ المتزايد لمنظمة التحرير الفلسطينية.50 لقد تبين أن انتخابات الضفة الغربية كانت خطأً،

وخطأً سياسيًا آخر. لكن قرار المضي قدمًا لم يُتخذ بسبب معلومات استخباراتية خاطئة، ولكن بسبب عدم إعطاء وزن كافٍ للحقائق المعروفة.

على الرغم من المعارضة الشديدة من منظمة التحرير الفلسطينية، فقد أجريت انتخابات سابقة لبلديات الضفة الغربية في مارس ومايو 1972، ومع القليل من التشجيع من جهاز الأمن العام (الشاباك)، أعيد المرشحون التقليديون في المدن الكبرى. لم يتم تقديم الدعم النقدي. جادل جهاز الأمن، الذي احتوى بحلول أوائل عام 1968 على مقاومة منظمة التحرير الفلسطينية المسلحة إلى حد كبير، بأن النشاط الإرهابي آخذ في التضاؤل ولم يبد أي اعتراض على منح سكان الضفة الغربية فرصة محدودة للتعبير السياسي.51 كانت مخاوف منظمة التحرير الفلسطينية بشأن موقفها مبررة: فالنتائج، التي كانت أكثر ملاءمة للملك حسين وإسرائيل منها لياسر عرفات، عكست التعاون الفعلي الذي كان قائمًا بين إسرائيل والأردن والاستعداد المتزايد للقادة المحليين للتعاون مع السلطات الإسرائيلية في القضايا اليومية. اكتسبت انتخابات البلديات أهمية مبالغ فيها منذ عام 1967، لأنها كانت الشكل الوحيد للحياة الديمقراطية في ظل الاحتلال. جعلت إصلاحات إسرائيل هذه الانتخابات أكثر أهمية. كان موشيه ديان القوة الدافعة وراء انتخابات عام 1972؛ وقد أقيمت هذه اللقاءات في إطار نهجه الشامل المتمثل في بناء الجسور والعقول المنفتحة والاتصال الشخصي المنتظم مع السكان العرب.
في العد التنازلي ليوم الاقتراع في 12 أبريل 1976،
بدأ الوضع يبدو مقلقًا. ومارس ضغوط على اثنين من أبرز رجال الدين التقليديين، الشيخ محمد علي الجعبري من الخليل والحاج معزوز المصري من نابلس، للترشح مجددًا.
في 28 مارس/آذار، لمساعدة الشيخ الجعبري، رُحِّل منافسه القومي، الدكتور أحمد حمزة النتشة، إلى لبنان، مع مرشح آخر موالٍ لمنظمة التحرير الفلسطينية، كان يترشح لمنصب رئيس بلدية البيرة. اتخذ وزير الدفاع القرار؛ وطُلب من جهاز الأمن ببساطة تقديم أسماء المرشحين المناسبين للطرد. 52 لكن يبدو أن الراديكاليين ما زالوا متفوقين، ودار حديث عن إلغاء الانتخابات. في 4 أبريل/نيسان، أبلغ بيريز مجلس الوزراء أنه "لا يستطيع ضمان النتائج"، لكنه أضاف أنه "قرأ بأسف مقالات في الصحافة الإسرائيلية تُوحي بأن اليسار ومنظمة التحرير الفلسطينية قد فازا بالفعل". 53
في الثامن من أبريل/نيسان، وقبل أربعة أيام فقط من الانتخابات، حذر جهاز الأمن الداخلي (الشين بيت) وزير الدفاع "بشكل واضح ومحدد" من أن

كان من المرجح فوز مرشحي منظمة التحرير الفلسطينية في معظم الأماكن.54 لكن كانت هناك نصائح متضاربة: أصر البروفيسور أمنون كوهين، المستشرق البارز في الجامعة العبرية والذي كان يشغل منصب مستشار الشؤون العربية للحكومة العسكرية في الضفة الغربية، على أن التقاليد ستنتصر وأن مصالح العشائر لا تزال أقوى من السياسة الحديثة. أما مستشار بيريز، ديفيد فرحي، فقد اتخذ وجهة نظر أقل وضوحًا.
كانت النتائج كارثية على إسرائيل. فقد اكتسح المرشحون المؤيدون لمنظمة التحرير الفلسطينية، والذين حظوا بتشجيع علني من المنظمة في الخارج، جميع المقاعد. وكانت نسبة الإقبال على التصويت مرتفعة (72%)، وكان المرشحون الناجحون أصغر سنًا وأفضل تعليمًا وأكثر وطنية من المرشحين السابقين. فاز

بسام الشكعة، البعثي المخضرم، في نابلس، وفهد القواسمة في الخليل، وأُعيد انتخاب الوطنيين الراديكاليين الحاليين، كريم خلف وحلمي حنون على التوالي، في رام الله وطولكرم. وكان إبراهيم الطويل في البيرة ومحمد ملحم في حلحول، قرب الخليل، وطنيين. ومنذ ذلك الحين، أصبحت مدن الضفة الغربية تحت إدارة رجال أيدوا منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد لهم، ورفضوا سياسات الأردن وعارضوا الاحتلال الإسرائيلي.
سرعان ما تلا ذلك تبادل الاتهامات، غذّاه التنافس المتصاعد بين رابين وبيريز وتقسيم العمل بينهما. كان رابين، بصفته رئيسًا للوزراء، مسؤولاً مسؤولية مباشرة عن الشاباك (والموساد)؛ بينما كان بيريز، بصفته وزيرًا للدفاع، مسؤولاً عن الأراضي المحتلة، مع أنه كان أقل مشاركة بكثير في الشؤون اليومية من سلفه، موشيه ديان. أمر رابين الشاباك بتزويده مستقبلًا بمعلوماته الاستخباراتية "الخام" بالإضافة إلى تقييمات الاستخبارات السياسية "المكتملة" التي قدمها لوزارة الدفاع. واتهم أهيتوف بالعمل لصالح بيريز وليس لصالحه. 55 استشاط جهاز الأمن غضبًا واحتج لاحقًا بأنه حذر بوضوح تام من تنامي نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية. توجه أهيتوف إلى أبراهام أورلي، منسق العمليات الحكومية في الضفة الغربية وغزة، وطالب بإطلاع الصحافة على ما جرى بطريقة توضح أن الشاباك كان على حق.56 هاجم رابين وزير دفاعه علنًا. وقال في مقابلة صحفية إن بيريز "أخطأ في تقديره".

"وخطأه دفع حكومة إسرائيل إلى اتخاذ خطوات لم تفعل شيئاً لتعزيز هيبتها".57 وطالب رئيس الأركان جور باستقالة أمنون كوهين وديفيد فرحي، مستشاري الشؤون العربية، لكنهما بقيا في منصبيهما.58
كما حدث قبل حرب يورن كيبور، فشلت المؤسسة الدفاعية الإسرائيلية في استباق الأحداث. لم يكن عجزها عن توقع نتائج انتخابات الضفة الغربية راجعًا إلى نقص المعلومات الاستخباراتية الكافية، بل إلى تمسكها الصارم بمفهوم لم يأخذ في الاعتبار تنامي نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية وشعبيتها في الأراضي المحتلة. ظلت العقلية الرسمية قائمة على التقسيم القديم بين اللاجئين والموالين للأردن، ولم تولِ اهتمامًا كافيًا للآثار بعيدة المدى لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني وقمة الرباط عام ١٩٧٤. وبالنظر إلى الماضي، قد يجادل بعض ضباط الشاباك بأنهم في السنوات السابقة أولوا اهتمامًا بالغًا للإرهاب، وقلّلوا من شأن الجوانب السياسية المتغيرة للقضية الفلسطينية. قال أحدهم: "كانت أولويتنا الرئيسية مكافحة النشاط الإرهابي المعادي، ويمكن قياس نجاحنا من خلال ذلك. ليس علنًا، ولكن على الأقل انعكس ما أنجزناه في الصحف. بالطبع، السياسة مهمة، ولكن لم يكن من الممكن قياسها".

أبراهام أهيتوف

شكّلت نجاحات منظمة التحرير الفلسطينية في الضفة الغربية انتكاسةً نادرةً لأبراهام أهيتوف، رئيس جهاز الأمن العام (الشاباك). عندما كانت غولدا مائير رئيسةً للوزراء، مُنح موشيه ديان حرية التصرف في الأراضي المحتلة، لكن توتر علاقات إسحاق رابين مع شمعون بيريز، وزير دفاعه، صعّب الأمور على أهيتوف. في يوليو/تموز 1975، وقع حادثٌ مؤسفٌ ضغط على جهاز الأمن بشكلٍ غير مريح بين زعيمي حزب العمل المتنافسين. عثر موظفٌ عربيٌّ في فندق ديبلومات بالقدس على وثيقةٍ سريةٍ للغاية من وزارة الخارجية

ملقاةٍ على أرضية غرفة الطعام بعد أن تناول ديان، الذي لم يكن آنذاك سوى نائبٍ متواضعٍ عن حزب العمل، فطوره هناك. كشف تحقيقٌ أجراه جهاز الأمن العام أن بيريز قد منح سلفه الموقر...

بعض المواد السرية، وأن ديان أضاع إحدى الوثائق عن طريق الخطأ. منذ حرب يورن كيبور، كانت هناك حساسية عامة شديدة تجاه أي تورط لديان في الشؤون الأمنية، وعندما سرّب مكتب رئيس الوزراء القصة للصحافة، وُضع بيريز في موقف سيء. والأسوأ من ذلك، أن رابين أمر بشطب اسمه من قائمة تداول أنواع معينة من الوثائق السرية، على الرغم من إلغاء القرار لاحقًا. 60
حتى عام ١٩٧٦، أي بعد عامين من توليه منصبه، كان أهيتوف قد حقق نجاحًا باهرًا، حيث ارتقى بالشين بيت إلى مكانة غير مسبوقة في شؤون الأمن الداخلي. وفي عهده، وُضعت الإجراءات رسميًا على الصعيدين الداخلي والداخلي، وكذلك تجاه المكونات الأخرى في مجتمع الاستخبارات. وأشرف على الانتقال إلى جهاز مُحوسب بالكامل، وساعد في استقطاب الشباب الموهوبين إلى صفوفه. وفي عام ١٩٧٥، تم تعديل الأجور وظروف العمل لتتماشى مع مستوى الجيش النظامي، في اعتراف متأخر بالوضع العملياتي للجهاز في الأراضي المحتلة. ٦١ عيّن شخصيات بارزة في منتصف الثلاثينيات من عمرها - معظمهم من تلاميذ يهودا أربيل، الذين تقاعدوا منذ ذلك الحين - لرئاسة فروع مختلفة. وخلص أحد الخبراء، عند تنحي أهيتوف، إلى أنه "كان معروفًا بسلطته الهائلة، وقيادته الفائقة وحسمه الشديد". 62 وصفته وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بأنه "ذكي للغاية، مجتهد، طموح، ودقيق"، على الرغم من أنه قد يكون أيضًا "عنيدًا، وقحًا، ومتغطرسًا".63 انضم أهيتوف إلى جهاز الأمن عندما كان لا يزال جزءًا من جيش الدفاع الإسرائيلي عام 1950، وبدأ مسيرته المهنية الطويلة في قسم الأمن العسكري ليوسف هارميلين. أمضى ما يقرب من عام في دورة استخبارات متقدمة في القدس قبل أن يعود إلى وظيفة أركان في القسم.64 وُلد في ألمانيا عام 1930، وأحضره والداه إلى فلسطين بعد خمس سنوات، في ذروة موجة الهجرة اليهودية الألمانية الضخمة المعروفة في التأريخ الصهيوني باسم "الهجرة الخامسة". تلقى تعليمًا قوميًا دينيًا تقليديًا من الطبقة المتوسطة في ضاحية بات يام بتل أبيب، لكنه أظهر ميلًا عمليًا في دراسة الأعمال المعدنية وفي أول وظيفة له في شركة الكهرباء الوطنية. خلال حرب عام 1948، أصيب في حادث.
أدى ذلك إلى إصابته بعرج مدى الحياة.

أدار عمليات جهاز الأمن العام (الشاباك) في قطاع غزة بين حملة سيناء في نوفمبر/تشرين الثاني 1956 والانسحاب الإسرائيلي في ربيع عام 1957، وهي تجربة عادت عليه بالنفع بعد عقد من الزمان، عندما لعب جهاز الأمن دورًا محوريًا في تحديد السياسة تجاه الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل في حرب الأيام الستة. في تلك الأثناء، التقى برئيس الأركان الوسيم، موشيه ديان، الذي جمعته به دائمًا علاقات شخصية وعملية وثيقة. وبفضل توصية ديان، أصبح نائبًا لهارملين عام 1971.
كان يعمل في الخارج مع الموساد من عام 1961 إلى عام 1965،
ومثل زميله يهودا أربيل، كان يعمل على الأرجح على القضايا ذات الصلة بالعلماء الألمان وخبراء الصواريخ في مصر عبد الناصر، ومطاردة مجرمي الحرب النازيين.65 بفضل خلفيته الدينية وإتقانه للغة اليديشية، كان مرشحًا مثاليًا للمشاركة في البحث عن يوسيل شوماخر، الصبي الأرثوذكسي الصغير الذي أدى اختطافه إلى تحويل انتباه الأجهزة السرية عن عملهم المعتاد. ومع ذلك، فقد كرس معظم عمل أهيتوف في إسرائيل

للشؤون العربية، والتي كانت تعني حتى التغيير الكبير عام 1967 المشاركة في السياسة تجاه الأقلية العربية في البلاد. وقبل توليه المنصب من يوسف هارميلين بفترة وجيزة، لعب أهيتوف دورًا رئيسيًا في قضية رئيس الأساقفة هيلاريون كابوتشي، الأسقف الكاثوليكي اليوناني المولود في سوريا والذي تم القبض عليه متلبسًا بالجريمة في أغسطس 1974، لتهريبه الأسلحة والمتفجرات لصالح فتح. حُكم على كابوتشي بالسجن لمدة اثني عشر عامًا، لكن أُطلق سراحه عام ١٩٧٧. رفض رئيس الشاباك باستمرار - وبحكمة - التعامل مع التسريبات من مجلس الوزراء والمؤسسات الحكومية التي غالبًا ما تكون أشبه بالغربال، والتي كانت ستُورط الجهاز في تشابكات فوضوية مع الوزراء والمسؤولين والصحفيين. كان أهيتوف شديد المطالبات مع مرؤوسيه. في إحدى المرات، طرد ضابطًا كبيرًا طالب بوجبة إفطار وهمية على حساب نفقته. قال أحد زملائه: "في اللحظة التي دخل فيها المبنى، كل ما كان يُسمع هو أزيز الذباب". لكنه لم يكن أقل صرامة مع نفسه. كان في الأساس مُعلمًا للسيارات، وأكمل تعليمه الثانوي وحصل على درجة البكالوريوس ودرجة في القانون في وقت فراغه القليل. مُنح

حصل على رخصة المحاماة في عام 1971. ومن المثير للدهشة أنه اكتسب سمعة طيبة باعتباره ليبراليًا إلى حد ما.

الإرهاب اليهودي

بُعيد بدء السبت اليهودي في 2 مايو/أيار 1980، نصبت فرقة من أربعة أفراد من فتح، مُسلحة ببنادق هجومية وقنابل يدوية وعبوات ناسفة، كمينًا أسفر عن مقتل ستة مستوطنين إسرائيليين خارج بيت هداسا، في قلب مدينة الخليل بالضفة الغربية. كانت هذه العملية من أكثر الهجمات دمويةً وأفضلها تخطيطًا التي نفذها الفلسطينيون منذ بدء الاحتلال. 66 بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية، كانت العملية بمثابة ضربة قاصمة لأشد أعدائها الإسرائيليين تشددًا. ولم يمضِ وقت طويل حتى جاء الانتقام. وعندما حدث، ورط الشاباك في واحدة من أكثر القضايا حساسيةً وصعوبةً التي واجهها على الإطلاق.

بحلول صيف عام ١٩٨٠، أصبح الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية واقعًا ملموسًا. وارتبطت الخليل، بما فيها من مقامات، ارتباطًا عاطفيًا ودينيًا قويًا باليهود المتدينين القوميين. وعاشت فيها جالية يهودية صغيرة، وإن كانت مزدهرة، حتى ذبح جيرانها العرب تسعة وستين منهم عام ١٩٢٩، في إحدى أبرز أحداث فترة الانتداب البريطاني.

في ربيع عام ١٩٦٨، بعد أقل من عام من انتصار حرب الأيام الستة، احتفل حاخامٌ زاهدٌ ومتشددٌ يُدعى موشيه ليفينغر ومجموعةٌ من أنصاره بعيد الفصح في فندق بارك بالمدينة. لاحقًا، وبإذنٍ من الجيش، انتقل المستوطنون إلى مبنى الحكومة العسكرية. أصبح هذا المبنى نواةً للاستيطان في قلب المدينة، وفي سبتمبر ١٩٧٠، لبناء كريات أربع، وهي ضاحيةٌ غير متجانسة من مبانٍ سكنية خرسانية على تلةٍ جرداءٍ خارجها مباشرةً.

في عام ١٩٧٣، كان ليفينغر أحد الآباء المؤسسين لحركة غوش إيمونيم (كتلة المؤمنين)، التي تأسست ضمن الحزب الديني القومي لتأكيد الالتزام بالمذهب الأرثوذكسي التقليدي مع مركزية القومية وأرض إسرائيل. كانت السنوات الأولى للحركة صعبة. لم يكن حزب العمل متحمسًا للاستيطان في المناطق المأهولة بالسكان.

المناطق العربية، على الرغم من أن العديد من الوزراء، وخاصةً يغئال ألون، القائد السابق لـ"البلماح"، غضّوا الطرف عن أنشطة الحركة، أو حتى وافقوا عليها سراً. في عام ١٩٦٩، وضع ألون، نائب رئيس الوزراء آنذاك، خطةً تُجيز الاستيطان في وادي الأردن فقط، مع بعض الاستثناءات، والذي كان سيُشكّل الحدود الأمنية لإسرائيل في حال التوصل إلى تسوية سلمية. ومن بين الاستثناءات مستوطنة كفار عتصيون، التي اجتاحها الأردنيون عام ١٩٤٨. في عام ١٩٧٤، أخلى الجيش مجموعة من المستوطنين بعد محاولتهم إقامة مستوطنة قرب نابلس. وفي ديسمبر ١٩٧٦، نجحوا أخيراً، حيث بدأوا في معسكر للجيش، ثم أقاموا بؤرة استيطانية تُسمى "قدوم". كانت مستوطنة عوفرا، بالقرب من رام الله ومعاليه أدوميم، في منتصف الطريق بين القدس وأريحا، قد أنشئت بصورة غير شرعية في عام 1975. أما المستوطنات الثلاثين الأخرى التي أنشئت بين عامي 1968 و1977 فقد أقيمت في إطار مخطط ألون.
حانت لحظة المستوطنين في مايو 1977، عندما تولى مناحيم بيغن السلطة على أساس برنامج زيادة الاستيطان في جميع أنحاء الضفة الغربية وغزة. ومع ذلك، أثبت بيغن خيبة أمله، ليس فقط بسبب استعداده لتوقيع معاهدة سلام مع مصر في مارس 1979 ولكن أيضًا لأنه أصر على أن الحكومة، وليس غوش إيمونيم، هي التي ستحدد وتيرة الاستيطان. كما أثارت خطة كامب ديفيد للحكم الذاتي، التي وعدت بحكم ذاتي محدود للفلسطينيين في الضفة الغربية، قلق غوش إيمونيم أيضًا، على الرغم من أن الفلسطينيين أنفسهم رفضوها بازدراء. وسخر أحد الموالين البارزين لمنظمة التحرير الفلسطينية قائلاً: "الحكم الذاتي لا يعني أكثر من القدرة على جمع القمامة وإبادة البعوض". لكن اليمينيين الإسرائيليين كانوا أكثر قلقًا من اليهود من العرب، وعندما أعيدت مستوطنات ياميت وشمال سيناء إلى المصريين، نشأت سابقة خطيرة. ومع ذلك، أوفى بيغن بوعده. بدأ الاستيطان فيما أصبح يُعرف عالميًا باسم "يهودا والسامرة" يتجاوز الحدود الأيديولوجية الضيقة للغوش. وبدأت جودة الحياة في المساحات المفتوحة الواسعة، والقروض العقارية الرخيصة، وغيرها من الإعانات، تجذب العديد من الإسرائيليين غير المتدينين، وخاصةً من ضواحي تل أبيب والقدس المزدحمة.

تزامن هذا مع تنامي النضال الفلسطيني. ففي أكتوبر/تشرين الأول 1978، أي بعد شهر من توقيع اتفاقيات كامب ديفيد، أسس ائتلاف من الجماعات والأفراد الفلسطينيين لجنة التوجيه الوطني (NGC) لمقاومة مخطط بيغن للحكم الذاتي. ضمت اللجنة، التي بلغ عدد أعضائها اثنين وعشرين، رؤساء بلديات مؤيدين لمنظمة التحرير الفلسطينية من الضفة الغربية وقطاع غزة، وممثلين عن الهيئات التجارية والدينية والمهنية والطلابية. كان وزير الدفاع، عزرا وايزمان، الذي استمد حماسه من تجربة التفاوض مع مصر المبهجة، يأمل أن تثبت لجنة التوجيه الوطني استقلاليتها عن منظمة التحرير الفلسطينية وأن تكون شريكًا في الحوار الإسرائيلي مع الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال. وهكذا، سُمح لهذه الهيئة بعقد تجمعات عامة خلال الأشهر الأولى من وجودها. 67 سُمح للدكتور النتشة، الذي طُرد إلى الأردن عشية انتخابات عام 1976، بالعودة إلى وطنه، ورفض وايزمان توصية الشاباك بترحيل رئيس بلدية نابلس المتطرف، بسام الشكعة.
كان المستوطنون قلقين. وكما كتب أحدهم:

لم يعد القادة الفلسطينيون الجدد يرتدون الزي المخطط بخطوط النمر وبنادق الكلاشينكوف المحشوة. بل ارتدوا بدلات أنيقة وأحذية قصيرة، وحملوا الميكروفونات وحثّوا أنصارهم في ساحات المدن على مقاومة الاحتلال. وبدلاً من حفنة من الإرهابيين السامِّين المتربصين في منظمات سرية لا يعملون إلا في جنح الظلام، انضم عشرات الآلاف من الشباب المحليين بحماس إلى الحملة الجديدة، التي شنّوها (تقريبًا) دون أي متفجرات.68

بدأ قادة غوش يتحدثون علانية عن تخزين الأسلحة في حال تطبيق خطة كامب ديفيد للحكم الذاتي، وانتقدوا الحرية السياسية المتزايدة الممنوحة للفلسطينيين. ازدادت وتيرة هجمات رشق الحجارة، وبدأ المستوطنون، المحبطون من تقاعس الجيش، في تنفيذ عمليات انتقامية. في مارس/آذار 1979، حوكم يهودي من كريات أربع بتهمة قتل تلميذة عربية أطلق عليها النار خلال مظاهرة في حلحول المجاورة. بُرِّئ، لكن التوتر كان يتصاعد بشكل ملحوظ. في أوائل عام 1980، تورط بسام الشكعة في مشكلة مرة أخرى، لأن اللواء داني مات...

منسق العمليات الحكومية في الأراضي الفلسطينية، سرب إلى الصحافة تصريحات لرئيس البلدية، مبررًا ظاهريًا الهجمات الإرهابية. في خضم الضجة التي أعقبت ذلك، تقرر ترحيل الشكعة، ولكن بعد شهر أُلغي الأمر. شعر وايزمان بالارتياح واتصل بوزير الدفاع المصري لإبلاغه بإمكانية استمرار عملية السلام، التي بدت لفترة وجيزة مهددة بسبب الإجراءات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة. استُقبل الشكعة، الذي كان محتجزًا، استقبال الأبطال في نابلس، وعلى مدار الأشهر القليلة التالية، تصاعد العنف مجددًا في الضفة الغربية. في 30 أبريل/نيسان، أي قبل يومين من هجوم بيت هداسا، قُتل فلسطيني من طولكرم بالرصاص بعد أن حاول مهاجمة الحاكم العسكري للمدينة.

فور وقوع مجزرة الخليل، تقرر، بناءً على اقتراح القائد العسكري للضفة الغربية، العميد بنيامين (فؤاد) بن إليعازر، طرد رئيسي بلديتي الخليل وحلحول المجاورة، فهد القواسمة ومحمد ملحم، وكلاهما من أشد مؤيدي منظمة التحرير الفلسطينية، واللذين انتُخبا عام ١٩٧٦، والشيخ راغب التميمي، قاضي الخليل. قبل شهر، حضر الثلاثة تجمعًا حاشدًا في قاعة بلدية الخليل، ولذلك اعتبرهم الإسرائيليون مسؤولين بشكل غامض عن حالة التشدد التي سبقت حادثة بيت هداسا. أيد وايزمان قرار الطرد، بعد أن رفض اقتراحًا أكثر صرامة من مات بترحيل جميع أعضاء لجنة التوجيه الوطني. لم يُستشار أهيتوف، الذي لم يُعجبه مثل هذه الخطوات الجذرية.69

لم يكن ذلك كافيًا للمستوطنين الغاضبين. فبعد جنازات ضحايا بيت هداسا بوقت قصير، اجتمع عشرون منهم في كريات أربع لمناقشة الرد الانتقامي. وبدأ اثنان من قادتهم، مناحيم ليفني ويهودا إزطيون، بالتخطيط لهجمات ضد شخصيات فلسطينية بارزة ناشطة سياسيًا. فبالإضافة إلى رؤساء بلديات نابلس، وخلف، وطويل، والبيرة، استهدفوا أيضًا الدكتور النتشة، وإبراهيم الدقاق، وهو مهندس من القدس الشرقية شغل منصب سكرتير المجلس الوطني لشؤون القدس.

وقد وقع الحادث في 2 يونيو 1980، وهو التاريخ الرمزي

اختيرت لكونها تستمر ثلاثين يومًا - وهي فترة حداد يهودية تقليدية - بعد مذبحة الخليل. نُفذت العملية بواسطة خلايا من ثلاثة أفراد: سائق، وشخص يُثبت القنابل على سيارات الضحايا، وحارس/مراقب. في

أعمال المراقبة الأولية، اعتمد المستوطنون على حقيقة أن ظهور المدنيين الإسرائيليين في مدن الضفة الغربية سيكون مرتبطًا بجهاز الأمن العام (الشاباك). لكنهم ارتدوا الزي العسكري للعملية الفعلية. أصيب الشكعة وخلف بجروح، حيث فقد الأول ساقيه والثاني قدميه، عندما انفجرت القنابل المزروعة في سيارتيهما. لم يكن الدقاق في المنزل، وردع كلب ينبح خارج منزل نتشه في بيت لحم الفريق. أصابت القنبلة الموجهة إلى طويل بالعمى خبير متفجرات في الجيش أُرسل لتفكيكها.

الشاباك يحقق

أدان بيغن الهجمات ووعد بإجراء تحقيق سريع. انقسم المستوطنون في ردود أفعالهم. أبدى بعضهم سرورهم علنًا، بينما خشي آخرون أن تُستغل هذه الهجمات لصالح أعدائهم. واشتبه كثيرون في أن التفجيرات من تنفيذ جهاز الأمن العام (الشاباك).

كان التحقيق صعبًا. قبل التفجيرات، لم يكن مجتمع المستوطنين هدفًا استخباراتيًا لجهاز الأمن العام (الشاباك)، كما كان الحزب الشيوعي أو لجنة التوجيه الوطني أو أي سفارة أو قنصلية أجنبية، على سبيل المثال. كان للجهاز "موارد" بين اليهود في الضفة الغربية وغزة: لم يكن لديه عملاء أو يُجري عمليات مراقبة. كان القيام بذلك يتطلب قرارًا من رئيس الوزراء، الذي كان من المستبعد جدًا أن يوافق. ما يعرفه الشاباك عن المستوطنين قد اكتسبه كنتيجة ثانوية لرصده العام للتطرف السياسي اليهودي؛ وبالتالي لم تكن المعلومات ذات الصلة مُركّزة في أي قسم واحد. 71 جعلت خلفية أخيتوف الدينية منه شخصًا متعاطفًا بشكل عام، على الرغم من أنه عارض إعادة إنشاء الحي اليهودي في الخليل وكان لديه آراء قوية حول أي شخص "يأخذ القانون بيده".72

كان أبراهام أهيتوف وبيغن على وفاق تام. كان رئيس الشاباك سمةً مميزةً في المشهد الإسرائيلي، رجلاً تقليدياً ورسمياً إلى حد ما، وهذه صفاتٌ مشتركة بينه وبين رئيس الوزراء. كان أهيتوف يرتدي بدلات داكنة، ويرتدي دعامات للأسنان، ويضع أشرطة على قمصانه. وكان بيغن معجباً به. كان رجلاً ذا فهم سياسي واسع، وكان سريع الاستجابة لطلب رئيس الوزراء بعرض آراء الجهاز حول التداعيات الأمنية لمشروع الحكم الذاتي. 73

مع ذلك، ظلّ التحقيق حساسًا للغاية. أشارت تقارير صحفية مرارًا وتكرارًا إلى اجتماع طلب فيه أهيتوف من بيغن الإذن باعتقال بعض المستوطنين كمشتبه بهم محتملين. ووعد رئيس جهاز الأمن العام (الشاباك): "سنُخضعهم للتحقيق". رفض بيغن، لكنه مع ذلك ضغط على أهيتوف لإحراز تقدم. قال أحد كبار مسؤولي جهاز الأمن العام: "لم يكن بيغن غبيًا بما يكفي لمحاولة إيقاف التحقيق، لكنه كان ذكيًا بما يكفي لتوضيح ما يريده بالضبط". 74 كان رئيس الوزراء، المتشدد في التعامل مع القضايا القانونية، يعلم أنه يجب متابعة القضية، لكنه كان يعلم أيضًا إلى أين ستؤدي. ولديه ذكريات شخصية عن مراقبة جهاز الأمن العام لحزب حيروت الذي ينتمي إليه في الأيام الخوالي السيئة من خمسينيات القرن الماضي، عندما كان اليمين الإسرائيلي يعتقد، وليس من دون مبرر، أن أشرف هاريل كان يدير الأمن الداخلي على أساس ما هو صالح لحزب ماباي وبن غوريون.

وبعد فترة وجيزة، انتشرت القصة علنًا.

ذكرت صحيفة واشنطن ستار أن أهيتوف كان على وشك الاستقالة لأن بيغن أمره بوقف التحقيق في قضية الحركة السرية. رد أهيتوف، على نحو فريد، بإجراء مقابلة مسجلة مع إذاعة إسرائيل وصحيفة يديعوت أحرونوت، نفى فيها الخبر نفيًا قاطعًا.
أولت أجهزة الأمن التحقيق أولوية قصوى. وقال هاجاي سيغال، أحد منفذي التفجيرات، والذي ألّف لاحقًا كتابًا عن القضية: "اتضح أن جهاز الأمن العام اعتبر القبض علينا تحديًا ومسألة هيبة من الطراز الأول، ولم يدخر جهدًا لإيجاد منفذ للإحباط المتراكم..." 76
استخدم جهاز الأمن الداخلي (الشين بيت) مجموعة متنوعة من الأساليب لمحاولة القبض على

إرهابيون يهود. أُلقي القبض على صاحب ورشة في كريات أربع في أحد شوارع القدس، واقتيد إلى فندق لإجراء محادثة معه، وعرض فيديو يظهره في ظروف محرجة مع صديقة. صُوّر الفيلم في غرفة الفندق نفسها، وهدده العملاء بإظهاره لزوجته إذا لم يُطلعهم على معلوماته حول تفجير رؤساء البلديات. لاحقًا، عندما رفض التعاون، رتّب جهاز الأمن العام (الشاباك) تأجيل بعض المدفوعات المستحقة عليه من وزارة الدفاع. دفعه ذلك إلى حافة الإفلاس، فوجد الرجل طريقة لإبلاغ بيغن بما يحدث. تدخل رئيس الوزراء، وأمر جهاز الأمن العام (الشاباك) بترك المشتبه به وشأنه ما لم تكن لديهم معلومات تربطه مباشرةً بالهجوم. كرّر بيغن هذا الأمر عدة مرات، غالبًا بتحريض من وزير التكنولوجيا اليميني، يوفال نئمان.77

العمل كالمعتاد

أصبح التحقيق في أنشطة المنظمات اليهودية السرية من أهم مهام جهاز الأمن العام (الشاباك)، إلا أن عمله الروتيني في التعامل مع العنف الفلسطيني والتخريب السياسي استمر بوتيرة متسارعة. ورغم نموه الهائل منذ حرب 1967، ظل التكتم المحيط بعمل جهاز الأمن في الأراضي المحتلة شديدًا، ونادرًا ما خفف الرقيب العسكري الإسرائيلي قبضته على هذا الموضوع شديد الحساسية.
أحد أشكال الكشف كان الكشف عن عمليات أو شبكات كبيرة لمنظمة التحرير الفلسطينية. برز مثالٌ دراماتيكيٌّ خاصٌّ في أكتوبر/تشرين الأول 1978، في الوقت الذي كانت فيه غوش إيمونيم ومستوطنو الضفة الغربية قلقين للغاية من تصاعد النشاط المسلح الفلسطيني: عُثر على عبوة ناسفة ضخمة خارج دار سينما في وسط القدس. أدى تحقيق الشاباك إلى القبض على عدد من نشطاء فتح، الذين ساعدهم مجرم يهودي يُدعى يوسف غو-جو (نيدام). نيدام، الذي كان يتاجر عادةً بالمخدرات، سلّم كميات كبيرة من الأسلحة والمتفجرات المهربة.

عبر الحدود اللبنانية. شُدّدت المراقبة في هذه الفترة على موظفي الأمم المتحدة العاملين مع قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان (اليونيفيل)، وهي قوة حفظ سلام وصلت حديثًا. كان رجال الأمم المتحدة يعبرون الحدود بحرية، وكانوا هدفًا واضحًا لتجنيد منظمة التحرير الفلسطينية.
سنحت فرص نادرة أخرى للاطلاع على عمل الشاباك عندما قُتل عملاء أثناء تأدية واجبهم. ففي أبريل/نيسان 1979، قُتل ضابط يُدعى موشيه غولدفارب في السامرة. وعلى غير العادة، أُعلن عن وفاته، وعلى غير العادة أيضًا، أُمر بفتح تحقيق رسمي لفحص ملابسات وفاته، مع أن نتائجه لم تُعلن قط.

بعد مرور عام تقريبًا، في يونيو/حزيران 1980، قُتل عميل آخر في الشاباك. عُرف أنه موشيه ('موسى') جولان، البالغ من العمر أربعة وثلاثين عامًا، وهو من قدامى المحاربين في الخدمة منذ خمس سنوات، وُلد في مصر. مثّلت وفاته كشفًا موجزًا ولكنه مثيرًا عن الشاباك، وأشادت إشادة بالغة بـ"الجنود المجهولين" الذين عملوا في الخفاء. ومثّل الحكومة في جنازته رئيس الوزراء نفسه، بالإضافة إلى نائب وزير الدفاع.
قُتل جولان على يد مخبر شاب من جهاز الأمن العام (الشاباك) يُدعى بسام محمود حبش، وكان يسكن في مخيم بلاطة للاجئين قرب نابلس. قدّم حبش لمسؤوله معلوماتٍ أدت إلى كشف خليتين مهمتين من فتح. 78 وكان رجل الأمن العام قد رتّب لقاءً روتينيًا مع حبش في "بيت آمن" بمدينة نتانيا الساحلية الإسرائيلية. وخلال الجلسة، ألقى المخبر فجأةً فلفلًا في عيني جولان، وطعنه حتى الموت، واستولى على مسدسه ومخزنين ممتلئين، ولاذ بالفرار. أعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أن العميل الإسرائيلي قد أُعدم "على يد إحدى مجموعاتنا العاملة في الوطن المحتل" انتقامًا لمقتل طالب فلسطيني مؤخرًا خلال مظاهرة في بيت لحم. أثار ادعاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين احتمال أن يكون حبش قد أصبح عميلًا مزدوجًا، حيث حافظ على اتصال مع الإسرائيلي لتضليله وفي النهاية نصب فخ له وقتله. ربما. أو ربما أراد المخبر ببساطة الخروج واتخذ الطريق الوحيد الممكن. وبعد ثلاثة أيام، وبعد مطاردة مكثفة وتعبئة طارئة لجميع المصادر المعروفة من قبل زملاء جولان، تمكن حبش من العثور على جثته.

تم تعقبه وقُتل على يد وحدة عسكرية في تبادل لإطلاق النار في نابلس. فُرض حظر تجول على بلاطة في تلك الليلة أثناء دفن حبش. بعد ثلاثة أيام، هُدم منزل عائلته بالجرافات، من أجل تشجيع الآخرين.79
شكل نادر آخر من أشكال الكشف عن الشاباك جاء عندما وردت مزاعم، كما كانت بانتظام متزايد في أواخر السبعينيات، عن وحشية في استجواب المعتقلين الفلسطينيين. وقالت لجنة تحقيق رسمية تم تشكيلها في عام 1987، عندما كانت شؤون أجهزة الأمن أكثر أهمية على الأجندة العامة مما كانت عليه قبل عقد من الزمان، إن عام 1971 يمثل النقطة التقريبية التي بدأ فيها الشاباك بالكذب باستمرار على المحاكم بشأن طريقة انتزاع الاعترافات من المشتبه بهم. في يونيو 1977، نشرت صحيفة صنداي تايمز اللندنية تقريرًا مطولًا وموثقًا جيدًا حول التعذيب المزعوم للمعتقلين الفلسطينيين. لذلك ردت إسرائيل الرسمية بغضب على المقال؛ وبعد عقد من الزمان، أكدت لجنة لانداو الكثير من التفاصيل التي تضمنها.
لم يكن إسماعيل عجوة، الصحفي الشاب من قرية قرب القدس، ليتفاجأ بنتائج اللجنة. احتُجز عجوة لأول مرة في ديسمبر/كانون الأول 1978، في ذروة المعارضة الفلسطينية لخطة كامب ديفيد للحكم الذاتي. خلال الأيام الثمانية عشر الأولى من الأربعة والتسعين التي قضاها في الاحتجاز، احتُجز عجوة في مقر شرطة المجمع الروسي في القدس - المعروف لدى جميع العرب باسم "المسكو بية" - حيث ضربه شاب من جهاز الأمن العام (الشاباك) يُدعى "عوزي" وأساء معاملته بسبب صلاته المزعومة بمنظمة التحرير الفلسطينية. يتذكر عجوة: "لاحقًا، استجوبني أبو نهاد، وهو عراقي يبلغ من العمر حوالي خمسة وأربعين عامًا، بذكاء شديد. كان يتحدث العربية بطلاقة، أفضل من لغتي. لم يستخدم العنف ولكنه حاول إجباري على توقيع اتفاقية لمغادرة البلاد، وهو ما رفضته. أخبرني المحققون أيضًا أن زوجتي كانت تواعد رجالًا آخرين في القرية". وزعم أجوا أنه تم خنقه وتقييده إلى أنبوب ويديه خلف ظهره وقناع على رأسه لمدة اثنتين وسبعين ساعة.
وبغض النظر عن أساليبه، فقد كان لدى جهاز الأمن الداخلي (الشين بيت) نفوذ كبير بشكل مثير للإعجاب.

معدل النجاح في حل الهجمات الإرهابية في إسرائيل و

الأراضي المحتلة. في عام ١٩٨٠، تم حل ٨٥٪ من القضايا التي تعاملت معها.٨١

نهاية اللعبة

بعد ثلاثين عامًا في جهاز الأمن العام (الشاباك)، منها ست سنوات مديرًا له، تقاعد أبراهام أهيتوف في ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٨٠. وكان من آخر قراراته الرئيسية إقناع الحكومة بحظر عقد مؤتمر سياسي للعرب الإسرائيليين، الذين كان يُعتقد أنهم يزدادون تطرفًا و"فلسطينية" في نظرتهم. طلب منه بيغن ترشيح مرشحين ليحلوا محله. اقترح أهيتوف نائبه، أبراهام ("أفروم") شالوم (بندور)، وديفيد ("دوديك") رونين، وهو من قدامى المحاربين في الفرع العربي، وُلد في القدس، وله خبرة طويلة في الضفة الغربية، وكتب لاحقًا تقريرًا مفصلًا وكاشفًا بشكل ملحوظ عن أنشطة الجهاز في السنوات الأولى للاحتلال. كان شالوم، الذي حصل على الوظيفة، رجل عمليات بامتياز، وقد فوجئ الكثيرون عندما أصبح الرجل الثاني لأهيتوف عام ١٩٧٤. كان أهيتوف، الذي كان دائمًا على وفاق مع بيغن، يفضل التعامل مع السياسة العليا والخطط الكبرى، ويريد رجلًا عمليًا إلى جانبه. راجت شائعات في عالم السرّ مفادها أن أهيتوف اختار شالوم خلفًا له حتى تبدو ولايته بعد رحيله أكثر إثارة للإعجاب. وقال أحد المسؤولين: "لقد كان ذلك مكيافيليًا بلا شك. لم يُعيّن خليفةً يُلقي بظلاله على إنجازاته في المنصب".
شالوم، الذي جاء والداه إلى فلسطين من ألمانيا في
كان شالوم، المولود عام ١٩٣٣، من أتباع البلماهن، وانضم إلى جهاز الأمن في بداياته. في عام ١٩٦٠، شغل منصب نائب رافي إيتان في عملية اختطاف أيخمان. وعلم الجمهور الإسرائيلي لاحقًا: "لقد شارك في كل عملية مهمة نفذها الجهاز، ولكن دائمًا على المستوى العملياتي، في الميدان". "كان كشافًا أكثر منه قائدًا، رجلًا استند فهمه إلى خبرة لا تُعوّض، رجلًا مجتهدًا، مثابرًا، وبلا لون". عيّن شالوم رؤوفين حزاك نائبًا له.

كانت أولوية شالوم الأولى هي التحقيق في أنشطة الحركة السرية اليهودية، التي كانت لا تزال تتعثر دون أي نجاح واضح. وكان الإرهابيون يزدادون جرأة. بعد الهجوم على رؤساء البلديات في يونيو 1980، عاد العديد من أعضاء المجموعة المتشددين إلى فكرة قديمة تتمثل في تفجير قبة الصخرة - مسجد المدينة القديمة في موقع الهيكل اليهودي القديم - مما وجه ضربة للإسلام بشكل عام، والفلسطينيين بشكل خاص، وعجل بمجيء المسيح. وكمكافأة إضافية، من شبه المؤكد أن مثل هذا الإجراء سيوقف عملية السلام مع مصر والانسحاب من سيناء. وقد أدى إخلاء ياميت في أبريل 1982، وهي أول مستوطنة مدنية تُسلم إلى مصر وفقًا لما نصت عليه معاهدة السلام، إلى زيادة حدة المزاج بين المستوطنين. وكان أعضاء حزب كاخ المتطرف التابع للحاخام مائير كاهانا قد هددوا بالانتحار الجماعي قبل أن تتغلب عليهم القوات والشرطة.
عادت الجماعة السرية لشن هجومها في صيف عام ١٩٨٣. فبعد طعن مستوطن شاب حتى الموت في الخليل، قرروا الانتقام عشوائيًا. في ٢٦ يوليو، ألقى ثلاثة أعضاء من الجماعة السرية، يرتدون كوفيات عربية وقفازات، ويقودون سيارة بلوحات ترخيص مزورة، قنبلة يدوية وأطلقوا نيران رشاشاتهم على مجموعة من

الطلاب في الكلية الإسلامية بالخليل. قُتل ثلاثة وأصيب حوالي ثلاثين. وصرح الحاخام ليفينغر: "من فعل هذا، فقد قدّس اسم الله علنًا".
بدا على بيغن شعورٌ بالصدمة عندما اتصل به أبراهام شالوم للإبلاغ عن حادثة الكلية الإسلامية، وأمر الشاباك ببذل قصارى جهده لتقديم الجناة للعدالة. مع ذلك، فشل الجهاز في حل لغز هجوم عام ١٩٨٠ على رؤساء البلديات أو مقتل إميل غرينزويج، أحد نشطاء حركة السلام الآن، في مظاهرة بالقدس في فبراير ١٩٨٣. بطريقة ما، رُفعت القيود المفروضة على التحقيق في ذلك الصيف. ألمح أبراهام أهيتوف، سلف شالوم والمتقاعد الآن، إلى بعض الصعوبات التي تكتنف التعامل مع مجتمع يحظى بتعاطف عاطفي وسياسي كبير من أعلى مستويات الحكومة.
"إن الفشل في القبض على المهاجمين كان في المقام الأول أحد الأسباب التي أدت إلى ذلك".

كتب رئيس الشاباك السابق: "كانوا جيدين من الناحية العملية. كان حذرهم لا تشوبه شائبة، ومحيطهم السياسي المباشر حمىهم". وأوضح أهيتوف أن مجتمع المستوطنين رفض التعاون مع تحقيق الشاباك، انطلاقًا من شعورهم بالتضامن مع الجماعة السرية - بدوافعها إن لم يكن بأساليبها. كما أن موافقة الحكومة بأثر رجعي على النشاط الاستيطاني غير المصرح به تعني أنه لا يمكن أن يكون هناك مبرر رسمي لتحويل المجتمع بأكمله إلى "هدف" استخباراتي. لم يكن الشاباك هو المسؤول. كان السياسيون هم من يتحملون المسؤولية.84
أقنع رجال شالوم شابًا يهوديًا أرثوذكسيًا بالعمل كعميل في المجموعة السرية، وخُدع ليُزوّد المحققين بعدة أسماء. جُنّدت امرأة في الحي اليهودي بالخليل. وشُنّت عمليات مراقبة على قيادات المجموعة. انضمّ ضابط في منتصف العمر من جهاز الأمن العام (الشاباك) إلى وحدة مناحيم ليفني الاحتياطية في لبنان، وكان قد أُمر بمراقبة الرجل من كريات أربع. أوقفت مجموعة من عملاء الشاباك، متنكرين بزيّ جنود، سيارة ليفني في وادي الأردن، وتظاهروا بتعرض أحدهم لحادث. وتمكّنوا من زرع "جهاز تنصت وتحديد موقع" في السيارة.
وتبين أن العملية التالية كانت الأخيرة للحركة تحت الأرض.
كانت خطة تفخيخ خمس حافلات عربية في القدس الشرقية معروفةً بالكامل تقريبًا لجهاز الأمن العام (الشاباك). في مساء يوم تنفيذها، 26 أبريل/نيسان 1984، نُصبت شبكة مراقبة واسعة النطاق من الخليل إلى القدس. كان جندي احتياط متمركزًا بشكل دائم في نقطة حراسة مقابل منزل شاؤول نير مُجهزًا بأجهزة تنصت متطورة. ولم يتدخل جهاز الأمن العام (الشاباك)، الذي صوّر العملية بأكملها بكاميرات خفية، إلا بعد زرع القنابل. اعتُقل سبعة وعشرون شخصًا. احتُجز الحاخام ليفينغر عشرة أيام ثم أُطلق سراحه.
تم الحصول على الاعترافات بسرعة، دون عنف، ولكن مع استخدام كبير للحرمان من النوم وأساليب استجواب "الشرطي الصالح والشرطي الفاسد". وُعِدَت وعود بالعفو لتشجيع التعاون. مؤامرة الحرم القدسي، التي دارت حولها...

لم يكن جهاز الأمن العام (الشاباك) يعلم الكثير، فخرج هو الآخر. أدلى خمسة عشر ضابطًا من جهاز الأمن العام بشهاداتهم سرًا في المحاكمة، لكن مضمون ما قالوه سُمح بنشره، مما أتاح كشفًا غير مسبوق لأساليب

استجوابهم. ولكن مع بدء محاكمة الجماعة اليهودية السرية، كان جهاز الأمن - وأبراهام شالوم شخصيًا - متورطًا في قضية أخرى دراماتيكية وضارة للغاية.

11
المستنقع اللبناني:
1978-85

الموت على الطريق السريع

في صباح الحادي عشر من مارس/آذار 1978، رست قاربان مطاطيان يحملان أحد عشر فلسطينيًا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في إسرائيل، بجوار محمية "مجان مايكل" الطبيعية. كان كلٌّ منهما يحمل بندقية كلاشينكوف هجومية من طراز AK-47، وعشرة مخازن ذخيرة، وأربع قنابل يدوية، وكتلًا من مادة تي إن تي.

أطلقوا النار أولاً على المصورة الأمريكية الإسرائيلية، جايل روبين، التي كانت تلتقط صوراً للطيور، ثم ساروا ثلاثة كيلومترات إلى طريق حيفا-تل أبيب الساحلي، الطريق السريع الرئيسي في إسرائيل. بعد إطلاق النار على بضع سيارات، تمكنوا من إيقاف حافلتين عابرتين، كانتا مليئتين بسائقي حافلات إيجد وعائلاتهم في نزهة، وسيارة أجرة. حشر الفلسطينيون معظم الركاب في حافلة واحدة، وقادوها جنوباً نحو تل أبيب، وأطلقوا النار من حين لآخر من النوافذ على السيارات المارة وسيارات الشرطة التي تلاحقهم. لم يطلق رجال الشرطة النار على الحافلة خوفاً من إصابة الرهائن.

تجمعت قوة من الشرطة وحرس الحدود والجنود على عجل عند مفترق غليلوت المزدحم شمال تل أبيب. وبينما كانت الحافلة تنحرف نحو التقاطع، واجهت حاجزًا وابلًا من الرصاص، مُوجهًا أولًا نحو عجلات السيارة، ثم نحو النوافذ التي كان الإرهابيون يطلقون منها النار. انفجرت القنابل اليدوية واشتعلت النيران في الحافلة.

عندما دخلت الشرطة والمسعفون، اكتشفوا تسعة قتلى من الإرهابيين وعشرات القتلى الإسرائيليين، معظمهم محترقون بشدة. في المجموع، قُتل سبعة وثلاثون إسرائيليًا.

ثمانية وسبعون جريحًا. أربعة ناجين أصيبوا بجروح بالغة.1 شكّلت مذبحة الطريق الساحلي، كما عُرفت، نقطة تحول في العلاقات الإسرائيلية اللبنانية. فنظرًا لعدد الضحايا الإسرائيليين ومكان وقوعها - الشريان الرئيسي لإسرائيل، الرابط بين تل أبيب وحيفا - لم يكن من الممكن أن تُشكّل المذبحة إلا نقطة تحول. لم يسبق أن شنّت غارة من لبنان بهذا القدر من الدمار؛ ولم تُصب أي غارة أخرى قلب إسرائيل بمثل هذا التأثير المميت. أدرك الجميع على الفور أن إسرائيل سترد بضراوة على قوات منظمة التحرير الفلسطينية عبر الحدود الشمالية.

وكما قال رئيس أمان شلومو غازيت في وقت لاحق:

عندما تقع فظاعةٌ مثل مجزرة الطريق الساحلي، تشعر الحكومة الإسرائيلية بالحرج. من غير المعقول ألا ترد. ثم جاء القادة السياسيون إلى أمان، كما لو كانوا يتسوقون في سوبر ماركت. قلنا لهم - هؤلاء هم الأهداف المحتملة للانتقام - فاختاروا "أ" و"ج" و"ح" من على الرف، كما لو كانوا.
وكانت النتيجة بعد خمسة أيام من الهجوم هي "عملية الليطاني".

عملية الليطاني

إن "عملية الليطاني"، التي قامت فيها عدة ألوية من جيش الدفاع الإسرائيلي، يبلغ عددها سبعة آلاف جندي،2 بغزو لبنان حتى نهر الليطاني (باستثناء جيب صور، إلى الجنوب من النهر)، كانت في أحد معانيها نموذجية للعمليات الكبيرة لجيش الدفاع الإسرائيلي: فقد تحولت إلى شيء أكثر طموحاً بكثير، سواء من حيث النطاق أو الوقت، مما كان مخططاً له في الأصل.
حرصت سوريا على البقاء بعيدًا عن القتال. تقدمت المدرعات الإسرائيلية على ستة محاور، حيث بدأت الهجمات المدفعية والجوية بسحق مواقع منظمة التحرير الفلسطينية. تم إنزال المظليين بواسطة المروحيات في عمق المنطقة التي تم غزوها لقطع أي انسحاب للعدو. تقدمت القوات الإسرائيلية ببطء وحذر للحد من الخسائر؛ لكن هذا أدى حتمًا إلى تقليل خسائر منظمة التحرير الفلسطينية أيضًا.3
كان الأمر بالتقدم نحو عشرة كيلومترات شمالًا لتدمير معسكرات ومنشآت منظمة التحرير الفلسطينية، والسيطرة لفترة وجيزة على أربعة جيوب، ثم الانسحاب بعد ترسيخها تحت سيطرة حليف إسرائيل المسيحي، "الجيش اللبناني الحر"، بقيادة الرائد سعد حداد. لكن العملية سارت على هذا النحو.

بسلاسة، اتجهت الوحدات شمالًا حتى الليطاني. قال غازيت: "لم تُذكر كلمة الليطاني قط أثناء التخطيط. وما انتهينا إليه كان شريطًا متواصلًا شمال الحدود، خاضعًا لسيطرة حداد، بدلًا من جيوب منفصلة".
لم تُعتمد فكرة الشريط المتصل في البداية، لأن أمان لم يكن يثق بقدرة جيش تحرير لبنان على السيطرة على سكان الشريط الحدودي، ذوي الأغلبية الشيعية. كما خشي غازيت من أن اليمين الإسرائيلي سيضغط سريعًا على الحكومة لإقامة مستوطنات في جنوب لبنان!
أدى الغزو إلى إنشاء قوة حفظ سلام جديدة، هي اليونيفيل، التي نُشرت عند انسحاب جيش الدفاع الإسرائيلي إلى الحدود في 31 يونيو/حزيران. وأصبحت منطقة حداد شريطًا متواصلًا، يمتد من عشرة إلى خمسة عشر كيلومترًا، شمال الحدود الدولية مباشرةً، من البحر الأبيض المتوسط إلى جبل هينون.

وضع الأساسات: 1975-1981

كان غزو إسرائيل للبنان في يونيو/حزيران 1982 نتيجةً لعمليتين، إحداهما بدأت في أواخر ستينيات القرن الماضي، والأخرى بدأت عام 1975. تمثلت الأولى في الانتقال التدريجي لمركز عمليات منظمة التحرير الفلسطينية من عمّان ونهر الأردن إلى بيروت وجنوب لبنان. أما الثانية فكانت اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية وتشكيل التحالف الإسرائيلي-الكتائبي.
بدأت منظمة التحرير الفلسطينية عملها انطلاقًا من مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في جنوب لبنان منذ نهاية عام ١٩٦٨. وكلما ازدادت انتصارات إسرائيل ضد منظمة التحرير الفلسطينية على طول نهر الأردن، ازدادت إصرار الفلسطينيين على فتح "جبهة ثانية". وتُوجت هذه العملية بأحداث أيلول الأسود عام ١٩٧٠،

عندما سحقت قوات الملك حسين القوة العسكرية للفلسطينيين في الأردن. نقلت منظمة التحرير الفلسطينية المنهكة مقراتها وقواتها المتبقية إلى بيروت وجنوب لبنان، وأعادت بناء وحداتها، وكثّفت ضرباتها ضد إسرائيل. وسرعان ما أقامت منظمة التحرير الفلسطينية دولة داخل الدولة، تمتد من مخيمات اللاجئين حول بيروت، مرورًا بعين الحلوة والمية ومية قرب صيدا، وصولًا إلى الرشيدية والنبطية في الجنوب.

كان تدفق منظمة التحرير الفلسطينية أحد العوامل التي أدت إلى التفكك التدريجي للدولة والمجتمع اللبنانيين خلال النصف الأول من سبعينيات القرن الماضي. أدت عمليات المنظمة عبر الحدود ضد المستوطنات الحدودية الإسرائيلية إلى انتقام جيش الدفاع الإسرائيلي من جميع سكان جنوب لبنان، مما أدى بدوره إلى فرار اللاجئين الشيعة إلى الضاحية الجنوبية لبيروت. شعر هؤلاء الشيعة الفقراء بالمرارة من المؤسسة اللبنانية التي يهيمن عليها المسيحيون وتحولوا بشكل متزايد إلى الدين الأصولي. أصبحوا عنصرًا مهمًا في زعزعة الاستقرار التي أدت في النهاية إلى الحرب الأهلية. عندما بدأت تلك الحرب، كانت الطوائف المسيحية في البلاد، بقيادة الموارنة، وميليشياتهم - التي يهيمن عليها "القوات اللبنانية" من حزب الكتائب - في مواجهة تحالف فضفاض ومتغير من المسلمين واليساريين، بما في ذلك ميليشيا أمل الشيعية ومقاتلي الحزب التقدمي الاشتراكي الدرزي والمرابطون الناصريون. خلال المرحلة الأولى من الحرب الأهلية، ساعدت معظم مجموعات منظمة التحرير الفلسطينية في مرحلة أو أخرى التحالف الإسلامي اليساري ضد المسيحيين.
انهيار النظام السياسي اللبناني الذي حدث
على خلفية التنافس بين القوى العظمى، والصراع العربي الإسرائيلي، والصراعات العربية الداخلية المختلفة، اجتذبت هذه الأخيرة حتماً منافسين خارجيين. وبينما سعت الميليشيات اللبنانية إلى حلفاء خارجيين لتمويلها وتسليحها وتدريبها، اهتمت الدول المجاورة للبنان بدعم اللبنانيين سعياً لحماية مصالحها (مثل قلق إسرائيل بشأن أمن حدودها الشمالية، وقلق سوريا من هجوم إسرائيلي محتمل على دمشق عبر سهل البقاع اللبناني).
بعد اندلاع الأعمال العدائية بفترة وجيزة، لجأ المسيحيون إلى اليهود، الذين كانوا، منذ ما قبل عام ١٩٤٨، يُقدمون بين الحين والآخر تحالفًا "طبيعيًا" بين الأقليتين الرئيسيتين غير المسلمتين في المنطقة. كان اهتمام إسرائيل بالتحالف مع المسيحيين اللبنانيين عنصرًا نظريًا محوريًا في "عقيدة المحيط" منذ خمسينيات القرن الماضي؛ وقد هيأت الحرب الأهلية الظروف التي مكّنت النظرية أخيرًا من أن تصبح ممارسة. وكان الموساد، وبدرجة أقل، فرع استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، القناتين اللتين تم من خلالهما تشكيل هذا التحالف.

اندلعت الحرب الأهلية اللبنانية في أبريل/نيسان 1975. وفي سبتمبر/أيلول، أقدم المسيحيون المحاصرون على أول خطوة لهم - عبر مركز للموساد في أوروبا، ربما في باريس - نحو القدس. طلب داني شمعون، قائد ميليشيا النمور المسيحية الصغيرة ونجل الرئيس اللبناني السابق كميل شمعون، من إسرائيل مساعدة عسكرية عاجلة.7 وكان رد فعل القدس حذرًا، رافضًا التدخل المباشر، لكنه زوّد الكتائب ببعض مخزونات الأسلحة الخفيفة.

اعتبر ديفيد كيمحي، مسؤول الموساد الذي أشرف على "حساب لبنان" الخاص بالجهاز حتى أواخر سبعينيات القرن الماضي، هذا رد فعل طبيعيًا. وكما جادل لاحقًا:
في البداية، تصرفنا على نحوٍ صحيح. كان ذلك قبل زيارة السادات للقدس بوقتٍ طويل، وكان كلُّ تواصلٍ مع إسرائيل من قِبَل دولةٍ عربيةٍ مهمًا لنا، لا سيما وأنَّ الخلافَ الرئيسيَّ للبنانيين آنذاك كان مع منظمة التحرير الفلسطينية. ولأول مرةٍ على الإطلاق، اصطفَّ جيراننا للتحدث إلينا. كانت سياستنا هي أنَّنا مهما حدث، لن نساعدهم بشكلٍ فعَّال، بل سنساعدهم على مساعدة أنفسهم.
استمر الوضع العسكري للمسيحيين في التدهور. وبحلول ربيع عام ١٩٧٦، كان الكتائبيون في حالة يأس. وفي ١٢ مارس/آذار، لعبوا الورقة الإسرائيلية: انطلق مبعوث الحزب، أبو خليل، على متن سفينة صواريخ تابعة لجيش الدفاع الإسرائيلي إلى حيفا للقاء رئيس الوزراء إسحاق رابين ووزير الخارجية إيغال ألون. توسّل أبو خليل للمساعدة. فقرر رابين إرسال بعثة استطلاعية، مؤلفة من ضابط كبير في جهاز المخابرات العسكرية (أمان) (بنيامين بن إليعازر، المعروف باسم "فؤاد") ومسؤول كبير في الموساد. وبعد بضعة أيام، التقى الاثنان ببشير وأمين الجميل، ابني زعيم حزب الكتائب السابق بيير الجميل، على متن سفينة صواريخ في ميناء جونيه، شمال بيروت. غادر الإسرائيليون دون أن يُعجبوا بهم.
ومع ذلك، سرعان ما أُقيم اتصال دائم، حيث تمركز ضابط أو اثنان من الموساد في جونيه لمراقبة الحرب الأهلية عن كثب. وأصبحت العلاقة مع الكتائب من مسؤولية الموساد، مع أن ضباط أمان استمروا أيضًا في مقابلة قادة الميليشيا وإعداد تقاريرهم وتقديراتهم الخاصة.10

أُرسل فريق من أربعة ضباط، بقيادة العقيد بن إليعازر، لتقييم احتياجات الكتائب. وشاهد الفريق التدريب، والتقى بضباط الكتائب، ولاحظ هجوم المسيحيين على معقلهم الفلسطيني في تل الزعتر. وأبلغ الفريق القدس عن تشرذم الميليشيات وضعفها العسكري، لكنه أشار إلى كراهيتهم الصادقة لمنظمة التحرير الفلسطينية، وأوصى بتحديث كبير لإمدادات الأسلحة الإسرائيلية.11
أدى دخول سوريا إلى لبنان، الذي بدأ عبر وكلائها في جيش التحرير الفلسطيني في يناير/كانون الثاني 1976 وأصبح مباشرًا وشاملًا في يونيو/حزيران من ذلك العام، إلى تغيير الوضع جذريًا. ورغم دعوة المسيحيين له وتحقيق أهدافهم في البداية، إلا أن الدخول السوري دق ناقوس الخطر في شرق بيروت والقدس، وبغض النظر عن السبب الظاهري لتدخلها، بدا أن سوريا على وشك ابتلاع جارتها الغربية. وشعرت إسرائيل بضرورة التحرك.
في أغسطس/آب، التقى رئيس الوزراء رابين مرارًا بكميل شمعون على متن سفينة صواريخ إسرائيلية قبالة الساحل اللبناني. وتلا ذلك اجتماعٌ أكثر أهمية، بين رابين وآل الجميل، وبيري، وابنه. لم يمضِ هذا الاجتماع بسلاسة، لكن علاقة توريد الأسلحة ارتقت مع ذلك عدة مرات. وأوضح رابين لشمعون أن إسرائيل مستعدة لمساعدة المسيحيين على مساعدة أنفسهم. وفي غضون أسابيع، وصلت شحنات إسرائيلية كبيرة من البنادق والصواريخ المضادة للدبابات ودبابات شيرمان القديمة إلى جونيه. ونُقلت مسؤولية تسليح الكتائب، التي أصبحت عملية لوجستية واسعة النطاق، من الموساد إلى وزارة الدفاع، مع أن ديفيد كيمحي ظلّ المسؤول التنفيذي الإسرائيلي عن العلاقة مع المسيحيين اللبنانيين.12

لكن الكتائب أرادت المزيد. في سبتمبر/أيلول، خلال مهمة بن إليعازر الثالثة إلى الجيب المسيحي، ناشده بشير الجميل التدخل الإسرائيلي الفوري لإخراج السوريين. وكرر الجميل هذا النداء خلال زيارة إلى إسرائيل في وقت لاحق من ذلك الشهر برفقة داني شمعون، حيث التقيا رابين.
انتهت الجولة الأولى من الحرب الأهلية في أكتوبر/تشرين الأول 1976، عندما أنهى هجوم سوري ناجح أخيرًا آمال التحالف الإسلامي-اليساري-الفلسطيني في سحق المسيحيين. كانت السنتان التاليتان فترة

وقد أدى هذا إلى تعزيز موقف الكتائب، مع ظهور بشير الجميل باعتباره الشخصية العسكرية المهيمنة في المعسكر المسيحي، ويرجع ذلك جزئياً إلى أنه هو الذي هندس الارتباط الإسرائيلي الحاسم مع لبنان.
.tion
ازدهرت علاقة البشير بالموساد. الموساد
برزت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بقيادة إسحاق حوفي كداعم رئيسي داخل إسرائيل لتحالف كامل مع الكتائب. في المقابل، لم تكن استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي متحمسة منذ البداية للعلاقة المسيحية، وسلطت الضوء باستمرار على عيوب الكتائب. وقد انتقد ساغي لاحقًا الموساد قائلاً إنه "كان يعتبر المسيحيين رصيدًا، بل ويثق بهم". أما أمان، فلم يكن كذلك.13
حافظ الكتائبيون على علاقة غير مستقرة مع
سوريا، لكن الأمور بلغت ذروتها في يونيو/حزيران ١٩٧٨، عندما اغتال مسلحو بشير طوني فرنجية، زعيم فصيل ماروني موالٍ لسوريا، في معقله الجبلي في زوغرتا. كان رد الفعل السوري - قصف مكثف للمعاقل المسيحية في شرق بيروت وجونيه وسلسلة جبال المتن شرقًا - مدمرًا.
وفي الوقت نفسه، تغيرت الحكومة في القدس.
دفعت النتيجة الدرامية للانتخابات العامة في مايو 1977 حزب العمل بزعامة رابين إلى المعارضة لأول مرة منذ عام 1948؛ وكان مناحيم بيغن من حزب الليكود، الزعيم السابق لمنظمة إرغون التي سبقت قيام الدولة ومؤسس حزب حيروت اليميني، رئيس الوزراء الجديد. كان رابين حذرًا بشأن لبنان؛ وتحدث بيغن بصراحة وبصورة مسرحية عن التزام إسرائيل بمنع "الإبادة الجماعية" ضد المسيحيين. حذر أمان رئيس الوزراء من أن الكتائب، وليس السوريين، هم المسؤولون عن دوامة العنف الصيفية في بيروت وما حولها، وحكم وزير الدفاع عيزرا وايزمان ضد إطلاق العنان لسلاح الجو الإسرائيلي ضد المدفعية السورية. كما رفض الإسرائيليون طلب بشير الجميل بإنزال قوات إسرائيلية في جونيه لردع السوريين. ومع ذلك، أوضح بيغن وجهة نظره على الرغم من ذلك. تركزت المدرعات الإسرائيلية على الجولان في استعراض للقوة وفي 6 يوليو، انطلقت طائرات كفير التابعة لسلاح الجو الإسرائيلي فوق بيروت. كما أعطى بيجين الجميل التزامًا بأن إسرائيل سوف تأتي لمساعدة المسيحيين بالقوة الجوية إذا أطلقت سوريا العنان لـ

قواتها الجوية ضد المسيحيين. توقف السوريون
النار.14
اندلعت أزمة سورية-كتائبية جديدة في ربيع عام 1981. في ديسمبر 1980، سيطرت وحدات الكتائب على الأمن في مدينة زحلة المسيحية، على طريق بيروت-دمشق. وسرعان ما اشتبكوا مع السوريين الذين فرضوا حصارًا على المدينة. ومع ذوبان ثلوج جبل لبنان، بدأ الجانبان في التمركز على المرتفعات المحيطة بزحلة،

وتجدد القتال حوالي 1 أبريل 1981. أعلن الجميل أن المسيحيين "سيقاتلون حتى النهاية" حيث كان السوريون عازمين على محو زحلة من على وجه الأرض وطرد سكانها. أرسل الجميل رسائل عاجلة بهذا المعنى عبر الموساد إلى بيغن. تأثر الزعيم الإسرائيلي قائلاً: "إن ما يُفعل بالمسيحيين في لبنان اليوم هو بالضبط ما فعله النازيون باليهود في أربعينيات القرن العشرين في أوروبا"، كما قال للجنة الشؤون الخارجية والدفاع في الكنيست.
30 أبريل 2015 في 8 أبريل، عقدت لجنة الأمن التابعة لمجلس الوزراء الإسرائيلي اجتماعًا
وقد أرسلت إلى الجميل تأكيداً على التزامها بحماية المسيحيين ضد الهجوم الجوي السوري.16 وفي 25 أبريل/نيسان،
تمكنت قوات الكوماندوز المحمولة جواً من الاستيلاء على موقع رئيسي للكتائب على جبل صنين المطل على زحلة وسهل البقاع.
أصدر السوريون إشارات واضحة لإسرائيل بعدم التدخل: ففي منتصف أبريل/نيسان، نصبوا في البقاع عددًا من مواقع بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات، لكنهم لم يُدخلوا هذه الأسلحة. كانت الرسالة - التي التقطتها وكالة أمان - واضحة تمامًا: إذا تدخلت إسرائيل، فستُدخل سوريا بطاريات صواريخ إلى لبنان، مُغيرةً بذلك الوضع الاستراتيجي الراهن.11
كان يهوشوا ساغي قلقًا بشأن تطور الأحداث في زحلة. اشتبه في وجود فخٍّ متعمد من المسيحيين لجر إسرائيل إلى العمق اللبناني. سرعان ما اتفق إسحاق حوفي مع رئيس أمان على أن زحلة كانت مؤامرةً من الكتائب لإغراء إسرائيل. لكن ناحيك نيفوت، المسؤول التنفيذي الكبير في الموساد الذي تولى في أواخر سبعينيات القرن الماضي مسؤولية مكتب لبنان والعلاقة مع الكتائب، ضغط من أجل التدخل الإسرائيلي. كان نيفوت معروفًا لدى وكالة المخابرات المركزية باسم "بيتر ماندي"، وكان نظراؤه الأمريكيون يعتبرونه...

"بخيل... يوزع أجزاء من التقارير البشرية الثمينة للموساد فقط عندما يخدم ذلك المصالح الإسرائيلية".18
قال ديفيد كيمحي، سلف نيفوت، الذي ترك الموساد بعد خلاف مع حوفي بشأن سياسة الجهاز في لبنان، في وقت لاحق:
وأنه رأى في زحلة أيضًا نقطة تحول.19
في اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلي الحاسم في 28 أبريل/نيسان 1981، اقترح رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي، رافي إيتان، شنّ غارة جوية على جبل سينين. عارض ساغي الاقتراح، محذرًا من أن السوريين سيُدخلون صواريخ مضادة للطائرات إلى لبنان فورًا، وأن جمع المعلومات الاستخباراتية الجوية سيُلحق ضررًا بالغًا. أيّد عدد من كبار الوزراء ساغي. لكن بيغن ردّ قائلًا:
"لن نسمح لهم بارتكاب إبادة جماعية في لبنان". 20
رغم غياب قرار وزاري واضح، أمر إيتان فورًا سلاح الجو الإسرائيلي بالتحرك، وأُسقطت مروحيتان سوريتان للإمداد فوق جبل سينين. في اليوم التالي، ردًا على ذلك، أدخل السوريون أربع بطاريات صواريخ سام-6 إلى البقاع، ونُشرت صواريخ سكود متوسطة المدى أرض-أرض قرب دمشق. ردّ بيغن بالتعهد بـ
تدمير الصواريخ إذا لم يتم إزالتها.21
في 30 أبريل، أُلغيت الغارة الجوية الإسرائيلية المقررة ضد الصواريخ في اللحظة الأخيرة بسبب ضعف الرؤية. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، طلبت الولايات المتحدة من إسرائيل التريث لإتاحة الفرصة

للدبلوماسية الأمريكية لإقناع الرئيس الأسد بسحب الصواريخ. رحب بيغن بالخروج المعروض. واستولت القوات السورية على ما تبقى من جبل سنين.
لكن بينما كان السفير الأمريكي الخاص، فيليب حبيب، يتنقل بين دمشق وبيروت والقدس، محاولًا تهدئة الأزمة، كانت مواجهة ثانية تلوح في الأفق. في 28 مايو/أيار، شنّ سلاح الجو الإسرائيلي حملة قصف مكثفة على مواقع منظمة التحرير الفلسطينية في جنوب لبنان. بدا الأمر كما لو أن غضب إسرائيل، المحبط من الصواريخ السورية، قد أُطلق عمدًا على هدف بديل أكثر سهولة. كان إيتان وبيغن يتوقان إلى مواجهة "نهائية" شاملة مع منظمة التحرير الفلسطينية. ردّت منظمة التحرير الفلسطينية بحذر وضبط نفس، متجنبةً الوقوع في الفخ الإسرائيلي.
لكن الهجوم الثاني لسلاح الجو الإسرائيلي، في العاشر من يوليو/تموز، استفز الفلسطينيين بشكل لا يُصدق. ضربت الطائرات الإسرائيلية أهدافًا مهمة لمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت، مما أسفر عن مقتل أكثر من 100 شخص (منهم ثلاثون من عناصر المقاومة) و

جرح 600. ردّ الفلسطينيون بوابل من القذائف على مدينتي كريات شمونة ونهاريا الحدوديتين الإسرائيليتين، حيث أُطلقت أكثر من 2000 قذيفة وصاروخ (مما أسفر عن مقتل ستة وجرح تسعة وخمسين). لمدة أسبوعين كاملين، تبادل الطيارون والمدفعيون الإسرائيليون إطلاق النار ليلًا ونهارًا مع بطاريات منظمة التحرير الفلسطينية. فرّ أكثر من 70% من سكان كريات شمونة جنوبًا، وتدفّق اللاجئون الفلسطينيون والشيعة شمالًا. كاد القصف الإسرائيلي المتواصل أن يُسقط منظمة التحرير الفلسطينية. لكن بيغن، تحت ضغط أمريكي شديد ومُصدومًا من إجلاء المدنيين الإسرائيليين المذعورين من المدن الحدودية، قرر الاستسلام.
فشلت القوة النارية الإسرائيلية المتفوقة بشكل هائل في إزاحة منظمة التحرير الفلسطينية أو إسكاتها. تفاوض حبيب على وقف إطلاق النار، وسكتت المدافع في 24 يوليو. سارعت منظمة التحرير الفلسطينية إلى إعادة بناء بنيتها التحتية العسكرية في الجنوب، مضيفةً عشرات القطع الميدانية وقاذفات الصواريخ؛ وظل التهديد للمستوطنات الحدودية الإسرائيلية حادًا كما كان دائمًا. كانت "مدافع يوليو" نقطة تحول؛ إذ تركت أثرًا عميقًا ودائمًا على بيغن والمؤسسة الدفاعية الإسرائيلية، وذكّرت بضرورة تقديم محاسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية في أقرب فرصة.22
في أغسطس/آب 1981، استُبدل بيغن، الذي شغل منصبي رئيس الوزراء ووزير الدفاع منذ استقالة عيزرا وايزمان عام 1980، في وزارة الدفاع باليمين أريل شارون، المخضرم في كل حرب منذ عام 1948، والمدافع عن فكرة إسرائيل الكبرى، والرجل - حتى أعدائه الكثيرين اعترفوا بذلك - صاحب الرؤية والتصميم. ومنذ تلك اللحظة، عمل شارون بلا كلل من أجل "حل مشكلة لبنان نهائيًا"، على حد تعبيره. وخلال الأشهر الأحد عشر التالية، كان جنوب لبنان برميل بارود على وشك الانفجار. وقد أدت هزيمة جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) في الهجوم على المفاعل النووي العراقي إلى تآكل تأثيره على القضايا اللبنانية بشكل خطير. وتم تجاهل يهوشوا ساغي تقريبًا. كما أطاح أسلوب الوزير الجديد التدميري بإسحاق حوفي. وقال أحد كبار المسؤولين التنفيذيين بمرارة: "فقد تدخل الموساد أهميته بمجرد أن وجد المسيحيون طريقهم مباشرة إلى مزرعة شارون".

التحضير للحرب

في نظر إسرائيل، كان اتفاق وقف إطلاق النار الذي توسطت فيه الولايات المتحدة مع منظمة التحرير الفلسطينية ستارًا مكّن المنظمة من إعادة بناء قواتها العسكرية وتوسيعها، والتي كانت تتخذ تدريجيًا مظهر جيش تقليدي، وإن كان صغيرًا وبدائيًا. وبحلول صيف عام 1982، وفقًا لشارون، كان لدى منظمة التحرير الفلسطينية جيش قوامه 15,000 رجل، 6,000 منهم في جنوب لبنان، مسلحين بنحو 100 دبابة (معظمها من طرازي T-34 وT-54 القديمين)، ونحو 350 قطعة مدفعية وقاذفات صواريخ كاتيوشا، و150 سيارة مدرعة، و•
قدرة AA صغيرة. 24
تألف الثلاثي الذي قاد السياسة الدفاعية الإسرائيلية في حكومة الليكود الثانية، بدءًا من أغسطس/آب 1981، من بيغن وشارون ورئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي رافائيل إيتان. كان هدف شارون المباشر، والذي كان مقبولًا لدى بيغن وأغلبية أعضاء الحكومة، هو إزالة "التهديد" الذي تشكله منظمة التحرير الفلسطينية من الحدود الشمالية لإسرائيل. أما هدفه الأوسع فكان توجيه ضربة قاصمة لمنظمة التحرير الفلسطينية لن تتعافى منها أبدًا. استندت استراتيجية شارون الأوسع إلى فرضية أنه مع إذلال منظمة التحرير الفلسطينية، سيكون من الأسهل على إسرائيل ترهيب الفلسطينيين الذين فقدوا قيادتهم في الضفة الغربية وقطاع غزة لقبول الحكم الإسرائيلي، مما يمهد الطريق للضم الإسرائيلي في نهاية المطاف.
وكان جزء من هذا التصميم الكبير هو إنشاء "رابطات القرى"
في الضفة الغربية لحشد القطاع الريفي ضد المدن التي تسيطر عليها منظمة التحرير الفلسطينية. كان أعضاء رابطة القرى من الموالين للأردن، مثل زعيمهم، مصطفى دودين، من الخليل، وضمت صفوفهم شخصيات مشبوهة ذات سوابق إجرامية. زودت الإدارة المدنية الإسرائيلية العديد منهم بالأسلحة، واعتبرهم الفلسطينيون متعاونين فحسب. كان لدى جهاز الأمن العام (الشاباك) تحفظات شديدة على المخطط، لكن لم يكن أمامه خيار سوى الامتثال.25
كان الجانب اللبناني من الهجوم المُرتقب يهدف إلى تدمير القوة الفلسطينية والإسلامية، ليتمكن لبنان "الجديد" بقيادة الكتائب من الظهور. ومن المتوقع حينها أن يصبح لبنان ثاني دولة عربية تُبرم السلام مع إسرائيل.

كان شارون ينوي تحقيق أهدافه من خلال نسخة موسعة أو "كبيرة" من "عملية الصنوبر"، وهي خطة طوارئ وضعها جيش الدفاع الإسرائيلي لغزو لبنان وُضعت في أبريل/نيسان 1981. وفي سبتمبر/أيلول 1981، قام قائد المنطقة الشمالية الجديد، اللواء أمير دروري، بمراجعة كل من الخطة الأصلية (أو "الصنوبر الصغير")، التي دعت إلى تقدم جيش الدفاع الإسرائيلي حتى صيدا، و"الصنوبر الكبير"، التي تصورت التقدم إلى خط شمال بيروت والطريق السريع بين بيروت ودمشق.26
منذ البداية، فكّر شارون في "أشجار الصنوبر الكبيرة" بدلًا من "أشجار الصنوبر الصغيرة"، مع أنه أخفى ذلك عن زملائه في الحكومة. وفي وقت مبكر من أكتوبر/تشرين الأول 1981، تحدّث، في إحاطة لهيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي، عن إدراج بيروت في الحملة المحتملة.2 7

كم من الوقت سيحتاج جيش الدفاع الإسرائيلي للبقاء في لبنان لضمان ظهور نظام جديد تهيمن عليه الكتائب؟ ظن شارون أن المدة ستة أسابيع. أما ساغي فكان أقل تفاؤلاً، إذ اعتقد أن الأمر لن يستغرق أقل من ثلاثة أشهر.28 اعتمدت خطة النظام الجديد والتخلص النهائي من منظمة التحرير الفلسطينية إلى حد كبير على انتخاب بشير الجميل رئيسًا، الذي أعلن ترشحه في نوفمبر/تشرين الثاني 1981. وكان من المقرر إجراء الانتخابات في الصيف التالي.
قدّم شارون خططه لمجلس الوزراء لأول مرة في 20 ديسمبر/كانون الأول 1981. لم يذكر وزير الدفاع "الصنوبر الكبير" بالاسم، لكن الخريطة التي عُرضت تضمنت سهمًا لجيش الدفاع الإسرائيلي يتقدم نحو طريق بيروت-دمشق السريع. كانت هذه هي المرة الأولى التي يسمع فيها الوزراء عن أي نية لغزو لبنان أو يُبلّغون بالخطوط الرئيسية وأهداف الحملة. صُدم الكثيرون واعترض عدد آخر. حُذّر شارون - وبيغن - من أنهما يواجهان معارضة جدية في مجلس الوزراء. ومنذ ذلك الحين، توخّى وزير الدفاع الحذر، ونادرًا ما سمح لزملائه في مجلس الوزراء بالاطلاع على كامل نطاق هذا التفكير.29
في الأسبوع الثاني من يناير/كانون الثاني 1982، قام شارون، برفقة نهيق نيفوت من الموساد وعدد من الجنرالات والمساعدين، بزيارة سرية إلى لبنان المسيحي، وأبلغ بشير الجميل بالغزو الوشيك. وكان صريحًا بأن

كان يجب أن تتضمن الخطة طرد منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت. اعترض ساغي قائلاً: "يجب ألا نصل إلى بيروت. سنغرق هناك". إلى جانب ذلك، فإن احتلال عاصمة عربية سيثير غضب العرب والأمريكيين. انسحب شارون انسحابًا تكتيكيًا. قال إن الكتائب ستسيطر على بيروت الغربية المسلمة. لكن ساغي أصرّ على أن المسيحيين لم يكونوا مستعدين.
إلى المهمة.
وفي وقت لاحق من الجولة، قدم زعماء الكتائب دعما غير مباشر
عارض موقف ساغي بإظهاره إحجامًا واضحًا عن مساعدة جيش الدفاع الإسرائيلي. سياسيًا، كما أوضح بيار الجميل، لا ينبغي للإسرائيليين توقع معاهدة سلام بين البلدين بعد الغزو. قيل لشارون المصدوم إن الكتائب لا يمكن أن تصبح "خائنة" للمعسكر العربي.30
لكن الخطط مضت قدمًا. في فبراير، أرسل بيغن ساغي إلى واشنطن لاستطلاع رأي إدارة ريغان. وأخبر ألكسندر هيغ، وزير الخارجية، رئيس استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي أن الولايات المتحدة لن تتسامح مع هجوم إسرائيلي شامل إلا ردًا على انتهاك صارخ من جانب منظمة التحرير الفلسطينية لوقف إطلاق النار. عاد ساغي إلى وطنه راضيًا.31
وفي الشهر نفسه، تم الاستيلاء على وحدة تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية بعد عبورها الحدود.
أصر جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي (الشاباك) على أن المسلحين قدموا من عمان؛ تجاهل إيتان هذا وأكد على مسؤولية قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت.32 وكانت الحقائق الاستخباراتية تُجمع بشكل انتقائي لتتناسب مع المخطط السياسي والعسكري الكبير.
في مارس/آذار، زار رئيس الأركان بيروت مرة أخرى. ولكن في أبريل/نيسان،
ظهرت مشكلة جديدة. انضم إسحاق حوفي إلى ساغي في الاعتراض على الفكرة برمتها. كان نيفوت، وهو جهاز استخبارات تابع للموساد، مسؤولاً عن التواصل اليومي المستمر مع الكتائب؛ بل إنه رفض السماح

بعقد اجتماعات بين ضباط جيش الدفاع الإسرائيلي والكتائب دون حضوره. ضغط نيفوت، الخاضع لتأثير بشير الكامل، من أجل الغزو. لكن حوفي كان متشدداً في دعم وجهة نظر أمان القائلة بأنه لا يمكن الاعتماد على الكتائب. كان رئيسا جهازي الاستخبارات الرئيسيين في إسرائيل يُقوّضان استراتيجية شارون.33
ومع ذلك، استمر التخطيط. الاستطلاع الإسرائيلي و
قامت وحدات الاستخبارات برسم خرائط طرق الغزو والتحقق منها

الجسور والممرات والطرق• في الطريق إلى بيروت. في ربيع عام 1982، كادت سلسلة من الهجمات في الخارج، على طول حدود إسرائيل وفي الأراضي المحتلة، أن تثير الحرب المخطط لها منذ فترة طويلة. في 3 أبريل، قُتل ضابط في الموساد يُدعى يعقوب بارسيمانتوف بالرصاص خارج منزله في باريس على يد جماعة تُدعى الفصائل المسلحة الثورية اللبنانية. اعتقد بيغن أن هذا استفزاز كافٍ لشن "عملية الصنوبر"؛ ولكن في 11 أبريل، عارض خمسة وزراء ذلك.34 في 21 أبريل، توفي جندي إسرائيلي وأصيب اثنان عندما مرت مركبتهم فوق لغم في المنطقة الأمنية بجنوب لبنان. في وقت لاحق من ذلك اليوم، قصفت الطائرات الإسرائيلية أهدافًا لمنظمة التحرير الفلسطينية. أوقفت منظمة التحرير الفلسطينية إطلاق النار. لكن موجة ثانية من غارات سلاح الجو الإسرائيلي في 9 مايو كادت أن توفر الرد المطلوب لمنظمة التحرير الفلسطينية. أرسلت مدافع منظمة التحرير الفلسطينية وقاذفات الصواريخ عشرات القذائف إلى الجانب الإسرائيلي من الحدود، ولكن لم تصب قذيفة واحدة قرية أو بلدة إسرائيلية. وكانت الرسالة الفلسطينية واضحة: "نحن نتجنب ضرب المراكز المدنية الإسرائيلية، ولكننا قادرون على القيام بذلك، وإذا استفززنا بدرجة كافية فإننا سوف نفعل ذلك".
لم يكن لدى السوريين، بفرقتهم المتمركزة في سهل البقاع شرق لبنان ولواءهم المتمركز في بيروت، أدنى فكرة عن نطاق هجوم جيش الدفاع الإسرائيلي الوشيك حتى نهاية أبريل/نيسان. وظلت الاستخبارات السورية تفكر في توسيع "عملية الليطاني". في المقابل، خشيت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية من أمرٍ مشابهٍ تمامًا لـ"عملية الصنوبر الكبيرة".35
عرض بيغن نسخةً مُخففةً من خطة "الصنوبر الكبير" على مجلس الوزراء في 10 مايو. وصوّتت أغلبيةٌ من أصل 18 وزيرًا لصالحها. كان بيغن قد حدد موعدًا مبدئيًا للغزو في 17 مايو، لكنه ألغى ذلك عندما اتضح أن الوزراء السبعة المنشقين ما زالوا يُعارضون هجومًا بريًا واسع النطاق. في اجتماع مجلس الوزراء في 10 مايو، قدّم شارون وبيغن خطةً مُوسّعةً لعملية "الصنوبر الصغير" بدلًا من هجومٍ شاملٍ يصل إلى بيروت. تحدّث شارون عن عملية "شرطية" "محدودة"، لا عن حرب. لكن نائب رئيس الاستخبارات العسكرية، العميد أفيزر يعاري، الذي كان ينوب عن ساغي (الذي كان في الخارج)، حذّر من أن العملية ستعني حربًا مع سوريا.36 ومن الآن فصاعدًا، سيُسوّق بيغن وشارون للوزراء خطةً محدودةً لهجوم "الصنوبر الصغير"، والتي قد تُحشد مجلس الوزراء.

وقد تم كتم الحديث عن تقدم "مرحلة ثانية" نحو بيروت والطريق السريع بين بيروت ودمشق بعناية، ولم يعلنه شارون إلا بعد بدء الحرب، وباعتباره تخطيطاً "احتياطياً" ناشئاً عن ضرورات المعركة.
لكن شارون تعامل مع جنرالاته بشكل مختلف. ففي اجتماع الجنرال

بعد ثلاثة أيام، عُرضت عليهم في اجتماع هيئة الأركان نسخةٌ غير مُصقولة من عملية "الصنوبر الكبير". كانت الأهداف هي التواصل مع الكتائب حول بيروت والوصول إلى طريق بيروت-دمشق السريع وقطعه. كان واضحًا للجميع أن الغزو سيؤدي بالضرورة إلى صدام مع السوريين. عرض ساغي حجة أمان ضد عملية "الصنوبر الكبير"، ولكن دون جدوى. قال رئيس استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي إن صدامًا كبيرًا مع السوريين أمرٌ لا مفر منه؛ سيعزز السوريون قواتهم وستضطر إسرائيل إلى التعامل مع صواريخهم. كما توقع ساغي أن الكتائب لن تُحرك ساكنًا لمساعدة جيش الدفاع الإسرائيلي أثناء الغزو. وقال إن الغزو لن ينجح في تدمير منظمة التحرير الفلسطينية. حذّر ساغي من تداعيات الحرب كقوة عظمى، وخلص إلى أن الأمة، وجيش الدفاع الإسرائيلي نفسه، سينقسمان. لم تكن هذه طريقةً لخوض معركة.37
لم يكن بإمكان ساغي أن يتحدث بوضوح أكثر. لكن تصريحه أُدلي به في اجتماع لهيئة الأركان العامة. في اجتماعات مجلس الوزراء الأكثر أهمية، كان رئيس استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي إما صامتًا أو يتحدث بوضوح وحزم أقل بكثير، مما أتاح لآراء بيغن وشارون أن تنتصر.

أبو نضال يضرب مرة أخرى

مع اقتراب منتصف ليل الثالث من يونيو/حزيران 1982، واجه مسلحو الحكومة أخيرًا استفزازهم. فقد أُطلق النار على سفير إسرائيل في بريطانيا، شلومو أرجوف، في رأسه خارج فندق دورشيستر بلندن على يد مسلح فلسطيني. كان هو وشريكاه ينتمون إلى المجموعة المنشقة التي قادها أبو نضال (صبري البنا)، المسؤول السابق في فتح الذي كان مدعومًا من العراق وعارض قيادة ياسر عرفات "الاستسلامية" لمنظمة التحرير الفلسطينية. وبدا أن محاولة الاغتيال كانت مصممة خصيصًا لإثارة هجوم من جيش الدفاع الإسرائيلي على معقل عرفات في لبنان.38

لم يكن بيغن يكترث تحديدًا بمن أطلق النار على أرجوف أو لماذا. انعقد مجلس الوزراء في جلسة طارئة صباح يوم الجمعة 4 يونيو؛ وكانت النتيجة، رغم غياب أرييل شارون في رحلة سرية إلى رومانيا، حتمية. في الليلة السابقة، كان بيغن قد أمر إيتان بإرسال سلاح الجو لمهاجمة أهداف فلسطينية؛ ولم يُستدع مجلس الوزراء إلا للموافقة.
بدأ اجتماع مجلس الوزراء بإحاطة قدمها أبراهام شالوم، رئيس جهاز الأمن العام (الشاباك)، المسؤول عن أمن الموظفين الإسرائيليين في الخارج. وصرح شالوم بأن الهجوم ربما يكون من تدبير جماعة أبو نضال. وكان جدعون مهنائي، مستشار رئيس الوزراء لشؤون الإرهاب، على وشك الخوض في تفاصيل طبيعة الجماعة عندما قاطعه بيغن بحدة قائلاً: "جميعهم من منظمة التحرير الفلسطينية". وكان رافي إيتان قد أبدى نفس الرأي قبل دقائق، عندما أخبره مساعد استخباراتي أن الهجوم ربما يكون من تدبير الجماعة المناهضة لعرفات: "أبو نضال. أبو شميدال". قال: "علينا أن نضرب منظمة التحرير الفلسطينية".
بعد إسكات رؤساء المخابرات، اقترح إيتان قصف مقر منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت. وقدّر كلٌّ من إيتان وساغي أن ردّ منظمة التحرير الفلسطينية المحتمل سيكون قصف قرى الحدود الشمالية لإسرائيل. وقال رئيس الأركان إنه في حال حدوث ذلك، فإن جيش الدفاع الإسرائيلي سيردّ ردًّا ساحقًا. أدرك جميع الحاضرين أنه كان يتحدث عن "عملية الصنوبر"، في إحدى نسخها. لم يعترض أيٌّ من الوزراء. ما لم يكن مجلس الوزراء يعلمه هو أن جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) والموساد كانا قد حصلا قبل أشهر على نسخ

من أوامر منظمة التحرير الفلسطينية لوحدات المدفعية الأمامية بالردّ تلقائيًا، بوابل من القصف على المستوطنات الإسرائيلية، في حال هاجم سلاح الجو الإسرائيلي مقرّ بيروت.
ما تلا ذلك كان متوافقًا تمامًا مع السيناريو المتوقع. قصفت الطائرات الإسرائيلية بيروت الساعة 3:15 مساءً. بعد ساعتين، فتحت مدافع منظمة التحرير الفلسطينية وقاذفات صواريخ الكاتيوشا نيرانها على مستوطنات الجليل. تبادل الجانبان إطلاق القنابل والقذائف طوال اليوم التالي. في ليلة السبت 5 يونيو، استأنف مجلس الوزراء اجتماعه في منزل بيغن بالقدس. طلب رئيس الوزراء من الوزراء الموافقة على توغل لمسافة أربعين كيلومترًا في جنوب لبنان لتدمير مدافع منظمة التحرير الفلسطينية وقاذفات الصواريخ التي يبلغ مداها مدى مستوطنات الجليل. لم يذكر أحد...

التقدم إلى ما بعد قوس الأربعين كيلومترًا، أو غزو بيروت، أو التحالف مع الكتائب. قال شارون: "بيروت خارج الصورة". وتحدث عن عملية "أربع وعشرين ساعة". انتقد وزير واحد فقط، وهو العميد السابق مردخاي تسيبوري، خطة الغزو، خوفًا من صدام مباشر مع السوريين، لكنه أُقنع بالتصويت مع الأغلبية - وهو مثال كلاسيكي على ما يسميه عالم الاجتماع إيرفينغ جانيس "التفكير الجماعي".41 امتنع وزيران من الحزب الليبرالي عن التصويت. كان ساغي وحوفي حاضرين، لكنهما لم يُدعَيا للتحدث ولم يُدليا بأي كلمة.42
كان من المقرر أن يبدأ الغزو في صباح اليوم التالي. في ليلة
في 5 يونيو/حزيران، استدُعي بشير الجميل على عجل إلى اجتماع مع إيتان، وأُبلغ مسبقًا بالعملية. طلب رئيس الأركان من الكتائب إطلاق النار على طول الخط الأخضر، الذي يفصل بيروت الغربية المسلمة عن شرقها المسيحي، والسماح للفرق القتالية الإسرائيلية بالنزول في جونيه. رفضت الكتائب كلا الطلبين.43

خوض الحرب

بدأت أرتال المدرعات الإسرائيلية بعبور الحدود يوم الأحد، 6 يونيو/حزيران. وبسبب تضليل شارون زملاءه في الحكومة بشأن نطاق العملية، لم يكن لدى القادة العسكريين تعريف واضح لأهدافهم. كان لا بد من تقليص تحركات الجيش بما يتناسب مع ذلك. لم يكن من الممكن، كما تملي الاستراتيجية، إنزال القوات المحمولة جواً والبحرية في عمق مؤخرة العدو، قرب بيروت أو على طول طريق بيروت-دمشق السريع، لمحاصرة وحدات منظمة التحرير الفلسطينية والوحدات السورية في الجنوب، وفي بيروت، وفي سهل البقاع.
وتضمنت الخطة التقدم نحو الشمال على طول أربعة محاور: أ
المحور الغربي (فرقة واحدة)، بقيادة العميد إسحاق مردخاي، على طول الطريق الساحلي، عبر التجمعات الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية حول صور وصيدا، باتجاه الدامور وبيروت؛ المحور المركزي (فرقة واحدة)، بقيادة العميد أفيجدور كهلاني، شمالاً عبر نب عطية، على طول سلاسل الجبال المطلة على الطريق الساحلي باتجاه صيدا؛ المحور المركزي الثاني (فرقة واحدة)، بقيادة

بقيادة العميد مناحيم عينان، متحركًا في البداية على خطى كها لاني، ثم متجهًا شمالًا عبر جبال الشوف إلى طريق بيروت-دمشق؛ ومحور شرقي (فرقتان)، بقيادة اللواء أفيغدور بن غال، موجه نحو حاصبيا وراشيا الفخار، والذي يمكنه بعد ذلك التقدم شمالًا نحو التجمعات السورية الرئيسية في البقاع الشرقي. قوة خامسة، محمولة بحرًا، بقيادة العميد عاموس يارون، تم إنزالها عند مصب نهر الأولي شمال صيدا مباشرة.
وكان أمان قد توقع منذ فترة طويلة أنه إذا تقدم جيش الدفاع الإسرائيلي على طول المحور المركزي، فإن السوريين سيتدخلون.44

في الغرب، واجه الغزاة جيشًا مُشتّتًا من منظمة التحرير الفلسطينية قوامه 6000 مقاتل، مُشكّلًا من لواءين وعدة كتائب مُستقلة؛ ثم كانت هناك فرقة من القوات السورية في البقاع ولواء سوري مُستقل في بيروت. في نهاية الأسبوع الأول من الحرب، انضمت فرقة سورية ثانية إلى فرقة البقاع.

لم يقاتل الفلسطينيون على طول الساحل وفي التلال الشرقية بتشكيلات كبيرة ومنظمة، لكنهم أبدوا مقاومة قوية وشجاعة غير متوقعة، مما أخر تقدم جيش الدفاع الإسرائيلي المتفوق عليه بفارق كبير لمدة اثنتين وسبعين ساعة. وواجهت مخيمات اللاجئين حول صور وصيدا (الراشدية، والبص، وعين الحلوة)، وفي صيدا نفسها، مقاومة شديدة بشكل خاص.

جرى التقاء فرقة مردخاي وقوة يارون البرمائية على طول الساحل في الدامور عند مصب نهر الأولي، شمال صيدا مباشرة، في 9 يونيو/حزيران. وكان ذلك أيضًا يوم بدء المواجهة المباشرة بين إسرائيل وسوريا في شرق لبنان.

كان جيش الدفاع الإسرائيلي قد قتل بالفعل جنودًا سوريين في 7 يونيو، ودمر سلاح الجو محطتي رادار سوريتين. في 8 يونيو، اشتبكت دبابات عينان مع المواقع السورية الواقعة في أقصى الغرب حول جزين، واستولت على المدينة، ثم واجهت قوات سورية قوامها لواء في عين زحالتا، شمالًا. قرر السوريون التصدي لتقدم عينان نحو طريق بيروت دمشق السريع. في معركة الممر الجبلي المكلفة، نجح الكوماندوز السوريون ورجال الدبابات في تأخير التقدم الإسرائيلي لفترة كافية لضمان عدم وصول عينان إلى...

الطريق السريع قبل أن يدخل وقف إطلاق النار الذي فرضته القوى العظمى حيز التنفيذ عند الظهر في الحادي عشر من يونيو.45

وفي الوقت نفسه، صدرت الأوامر الثلاثة الحاسمة التي كان من المفترض أن تحول
أصدر شارون أوامره ليارون بالتقدم نحو بيروت؛ ولقائد القوات الجوية الإسرائيلية ديفيد إيفري بتدمير عشرين بطارية صواريخ سورية مضادة للطائرات في البقاع؛ ولبن غال بالتقدم شمالاً عبر حاصبيا نحو البقاع لتدمير إسرائيل.
الفرقة الأولى السورية.

العملية ضد الصواريخ والتي تمت بالتعاون الجوي
بدأ الهجوم، وابل من صواريخ أرض-أرض ونيران المدفعية بعيدة المدى، في الساعة 2.00 بعد ظهر يوم الأربعاء 9 يونيو؛ وانتهى كل شيء بحلول الساعة 4.15. استغرقت الضربة الأولى 35 دقيقة؛ وكانت الضربة الثانية، التي بدأت في الساعة 3.45 مساءً، عملية تطهير. وصف وزير الدفاع السوري مصطفى طلاس هجومًا من ثلاث مراحل: عملية "تعمية" ضخمة من قبل أنظمة ECM الإسرائيلية المحمولة جواً والأرضية ضد الرادار السوري ومنشآت الإلكترونيات؛ وابل من الصواريخ جو-أرض (أطلقتها الطائرات الإسرائيلية من

مدى 35 كيلومترًا)، وصواريخ أرض-أرض ونيران المدفعية ضد محطات الرادار والتحكم في الصواريخ المضادة للطائرات؛ وضربة قريبة من قبل أربعين طائرة فانتوم وسكاي هوك وكفير تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي. تم القضاء على 17 من البطاريات السورية. وفي محاولة لإنقاذهم، ألقى السوريون حزمًا من الصواريخ الاعتراضية وخسروا 29 طائرة دون خسائر إسرائيلية. خسر السوريون خمسين طائرة أخرى خلال الأيام التالية، دون خسائر إسرائيلية تُذكر. كان تدمير نظام الدفاع الجوي السوري في لبنان بمثابة ضربة موجعة للاستخبارات الإلكترونية وسلاح الجو. عزا طلاس لاحقًا انتصار إسرائيل في معركة السيطرة على سماء لبنان إلى تفوق إسرائيل في السيطرة الأرضية، ونظام الرادار، وطائرات الإنذار المبكر (هوكيز)، وإلى "عمى الرادار" السوري، والذي يعود جزئيًا إلى عدم قدرتها على نشر محطات رادار سورية في أجزاء مختلفة من لبنان غير المحتل.46

انطلقت قوة بن غال إلى البقاع بعد ظهر الأربعاء، 9 يونيو/حزيران. وكان هدفها - الذي لم يتحقق قط - هو الوصول إلى طريق بيروت-دمشق السريع وقطعه جنوب شرق شتورة. وواجهت صعوبة في القيادة، ومشاكل فنية، منها نقص الوقود والاختناقات المرورية،

وقد أدت المقاومة الشرسة، وخاصة حول السلطان يعقوب، من جانب الفرقة السورية الأولى إلى منع قوة بن غال الأقوى بشكل ساحق من الوصول إلى الطريق قبل دخول وقف إطلاق النار حيز التنفيذ.4 7

في هذه الأثناء، بدأت قوات مظليي الجنرال يارون، التي سرعان ما انضمت إليها قوة كها لاني، تقدمها شمالًا نحو بيروت عبر الدامور. انضم ضابط اتصال من الكتائب إلى القوة الإسرائيلية صباح 11 يونيو، جنوب العاصمة اللبنانية مباشرة. قاتلت قوات مظليي يارون منظمة التحرير الفلسطينية وعناصر من اللواء 85 السوري، وشقت طريقها ببطء عبر سفوح التلال شرق طريق صيدا-بيروت، والتقت بقوات الكتائب، خارج بعبدا، الساعة الواحدة ظهرًا يوم 13 يونيو. تم قطع طريق بيروت-دمشق أخيرًا. كان هناك اجتماع مبهج بين بشير وبيار الجميل والجنرالات الإسرائيليين. وصل جيش الدفاع الإسرائيلي إلى ضواحي بيروت.

لكن المدينة نفسها، التي دافع عنها نحو 10,000 مقاتل من منظمة التحرير الفلسطينية، وميليشيات إسلامية متنوعة، وبقايا اللواء السوري، أثبتت أنها عصية على الكسر. تحول تطويق جيش الدفاع الإسرائيلي لبيروت إلى حصار. طالبت إسرائيل منظمة التحرير الفلسطينية والسوريين بمغادرة المدينة؛ فقاومت المنظمة. تحدث جورج حبش، زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، عن "ستالينجراد ثانية". أراد بيغن وشارون أن يسيطر الكتائبيون على بيروت الغربية، لكن عائلة الجميل رفضت. بدأ السفير الأمريكي فيليب حبيب مفاوضات معقدة بين الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين المسلمين من جهة، وإسرائيل من جهة أخرى، لتحقيق إخلاء سلمي لمنظمة التحرير الفلسطينية والسوريين.

على مدى الشهرين التاليين، قصفت القوات الإسرائيلية بيروت الغربية، وقطعت الماء والكهرباء، وقضمت الدفاعات الفلسطينية في هجمات برية قصيرة وحادة. سلسلة من انفجارات السيارات المفخخة القاتلة - التي نسبتها منظمة التحرير الفلسطينية وطلاس إلى "عملاء" إسرائيليين48 - قوّضت معنويات سكان المدينة المحاصرة. إلى الشرق، شنّت وحدات جيش الدفاع الإسرائيلي عددًا من الهجمات القصيرة شمالًا، لانتزاع المزيد من نقاط السيطرة على طول طريق بيروت-دمشق السريع - في عاليه وبحمدون - من السوريين.49 قصفت الطائرات الإسرائيلية مرارًا وتكرارًا المباني التي يُعتقد أن قادة منظمة التحرير

الفلسطينية يختبئون فيها، ولكن دون قتل أيٍّ منهم، 50 وسلسلة من الهجمات البرية التي شنّها المظليون الإسرائيليون قضت على الأحياء الجنوبية النائية من المدينة.

بيروت الغربية، ناقلةً رسالةً مفادها أن جيش الدفاع الإسرائيلي عازمٌ على غزو المدينة إذا لم يغادرها مقاتلو منظمة التحرير الفلسطينية. في النهاية، أقنع ضغط المسلمين اللبنانيين ومخاوف منظمة التحرير الفلسطينية نفسها من هجوم جيش الدفاع الإسرائيلي على بيروت الغربية عرفات بالموافقة على الانسحاب.
بدأ الانسحاب في 21 أغسطس/آب تحت غطاء قوة متعددة الجنسيات (أمريكية-فرنسية-إيطالية). غادر المدينة حوالي 15,000 مقاتل فلسطيني وجنود سوريين خلال الأيام القليلة التالية، واستقل معظمهم قوارب يونانية متجهة إلى تونس والجزائر، بينما سافر السوريون بشاحنات على الطريق إلى دمشق. كان قناص إسرائيلي يُصوّب ياسر عرفات نحو مرمى بصره بينما كان زعيم منظمة التحرير الفلسطينية يودع عرفات. 51
طوال الحرب، سواءً ضد منظمة التحرير الفلسطينية أو ضد السوريين، استخدم جيش الدفاع الإسرائيلي الطائرات المسيرة بفعالية لجمع المعلومات الاستخبارية والتشويش الإلكتروني. استُخدمت هذه الطائرات لتصوير مواقع منظمة التحرير الفلسطينية في قلعة الشقيف المطلة على الليطاني، وفوق المواقع السورية حول جزين، وفي وادي البقاع السفلي، على طول طرق تقدم بن غال. في بعض الأحيان، كما في معركة السلطان يعقوب، لم تصل المعلومات الاستخبارية إلى القادة الميدانيين في الوقت المناسب لإحداث تأثير في ساحة المعركة. 52

لغز بشير الجميل
انتُخب بشير الجميل رئيسًا للبنان بمساعدة الحراب والأموال الإسرائيلية في 23 أغسطس/آب، بعد يومين من بدء إجلاء منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت. ورغم تباطؤ الكتائب خلال المعركة، بدا أن كل شيء مهيأ لاكتمال التحالف الإسرائيلي الماروني. لكن في غضون أيام، بدأ "مخطط أرييل شارون الكبير" لحكم لبناني متحالف مع إسرائيل، بقيادة الكتائب، بالانهيار.
في 30 أغسطس، سافر الجميل جوًا إلى نهاريا للقاء بيغن. قبل ساعات قليلة، أبلغت الولايات المتحدة رئيس الوزراء بخطة الرئيس ريغان الجديدة للسلام في الشرق الأوسط. كانت صفعةً لمن اعتقدوا أن تدمير منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان سيؤدي إلى تعزيز قبضة إسرائيل على الأراضي المحتلة. دعت خطة ريغان إلى انسحاب إسرائيل من معظم الأراضي الفلسطينية المحتلة.

الضفة الغربية وقطاع غزة واتحادهما مع الأردن. وكأن هذا لم يكن كافيًا، بدأ الرئيس اللبناني المنتخب يضيق ذرعًا بالأمر. عندما سأله بيغن عن توقيع معاهدة سلام مع إسرائيل، أجاب الجميل: "لا أستطيع اتخاذ قرار في مثل هذه الأمور وحدي... فالتوقيع المتسرع على معاهدة غير مبرر، لا سياسيًا ولا أمنيًا...". اقترح بيغن أن يقوم الجميل بزيارة علنية لإسرائيل فور توليه منصبه، واقترح تاريخًا مستهدفًا - 31 ديسمبر/كانون الأول 1982 - لتوقيع معاهدة السلام بحلول ذلك الوقت. طلب الجميل مهلة لمدة عام.
اقترح بيغن على الجميل تعيين الرائد سعد حداد قائدًا لمنطقة جنوب لبنان. ردّ الجميل بأن حداد لا يزال يواجه تهمة الخيانة، وسيُحاكم، مع أن هذا مجرد إجراء شكلي. أراد الإسرائيليون إبقاء قوة حداد والمنطقة

الأمنية كما هي؛ وألمح الجميل إلى أن سيادة بيروت يجب أن تمتد إلى الحدود الدولية. ثم أشار بيغن إلى زملاء بشير الذين فضّلوا التوجه الموالي لسوريا في لبنان. اقترح رئيس الوزراء الإسرائيلي تجنب هؤلاء الأشخاص، وعرض على الجميل قائمة الأسماء. بعد رحيل بشير، وبخ بيغن ناهيك نيفوت من الموساد لتقصيره في تسليم بضائع الكتائب.53

استشاط بشير غضبًا من هذه الإهانات لاستقلاله ولسيادة لبنان. وفي وطنه، شكا إلى والده من أن بيغن "عامله كطفل".54

نشأ انقسام في الرأي داخل المؤسسة الدفاعية الإسرائيلية حول مسألة الجميل والكتائب. هل ينبغي لإسرائيل أن تضع كل بيضها في سلة واحدة وتعتمد على الرئيس المنتخب وحزبه كدعامة أساسية لها في لبنان؟ أم ينبغي عليها تنويع اتصالاتها وفتح قنوات مع أطراف أخرى؟ هل يمكن الوثوق بالكتائب؟ واصل شارون وإيتان والموساد - على الرغم من تزايد خيبة أمل رئيس الموساد إسحاق هوفل - دعمهم للعلاقة الحصرية مع الكتائب. كان أمير دروري وضباط آخرون في القيادة الشمالية متشككين وضغطوا من أجل تنويع العلاقات.5 5

تحركات قوات حداد شمالا نحو الزهار-

نهر العاني، ثم نهر الأولي، أوحى بأن انعدام الثقة بالكتائب يقابله استمرار الثقة بحداد. وهكذا، فإن رؤية "نظام جديد"، لبنان مستقل ذو سيادة بقيادة الجميل، يتمتع بسلطة كاملة على بيته، قد قُوِّضت بسبب حاجة إسرائيل الملموسة لحماية حدودها الشمالية. وكان كلا الجانبين يُقوِّض التحالف الإسرائيلي-الكتائبي.56

الاغتيال والمذبحة

التقى بشير الجميل وأرييل شارون للمرة الأخيرة في 12 سبتمبر/أيلول 1982. وكان شارون، برفقة نيفوت، قد بادر إلى عقد الاجتماع من أجل محو بقايا المرارة التي خلفها اجتماع الجميل وبيغن في نهاريا قبل أسبوعين، وتنسيق العمل من أجل "تطهير بيروت الغربية من الإرهابيين المتبقين".

طالب شارون وحدات من الكتائب والجيش اللبناني بتنفيذ العملية. وتحدث الجميل عن تدمير مخيمات اللاجئين وتحويل المنطقة إلى "حديقة حيوانات ضخمة". وقال الجميل إن الفلسطينيين سيُنقلون إلى سوريا "في حافلات مكيفة". لا يبدو أن شارون اعترض على الخطة. وكما أوضح تقرير لجنة كاهان لاحقًا، فقد أخبر الجميل قادة الموساد مرارًا وتكرارًا أن نيته "هي القضاء على المشكلة الفلسطينية في لبنان عند توليه السلطة - حتى لو تطلب ذلك اللجوء إلى أساليب منحرفة..."57

في 14 سبتمبر، زار الجميل مقرّ حزب الكتائب في منطقة الأشرفية ببيروت لمخاطبة نشطاء الحزب. منذ أواخر سبعينيات القرن الماضي، أصبح الرئيس الأسد يعتبر بشير عدوه اللدود في لبنان؛ وقد ازداد هذا الشعور حدةً مع غزو جيش الدفاع الإسرائيلي وانتخاب بشير. قرر السوريون تفعيل أحد فروعهم اللبنانية، الحزب الوطني السوري، للقضاء على الماروني المزعج. كان لحبيب الشرتوني، العضو السري في الحزب الوطني السوري، شقيقة تسكن في الطابق الثالث من المبنى الذي يضم فرع الكتائب في الأشرفية. في 13 سبتمبر، تلقى الشرتوني تعليمات من مسؤوله السوري،

من روما، لاغتيال الجميل بتفجير قنبلة في شقة شقيقته، في طابق فوق قاعة الكتائب.
أخرج الشرتوني شقيقته من الشقة، ووضع القنبلة التي تزن 300 كيلوغرام، وانتظر مع جهاز إرسال على سطح مجاور. في الساعة 4:10 مساءً، وبينما كان الجميل يلقي خطابه، فجّر الشرتوني القنبلة. انهار مقر الكتائب وسط كومة من الأنقاض. قُتل سبعة وعشرون من عناصر الكتائب وجُرح سبعة وثلاثون. أعلن السوريون على الفور مسؤولية الإسرائيليين. اعتقلت الكتائب شرتوني وأعلنت أن سوريا تقف وراء عملية الاغتيال.58 هرع نحيك نيفوت، الذي كان موجودًا في بيروت، إلى مكان الحادث وأُبلغ بإصابة بشير وإنقاذه.
ولكن بعد خمس ساعات من الانفجار، عُثر على زعيم الكتائب ميتًا. نُقل الخبر على الفور إلى القدس.59
قرر بيغن وشارون السيطرة على مناطق ومفترقات رئيسية في بيروت الغربية. كانت المدينة لا تزال تعجّ بـ"إرهابيي" منظمة التحرير الفلسطينية والموالين لسوريا؛ وكان اغتيال الجميل دليلاً على ذلك، إن كانت لا تزال هناك حاجة إلى أيٍّ منهم. كما تحدث بيغن عن ضرورة حماية مسلمي المدينة من انتقام الكتائب.
وكانت تقييمات أمان مماثلة. جادلت استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي بأن الاغتيال قد يؤدي إلى أعمال انتقامية وصراع أهلي عام؛ وأن جيش الدفاع الإسرائيلي - الذي يُحتمل أن يكون "عامل استقرار" -
- من الأفضل أن ندخل غرب بيروت للقضاء على أي مشكلة في مهدها.60
تحركت مدرعات وقوات المظلات التابعة لجيش الدفاع الإسرائيلي إلى غرب بيروت في الساعة الخامسة.
صباح يوم 15 سبتمبر. كان أحد محاور التقدم الرئيسية محاذيًا لمخيمي صبرا وشاتيلا، حيث أطلق عشرات الفلسطينيين النار على الإسرائيليين المتقدمين.
في التاسعة صباحًا، من على سطح مركز قيادة فرقة جيش الدفاع الإسرائيلي المُطل على شاتيلا، أخبر شارون جنرالاته أن الكتائب ستدخل المخيمات "تحت إشراف جيش الدفاع الإسرائيلي". نفى ساغي، الذي كان حاضرًا، لاحقًا سماعه صدور مثل هذا الأمر. توجه شارون وساغي بالسيارة إلى مقر قيادة الكتائب في الكرنتينا. تحدث وزير الدفاع عن انضمام الكتائب إلى جيش الدفاع الإسرائيلي، وقال عن "الإرهابيين" المتبقين في غرب بيروت: "لا أريد بقاء أي منهم!". لكن يبدو أن شارون لم يفعل.

ولم يتحدث صراحة . حينها، أو في ذلك المساء في بكفيا، حيث عزى بيار وأمين الجميل . عن الحاجة إلى الانتقام لمقتل بشير.
خلال فترة ما بعد الظهر من يوم 15 سبتمبر، نائب المدير
قال أفيزر يعاري، من أمان، إن دخول جيش الدفاع الإسرائيلي إلى غرب بيروت كان أمرًا بالغ الأهمية بالنسبة لسكان المدينة المسلمين: فقد اعتقدوا أن جيش الدفاع الإسرائيلي وحده قادر على حمايتهم من انتقام الكتائب. وكان هذا، بالطبع، هو السبب الحقيقي أو الظاهر لموافقة بيغن على هذه الخطوة. كما قال يعاري إن اغتيال بشير كان على الأرجح من تدبير ميليشيا المرابطون، وهي ميليشيا لبنانية يسارية ناصرية، لذا لم يكن لدى المسيحيين أي سبب للانتقام من الفلسطينيين. وكان تقييم الموساد الأولي لمن يقف وراء الاغتيال متطابقًا.61
في فترة ما بعد الظهر من يوم 16 سبتمبر، في تل أبيب، قامت بعثة أمريكية خاصة
ناقش السفير موريس درابر، والسفير سام لويس، وإيتان، وساغي دخول جيش الدفاع الإسرائيلي إلى بيروت الغربية. وقال ساغي إن الكتائب من المرجح أن تدخل. وقال إيتان: "لبنان على وشك الانفجار في موجة

انتقام جنونية. لا أحد يستطيع إيقافهم... إنهم مهووسون بفكرة الانتقام... رأيت في عيون [قادة الكتائب] أنها ستكون مذبحة لا هوادة فيها".
كان زمن إيتان المستقبلي قد تجاوزه الزمن. بدأ الكتائبيون بالفعل باقتحام صبرا وشاتيلا، وسرعان ما بدأت قذائف الهاون التابعة لجيش الدفاع الإسرائيلي تُطلق قذائف إنارة. تابع ضباط أمان تقدم الكتائبيين من مقر الجنرال عاموس يارون على سطح المبنى وعبر أجهزة الاستقبال اللاسلكية. كان ضابط اتصال الموساد موجودًا في الكرنتينا طوال الوقت. في الساعة السابعة مساءً، وصلت أجهزة الاستقبال اللاسلكية أول لمحة عن المجزرة التي بدأت. سأل ضابط كتائبي عما يجب فعله بخمسين امرأة وطفلًا قبض عليهم. رد إيلي حبيقة، قائد الميليشيا، ردًا مرعبًا: "هذه آخر مرة ستسألني فيها. أنت تعرف ماذا تفعل".
حذر يارون حبيقة من إيذاء المدنيين، لكن قوات الدفاع الإسرائيلية لم ترد على ذلك.
لم تكن الحساسيات ذات أهمية كبيرة لدى الكتائب. كان حبيقة قد أطلع رجاله قبل دخول صبرا وشاتيلا على قتل الشباب الفلسطينيين من أجل إثارة نزوح جماعي من

بعد ساعة، حوالي الساعة الثامنة مساءً، سمع جهاز المراقبة اللاسلكي في مركز قيادة يارون قائدًا من الكتائب يسأل عما يجب فعله بخمسة وأربعين رجلاً فلسطينيًا أسيرًا. فأجابه جيسي سوكر، رئيسه: "افعل ما يشاء الله".62
في ذلك المساء، عندما اجتمع مجلس الوزراء في القدس لمناقشة دخول جيش الدفاع الإسرائيلي إلى بيروت الغربية، تحدث شارون عن هجوم جيش الدفاع الإسرائيلي، لكنه لم يذكر الكتائب. غادر ساغي مبكرًا، قائلاً إنه متعب. مع اقتراب الجلسة من نهايتها، أعلن إيتان أن الكتائب كانت تعمل بالفعل في صبرا وشاتيلا. وألمح إلى أنها تحت سيطرة جيش الدفاع الإسرائيلي. وحذّر، دون أن يربط تحذيره بعملية الكتائب، من انتقام ومذبحة وشيكة بين الفصائل اللبنانية.
كان إعلان إيتان هو المرة الأولى التي يسمع فيها رئيس الموساد الجديد، ناحوم أدموني، الذي حل محل إسحاق حوفي في 12 سبتمبر/أيلول فقط، أن الكتائب كُلِّفت بتطهير المعسكرات. وكرر أدموني تحذير إيتان، قائلاً إن هجمات انتقامية مسيحية واردة.
في ليلة 16-17 سبتمبر، لاحظ عدد من ضباط أمان الرسائل اللاسلكية المُراقبة، وأرسلوا تقارير مُقلقة حول فظائع مُحتملة إلى قسم الأبحاث (التقديرات) في أمان والمقرّ الأمامي للقيادة الشمالية في عاليه. وتحدث أحد التقارير عن مقتل "300" فلسطيني، بعضهم مدنيون. لكن ضباط أمان المناوبين في تل أبيب قرروا عدم إيقاظ ساغي، ولم تكن لدى أحد صورة واضحة عما كان يحدث في المُخيمات.
في صباح اليوم التالي، 17 سبتمبر/أيلول، حوالي الساعة 11:00 صباحًا، تغلب قلقهم على الجنرالين يارون ودروري، وأمرا وحدات الكتائب في المخيمات بالتوقف عن الحركة. ولكن في وقت مبكر من بعد الظهر، سمح يارون لقوة من 150 من الكتائب بالانضمام إلى رجال حبيقة. وفي اجتماع بين إيتان وقادة الكتائب في الساعة 5:00 مساءً، سمح رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي لوحدات الكتائب بالبقاء في المخيمات حتى صباح اليوم التالي وإكمال مهمتها. وأوضح إيتان أن الكتائب ستضطر بعد ذلك إلى المغادرة "بسبب الضغط الأمريكي". وفي ملخص المحادثة التي أجراها ضابط في الموساد، نُقل عن إيتان قوله إنه تلقى "انطباعًا إيجابيًا... من بيان

قوات الكتائب وسلوكها الميداني... طلب الكتائبيون جرافات من جيش الدفاع الإسرائيلي لهدم "المباني غير القانونية" في المخيمات. أيد ممثل الموساد الطلب، ووافق إيتان، على الرغم من أنه لم يتم توفير سوى جرافة واحدة، لا تحمل علامات جيش الدفاع الإسرائيلي. لم تُظهر التقارير والشائعات اللاحقة عن الفظائع التي وقعت بعد ظهر ذلك اليوم ومساءه أي رد فعل إسرائيلي، وواصل الكتائبيون قتل الفلسطينيين ودفنهم تحت المباني بالجرافات. انزعج الجنرالات الإسرائيليون من الشائعات، لكنهم كانوا مشغولين بمجموعة واسعة من المشاكل الأخرى.
بحلول الساعة 8.00 صباح اليوم التالي، 18 سبتمبر،
لم تتمكن الكتائب من إخلاء المخيمات، فأمر جيش الدفاع الإسرائيلي الجنود المسيحيين بالخروج من المنطقة. ولم تُكتشف المذبحة إلا في الساعات القليلة التالية.
ومع ذلك، ظلت الاتصالات بشأن هذا الموضوع داخل جيش الدفاع الإسرائيلي والأجهزة البيروقراطية الإسرائيلية الأخرى معيبة. لم يعلم بيغن بالمذبحة إلا في الساعة الخامسة مساءً - من بث لهيئة الإذاعة البريطانية (BBC). ثم اتصل بشارون، الذي أمر بإجراء تحقيق في التقرير. في هذه الأثناء، أعلنت إذاعة صوت لبنان الكتائبية أن وحدة من قوات الرائد حداد هي التي نفذت المذبحة. التقى إيتان بقادة الكتائب في الكرنتينا، ووبخهم وطالبهم بالاعتراف علنًا بالمذبحة. رفضوا. قدرت أمان لاحقًا أن ما بين 700 و800 فلسطيني ومسلم لبناني لقوا حتفهم في المذبحة؛ وقدرت جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني عدد القتلى بـ 2000؛ وقدر المدعي العام اللبناني الخاص، أسعد جيرمانوس، الذي حقق في القضية، الرقم بـ 460.
في اجتماعها مساء الأحد، حاولت الحكومة الإسرائيلية النأي بنفسها عن المجزرة بإعلانها أن الجريمة ارتكبتها "وحدة لبنانية" دخلت المخيمين "من نقطة بعيدة عن مواقع جيش الدفاع الإسرائيلي". وكان التلميح إلى أن الكتائب، التي لم يُذكر اسمها، دخلت المخيم دون علم جيش الدفاع الإسرائيلي أو إشرافه.63
لكن الجمهور الإسرائيلي، الذي كان قلقًا لأسابيع طوال فترة الحرب، انفجر غضبًا عندما انتشر خبر المذبحة أخيرًا. ولم تؤدِّ الجهود الرسمية للتستر إلا إلى تأجيج نيران السخط. وفي النهاية، وبعد تصعيد غير مسبوق

وبعد المظاهرة الحاشدة التي شارك فيها 400 ألف متظاهر في تل أبيب، واستقالة وزير الطاقة إسحاق بيرمان، والظهور التلفزيوني المعارض للرئيس إسحاق نافون ورئيس أكاديمية العلوم والإنسانيات الإسرائيلية البروفيسور إفرايم أورباخ، ومطالب العديد من الشركاء الصغار في الائتلاف، وافق بيجين في النهاية وعين لجنة تحقيق قضائية برئاسة رئيس المحكمة العليا إسحاق كاهان.

لجنة كاهان

اجتمعت لجنة كاهان، المؤلفة من كاهان وقاضي المحكمة العليا أهارون باراك واللواء (احتياط) يونا إفرات، من 1 أكتوبر 1982 حتى 7 فبراير 1983، واستمعت إلى ثمانية وخمسين شاهدًا وقرأت شهادة 163 آخرين، بمن فيهم فلسطينيون ولبنانيون وأوروبيون عملوا في المستشفيات الفلسطينية في بيروت وأفراد من الجيش والمخابرات الإسرائيلية. وبينما خُولت اللجنة بفحص "جميع الحقائق والعوامل المرتبطة بالفظائع التي ارتكبتها وحدة من القوات اللبنانية [الاسم الرسمي لميليشيا الكتائب] ضد السكان المدنيين في مخيمي

صبرا وشاتيلا"، إلا أن التحقيق ركز في الواقع على الدور الإسرائيلي في عمليات القتل. وبمعنى أوسع، كان أيضًا تحقيقًا في الصلة بين إسرائيل والكتائب. وبالتالي ركزت اللجنة حتمًا على الموساد وأمان وعلاقاتهم مع المسيحيين.
توصلت لجنة كاهان إلى أن جيش الدفاع الإسرائيلي مسؤول بشكل غير مباشر عن المذبحة، حيث زعمت أن الضباط المعنيين كان ينبغي لهم أن يتوقعوا ما كان على وشك الحدوث وكان ينبغي لهم أن يتدخلوا ويوقفوا العملية عندما وصلت التقارير الأولى.
نسبت اللجنة "درجة معينة من المسؤولية" عما حدث إلى رئيس الوزراء بيغن، واتهمت وزير الخارجية إسحاق شامير بالتقصير في متابعة تقرير عن المجزرة قُدّم إليه في 17 سبتمبر/أيلول. إلا أن معظم نتائج اللجنة وتوصياتها على المستوى السياسي كانت موجهة ضد أرييل شارون. ووُجد أن وزير الدفاع "مقصر في أداء واجباته".

بتجاهله احتمال وقوع مذبحة. أوصت اللجنة بأن يتخذ شارون القرار الشخصي المناسب (الاستقالة) أو أن يُقيله رئيس الوزراء من منصبه. لم يستقِل شارون، بل أقاله بيغن، مع أنه ظل في الحكومة وزيرًا بلا حقيبة.
فيما يتعلق بالجيش، قضت اللجنة بأن الفريق إيتان كان مُهملاً ومُقصراً في أداء واجباته، وأنه لم يفعل أي شيء قبل المجزرة وأثناءها لمنع أو الحد من عمليات القتل. ولكن بما أن إيتان كان على وشك إنهاء فترة ولايته كرئيس للأركان، فقد قالت اللجنة إنها لن تُصدر حكماً بشأن ملاءمته لمواصلة منصبه. ووجهت اللجنة توبيخاً خفيفاً لقائد المنطقة الشمالية، أمير دروري. وأُدين قائد الفرقة المسؤول عن بيروت الغربية، الجنرال عاموس يارون، بالتقصير في أداء واجباته على النحو الواجب. وأُوصي بإبعاده عن أي منصب قيادي لمدة ثلاث سنوات على الأقل. (عُيّن لاحقاً ملحقاً عسكرياً لإسرائيل في واشنطن).
وُجد يهوشوا ساغي، رئيس جهاز الأمن، مُقصرًا إهمالًا فادحًا لعدم تحذيره رؤساءه قبل وأثناء المذبحة مما كان على وشك الحدوث أو ما كان مُدبّرًا بالفعل. أوصت اللجنة بإقالة ساغي من منصبه. (استقال وترك الجيش، وانتُخب عضوًا في الكنيست عن حزب الليكود عام ١٩٨٨). أما رئيس الموساد الجديد، ناحوم أدموني، فقد وُبِّخ لعدم حديثه الواضح في اجتماع مجلس الوزراء في ١٦ سبتمبر.
وجدت لجنة كاهان أنه على الرغم من أن تقسيم العمل بين الموساد وأمان كان "موضحًا"، إلا أنه "ترك مجالًا لسوء الفهم والتكرار في مجالات مختلفة". حافظت كلتا الوكالتين على اتصالات مع الكتائب وأصدرتا تقييمات بشأنها. ووجدت لجنة كاهان أن ما يكمن وراء الاختلاف الواضح في موقف وكالتي الاستخبارات تجاه الكتائب هو أن "الموساد كان إلى حد كبير تحت تأثير اتصال دائم ووثيق مع النخبة الكتائبية [و] كان لديه شعور إيجابي تجاه تعزيز العلاقات مع تلك المنظمة ...".

في إصدار هذا الحكم، استشهدت اللجنة بشهادة ناحوم أدموني أمامها: "حاول الموساد، قدر استطاعته، طوال هذه الفترة، عرض الموضوع والتعامل معه بموضوعية قدر الإمكان؛ ولكن بما أنه كان مسؤولاً عن الاتصالات، فإنني أفترض أن علاقات ذاتية، وليست موضوعية فحسب، قد نشأت أيضًا. يجب أن أسلم بأنه في الاتصالات، عندما تتحدث إلى الناس، تنشأ علاقات".
ولتوضيح وجهة نظرهم، استشهد المفوضون بتقرير كتبه ضابط من جهاز الأمن الداخلي (أمان) كان مرتبطًا بمجموعة الاتصال التابعة للموساد مع الكتائب خلال الحرب، وتقرير كتبه في الوقت نفسه ممثل الموساد.

وقد "قدّم تقرير جهاز الأمن الداخلي تقييمًا سلبيًا ... لسياسة الكتائب خلال الحرب"، بينما "رفض تقرير ضابط الموساد رفضًا قاطعًا" هذه الاستنتاجات.

إنهاء الحرب

انهارت الأمور تمامًا بالنسبة لإسرائيل في لبنان في سبتمبر/أيلول 1982. فبعد أسبوع واحد بالضبط من اغتيال بشير الجميل، انتُخب شقيقه أمين رئيسًا بدعم أمريكي. رفض الأمريكيون دعم البديل الذي اقترحته إسرائيل - وهو استمرار رئاسة إلياس سركيس، مع تولي رئيس المخابرات العسكرية اللبنانية، العقيد جوني عبدو، زمام الأمور فعليًا.
رفضت الحكومة اقتراحًا قدمه الجنرال دروري لتقليص خسائر جيش الدفاع الإسرائيلي والانسحاب أحادي الجانب إلى جنوب لبنان. قرر بيغن وشارون وإيتان التشبث بالموقف ومحاولة انتزاع أكبر قدر ممكن من المكاسب السياسية والعسكرية من المستنقع اللبناني. كان ذلك خطأً فادحًا آخر في التقدير.
أمضت إسرائيل والولايات المتحدة الأشهر الأخيرة من عام ١٩٨٢ والأشهر الأولى من عام ١٩٨٣ في محاولة إجبار الرئيس اللبناني الجديد على الوفاء بالالتزامات التي قطعها شقيقه الراحل بشأن "تطبيع" العلاقات مع إسرائيل مع ضمان أمن حدود إسرائيل الشمالية. وفي محادثات سرية،

عُقدت في مزرعة أرييل شارون في النقب، وفي جلسات علنية بين فرق إسرائيلية ولبنانية وأمريكية بالتناوب في خلدة، جنوب بيروت، وفي نتانيا وكريات شمونة في إسرائيل، تفاوضت الأطراف الثلاثة على اتفاقية عدم اعتداء. كان جم آيل مقيدًا طوال الوقت بخوفه من سوريا ووكلائها اللبنانيين، الدروز والشيعة والفلسطينيين وغيرهم. وقد عبّر السوريون عن آرائهم بشكل مؤلم من خلال تفجير شاحنة مفخخة، نفذه مسلحون شيعة من وادي البقاع، استهدف السفارة الأمريكية في بيروت في 18 أبريل/نيسان 1983. وقد أسفر هذا التفجير عن مقتل 61 شخصًا وإصابة 120 آخرين.
في الاتفاق، الذي وُقّع أخيرًا في 17 مايو/أيار 1983، وافق لبنان على إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل (السارية رسميًا منذ عام 1948)؛ وعلى تطبيع العلاقات إلى حدٍّ ما؛ وعلى تسيير دوريات إسرائيلية لبنانية مشتركة على الحدود الجنوبية. وقد حصل الجميل على تنازلات كبيرة من إسرائيل: لم يكن الاتفاق معاهدة "سلام"؛ بل نصّ على انسحاب إسرائيلي كامل؛ ولم يسمح بإنشاء محطات وقواعد مراقبة تابعة لجيش الدفاع الإسرائيلي على الأراضي اللبنانية.
مع ذلك، قوبل اتفاق مايو بإدانة شديدة من سوريا وحلفائها، الذين شنّوا حملة عصابات ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي، شملت هجومًا مُدبرًا على الجميل نفسه، وعلى مواقع الكتائب، وخاصةً في جبال الشوف، وعلى حلفاء الجميل. في الوقت نفسه، شجعت سوريا تمردًا ضد زعيم منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات داخل حركته فتح، وسرعان ما حاصرت سوريا والثوار الفلسطينيون آخر معاقل عرفات في لبنان، في طرابلس شمالًا.
في أغسطس/آب 1983، انسحب جيش الدفاع الإسرائيلي جنوبًا من الشوف إلى خط جديد على طول نهر الأولي. لكن الأسد أراد انسحاب الإسرائيليين والأمريكيين من لبنان نهائيًا. وسرعان ما وقعت وحدات مشاة

البحرية الأمريكية، التي تم توزيعها أصلًا في سبتمبر/أيلول 1982 للمساعدة في ضمان انسحاب منظمة التحرير الفلسطينية، والتي تُركت حول العاصمة لدعم رئاسة الجميل، ضحيةً للوكلاء السوريين. في 23 أكتوبر/تشرين الأول 1983، دُمّر مقر مشاة البحرية في بيروت بشاحنة مفخخة شيعية، مما أسفر عن مقتل 241 شخصًا. وكان رئيس وكالة المخابرات المركزية، ويليام كيسي، الذي كان يتمتع بتقدير احترافي،

من بين الأصول الاستخباراتية البشرية للموساد - وخاصة في سوريا ولبنان والاتحاد السوفييتي، والطريقة التي يدير بها عمليات التجسس المعقدة والمتشابكة تحت راية كاذبة - سأل ناحوم
أدموني للتحقيق. وسرعان ما تعقبت إسرائيل منفذي التفجيرات إلى سوريا وإيران.65 شاحنة مفخخة أخرى، في نفس اليوم،
دمر الجيش الأمريكي المقر الفرنسي في العاصمة، مما أسفر عن مقتل أربعة وسبعين مظليًا فرنسيًا. أطلق مسلحون شيعة ومدفعيون دروز النار بانتظام على مشاة البحرية الأمريكية المتحصنين حول مفترق خلدة وفي مطار بيروت. رد الأمريكيون بوابل من نيران المدفعية من المدمرة يو إس إس نيو جيرسي على مواقع الدروز في الشوف، على الرغم من أن ريغان لم يوافق على شن غارات جوية على مواقع سورية في البقاع. لم تُجدِ القوة الأمريكية نفعًا؛ واستمرت المضايقات. سرعان ما سحق التحالف الشيعي الدرزي الوحدات المسيحية في الجيش اللبناني، وشقّ ممرًا من الشوف إلى البحر، عند الدامور وخلدة. انسحب الأمريكيون من لبنان في فبراير/شباط 1984، وبقيت إسرائيل.

محاربة الشيعة
تصاعدت الحملة الفدائية الشيعية الفلسطينية ضد الإسرائيليين في جنوب لبنان في خريف عام 1983. وكانت الضربة الأشد إيلامًا هي تفجير شاحنة مقر جيش الدفاع الإسرائيلي - جهاز الأمن العام (الشاباك) في صور في 4 نوفمبر 1983، والذي قُتل فيه نحو ثلاثين إسرائيليًا، بينهم خمسة ضباط من أجهزة الأمن. وتوافقت رغبة سوريا في رؤية إسرائيل تُطرد من لبنان مع الرغبة الطبيعية للسكان الشيعة المحليين في التخلص من محتل أجنبي. ولم يحمل الشيعة الجنوبيون، بقيادة حركة أمل، السلاح ضد جيش الدفاع الإسرائيلي إلا على مضض؛ فقد استقبل الكثيرون الإسرائيليين في البداية كمنقذين، أو على الأقل منحوا الغزو موافقتهم الضمنية، وكانوا سعداء بتدمير البنية التحتية لمنظمة التحرير الفلسطينية. وكتب فؤاد عجمي،
يقول المؤرخ الشيعي البارز في الطائفة الشيعية، "لقد فعلت إسرائيل للشيعة ما لم يتمكنوا من فعله لأنفسهم".66

قبل الحرب بوقت طويل، في أواخر سبعينيات القرن الماضي، خسر ديفيد كيمحي جدلاً داخليًا في الموساد حول محاولة بناء تحالف مع الشيعة اللبنانيين وكذلك مع المسيحيين. احتج بعض الضباط الشباب الواعدين في الجهاز على الاعتماد الحصري على الكتائب المسيحية.67 وطُلب المساعدة الإيرانية في التعامل مع المؤسسة الدينية الشيعية في الجنوب. ومن خلال استجواب المسلحين الإيرانيين الذين أُسروا خلال "عملية الليطاني"، كشفت المخابرات الإسرائيلية تفاصيل تدريب منظمة التحرير الفلسطينية لجماعات المعارضة في طهران. قدّم الشاه المساعدة للشيعة اللبنانيين لمنعهم من دعم آية الله الخميني.

وكان من المقرر أن يزور بن لادن في عام 1979، وكان من المقرر أن يزور فرنسا أيضاً، وأن يحاول أيضاً فضح أعدائه.68 لكن ثورة 1979 أنهت كل هذا.

ربما كانت حظوظ الخيار الشيعي الإسرائيلي ضئيلة. وكما جادل عجمي لاحقًا:

على عكس المسيحيين اللبنانيين، لم يكن بمقدورهم قبول إسرائيل علنًا. لم يكونوا من هذا النوع من الناس. فلقرون، دأب الموارنة على لعب لعبة دعوة الغرباء والاعتماد على مواردهم. أما الشيعة، فقد كانوا يحملون في نفوسهم قلقًا من لقاء الغرباء، وخوفًا من تدنيسهم. إن علاقة الشيعة الخاصة بالعالم العربي الأوسع - كانوا جزءًا منه، ولكن ليس تمامًا - جعلتهم غير قادرين على التصالح مع إسرائيل. ومثل زوجة قيصر، كان عليهم أن يكونوا فوق الشبهات. كانوا على يقين من أنهم لن يُغفر لهم ارتباطهم الوثيق بإسرائيل.69

بعد غزو عام ١٩٨٢، ظل بعض الضباط الإسرائيليين يأملون في استخدام الورقة الشيعية. لكن أمان جادل بأنه لا يمكن الوثوق بحركة أمل نظرًا لوجود عناصر متطرفة موالية لإيران فيها. بدلًا من ذلك، بُذلت جهود لتعبئة جنود شيعة في ميليشيا سعد حداد ذات الأغلبية المسيحية. واستُخدمت الحرب النفسية لمحاولة استغلال الخصومات الفئوية والطائفية لصالح إسرائيل. وكما قال أحد ضباط جيش الدفاع الإسرائيلي لاحقًا:

كان هناك تضليل إعلامي وتضليل إعلامي. كنا نلقي منشورات تُحذر الشيعة من عواقب مهاجمة إسرائيل. كنا نستقبل أشخاصًا ونُلقنهم معلوماتٍ قذرة عن من نعارضهم: إنه مختلس، إنه مثلي الجنس، إنه...

جبان، وما إلى ذلك. ثم حاولنا أيضًا إظهار فوائد التعاون مع إسرائيل. موّلنا محطات البث والصحف، ودفعناها لنشر مقالات عن المستشفيات والخدمات الطبية التي كنا نديرها لمصلحة الشعب. 70

لكن الظروف القمعية للاحتلال الإسرائيلي المستمر بددت هذه الآمال تدريجيًا. في 16 أكتوبر/تشرين الأول 1983، يوم عاشوراء - الذي يُحيي ذكرى استشهاد الإمام الحسين عند الشيعة - قتل جنود إسرائيليون متهورون ومتوترون شخصين وجرحوا آخرين خلال موكب عزاء تقليدي في مدينة النبطية الجنوبية. ووقع الهجوم الانتحاري في صور بعد أقل من ثلاثة أسابيع. وفي أوائل عام 1984، قُتل رجل دين بارز، الشيخ راغب حرب، على يد عملاء إسرائيليين على ما يبدو في جبشيت. وأصبح التشدد، وليس الخضوع التقليدي للمجتمع، هو النظام السائد.

توقعت استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي أنه إذا ما أطالت إسرائيل بقاءها، سيتحول استياء الشيعة إلى مقاومة نشطة. وهذا ما حدث بالفعل. وسرعان ما حوّل المقاتلون الفلسطينيون والشيعة، الذين يعملون معًا في حركة المقاومة الوطنية، كل طريق إلى منطقة إطلاق نار حر، وكل موقع لجيش الدفاع الإسرائيلي إلى هدف، مما أشعل فتيل دوامة لا نهاية لها من الكمائن والقمع، وعمليات التفتيش، وهدم المنازل، والاعتقالات الجماعية، والمزيد من العبوات الناسفة والكمائن على جوانب الطرق، والمزيد من الانتقام الإسرائيلي، مما أدى إلى انخراط المزيد والمزيد من السكان المحليين في شبكة العداء. وباستثناء العقوبات الجماعية الشاملة وعمليات الطرد الجماعي، لم يكن هناك الكثير مما يمكن لجيش الدفاع الإسرائيلي فعله لتحييد المتمردين. وكانت النتيجة اعترافًا إسرائيليًا بطيئًا ولكنه حتمي بالهزيمة وانسحابًا جنوبًا نحو "المنطقة الأمنية" الحدودية.

بدأت حرب العصابات أواخر عام ١٩٨٢ بهجمات متفرقة شنّها عدد قليل من الشيوعيين واليساريين اللبنانيين، ثمّ أصبحت تدريجيًا تحت سيطرة الأصوليين الإسلاميين المستوحين من إيران (وغالبًا ما كانوا

يتلقون رواتبهم وتدريبهم من سوريا) من حزب الله وبقايا منظمة التحرير الفلسطينية. وانضمّ إليهم في أوائل عام ١٩٨٤ رجال ميليشيات حركة أمل. وسرعان ما شنّ الشيعة حوالي ١٠٠ هجوم شهريًا، مما أدّى في المجمل إلى خسارة الجيش الإسرائيلي حوالي ٢٠٠ جندي.

سقط قتلى على مدى عامين ونصف. وبسبب افتقار جيش الدفاع الإسرائيلي إلى بنية تحتية استخباراتية في جنوب لبنان، واجه صعوبة بالغة في تحديد هوية المقاتلين وإيقاعهم في الفخاخ، إذ كانوا يتنقلون بسهولة داخل القرى والبلدات وخارجها.
في وقت ما نحو نهاية عام 1982، قام جهاز الأمن الداخلي (الشين بيت)، الذي
لم تكن قوات الأمن تعمل عادةً في أراضي العدو، بل تم حشدها على مضض لمساعدة جيش الدفاع الإسرائيلي. وقد دخلت أعداد صغيرة من أفراد أجهزة الأمن مخيمات اللاجئين الفلسطينيين فور الغزو، ولكن اعتُبرت هذه العملية قصيرة الأجل وامتدادًا لعملها المعتاد في الضفة الغربية وغزة. اعتُقل آلاف الرجال في يونيو/حزيران ويوليو/تموز بعد أن تعرّف عليهم مخبرون ملثمون، واقتيدوا للاستجواب في مخيمات في جنوب لبنان أو إسرائيل. وأصبحت القصص المروعة عن الضرب والإذلال والتعذيب والظروف القاسية أمرًا شائعًا. وأُجبر السجناء على الوقوف لساعات تحت أشعة الشمس الحارقة ورؤوسهم مغطاة بأكياس الخيش.
صُدم العديد من اللبنانيين والفلسطينيين من مدى عثور الإسرائيليين على متعاونين على استعداد لتحديد هوية المشتبه بهم. قال أحدهم: "هؤلاء الرجال هم أفضل أسلحة الجيش الإسرائيلي ضدنا. يمكنهم تسليم أي منا، بغض النظر عما إذا كنا مذنبين أم لا. إنهم مسؤولون عن قوائم الأسماء التي يعتقلنا الإسرائيليون بها".
وكان المحققون مهتمين بأية معلومات عن أنشطة منظمة التحرير الفلسطينية ودعمها.
إذا ذكر أحدهم مهنته كمعلم، كان الإسرائيليون يضربونه أكثر من غيره قائلين: "لم تُعلّم طلابك شيئًا ذكيًا. لقد نظّمتهم سياسيًا فحسب". وإذا كان أحدهم بائعًا، كان يسمع: "البائع يحتاج إلى رأس مال، وقد حصلت عليه من الإرهابيين أو اقترضته منهم". أما الطلاب، فكان المحقق الإسرائيلي يقول لهم: "الطالب يحتاج إلى مال للدراسة. لقد حصلت عليه من الإرهابيين". وتعرض الصحفيون للضرب لأنهم كتبوا مقالات معادية لإسرائيل. وأراد موظفو البنوك معرفة حجم الحساب المصرفي لأبو الهول، رئيس جهاز المخابرات التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية.71
عارض أبراهام شالوم نشر قوات أكبر لجهاز الأمن الداخلي (الشين بيت)، ولكن في النهاية لم يكن أمامه خيار آخر.72 كان شالوم يعلم أن أي جهاز أمني لا يستطيع العمل بشكل مرضي بدون جيش قوي.

كان يعلم أن هذه الخطوة قد تكون مكلفة، وفرص نجاحها ضئيلة. توفي تسعة ضباط من جهاز الأمن العام (الشاباك) بسكتة دماغية في نوفمبر/تشرين الثاني 1982، عندما انهار مقر جيش الدفاع الإسرائيلي (الشاباك) في مبنى مهجور متعدد الطوابق في صور إثر انفجار غاز. كان عاموس ريمون، أحد أعضاء الكيبوتسات، أرفع ضباط جهاز الأمن رتبةً ممن لقوا حتفهم في الانفجار. 73 بعد ذلك، أُنشئ مقر جديد في المدينة، وعُيّن يوسف جينوسار، رئيس المنطقة الشمالية للجهاز ومقرها حيفا، قائدًا لـ"مسرح العمليات اللبناني".

شرع جهاز الأمن العام (الشاباك) في محاولة استنساخ نموذج الضفة الغربية وغزة من المخبرين والعملاء والملاجئ الآمنة ومراكز الاستجواب. كان أفراد جهاز الأمن يتنقلون عادةً في موكب من سيارتين، مستخدمين سيارات مرسيدس قديمة تحمل لوحات ترخيص لبنانية، في محاولة للاندماج مع المشهد. وكانوا عادةً برفقة فرقة من جنود جيش الدفاع الإسرائيلي. انتهت إحدى عمليات المرافقة العديدة هذه بكارثة في ديسمبر/كانون الأول 1983، عندما أُطلق النار على سيارة تابعة للشاباك كانت مسرعة في صيدا، ما أسفر عن مقتل جندي إسرائيلي. رفض جينوسار تحمل المسؤولية عندما واجهه قائد كتيبة القتيل لاحقًا، وبذل جهودًا مضنية لإبعاد ضباطه عن المشاكل. لم تُكشف القصة إلا لاحقًا عندما كان جينوسار محور خلاف أكبر بكثير. 74
لم يسمح الرقباء العسكريون بنشر الكثير في إسرائيل عن حرب الشاباك السرية ضد الشيعة والفلسطينيين. لكن يمكن استخلاص فكرة جيدة عن طبيعة هذا الصراع من التقارير المصورة التي نشرها روبرت فيسك، مراسل صحيفة التايمز اللندنية المخضرم في بيروت، والذي سافر كثيرًا وتمتع بمصادر ممتازة في الجنوب. وصف فيسك حادثة وقعت في منتصف يونيو/حزيران 1984 في قرية بيدياس الشيعية الواقعة في "المثلث الحديدي" سيئ السمعة شرقي صور. توقف خمسة عشر عنصرًا من جهاز الأمن العام (الشاباك) في ثلاث سيارات مرسيدس أمام مرآب يملكه مرشد نحاس، أحد قادة حركة أمل المحليين. نادى أحد الإسرائيليين باسم نحاس بينما اتخذ ثمانية آخرون مواقعهم حول المرآب. دارت سيارتان حول الساحة لإبعاد القرويين الآخرين. ظهر نحاس وسُحب إلى مؤخرة سيارة المرسيدس. قالت امرأة من السكان المحليين لاحقًا إنها سمعت إسرائيليًا يقول لنحاس: "اختر نوع الموت الذي تريده". رصاصة الرجل-

عُثر لاحقًا على جثة ممزقة في مكان قريب. وادعى قائد حركة أمل في جنوب لبنان، وهو مُعلّم يُدعى داود داود، لاحقًا أن الإسرائيليين اتصلوا بنحاس وطلبوا منه العمل معهم. لكنه رفض. 75
ظلت بيدياس مركزًا للنشاط المعادي لإسرائيل. في أوائل
في يناير/كانون الثاني 1985، قامت قوة مشتركة من جيش الدفاع الإسرائيلي وجهاز الأمن العام (الشاباك) بتمشيط القرية مجددًا.76 وركز جهاز الأمن العام (الشاباك) جهوده على قرية المعركة، وهي معقل شيعي آخر بالقرب من صور. واعتقل جهاز الأمن العام (الشاباك) حوالي 100 من سكان القرية في يونيو/حزيران 1984، عقب هجمات متكررة على جيش الدفاع الإسرائيلي في المنطقة. وفي 4 مارس/آذار 1985، دمرت قنبلة مخبأة على سطح مسجد القرية معظم مقر القيادة الإقليمية لحزب الله؛ واتهم سكان القرية وحدة إسرائيلية داهمت القرية في اليوم السابق بترك القنبلة خلفها. وكان من بين القتلى الاثني عشر خليل جرادي ومحمد سعد ومحمد حسين خليل، وهم ثلاثة قادة بارزين في حزب الله.77
كانت الأشهر الأخيرة في لبنان بمثابة ضغط شديد على رجال الشاباك، الذين عملوا لساعات طويلة في ظروف خطيرة ووحشية ومُحبطة، في وقت لم يكن فيه معظم الإسرائيليين يرغبون إلا في ترك الفوضى اللبنانية خلفهم. في سبتمبر/أيلول 1984، قُتل ضابط في جهاز الأمن يُدعى زئيف جيفا بالرصاص في كمين قرب مجدل بلهيس. كان جيفا يستقل موكبًا من سيارتين مع ضباط آخرين من الشاباك وحراس من جيش الدفاع الإسرائيلي عندما فتح مسلحون شيعة النار عليهم مستخدمين قاذفات آر بي جي وأسلحة آلية. لقي جيفا وجندي مصرعهما على الفور. 78

أدار جهاز الأمن العام (الشاباك) ثلاثة مراكز استجواب إقليمية على الأقل، بالإضافة إلى مقره في صور، حيث لقي عشرات السجناء حتفهم مع آسريهم في تفجيرات نوفمبر/تشرين الثاني 1982 ونوفمبر/تشرين الثاني 1983. 79 وأُرسل المدانون بالنشاط في منظمات حرب العصابات إلى مركز احتجاز أنصار الكبير، جنوب شرق صيدا. وفي أغسطس/آب 1982، كان يضم بالفعل 10,000 سجين، وفقًا لتقديرات منظمة العفو الدولية. وكثيرًا ما بدا أن جهاز الأمن العام (الشاباك) ينفذ اعتقالات عشوائية على أمل جمع بعض المعلومات عن المتمردين. واعتبر السكان المحليون ذلك محاولةً لإرهابهم وتخويفهم.

في محاولته إعادة إنتاج أسلوب عمله في الضفة الغربية وقطاع غزة، اعتمد جهاز الأمن العام (الشاباك) بشكل كبير على عملاء ومخبرين جُنّدوا محليًا. لم يجد الجهاز صعوبة في تجنيد عملاء من بين الجماعات الدينية المتحاربة في لبنان - كان لدى كل فرد تقريبًا ثأر شخصي تجاه هذه الجماعة أو المنظمة أو العشيرة أو تلك. جُنّد عماد غربية، سائق سيارة أجرة لبناني، عند حاجز طريق لجيش الدفاع الإسرائيلي بالقرب من جزين عام ١٩٨٤. طُلب منه جمع معلومات عن الجماعات الفلسطينية واليسارية اللبنانية التي تقاتل جيش الدفاع الإسرائيلي. يبدو أن المعلومات التي قدمها مكنت الإسرائيليين من إبطال مفعول قنبلة على جانب الطريق. كما زرع غربية جهاز تنصت في قرية درزية في الشوف. كان يديره مسؤول يُدعى "أبو إبراهيم"، والذي التقى غربية مرة واحدة على الأقل في قبرص ورتب له زيارة إلى إسرائيل، حيث تلقى دورات في الاتصالات والتخريب. لا بد أن غربية كان عميلاً واعداً، إذ أُرسل أيضاً في مهمات تجسس إلى سوريا، حيث كان يُرسل معلومات استخباراتية عن الجيش السوري إلى عميلٍ في بلجيكا. وفي النهاية، حوكم غربية بتهمة "التعاون مع العدو" أمام محكمة لبنانية، وحُكم عليه بالأشغال الشاقة لعدة سنوات.81
وكان من المحظوظين. كثير من طلاب المستوى الأدنى
أُعدم المخبرون الذين عملوا لصالح إسرائيل على الفور. وقعت إحدى هذه الجرائم في صيدا قبل أيام قليلة من إجلاء جيش الدفاع الإسرائيلي. وأفاد مراسل صحيفة التايمز بأسلوبه الجامد: "توقفت سيارة مرسيدس أمام محل حلويات. ترجّل منها رجل يرتدي قناعًا أصفر اللون وأطلق خمس رصاصات من مسدس أسود على صاحب المحل. ثم عاد إلى السيارة ببرود وانطلق بها..."82
لاقى حيدر دايخ من جويا مصيرًا مشابهًا. فبعد عمله مع الإسرائيليين، ظهر اسمه في قائمة تضم خمسة وأربعين "متعاونًا" على ملصقات جدارية وُزّعت في أنحاء المنطقة المحتلة، ووقّعتها "المقاومة الوطنية". في يناير/كانون الثاني 1985، توقف رجل أمام منزله وأفرغ مخزن مسدس كاملًا في معدة دايخ قبل أن ينطلق مبتعدًا. كانت فرقتا اغتيال فلسطينيتان منفصلتان تُنفّذان أحكامًا قاسية على المتعاونين في صيدا خلال الأيام الأخيرة من الحكم الإسرائيلي. وقد فرّ رجلٌ من المدينة الساحلية على متن قارب مع عشرين من أتباعه قبل أيام قليلة من انسحاب جيش الدفاع الإسرائيلي.83

أصبح لبنان رمزًا للوحشية، وكانت تجربة الشاباك هناك أكثر وحشية من غيرها. صرّح رافي مالكا، رئيس فرع العمليات في جهاز الأمن، لاحقًا:
لقد منحنا لبنان اللبننة والشَّام... لكي نحافظ على صحتنا العقلية ونبقى على قيد الحياة، كان علينا القيام بأشياء غير مقبولة. ولم يكن جهاز الأمن الداخلي (الشين بيت) استثناءً. لقد كان صراعًا في الغرب المتوحش،

ودفع الناس حياتهم ثمنًا لمحاولتهم التصرف وفقًا للمعايير المقبولة. لم يكن التأثير العام جيدًا، على حد تعبيره.
بشكل معتدل.84
وكان لدى مالكا سبب وجيه، بعد وقت قصير، للتفكير في مدى تأثر الخدمة بالحرب.

الفشل اللبناني
كان لبنان أكبر فشل استخباراتي لإسرائيل. كان للموساد وأمان يد في التحضير للحرب، سواء من حيث إقامة صلة مع الكتائب أو تقديم المشورة العملياتية. وقد فشل جيش الدفاع الإسرائيلي باستمرار: فشل في تدمير منظمة التحرير الفلسطينية (مع أنه طرد مقاتليها مؤقتًا من بيروت)؛ وفشل في طرد السوريين؛ وفشل في تهدئة الجنوب المتوحش. عارضت أمان الحرب منذ البداية؛ وكان موقف الموساد متردداً، حيث روّج كبار المسؤولين التنفيذيين مثل نحيك نيفوت للتحالف المشؤوم مع المسيحيين، بينما حاول رئيسها، إسحاق حوفي، التراجع. ومع ذلك، عندما قدم مسلحو أبو نضال الذريعة التي طال انتظارها، اندلعت الحرب ضد منظمة التحرير الفلسطينية - وفشلت فشلاً ذريعاً. وانتهى الأمر بجهاز المخابرات الإسرائيلي الثالث، الشاباك، بالمشاركة في فشل حرب العصابات الوحشية التي لا يمكن كسبها ضد الفلسطينيين والشيعة المتشددين حديثي العهد. كانت الهزيمة في تلك المعركة الأخيرة البشعة ضد الثوار المسلمين في الجنوب - وهي معركة لم يكن من الممكن كسبها دون اللجوء إلى إجراءات أشد قسوة وقمعًا مما كان المجتمع الإسرائيلي ليتسامح معه - هي التي أجبرت إسرائيل في النهاية على إنهاء "حربها الاختيارية" في لبنان. استغرقت ندوبها وقتًا طويلًا للشفاء.

12
المخاطر المهنية:
7-1984

وقت الفضيحة
علق أحد المؤرخين الأستراليين في إشارة إلى انشقاق عميلين سوفيتيين مشهورين، قائلاً: "تنشأ الشؤون عندما تهيمن على المجال السياسي لأمة ما نزاعات مريرة حول معنى سلسلة معينة من الأحداث".

- عائلة بتروف، في أوائل الخمسينيات. "تنشأ القضايا من تلك القضايا التي يبدو أنها تمس أكثر النهايات العصبية حساسية في المجتمع"
- "القضايا الأساسية المتعلقة بالقيمة والولاء."1
ابتداءً من أوائل الثمانينيات، بينما كانت إسرائيل تتعثر في طريق عودتها إلى الوطن، منهكة ومعنوياتها، من مغامرتها اللبنانية الكارثية، انفجرت العديد من هذه الفضائح بتتابع مذهل في قلب العالم السري للبلاد. أثارت جميعها تساؤلات، ليس فقط حول التنافسات البيروقراطية والشخصية في مجتمع الاستخبارات ولكن أيضًا حول وظيفة الأجهزة السرية بشكل عام، وفي إسرائيل بشكل خاص؛ ليس فقط حول إلقاء اللوم على أسياد التجسس والسياسيين ولكن أيضًا حول الأخلاق والعدالة والمسؤولية. وفوق كل شيء، تطرقت إلى قضية سيطرة الحكومة على أجهزة الاستخبارات والأمن، ومساءلة تلك الأجهزة عن أفعالها والمسألة الأوسع نطاقًا المتعلقة بسيادة القانون في مجتمع ديمقراطي. بدأت أولى هذه الفضائح في 12 أبريل 1984، قبل أيام قليلة من اعتقال الشاباك وكشفه للجماعة السرية اليهودية.

في الساعة 6:20 من مساء ذلك اليوم، صعد أربعة مراهقين فلسطينيين من قطاع غزة على متن الحافلة رقم 300 في محطة إيجد المزدحمة وسط تل أبيب، متجهين إلى مدينة عسقلان الجنوبية. في منتصف الرحلة تقريبًا، قفز أحد الركاب الخمسة والثلاثين، الذي شكّ في العرب الأربعة ونواياهم وحاول عبثًا تحذير السائق من مخاوفه، صارخًا: "إرهابيون،
"الإرهابيون".2
ما حدث خلال الاثنتي عشرة ساعة التالية كان من شأنه أن يؤدي إلى
أخطر فضيحة هزت جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي على الإطلاق. في أعقابها، كُشف النقاب عن هوية رئيس جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي (الشاباك)، أبراهام شالوم، وأُجبر على الاستقالة، وكذلك كبار المسؤولين الآخرين؛ وأصبحت بعض أساليبه السرية معروفة للعامة؛ وأصبحت محور اهتمام وانتقادات عامة غير مسبوقة في الداخل والخارج. أثارت قضية الحافلة 300، أو ما عُرف بقضية الشاباك، تساؤلات جوهرية حول الصراع المحتمل بين سيادة القانون ومكافحة الإرهاب؛ وحول إسرائيل وعلاقتها بالفلسطينيين. رأى الكثيرون في هذه الفضيحة نسخة حديثة بشعة من قضية لافون.
بدأت الأحداث عندما هدد أحد الفلسطينيين، جمال قبلان، سائق الحافلة بسكين وقنبلة يدوية. ثم لوّح خاطف ثانٍ، محمد بركة، بنوع من علبة الرش. أما الثالث، مجدي أبو جمعة، فقد تمركز في وسط الحافلة، حاملاً حقيبة تبرز منها أسلاك. ووقف ابن عمه، صبحي أبو جمعة، عند الباب الخلفي، وقال إن بحوزته قنبلة يدوية. وصاح أحد الخاطفين: "لا تتحركوا. ليس لدينا أي خلاف معكم. نريد فقط إطلاق سراح رفاقنا من السجن". سُمح لراكبة حامل بالنزول قرب أشدود، وأبلغت الشرطة. ونُصبت حواجز على الطرق، لكن الحافلة استمرت في سيرها، حتى أطلق الجنود النار على الإطارات الخلفية على بُعد أميال قليلة جنوب مدينة غزة، على مشارف دير البلح، وتوقفت الحافلة، بموازاة خط سكة حديد مهجور. تمكن السائق من الفرار وتعرض للضرب على يد الجنود الذين اعتقدوا أنه أحد الخاطفين.

بحلول الساعة الثامنة والنصف من تلك الليلة، عندما أُبلغ وزير الدفاع، موشيه أرينز، بالحادثة، كانت فرقة مكافحة الإرهاب الخاصة بالشرطة ووحدة النخبة من الجيش متمركزتين حول الحافلة، في انتظار الأوامر.

وكان رئيس الأركان، الفريق موشيه ليفي، موجودًا برفقة ضباط كبار آخرين، منهم العميد إسحاق (إيتسيك) مردخاي، قائد قوات المظليين والمشاة. وكان حاضرًا أيضًا أبراهام
شالوم، ونائبه، رؤوفين حزاك، وخمسة على الأقل من أفراد جهاز الشاباك.
بدأت المفاوضات مع قبلان، الذي كان لا يزال واقفًا خلف مقعد السائق. طالب بمقابلة السفير المصري والإفراج الفوري عن 500 أسير فلسطيني. بحلول ذلك الوقت، كان عدد من الصحفيين والمصورين قد وصلوا إلى مكان الحادث. نُقلت حافلة ثانية، مطابقة للمركبة المخطوفة، إلى حقل قريب، وبدأ فريق الهجوم التابع للجيش التدريب عليها. اقتحم الجنود حافلة إيجد الساعة 4:43 صباحًا يوم الجمعة، قبيل الفجر.
كاد طاقم تلفزيوني إسرائيلي أن يكشف الحقيقة بتوجيه أضواءه على القوة المهاجمة في اللحظة الحاسمة.
قُتل قبلان وبركة بالرصاص من مسافة قريبة، ودخل الجنود المركبة. سقط معظم الركاب أرضًا، لكن سبعة... أصيب عدد من الركاب. توفيت إحدى الركاب، وهي جندية، متأثرة بجراحها.
تم التغلب على الخاطفين الآخرين، صبحي ومجدي أبو جمعة، وضربهما ضربًا مبرحًا على الرأس والجسم لصعقهما. عند إنزالهما من السيارة، سألهما العميد مردخاي بإيجاز عما إذا كان لديهما شركاء آخرون، وما إذا كانت الحقيبة المفخخة مفخخة. وحسب رواية مردخاي لاحقًا، فقد ضربهما عدة مرات بمسدس في يده.
قام خبير متفجرات من الشرطة بتفكيك العبوة الناسفة في الحقيبة، وسُلّم الخاطفان، اللذان كانا في حالة ذهول وتعثر، لكنهما كانا على قيد الحياة، إلى رجال وجنود الشاباك. شاهد أربعة مصورين صحفيين، من بين آخرين، الاثنين أثناء اقتيادهما إلى حقل قمح قريب بجوار خطوط السكك الحديدية. التقط جميع المصورين الصور.
ووصف بيان صادر عن جيش الدفاع الإسرائيلي في الساعة السادسة من صباح ذلك اليوم

وصف الجيش الإسرائيلي الحادثة بتفصيل، لكنه لم يشر إلى وقوع إصابات بين الخاطفين. مع ذلك، أفادت نشرة أخبار الساعة السابعة صباحًا من إذاعة إسرائيل بمقتل إرهابيين اثنين في الهجوم وأسر اثنين آخرين.
لكن في وقت لاحق من ذلك اليوم، ردًا على أسئلة متكررة من الصحفيين، قال المتحدث باسم جيش الدفاع الإسرائيلي إن إرهابيين اثنين قُتلا في اقتحام الحافلة، وأن الاثنين الآخرين توفيا في طريقهما إلى مستشفى عسقلان.
وسرعان ما بدأت تظهر شكوك جدية حول حقيقة الأمر.
تصريحات رسمية. تجاهل مراسل صحيفة نيويورك تايمز في القدس قيود الرقابة العسكرية، وأفاد بشكوك في مقتل الخاطفين بعد أسرهم. ساد شعورٌ مريب في وسائل الإعلام وهيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي بأن أحدًا لا يروي القصة كاملةً. في 28 أبريل/نيسان، عيّن أرينز مراقب الحسابات في وزارة الدفاع، وهو جنرال احتياط مرموق يُدعى مائير زوريا، لإجراء تحقيق في القضية.
وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت إليه بأنه غير لائق، سمح أرينز
شالوم يعين رجله، يوسف جينوسار، لتمثيل جهاز الأمن في لجنة التحقيق التابعة لزوريا. كان جينوسار، رئيس المنطقة الشمالية للشاباك عام ١٩٨٢، قد أشرف على العمليات في صراع العصابات الدامي ضد الشيعة والفلسطينيين في جنوب لبنان. أخبر شالوم وزير الدفاع أنه يريد ببساطة منع الاحتكاك بين الشاباك والجيش. وجد أرينز هذه الحجة "منطقية". ولكن اتضح لاحقًا أن جينوسار قد استغل منصبه لتسريب تفاصيل الإجراءات إلى شالوم.٣ اجتمعا معًا ليلًا في منزل "ف"، نائب المستشار القانوني للجهاز (الذي لا

تزال هويته سرية)، وتوصلا إلى كشف عملية التستر التي قام بها الشاباك. أعجب صحفي أدلى بشهادته أمام اللجنة بأداء جينوسار السلس والمهني. استجوب زوريا مردخاي مطولًا واعترف بأنه ضرب الخاطفين. كان شالوم أقل صراحة.

"سألته،" قال زوريا لاحقًا، "هل أعطيت الأمر بقتلهم أم لا؟" فقد شالوم أعصابه، ولكن اتضح بعد ذلك أن هذا

كان الأمر كله تمثيلًا. طلبت منه أن يخفف عني الغضب ويجيب على سؤال بسيط بإجابة بسيطة. قال إنه لم يُصدر الأمر. وبصراحة، يحتاج المرء إلى خيال واسع لتخمين أن رئيس الشاباك يكذب.

نُشرت نتائج مراقب الحسابات في 20 مايو/أيار 1984. وخلص التحقيق، بعد أن أمر بتشريح الجثتين، إلى أن كلا الإرهابيين قد توفيا نتيجة كسور في الجمجمة، وأن أفرادًا غير محددين من "قوات الأمن" قد ارتكبوا جرائم. كان لا بد من إجراء تحقيق، وكان الرجل الذي اختير لإجرائه هو المدعي العام، وهو محامٍ دقيق يرتدي نظارة طبية يُدعى يونا بلاتمان. في 29 مايو/أيار، نشرت صحيفة "هاداشوت" الجديدة، متجاوزةً الرقابة، صورةً مثيرةً على صفحتها الأولى لأحد أبناء عمومة عائلة جمعة وهو يُقتاد من الحافلة، وهو على قيد الحياة. أشارت الصورة إلى رسومات بيانية.
ويبدو أن هذه الوقائع تشير إلى نوع من التغطية، على الرغم من أنه لم يكن واضحا من كان متورطا.
بدأ مردخاي يشتبه في أنه يتعرض لفخ من قبل جهاز الأمن؛ وأدرك بسرعة أن روايات جميع أفراد الشاباك الذين تم استجوابهم قد تم تنسيقها جيدًا مسبقًا. ووصف أحد كبار شهود الشاباك لبلاتمان كيف رأى مردخاي يقف أمام إرهابي راكع ويركله في رأسه. وقال آخر إن العميد استخدم مسدسه كمطرقة. وكان التأثير العام لأدلة الشاباك هو الإشارة إلى مردخاي كمشتبه به الرئيسي. وبدا أن الأوصاف تتناسب تمامًا مع الأدلة المرضية. وقد أطلع المستشارون القانونيون شهود الشاباك قبل المثول أمام التحقيق وأُمروا بالعودة إلى المقر الرئيسي بعد ذلك لوصف ما حدث. لقد كانت مهمة احترافية للغاية من قبل شرطي سري محترف. ونقلت العديد من التقارير الصحفية في تلك الفترة عن مصادر عسكرية ادعائها أن الشاباك كان يحاول توريط الجيش.
كان "إيتسيك" مردخاي ضابطًا محبوبًا يتمتع بسجل قتالي جيد، وقد حاول أصدقاؤه مساعدته. عُثر على شهود شهدوا، على عكس ما رُوي لكل من زوريا وبلاتمان، بأن رجال الشاباك اعتدوا بالضرب على الإرهابيين. وصف تسعة جنود كيف قام عملاء الشاباك بإغلاق المكان.

حقل قمح حيث كانوا يتعاملون مع الخاطفين، وأمروا لاحقًا رجال الشرطة العسكرية بالمساعدة في إدخال أبناء عمومة جمعة، الذين كانوا في حالة غيبوبة آنذاك، إلى مؤخرة شاحنة فولكس واجن. وصف أحدهم ما حدث ذلك الصباح بأنه "إعدام منظم".
لم يُجدِ أيٌّ من هذا نفعًا في حياة العميد. خلص تحقيق بلاتمان في ١٢ أغسطس/آب ١٩٨٥ إلى عدم كفاية الأدلة لاتهام مردخاي بقتل الإرهابيين، لكنه أوصى، مع ذلك، بمحاكمته هو وخمسة من رجال الشاباك وثلاثة من رجال الشرطة بتهمة الاعتداء. بُرّئ مردخاي بعد جلسة استماع استمرت سبع دقائق في ١٨

أغسطس/آب. وبعد ذلك بوقت قصير، رُقّي إلى رتبة لواء. وبعد أسبوعين، برّأت محكمة تأديبية خاصة، مشتركة بين جهاز الأمن والموساد، رجال الشاباك الخمسة من تهم التآمر للاعتداء على الخاطفين. وأُسقطت التهم الموجهة إلى رجال الشرطة لاحقًا.
في 14 أكتوبر ذهب رؤوفين حزاك إلى شالوم وطالب
استقالته بسبب التستر على قضية الحافلة رقم 300 والاتهامات الباطلة الموجهة لمردخاي. كان حزاك وصديقان مقربان، وهما ضابطان كبيران في الجهاز، رافي مالكا، رئيس فرع العمليات، وبيلغ راداي، رئيس فرع الأمن الوقائي، يناقشون القضية فيما بينهم منذ أشهر. جميعهم يحملون رتبًا تعادل رتبة جنرال في جيش الدفاع الإسرائيلي، وكانوا يعتقدون أن تقاليد الجهاز في الإبلاغ الصادق ضرورية لكفاءة عمل الشاباك داخليًا وخارجيًا، في علاقاته مع وزارة العدل والمحاكم. لكن شالوم رفض الاعتراف أو الاستقالة.
بعد مداولات مطولة ومُرهقة، ذهب حزاك - القائم بأعمال مدير جهاز الأمن العام (الشاباك) آنذاك في غياب شالوم في الخارج - لمقابلة رئيس الوزراء، شمعون بيريز. كان بيريز قد أطلعه شالوم على "نائبه الطموح للغاية"، فأمر حزاك بترك الأمر والعودة إلى العمل. أعلن رئيس الوزراء اعتقاده بأن حزاك يحاول القيام بانقلاب ضد شالوم ليتمكن من تولي إدارة الجهاز. لم يُخبر رئيس الوزراء مساعديه - الذين كانوا بمثابة قناة تسريباته للصحافة - أن حزاك قد عرض...

كان على شالوم أن يستقيل إذا كان ذلك هو الثمن اللازم لإقالة شالوم. لاحقًا، اقترح بيريز أن يتقاعد حزاك، أو على الأقل أن يأخذ إجازة دراسية. عندما غادر حزاك، طرد شالوم على الفور مالكا، الذي لجأ إلى محكمة العدل العليا، مطالبًا بإعادته إلى منصبه وإقالة شالوم. أما راداي، فقد استقال سريعًا، وحيدًا ومعزولًا.
عند هذه النقطة، أقدم حزاك على ما لا يُصدّق، فنقل القضية خارج الجهاز إلى النائب العام، البروفيسور إسحاق زامير. استجوب زامير ومساعدوه حزاك و"المعارضين" الآخرين لأيام. مقتنعًا بصدقهم، ذهب زامير إلى بيريز وطالبه بفصل شالوم وغينوسار والمستشارين القانونيين للجهاز. رفض رئيس الوزراء.
بحلول ربيع عام ١٩٨٦، لم تعد القضية سرًا. ففي بلد صغير كإسرائيل، يُمكن للصحفيين والخدم السريين أن يكونوا أصدقاء، حتى وإن اتفقوا عادةً على عدم الخوض في قضايا حساسة. درس إيدو ديسينتشيك، محرر صحيفة معاريف، مع راداي في الجامعة العبرية، وكانا لا يزالان مقربين. وفي القدس، حيث عاش راداي وعاش حياة اجتماعية نشطة، كان بعض أعز أصدقائه صحفيين، وكان للعديد منهم آراء "حمائمية" واضحة.
انتشرت شائعاتٌ لأشهرٍ عن استقالة ثلاثةٍ من كبار رجال الشاباك، وأن استقالاتهم مرتبطةٌ بطريقةٍ ما بالغموض الذي لا يزال يحيط باختطاف الحافلة، ومقتل الإرهابيين، والشكوك المُحيطة بمردخاي. ظهر عددٌ من "الخُطَب العميقة" المجهولين. اتصل أحدهم بديسنتشيك، واتصل آخر بمايكل كاربين، وهو محررٌ كبيرٌ في تلفزيون إسرائيل. تابع ناحوم برنياع، محرر مجلة "كوتريت راشيت" الأسبوعية، القصة بإصرارٍ منذ البداية، متجاهلاً أمرَ الرقيب بنشر صورة مردخاي واتهام السلطات بالتستر. شكّ ديسنتشيك لبعض الوقت في أن راداي هو مصدره، لكنه برئ من هذا الظن عندما رنّت "حلقه العميقة" مرةً أخرى على خطٍّ ثانٍ أثناء حديثه مع راداي على أحد الهواتف.
أخيرًا، ظهر الخبر المذهل مساء السبت، 24 مايو/أيار 1986، على الرغم من أنه كان مُشفّرًا بعناية لتجنب الرقابة. أمير شافيف، مراسل الشؤون القانونية في تلفزيون إسرائيل،

أفادت التقارير أن البروفيسور زامير كان ينوي محاكمة مسؤول رفيع المستوى في جهاز حكومي بالغ الحساسية. وفي اليوم التالي، عُرف أن هذا الشخص هو أبراهام شالوم.
لم يعد هناك مجال لإيقاف الفضيحة. رئيس شين
سرعان ما عرفت البلاد بأكملها أن بيت متهم بإخفاء معلومات عن مجزرة الحافلة رقم 300، والضغط على الشهود، والتلاعب بالأدلة. لخص ناحوم برنياع الأمر قائلاً: "معنى هذه الشكوك هو أن كبار المسؤولين في أكثر أجهزة الدولة حساسية متهمون بالتآمر لتضليل لجنتي تحقيق".
"ورؤسائهم."6
شعر بعض الناس بالغضب. ديفيد كريفين، وهو جندي مخضرم في القدس
بدا صحفي من صحيفة "واشنطن بوست"، الذي ناضل شخصيًا ضد تقرير صنداي تايمز الشهير عن التعذيب عام ١٩٧٧، مرًا للغاية: "قبل عشر سنوات، استشاط رئيس جهاز الأمن العام آنذاك، أبراهام أهيتوف، غضبًا عندما سألته عما إذا كان موظفوه يمارسون الأعمال الوحشية الجسدية الموصوفة. وأشار إلى أن موظفيه كانوا رجالًا متعلمين يتمتعون بمستوى عالٍ من التفاني. مثل هذه السادية...
"لم يكن هذا السلوك قابلاً للتصور."7
بدأت أوجه الشبه مع فضيحة ووترغيت تُسمع علنًا، وسرعان ما برز السؤال المُحرج حول المسؤولية الوزارية. كان إسحاق شامير رئيسًا للوزراء وقت وقوع الحادثة في دير البلح، لكن بيريز تولى المنصب مع تطور الفضيحة في الخفاء بعد تشكيل حكومة الوحدة الوطنية في سبتمبر 1984. وكان من المقرر أن يحل شامير، بموجب الاتفاق الغريب على "تدوير" رئاسة الوزراء، محل بيريز في أكتوبر 1986. لم يكن لدى زعيم حزب العمل أي مصلحة سياسية في متابعة هذه القضية. لم يفز أحد في إسرائيل بأصوات من خلال إثارة قضية مقتل إرهابيين عربيين. بدا أن بيريز يبذل قصارى جهده لدفن هذه القضية. لذلك عندما تم استبدال البروفيسور زامير فجأة، كانت هناك تكهنات قوية بأن هذا مرتبط مباشرة بتصميمه على محاكمة شالوم.
لكن في النهاية، كان على رئيس الشاباك أن يرحل. شالوم أخيرًا
استقال في 26 يونيو/حزيران، بعد أن أُعلن أنه وثلاثة مسؤولين آخرين قد حصلوا على عفو من الرئيس حاييم هرتزوج، على الرغم من عدم توجيه أي اتهام إليهم.

جريمة. كان أحد الثلاثة غينوسار، بينما كان الآخران مستشارين قانونيين للجهاز. سرت شائعات بأن شالوم هدد بتسريب ملفات سرية ستُحرج بيريز وهرتسوغ. واتُّهم مؤيدو شالوم في الشاباك بتلفيق قصص عن علاقة غرامية بين حزاك ودوريت بينيش، وهي مساعدة بارزة لزامير أبدت حماسًا كبيرًا في متابعة القضية. عملت بينيش وزميلان لها في وزارة العدل عن كثب مع الشاباك في قضية المنظمات اليهودية السرية؛ فشعروا بالخيانة الشخصية. والآن، وبعد أن كُشفت الحقيقة أخيرًا، استشاط الجيش غضبًا من الطريقة التي وُضعت بها التهمة ضد مردخاي.
مع اقتراب موعد التناوب بسرعة، وتسابق كل من حزبي العمل والليكود على أي قضية كبيرة بما يكفي لمنع التسليم، بدا أن كشف القضية يهدد مستقبل الائتلاف ولو لفترة وجيزة. لكن في أغسطس/آب، أيدت محكمة العدل العليا صحة العفو الرئاسي عن شالوم وزملائه الثلاثة. ثم بدأ تحقيق للشرطة - تفضيل

الحكومة، على مضض، لتشكيل لجنة تحقيق رسمية شاملة. ولكن بعد ذلك، واستنادًا إلى السابقة الأولى، تم العفو أيضًا عن سبعة رجال آخرين من الشاباك، يبدو أنهم انتهوا بالفعل من ضرب أبناء عمومة جمعة حتى الموت في الجزء الخلفي من سيارة فولكس فاجن.
في منتصف سبتمبر، استلم يوسف حريش، الذي خلف زامير في منصب النائب العام، نتائج تحقيق الشرطة، بما في ذلك إفادات تسعة وثلاثين شاهدًا. ثم فحصها فريق من ثلاثة مسؤولين كبار في وزارة العدل. وأوضحت النتائج بما لا يدع مجالًا للشك أن الخاطفين قُتلا بأوامر من شالوم، والتي سُلمت إلى مسؤول في جهاز الأمن العام (الشاباك) يُشار إليه فقط بـ "ي". وادعى شالوم أنه أصدر أوامره بناءً على محادثة مع شامير في نوفمبر 1983، نوقشت فيها معاملة الإرهابيين المقبوض عليهم. أخبر شامير الشرطة أنه يتذكر الاجتماع، لكنه أضاف: "بالنظر إلى الماضي، لا بد لي من القول إن ذلك لا يمكن تفسيره على أنه إذن بأخذ السجناء واستجوابهم ثم قتلهم". وخلص فريق وزارة العدل إلى أن شامير لم يكن على علم بأمر قتل الإرهابيين أو بالتستر اللاحق. وجاء في تقريرهم:

خلال هذه القضية، زُعم أن جهاز الأمن العام (الشاباك) يعمل في منطقة رمادية بين القانون والاحتياجات الأمنية الحيوية لدولة إسرائيل، وأنه كان من الصعب للغاية تنفيذ عمليات أمنية فعّالة دون الانحراف عن القانون. في هذه النقطة، نوصي بالتحديد القاطع: جميع الأنشطة الحكومية في إسرائيل، بما في ذلك أنشطة قوات الأمن، تُجرى، ويجب أن تُجرى، في إطار قوانين الدولة. حتى مجالات النشاط الأمني المعروفة باسم "المنطقة المظلمة" يجب تنظيمها ومراقبتها بموجب توجيهات القانون.
لأن شالوم وأبطال القضية الآخرين كانوا قد نالوا عفواً، قرر هاريش في نهاية ديسمبر/كانون الأول 1986 أنه لا يمكن اتخاذ أي إجراء آخر. وأُغلقت القضية.
وهناك، لولا الحظ والمصادفة وتصميم بعض الصحف الإسرائيلية، لربما هدأت الأمور أخيرًا. لكن في أبريل/نيسان 1987، بدأ كابوس الشاباك من جديد. فبعد أسابيع من الشائعات حول فضيحة أخرى تتصاعد، علم الإسرائيليون بمزيد من الأفعال القذرة التي ارتكبها جهازهم السري.

قضية النفسو
عزت نفسو، الملازم في الجيش الذي قضى أكثر من سبع سنوات من أصل ثمانية عشر عامًا في السجن، برّأته المحكمة العليا فجأةً من تهمتي الخيانة والتجسس بعد أن ادّعى خلال معركة قانونية طويلة وسريّة أنه تعرّض للتعذيب وتلفيق التهم له من قبل جهاز الأمن. أُدين نفسو، وهو عضو في الأقلية الشركسية الصغيرة في إسرائيل، فقط بتهمة عدم إبلاغ رؤسائه باجتماعين مع قائد حركة فتح في جنوب لبنان عام ١٩٧٩. أيّدت المحكمة حكمًا بالسجن لمدة عامين وخفض رتبته إلى رتبة رقيب أول، وأمرت بالإفراج عنه فورًا.
جرت اتصالات نفسو مع فتح في الفترة الفاصلة بين "عملية الليطاني" وغزو عام ١٩٨٢. كانت منظمة التحرير الفلسطينية وجيش الدفاع الإسرائيلي قريبين من بعضهما البعض على الأرض. كان تهريب العملاء، وجمع المعلومات الاستخبارية الميدانية، والخدع القذرة مهامًا شائعة في جنوب لبنان؛ ميليشيات سعد حداد، وقوات اليونيفيل،

كانت الحرب النفسية والعمليات الخاصة بمثابة الخلفية. كان لبنان قصة قديمة أثارت ذكريات سيئة. ما يهم الآن، تمامًا كما بدا أن جراح قضية الحافلة رقم 300 تلتئم، هو الدليل على أنه هنا أيضًا، قبل أربع سنوات من ارتكاب شالوم خطأه الفادح في حقل قمح دير البلح، وعندما كان أبراهام أهيتوف لا يزال رئيسًا للجهاز، قام الشاباك بتعذيب مشتبه به وإساءة معاملته، وتلفيق الأدلة، والكذب على المحاكم بشأن أساليبه.
أصبحت قضية نفسو علنيةً بسبب الفضيحة السابقة. السجين نفسه، الذي كان يقبع في زنزانته العسكرية، أدرك أن لديه فرصة لإعادة فتح قضيته عندما رأى صدفةً صورةً في إحدى الصحف لوجه مألوف، مع أنه لم يكن يعرف اسم الرجل. كانت الملامح الممتلئة التي رآها نفسو، والتي يرتدي نظارة طبية، هي ملامح يوسف جينوسار، الذي عُيّن مؤخرًا رئيسًا لمعهد التصدير الإسرائيلي بعد مغادرته جهاز الأمن العام (الشاباك). يعرف الجميع الآن أن جينوسار قد كشف أو وثّق قضية الحافلة رقم 300 مع شالوم، وقد برأه الرئيس، مثل رئيسه المدان.
أُلقي القبض على عزت نفسو في يناير/كانون الثاني عام ١٩٨٠. استُجوب في جناح فندقي استأجره جهاز الأمن العام (الشاباك)، ولقي معاملة حسنة في البداية. يخدم الشركس بإخلاص في قوات الأمن الإسرائيلية. ومثل الأقلية الدرزية في البلاد، يُنظر إليهم على نطاق واسع من قبل اليهود على أنهم "أفضل" من العرب. زعمت عائلته أنه كان يُستحم بماء ساخن وبارد، ثم يُجبر على الوقوف في الخارج في ليالي يناير الباردة. لكن الضغط الرئيسي كان نفسيًا، وكان مشابهًا للأساليب المستخدمة لاحقًا مع أعضاء الحركة السرية اليهودية. في اليوم الرابع عشر من التحقيق، انهار نفسو وأدلى باعتراف كامل للمحققين. كان لدى اثنين من أعضاء فريق الشاباك شكوكهما، لكن يوسف جينوسار، الذي كان مسؤولاً، كان متأكدًا من أن نفسو مذنب.
عُقدت المحاكمة سرًا. جادل محامو نافسو بأن اعترافه كاذب وانتُزع بطريقة غير قانونية. تمحورت القضية حول "المحاكمة المصغرة" بشأن جواز قبول الاعتراف. استدعى الشاباك كشاهد رئيس قسم التحقيقات المخضرم، وهو رجلٌ شاحبٌّ معروفٌ بـ

داخل الخدمة باسم "باشوش". شهد جينوسار أيضًا، ولكن باسم مستعار. لم يُستدع أبو قاسم، المخبر اللبناني الذي اتهم ضابط الجيش بالتورط. صدم حكم نافسو بالسجن ثمانية عشر عامًا أصدقاءه وعائلته. ومثل "إيتسيك" مردخاي، كان الشاب الشركسي يتمتع بشعبية، وحاول قادته من أيام "حدادلاند" مساعدته. لكن استئنافًا مطولًا من ألفي صفحة رُفض بحكم من إحدى عشرة صفحة. شبّه محامي نافسو موكله بألفريد دريفوس، الضابط اليهودي الفرنسي الذي هز سجنه غير القانوني فرنسا في تسعينيات القرن التاسع عشر، وأثر على صياغة ثيودور هرتزل للفكرة الصهيونية. كان الأمر مثيرًا للانفعالات، لكن نافسو بقي في السجن.
سجن.
ولكن بحلول أوائل عام 1987 تغير الجو بشكل جذري.
لقد قوّضت كشوفات قضية الحافلة رقم 300 ثقة النيابة العامة في سلامة استجوابات الشاباك بشكل كبير. كما اعترف جينوسار للشرطة بأن جهاز الأمن زور الشهادات في قضايا أخرى. طالب محامو نافسو بالاطلاع على تقرير بلاتمان. استبد الذعر بالشاباك، وبعد استشارة حريش، اقترح العفو عن نافسو. رفض الشركسي، وأصرّ على تبرئة مشرفة وإعادة تأهيل كاملة.
بدأ الكابوس من جديد. فجأة، بدأت الصحافة الإسرائيلية

كان التقرير مليئًا بالمقالات التي تشكك في أداء جهاز الأمن. وقد عكس زئيف شيف من صحيفة هآرتس، عميد المراسلين العسكريين في البلاد، وجهة النظر الرسمية في الوقت نفسه الذي أشار فيه إلى وجود مشكلة خطيرة للغاية.

مشكلة:

لا يُمكن استجواب المشتبه بهم بالإرهاب أثناء تناول فنجان قهوة. ولكن يجب التأكيد على أن المسألة لا تتعلق بأي حال من الأحوال بالاستجواب في غرف التعذيب، كتلك الموجودة في سوريا، على سبيل المثال، أو بأي شيء يشبه ما فعله جهاز المخابرات السوفيتي (كي جي بي) في عهد ستالين. في الواقع، من المشكوك فيه أن تكون استجوابات جهاز الأمن العام (الشاباك) أكثر قسوة من تلك التي أجراها البريطانيون ضد الجيش الجمهوري الأيرلندي. أصدر مناحيم بيغن، خلال فترة رئاسته للوزراء، تعليمات صريحة لجهاز الأمن العام (الشاباك) بحظر تعذيب الأشخاص قيد التحقيق، حتى لو كانوا مشتبهًا بهم في أخطر الجرائم. يوضح المطلعون أن هذا الانحراف عن "قواعد القضاة"، ولكن هذا لا يعني أن كل محقق يمكنه التصرف كما يراه مناسبًا.10

لم تكن لدى المحكمة العليا أدنى شك في أن المحققين قد خالفوا القانون. وقضت في 24 مايو/أيار بأن الاعتراف الذي انتزعه الشاباك "خالٍ من أي أساس قانوني". ولم تُدوّن أي ملاحظات، واستُخدمت "وسائل ضغط غير مقبولة". وقال نافسو إن محققيه شدّوا شعره ودفعوه أرضًا وركلوه وخدشوه وأهانوه. وأُمر بخلع ملابسه والاستحمام بماء بارد، وحُرم من النوم، وأُجبر على الوقوف في ساحة السجن لساعات حتى في غياب أي استجواب. كما هُدد باعتقال والدته وزوجته، وبنشر معلومات شخصية عنه - تُشير إلى أنه مثلي الجنس. أُطلق سراح "دريفوس" الشركسي، واستُقبل استقبال الأبطال في قريته. وسيُجرى التحقيق في أساليب الاستجواب التي يتبعها الشاباك.

على الأقل، كان منتقدوها سعداء. وكما قال حاييم بارام، الصحفي اليساري:

من أعظم نجاحات إسرائيل التمييز الزائف بين ما نفعله وما يفعله الآخرون. رجل المخابرات المركزية الأمريكية سكير أو فاسد. الطيار الأمريكي في فيتنام يقصف قرويين مسالمين بالنابالم. لكن عملاءنا السريين أبطال ذوو عيون زرقاء، وطيارونا يدمرون "معاقل الإرهابيين". الآن بدأت نخبنا تفيق وتذبح بعض الأبقار المقدسة. لا يهم إن كنت لا أؤمن بالشاباك. لم أكن أؤمن به قط. لكن من المهم جدًا ألا تؤمن المحاكم المدنية ووزارة العدل به بعد الآن.11

لجنة لاندو

بعد ذلك بوقت قصير، بدأت لجنة تحقيق أخرى عملها. وانضم إلى القاضي موشيه لانداو، الرئيس السابق للمحكمة العليا، إسحاق حوفي، الرئيس السابق للموساد، ويعقوب مالتس، مراقب الدولة. كان تقرير لجنة التحقيق محدودًا ولكنه بالغ الحساسية: كان من المقرر تدقيق أساليب التحقيق التي يتبعها جهاز الأمن العام (الشاباك) في التعامل مع قضايا "النشاط الإرهابي المعادي" وتقديم توصيات للمستقبل.

صدر تقرير لجنة لاندو في 30 أكتوبر/تشرين الأول 1987. صدر بعد ظهر يوم جمعة، تزامنًا مع إغلاق البلاد احتفالًا بعطلة السبت اليهودية. بدا للكثيرين أن هذا التوقيت كان مُصممًا لتأجيل النقاش إلى ما بعد عطلة نهاية الأسبوع. أشادت الوثيقة، المكونة من ثمانٍ وثمانين صفحة، بـ"تفاني واحترافية" جهاز الأمن، لكن النقطة المحورية لم تكن مُرضية.

وخلصت إلى أن عملاء الشاباك قاموا على مدى ستة عشر عامًا بقتل

كذبت اللجنة على محاكم البلاد بشأن اعترافات انتُزعت تحت ضغط جسدي من مشتبه بهم فلسطينيين.

بدت اللجنة أكثر قلقًا بشأن ممارسة الإدلاء بشهادات كاذبة أمام المحاكم من الاستخدام الفعلي للوحشية والتعذيب. وأشارت إلى أنه في عام ١٩٧١، طرأ "تغيير خطير"، اتسم بموجة من الادعاءات باستخدام أساليب عنيفة لانتزاع اعترافات من المشتبه بهم بالإرهاب. بدت التعليقات العامة للتقرير على استخدام القوة بمثابة إثبات لسنوات من الاتهامات التي وجهها فلسطينيون ومنظمات أجنبية مثل الصليب الأحمر ومنظمة العفو الدولية بأن انتهاكات حقوق الإنسان كانت روتينية في ظل الاحتلال الإسرائيلي. مع ذلك، لم تُوصِ اللجنة بمقاضاة أيٍّ من عملاء الشاباك.

قالت اللجنة: "يجب أن تركز أساليب الضغط بشكل رئيسي على الضغط النفسي غير العنيف الناتج عن استجواب مكثف ومطول واستخدام الحيل، بما في ذلك الخداع. ولكن عندما لا تحقق هذه الأساليب هدفها، فلا سبيل سوى استخدام قدر معتدل من الضغط البدني".

وضعت لجنة لاندو إرشادات مفصلة بشأن

تناولت اللجنة استخدام القوة - "ضغوط نفسية وجسدية محدودة ومحددة بوضوح" - في الجزء الثاني السري من تقريرها، وأوصت بمراجعتها سنويًا. كما تضمن الجزء السري رسومًا بيانية توضح توزيع عناصر الشاباك، ومقارنةً بعدد المشتبه بهم بالإرهاب بعدد المحققين، وعدد الهجمات، ونسبة حلها سنويًا.12

وقد أكد شهود الأجهزة الأمنية بوضوح على صعوبة

وإلحاح المهمة التي واجهوها. الحصول على أدلة للمحاكمة

أشارت اللجنة إلى أن تحديد هوية المشتبه بهم لم يكن أولوية رئيسية. وشهد مسؤول كبير في جهاز الأمن الداخلي (الشاباك): "ما نعتقده هو أن التحقيقات أداة في نظامنا لجمع المعلومات الاستخبارية. وهذا يفسر أيضًا، جزئيًا جدًا وربما بشكل غير مقنع، سبب عدم اهتمامنا بالمحاكمات، لأنني عندما أُلقي القبض على الجاني وأشرح الهجوم، أنتقل بالفعل إلى المرحلة التالية، وهي مطاردة الإرهابي التالي".13

تلت ذلك ردود فعل سريعة. صرّح ضابط سابق في جهاز الأمن، عُرِّف عن نفسه في صحيفة هآرتس بـ "YA" فقط، للصحيفة: '

من يظن أننا نستطيع إجراء تحقيقات فاخرة مع أشخاص مستعدين لقتل رجال ونساء وأطفال، فهو يرتكب خطأً فادحًا. الشاباك ليس فوق القانون، ولكن أحيانًا يجب الانحراف عنه قليلًا للوصول إلى الحقيقة. يجب السماح للشاباك بمعالجة جراحه، واستخلاص العبر، والخروج من دائرة الضوء، والعودة إلى العمل.

أعلن الجيش صدمته من الكشف عن شهادات الزور. وقال أحد المدعين العامين في جيش الدفاع الإسرائيلي: "لو كنا نعلم، لما تعاونا". ورحب رئيس سابق لجهاز الأمن العام (الشاباك)، لم يكشف عن هويته، بالتقرير قائلاً: "هذا ما أسميه تقريرًا دفاعيًا - دفاعًا عن الديمقراطية دون التسبب في انهيار أمن الدولة. أنا مقتنع بأن جهاز الأمن العام يعمل حاليًا..."
ملغ بالضبط وفقًا للتعليمات المنصوص عليها.'14
وكان جينوسار سعيداً بعمل اللجنة، وشعر محققو الشين بيت بأنهم يستحقون التبرئة.15
لكن لم يكن الجميع راضين. تساءل خبراء قانونيون عن سبب عدم محاكمة أبراهام أهيتوف وشالوم. تساءل أحدهم: "هل دماء قادة جهاز الأمن العام أغلظ من دماء رئيس الأركان في حرب يورن كيبور؟".16 رأى النقاد الليبراليون أن هذا هو الخط الفاصل.
حول "الضغط البدني المعتدل" باعتباره ببساطة ترخيصًا للتعذيب. تساءل أحد القادة العرب الإسرائيليين: كم من الأطفال والأزواج والآباء والزوجات والأمهات الأبرياء يقبعون الآن في سجون إسرائيل العسكرية؟ كيف يُمكننا أن نُحصي حجم المعاناة والأضرار الجسيمة التي لحقت بمجتمعنا الفلسطيني - بالعديد من العائلات التي عانت بشدة نتيجة ظلم إسرائيل؟ بالنسبة للأطفال الذين...

هل يعانين من آثار جسدية ونفسية دائمة نتيجة صدماتهن على أيدي محققي الشاباك؟ أم من العائلات التي تعيش في فقر مدقع لأن أزواجهن وآبائهن لا يستطيعون إعالتهن من زنزانات السجن؟ أم من شرّدهم جهاز الأمن العام الكاذب الذي هدم منازلهم؟17
كان هناك أملٌ أيضًا في أن تنتهي المحنة الطويلة. علّقت صحيفة "هادشوت"، التي كان لنشر صورة أبناء عمومة جمعة دورٌ كبيرٌ في تحريك الأمور:
لقد أتاحت لجنة لاندو لجهاز الأمن العام (GSS) فرصة ذهبية لبدء علاقة طبيعية مع المجتمع والنظام القانوني، ولرئيس الجهاز لاستعادة حس المسؤولية والمعنويات اللازمين لأداء عملهم. ويمكننا أن نفترض أن مسلسل التعري المطول الذي مارسه الجهاز على مدار العامين الماضيين، والذي ألحق به ضررًا بالغًا، قد انتهى. والآن، يمكن لجهاز الأمن العام (GSS) العودة إلى أنشطته السرية تحت حماية القانون، وتحت إشراف أدق.18
وكما ذكرت صحيفة جيروزالم بوست في افتتاحيتها: "إن السؤال النهائي الذي يطرح نفسه هو ما إذا كان المجتمع الديمقراطي المثقل باحتلال شعب آخر غير راغب يستطيع، على الرغم من أفضل النوايا، أن يحافظ على سيادة القانون لفترة طويلة، وما إذا كان استخدام العنف في هذه الظروف لا ينبغي أن يؤدي بالضرورة إلى تفاقم الصراع".
"تطغى على استخدامات العدالة المصممة لإبقاء العنف الاجتماعي تحت السيطرة."19

عودة هارملين

خلق رحيل أبراهام شالوم المشين من جهاز الأمن الداخلي (الشاباك) في يونيو/حزيران 1986 مشكلةً خطيرةً في الروح المعنوية وخلافته في الجهاز. ساد شعورٌ بالمرارة والعجز بين الرتب الدنيا، الذين شعروا أن تفانيهم

في وظيفةٍ شاقةٍ وغير مجزية قد طغت عليه حملةُ مطاردةٍ بسبب الفضيحة. 2° كان شالوم في منصبه لخمس سنواتٍ عندما وقعت الكارثة. بدأت قضية الحافلة 300 عندما كان في قمة نشاطه بعد كشف النقاب عن الحركة السرية اليهودية. بكشفه أخيرًا عن تلك القضية، نجح حيث...

كان سلفه، أبراهام أهيتوف، قد فشل. لكن إنجازاته ذهبت سدى بمجرد أن اشتدت المنافسة. أُجبر نائبه القدير وخليفته المتوقع، رؤوفين حزاك، على التنحي أيضًا، وكذلك رافي مالكا وفاليغ راداي. كان الحل بسيطًا. طُلب من يوسف هارملين، الذي ترأس الجهاز لمدة أحد عشر عامًا من عام 1963 إلى عام 1974 وكان مرادفًا للصلابة والانضباط، العودة مؤقتًا من التقاعد وتنظيف فوضى الشاباك حتى يتم العثور على بديل بدوام كامل. كان عمره 63 عامًا ووافق على القيام بالمهمة لمدة عام واحد فقط. في النهاية بقي لمدة ثمانية عشر شهرًا تقريبًا.21 ظل تعيين هارملين سرًا وخضع للقواعد المعتادة للرقابة العسكرية الصارمة. كان خليفته، الذي تولى المنصب في مارس 1988، تماشيًا مع تقاليد الخدمة، مرشحًا داخليًا.

قضية بولارد

في تمام الساعة 10:40 من صباح يوم 21 نوفمبر/تشرين الثاني 1985، أُلقي القبض على جوناثان بولارد، وهو محلل استخبارات مدني في البحرية الأمريكية، يبلغ من العمر واحدًا وثلاثين عامًا، خارج السفارة الإسرائيلية في شارع إنترناشونال درايف بواشنطن. احتجزه عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي بعد أن طرده حراس الأمن هو وزوجته آن من المجمع. أُلقي القبض عليها بعد يومين. مثّل هذا المشهد المحرج عند بوابة السفارة بداية واحدة من أكثر فضائح الاستخبارات ضررًا في تاريخ إسرائيل، لا سيما أنها تضمنت التجسس على أقرب حليف لها، الولايات المتحدة.

بولارد، يهودي وصهيوني متحمس، عمل في البحرية الأمريكية منذ عام ١٩٧٩. في يونيو ١٩٨٤، عُيّن في مركز الإنذار لمكافحة الإرهاب (ATAC) التابع لدائرة التحقيقات البحرية في سوتلاند، ماريلاند. عمل في البداية كضابط مراقبة، يراقب حركة الرسائل السرية المتعلقة بالأنشطة الإرهابية، وينقلها إلى المحلل المسؤول عن المنطقة الجغرافية المعنية. في أكتوبر ١٩٨٥، رُقّي إلى رتبة أخصائي أبحاث استخباراتية في مركز الإنذار لمكافحة الإرهاب، "مسؤولًا بشكل خاص عن تحليل المعلومات السرية المتعلقة

الأنشطة الإرهابية المحتملة في منطقة البحر الكاريبي والمحيط القاري

نحن•.22

كان يتمتع بتصريح أمني سري للغاية، وإمكانية الوصول إلى معلومات حساسة ومُقسّمة (SCI) حول أنظمة تقنية متطورة لجمع المعلومات الاستخباراتية، بناءً على "الحاجة إلى المعرفة". وكان من المفهوم أن حاملي رموز الوصول إلى SCI لن يطلعوا على معلومات لا علاقة لها بمهامهم.

في أبريل/نيسان 1984، تعرّف بولارد، عن طريق صديق مشترك، على العقيد أفييم سيلا، وهو ضابط في سلاح الجو الإسرائيلي كان في إجازة لدراسة علوم الحاسوب في جامعة نيويورك. كان سيلا طيارًا قتاليًا موهوبًا، قاد هجوم سلاح الجو الإسرائيلي على المفاعل النووي العراقي عام 1981، وكان أول غربي يصوّر

صاروخ سام-6 السوفيتي. كما أسقط طائرة ميج-21 يقودها طيار سوفيتي فوق قناة السويس خلال حرب الاستنزاف في يوليو/تموز 1970. أوضح بولارد لسلا أنه...
أراد التجسس لصالح إسرائيل.
كان بولارد على علم بأن الاستخبارات الأميركية لم تكن متعاونة
كان سيلا على علاقة وثيقة بإسرائيل، وأدرك حدود هذه العلاقة بعد مشاركته في تبادلين استخباراتيين رسميين معها. أخبر المحققين لاحقًا أنه قرر منذ عام ١٩٨٢ إقامة اتصال سري معها. كان سيلا مفتونًا ببولارد، ولكنه كان مدركًا تمامًا لتداعيات هذا النهج، فسعى وحصل على إذن من قائد سلاح الجو الإسرائيلي، اللواء عاموس لابيدوت، ورئيس الأركان، الفريق موشيه ليفي، لمواصلة الاتصال. أفاد الموساد، الذي يُفترض أنه يدير عمليات التجسس الإسرائيلية في الخارج، أنه كان على علم به ولا يريد أي شيء.
للتعامل معه.23
باستخدام سلسلة من الرموز المتفق عليها مسبقًا، التقى الاثنان عدة مرات، وسلّم بولارد وثائق تثبت مصداقيته. في نوفمبر/تشرين الثاني 1984، رافقت سيلا بولارد وصديقته آن هندرسون في رحلة مدفوعة التكاليف بالكامل إلى باريس، حيث تعرّف بولارد على "مرشده" الجديد، يوسف (يوسي) ياغور، الملحق العلمي في القنصلية الإسرائيلية في نيويورك.
كان ياغور في الواقع الممثل الرئيسي في الولايات المتحدة لشريحة صغيرة وغامضة من مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي. مكتب الاتصال العلمي، المعروف باسمه العبري

أُنشئت "لاكام"، اختصارًا، عام ١٩٦٠، عندما كان شمعون بيريز نائبًا لوزير الدفاع، لجمع معلومات استخباراتية علمية وتكنولوجية سرية. كان وجودها بحد ذاته أمرًا مُنفرًا من إيسر هاريل، رئيس الموساد آنذاك، الذي اعتبرها محاولة من بيريز لتقويض سلطته كـ"مُؤمِّن" لأجهزة المخابرات والأمن. كان الاثنان عدوين لدودين: نادرًا ما استجاب هاريل لطلبات وزارة الدفاع للتعامل مع التجسس العلمي، وعندما فعل ذلك، اشتكى، لم يُنسب إليه أي فضل. رحّب مائير عميت، رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية (أمان) في أوائل الستينيات، بوجود "لاكام". مما ساعد على تأجيج العداء العميق بين الرجلين، والذي بلغ ذروته بسبب أزمة العلماء الألمان وانتهى باستقالة هاريل في مارس 1963.24 نجت منظمة لاكام، التي يديرها رجل سابق في جهاز الأمن العام الإسرائيلي (شين بيت) يُدعى بنيامين بلومبرج، داخل وزارة الدفاع وحققت العديد من الانقلابات البارزة: فقد تورطت في سرقة مخططات طائرة ميراج المقاتلة الفرنسية الصنع عام 1968، والتي سُجن فيها المهندس السويسري ألفريد فراونكنخت لمدة أربع سنوات ونصف بتهمة التجسس.25 في الولايات المتحدة، احتفظت المنظمة بمكاتب في نيويورك وواشنطن وبوسطن ولوس أنجلوس، وكانت مدرجة علنًا في دفاتر الهاتف والدلائل الحكومية. ووفقًا لهاريل اللاذع دائمًا، وهو رئيس المخابرات السابق الوحيد المستعد للتعليق علنًا على الفضيحة المتنامية، كانت لاكام "منظمة غير شرعية".26

رافي إيتان
في الرحلة نفسها إلى باريس، تعرّف بولارد أيضًا على مدير "لاكام"، رافي إيتان. كان إيتان شخصيةً بارزةً في الاستخبارات الإسرائيلية. كان إيتان عضوًا سابقًا في "البلماح" انضم إلى جهاز الأمن الداخلي (الشاباك) في

أوائل خمسينيات القرن الماضي، وترأس فرع العمليات فيه، وقاد فرقة الخطف التي اختطفت أدولف أيخمان في بوينس آيرس عام ١٩٦٠. في منتصف ستينيات القرن الماضي، وفي إطار إعادة التنظيم التي أجراها مائير عميت، حل محل جو رعنان في مهمة عمليات الموساد في أوروبا. في عام ١٩٦٨، كان جزءًا من فريق إسرائيلي تقدم بطلب لزيارة مركز "نيوميك" النووي.

في عام 1991، تم تفجير منشأة لمعالجة اليورانيوم في بنسلفانيا قبل وقت قصير من اختفاء 200 رطل من اليورانيوم المخصب، وهو ما يكفي لصنع ست قنابل ذرية.21
كان غير جذاب من الناحية الجسدية، وكان قصير النظر و
رجلٌ ذو صدرٍ عريض، فقد سمعه تقريبًا في إحدى أذنيه منذ حادثٍ في حرب 1948. عُرف عالميًا باسم رافي "همصرية" (النتن). استمر في الموساد حتى أوائل سبعينيات القرن الماضي، وترقى إلى منصب نائب رئيس فرع العمليات، لكنه استقال عندما فشل في الترقية إلى رئاسة الجهاز. استخدم جون لو كاريه إيتان كنموذجٍ لشخصية مارتي كورتز الإسرائيلية في رواية "الفتاة الطبّالة الصغيرة" التي تتعقب الإرهابيين الفلسطينيين وتقتلهم. في عام 1976، عندما أصبح أرييل شارون، الصديق المقرب والمرشد، مستشارًا لرئيس الوزراء رابين للشؤون الأمنية، أصبح إيتان مساعدًا له. عندما ترك شارون المنصب، رافقه إيتان وانخرط في العمل الخاص. عاد إلى شؤون الأمن في يوليو/تموز 1978، عندما عينه مناحيم بيغن مستشاراً لشؤون الإرهاب ليحل محل عميحاي باجلين، رئيس العمليات السابق في منظمة إرجون الذي قُتل في حادث سيارة ولم يكن يتمتع بثقة أجهزة الاستخبارات.28 وخلال فترة إيتان في عام 1979، تم تعقب الفلسطيني المسؤول عن التخطيط لمذبحة ميونيخ، علي حسن سلامة - "الأمير الأحمر" - من قبل عملاء الموساد وقتل في انفجار سيارة مفخخة في بيروت.29 وقد نجح إيتان كمستشار لشؤون الإرهاب؛ فقد ساعدته سمعته في التنسيق رفيع المستوى مع كل من الموساد والشين بيت، وكان يتلقى جميع المعلومات الاستخباراتية "الخام" من جميع الوحدات الميدانية.30
في عام ١٩٨١، عندما حلّ شارون محلّ عزرا وايزمان وزيرًا للدفاع، أُقيل بنيامين بلومبرغ، وعُيّن إيتان مسؤولًا عن وحدة "لاكام"، رغم افتقاره للخلفية العلمية. لم يبدُ هذا المنصب ذا أهمية كبيرة؛ بل بدا أن الوحدة آخذة في التدهور. بعد فترة وجيزة من تشكيل حكومة الوحدة الوطنية بين حزبي العمل والليكود في سبتمبر ١٩٨٤، أمر وزير الدفاع الجديد، إسحاق رابين، بتقييد عمل وحدة "لاكام". ووفقًا لأحد التقارير، كان يخطط في نهاية المطاف لإلغائها تمامًا.٣١ عندما عيّن رئيس الوزراء الجديد، شمعون بيريز، صحفيًا شابًا طموحًا وواليًا لحزب العمل، يُدعى عميرام نير، ليحل محل إيتان كمستشار لشؤون الإرهاب،

بقي إيتان في مكتب رئيس الوزراء، ولم يبقَ له سوى لاكام.

منجم ذهب في واشنطن
بعد رحلته إلى باريس، بدأ بولارد بتزويد ياغور بكمية هائلة من المعلومات الاستخباراتية القيّمة. من يناير/كانون الثاني 1985 حتى 15 نوفمبر/تشرين الثاني، أي قبل أيام قليلة من اعتقاله، كان يُرسل وثائق سرية كل أسبوعين إلى منزل إريت إرب، سكرتيرة في السفارة الأمريكية في واشنطن، حيث كانت تُنسخ المواد. كان يُغسل سيارته أحيانًا أثناء نقله الأوراق إلى حقيبة خاصة. كان يلتقي ياغور ورجلًا آخر عُرف فقط

باسم "عوزي" مرة واحدة شهريًا "التحديد" المواد المطلوب الحصول عليها. قدّم بولارد وثائق عن تحركات السفن السوفيتية وتسليم الأسلحة إلى سوريا ودول عربية أخرى، بما في ذلك معلومات عن صواريخ SS-21 وSA-5، وخرائط وصور أقمار صناعية لمصانع الأسلحة والأسلحة الكيميائية العراقية والسورية. وتزعم بعض التقارير أنه قدم أيضاً معلومات "سهلت حياتنا كثيراً" وفقاً لأحد المسؤولين الإسرائيليين أثناء الهجوم الذي شنته القوات الجوية الإسرائيلية على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس في الأول من أكتوبر/تشرين الأول 1985. وقد أنكر رابين هذا بعد بضعة أسابيع: "إذا وصلنا إلى نقطة لن يكون لدى الاستخبارات الإسرائيلية فيها ما يكفي من مصادرها الخاصة لتزويدنا بهذا النوع من المعلومات لهذا النوع من العمليات"، كما قال وزير الدفاع، "فسوف نكون في وضع سيئ حقاً".32

كان منجم ذهب. من المرجح ألا يُعرف أبدًا المدى الكامل لاختراق بولارد، لكن مسؤولين أمريكيين صرحوا لاحقًا أنه خلال سبعة عشر شهرًا من أنشطة بولارد، تم اختراق أكثر من ألف وثيقة سرية - 360 قدمًا مكعبًا منها. كانت معظمها "دراسات تحليلية مفصلة تحتوي على حسابات فنية ورسوم بيانية وصور أقمار صناعية". كان بعضها مئات الصفحات، وصُنف أكثر من 800 منها على أنه "سري للغاية". قال مُقَيِّمو الأضرار إن بعض المواد قد خرقت أساليب جمع المعلومات الاستخباراتية الأمريكية. "تكشف العديد من التحليلات السرية لأنظمة الصواريخ السوفيتية الكثير عن الطريقة التي تجمع بها الولايات المتحدة المعلومات،

بما في ذلك المعلومات المستمدة من مصادر بشرية يمكن استنتاج هويتها من قبل محلل استخبارات كفء إلى حد معقول.

وبحسب بعض التقارير، فقد أضر بولارد بشكل خطير بعمليات الاستخبارات الأميركية في جنوب أفريقيا من خلال نقل تقارير غير محررة إلى إسرائيل من عملاء ومحطات مراقبة تحتوي على أدلة حول متى وأين ومن قام بجمع معلومات معينة؛ وكانت هناك أيضًا تقييمات بشأن موثوقية المخبرين.33 ونظرًا للعلاقات الوثيقة بين بريتوريا والقدس، بما في ذلك في مجال الاستخبارات والأمن، فإن تسريب هذا النوع من المعلومات كان من الممكن أن يكون ضارًا للغاية بالفعل للتجسس الأميركي.34 وكان على وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي أن تفترضا أن بعض أصولهما وعملياتهما في جنوب أفريقيا قد تم الكشف عنها من قبل الإسرائيليين.

ادّعى بولارد طوال الوقت أن أنشطته لم تكن مدفوعةً بالربح المالي أو المادي، بل بالرغبة في مساعدة إسرائيل في حربها ضد الإرهاب. لكن هذه الحجة لم تُقنع مكتب التحقيقات الفيدرالي. وخلص المحققون إلى أنه "طوال علاقته بالإسرائيليين، كان إغراء المال هو ما حفّزه واستهلكه في النهاية". وكان ادعاء الإرهاب واهيًا بنفس القدر. فمن بين آلاف الصفحات من الوثائق السرية التي سلّمها، لم يكن سوى "نسبة ضئيلة" منها متعلقة بالإرهاب. وقد أخبره سيلا وإيتان وياغور جميعهم أنهم غير مهتمين بالاستخبارات الأمريكية بشأن الإرهاب. وفي أحد اجتماعاتهم الشهرية، وجّه ياغور بولارد تعليماتٍ صريحة "بعدم إضاعة الوقت في الحصول على هذا النوع من المعلومات". في صيف عام 1985، طلب ياغور من بولارد العمل على أمرٍ لم يكن له علاقةٌ بالإرهاب فحسب، بل كان أيضًا انتهاكًا واضحًا لسياسة الولايات المتحدة بالامتناع عن تقديم أي مساعدة عسكرية لإيران: مبيعات أسلحة إسرائيلية محتملة لنظام الخميني.35 كانت إسرائيل آنذاك متورطة بشكلٍ كبير في محاولة تعزيز الدفاعات الجوية الإيرانية حول محطة النفط الرئيسية في

جزيرة خرج، والتي كانت تتعرض لهجومٍ عنيف من القوات الجوية العراقية. في ذلك الوقت تحديدًا، بدأت الولايات المتحدة وإسرائيل في تنسيقٍ استراتيجية سرية بشأن فتح بابٍ للعناصر "المعتدلة" في إيران لمحاولة إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين المحتجزين لدى الجماعات الأصولية المدعومة من إيران في لبنان.

ربما كانت دوافع بولارد الأولية مثالية، لكنه سرعان ما عمل مع أشخاص أكثر خبرة منه بكثير في الجانب المظلم من التجسس. قال مصدر مطلع: "كان المال عنصرًا أساسيًا". "أصر إيتان على إدراج بولارد في قائمة الرواتب لضمان استمرار تعاونه. سيزيد ذلك من ارتباطه بإسرائيل ويجعل من الصعب جدًا، إن لم يكن من المستحيل، عليه الانسحاب".36 لاحقًا، عندما بدأ بولارد يشعر بالتوتر بشأن أنشطته، مُنح جواز سفر إسرائيليًا باسم داني كوهين. "إنها حيلة تجسس قديمة. عليك دائمًا طمأنة جواسيسك. يمكن أن تصبح حالتهم النفسية غير مستقرة. يمكن أن يصابوا بتوتر شديد. اعتقد إيتان أن جواز السفر سيساعد في تهدئة مخاوف بولارد. كان يُظهر أحيانًا علامات توتر شديد تجاه الأمر برمته.37 كما طلب رئيس لاكام من بولارد تقديم معلومات حول أنشطة التنصت الإلكتروني لوكالة الأمن القومي في إسرائيل وأسماء الإسرائيليين الذين يتجسسون لصالح الولايات المتحدة. أراد إيتان، حارس الطرائد الذي تحول إلى صياد غير قانوني من حيث خبرته الطويلة في كل من مكافحة التجسس والتجسس، القبض على الجواسيس بالإضافة إلى إدارتهم. رفض بولارد، الذي شجعه ياجور الأكثر لطفًا بهدوء.38 أعرب مسؤولون آخرون في لاكام عن شكوك جدية لإيتان بشأن إدارة بولارد: أظهرت نتائج التحليل الخطي أن الجاسوس شخصية غير مستقرة. أصر مرؤوسو إيتان على توقيعه على وثيقة تفيد بأنه سمع تحفظاتهم. على الأقل، حذروا من أنه لا ينبغي أن يتدخل سيلا أكثر من ذلك. وقع إيتان، لكنه تجاهلهم.39

عملية مارقة؟

كانت الأضرار والمخاطر جليةً لحظة اعتقال بولارد. غادر ياغور ورافيد وإرب على عجل إلى إسرائيل في اليوم التالي للاعتقال. كان الرد الإسرائيلي الرسمي الأولي على الخبر أن بولارد قد أُلقي القبض عليه في عملية "مارقة" نفذتها وحدةٌ خرجت عن السيطرة. أما النظرة الأبعد، والتي تشكلت خلال الأشهر الصعبة التي تلت ذلك، فكانت أن القضية كانت قضيةً مؤقتة.

كان هذا الاعتقال بمثابة "نقطة تحول" على الساحة الأوسع للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية. وقد أثار الاعتقال موجة من المقالات الانتقامية، التي بررت نفسها بنفسها، في الصحافة الإسرائيلية حول عمليات التجسس الأمريكية في إسرائيل،40 وفي وسائل الإعلام الأمريكية حول عمليات إسرائيلية في الولايات المتحدة، والتي يعود تاريخها إلى أوائل الخمسينيات. ووصف أحد هذه التقارير حادثة لافتة عندما التقى عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) الذين كانوا يتجسسون على سفارة عربية في واشنطن بفريق من الإسرائيليين الذين انتهوا لتوهم من...
وظيفة مماثلة.41
ويتحمل إيتان الجزء الأكبر من اللوم. تم حل لاكام تقريبًا

على الفور، ولكن سرعان ما اتضح أن جهود الوحدة كانت موضع تقدير كبير قبل تفجر الفضيحة. في مارس 1985، كان إيتان قد أبلغ أعضاء اللجنة الفرعية لأجهزة الاستخبارات في الكنيست عن أنشطة لاكام، وشجعوه على مواصلة العمل الجيد.42 ومع ذلك، لم يجد بعد ذلك سوى القليل من الأصدقاء للدفاع عنه: "لم يكن من قبيل الصدفة أن يُطرد إيتان من مؤسسة الاستخبارات الدفاعية الرئيسية قبل حوالي خمسة عشر عامًا"، كما قال أحد زملائه السابقين في الموساد. "لكنه عاد من باب خلفي، وسيظل افتقاره إلى الحكم السليم محفورًا في الأذهان لفترة طويلة بعد أن ننسى تميزه المهني". ظل الغرض الدقيق للوحدة محاطًا بالسرية، ولكن قيل إن إيتان كان لديه عادة شخصية خطيرة تتمثل في "بناء الإمبراطورية" وأنه كان مدفوعًا جزئيًا برغبة في الانتقام من الأمريكيين لموقفهم العدائي تجاه تعامل أريل شارون مع الحرب في لبنان.43 كان شارون نفسه غير نادم. قال بصراحة: "لا تتلقى إسرائيل من الولايات المتحدة كل المعلومات التي تحتاجها. إذا قارنا ما قدمناه على مر السنين بما حصلنا عليه، فسنجد بلا شك أننا قدمنا أكثر بكثير في مجالات أكثر أهمية مما حصلنا عليه".44 ووفقًا لإحدى النظريات، نجح فريق شارون-إيتان في إقناع بيغن بأنه لا ينبغي تنفيذ سياساته إلا إذا سعى إلى إيجاد بديل - في لاكام - للموساد الذي يهيمن عليه حزب العمل.45 وُجهت انتقادات رسمية إلى سيلا لإظهاره "مبادرة شخصية مفرطة" في التدخل في القضية. وقيل بشكل غير رسمي إنه أعجب بفكرة السفر و
الامتيازات التي تأتي مع تشغيل عميل سري.
وسرعان ما دمر حساب بولارد الخاص "العملية المارقة"

خط الدفاع. وقال في إفادة خطية قُدّمت للمحكمة:
تصرفت الوكالة على نحو متوقع، محاولةً الحد من الضرر الذي لحق بها، بالتراجع وراء ستار إنكار معقول، يُزعم فيه أن مجموعة من ضباط المخابرات المارقين هرعوا إلى افتعال الفضيحة، وتصرفوا دون تفويض. وإذا أخذنا في الاعتبار جودة الأفراد المعنيين وخبرتهم العالية في الأداء، فمن غير المرجح أن يكون تعاونهم نتيجة اختيار عشوائي.
زادت إسرائيل من إدانة نفسها بتعاونها الجزئي فقط مع التحقيق الأمريكي، وبمكافأتها العلنية لكلٍ من إيتان وسيلا. وبينما كانت عملية التستر التي قام بها الشاباك في قضية الحافلة رقم 300 تشتعل خلف الكواليس، أُمر أبراهام شالوم، الذي كان لا يزال في منصبه، بتنسيق الاتصال مع المحققين الأمريكيين. كان من الصعب تجنب الانطباع بأنه قد عُيّن لهذه الوظيفة بسبب ما عرفه السياسيون من خبرته في تلفيق الشهادات. وقد أنجز معظم العمل محامي شالوم، رام كاسبي. وقد بدا الأمر للبعض وكأنه مزحة سخيفة.47 قدّم الاثنان للأمريكيين ما يكفي من المواد لتجريم بولارد، لكنها كانت مُغلّفة بالكثير من الأكاذيب لدرجة أن الأمريكيين فقدوا ثقتهم بسرعة في الرواية الإسرائيلية. ظلّ سيلا سرًا، وفي اليوم السابق لوصول الفريق الأمريكي، طُرد الطيار من البلاد، مع ختم الخروج على جواز سفره بتاريخ سابق.0 وقد اتخذ التحقيق شكل
ما تم وصفه بأنه "مقابلات" وليس شهادة رسمية تحت القسم.
عُيّن إيتان، الذي كان لا يزال تحت رعاية أريل شارون - وزير التجارة والصناعة آنذاك - رئيسًا لشركة الصناعات الكيميائية الإسرائيلية. وظلّ الدور الحاسم لأفييم سيلا، بصفته الرجل الذي جنّد وأدار بولارد، سرًا لعدة أشهر، لكنه وُجّهت إليه التهمة أخيرًا في مارس/آذار 1987، قبل يوم من الحكم على بولارد نفسه بالسجن المؤبد وعلى زوجته بالسجن خمس سنوات لحيازتهما وثائق سرية. ومما زاد الطين بلة، ترقية سيلا

وتعيينه قائدًا لقاعدة تل نوف الجوية الإسرائيلية المهمة، وهي الأكبر في البلاد. وكان السكرتير الذي أصدر الدعوات لحضور حفل الترقية...

أُرسلت هذه الوثائق وفقًا لقائمة روتينية، شملت السفارة الأمريكية في تل أبيب.49 لم يكن هذا السلوك غير الحساس متوافقًا مع موقف الندم المُعلن رسميًا، وقد أثار انتقادات. علق وولف بليتزر، مراسل صحيفة جيروزالم بوست في واشنطن، قائلاً: "بعد اعتقال بولارد، كان على إسرائيل أن تفعل أحد أمرين. إما أن تتمسك بالصمت - وهو إجراء كان سيتفهمه مسؤولو الاستخبارات الأمريكية المتشددون - أو أن تتعاون بشكل كامل ودقيق مع الأمريكيين. باتخاذها موقفًا وسطًا - تعاونًا جزئيًا ومُضلِّلًا - نجحت إسرائيل في جلب الأسوأ على نفسها".
شُكِّلت لجنتان تحقيق منفصلتان في مارس/آذار 1987. الأولى كانت فريقًا من شخصين، عيّنهما مجلس الوزراء الداخلي، وهما يهوشوا روتينسترايش، المحامي والرئيس السابق لمجلس الصحافة الإسرائيلي، وتسفي تسور، رئيس الأركان السابق. أما الثانية، فقد أشرفت عليها اللجنة الفرعية لأجهزة المخابرات في الكنيست، والمكونة من سبعة أعضاء، برئاسة أبا إيبان. وقد أصدرت كلتا اللجنتين تقريرهما في نهاية مايو/أيار، لكنهما لم تُسلِّطا الضوء على الجهة المسؤولة عن الفضيحة.
لم تكن إدانة بولارد نهاية المطاف. فبعد قرابة عام من بدء عقوبته بالسجن المؤبد، ظل المسؤولون الأمريكيون على قناعة بأن جاسوسًا إسرائيليًا ثانيًا كان نشطًا خلال الفترة نفسها في وزارة الدفاع أو وكالة المخابرات المركزية. واستندت الشكوك إلى كشف بولارد أن مُشغّليه الإسرائيليين كانوا غالبًا ما يُحددون له تاريخًا ووثيقةً المواد التي يريدون الحصول عليها. وقد عُرضت عليه ذات مرة وثيقة لم يكن بإمكانه الاطلاع عليها.51 ورغم التعاطف الكبير معه في إسرائيل، وآماله في إمكانية ترحيله إليها قبل انتهاء مدة سجنه، ظل بولارد خلف القضبان، واستشهد بمرارة بغراهام غرين في حديثه عن نفسه: "لم ألتقِ قط برجل كانت لديه دوافع أفضل من كل هذه المشاكل التي تسبب فيها".52
ربما تسببت هذه القضية في أضرار أقل مما كان يُخشى في البداية. وبينما أعرب أعضاء الكونغرس والزعماء اليهود عن قلقهم وسخطهم الشديدين، اتهمت وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية...

كان البنتاغون يُجري أعماله بهدوء كالمعتاد مع إسرائيل. وبدأت برامج مشتركة لأبحاث الأسلحة بعد اعتقال الجاسوس، وفي ذروة القضية، صنفت الولايات المتحدة إسرائيل حليفًا رئيسيًا من خارج حلف الناتو، بنفس مكانة اليابان وأستراليا. وصرح مسؤول أمريكي كبير: "نعتبر قضية بولارد مُجزأة للغاية، وليس لها تأثير أوسع".

ناحوم أدموني

شكلت قضية بولارد إحراجًا كبيرًا لإسرائيل، لكن الموساد كان بإمكانه على الأقل أن يقول: "لقد أخبرتكم بذلك". كان على علم بأمر الجاسوس المستعد للعمل في الاستخبارات البحرية الأمريكية، فقرر عدم التعامل

معه. ومع ذلك، رأى بعض منتقدي الجهاز أن هذا الرد كان سهلًا للغاية. جادلوا بأنه إذا لم يبادر الموساد، فلن يحدث أي شيء على الإطلاق. لكن هذه الفضيحة لا يمكن أن تُلامسه.
بدأ رئيس الجهاز، ناحوم أدموني، فترة ولايته في ظروف صعبة ومُحبطة، إذ حل محل إسحاق حوفي قبل أيام قليلة من مذبحة صبرا وشاتيلا في سبتمبر 1982، ثم واجه أسئلة لجنة كاهان حول دور الموساد في حرب لبنان. كان أدموني بالضبط ذلك النوع من البيروقراطيين الاستخباراتيين السلسين الذين بذلوا قصارى جهدهم لتجنب الاضطرابات، ناهيك عن الفضائح التي هزت العلاقات السرية مع الحلفاء المخلصين والسخيين. كان الاتصال بالأجهزة الأجنبية الصديقة ومع المكونات الأخرى لمجتمع الاستخبارات الإسرائيلي شريان الحياة لرجال مثله. لم يكن رافي إيتان ولاكام من النوع الذي يحتاجه من المنافسين، وكان حل الوحدة بمثابة ارتياح. لقد كان نقيضًا تمامًا للموهوبين مثل إيتان. كانت السياسة، وليس العمليات، المارقة أو غير ذلك، هي نقطة قوته.
كان أدموني أول رئيس للموساد يصعد من صفوفه، ولكن ذلك كان موفقًا. فبفضل وفاة يكوتيل آدم في لبنان قبل أوانها، حصل أدموني، المرشح التوافقي، على المنصب، مما قلب اتجاه "الإنزال بالمظلات" لجنرالات جيش الدفاع الإسرائيلي ذوي المكانة السياسية الآمنة.

كان أعضاء الموساد السابقون الأكثر موهبةً إما غير مقبولين أو غير متاحين، أو كليهما. غادر ديفيد كيمحي عام ١٩٨٠ بعد خلاف حاد مع حوفي، وتولى منصب المدير العام لوزارة الخارجية. ارتبط شموئيل غورين، أحد ألمع نواب حوفي وأكثرهم إثارةً للإعجاب، بفضيحة داخلية طفيفة في منتصف السبعينيات، وتولى لاحقًا وظيفة منسق العمليات الحكومية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وهي وظيفة غير مرغوب فيها. كان نحيك نيفوت، الذي تواصل مع المسيحيين اللبنانيين بعد استقالة كيمحي، مرشحًا محتملًا آخر، لكنه رُفض. كان رافي إيتان مهتمًا أيضًا، لكن بيغن، الذي أعجب بعمله كمستشار لشؤون الإرهاب، كان قلقًا من أنه قريب جدًا من أرييل شارون، الذي - كما أظهرت حرب لبنان بوضوح شديد - كان يتمتع بالفعل بالقوة والاستقلال الكافيين كوزير للدفاع دون أن تكون لديه معلومات استخباراتية سرية تحت جناحه القوي أيضًا.٥٤
وُلِد ناحوم أدموني في القدس عام 1929 وتلقى تعليمه في مدرسة رحافيا جيمنازيوم المرموقة في المدينة، حيث أرسل المهاجرون من الطبقة المتوسطة مثل والديه البولنديين أطفالهم. خدم في جهاز المخابرات الإسرائيلي (شاي) وجيش الدفاع الإسرائيلي في حرب 1948 وسُرِّح عام 1949 برتبة ملازم أول. ثم درس العلاقات الدولية في جامعة كاليفورنيا في بيركلي. عاد إلى إسرائيل عام 1954، وحصل على وظيفة تدريس هذا الموضوع في مدرسة تدريب أجهزة المخابرات، إلى جانب نجوم شباب آخرين مثل ديفيد كيمشي. كان أول منصب له في الخارج في أديس أبابا، في السنوات المسكرة عندما احتلت إثيوبيا مكانة رئيسية في عقيدة "المحيط" للموساد. كان في باريس في منتصف الستينيات، في ذروة التحالف الاستراتيجي لإسرائيل مع فرنسا، كما خدم في واشنطن، وعمل بشكل وثيق مع وكالة المخابرات المركزية. لم يتورط قط في أعمال تجسس جريئة، وهي حقيقة كان منتقدوه الكثر يتذكرونها باستمرار. عُيّن نائبًا لحزب حوفي عام ١٩٧٦.

إيرانجيت

بعد صدمة فضيحة بولارد، ساءت الأمور بالنسبة للموساد. في أواخر عام ١٩٨٦، عندما ظهرت أولى الأخبار

وعندما ظهرت تفاصيل صفقات الأسلحة الأميركية السرية مع إيران في عهد خوميني، والدور الذي لعبته إسرائيل في هذه الخطة، زعم بعض أعداء ناحوم أدموني أن نهاية إسرائيل في قضية إيران جيت بدأت مع الانحدار التدريجي للموساد باعتباره المحكم الأعلى في أنشطة الاستخبارات الخارجية للبلاد.
كانت إسرائيل ترسل أسلحة سرًا إلى الجمهورية الإسلامية منذ اندلاع حرب الخليج في سبتمبر/أيلول 1980، لكنها تعرضت لضغوط شديدة من الولايات المتحدة للتوقف عن ذلك بعد تصاعد الإرهاب الشيعي المدعوم من إيران في لبنان عام 1983. في أكتوبر/تشرين الأول من ذلك العام، قُتل 241 جنديًا من مشاة البحرية الأمريكية في بيروت على يد انتحاري شيعي، على ما يبدو بمساعدة ضابط مخابرات إيراني. وكان اختطاف وتعذيب وإعدام ويليام باكلي، رئيس مكتب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في العاصمة اللبنانية، في مارس/آذار 1984، ضربة موجعة أخرى لواشنطن. وبين ذلك الحين ويونيو/حزيران 1985، اختطف حزب الله أو حركة الجهاد الإسلامي سبعة أمريكيين رهائن في بيروت.
إسرائيل، التي انسحبت تدريجيًا وبصورة مؤلمة عبر الحدود إلى الجليل الذي لم يكن أكثر أو أقل سلامًا مما كان عليه قبل الحرب المكلفة والمثيرة للانقسام، عانت هي الأخرى من التطرف الشيعي. كانت هناك أدلة واضحة على تدريب وتمويل وإلهام إيراني للمفجرين الانتحاريين، لكن إسرائيل لا تزال تعتقد أن مصلحتها الإقليمية الواسعة تكمن في إضعاف العراق - وهي الحجة نفسها التي كانت وراء دعمها للمتمردين الأكراد في الستينيات وأوائل السبعينيات.
ومع ذلك، كانت سياستها غامضة. لم يُعقد أي نقاش جاد رفيع المستوى حول كيفية استغلال حرب الخليج بشكل إيجابي لتحقيق أهداف إسرائيل الاستراتيجية بعيدة المدى. كان "لوبي إيران" في البلاد، والذي يتألف في معظمه من مسؤولين عسكريين واستخباراتيين حاليين وسابقين، ممن تشكلت آراؤهم في ذروة العلاقة مع الشاه، أقوى وأكثر نفوذاً من "لوبي العراق"، وهو مجموعة أصغر بكثير من الأفراد الذين جادلوا بأن إيران الخميني عدو خطير حقًا؛ وأن نظام بغداد قد تغير جذريًا منذ أن قاد معسكر الرفض في العالم العربي في سبعينيات القرن الماضي؛ وأنه تخلى عن دعم الإرهابيين الفلسطينيين المتشددين مثل أبو نضال، وأنه الآن ينتمي بشكل طبيعي أكثر إلى الكتلة المعتدلة التي شكلها أقرب حليفين عربيين، مصر.

والأردن؛ وأن السياسة الحكيمة يمكن أن تساعد في تشجيع هذا الاتجاه وتقليل مخاطر نشوء تحالف مستقبلي من الدول المتحاربة على "الجبهة الشرقية" لإسرائيل.
مع نهاية عام 1984، ملأ هذا الفراغ ثلاثة رجال أعمال دوليين أثرياء وذوي علاقات جيدة، وكانوا يقصدون أكثر من السياسة. ملأ الفراغ يعقوب نمرودي، رجل شاي سابق، ومشغل عملاء أمان، والملحق العسكري لجيش الدفاع الإسرائيلي في إيران؛ وعدنان خاشقجي، المليونير السعودي؛ وآل شويمر، المؤسس اليهودي الأمركي لشركة صناعات الطائرات الإسرائيلية والصديق المقرب لشمعون بيريز. أحضروا معهم تاجر أسلحة إيراني غامض وعميل سابق في السافاك يُدعى منوتشر قرباني فر، الذي ادعى زورًا أنه يمثل عناصر معتدلة سياسيًا في إيران تأمل في تولي السلطة بمجرد تدمير نظام الخميني وكانت مهتمة بفتح حوار مع الأمريكيين.
عرفت وكالة المخابرات المركزية قرباني فر ولم تثق به باعتباره "مختلقًا موهوبًا"، لكن نمرودي وشويمر

اعتقدا، أو ربما أرادا تصديق، أنه قادر على تقديم ما يصبو إليه. وعندما أقنع خاشقجي السعوديين بتمويل صفقة أسلحة صغيرة عبر قربانيفار، لم تكن الصلة الإسرائيلية الرسمية بعيدة عن ذلك.5 5
توجه نمرودي وشفيمر مباشرةً إلى بيريز، الذي وافق، بعد التشاور مع إسحاق رابين، وزير الدفاع، وإسحاق شامير، وزير الخارجية، على استمرار الاتصالات مع غوربانيفار، لكنه طالب بأن يتولى نمرودي إدارتها شخصيًا. أدى ذلك إلى استبعاد الموساد، الذي كان من المفترض أن يكون مسؤولاً عن إدارة العمليات السرية في الخارج، من المشهد تمامًا منذ البداية. طلب رئيس الوزراء من الموساد رأيه، الذي كان سلبيًا، ليس لأسباب استراتيجية عامة، بل بسبب الصعوبات العملياتية الواضحة وصعوبة تقييم فرص النجاح. كتب أحد المقربين من نمرودي: "لم يُعلن بيريز عن هذا القرار علنًا، لكنه اختار تاجرًا خاصًا ليتمكن من إنكار أي صلة له بالأمر في حال حدوث أي خلل أو كشف مبكر". بمجرد بدء العملية، لم يُطلب من الموساد ولا أمان تقديم أوراق موقف توضح وجهة نظرهما بشأن ما كان يحدث. 56

كان هذا أحد الأخطاء العديدة التي ارتكبها الجانب الإسرائيلي في هذه الفضيحة. وعندما بدأت الولايات المتحدة في مايو/أيار 1985 محاولة توضيح سياستها تجاه إيران - وخاصةً المسألة المؤلمة والمعقدة المتمثلة في نفوذ طهران على المتطرفين الإسلاميين الذين يحتجزون رهائن أمريكيين في لبنان - برزت مسائل استخباراتية. سافر مايكل ليدين، المستشار المؤيد لإسرائيل في مجلس الأمن القومي الأمريكي، إلى إسرائيل للقاء بيريز وشلومو غازيت، الرئيس السابق لجهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) الذي كان يشغل آنذاك منصب منسق سياسة الحكومة تجاه إيران، لكنه استقال بعد ذلك بوقت قصير بسبب قلقه من استبعاد الموساد. كما التقى ليدين ديفيد كيمحي، المدير العام لوزارة الخارجية البريطاني المولد ونائب رئيس الموساد السابق في عهد إسحاق حوفي.
أصبح كيمحي شخصيةً محوريةً في قضية إيران غيت. بعد سبعة وعشرين عامًا من العمل في الموساد، أصبحت عادات الدبلوماسية السرية أمرًا طبيعيًا بالنسبة له، وقد طوّر علاقة عمل وثيقة مع روبرت "باد" ماكفارلين، مستشار الأمن القومي الأمريكي. صرّح كيمحي لاحقًا أن انخراطه بدأ في اجتماع مع ماكفارلين في البيت الأبيض في 3 يوليو/تموز 1985، وهو اليوم الذي أفرجت فيه إسرائيل سرًا عن 300 سجين شيعي لبناني، كجزء من اتفاقٍ بوساطة سورية، أفرج بموجبه مختطفو طائرة TWA المتجهة إلى بيروت في الشهر السابق عن تسعة وثلاثين أمريكيًا مختطفًا سالمين، بعد قتل أحدهم - وهو غواص في البحرية الأمريكية.57
أُرسلت أول شحنة معتمدة من الولايات المتحدة، مؤلفة من ستة وتسعين صاروخًا مضادًا للدبابات من طراز تاو، من تل أبيب إلى طهران في نهاية أغسطس/آب 1985، على الرغم من أن وزير الخارجية، جورج شولتز، أوضح أن لديه تحفظات قوية: "أجندة إسرائيل"، كما اشتكى إلى ماكفارلين، "ليست هي نفسها أجندتنا، وقد لا تكون العلاقة الاستخباراتية مع إسرائيل بشأن إيران هي العلاقة التي يمكننا الاعتماد عليها بشكل كامل". كان لدى وزير الدفاع كاسبر واينبرغر شكوك مماثلة. أُرسلت 408 صواريخ أخرى بعد ثلاثة أسابيع. بعد ذلك ببضعة أيام، أُطلق سراح القس بن جامين وير، الذي اختُطف في بيروت في مايو/أيار 1984. وبحلول نهاية عام 1985، كان الأمريكيون يعيدون النظر بجدية، وأبلغ خليفة ماكفارلين، الأدميرال جون بويندكستر، الإسرائيليين رسميًا أن السياسة السرية كانت...

ولكن سرعان ما اتضح أن هذا القرار لم يكن واضحًا ولا مستدامًا.

في شهر ديسمبر، بدأ كيمتشي يشعر بالشكوك الخاصة،58
وعندما انسحب من الشؤون الإيرانية، مدعيًا عبء العمل الثقيل في وزارة الخارجية، سرعان ما تم استبداله كمسؤول إسرائيلي رئيسي معني من قبل عميرام نير، مستشار بيريز الشاب الطموح لشؤون الإرهاب. كانا شخصيتين مختلفتين تمامًا من خلفيات مختلفة تمامًا. بدأ نير بداية سيئة فيما يتعلق بمجتمع الاستخبارات الإسرائيلي. عندما عينه بيريز في وظيفة الإرهاب بعد انتخابات عام 1984، ليحل محل رافي إيتان، صُدم كل من الموساد والشين بيت. فضل أدموني وأبراهام شالوم جدعون مها نعيمي، وهو جندي سابق في لواء المظليين وعضو في جهاز الأمن العام (أمان) وشغل منصب نائب إيتان. ذهب أدموني إلى حد تغيير هيكل لجنة رؤساء الأجهزة السرية (التي كان يرأسها رئيس الموساد تقليديًا) لاستبعاد الإرهاب.
مستشار.59
مثل عميحاي باجلين، كان اختيار مناحيم بيغن المثير للجدل
في عام ١٩٧٧ ، عندما تولى نير المنصب، وجد أن خبراء الاستخبارات قادرون على تحديد وتيرة التعاون معه. بصفته صحفيًا سابقًا - كان مراسلًا عسكريًا لقناة إسرائيل تيلي فيجن - ومعينًا سياسيًا، لم يُمنح ثقةً تُضاهي ثقة رافي إيتان، الذي قضى حياته في عالم السرية. قبل نير التحدي، وبعد بضعة أشهر اكتسب بعض الخبرة البيروقراطية واكتسب سمعة كمفكر بارع ذي أفكار أصيلة ومبتكرة. ومع ذلك، ظل محبطًا من قيود الوظيفة. أقنع نير رئيس الوزراء بالسماح له بالتواصل مع مجلس الأمن القومي. كان معظم ذلك مع نائب ماكفارلين، الكولونيل أوليفر نورث.
وقد وصف صحفي أمريكي علاقتهما باختصار:

كان نير ونورث متوافقين تمامًا. كلاهما كان شابًا ذا توجه عملي، واجها انتقادات لاذعة في وطنهما، لكنهما وجدا نفسيهما فجأةً يتفاوضان على طاولة جيوستراتيجية بموافقة قادة بلديهما. كان نورث جنديًا بحريًا ذا فك مربع ومحاربًا قديمًا في فيتنام، وهو النوع العسكري الذي لطالما شعر نير تجاهه.

كان عمل نير مريحًا للغاية. فقد أتاحت له وظيفته الوصول الفوري إلى كل تقرير يقدمه الجواسيس الإسرائيليون ومراقبو الإرهاب في جميع أنحاء العالم، وهو النوع من المعلومات التي يمكن لنورث استخدامها في مهامه كخبير مكافحة الإرهاب المقيم في مجلس الأمن القومي.61

عندما استقال روبرت ماكفارلين في نهاية نوفمبر/تشرين الثاني 1985 وحل محله بويندكستر، ازداد دور نورث أهمية؛ وعندما أُمر بتنسيق المبادرة الإيرانية، ازدهرت علاقته مع نير، التي كانت وثيقة بالفعل بفضل تعاونهما في قضايا مكافحة الإرهاب. في يناير/كانون الثاني 1986، طُرح اقتراح - وهو تحديدًا ما يزال أحد الألغاز المحورية والدائمة في فضيحة إيران جيت - يقضي بفرض رسوم باهظة على الإيرانيين مقابل الأسلحة التي تزودهم بها الولايات المتحدة وإسرائيل، وتحويل الفائض النقدي سرًا إلى متمردي الكونترا الذين يقاتلون نظام الساندينيستا في نيكاراغوا، بعد أن قطع الكونغرس التمويل.
أزاح نير نمرودي وشويمر من الجانب الإسرائيلي من الصفقة، وحافظ على التواصل مع قربانيفار. أُرسلت عدة شحنات أسلحة أخرى إلى طهران، لكن لم يُفرج عن أي رهائن إلا بعد انتهاء التدخل الإسرائيلي المباشر، ولم يُحرز أي تقدم في الحوار الأمريكي الإيراني الذي طال انتظاره. في مايو/أيار 1986، زار نورث، ماكفار

لين، ونير (متنكراً في زي أمريكي) وعدد من الأشخاص الآخرين طهران، حاملين نسخة من الإنجيل تحمل توقيع الرئيس ريغان، وكعكة شوكولاتة، وعدة مسدسات كولت كهدايا لمضيفيهم.
لم يكن الموساد راضيًا، على الرغم من أنه لا يزال من غير الواضح تمامًا مقدار ما أُبلغ به. شعر نير بالتأكيد بأنه مضطرٌ للحذر، على الرغم من دعم رابين. قبيل رحلته إلى طهران، أخبر قربانيفار الإسرائيلي باحتمالية فتح باب التواصل مع مسؤول أمني ليبي كبير، وقدم نير بعض المعلومات ذات الصلة من ملفاته الخاصة. في مذكرة إلى بويندكستر، قال نورث إن نير طلب إبقاء الاتصالات الليبية سرية. وكتب نورث: "كما تعلم، يعمل نير دون دعم الموساد، ولديه قلق كبير من أن تصبح وكالة المخابرات المركزية أكثر دراية بأنشطته". كان خوف نير على الأرجح أن يعلم الموساد من وكالة المخابرات المركزية أنه كان يُفشي الكثير.62

أثار قرار نير بالذهاب إلى طهران دهشة الموساد، وأكد شكوكه الراسخة بأنه هاوٍ متحمس، بعيد كل البعد عن خبرته. لم تكن لديه خبرة سابقة في عمليات الاستخبارات عمومًا، أو في شؤون إيران خصوصًا. بمرافقته ماكفارلين وعناصر "آمين" الآخرين في المهمة الفاشلة، خالف قاعدة أساسية في جميع الأنشطة السرية: لم يكن يدير عملية معقدة وخطيرة بمفرده فحسب، بل عرّض العملية برمتها للخطر أيضًا بدخوله - متخفيًا بأبشع صورها - إلى قلب معسكر العدو دون سبب واضح. قال أحد قدامى المحاربين في الموساد: كان ينبغي على نير أن يفعل ذلك.
وأصر على عقد اجتماع في جنيف.63
لعبت إسرائيل دورًا محوريًا فيما عُرف بفضيحة إيران جيت، إلا أنها ظلت داعمة. لم يكن استبعاد الموساد الفعلي من العملية سبب فشل هذه السياسة، ولكنه على الأقل حدّ من الضرر الذي لحق بها عندما بدأت تُطرح أسئلة محرجة. توصلت لجنة تاور، التي عيّنها الرئيس ريغان للتحقيق في قضية إيران/كونترا، إلى أنه لا يمكن تحميل إسرائيل أكثر من نصيبها العادل من اللوم، على الرغم من أنها واجهت عقبات واضحة بسبب عجزها عن التحقيق بدقة فيما حدث في القدس.
وخلصت اللجنة إلى ما يلي:
حتى لو عملت حكومة إسرائيل بنشاط لإطلاق المبادرة واستمرارها، فإن حكومة الولايات المتحدة مسؤولة عن قراراتها. وقد أشار مشاركون رئيسيون في المداولات الأمريكية إلى أن أهداف إسرائيل ومصالحها في هذه المبادرة تختلف عن أهداف الولايات المتحدة ومصالحها، بل وتتعارض معها في بعض النواحي. ومع أن إسرائيل تعاملت مع جهات في الحكومة الأمريكية اعتبرتها متعاطفة مع المبادرة، إلا أن هذا الأمر لا ينطوي على أي مساس. فقد اتخذ صانعو القرار الأمريكيون قراراتهم بأنفسهم، وعليهم تحمل مسؤولية عواقبها.64

قضية الهنداوي
في 17 أبريل 1986، اكتشف أحد حراس الأمن التابعين لشركة العال في مطار هيثرو بلندن 1.5 كيلوغرام من مادة سيمتكس البلاستيكية.

تم العثور على متفجرات مخبأة في الجزء السفلي من حقيبة تخص امرأة أيرلندية شابة حامل تدعى آن مورفي، والتي كانت على وشك الصعود إلى الطائرة. رحلة جامبو جيت مُجدولة إلى تل أبيب. كان على متن الطائرة 375 شخصًا. صاعق الجهاز، المُخبأ في

أ آلة حاسبة جيب، تم إعدادها من قبل صديق مورفي، وهو أردني يُدعى نزار هنداوي، الذي وعدها بالانضمام إليها في إسرائيل والزواج منها هناك. أُلقي القبض على هنداوي، عميل المخابرات السورية، بعد ذلك بوقت قصير وحُكم عليه بالسجن.

وفي أكتوبر/تشرين الأول التالي، قضت المحكمة بسجنه خمسة وأربعين عاماً، وهي أطول مدة حكم بها محكمة بريطانية على الإطلاق.

لقد تم نسج نظريات المؤامرة المعقدة حول ما بدا، على أساس كل الأدلة المتاحة، أنه كان اكتشافًا محظوظًا يعتمد على الحظ ومستوى عالٍ من التدريب.

وربما كانت هناك حالة تأهب قصوى بشأن الهجمات المحتملة على طائرات إل ألباين،65 وفي النسخة الأكثر تطرفًا، كان لدى الموساد

لقد أدار العملية بأكملها من أجل إحراج سوريا

بـ "تصويره" كممارس لإرهاب الدولة. ووفقًا لهذا الرأي، كان هنداوي عميلًا استفزازيًا، "أداةً لاختراق إسرائيل للمخابرات السورية".66

بالنسبة لإسرائيل، كانت نتيجة قضية الهنداوي بمثابة إثبات لسنوات من الاستثمار المكلف في الأمن الوقائي، وهو أمر واضح على الفور لأي شخص طار إلى إسرائيل.

في السنوات الأخيرة، كان لها أيضًا التأثير المفيد المتمثل في الإعلان العام

مما عرّض سوريا، عدوها العربي اللدود، لانتقادات دولية غير مسبوقة، وإن كانت قصيرة الأمد. بعد إدانة هينداوي، قطعت بريطانيا علاقاتها الدبلوماسية مع نظام الأسد، وسُحب السفيران الأمريكي والكندي من دمشق لبضعة أشهر.

تعود جذور هذه القضية مباشرةً إلى خطأ ارتكبته المخابرات الإسرائيلية. كان التوتر الإسرائيلي السوري يتصاعد فوق لبنان منذ نهاية عام ١٩٨٥، وفي فبراير ١٩٨٦، أجبرت مقاتلات سلاح الجو الإسرائيلي طائرةً ليبيةً تابعةً لرجال الأعمال على الهبوط في مطار طرابلس الدولي متجهةً إلى دمشق بعد مؤتمرٍ للفصائل الفلسطينية وجماعاتٍ عربيةٍ متطرفةٍ أخرى. ويبدو أن الموساد اعتقد أن أحد ركاب الطائرة هو أحمد جبريل، زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة، الذي كان حاضرًا في المؤتمر الليبي، أو ربما حتى أبو نضال سيئ السمعة. ولم يكن أيٌّ منهما على متن الطائرة، ولكن...

كان عبد الله الأحمر، الأمين العام المساعد القوي لحزب البعث السوري الحاكم، هو من تولى هذا المنصب. وعندما علم الأسد بالمعاملة المهينة التي تلقاها الأحمر والركاب الآخرون (معظمهم لبنانيون) خلال إقامتهم القصيرة والمُجبرة في مطار عسكري شمال إسرائيل، استشاط غضبًا من هذه الإهانة. وذكرت مصادر دفاعية أن قرار إسقاط الطائرة كان لا بد أن يُتخذ بسرعة كبيرة. وتساءل بعض منتقدي العملية، ومنهم أهارون ياريف، الرئيس السابق لجهاز المخابرات العامة (أمان)، عن جدوى محاولة القبض على قادة فلسطينيين بهذه الطريقة المحفوفة بالمخاطر.

لا يزال دور الأسد فيما حدث بعد ذلك موضع تخمين. يتفق الجميع على أن إسقاط طائرة مدنية إسرائيلية ردًا على ذلك لم يكن من تصرفات رجلٍ يحسب كل خطوة بعناية، ويعلم أنه إذا أمكن تتبع تورط سوريا في هذا العمل، فسيؤدي ذلك حتمًا إلى حرب. وقد وجد العديد من الخبراء أنه من المفيد مقارنة سجل الزعيم السوري في مكافحة الإرهاب بسجل العقيد الليبي المتقلب القذافي: قال أحدهم: "القذافي مهرجٌ يُحب الظهور في مركز الصدارة. سوريا أشبه بقناص يُطلق النار من السقف. يموت الناس، لكننا لا نرى الدليل القاطع."69

وقد زعم بعض المراقبين المخضرمين لشؤون الأسد أنه من غير المعقول أن الرئيس لم يكن على علم بالخطة؛ إذ إن تورطه الشخصي في عمليات استخباراتية أقل أهمية كان له تأثير كبير على حياته.

وقد زعم الكثيرون أن الأمور في قضية هنداوي قد تولاها مرؤوسون، على غرار توماس بيكيت،

سعى الأسد إلى كسب ود الأسد بتخليصه من عدو فضولي. والواضح أن مسألة الانتقام من الخطوة الإسرائيلية قد تولى أمرها رئيس المخابرات الجوية الموثوق به، اللواء محمد الخولي، الذي كان مسؤولاً فقط أمام الرئيس، وهو قائد سابق لسلاح الجو. كانت المخابرات الإسرائيلية تكنّ احتراماً على مضض لجهاز الخولي، الذي أصبح الأداة الرئيسية لسوريا في عمليات الاستخبارات الخارجية. وكانت الخطوط الجوية العربية السورية المملوكة للدولة إحدى الأدوات المتاحة لها. كان الخولي شخصية نافذة، لكن كان له منافسون. كان علي دوبا، رئيس المخابرات العسكرية، واحداً منهم، وتنافس معه قادة أمنيون نافذون آخرون على نيل ثقة الأسد.

بحلول الوقت الذي بدأت فيه محاكمة هنداوي في محكمة أولد بيلي بلندن في أكتوبر/تشرين الأول 1986، كانت الصلة السورية واضحة. فقد تلقى هنداوي مساعدة من طاقم الخطوط الجوية العربية السورية، وتلقى تهنئة حارة من السفير السوري في لندن، وساعده رجال أمن السفارة على الاختباء. وقد تسربت اعترافاته في الصحافة الإسرائيلية في وقت مبكر من مايو/أيار 1970، وسارعت حكومة القدس بطبيعة الحال إلى استغلال الأدلة لربط الأسد مباشرة - أو على الأقل المسؤولين الخاضعين لإمرته - بعمل إرهابي كان من الممكن أن تكون له عواقب وخيمة على الشرق الأوسط بأكمله. وقد تلقى المراسلون إحاطات خلفية من ضباط أمان المتخصصين في هذا الموضوع؛ الذين اعترفوا بأنهم ذهلوا عندما علموا أن هنداوي لم يكن يعمل لصالح إحدى الجماعات الفلسطينية، بل لصالح سوريا نفسها.

لا تزال هالة من الغموض تُحيط بالقضية. هل كان لإسرائيل أي علم مسبق بما يُخطط لهنداوي ومسؤوليه؟ وفقًا لتقارير غير مؤكدة من دمشق أواخر عام ١٩٨٦، اعتُقل ضابط مخابرات القوات الجوية، العقيد مفيد عكور، للاشتباه في كونه عميلًا لإسرائيل. وقد ذكر هنداوي عكور في المحكمة كنائب للمقدم هيثم سعيد، مسؤول التجنيد والعمليات الخارجية في جهاز اللواء الخولي.

قبل أكثر من عشرين عامًا، كانت سوريا قد أصيبت بصدمة جراء كشف هوية "كمال أمين ثابت" كجاسوس للموساد، إيلي كوهين، ولم تهدأ المخاوف من قدرات إسرائيل الاستخباراتية قط. 71 وقد غذّت قضية هنداوي هذه الشكوك القديمة حول مدى تغلغل إسرائيل في القيادة السورية، وربما حتى في أجهزتها السرية. قال دبلوماسي غربي في دمشق، مازحًا، في إشارة إلى رئيس المخابرات العسكرية للأسد: "ربما يكون اسم علي دوبا الحقيقي هو إيلي دوبنسكي".72

لم تكن هذه هي الحالة الوحيدة التي نسبها السوريون - وغيرهم - إلى الذراع الطويلة والأسطورية للموساد. فقد انتشرت قصة على نطاق واسع في دمشق في ربيع عام ١٩٨٨، تحكي عن علاقة غرامية بين وزير دفاع الأسد المرح، اللواء مصطفى طلاس، وامرأة فاتنة يُعتقد على نطاق واسع أنها عميلة إسرائيلية. وصلت القصة لأول مرة إلى...

نُشرت في مايو الماضي في صحيفة لو ماتان السويسرية غير المعروفة. كان عنوانها الرئيسي "انقلاب الموساد"، وتحدثت عن ديان سيدني، "راقصة اسكتلندية شابة من أصل يهودي". أما "جهاز استخبارات الشرق الأوسط"، فقد ذكرت الصحيفة صورة لطلاس وهو يلف ذراعه حول الفتاة الشقراء الجذابة، وكلاهما يرتديان ملابس السباحة ويبتسمان ابتسامة عريضة. ووفقًا لمجلة بانوراما الأسبوعية الإيطالية، التُقطت الصورة في أوائل الثمانينيات عندما كانت إسرائيل تخطط لغزو لبنان. وذكرت مصادر دبلوماسية أن الصورة تداولها أعداء طلاس، وربما رفعت الأسد.
الأسد، شقيق الرئيس المنفي.73

قضية فانونو

قبيل بدء محاكمة نزار هنداوي في محكمة أولد بيلي، لعبت بريطانيا دورًا داعمًا في دراما عالمية أخرى تتعلق بأجهزة المخابرات الإسرائيلية. بدأت هذه الدراما في 5 في أكتوبر/تشرين الأول 1986، نشرت صحيفة صنداي تايمز اللندنية مقالاً مطولاً وحصرياً بعنوان "أسرار الترسانة النووية الإسرائيلية". استند المقال إلى معلومات قدمها مردخاي فعنونو، الفني السابق في مركز ديمونا للأبحاث النووية.
صحراء النقب.
مقالة صحيفة صنداي تايمز، التي كتبها فريق Insight التابع لها
أثارت شهادة فانونو، التي قدّمها مراسلون استقصائيون، ضجة كبيرة. وقالت الصحيفة: "فاجأت شهادة فانونو خبراء الأسلحة النووية الذين تواصلت معهم إنسايت للتحقق من دقتها، لأنها تُظهر أن إسرائيل لا تمتلك القنبلة الذرية فحسب - وهو ما كان يُشتبه به منذ فترة طويلة - بل إنها أصبحت قوة نووية عظمى". 74 وخلصت الصحيفة إلى أن إسرائيل تُصنّف الآن سادس قوة نووية في العالم، وأن ديمونا أنتجت ما بين 100 و200 سلاح نووي ذي قوة تدميرية مختلفة، والأهم من ذلك، أن عملية استخراج البلوتونيوم الحاسمة كانت تجري سرًا، في أعماق الأرض، بعيدًا عن أنظار أقمار التجسس المتطفلة. واستند كل هذا إلى شهادة أحد...
الرجل مصدر داخلي.
مردخاي فانونو، الذي كان يبلغ من العمر واحدًا وثلاثين عامًا عندما وقع حادث يوم الأحد
ظهرت قصة الزمن، وقد ولدت في المغرب وهاجرت

إلى إسرائيل وهو طفل. عمل فنيًا في ديمونا من نوفمبر 1976 إلى أكتوبر 1985. ووقع على عدة تعهدات بضرورة الحفاظ على السرية. ومنذ أوائل عام 1985، وفقًا للادعاء، جمع معلومات سرية، بما في ذلك

أسماء رمزية، تتعلق بالمركز، والتقط صورًا ورسم رسومات. وفي يناير 1986 غادر إسرائيل مع الصور والملاحظات ووصل إلى سيدني، أستراليا، في مايو. وهناك التقى بمراسل صحيفة صنداي تايمز، بيتر هونام. وقد أخذت الصحيفة، التي كانت تشم رائحة سبق صحفي، فعنونو إلى لندن، حيث تم استجوابه من قبل فيزيائيين نوويين، الذين وجدوا قصته ذات مصداقية. وفي 30 سبتمبر، أي قبل خمسة أيام من ظهور قصة إنسايت، اختفى فعنونو. اتضح لاحقًا أنه استُدرج إلى روما من قِبل عميلة موساد شقراء، عُرفت باسم "سيندي" فقط، وخُدِّر بحقنة تحت الجلد، واختطفه رجلان، ونُقل بحرًا إلى إسرائيل لمحاكمته.75 وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية الإسرائيلية، بلهجة ساخرة، إن مزاعم صحيفة صنداي تايمز بشأن عملية الاختطاف "تبدو وكأنها أساس لفيلم سينمائي". أصرت الحكومة مرارًا وتكرارًا على عدم وجود أي مخالفة قانونية في طريقة إحضار فعنونو إلى إسرائيل. ولم تُعلن الحكومة عن احتجازه إلا في 9 نوفمبر/تشرين الثاني، أي بعد أكثر من شهر من نشر القصة.

الصحافة الإسرائيلية مقيدة من ناحية بالرقابة الشديدة ومشجعة من ناحية أخرىمن ناحية أخرى، بدافع الحماس الوطني (الذي ربما زاده اعتناق فانونو للمسيحية)، أرادوا سفك الدماء: «على إسرائيل أن تضع يدها على فانونو»، كتب كاتب عمود في صحيفة هآرتس. «في العديد من الديمقراطيات الأخرى، كان فانونو سينتهي به المطاف جثةً ملقاةً على عتبة منزل والده. إذا لم تُعِده إسرائيل بعد إلى هذا البلد، فينبغي سؤال الحكومة عن سبب بقائه حرًا طليقًا؛ وإذا كان فانونو...»

"إذا تم القبض عليه بالفعل، فيجب منح الحكومة حرية التصرف." 76

وُجهت إلى فعنونو ثلاث تهم: الخيانة، والتجسس المشدد، وجمع معلومات سرية بقصد المساس بأمن الدولة. عُقدت المحاكمة بالكامل في جلسات مغلقة بمحكمة منطقة القدس، حيث شملت ظروف السرية التامة إغلاق جميع النوافذ و...

أقاموا مظلة قماشية كبيرة فوق المدخل، بحيث لا يُرى السجين وهو يصل ويغادر في شاحنة طليت نوافذها. أُجبر فعنونو نفسه على ارتداء خوذة دراجة نارية لعرقلة المصورين. كان بعض هذا ردًا واضحًا على محاولاته العنيدة لنشر آرائه ومعاناته: ففي ديسمبر/كانون الأول 1986، وهو في طريقه إلى سجن عسقلان شديد الحراسة من جلسة استماع في قضية حبس احتياطي، كتب تفاصيل اختطافه من روما على راحة يده وضغطها على نافذة شاحنة الشرطة.

محاولات محاميه، أفيجدور فيلدمان، لتحويل

كان إحالة فانونو إلى المحاكمة بتهمة علنية تتعلق بسياسة الأسلحة النووية الإسرائيلية، والدفع بأن على موكله واجبًا أخلاقيًا بالكشف عما كان يحدث في ديمونا، بمثابة فشل ذريع. قال فيلدمان: "أُدرك تمامًا صعوبات هذا الخط الدفاعي، لكن هذه ستكون في الواقع المرة الأولى في العالم التي تُناقش فيها قانونية الأسلحة النووية في المحكمة. إنه لأمر مؤسف أن يكون ذلك في إسرائيل". 77 كما أنه لم يُقدم أي حُجة تُفيد بأن المحاكم الإسرائيلية لا تملك اختصاصًا قضائيًا لأن فانونو قد أُدخل البلاد بشكل غير قانوني، ومن شبه المؤكد أنه ما كان ليُسلم من إيطاليا أو بريطانيا نظرًا للطبيعة السياسية لجريمته. جادل المدعون العامون بأن المحاكمة العلنية قد تُضر بأمن إسرائيل وعلاقاتها مع الدول الأخرى. بعد استئناف أمام المحكمة العليا،

سُمح لفعنونو نفسه بوصف كيفية اعتقاله وظروف احتجازه، لكن مُنع من ذكر مكان اعتقاله، أو تحديد مكان احتجازه بدقة، أو ذكر أسماء الأشخاص الذين اعتقلوه وحرسوه. لم يحاول فيلدمان حتى استدعاء "سيندي" للحضور كشاهدة. وكان أحد الشهود الرئيسيين الذين حضروا للدفاع في يناير/كانون الثاني 1988 وزير الخارجية، شمعون بيريز، الذي مُنع من الإجابة على أسئلة حول خمسة مواضيع محددة تتعلق بالمحاكمة. وكان بيريز قد لعب دورًا محوريًا في تأسيس برنامج الأبحاث النووية الإسرائيلي في أواخر خمسينيات وستينيات القرن الماضي، عندما كان نائبًا لوزير الدفاع. وكان أيضًا رئيسًا للوزراء عندما اختُطف فعنونو من روما. وحُكم على فعنونو بالسجن ثمانية عشر عامًا في مارس/آذار 1988.

كما في قضية هنداوي، وفّرت قضية فعنونو أرضيةً خصبةً لنظرياتٍ مُعقّدة حول حقيقة ما حدث. هل من المُحتمل أن يكون الأمن الإسرائيلي قد غافلاً عن أنشطة فعنونو، أثناء مغادرته ديمونا وبعدها؟ ألم يكن من المُرجّح أن يكون هذا الفني قد استُخدم دون قصدٍ لإنهاء سنواتٍ من الغموض المُتعمّد حول ما إذا كانت إسرائيل تمتلك أسلحةً ذريةً حقًا؟ كانت هذه هي الأسئلة التي طُرحت عندما اعترفت إسرائيل أخيرًا بأنه رهن الاحتجاز وينتظر المحاكمة.

الدكتور فرانك بارنابي، الخبير النووي البريطاني الذي شهد لصالح

وكان الدفاع أحد أبرز المدافعين عن هذا النهج التآمري:

يُظهر التاريخ أن الموساد جهاز سري يتمتع بكفاءة عالية. التفسير الأكثر مصداقية لسلوكه في قضية فعنونو هو أنه اكتشف ما كان يُخطط له فعنونو وقرر منحه فرصة لسرد قصته. وقد أضاف اختطافه من لندن عبر روما - وهي عملية بالغة الكفاءة يُتوقع من الموساد - ومحاكمته في القدس مصداقية كبيرة لرواية فعنونو. وهذا ما كان متوقعًا لو أرادت السلطات الإسرائيلية أن تُلفت انتباه العالم إلى ما كشفه فعنونو. لو لم يفعلوا شيئًا، لكانت مقالة صنداي تايمز قد طواها النسيان سريعًا. وبدلاً من ذلك، حظيت باهتمام كبير في جميع وسائل الإعلام.78

وعلق خبير آخر قائلا:

على الرغم من أن الحكومة الإسرائيلية بدت منزعجة من كشف فانونو، إلا أن احتمال كونها تعمدت اختلاق القصة يبقى قائمًا. وقد ازداد قلق المخططين العسكريين الإسرائيليين مؤخرًا بشأن صواريخ SS-21 عالية الدقة التي زودتها بها سوريا روسيا، واحتمال استخدامها لها برؤوس حرب كيميائية. ربما كانت إسرائيل تأمل في كبح جماح المغامرة السورية من خلال كشف فانونو، مذكّرةً بالقوة العسكرية الساحقة لإسرائيل. أو ربما كان رئيس الوزراء الإسرائيلي المنتهية ولايته، شمعون بيريز، الذي على وشك تسليم منصبه للمحافظ إسحاق شامير، يأمل في الحفاظ على الزخم نحو مفاوضات السلام في الشرق الأوسط من خلال إظهار للشعب الإسرائيلي أن الأمة قوية لدرجة أنها قادرة على تقديم تنازلات مستقبلية بأمان. 79

وكان نشر الشائعات ونشر المعلومات المضللة المتعمدة من الجوانب المألوفة في سياسة الأسلحة النووية الإسرائيلية:

في عام ١٩٦٩، على سبيل المثال لا الحصر، سأل مسؤولون إسرائيليون في الولايات المتحدة علنًا عما إذا كان من الممكن تزويد طائرات إف-٤ التي كانوا يشترونها بحاملات قنابل مناسبة للأسلحة النووية. كان من المؤكد أن يُطلب ذلك، ولكن كان من المؤكد أيضًا أن يُسرب إلى الصحافة في واشنطن وغيرها.
أين.لذا
ومع ذلك، فمن المؤكد تقريبًا أن أصحاب نظريات المؤامرة كانوا مخطئين،
لأن القصة في جوهرها كانت بسيطة: لقد حدث خلل أمني ذو أبعاد بالغة الأهمية سمح بما بدا وكأنه تأكيد لا لبس فيه لما كان العالم بأسره يعرفه منذ فترة طويلة أو يفترض أنه القضية. أن إسرائيل تمتلك قدرات نووية كبيرة ومستقلة. اعتُبر فانونو خائنًا يجب القبض عليه، حتى مع وجود خطر طفيف على العلاقات مع دولة صديقة، ومعاقبته وفقًا للقانون ورادعًا للمبلغين أو الجواسيس المحتملين الآخرين. علق زئيف شيف قائلًا: "لو اختار مور ديخاي فانونو مسارًا مختلفًا - على سبيل المثال، تسريب مباشر لجهاز استخبارات معادٍ بدلًا من النشر في الصحافة، لكان من المرجح جدًا ألا يعلم أحد بما فعله".81
الادعاءات المؤكدة حول اختطاف الموساد
كان من الممكن رفض طلب الحصول على تصريح من روما، مهما كانت الأدلة على عكس ذلك قوية. طُرد ضابط أمن في ديمونا، مع أنه لم يتضح بعد ما إذا كان جهاز الأمن الداخلي (الشاباك) يتحمل اللوم على تجاهل سلوك فعنونو المثير للريبة: صداقته مع الطلاب العرب في جامعة بئر السبع، حيث كان يدرس بدوام جزئي، دقّت ناقوس الخطر، وحُذّر. قالت إحدى الصحف: "إذا أراد مردخاي فعنونو فعلاً أن يُشير إلى جهاز الأمن الداخلي (الشاباك) بأنه لم يعد لائقاً لتولي منصب حساس، فقد اختار كل وسيلة ممكنة للقيام بذلك بأكثر الطرق علنية".82 بدا من غير المعقول بعد ذلك أن يتمكن فعنونو من إدخال كاميرا إلى المؤسسة السرية للغاية وإخراجها منها، ومع ذلك فإن قيامه بذلك، والسماح له بمغادرة البلاد، لا يُحوّل تلقائيًا "خطأً فادحًا" إلى مؤامرة.
علق زئيف شيف قائلاً: "إنها ليست مجرد زلة لمرة واحدة، بل تتضمن سلسلة كاملة من المشاكل والأخطاء الأساسية في الأنظمة الحساسة".

"إن ما حدث كان في الواقع نتيجة لتصرفات غير مسؤولة، وتهاون، وثقة مبالغ فيها تكاد تقترب من الغباء... وهو يذكرنا، في صورة مصغرة، بمواقف اللامبالاة وانعدام التنسيق عشية حرب يورن إيبور".83 وفي الوقت نفسه، كان هناك اعتراف متردد باحترافية الموساد في تحديد مكان فانونو وإعادته إلى إسرائيل بهذه السرعة والنظافة.84
كانت دوافع فعنونو أيديولوجيةً واضحة، وقد رُشِّح لجائزة نوبل للسلام من قِبَل مؤيديه في الخارج. لكن المؤسسة الأمنية الإسرائيلية لم تُعامله معاملةً مختلفةً عن معاملة الجواسيس والخونة التقليديين. كان أوفر حظًا، في بعض النواحي، من البروفيسور ماركوس كلينجبرج، وهو عالم روسي المولد من مركز نيس تسيونا للحرب الكيميائية والبيولوجية شديد السرية، والذي حوكم في جلساتٍ سريةٍ بتهمة كونه عميلًا سوفيتيًا، ولم يُقرّ الإسرائيليون بوجوده قط. اختفى كلينجبرج عام ١٩٨٣ بعد أن أُصيب بانهيارٍ عصبيٍّ كما زُعم، وقيل إنه... مستشفى للأمراض العقلية في سويسرا. في ظل السرية المفرطة التي أحاطت به، والتي امتدت إلى رفض الاعتراف بوجوده خلف القضبان، ذكّرت قضية كلينجبيرج بقضية موتكي كيدار، السجين الشهير في

خمسينيات وستينيات القرن الماضي، والذي حوكم وسُجن سرًا بعد ارتكابه جريمة قتل أثناء مهمة تجسس في الخارج.
وفقًا لتقارير نُشرت خارج إسرائيل، هاجر كلينجبيرج إلى إسرائيل عام ١٩٤٨ بعد أن خدم كخبير أوبئة في الجيش الأحمر. قالت زوجته واندا إنها كانت تعرف مكانه لكنها لم تستطع مناقشة الموضوع. عثر بيتر برينجل، مراسل صحيفة الأوبزرفر، على القصة بالصدفة أثناء بحثه في كتاب عن الحرب البيولوجية. ٨٥ أثناء زيارته لإسرائيل عام ١٩٨٥ ، تعرضت سيارته للسرقة وسُرقت بعض الوثائق من حقيبة، أعادتها الشرطة لاحقًا.
- باستثناء الأوراق. حاول مراسل إسرائيلي متابعة القصة بعد نشر تفاصيلها في صحيفة الأوبزرفر، فكتب مقالاً مفصلاً من 4000 كلمة، لكن الرقابة العسكرية حجبته بالكامل. في فبراير/شباط 1988، نُقل عنه: مرة أخرى في الخارج- أن كلينجبيرج قد يتم إطلاق سراحه في صفقة معقدة من شأنها أن تتضمن أيضًا وقف الولايات المتحدة لمزيد من التحقيقات في قضية التجسس جوناثان بولارد.86 (كان بولارد

كان كلينجبيرج يقضي بالفعل حكماً بالسجن مدى الحياة، ولكن يبدو أن المسؤولين الإسرائيليين كانوا قلقين من أن تؤدي التحقيقات الإضافية إلى الكشف عن المزيد من الجواسيس في قلب الإدارة الأميركية. وكانت الأدلة القليلة المتاحة تشير بقوة إلى أن كلينجبيرج كان عميلاً سوفييتياً على المدى الطويل.87
ورد في قصة تبادل الجواسيس أيضًا اسم عميل سوفيتي آخر أُلقي القبض عليه في إسرائيل عام ١٩٨٧. شبتاي كال مانوفيتش، رجل الأعمال البارز وأحد الشخصيات المرموقة، هاجر إلى إسرائيل من الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧١ ، وحوكم وحُكم عليه بالسجن تسع سنوات عام ١٩٨٩ بتهمة التجسس. لكن محاكمته عُقدت سرًا، ولم يُكشف للجمهور عن دوافعه. وتشير المعلومات القليلة التي ظهرت عن القضية إلى أن كالمانوفيتش كان عميل اختراق آخر، تدرب على يد جهاز المخابرات السوفيتي (كي جي بي) في أوائل سبعينيات القرن الماضي. عمل لفترة وجيزة على "استيعاب" المهاجرين السوفييت الآخرين، ثم دخل معترك السياسة، وكوّن صداقات قوية في حزب العمال الذي كان لا يزال حاكمًا. كما اكتسب سمعة طيبة كمدير أعمال ناجح في مجال الترفيه، مما سمح له برحلات متكررة إلى الخارج وجلب مبالغ طائلة إلى البلاد. ٨٨ وقد أثار شكوكًا منذ عام ١٩٧٥، عندما حذّره وزير في الحكومة من ذلك.٨٩

الحرب السرية لإسماعيل صوان
في عام 1987، وفرت بريطانيا خلفيةً لفضيحة استخباراتية أخرى، والتي جاءت في أعقاب قضية بولارد وإيران جيت، بالإضافة إلى الإحراج الناجم عن الكشف عن فانونو واختطافه، وكانت بمثابة ضربة أخرى لناحوم أدموني وهو يكافح من أجل البقاء في الأشهر الأخيرة من حياته كرئيس للموساد. وهذه المرة تعلقت به بشكل مباشر. لبعض الوقت، كانت القصص المقلقة تنتشر في إسرائيل حول اضطرابات غامضة التعريف داخل المنظمة، على الرغم من أن قيود الرقابة العسكرية منعت ظهور أي تلميحات عامة سوى الأوسع.90

كان الاتجاه العام يدور حول انخفاض الروح المعنوية، والشعور بعدم الرضا، وضعف سمعة الجهاز الأسطورية وتطوره. بطرقهم المختلفة والمدمرة، رافي

أظهر كلٌّ من إيتان وعميرام نير بوضوحٍ مدى سهولة تجاوز الموساد الشهير من قِبَل جهات حكومية أخرى أو أجهزة استخباراتية. ولم يقتنع منتقدو الجهاز بتفسير عدم تورطه المباشر في أيٍّ من الفضائح؛ إذ لم يبدُ أنه متورطٌ في أيٍّ منها على الإطلاق.
في مارس/آذار 1987، كشفت بريطانيا عن مؤامرة لتزويد عملاء الموساد بجوازات سفر بريطانية مزورة. عُثر على ثمانية جوازات سفر بريطانية فارغة مزورة جيدًا في الصيف السابق في كابينة هاتف بألمانيا الغربية، وقد عُثر عليها في السفارة الإسرائيلية في بون. قُدِّم احتجاج شديد اللهجة، وطلبت وزارة الخارجية ضمانات بعدم السماح بتكرار مثل هذا السلوك. قدمت إسرائيل "ضمانة جزئية" على مضض بعد سبع محاولات مختلفة من البريطانيين. 91 جادل البعض بأن انتقادات الموساد لهذه الحادثة من قِبل إسرائيليين آخرين كانت مبالغًا فيها، لكنها كانت علامة من علامات العصر. 92 ثم، في أغسطس/آب 1987، ظهرت قضية ألقت الضوء بشكل كبير على أساليب الموساد في اختراق وتجنيد العملاء في المنظمات المعادية.
أثناء تحقيقها في مقتل علي الأعظمي، رسام الكاريكاتير الفلسطيني الذي نُشرت أعماله في صحيفة القبس الكويتية، اعتقلت الشرطة البريطانية فلسطينيًا آخر يُدعى إسماعيل صوان. عُثر بحوزة صوان، المقيم في مدينة هال الساحلية الشمالية، على أربع بنادق هجومية وقنابل يدوية و145 كيلوغرامًا من مادة سيمتكس المتفجرة البلاستيكية، وأجهزة تفجير، وأجهزة توقيت، ومئات الطلقات. كان هذا من أكبر مخابئ الأسلحة التي عُثر عليها في البر البريطاني. كان صوان يعمل لصالح الموساد.
ينحدر صوان من قرية صغيرة على أطراف القدس الشرقية، وأُرسل إلى بيروت عام ١٩٧٨ لدراسة الهندسة المدنية. وكغيره من الشباب الفلسطينيين، تعرّض الطالب ذو التسعة عشر عامًا لضغوط للانضمام إلى إحدى المنظمات الفدائية. فاختار أكبرها، فتح، وقضى أسبوعًا في دورة تدريبية في جنوب لبنان، تعلّم فيها إطلاق بنادق الكلاشينكوف الهجومية ورمي القنابل اليدوية.
بدأت علاقته الرسمية بالإسرائيليين عندما عاد إلى منزله في ذلك الصيف لزيارة عائلته. شقيقه الأكبر، إبراهيم،

حذّره من أنه قد يقع في مشكلة إذا اكتشف الإسرائيليون ما فعله في لبنان، واقترح عليه استباق أي مشاكل بعرض العمل لديهم.93 كانوا يعرفون الكثير بالفعل: غالبًا ما كان الفلسطينيون العائدون من الخارج يذهلهم ما لدى محققيهم الإسرائيليين من ملفات مفصلة عن أبسط جوانب حياتهم اليومية.94 ولا يزال من غير الواضح ما إذا كان صوان قد اكتشفه جهاز الشاباك مسبقًا، وما إذا كان دافعه ماليًا فحسب. المؤكد أنه التقى في وقت ما بضابطين من الشاباك - النقيب إلياس والرائد يونس، وهما "اسماهما الوظيفيان".
- في مركز شرطة بيت لحم. لاحقًا، التقى بهم مجددًا في ملجأ آمن قرب جبل هرتزل في القدس الغربية، وأخبرهم عن حياته في العاصمة اللبنانية.
أصبح سوان عميلاً مفيدًا. عندما أمره
كان صوان، الذي كان يُجري تحقيقات روتينية مع مسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت، على وشك الاتصال بشخص من فتح في نابلس خلال إحدى زياراته لوطنه، حيث كان يُستجوب بانتظام ويُدفع

له أجره، فأخبره ضباط الشاباك بالموافقة. أُعطي صوان جهاز تحديد موقع إلكتروني قبل ذهابه إلى الاجتماع. أُلقي القبض على جهة اتصاله في نابلس بسرعة، لكن لم يُكشف أمره، فعاد إلى لبنان، حيث طُلب منه التظاهر بالقلق من معرفة الإسرائيليين به.

عاد صوان إلى القدس عام ١٩٨٢. تخلى عن خططه للدراسة في الأردن بسبب حاجته إلى أداء الخدمة العسكرية هناك. عرّفه النقيب إلياس على "موريس" من الموساد، الذي رتّب له السفر إلى باريس، مع دفع جميع النفقات. بعد عام هناك، درس فيه اللغة الفرنسية وأبلغ عن رفاقه الفلسطينيين إلى ضابط عمليات في الموساد يُدعى "آدم"، ثم واصل صوان دراسته في بريطانيا. وكان يتقاضى راتبًا شهريًا سخيًا - ٦٠٠ جنيه إسترليني - بالإضافة إلى نفقاته.

هناك، بدأ الاستثمار الطويل فيه يُثمر في مجال الاستخبارات الدقيقة. صدفةً أو عمدًا، التقى صوان بعبد الرحمن مصطفى، الرائد في القوة 17، وهي وحدة فتح التي شُكِّلت لتوفير حارس شخصي لياسر عرفات، ولكنها بدأت عملياتها الخاصة منذ حرب لبنان. كان مصطفى، وفقًا للمحامي البريطاني الذي قاضى صوان، "إرهابيًا قاسيًا ومخلصًا ومحنكًا" يُشتبه في تورطه في اختطاف طائرة لوفتهانزا في

١٩٧٢. كان يعمل اسميًا في مكاتب جامعة الدول العربية بلندن. كان صوان يعرف مصطفى في بيروت، وبمجرد أن تم التواصل معه، كلفه مسؤوله في الموساد بمحاولة العثور على ترسانة أسلحة وذخيرة تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية يُعتقد أنها بحوزة مصطفى. كانت مهمة بالغة الأهمية، لدرجة أن عميلًا إسرائيليًا ثانيًا، شاب درزي من بلدة مجدل شمس في مرتفعات الجولان يُدعى بشير سمارة، أُرسل أيضًا للعثور على رجل القوة ١٧. زعم صوان لاحقًا أنه كان يسعى في تلك الفترة إلى قطع اتصاله بالموساد، جزئيًا لأنه تزوج مؤخرًا من امرأة إنجليزية ورغب في الاستقرار، ولكن أيضًا لأنه كان بعيدًا عن العمل. وافق "ألبرت"، ضابط حالته في سفارة لندن، على ذلك. كان مصطفى إشبينًا لصوان في حفل زفافه في أغسطس ١٩٨٦.

غادر مصطفى بريطانيا في أبريل 1987 لكنه أودع الأسلحة

وتم العثور على مواد متفجرة في شقة سووان في هال، حيث كان يعمل كمساعد باحث في كلية هامبرسايد للتعليم الإضافي.

عاد مصطفى إلى بريطانيا في يوليو/تموز، باسم مستعار، وطلب من صوان حفظ المزيد من الملفات. في الواقع، كان مصطفى يُدبّر اغتيال علي الأعظمي، الذي أثبتت رسومه الكاريكاتورية اللاذعة عن الفساد وازدواجية المعايير أنها تفوق قدرة هدفه المفضل - قيادة منظمة التحرير الفلسطينية. أُردي رسام الكاريكاتير الفلسطيني رميًا بالرصاص في 22 يوليو/تموز 1987، خارج مكتب صحيفة القبس في تشيلسي. نسّق مصطفى الفريق المكون من أربعة عشر رجلاً الذي نفّذ عملية الاغتيال. أما القاتل، فقد نجا دون أن يُكشف أمره.

كان صوان في القدس عندما سمع بخبر القتل. أدرك على الفور أن مصطفى لا بد أن يكون وراءه، وأن وصول الشرطة البريطانية للبحث عنه مسألة وقت. قرر إبلاغ الإسرائيليين بالحقائب المُجرّمة التي لا تزال مُخزَّنة في شقته في هال. طمأنه جهاز الأمن العام (الشاباك) بأن الأمر سيُعالجه "ديفيد" من سفارة لندن. ثم ارتكب أحدهم خطأً بسيطًا ولكنه خطير، إذ نسي إبلاغ شرطة مراقبة الجوازات في مطار بن غوريون بمنع صوان من مغادرة البلاد.95 وبالفعل، عاد إلى بريطانيا في 5 أغسطس.

بعد أسبوع، أُلقي القبض عليه. وكانت حقائب مصطفى لا تزال في شقته. أُلقي القبض على بشير سمارة بعد أسبوعين واستُجوب بشأن اغتيال الأعظمي. ومثل صوان، أخبر الشرطة أنه يعمل لصالح الموساد. مُنع من دخول بريطانيا لأن "منعه كان يخدم المصلحة العامة لأسباب تتعلق بالأمن القومي".
كان يعقوب باراد، أحد مراقبي صوان في الموساد، والذي كان يعمل متخفيًا دبلوماسيًا، يزور إسرائيل وقت استجواب الفلسطيني. وأوضحت رسالة من وزارة الخارجية في لندن أنه غير مرحب بعودته إلى بريطانيا. طُرد مسؤول إسرائيلي ثانٍ، وهو ملحق يُدعى أرييه ريغيف، بعد إدانة صوان في يونيو/حزيران 1988 وحُكم عليه بالسجن أحد عشر عامًا. وكانا أول دبلوماسيين إسرائيليين يُطردون من بريطانيا على الإطلاق. ووفقًا لبعض التقارير، طُرد أيضًا ثلاثة رجال آخرين من الموساد. شعرت وزارة الخارجية في القدس بإحراجٍ بالغ، حيث قال متحدث باسمها: "نأسف لأن حكومة جلالة الملكة رأت من المناسب اتخاذ إجراءات من هذا النوع". وأضاف: "لم تتصرف إسرائيل ضد أي مصالح بريطانية".
ربما لا، ولكن جهاز المخابرات السري الخاص بها كان واضحًا
ارتكب خطأً فادحًا. كان الكشف التفصيلي عن عميل الموساد الذي كان يتسلل إلى داخل منظمة التحرير الفلسطينية سيئًا بما فيه الكفاية، وضمنت محاكمة أولد بيلي دعاية واسعة. أجج غياب أي تفسير إسرائيلي رسمي نيران التكهنات، الجاهزة دائمًا للاشتعال تلقائيًا في مثل هذه الظروف. لماذا لم ينقل الموساد ببساطة ملفات مصطفى من شقة صوان؟ لو فعلوا ذلك، لما أُلقي القبض على صوان على الأرجح، ولما نُشرت التفاصيل المحرجة لعملية الاختراق. ووفقًا لأحد المصادر، دخل عملاء الموساد شقة هال. إذا كان الأمر كذلك، فلا بد أن قرار ترك مخبأ الأسلحة في مكانه كان متعمدًا. ربما أدرك الإسرائيليون أن صوان كان يلعب لعبة مزدوجة، أو ربما حسبوا أن اكتشاف الأسلحة سيضر بمنظمة التحرير الفلسطينية بشدة لدرجة أن هذا سيفوق أي كشف عن تورط الموساد. إذا كان الأمر كذلك، فقد كان سوء تقدير فادحًا.
ومع ذلك، تشير الأدلة إلى أمر أكثر واقعية بكثير

شرح. زعمت مصادر إسرائيلية مطلعة بشدة أن النية كانت إبلاغ جهاز الأمن البريطاني (MIS) بحقائب مصطفى، لكن البريطانيين اكتشفوا الأمر أولاً. وصدرت دعوات غاضبة لإجراء تحقيق سري في قضية صوان، التي أسفرت عن أكبر كشف لعمليات الموساد منذ فضيحة ليلهامر عام ١٩٧٣. وقال مسؤول إسرائيلي رفيع المستوى: "من حيث النتائج الميدانية، هذه قضية بولارد مصغّرة".

عملية موسى
قبل موجة الفضائح التي بدأت بقضية بولارد، شهدت أوائل الثمانينيات انقلابًا دراماتيكيًا للموساد، أعاد إلى الأذهان أيامًا كانت فيها معظم الموارد السياسية والاستخباراتية الإسرائيلية مخصصة لجمع المنفيين. منذ الهجرة المغربية في أواخر الخمسينيات والستينيات، لم تُطبّق الدبلوماسية السرية والعمليات السرية بمثل هذه القوة التي استُخدمت بها لجلب الفلاشا، اليهود السود الغامضين من إثيوبيا، إلى إسرائيل.
كانت خلفية العملية صعبة. فبعد حرب عام ١٩٧٣، انقطعت العلاقات بين إسرائيل وإثيوبيا - التي توطدت في البداية تحت رعاية الموساد خلال ذروة "مبدأ المحيط" عام ١٩٥٨ - ولم يجددها النظام الماركسي الذي أطاح بهيلا سيلاسي واستولى على السلطة عام ١٩٧٤. عانى اليهود في فوضى ما بعد الثورة. في عام

١٩٧٥، اعترف الحاخامية الكبرى في القدس رسميًا بالفلاشا كيهود، وبالتالي أصبحوا مؤهلين تلقائيًا للحصول على الجنسية الإسرائيلية بموجب قانون العودة، ولكن الهجرة من إثيوبيا كانت مقيدة.
بدأت مجموعات صغيرة من الفلاشا بالفرار إلى إسرائيل عبر السودان المجاور منذ نهاية عام ١٩٧٧، بعد أن أبرم مناحيم بيغن والرئيس الإثيوبي، العقيد منغستو هيلا مريم، صفقة سرية تغض إثيوبيا بموجبها الطرف عن هجرتهم مقابل استمرار إمدادات الأسلحة الإسرائيلية. انتهى هذا الترتيب المريح للطرفين بموجة من الإحراج المتبادل في فبراير ١٩٧٨.

عندما أكد وزير الخارجية موشيه ديان علناً عن غير قصد أن الأسلحة لا تزال في طريقها إلى أديس أبابا.
بحلول أوائل ثمانينيات القرن العشرين، كان الفلاشا يتعرضون لاضطهاد علني من قبل السلطات الإثيوبية. وتفاقمت الأمور بسبب الجفاف الشديد والمجاعة في ولاية جوندر، وأعمال النهب التي رافقت الحرب بين الحكومة المركزية والمتمردين التيغريين والإريتريين.
وُكِّل الموساد بالمسؤولية الكاملة عن جهود الهجرة الإثيوبية عام ١٩٨٠. واستُخدمت الرشوة على نطاق واسع لكسب تعاون السلطات في السودان، وهو طريق الخروج السري الوحيد القابل للتطبيق من إثيوبيا. تصرف بعض المسؤولين السودانيين انطلاقًا من قناعة أخلاقية، بينما رُشِي آخرون ببساطة. قام عملاء الموساد - بعضهم يتحدث العربية السودانية بطلاقة - بتزوير أو شراء وثائق مثل تصاريح السفر الداخلية، والمركبات المستأجرة، والبيوت الآمنة، وسلّموها لتمويل تنقلات أعداد متزايدة من اللاجئين. في ذروة العملية، في أوائل عام ١٩٨٥، كان هناك عشرون عميلًا للموساد يعملون في السودان.
بحلول نهاية عام ١٩٨٢، كان الموساد قد انتشل ٢٠٠٠ فلعشة. وبحلول نهاية عام ١٩٨٤، وصل نحو ٧٠٠٠ منهم إلى إسرائيل. وكان جهاز الأمن الداخلي السوداني، "أرن الدولة"، على علم بالعملية. وكذلك، بالطبع، كان الرئيس جعفر نميري على علم بها. كانت مسألة الهجرة الإثيوبية أحد البنود الرئيسية على جدول أعمال اجتماع سري استمر يومًا كاملاً، عقده نميري مع وزير الدفاع الإسرائيلي، أرييل شارون، في دولة أفريقية ثالثة في مايو ١٩٨٢، قبيل غزو لبنان. وقد جمعهما المليونير السعودي، عدنان خاشقجي.
أُنشئ جهاز في الخرطوم لتنسيق مختلف جوانب الهجرة وتوفير تسهيلات العبور. وحمل كل ذلك تشابهًا صارخًا مع كيفية تعاون المغرب سرًا مع هجرة جاليته اليهودية قبل خمسة وعشرين عامًا. أُنزِلَ الفلاشا وغيرهم من العملاء قبالة الساحل السوداني بواسطة زوارق صواريخ ساعر الإسرائيلية، ثم شقوا طريقهم إلى مخيمات اللاجئين في شرق السودان وإثيوبيا نفسها. وفي عدة حالات، هبطت طائرات نقل من طراز هيركوليس تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي، لا تحمل علامات، في مهابط صحراوية ونقلت اللاجئين جوًا مباشرة من السودان إلى إسرائيل.

لكن العملية سارت ببطء شديد. في الأشهر الأولى من عام ١٩٨٤، تحول التدفق المستمر للاجئين إلى فيضان، وعندها فقط تدهور مستوى التعاون السوداني. أصبح النميري أكثر حذرًا منذ اغتيال أنور السادات في أكتوبر ١٩٨١، وكان قلقًا بشكل خاص من أن يكتشف الإخوان المسلمون ما يحدث ويكشفوا صلته السرية بالعدو الصهيوني.

مارست إسرائيل ضغوطًا عبر الولايات المتحدة، وقيل إن ذلك يعود جزئيًا إلى محاولة إتمام عملية الخروج دون الإضرار بالأصول الضخمة للموساد التي بُنيت في السودان.101 وفي النهاية، وُضعت الترتيبات، حيث لعبت وكالة المخابرات المركزية والسفارة الأمريكية دورًا رئيسيًا: وافقت السودان على السماح برحلات جوية مباشرة للفلاشا من مطار الخرطوم الدولي إلى بلجيكا، ومنها إلى إسرائيل. انطلقت عشرات الرحلات الجوية، التي كانت تقل 8000 فلاشا، من السودان، عبر بروكسل، إلى تل أبيب بين نهاية نوفمبر/تشرين الثاني 1984 والأسبوع الأول من يناير/كانون الثاني 1985، عندما انكشف سر عملية موسى أخيرًا.

13
الانتفاضة:
90-1987

لم تُدمّر "حرب الاختيار" التي شنّتها إسرائيل في لبنان منظمة التحرير الفلسطينية، وإن كانت قد وجّهت ضربةً قاصمة لقدرات المنظمة العملياتية. ففي الأشهر التسعة الأولى من عام ١٩٨٤، ووفقًا لرئيس حركة "أمان"، الجنرال إيهود باراك، نفّذ الشيعة، ومعظمهم من حركة أمل، ٨٠٪ من الهجمات ضد جيش الدفاع الإسرائيلي في لبنان، على الرغم من أن حزب الله المدعوم من إيران كان يطغى على هذه الحركة الرئيسية بشكل متزايد.١ ومع ذلك، بحلول صيف عام ١٩٨٥، عندما سحب جيش الدفاع الإسرائيلي الجزء الأكبر من قواته القتالية، ولم يترك وراءه سوى "منطقة أمنية" حدودية ضيقة، أصبح من الواضح أن المقاومة الفلسطينية لا تزال تُشكّل تهديدًا، على الرغم من أن معظم رجالها وقادتها كانوا مُشتّتين في أماكن بعيدة مثل تونس وبغداد واليمن الشمالي والجزائر.
أدى انفصال الجماعات المناهضة لعرفات إلى تعزيز التوجه المؤيد لسوريا في المعسكر الفلسطيني، وزاد من حدة التنافس المتأصل بين مختلف المنظمات. وتغير محور الصراع تدريجيًا: فبما أن جنوب لبنان لم يعد قاعدة فعّالة للعمليات الفلسطينية ضد إسرائيل، انتقل العمل إلى الخارج. وكان الأمر مشابهًا لما حدث عندما طُردت منظمة التحرير الفلسطينية من الأردن عام ١٩٧٠، ولكن على نطاق أضيق بكثير.
انفتحت جبهة بحرية جديدة مع محاولة الفلسطينيين العودة إلى لبنان، وإعادة إمداد وحداتهم هناك وتعزيزها، أو، في حالات أقل تواترًا، شن هجمات بحرية ضد أهداف إسرائيلية. وبدأت البحرية الإسرائيلية تلعب دورًا محوريًا في اعتراض السفن المتنوعة التي تستخدمها منظمة التحرير الفلسطينية، وخاصة فتح، والتي كانت تمتلك "سلاحًا بحريًا" بدائيًا.

في مارس 1985، تم الاستيلاء على سفينة تُدعى "خليل 1" قبالة قبرص. اعتُقل أربعة رجال وحوكموا لاحقًا بتهمة انتمائهم للقوة 17 التابعة لفتح. كان أحدهم، أبو نور، مسؤولًا عن مكتب القوة 17 في تونس، والذي كان يُفترض أن يُسيطر عليه الإسرائيليون.
ويعتقد أن له دوراً رئيسياً في التنسيق بين العناصر المتفرقة في منظمة التحرير الفلسطينية.2

في أبريل، اعترض الإسرائيليون وأغرقوا سفينة تجارية تحمل العلم البنمي تُدعى "أتافاريوس"، كانت قد أبحرت من الجزائر لشن غارة على مجمع وزارة الدفاع في تل أبيب عشية احتفالات يوم الاستقلال. كان الفلسطينيون ينوون مغادرة السفينة الأم على متن زوارق سريعة، والرسو على شاطئ مهجور، ثم التوجه إلى الهدف. كان أبو جهاد، نائب عرفات وقائد جميع الأنشطة العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية، هو المخطط الرئيسي. في الهجوم الإسرائيلي، على بُعد أكثر من 100 ميل من الشاطئ، قُتل عشرون راكبًا وأُسر ثمانية رجال واحتُجزوا، ثم حوكموا سرًا في إسرائيل. وقد أثمر مزيج من المعلومات الاستخباراتية الدقيقة والحظ والمثابرة نتائج مبهرة مع استمرار عمليات الاعتراض البحرية هذه. وقد نُفذت عمليتان أخريان في أغسطس.
ما حدث ليلة 11 سبتمبر/أيلول 1985 كان أكثر شيوعًا. أوقفت دورية بحرية إسرائيلية قاربًا يُدعى "الفرصة" في منتصف الطريق بين بيروت وقبرص، ووجدت فيصل أبو شرارة، وهو ضابط رفيع المستوى في القوة 17، مختبئًا تحت سطح السفينة. نُقل الفلسطيني إلى السفينة الإسرائيلية، مكبل اليدين، ووُضع كيس على رأسه. خضع لأشهر من الاستجواب المكثف من قِبل جيش الدفاع الإسرائيلي وجهاز الأمن العام (الشاباك) أثناء احتجازه الإداري. سُجِّلت عبارة "مُعتَقل في عرض البحر" في نموذج الاحتجاز القياسي الذي وقّعه وزير الدفاع. وحُكم على أبو شرارة في النهاية بالسجن ثماني سنوات بتهمة الانتماء إلى منظمة معادية.
في خريف عام 1985، شكلت الحرب البحرية السرية خلفية لسلسلة من الأحداث الدموية والدرامية التي من شأنها أن تمنح حياة جديدة لموضوع الإرهاب الفلسطيني المحتضر، وأن تقدم لمجتمع الاستخبارات الإسرائيلي سلسلة من التحديات الجديدة.

غارة تونس

في صباح يوم الثلاثاء، الموافق الأول من أكتوبر/تشرين الأول 1985، قصفت طائرات إف-15 الإسرائيلية مقر منظمة التحرير الفلسطينية في حمام الشط، جنوب شرق تونس. كان الهجوم الإسرائيلي إنجازًا فنيًا باهرًا، إذ تضمن تحليقًا جويًا تجاوز 1900 كيلومتر في كل اتجاه، وتزويدًا بالوقود جوًا، وجهدًا سياسيًا وعمليًا، ومعلومات استخباراتية بالغة الدقة.
بالنظر إلى التعقيدات التي ينطوي عليها الأمر، شُنّت غارة سلاح الجو الإسرائيلي على عجل. وجاءت ردًا مباشرًا على مقتل ثلاثة سياح إسرائيليين في منتصف العمر على متن يخت في مرسى لارنكا، قبرص، في يورن كيبور، في 25 سبتمبر/أيلول. قتل ثلاثة أعضاء من القوة 17 التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، بينهم إنجليزي يُدعى إيان ديفيدسون، الثلاثة بدم بارد دون أي مطالب معتادة بالإفراج عن الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية. لطالما كانت قبرص، بفضل سهولة وصولها إلى كل من إسرائيل والعالم العربي، نقطة تقاطع حساسة وخطيرة في كثير من الأحيان في حرب الإرهاب والاستخبارات الغامضة بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. ومع ذلك، فقد كان الدليل على أن الإسرائيليين الثلاثة لم يكونوا، كما زعم الفلسطينيون، عملاء للموساد، بل كانوا ببساطة كما يبدو. لقد حددت إحدى الصحف البريطانية على الأقل بشكل خاطئ هوية الضحية، إستر بالزور، على أنها سيلفيا رافائيل، عميلة الموساد المولودة في جنوب أفريقيا والتي ألقي القبض عليها في قضية ليلهامر في عام 1973.4 وكانت سيلفيا رافائيل في الواقع على قيد الحياة وبصحة جيدة وتعيش في النرويج.

كانت القوة 17، ومقرها العاصمة الأردنية عمّان، تهدد منذ فترة بتنفيذ هجوم كهذا إذا لم تُفرج إسرائيل عن نائب قائد الوحدة واثني عشر رجلاً آخرين أُسروا مؤخرًا في البحر أثناء توجههم من قبرص إلى جنوب لبنان. كان الجو في إسرائيل مُحبطًا: "إذا كانت هناك حاجة إلى دليل إضافي على أن حرب لبنان لم تُحل أي مشاكل في مجال الإرهاب، فقد جاء ذلك في لارنكا"، كما علّقت صحيفة معاريف. "إذا كانت هناك حاجة إلى دليل إضافي على أن الفلسطينيين ما زالوا غير مستعدين لمفاوضات السلام، فقد اتضح ذلك أيضًا. ربما يكون ياسر عرفات قد تبرأ من هذا الفعل، لكن من الصعب تصديقه".

انعقدت جلسة خاصة لمجلس الوزراء الداخلي في اليوم التالي لمجزرة لارنكا. وانضم إلى الوزراء رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي، اللواء موشيه ليفي، والجنرال إيهود باراك، رئيس جهاز المخابرات العسكرية (أمان)، وقائد سلاح الجو الإسرائيلي، الجنرال عاموس لابيدوت، الذين شرحوا خطة اقتحام مقر منظمة التحرير الفلسطينية قرب تونس. وأوضح لابيدوت أن احتمالية مواجهة مقاومة من سلاح الجو التونسي أو من نيران مضادات الطائرات ضئيلة. وتمثلت الصعوبة الرئيسية التي توقعها في احتمالية حدوث مشاكل فنية في هذه الرحلة الطويلة. وأراد وزير الدفاع، إسحاق رابين، توجيه ضربة سريعة لاستغلال التعاطف الدولي النادر مع إسرائيل بعد مجزرة لارنكا.
أصابت القنابل مقر عرفات ومواقع عسكرية أخرى في حمام الشط، بما في ذلك مبنى تستخدمه القوة 17. وصرح باراك لاحقًا بأن وجود عرفات أو غيابه "لم يكن عاملًا في الخطة".6 وكما توقعت أمان، لم يكن هناك أي تدخل، سواء من سلاح الجو التونسي أو من نيران أرضية، ربما لأن الرادار التونسي كان معطلاً، مع أنه من غير الواضح ما إذا كان ذلك بسبب عطل حقيقي أو تشويش إسرائيلي. ووفقًا للأرقام الإسرائيلية، قُتل خمسة وسبعون شخصًا، من بينهم ستون رجلاً من منظمة التحرير الفلسطينية، وجُرح ما بين أربعين وستين. وذكرت مصادر تونسية أن القتلى كان من بينهم عدد أكبر من المدنيين.1
يعود الفضل في هجوم سلاح الجو الإسرائيلي إلى حد كبير إلى المعرفة الدقيقة بتصميم مقر منظمة التحرير الفلسطينية، بما في ذلك مصادر الاستخبارات الإسرائيلية التي تمكنت من تحديد الوظيفة الدقيقة لمختلف المباني. أصبحت تونس هدفًا استخباراتيًا إسرائيليًا مهمًا منذ أن نقلت منظمة التحرير الفلسطينية مقرها إليها عام ١٩٨٢. ووفقًا لأحد المصادر، "قيل لبعض "العملاء" التونسيين، الذين كان الجشع دافعهم، الحقيقة، أنهم يعملون لصالح المخابرات الإسرائيلية. تم تجنيد مسؤولين تونسيين رفيعي المستوى بحجج واهية، ظنًا منهم أنهم سيساعدون أجهزة المخابرات الأوروبية". بحلول منتصف عام ١٩٨٥، كانت شبكة الموساد واسعة النطاق، وشملت منازل آمنة ومخابئ أسلحة ونظام اتصالات سري.٨ عندما اندلعت قضية جوناثان بولارد بعد أسابيع قليلة من الهجوم، زعمت تقارير متواترة أن الجاسوس الأمريكي زود الإسرائيليين

بمعلومات استخباراتية مفصلة عن أنظمة الدفاع الجوي في كل من ليبيا وتونس، وأن ذلك سهّل التخطيط للغارة. بولارد نفسه كان يعتقد ذلك بالتأكيد، على الرغم من أن رابين نفى هذه الرواية بشدة. وكما حدث مع الهجوم على المفاعل النووي العراقي قبل أربع سنوات، لم تكن هناك عواقب سياسية خطيرة تُذكر، باستثناء الإدانات الروتينية.
إسرائيل في الأمم المتحدة.

قضية أشيل لاورو
لم يطل الأمر. فبعد أقل من أسبوع من غارة تونس، في 7 أكتوبر/تشرين الأول 1985، استولى أربعة أعضاء من جبهة تحرير فلسطين، وهي فرع صغير لمنظمة التحرير الفلسطينية يرأسه محمود عباس (أبو العباس)، على سفينة سياحية إيطالية تُدعى "أكيلي لاورو" بعد إبحارها بفترة وجيزة من الإسكندرية، مصر، متجهة إلى ميناء أشدود الإسرائيلي. كان هذا أروع عمل قرصنة بحرية شهده العالم منذ خمسة وعشرين عامًا، وكان على متنها 454 راكبًا ليشاركوا في الدراما. كان الخاطفون الأربعة يخططون على ما يبدو للإبحار إلى أشدود، ولكن عندما اكتشفهم الطاقم قبل الأوان، أجبروا السفينة على الإبحار باتجاه سوريا. ومع ذلك، مُنعوا من دخول ميناء طرطوس. قتلوا رجلاً يهوديًا أمريكيًا مسنًا على كرسي متحرك يُدعى ليون كلينجوفر، وألقوا جثته في البحر، ثم في 9 أكتوبر/تشرين الأول، أمروا السفينة بالتوقف في بورسعيد، عند...
الطرف الشمالي لقناة السويس.
كان الاختطاف البحري إحراجًا كبيرًا لياسر عرفات. احتلت جماعة أبو العباس مكانة حرجة في منظمة التحرير الفلسطينية: فقد كانت ممثلة في اللجنة التنفيذية للمنظمة المكونة من عشرة أعضاء، وحضرت الدورة الأخيرة للمجلس الوطني الفلسطيني - "برلمان" منظمة التحرير الفلسطينية - في عمان في نوفمبر 1984، بينما غابت ست جماعات أخرى موالية لسوريا. ومع ذلك، لم يكن عباس راضيًا عن التوجه "الدبلوماسي" المتزايد الذي اتخذه عرفات، وخاصةً عن اتفاق فبراير السابق مع الملك حسين، ملك الأردن، بشأن استراتيجية تفاوضية مشتركة لمحادثات السلام. منذ اللحظة

وعندما بدأت الحادثة، بذلت إسرائيل، معتمدة بشكل كبير على مواردها الاستخباراتية الكبيرة وقدرتها على مراقبة الأحداث أثناء وقوعها، كل ما في وسعها لتوريط منظمة التحرير الفلسطينية ككل.
على عكس قتلة القوة 17 في لارنكا، طالب خاطفو طائرة أكيلي لاورو بالإفراج عن سجناء فلسطينيين محتجزين في السجون الإسرائيلية. قدّموا قائمة بخمسين اسمًا، على رأسها الرجل الذي قاد فرقة من أربعة أفراد من جبهة تحرير فلسطين إلى شاطئ نهاريا في أبريل/نيسان 1979، عندما أطلقوا النار على أب وابنته البالغة من العمر خمس سنوات وقتلوهم. قامت زوجة الرجل، سمادار هران، التي كانت مختبئة في غرفة خلفية، بخنق ابنتها البالغة من العمر عامين عن طريق الخطأ وهي تبكي، بينما كانت تحاول منع الإرهابيين من العثور عليهم وقتلهم أيضًا.
كان التفاوض مستبعدًا، لا سيما منذ الضجة التي أثيرت حول إطلاق سراح 1150 أسيرًا فلسطينيًا ولبنانيًا مقابل ثلاثة جنود إسرائيليين في مايو/أيار الماضي. وقد لاقت الصفقة الضخمة وغير المتناسبة مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة، بقيادة أحمد جبريل، انتقادات واسعة النطاق، ورأى الكثيرون أنها لم تُعقد إلا بسبب الضغط الشديد من عائلات الجنود الأسرى. سُمح لنحو 500 فلسطيني مُحرر بالعودة إلى منازلهم في الضفة الغربية وقطاع غزة، وهو أحد بنود الصفقة التي عارضها جهاز الأمن العام (الشاباك) بشدة. وقد سُجن أحدهم لمشاركته في عملية نهاريا التي نفذتها جبهة التحرير الفلسطينية، والتي خلّدتها المنظمة لاحقًا بنشر كُتيّب لامع. وقد سهّل عدم وجود مواطنين إسرائيليين على متن السفينة "أكيلي لاورو" الأمور كثيرًا.
سارعت إسرائيل إلى التواصل مع الولايات المتحدة، التي كانت قواتها في شرق البحر الأبيض المتوسط في حالة تأهب قصوى منذ الإبلاغ عن الاختطاف. وحافظ عميرام نير، مستشار بيريز النشط لشؤون الإرهاب،

على اتصال وثيق مع العقيد أوليفر نورث من مجلس الأمن القومي، الذي كان يُنسّق الموقف الأمريكي من الأزمة. وشملت قنوات الاتصال الأخرى الجنرال أوري سمحوني، الملحق العسكري في السفارة الإسرائيلية في واشنطن.
وصلت السفينة إلى بورسعيد مساء يوم 9 أكتوبر، ونزل منها الخاطفون وأبو العباس نفسه على متن قارب صغير.

قاطرة صغيرة. استسلموا للمصريين ومسؤولي منظمة التحرير الفلسطينية بعد أن وُعدوا بسلامة الخروج من البلاد. في البداية، قُدِّمت نهاية هذه الدراما على أنها انتصار لـ"وساطة" منظمة التحرير الفلسطينية - "قصة نجاح لدبلوماسية منظمة التحرير الفلسطينية"، كما قال مسؤول في تونس - ولكن ذلك كان قبل تأكيد وفاة كلينغوفر، وقبل أن تكشف إسرائيل عن المدى الكامل لتورط منظمة التحرير الفلسطينية، وقبل أن تكشف عمليات المراقبة عن مدى ازدواجية مصر في أعقابها.
كانت مراقبة الاتصالات المصرية من قِبل إسرائيل ووكالة الأمن القومي الأمريكية مكثفة وناجحة، على الرغم من أن التقارير الإسرائيلية كانت تصل إلى واشنطن قبل خمس عشرة دقيقة من التقارير الأمريكية، وكان أوري سمحوني يُمررها مباشرة إلى البنتاغون.10 بمجرد احتجاز الخاطفين، أوضحت الولايات المتحدة أنه يجب تقديمهم للعدالة. صعد السفير الأمريكي في مصر، نيكولاس فيليوتس، على متن السفينة في 10 أكتوبر/تشرين الأول، وسُمع وهو يقول في اتصال مفتوح مع السفارة في القاهرة: "أخبروا وزارة الخارجية أننا نطالبهم بمحاكمة هؤلاء الأوغاد".11 صرّح الرئيس مبارك علنًا أن الفلسطينيين الأربعة غادروا البلاد. لكن عمليات التنصت، التي وفرت معلومات استخباراتية شبه آنية، كشفت أنهم ما زالوا هناك، وأن مبارك اعتقد أن جورج شولتز، وزير الخارجية، "مجنون" لاعتقاده أن مصر، وهي دولة عربية، ستجرؤ على تسليمهم.12 رتب مبارك مغادرة الفلسطينيين مصر سرًا على متن طائرة تابعة لشركة مصر للطيران في 11 أكتوبر/تشرين الأول. اعترضت أربع طائرات من حاملة الطائرات الأمريكية ساراتوجا الطائرة وأجبرتها على الهبوط في قاعدة سيغونيلا الجوية التابعة لحلف شمال الأطلسي (الناتو) في صقلية. ألقت السلطات الإيطالية القبض على الخاطفين، على الرغم من إطلاق سراح أبو العباس نفسه وأحد مساعديه. في روما، انهارت حكومة بيتينو كراكسي بسبب الخلاف الذي أعقب إطلاق سراحهم.
كُشف بعد بضعة أيام عن مدى معرفة الاستخبارات الإسرائيلية بالأمر في ظهور تلفزيوني استثنائي لرئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان)، الجنرال إيهود باراك. عرض باراك شريطًا لجزء من محادثة مسجلة من سفينة إلى بر بين أبو العباس والخاطفين. أوضح باراك أن هذه المحادثة جرت في 9 أكتوبر/تشرين الأول، عندما اتضح أن العملية...

فشلت العملية، ولكن قبل أن تُعلن منظمة التحرير الفلسطينية مسؤوليتها عن الهجوم، كانت لا تزال تُحاول نسبه إلى فصيل صغير منشق عن جبهة التحرير الفلسطينية مدعوم من سوريا. كان هناك الكثير من التشويش في الخلفية، وكان الحديث مُبهمًا، لكن أبو العباس، الذي يُدعى أبو خالد، بحسب الإسرائيليين، ظهر من التسجيل أنه يعرف الخاطفين بأسمائهم الأولى، وأنه على دراية بخطتهم الأصلية. أعطاهم التعليمات، التي اتبعوها بعد أن تأكدوا من أنه هو من يُخاطبهم من بورسعيد.

في الواقع، لم يكن ما كشفه باراك سرًا يُذكر. فقد سمع الصحفيون الذين غطوا الحادثة في بورسعيد نفس الحوار بين الشاطئ والسفينة - بفضل وكيل لويدز المحلي - ولاحظوا أهمية الطلب الذي قدمه أحد المسلحين لأبي خالد أو عنه: "أريد إشارة على أنه هو المقصود". وقد فُهم هذا - وهو أمر صحيح إلى حد ما، كما اتضح لاحقًا - على أنه يعني أن الخاطفين أرادوا التأكد من أنهم يتعاملون مع طرف صديق.13 كانت الأهمية الحقيقية - والابتكار الحاسم - للمراقبة الإسرائيلية هي الكشف عن أن أبو خالد ليس أقل من أبو العباس نفسه، وهو ما جعل ادعاء الوساطة هراءً.
كان لشريط أمان قيمة سياسية بالغة الأهمية لإسرائيل: قال باراك: "كان أبو العباس متورطًا حتى النخاع في تخطيط وتنفيذ وقيادة هذا الهجوم. إنه ليس شخصية هامشية، بل هو من أقرب الأشخاص إلى عرفات. يقع مقره في تونس، في حمام الشط، على بُعد لا يزيد عن 100 متر من مقر عرفات نفسه، الذي دُمّر في تفجير تونس. أبو العباس عضو في أعلى هيئة عملياتية في منظمة التحرير الفلسطينية، اللجنة التنفيذية المكونة من عشرة أعضاء".14
عادةً ما تبذل كل وكالة استخبارات جهودًا كبيرة لإخفاء ليس فقط مصادرها وأساليبها، بل أيضًا مدى قدرتها على مراقبة العدو، لذا لم يكن قرار نشر شريط أخيل لاورو، الذي وافق عليه رابين شخصيًا، قرارًا سهل المنال. في المجمل، ورغم القلق الشديد الذي انتاب العديد من ضباط جهاز الاستخبارات العسكرية،15 إلا أن الأمر كان يستحق العناء على الأرجح. السابقة الوحيدة

كانت هذه المحادثة الشهيرة المُراقَبة بين الملك حسين والرئيس جمال عبد الناصر خلال حرب ١٩٦٧. كما ألمح باراك بقوة إلى تعاون وثيق بين إسرائيل والولايات المتحدة خلال الأزمة. وسُلِّمت نسخ من الشريط إلى الأمريكيين والإيطاليين. وكانت المخابرات الإسرائيلية قد قدّمت الدليل القاطع. سافر شمعون بيريز إلى واشنطن في اليوم التالي لظهور باراك التلفزيوني، واستغلّ الفرصة على أكمل وجه. وكان أحد اجتماعاته الأولى مع مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، ويليام كيسي.

هدف الأردن

كان إصدار أمان لشريط أشيل لاورو بمثابة الطلقة الأولى في مرحلة جديدة ومكثفة من الهجوم السياسي والدعاي الإسرائيلي على منظمة التحرير الفلسطينية. فبعد مجزرة لارنكا والهجوم الانتقامي على مقر المنظمة في تونس، سعت الحكومة إلى تعزيز تفوقها. وقد تأثر عرفات بشدة بإلغاء الحكومة البريطانية زيارة اثنين من أعضاء لجنته التنفيذية إلى لندن، وبدا أن تقدمه الدبلوماسي قد توقف مؤقتًا. وعندما أعلن رسميًا، أثناء زيارته القاهرة في أوائل نوفمبر 1985، انتهاء "جميع أشكال الإرهاب"، رفض الإسرائيليون هذا البيان كما كان متوقعًا باعتباره "لا معنى له"، خاصة وأن زعيم منظمة التحرير الفلسطينية استثنى صراحةً المقاومة المسلحة في "الأراضي المحتلة". وبعد أيام قليلة فقط، عدّل صلاح خلف - أبو إياد - هذا الإعلان ليعني "جميع الأراضي الفلسطينية المحتلة".
استين.

ظلّ تسليط الضوء على إرهاب منظمة التحرير الفلسطينية مطروحًا على جدول الأعمال، لكنّ الحدث المرعب التالي الذي تصدر عناوين الصحف جاء من عدوّ عرفات اللدود، أبو نضال. في 27 ديسمبر/كانون الأول 1985، وبينما كان معظم العالم لا يزال يتلذذ بأجواء عيد الميلاد، أطلق مسلحون من الجماعة الفلسطينية المنشقة النار على تسعة عشر مسافرًا، بينهم خمسة أمريكيين، عند مكاتب تسجيل وصول شركة العال في مطاري روما وفيينا. في أبريل/نيسان 1986، وفي الغارات الجوية الأمريكية اللاحقة على أهداف في ليبيا، التي كان يُعتقد أنها تدعم أبو نضال، لعبت إسرائيل دورًا داعمًا كاملًا. كانت مكافحة الإرهاب بأسلوبٍ صارم رائجة، و

وبفضل الاستخبارات التي كانت تحت تصرفها إلى حد كبير، تمكنت إسرائيل من ركوب قمة الموجة.
شنّت إسرائيل هجومها لأن انهيار منظمة التحرير الفلسطينية أتاح لها فرصةً لتفكيك الشراكة المتوترة بين ياسر عرفات والملك حسين، ولمحاولة جرّ الأردن إلى عملية السلام. وقد لاقى إخفاق الأردن الواضح في الانضمام إلى الدول العربية الأخرى في إدانة اعتراض الولايات المتحدة للطائرة المصرية التي كانت تقلّ خاطفي "أكيلي لاورو" استحسانًا. وتبنّت إسرائيل شعار "تحسين نوعية الحياة" في الأراضي المحتلة لمحاولة حثّ حسين على التصرف منفردًا نيابةً عن الفلسطينيين. وفي نوفمبر/تشرين الثاني 1985، وكجزء من هذه الاستراتيجية، وافقت على تعيين رجل أعمال فلسطيني، ظافر المصري، ليحل محل ضابط جيش الدفاع الإسرائيلي الذي كان يشغل منصب رئيس بلدية نابلس، أكبر مدينة في الضفة الغربية، منذ إقالة بسام الشكعة المُصاب عام 1982.
دأبت التصريحات الإسرائيلية الرسمية على ترديد نذير شؤم لعدة أشهر حول موضوع تعزيز حضور منظمة التحرير الفلسطينية في عمّان، وكيف أثر ذلك سلبًا على الوضع الأمني في الضفة الغربية وغزة. في الفترة ما بين أبريل/نيسان 1985 وأبريل/نيسان 1986، ازدادت "الأعمال الإرهابية" في الأراضي المحتلة بنسبة 52% مقارنة بالعام السابق، وشهد استخدام العبوات الناسفة المرتجلة ارتفاعًا ملحوظًا.16 وفي سبتمبر/أيلول 1985، صرّح شموئيل غورين، منسق العمليات الحكومية في الأراضي، قائلًا: "يبذل الأردنيون جهودًا حثيثة لإحباط محاولات منظمة التحرير الفلسطينية لإرسال فرق وصواريخ كاتيوشا عبر النهر. إنهم لا يبذلون جهدًا كافيًا لمنع الاتصالات بين سكان الأراضي ومكاتب منظمة التحرير الفلسطينية... يكفي أن يقدم شخص ما في الأردن المال والإحاطات والتعليمات ونظام اتصالات ليؤدي إلى زيادة النشاط العدائي".17
بعد أكيلي لاورو، وضع إيهود باراك وجهة نظر أمان بمزيد من التفصيل:

إن وجود مقرات منظمة التحرير الفلسطينية في جميع أنحاء الأردن هو العامل الرئيسي وراء ارتفاع عدد الهجمات في المناطق الخاضعة لسيطرتنا.

السيطرة... يستيقظ الشخص صباحًا في منزله بنابلس أو عكا، ويسافر ساعتين إلى عمّان، ثم يذهب إلى حي جبل الحسين، حيث يوجد مبنى من أربعة طوابق... يحمل لافتة كبيرة: "منظمة التحرير الفلسطينية - مكتب القائد العام"، وهو ليس سوى عرفات. يلتقي هناك بأبو جهاد أو أبو الطيب، ثم يتجه من هناك إلى شقة عملياتية في عمّان نفسها، في أحد الأحياء السكنية، أو إلى مكتب أبو الطيب في حي جبل النزهة على

بُعد مئات الأمتار فقط من قصر الحسين. يتلقى أموالًا للعملية، ويُطلع على سير العمل، ويُبلغ عن المشاكل التي واجهته في المراحل التحضيرية. يمكنه التدرب، وتلقي التعليمات حول كيفية تهريب المواد القتالية إليه. يعود إلى منزله في نفس المساء. إذا حدث أي طارئ، يمكنه القيام برحلة سريعة إلى عمّان، والعودة في نفس المساء وحل المشكلة. لا يمكن القيام بذلك بهذه السهولة وبهذه الطريقة من تونس.18

كان باراك يبالغ عمدًا، وكان هناك تناقض واضح في عرضه العام المُعدّ بعناية: إذا كانت إسرائيل تعرف كل هذا عن كيفية عمل منظمة التحرير الفلسطينية في الأردن، وكيف تحتفظ بمقرات عملياتية لأنشطتها في الأراضي المحتلة - وهي نقطة أكد عليها رئيس المخابرات بتجاهله أسماء الشخصيات والأماكن الرئيسية - فهل من المؤكد أن التهديد لا يمكن أن يكون بهذه الخطورة؟ أقرّ بأن مهاجمة مقرات منظمة التحرير الفلسطينية في الأردن - على عكس تلك الموجودة في تونس البعيدة - تنطوي على "جوانب لا تتعلق بالإرهاب فحسب".
في النهاية، تم الالتفات إلى التحذيرات الإسرائيلية. في فبراير 1986، نفد صبر الملك حسين على عرفات، الذي رفض تلبية الشروط الأمريكية بشكل قاطع وقبول قرارات الأمم المتحدة التي تعترف بإسرائيل. أعلن حسين بمرارة أنه لم يعد بإمكانه العمل مع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، "حتى تصبح كلمتهم عهدًا لهم، يتميز بالالتزام والمصداقية والثبات". أُعلن أن اتفاقية عمان التي عُقدت في العام السابق أصبحت حبرًا على ورق، وتبعتها تداعيات سريعة. أصلح الملك حسين علاقاته مع سوريا، عدو عرفات؛ وبدأت استخباراته العسكرية في دعم العقيد عطا الله عطا الله - أبو الزعيم - المتمرد من منظمة التحرير الفلسطينية المقيم في عمان، والذي كان مشكوكًا في سمعته ومحدود الدعم.

طالبوا باستبدال عرفات كزعيم للمنظمة. بُذلت عدة محاولات خرقاء لانتزاع تصريحات ولاء غير مقنعة للملك من وفود وجهاء الضفة الغربية. في يوليو، أمر الأردن بإغلاق خمسة وعشرين مكتبًا لفتح ومنظمة التحرير الفلسطينية في المملكة. مُنح خليل الوزير - أبو جهاد - نائب قائد جميع قوات منظمة التحرير الفلسطينية، مهلة ثمان وأربعين ساعة لمغادرة البلاد. قال شمعون بيريز: "كلما ابتعد كان ذلك أفضل لنا جميعًا". كان أبو جهاد أيضًا قائد القطاع الغربي لحركة فتح - الوحدة العملياتية الرئيسية للحركة للأنشطة في الأراضي المحتلة وإسرائيل. ووفقًا للمخابرات الإسرائيلية، كانت هناك هيئتان أصغر حجمًا وسرية للغاية، هما لجنة التجنيد 77 واللجنة 88، تعملان أيضًا تحت قيادته.

كريات شمونة: ستة واحد
في الساعة 10:30 مساءً يوم 25 نوفمبر 1987، طار عضو شاب من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة المدعومة من سوريا بزعامة أحمد جبريل بصمت عبر الحدود اللبنانية في طائرة شراعية خفيفة للغاية وهبط في حقل من الأشواك شرق مدينة كريات شمونة شمال إسرائيل. وفي غضون الدقائق القليلة التالية، قبل أن يُسقط هو نفسه، تمكن الفلسطيني من قتل ستة جنود إسرائيليين وجرح سبعة آخرين في معسكر قريب للجيش. لقد كانت ضربة موجعة. وعلى الرغم من المعلومات الاستخباراتية المسبقة حول تسلل إرهابي محتمل المقدمة إلى القيادة الشمالية لجيش الدفاع الإسرائيلي، إلا أنه لم يتم

اتخاذ الاحتياطات المسبقة الكافية لمواجهة التهديد. كانت ليلة الطائرات الشراعية، كما أصبح الحدث معروفًا في إسرائيل، بمثابة دفعة معنوية ضرورية للغاية للفلسطينيين. كما أنها كانت بمثابة محفز لتطور أكثر خطورة بكثير.
لقد ساهمت أحداث أخرى بشكل كبير في تشكيل مزاج مناسب لـ
اشتدت المقاومة ضد الإسرائيليين. انشغل مؤتمر القمة العربية في عمّان ذلك الشهر بحرب الخليج بين العراق وإيران، لدرجة أن القضية الفلسطينية - التي كانت لسنوات طويلة حجر الزاوية في التضامن العربي - لم تكن مطروحة على جدول الأعمال. كانت الأراضي المحتلة، وخاصة قطاع غزة، تغلي.

عانى أفراد جهاز الأمن الداخلي (الشاباك) في غزة لفترة من تصاعد النشاط السري، العنيف أحيانًا، لمسلحين إسلاميين يعملون في منظمتين متنافستين: الجهاد الإسلامي، المرتبط بشكل غير مباشر بحركة فتح، وجماعة أكبر تُسمى "المجمع"، التي سارت على نهج الأصوليين الإيرانيين وأسست شبكة من مراكز الرعاية الاجتماعية والتعليمية في المساجد. كانت الجهاد الإسلامي الأكثر احترافية بين المنظمتين: إذ نُظمت وفق خطوط خلايا تقليدية، حيث لا يعرف كل عضو سوى قائده المباشر، ونجحت في الحصول على أسلحة ومتفجرات، اشترتها في الغالب من مجرمين يهود. كانت الاتصالات السرية مع الأردن تتم عبر رسائل ملفوفة بالنايلون يبتلعها سعاة البريد العابرون للجسور. أُلقي القبض على عدد من أعضائها في أغسطس/آب 1986، لكن زعيم الجماعة هرب على متن قارب صيد إلى مصر. ازداد اهتمام جهاز الأمن الداخلي (الشاباك) بالجهاد الإسلامي بعد مقتل ثلاثة إسرائيليين طعنًا في غزة. وبحلول نهاية عام 1986، كان ستون مشتبهًا بهم قيد الاحتجاز.
في مايو 1987 هرب ستة سجناء من حركة الجهاد الإسلامي من السجن.
الجناح الأمني لسجن غزة. تمكن اثنان منهم من مغادرة البلاد، وأُلقي القبض على ثالث، بينما اختبأ الثلاثة الباقون لتنظيم هجمات جديدة. وعلى مدار الأشهر القليلة التالية، قتلوا إسرائيليين آخرين - متعاقدًا مدنيًا وضابطًا في الشرطة العسكرية - قبل أن يُقتلوا بالرصاص في تبادل إطلاق نار مثير مع الجيش وجهاز الأمن العام (الشاباك). كما قُتل عميل في جهاز الأمن يُدعى فيكتور رجوان.19 وكان هارب آخر وشخصان بريئان قد قُتلا بالرصاص قبل بضعة أيام. تعامل الفلسطينيون مع الحادثتين على أنهما مجازر متعمدة. وقال أحد أبرز مؤيدي منظمة التحرير الفلسطينية بمرارة: "لا يستخدمون عقوبة الإعدام في إسرائيل. إنهم يقتلون الناس في الشوارع فقط".20 وفي 18 نوفمبر/تشرين الثاني، أمرت إسرائيل بترحيل الشيخ عبد العزيز عودة، الزعيم الروحي لحركة الجهاد الإسلامي.
في السادس من ديسمبر/كانون الأول، وبعد أقل من أسبوعين من هجوم الطائرة الشراعية، طُعن مدني إسرائيلي حتى الموت في وسط مدينة غزة. وبعد يومين، قُتل أربعة فلسطينيين من جباليا وجُرح ستة آخرون في حادث سير اصطدمت فيه شاحنة إسرائيلية بحاجز إيرز في الطرف الشمالي من القطاع. وقد غذّت الشائعات والتقارير غير الدقيقة هذا الحادث أيضًا.

فُسِّرَ على أنه مُتعمَّد. في 9 ديسمبر/كانون الأول، اندلعت أعمال شغب واسعة النطاق في جباليا، أكبر مخيم للاجئين في المنطقة. وأصبحت عبارة "كريات شمونة: ستة واحد" - وهي هتاف نصر مُستعار من

ملعب كرة القدم - سخرية شائعة في الاشتباكات واسعة النطاق بين الجنود الإسرائيليين والمتظاهرين الفلسطينيين. وهكذا بدأت الانتفاضة.

الانتفاضة!

تسبب اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في موجة من الاتهامات المتبادلة بين مختلف الهيئات الإسرائيلية المعنية بالأمن في الأراضي المحتلة. وزعم الجيش أنه منشغلٌ جدًا بالحفاظ على النظام العام لدرجة أنه لا يستطيع معرفة ما يجري في الخفاء. وجادل منتقدو الإدارة المدنية، التي كانت على اتصال يومي بالسكان الفلسطينيين على جميع مستويات الحياة، بأنها اعتمدت بشكل مفرط على القطاعات التقليدية، مثل مخاتير القرى، المعروفين بآرائهم المحافظة، والذين كانوا يُعتبرون عمومًا من المعاقل القليلة المتبقية للتوجه الأردني.

كان جهاز الأمن الداخلي (الشين بيت) لا يزال في حالة من الفوضى الداخلية، على الرغم من تولي يوسف هارملين زمام الأمور؛ وما إن نُشر تقرير لجنة لانداو حتى عُلق ثلاثة ضباط عن العمل لكذبهم بشأن قضية عواد حمدان، الشاب الفلسطيني من طولكرم الذي توفي أثناء التحقيق معه في يوليو/تموز.21 وكان الرد الفوري، مع اتضاح حجم الاضطرابات، أن الشاباك "بارع" في الإرهاب و"سيئ" في السياسة. وفي وقت لاحق، وُسِّع قسم الأبحاث الصغير التابع للجهاز، والذي أُنشئ على الرغم من اعتراضات أبراهام شالوم عام 1983، لمحاولة سدّ الفجوة الاستخباراتية.22 وأُلقي باللوم على شموئيل غورين، المدير التنفيذي السابق للموساد الذي تولى مهمة تنسيق العمليات الحكومية في الأراضي الفلسطينية، بسبب هذا التغاضي.

ومع ذلك، فقد مرت أسابيع عديدة قبل أن تترسخ في أذهان الإسرائيليين فكرة الانتفاضة، كشيء مختلف جذريًا عن نوبات الاضطرابات السابقة. وقد أشار القادة السياسيون، وخاصة وزير الدفاع إسحاق رابين، مرارًا وتكرارًا إلى أن

لقد فوجئت منظمة التحرير الفلسطينية بهذا الانفجار العفوي، وكأن ذلك يعفي إسرائيل أيضاً من دهشتها وانزعاجها.

وكان رابين يزور الولايات المتحدة في الأسبوع الثاني من 1؛

ديسمبر، ولم يكن الأمر كذلك إلا في نهاية الشهر.

تقرر إرسال تعزيزات إلى الضفة الغربية وغزة، وبحلول ذلك الوقت كانت الزخم الأولي للاضطرابات قد اكتسب زخمًا. كان اتخاذ القرارات عشوائيًا وتنسيق السياسات ضعيفًا: فعلى مدار أسابيع، استخدم الجيش العتلات لإجبار أصحاب المتاجر المضربين على فتح محالهم، مما زاد من تطرف قطاعات من السكان كانت سلبية سابقًا، والتي إما حفزتها الأجواء العسكرية السائدة أو ببساطة رُهبت من قِبل شباب الشبيبة - حركة شباب فتح - الذين سرعان ما أصبحوا جنود المشاة في الانتفاضة. أعلن رابين سياسة "القوة والجبروت والضرب"، وعرضت شاشات التلفزيون في جميع أنحاء العالم صورًا لجنود إسرائيليين يستخدمون الهراوات والحجارة لكسر أطراف المتظاهرين.

فلسطينيون.

وبدا جهاز الأمن الداخلي (الشين بيت) عاجزًا عن التعامل مع هذه الأحداث غير المسبوقة.

تضررت المقاومة الجماهيرية، لكن مراقبتها للمقاتلين استُخدمت لمحاولة تحييد القادة الرئيسيين. في يناير/كانون الثاني 1988، بدأت عمليات ترحيل تسعة أفراد مختارين، على الرغم من أن عمليات الطرد في كل حالة أعقبتها المزيد من أعمال الشغب، بالإضافة إلى انتقادات دولية، كان أشدها إيلامًا من الولايات المتحدة.

الولايات.

وسرعان ما أصبح واضحا أن العديد من السجناء البالغ عددهم 600 سجين

الذين عادوا إلى ديارهم في الأراضي المحتلة بعد إطلاق سراحهم في عملية التبادل المثيرة للجدل مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة بزعامة أحمد جبريل في مايو 1985، كانوا مشاركين نشطين في الانتفاضة؛ وأصبح العديد منهم مرشحين لرحلات ذهاب فقط عبر الحدود اللبنانية. كان جبريل الرجوب، الذي اعتُقل في نهاية ديسمبر 1987، نموذجيًا إلى حد ما. فقد حُكم عليه بالسجن المؤبد في عام 1970 لنشاطه في حركة فتح. وهو من قرية دورا الكبيرة في تلال الخليل، وأثناء وجوده في السجن، كتب كتابًا من أكثر الكتب مبيعًا عن تجاربه، كاشفًا الكثير عن كيفية استمرار ولاء السجناء لمختلف منظمات منظمة التحرير الفلسطينية، بل وسيطرته على الحياة خلف القضبان.

بعد إطلاق سراحه في صفقة جبريل، ذهب الرجوب للعمل تحت إمرة فيصل الحسيني في مركز الأبحاث العربي في القدس الشرقية، وهو أحد أهم مؤسسات شبكة منظمة التحرير الفلسطينية التي أنشئت في الأراضي المحتلة على مدى العقد الماضي.

خذونا إلى قادتكم

كانت المشكلة الرئيسية التي واجهت جهاز الأمن هي تحديد موقع الهيئة التي عُرفت باسم القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة. منذ أوائل عام ١٩٨٨، بدأت منشورات موقعة من القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة بالظهور، تحمل تعليمات للفلسطينيين حول ما يجب فعله: متى يُنظمون الإضرابات، ومتى يُفتحون المتاجر، ومتى يُحتفلون بالذكرى السنوية، ومتى يُقاطعون البضائع الإسرائيلية، ومتى يُقدمون استقالاتهم من الإدارة المدنية، ومهاجمة المتعاونين، إلخ. وقد حقق جهاز الأمن العام (الشاباك) بعض النجاحات. ففي فبراير/شباط، أُوقفت شاحنة صغيرة تحمل آلاف المنشورات عند حاجز عسكري روتيني بالقرب من رام الله. وأدى اعتقال عدد من أعضاء الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين - وهي إحدى أصغر فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، وربما أكثرها تنظيمًا، في الأراضي المحتلة - إلى وصول المحققين إلى مطبعة تجارية صغيرة ولكنها حديثة في العيساوية، قرب القدس. لكن الصورة التي ظهرت لم تكن مُشجعة: فقد أُنتجت المنشورات في عدة مواقع بعد أن صاغتها لجنة مُخصصة من ممثلي مختلف الفصائل التي شكلت القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة. وحتى بعد آلاف الاعتقالات، ظلت المنشورات تظهر بانتظام. وفي وقت لاحق، سيتم بث نصوص المنشورات عبر محطة إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية في بغداد، وسيتم نسخها يدويًا أو على أجهزة معالجة النصوص وتوزيعها محليًا.

بدت بعض المنشورات مزيفة. إحداها كانت مزيفة.

دعت منشوراتٌ وزعها تجارٌ محليون في الخليل إلى إنهاء الإضرابات بسبب استحالة ممارسة الأعمال. وحذر منشورٌ مضادٌّ بدا حقيقيًا، ظهر في مدينة الضفة الغربية بعد بضعة أيام، من أن "العدو الصهيوني بدأ بإصدار منشوراتٍ مزورة... بهدف إثارة البلبلة وإسكات الانتفاضة وحرفها عن المسار الصحيح".21 آخرون

أعطت تواريخ مختلفة لأيام الإضراب أو هاجمت مجموعات محددة في محاولة واضحة لزيادة الانقسامات في صفوف الفلسطينيين. سارع الفلسطينيون إلى اتهام جهاز الأمن العام (الشاباك) بالمسؤولية عن هذه التزويرات. بدأت حركة المقاومة الإسلامية (حماس، اختصارًا)، التي انبثقت من شبكة المجمع في قطاع غزة، والتي غالبًا ما أعربت عن عدائها لمنظمة التحرير الفلسطينية ذات التوجه العلماني، بإصدار تعليماتها الخاصة. ادّعى عدد قليل من العرب أن المنظمة "تُدار" من قبل الإسرائيليين، حيث سرعان ما أصبحت تُمثل تهديدًا خاصًا بها لسلطات الاحتلال. في يونيو/حزيران 1989، أُعلنت حماس منظمة غير قانونية.
فشلت أشهر من القمع الإسرائيلي غير المسبوق في قطع الروابط بين القيادة الوطنية الموحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية في الخارج. ساعد المواطنون العرب في إسرائيل في تحويل المبلغ المحدود من الأموال اللازمة لتمويل ما كان في الأساس مشروعًا منخفض التكلفة. كان التمويل الطارئ من وكالة إغاثة اللاجئين التابعة للأونروا مفيدًا للغاية للاجئين، وخاصة في مخيمات غزة، حيث تم فرض حظر تجول طويل بشكل متكرر ولم يتمكن المعيلون من الوصول إلى عملهم في إسرائيل. تم الاستيلاء على عدة مبالغ كبيرة من المال عند جسور الأردن، وكان لا بد من الإعلان عن المبالغ التي تزيد عن 1000 دولار. لم يبدو أن قطع خطوط الهاتف الدولية من الأراضي المحتلة مفيدًا أيضًا. إلى جانب الحجر والقنبلة الحارقة، أصبح جهاز الفاكس رمزًا للانتفاضة: تم استخدام الفاكسات على نطاق واسع لإرسال مسودات الوثائق - بما في ذلك المنشورات - إلى مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في أوروبا وقبرص، ومن هناك يمكن إرسالها إلى مقر المنظمة في تونس أو بغداد. استخدم أبو جهاد، قائد المنطقة الغربية في حركة فتح، شبكاته للتواصل مع سكان الأراضي المحتلة. لكن نادرًا ما كان هذا النشاط سريًا بالمعنى العملي التقليدي. بل شمل أفكارًا وأموالًا وعلاقات عامة، لا أسلحة وقنابل. وقد أجبر هذا النشاط الشاباك، كما لاحظ كاتبان إسرائيليان مرموقتان، على تغيير "جوهره... وهو الفرق بين جهاز الأمن والشرطة السرية".24 كانت الانتفاضة تجربة جديدة لكلا الجانبين، على الرغم من أن العادات القديمة قد تلاشى بصعوبة.

الموت في ليماسول
بينما كان جهاز الأمن العام (الشاباك) يُكافح الانتفاضة في الأراضي المحتلة، صعّد الموساد حربه السرية ضد منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج. في 14 فبراير/شباط 1988، وجّه ضربةً قاصمة إلى النواة الصلبة لعمليات فتح. أسفر انفجار قنبلة قوية زُرعت في سيارة فولكس فاجن جولف بميناء ليماسول القبرصي عن مقتل ثلاثة من كبار القادة العسكريين في المنظمة. كان من الواضح أن هذا العمل من عمل خبراء.
كان مروان كيالي عقيدًا في المجلس العسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية، برئاسة أبو جهاد. وذكرت مصادر منظمة التحرير الفلسطينية أن مهمته الرئيسية كانت تزويد الفلسطينيين في لبنان بكل شيء، من الخبز إلى الرصاص. وكان محمد بحيص مسؤولًا في مكتب الأراضي المحتلة التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، والذي كان أيضًا مسؤولًا أمام أبو جهاد، وكان مشاركًا عن كثب في الانتفاضة.

لكن افتُرض أن الهدف الرئيسي لتفجير ليماسول هو المقدم محمد التميمي، الذي يُفترض أنه مسؤول آخر في مكتب شؤون الأراضي المحتلة. كان التميمي، الملقب بـ "حمدي"، في الواقع رئيسًا لأحد أهم فروع فتح العملياتية والاستخباراتية، والمعروف باسم لجنة التجنيد 77، التي وصفها أحد الخبراء بأنها "النواة الأكثر سريةً ضمن منظومة سرية أصلًا". وكانت إحدى مهامها الرئيسية التنسيق مع حركة الجهاد الإسلامي في غزة. كان التميمي، المحترف الهادئ ذو أسلوب العمل المميز، مسؤولاً شخصياً عن التخطيط لمذبحة بيت هداسا التي راح ضحيتها ستة مستوطنين في عام 1980 وعن إلقاء القنابل اليدوية على الجنود عند حائط البراق في القدس في أكتوبر/تشرين الأول 1986. وكانت عمليات القتل التي وقعت في الخليل عام 1980، والتي أدت إلى إنشاء الحركة السرية للمستوطنين اليهود، بمثابة انتقام التميمي لاغتيال الموساد في قبرص لصديقه إبراهيم البرغوثي، رئيس "لجنة الخليل" التابعة للقيادة الغربية.25

لم تحظَ مجزرة ليماسول باهتمام يُذكر آنذاك، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى أن أسماء الضحايا لم تكن تعني شيئًا لأحد سوى عائلاتهم، وزملائهم في دوائر عمليات منظمة التحرير الفلسطينية، والمخابرات الإسرائيلية.

«لقد علّمنا التاريخ الحديث شيئًا عن الطريقة التي...»

قال النفي الإسرائيلي المعتاد: "إنّ الأفعال الفلسطينية المختلفة والجماعات المنشقة تُطابق حسابات بعضها البعض". وألمح ياسر عرفات، متحدثًا في الكويت، بقوة إلى أن إعلان القاهرة الذي أصدره بشأن الحد من الإرهاب قد يُعاد النظر فيه في ضوء الهجوم الإسرائيلي. وألقى باللوم على الموساد في الهجوم.26

لم يكن لدى أحد أي شك حول من كان مسؤولاً عن ذلك

الضربة التي جاءت في اليوم التالي. في 15 فبراير، عطّل لغم لاصق سفينة "سوي فراين" في ميناء ليماسول، منهيًا بذلك أكبر عملية علاقات عامة طموحة لمنظمة التحرير الفلسطينية على الإطلاق. كانت سفينة الركاب اليونانية قد شُيّدت لتكون "سفينة العودة" التي ستبحر إلى حيفا دعماً للانتفاضة؛ وكان من المقرر أن تكون بمثابة تذكير مزدوج، بحق الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم، وبقوارب اللاجئين اليهود التي خرقت الحصار البريطاني لفلسطين في أواخر الأربعينيات. كانت إسرائيل قد أوضحت بالفعل أنه لن يُسمح للسفينة بدخول مياهها الإقليمية، وفضلت بوضوح ضربة استباقية تحت الماء خالية من الإصابات على ما كان من السهل التنبؤ بأنه سيتحول إلى مشهد محرج ومُشبع إعلاميًا لحظة اعتراض سفينة منظمة التحرير الفلسطينية وإعادتها.

وكما كتب أحد المراسلين الغربيين:

يُقرّ الفلسطينيون على مضض بأن تفجيرات قبرص كانت بمثابة تحف فنية - عمليات جراحية دقيقة حققت أهدافها بسرعة ونظافة. ويُعربون عن إعجابهم المهني البالغ بدقة السيارة المفخخة المُتحكّم بها عن بُعد. فقد وُضعت كمية كافية من المتفجرات تحت مقعد السائق لقتل الرجال الثلاثة مع تجنب إيذاء الآخرين. وتأجّل التفجير حتى وصلت السيارة إلى جدار استنادي على أحد جانبي الممر وساحة مفتوحة على الجانب الآخر.

... وفي تونس

وكانت الضربة التالية التي وجهت إلى منظمة التحرير الفلسطينية أكثر أهمية بكثير.

في ١٦ أبريل ١٩٨٨، اغتالت قوات الكوماندوز الإسرائيلية أبو جهاد في منزله بتونس. كانت عملية وحشية لا مثيل لها.

تألق تقني يجمع بين الذكاء الشامل والتنفيذ الخالي من العيوب.
شكّل سبعة عملاء من الموساد، مستخدمين جوازات سفر لبنانية مزورة ويتحدثون اللهجة العربية المناسبة، فرقة الطليعة. أُجري الاستطلاع الدقيق لفيلا زعيم منظمة التحرير الفلسطينية والطريق إليها قبل ذلك بوقت طويل. استأجر عملاء الموساد المركبات الثلاث التي استُخدمت لنقل الكوماندوز - أعضاء وحدة الاستطلاع النخبوية التابعة للقيادة العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي - من الشاطئ حيث هبطوا في قوارب مطاطية انطلقت من قارب صاروخي كان ينتظر بأمان قبالة الشاطئ. كانت طائرة حرب إلكترونية من طراز بوينغ 707 تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي - وهي طائرة إسرائيلية الصنع تُعادل طائرة أواكس الأمريكية - تُحلق في المجال الجوي الدولي على مسار الرحلة "بلو 21" بين جنوب صقلية وشمال تونس، بمثابة مركز قيادة وتحكم، تربط فريق الاغتيال بسفينته الأم.
كان على متن الطائرة التي قادت العملية الجنرال إيهود باراك، رئيس الاستخبارات العسكرية السابق ونائب رئيس الأركان آنذاك. ومثّل الموساد نائب رئيس فرع العمليات التابع له. واستُخدمت معدات تشويش على الأرض لتعطيل الاتصالات الهاتفية واللاسلكية في منطقة سيدي بوسعيد، حيث كان أبو جهاد يسكن، مما ضمن للفريق المهاجم انسحابًا آمنًا بعد عملية القتل.
بالنظر إلى حجم العملية والمخاطر التي تنطوي عليها، فقد تم تنفيذها في مهلة قصيرة نسبيًا. طُرحت الخطة لأول مرة في 9 مارس، بعد ثلاثة أيام من استيلاء ثلاثة فلسطينيين تسللوا من مصر على حافلة مدنية في صحراء النقب، بالقرب من مفاعل ديمونا النووي، وقتل ثلاثة من ركابها قبل أن يموتوا في الهجوم الإسرائيلي الذي أعقب ذلك. وقال الإسرائيليون إن أبو جهاد كان قد خطط لذلك ولعشرات الهجمات الإرهابية الأخرى، بما في ذلك عملية أتافاريوس الفاشلة في أبريل 1985. وأُعطيت الموافقة النهائية على قتله يوم الأربعاء 13 أبريل، قبل ثلاثة أيام من تنفيذه.28 كانت غارة تونس مشابهة بشكل لافت للنظر للعملية التي أُطلق عليها اسم "ربيع الشباب" في أبريل 1973، عندما هبطت قوة كوماندوز أكبر، بقيادة عملاء الموساد مرة أخرى، في بيروت وقتلت ثلاثة من كبار رجال منظمة التحرير الفلسطينية.
اتبعت إسرائيل ممارساتها المعتادة ورفضت الاعتراف رسميًا

أنها مسؤولة عن عملية القتل. إلا أن الإنكار لم يُقنع أحدًا. وعندما سمحت الرقابة، خلافًا للعادة، بنشر تقارير صحفية عن الضحية والعملية، فُهم ذلك على نطاق واسع على أنه تأكيد. لم يُقلل الموساد، المسؤول عن استهداف قادة منظمة التحرير الفلسطينية وإعداد ملفاتهم النفسية، من شأن أبو جهاد. فقد أظهر اختبار خطي سري أُجري على عينة من خط يده قبل خمس سنوات أنه مثالي.
عالم ذو ذكاء عالٍ وعقل دقيق وتحليلي.29 أنا
ومن غير المعتاد أيضًا أن يلقى مقتل أبو جهاد ترحيبًا كبيرًا. \ل
انتقادات علنية. قال عزرا وايزمان، العضو الأكثر "حمائمية" في مجلس الوزراء: "نحاول إيجاد فلسطينيين للتحدث معنا. نحاول إقناع الولايات المتحدة بالجمع بين الجانبين. لا أعتقد أن الاغتيال يُسهم في ذلك. تصفية الأفراد لن تُعزز عملية السلام". وأشار وايزمان إلى أن عملية اغتيال تونس جاءت في وقت بدت فيه

الانتفاضة في طور الانحسار نتيجةً للإرهاق الفلسطيني والإجراءات الإسرائيلية المضادة الصارمة غير المسبوقة. لم يتردد وايزمان في إطلاق النار على قادة الإرهاب. لكنه، كغيره من الليبراليين الإسرائيليين، أدرك أن أبو جهاد، الذي كان ينتمي إلى الجناح اليميني في منظمة التحرير الفلسطينية، والذي مثّل ذلك المزيج الغريب من العنف والبراغماتية الذي جعل التعامل مع المنظمة صعبًا أخلاقيًا وعمليًا، ربما كان، في ظل الظروف المناسبة، رجلًا ذا وعود.

وزعم آخرون أن من الأفضل التحدث إلى الشخص

أعداءنا بدلًا من مجرد قتلهم. وكما كتب يوئيل ماركوس، كاتب عمود في صحيفة هآرتس:

قد تُشعرنا عملية أبو جهاد بالسعادة، وقد تُحسّن من غرورنا، لكنها في حد ذاتها لا تُعالج فعليًا المشاكل الجسيمة التي يُفترض أن تُعاني منها هذه البلاد. إن مقتل أبو جهاد مثالٌ رمزيٌّ على ما يحدث لنا. لقد كانت عمليةً صُنعت لفيلمٍ يُثير الحنين إلى أيام الغارات العقابية المُذهلة، لأنها لا تُقدم لنا قيد أنملةٍ نحو حل المشاكل التي أنتجت هذا "الأبو" أو ذاك.

لم تكن للقتل أي نتائج واضحة على المدى القصير. ما يهم هو

كانت الرسالة التي أُرسلت: مزيج من ذراع إسرائيل الطويلة والقاتلة مع إضافة مفيدة تتمثل في إثارة الخوف والشك في الجواسيس والخونة في صفوف الفلسطينيين. صرّح أمنون شاحاك، رئيس جهاز أمن، في يونيو/حزيران: "أعتقد أن الأمر سيستغرق بعض الوقت حتى يقوم آخرون بجميع الأدوار التي أدّاها. أشك في أنهم سيؤدونها بنفس الكفاءة، فلنسمّها..."

الاستجوابات. وقيل إن التظاهر بأن السجين أو المحتجز أصبح مخبرًا لتعريضه لانتقام زملائه السجناء كان أسلوبًا شائعًا.33

وكانت المحكمة العليا للعدل قد قضت في يوليو/تموز 1986 بأن

كان لسلطات السجن الحق في إبقاء السجين في الحبس الانفرادي

الحبس من أجل سلامته، حتى لو لم يكن السجين أنا!

"الكفاءة أو الجودة التي نفذ بها أبو جهاد هذه العمليات."30

أراد أن يكون معزولًا ولم يشعر بأي خطر من رفاقه.

ل:ي

واعترف مسؤولون آخرون في وقت لاحق بشكل خاص بأن تأثير القتل كان أقل بكثير من المتوقع.31

حماية المصادر

من أكبر الصعوبات التي واجهت جهاز الأمن العام (الشاباك) مع استمرار الانتفاضة، سلسلة الهجمات على شبكة عملائه. كان الفلسطينيون أنفسهم يدركون أكثر من العالم الخارجي مدى اعتماد الإسرائيليين عليهم للحصول على المعلومات، سواء في السجن أو خارجه، وسرعان ما استهدفت اللجان الشعبية و"القوات الضاربة" التي انتشرت في أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة المشتبه بهم.
لاحظ الفلسطينيون، كما لاحظ الإسرائيليون، الطريقة التي تُغسل بها بعض غسيلات جهاز الأمن العام القذرة في سياق فضيحة الحافلة رقم 300. في أوائل عام 1987، قبل أشهر من اندلاع الانتفاضة، نُشرت نشرة عربية غير موقعة من أربع صفحات، وُزِّعت في مخيم بلاطة للاجئين في نابلس، تضمنت تفاصيل عن أساليب جهاز الأمن العام (الشاباك) وكيفية تجنب الوقوع ضحية لها.32
أُولي اهتمام خاص للإيقاع الجنسي، حيث تُلتقط صور لشابات في أوضاع مُحرجة، ثم تُستخدم لابتزازهن ودفعهن للتعاون. حُذِّرت النساء من ارتياد محلات الملابس وصالونات التجميل التي لا يعرفن أصحابها، خشية تركيب كاميرات خفية في غرف الملابس أو استخدام المخدرات على ضحايا غافلات. كان التهديد بنشر مثل هذه الصور سلاحًا قويًا بلا شك في مجتمع مسلم تقليدي. كان بإمكان الشاباك استغلال زيارات الإدارة المدنية للحصول على تراخيص أو تصاريح، وكذلك عمليات التفتيش واسعة النطاق.

قرر محمد حماد، وهو مُخبر معروف، إصلاح سلوكه، لكنه عوقب على ذلك ووُضع في الحبس الانفرادي. ويبدو أن الدرس المستفاد هو: "تريد السلطات أن يبقى المتعاون متعاونًا، وتريد إخفاء حقيقة أن للمتعاونين طريقًا للعودة."34
لقد منحت قضية الحافلة رقم 300 بعض المصداقية لمؤلفي هذه المنشورات المجهولة، وإذا بالغوا في تصوير مكر أو وحشية عدوهم الإسرائيلي، فإن اتهاماتهم على الأقل تستحق دراسة جادة. واتهمت نشرة أخرى صدرت في الفترة نفسها جهاز الأمن العام (الشاباك) أو عملاءه بمقتل سبعة فلسطينيين عُثر عليهم قتلى في ظروف غامضة.
كانت هناك عدة حالات معروفة متشابهة بشكل لافت للنظر. بلال نجار،
كان طالبًا في جامعة النجاح في نابلس قد اختفى في أبريل 1984 وعُثر على جثته مقطوعة الرأس بعد أسبوعين. ادعت الشرطة أنه توفي أثناء التعامل مع المتفجرات. وأفادت التقارير أن رجلين آخرين لقيا حتفهما بنفس الطريقة بالقرب من نابلس في يوليو 1985. وقد قُدِّم نفس التفسير لوفاة حسن الفقية من قطنا في أكتوبر 1985، على الرغم من أن العديد من الفلسطينيين وجدوا هذا التفسير لا يُصدق. كان الفقية، نصف أعمى وشبه مشلول، صحفيًا كان يعمل على القضية الحساسة المتمثلة في مبيعات الأراضي للإسرائيليين في الضفة الغربية. وقد تعرض للتهديد من قبل فلسطينيين من بيت سوريك القريبة، حيث تم بيع الكثير من الأراضي للإسرائيليين. قُتل رجل آخر من قطنا، عيسى شماسنة، في ظروف مماثلة في أغسطس 1986. وبعد شهر، قُتل حسن عليان، وهو سجين سابق من غزة، في انفجار أثناء عمله في حقوله. كان قد اصطحب والدته معه، مما يشير إلى أن محاولة تحضير قنبلة غير محتملة. وذكرت مصادر فلسطينية أنه حُذِّر

من قِبل جهاز الأمن الداخلي (الشاباك) لوقف أنشطته السياسية. تلقى صحفي أمريكي سأل "مسؤولًا رفيع المستوى" لم يُذكر اسمه عن بعض هذه الحالات والشكوك حول وجود شبهة جنائية إجابةً مُغرية: "ربما يكون بعض من فجّروا أنفسهم"
أثناء تحضير القنابل، تلقيتُ بعض "المساعدة". وماذا في ذلك؟ أفضل ألا أعرف.
سرعان ما أصبح التعاون بندًا مهمًا على جدول أعمال الانتفاضة. مع اندلاع الانتفاضة، بدأت إذاعة "القدس"، التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة، والتي تبث من جنوب سوريا، ببث أسماء وعناوين المشتبه بهم بالتعاون بانتظام. وبحلول أبريل/نيسان 1989، كان ثلث الهجمات، البالغ عددها 2700 هجوم، التي نُفذت منذ بدء الانتفاضة، قد استهدفت مخاتير ورؤساء بلديات وغيرهم من المشتبه بهم بالتعاون.3 7
وكما أشار أحد الصحفيين الأجانب:
لطالما كان المتعاونون جزءًا لا يتجزأ من المشهد السياسي والاجتماعي في الضفة الغربية، وكذلك الوسطاء العرب ذوو الصلات الوثيقة الذين يُرتبون، مقابل أجر، تصاريح البناء والسفر للسكان، ومسؤولو الشرطة أو البلدات العربية المحلية الذين يقودون رجال الشاباك بعد منتصف الليل إلى منازل المستهدفين بالاعتقال... بالنسبة للعديد من الفلسطينيين، تبدو الحياة تحت الاحتلال سلسلة متواصلة من الاختناقات. في كل اختناق يقف عميل شاباك يملك سلطة الموافقة أو الرفض. كل من يرغب في شراء أرض، أو بناء ملحق لمنزله، أو بدء مشروع تجاري، أو السفر إلى الخارج، يجب أن يكون لديه...
تصريح أو وثيقة. غالبًا ما يكون الثمن ... هو الرغبة في تقديم المعلومات.18
وكان النظام واسع النطاق وفعالاً: فعلى سبيل المثال، كان على المعلمين في الضفة الغربية الذين يسعون إلى الحصول على عمل في المدارس العربية في القدس الشرقية أن يحصلوا على شهادة صحية نظيفة من جهاز الأمن العام (الشاباك).39
كان التعاون موضوعًا مؤلمًا للفلسطينيين، مع أن بعضهم وجد العزاء في كونه ظاهرة شائعة في جميع الاحتلالات الأجنبية، وظاهرة كانت فيها الظروف الفردية، أكثر بكثير من الأيديولوجية، العامل الحاسم.
وكما كتب المؤرخ البريطاني ريتشارد كوب في دراسته الرائعة عن برانس خلال الحرب العالمية الثانية:
في كثير من الأحيان، لا يوجد سوى خط رفيع للغاية بين الالتزام بالتعاون أو المقاومة أو الديجولية؛ ولا ينبغي لنا أن نستبعد الالتزام بالتعاون أو المقاومة أو الديجولية.

ج
عناصر الحظ والصدفة، وخاصة في يانصيب زمن الحرب الذي يولي أهمية خاصة لعدم القدرة على التنبؤ والذي قد يوزع، بحيادية عمياء، الرقم الفائز أو بطاقة الموت في التاروت.

إعدام في قباطية

في بعض الحالات، وخاصة في القرى النائية، طُرد المتعاونون ببساطة من قبل فلسطينيين آخرين وأُجبروا على البحث عن ملجأ في المدن أو في المجتمعات العربية داخل الخط الأخضر. حدث هذا في اليامون،

بالقرب من جنين، في وقت مبكر من يناير 1988. جاءت نقطة تحول في قباطية، شمال نابلس، في 24 فبراير 1988، عندما قُتل أحد المتعاونين "الثقيلين"، محمد عياد، وعُلقت جثته على عمود كهرباء.41 كان عياد، الذي جُند عادةً من قبل جهاز الأمن العام (الشاباك) في أواخر الستينيات أثناء وجوده في السجن بتهمة أمنية، معروفًا على نطاق واسع بعمله لصالح الإسرائيليين وكثيراً ما كان يتباهى بذلك. قبل ستة أشهر، حاول أحدهم زرع قنبلة في سيارته، لكنه طارد الجناة باستخدام مدفع رشاش عوزي الذي كان مرخصًا له بالاحتفاظ به لحمايته. قُتل عياد بعد أن أطلق النار على حشد معادٍ، مما أسفر عن مقتل طفل وإصابة العديد من الآخرين. تم اعتقال أكثر من تسعين شخصًا واتهامات لهم بالمشاركة في ما أصبح يُعرف بـ "مذبحة قباطية".

بعد ذلك، واستجابةً لدعوة من المسجد المحلي، سلّم عدد من المتعاونين الآخرين أسلحتهم أو دمّروها علنًا، وأقسموا على القرآن ألا يعملوا لصالح إسرائيل مجددًا. ووردت أنباء عن حوادث مماثلة في جنين وطولكرم. وفي بيت ساحور، وهي بلدة مسيحية مزدهرة قرب بيت لحم، توسل المتعاونون للمغفرة في صلوات الكنيسة. z4 بذل بعض التائبين جهودًا كبيرة لإثبات إصلاحهم لسلوكهم: فقد وردت تقارير عن عدة حالات لمتعاونين سابقين شاركوا بحماس في هجمات على أفراد من قوات الأمن. أطلق أحد هؤلاء الرجال من قرية عرابة بالضفة الغربية النار على شرطيين وأصابهما قبل أن يُقتل هو نفسه. 43 وكان جهاز الأمن الداخلي (الشاباك) قد حذر من احتمال...

وقد تم إلقاء اللوم على الجيش بسبب بطء تحركه لإنقاذ عياد ومنع ما وصفه أحد الخبراء بأنه "أخطر تطور منذ اندلاع الانتفاضة".44

تم الاستجابة سريعًا لتحذير قباطية. ووُضعت وحدات الانتشار السريع على أهبة الاستعداد لمساعدة المتعاونين في حالات الطوارئ. وجُهز بعضها بأجهزة إرسال لاسلكية أو خطوط هاتف خاصة متصلة بأقرب مقر للجيش.45 في مارس/آذار 1988، فجّر الجيش ثلاثة منازل في بديا، قرب نابلس، بعد هجوم على متعاون مشتبه به. وصرح العميد شايك إيرز، قائد الإدارة المدنية في الضفة الغربية: "سنبذل قصارى جهدنا لحماية الجميع. سنرد فورًا على من يحاول مهاجمتهم، وسنحاسب المهاجمين لاحقًا. لقد فجّرنا منازل بديا لتوضيح للقرية بأكملها أننا لن ندع الفوضى تسود في يهودا والسامرة، وأننا لن نسمح بإيذاء من يعملون معنا".46

كان العديد من المتعاونين أعضاءً سابقين في رابطة القرى، التي تأسست في أواخر سبعينيات القرن الماضي، وتعززت عندما كان أرييل شارون وزيرًا للدفاع عام ١٩٨١، في محاولة فاشلة لتحريض المناطق الريفية الأكثر تخلفًا في الضفة الغربية ضد البلدات التي تسيطر عليها منظمة التحرير الفلسطينية - وهي ملحقة بالاستراتيجية الكبرى التي كان غزو لبنان محورها. في منتصف أغسطس، أطلق تحسين منصور، رئيس الرابطة في منطقة طولكرم ومختار عزون المجاورة، النار على شبان رآهم على وشك إلقاء زجاجات حارقة على مركبات إسرائيلية.٤٧ وبعد عشرة أيام، رُشقت سيارته بالحجارة، فأطلق النار، مما أدى إلى إصابة شاب في الحشد.٤٨ وفي قرية مسيحية بمنطقة جنين، أرهب رجل من رابطة القرى وابنه سكانًا آخرين لأشهر متواصلة باستخدام رشاشيهما من طراز "عوزي".٤٩

في مارس/آذار 1988، اتخذت الانتفاضة خطوةً دراماتيكيةً عندما بدأ الموظفون الفلسطينيون في الإدارة المدنية بالاستجابة لدعوات منظمة التحرير الفلسطينية للاستقالة من مناصبهم "والتوقف عن خيانة

شعبهم قبل فوات الأوان". وهنا أيضًا لعب العنف والترهيب دورًا. بحلول منتصف الشهر، وبعد مقتل شرطي عربي قرب أريحا، كان نصف رجال الشرطة العرب في...

استقالت الضفة الغربية وقطاع غزة، واستقال جباة الضرائب أيضًا.
وفي شهر إبريل/نيسان هدد القائم بأعمال رئيس بلدية نابلس بالاستقالة.
في يونيو/حزيران، طعن أحدهم رئيس بلدية البيرة، وهو واحد من حوالي اثني عشر فلسطينيًا عيّنهم الإسرائيليون ليحلوا محل القوميين الذين استقالوا أو فُصلوا في السنوات السابقة. كما ترأس إسرائيليون حوالي خمسة وثمانين مجلسًا قرويًا.
المعينين.
استمرت الهجمات. في أواخر أغسطس 1988، قام أحد المتعاونين
قُتل طعنًا في يطا قرب الخليل. وقُتل أربعة آخرون في سبتمبر/أيلول، من بينهم أسعد أبو غوش، وهو من نابلس وسجين سابق يُعتقد على نطاق واسع أنه مخبر لجهاز الأمن العام (الشاباك). وتُركت جثة نابلسي آخر، ملطخة بالدماء، معلقةً بخطاف في قلب حي القصبة القديم. وفي أكتوبر/تشرين الأول، قُتل متعاونان آخران، أحدهما مختار بديا. وكانت هذه ثالث محاولة اغتيال له. أما الضحية الأخرى في ذلك الشهر، فقد قُتلت بالرصاص في مدينة أم الفحم العربية الإسرائيلية، حيث فرّ من قريته في الضفة الغربية بعد أن أطلق النار عندما رُشقت سيارته بالحجارة.
وكان من بين الآثار الأخرى للهجمات ضد المتعاونين:
كشف المزيد عن بعض الأساليب الأكثر بشاعة التي استخدمها جهاز الأمن العام (الشاباك) لتجنيدهم. قبل الانتفاضة، لم تُذكر هذه الأساليب إلا في منشورات سرية محدودة التداول. ولكن بعد اندلاعها، زعم فلسطينيون في نابلس، حيث كان قائد جهاز الأمن المحلي، المعروف باسم "أبو شوقي"، معروفًا، مرارًا وتكرارًا أن هذه الأساليب شملت الإيقاع الجنسي والابتزاز، بالإضافة إلى استخدام تجار المخدرات وعناصر إجرامية أخرى. وُجّهت تهم واسعة النطاق إلى بائعتي هوى قُتلتا بوحشية في المدينة في أبريل/نيسان ويونيو/حزيران 1989، بالعمل لصالح جهاز الأمن العام (الشاباك) وتجنيد فتيات صغيرات للعمل كمخبرات.
ومن الأمثلة النموذجية على ذلك حالة مسلم الشرباتي، وهو من جيرو الشرقية
سالم مان. أُلقي القبض عليه في مارس/آذار ١٩٨٨، وادعى أنه مُعرَّض للترحيل لرفضه التعاون مع جهاز الأمن العام. غادر شرباتي إلى الأردن عام ١٩٧٦، وقضى عقوبة بالسجن بتهمة حيازة المخدرات، ثم عاد إلى إسرائيل عام ١٩٨٥. سعيًا لتجديد تصريح إقامته، أُرسل إلى

مقر شرطة المسكوبية في القدس، حيث أخبره أحد عناصر الشاباك، ويُدعى "أبو سمير"، أنه لا يمكنه البقاء في البلاد إلا إذا وافق على العمل كمخبر. رفض أبو سمير ذلك، فاضطر إلى المغادرة مجددًا إلى الأردن. وعندما عاد إلى القدس عام ١٩٨٧، اعتُقل واستأنف الحكم أمام المحكمة العليا.
أُلقيت نظرة فاحصة على هذا الموضوع المُريب في أكتوبر/تشرين الأول 1989، عندما أُلقي القبض على رجل من غزة يُدعى محمد حلبي، وهو تاجر مخدرات وقواد معروف، بتهمة قتل سبعة أشخاص في عالم الجريمة الغامض في أحياء يافا الفقيرة وجنوب تل أبيب. كان حلبي، وهو من سكان مخيم جباليا، يعمل

مُخبرًا لدى جهاز الأمن العام (الشاباك)، وقد أعلنت الشرطة أن جهاز الأمن أخطأ بمنحه الإذن بالإقامة داخل إسرائيل بعد كشف هويته.51

جاءت الهجمات على المتعاونين على شكل موجات. سُجِّل ما لا يقل عن عشرين حالة في أبريل/نيسان 1989 وحده، وانتهت ثمانية منها على الأقل بالموت؛ ومن شبه المؤكد أن حالات أخرى لم تُبلَّغ عنها. وقد حدّد المنشور رقم 38 الصادر عن القيادة الموحدة للانتفاضة يوم 26 أبريل/نيسان "يوم محاسبة" للمتعاونين. وشملت قائمة المستهدفين في ذلك الشهر أعضاء المجالس البلدية أو المحلية المعينين من قِبَل إسرائيل، وموظفي الإدارة المدنية، والمخاتير، وسائقي الحافلات أو سيارات الأجرة الذين ينقلون الفلسطينيين للعمل في إسرائيل، وموظفًا في إذاعة إسرائيل، وعددًا من الأشخاص العاديين الآخرين المتهمين بالعمل مع السلطات.

حدد النشطاء الفلسطينيون عدة فئات مميزة من المتعاونين: تجار الأراضي، وعملاء الشاباك، ومخبرو الشرطة، والأشخاص الذين حافظوا على اتصال بالإدارة المدنية، والمخاتير، وغيرهم من المسؤولين المعينين من قبل إسرائيل.52 وبشكل عام، كانت هذه مناصب غير مرغوب فيها. قال أحدهم: "إسرائيل تعامل المتعاونين كالليمون: تعصرهم حتى آخر قطرة، وعندما لا تستطيع الاستفادة منهم، تتخلص من قشرتهم".53 واشتكى آخر: "حتى بداية هذه الانتفاضة، لم يجرؤ أحد على إيذائنا. كانت السلطة في أيدينا وكانوا يخافون منا. ولكن منذ بدء الانتفاضة، لا نعرف أين نقف". أصبح بعض المتعاونين "ذوي الوزن الثقيل" أكثر عدوانية كلما زاد عدم اليقين.

كان المستقبل متطلعًا. ففي يوليو/تموز 1989، دخلت مجموعة من العملاء المسلحين قرية يعبد قرب جنين وفرضت حظر التجول.55

في بعض الحالات، كان اتهام التعاون ببساطة ذريعةً لتصفية الحسابات الشخصية أو الجنائية. إلا أن اللجان الشعبية أو قوات الإضراب، المكلفة بمعاقبة المتعاونين، نفت بشدة العديد من مزاعم الاغتصاب. ووجدت صحيفة إسرائيلية أن اتهامات الاعتداء الجنسي على العاهرات اللواتي قُتلن لاحقًا في نابلس وغزة لا أساس لها من الصحة، وأنها على الأرجح كانت تضليلًا متعمدًا، يهدف إلى تشويه صورة الانتفاضة. 56

ربط بعض المراقبين موجة الهجمات في ربيع عام 1989 بحقيقة أنه مع سحب الجيش لبعض قواته واعتماده بشكل أقل على الوجود الفعلي وأكثر على جمع المعلومات الاستخباراتية التقليدية واستخدام وحدات عسكرية سرية خاصة، تم إعادة تنشيط شبكات مخبري الشاباك أو توسيعها. عندما غادر الجيش إذنا، بالقرب من الخليل، في فبراير 1989، احتج العديد من المتعاونين وحذر المستوطنون اليهود الذين يعيشون في الجوار الشاباك من أن العواقب قد تكون وخيمة. كتب أحد المراسلين الغربيين: "بما أن هؤلاء [المتعاونين] يشكلون تهديدًا قاتلًا محتملاً، فإنهم يواجهون عقوبات أشد من شعبهم".57 وفي محاولة للحد من هذه الظاهرة، بدأ الجيش بشكل منهجي في مطاردة النشطاء الذين هاجموا المتعاونين. وقد أنكرت إسرائيل وجود فرقتي موت تابعتين لجيش الدفاع الإسرائيلي أطلق عليهما اسم "تشيري" (دوفدفان) و"شمشون" (تعملان في الضفة الغربية وقطاع غزة على التوالي)، ولكن الصحف الإسرائيلية وثقت عدة حالات لاستخدام مركبات مدنية غير مميزة وغير مسجلة في عمليات خاصة.58 وبحلول ديسمبر/كانون الأول 1989، بعد عامين من اندلاع الانتفاضة، كان قد قُتل ما لا يقل عن 150 فلسطينياً بتهمة التعاون، سواء كان ذلك متخيلاً أو حقيقياً.

جنود المشاة في الانتفاضة
كانت الانتفاضة ظاهرة غير مألوفة للإسرائيليين. فباستثناء الأشهر القليلة الأولى بعد حرب عام ١٩٦٧، كانت هناك

لم يكن هناك ما يضاهي المقاومة والتعبئة الجماهيرية، ورغم وجود فترات من الهدوء النسبي وانخفاض في عدد المظاهرات الحاشدة، إلا أن سياسة القبضة الحديدية التي وضعها إسحاق رابين لم تُجدِ نفعًا. قال مسؤول أمني كبير: "هذا ليس كغزة عام ١٩٧٠، عندما كانت هناك قائمة بـ ٣٠٠ مطلوب، وشطب شارون ورجاله أسماءهم واحدًا تلو الآخر حتى وصلوا إلى النهاية". "هذا...
حركة جماهيرية، وعندما يُشطب اسم، يحل محله اسم أو اثنان آخران.59 أدرك الجميع هذه الحقيقة الأساسية بسرعة. قال ضابط مخابرات في فرقة الأقليات بشرطة القدس - التي تعاونت بشكل وثيق مع الشاباك ونفذت اعتقالات نيابةً عنه: "حتى اندلاع الانتفاضة، لم نكن بحاجة إلى مرافقة من شرطة الحدود لدخول القدس الشرقية. كان علينا فقط أن نظهر، اثنان أو ثلاثة منا، ليعبر الناس إلى الجانب الآخر من الشارع".
الآن الأمور مختلفة. إنهم ليسوا خائفين، وهذا يشمل الجميع، وخاصة الأطفال.
صلاح موسى، شاب فلسطيني من جنين يبلغ من العمر تسعة عشر عامًا، كان نموذجًا يُحتذى به للجيل الذي نشأ تحت الحكم الإسرائيلي وأصبح من نشطاء الانتفاضة الشباب. عمل في إسرائيل وانضم إلى صفوف الشبيبة. في يونيو/حزيران 1988، طلبت منه اللجنة الشعبية المحلية تشكيل خلية صغيرة، وأعطته تعليمات عامة بكتابة شعارات وتوزيع منشورات والمساعدة في تنظيم هجمات على المتعاونين - وهي واحدة من مئات المجموعات المماثلة التي عُرفت باسم "القوات الضاربة". عندها لفت انتباه الشاباك كمثير شغب محتمل. ما فعله لا يمكن تصنيفه على أنه نشاط سري. لم تكن هناك أسماء سرية، ولا "تقسيمات"؛ وعندما قرر موسى التصرف، كل ما كان عليه فعله هو التوجه إلى الزاوية لجمع أصدقائه. في 30 أغسطس/آب 1988، ألقى هو وخمسة آخرون قنابل حارقة على منازل عدد من السكان المحليين المعروفين بتعاونهم مع الإدارة المدنية. في 15 سبتمبر/أيلول، دمروا محلًا لصاحب متجر اتُهم ببيع منتجات إسرائيلية ومخالفة منشورات القيادة الوطنية الموحدة. وبعد شهر، اعتدوا على شرطي عربي تحدى أوامر الاستقالة، ثم هاجموا سائقًا إسرائيليًا وأصابوه بجروح في حادث عرضي.

حينها انضم موسى رسميًا إلى قائمة المطلوبين لدى الشاباك. أُلقي القبض عليه في أوائل ديسمبر/كانون الأول، مع سبعة شبان آخرين من جنين.61
بحلول نهاية العام الأول من الانتفاضة، كان جهاز الأمن العام يتفاخر بإلقاء القبض على منفذي جميع الهجمات تقريبًا، سواءً ضد المتعاونين أو الإسرائيليين. وبدأ جهاز الأمن العام، بمساعدة إعلامية بسيطة من

الصحفيين المحليين المقربين،62 يستعيد رباطة جأشه. وفي خروج نادر عن الممارسة المعتادة (استخدام المصطلح العام والمضلل "قوات الأمن" أو "الأجهزة الأمنية")، سمح الرقيب العسكري، بل وشجع، على ما يبدو، على ذكر اسمه الرسمي، جهاز الأمن العام، كاملًا.
في أوائل ديسمبر/كانون الأول 1988، وقبل يوم من الذكرى السنوية الأولى لاندلاع الانتفاضة، شكر رابين علنًا رئيس الشاباك المجهول الهوية على كشفه ما يقرب من تسعين هجومًا واعتقاله أكثر من 600 شخص في شهري أكتوبر/تشرين الأول ونوفمبر/تشرين الثاني وحدهما. كان نشر نص رابين المُبالغ فيه خطوةً غير مألوفة، اعتُبرت مُصممة لرفع معنويات الشاباك والترويج لقدرته الرادعة. كتب رابين: "أراك في عملك اليومي، في أزقة نابلس، وطولكرم، وغزة، وخان يونس. أتابع جهودك، وجرأتك، وعزيمتك، وشجاعتك، بالإضافة إلى حنكتك وذكائك في القبض على القتلة والإرهابيين".
كان التفصيل التنظيمي للأرقام التفصيلية الصادرة عن وزارة الدفاع كاشفًا للغاية: تم اكتشاف ثلاثة وتسعين "خلية إرهابية" من 1 أكتوبر إلى 30 نوفمبر. كان هناك 62 في الضفة الغربية، و27 في قطاع غزة و4 داخل إسرائيل نفسها. ومن بين هذه الخلايا الثلاث والتسعين، كانت 29 خلية تابعة لفتح، وخمس للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وثلاث للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وخمس لحماس، وثلاث للجهاد الإسلامي، وواحدة لأبو نضال. ووُصفت الخلايا السبع والأربعون المتبقية - أي ما يقرب من النصف بالضبط - بأنها "محلية". وقد شهدت هذه الإحصائية، أكثر من أي شيء آخر، على الطبيعة الشعبية الفريدة للانتفاضة. لقد أصبح الجزء الأكبر من المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلي مستقلاً عن منظمة التحرير الفلسطينية وهياكلها التنظيمية. إن محاربة هذه المقاومة تعني محاربة شيء أكبر بكثير مما واجهه جهاز الأمن العام (الشاباك) أو الجيش أو أي شخص آخر من قبل.

السياسة والاستخبارات والانتفاضة

لم يكن الطابع الجماهيري للاضطرابات هو ما جعل الانتفاضة مختلفة عن أي تحدٍّ سابق للحكم الإسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة فحسب، بل أطلقت الانتفاضة سلسلة من الأحداث التي غيّرت الطابع السياسي للقضية الفلسطينية بشكل جذري وغير متوقع. عززت هذه التغييرات بدورها روح المقاومة الفلسطينية، وكبحت قدرة إسرائيل على سحقها، وحافظت على ديناميكية بدا فيها مزيج إسرائيل التقليدي، الذي استمر لعشرين عامًا، من الترغيب والترهيب، والأمن والتعاون، غير فعال بشكل متزايد.
جاءت أولى محطاته في نهاية يوليو/تموز 1988، عندما قطع الملك حسين، ملك الأردن، علاقاته بالضفة الغربية. وكان غضب الملك على منظمة التحرير الفلسطينية قد تزايد منذ انهيار اتفاق عمّان في فبراير/شباط 1986، وقد تجلى ذلك في إغلاق مكاتب فتح لاحقًا وطرد أبو جهاد إلى تونس البعيدة.
بدا إلغاء خطة الأردن التنموية الطموحة للضفة الغربية، وقراره حل البرلمان وإنهاء تمثيل سكان الضفة الغربية، انتصارًا للانتفاضة، واعترافًا نهائيًا، وإن كان على مضض، من عمّان، بانعدام أي "خيار أردني" للسلام مع إسرائيل. وكانت الرسالة أن منظمة التحرير الفلسطينية ستضطر في المستقبل إلى المضي قدمًا بمفردها.
في نوفمبر/تشرين الثاني 1988، أسفرت الانتخابات العامة الإسرائيلية عن تشكيل حكومة وحدة وطنية أخرى، ولكن هذه المرة دون اتفاق التناوب الذي نتج عن الجمود السياسي عام 1984. وبعد أسابيع من مفاوضات ائتلافية شاقة ومعقدة، تولى إسحاق شامير، زعيم الليكود، منصب رئيس الوزراء مرة أخرى،

بينما اختار شمعون بيريز، زعيم حزب العمل، وزارة المالية. أما وزارة الخارجية، فقد مُنحت لموشيه أرينز، زعيم الليكود، الذي لم يكن أكثر مرونة من شامير بشأن مستقبل الضفة الغربية.
في 15 نوفمبر/تشرين الثاني، وبينما كانت مفاوضات الائتلاف لا تزال جارية، انعقد المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر وأعلن من جانب واحد استقلال فلسطين.

دفن حزب العمال خلافاته لرفض هذا الأمر باعتباره حيلة علاقات عامة، رغم أن أكثر من خمسين دولة، بما فيها الاتحاد السوفيتي، اعترفت بالدولة الوهمية بحلول نهاية الشهر. دعا البيان السياسي للمجلس الوطني الفلسطيني إلى حل شامل قائم على حدود ما قبل عام 1967. مثّل ذلك أوضح مؤشر على الإطلاق على أن منظمة التحرير الفلسطينية سترضى بدولة في الضفة الغربية وقطاع غزة. في ديسمبر، واصل ياسر عرفات حملته السلمية الاستثنائية، وألقى كلمة في جلسة خاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة في جنيف، بعد أن أقنعت إسرائيل الولايات المتحدة بعدم منحه تأشيرة دخول إلى مقر الأمم المتحدة في نيويورك.
في جنيف، غيّرت منظمة التحرير الفلسطينية مواقفها - ليس بما يكفي لإرضاء إسرائيل، بل بما يكفي لإقناع الولايات المتحدة. قررت واشنطن أن منظمة التحرير الفلسطينية قد استوفت أخيرًا الشروط التي وضعها هنري كيسنجر عام ١٩٧٠؛ وأن عرفات، بعد أن ندد بالإرهاب وقبل قراري الأمم المتحدة ٢٤٢ و٣٣٨، اللذين فُسِّرا عمومًا على أنهما اعتراف بإسرائيل، يمكنه المشاركة في عملية السلام الإقليمية. جاء القرار الأمريكي بمثابة صفعة موجعة لإسرائيل، ليس فقط للحكومة المنتهية ولايتها في القدس، بل أيضًا لتقليدٍ ممتدٍّ لأربعين عامًا من محاولة حل الصراع مع العرب مع الجميع باستثناء الفلسطينيين أنفسهم.
مع أن منظمة التحرير الفلسطينية لم تكن هي البادئة بالانتفاضة، ورغم افتقارها للسيطرة الكاملة عليها، إلا أن الانتفاضة كانت أثمن رصيد سياسي للمنظمة. فقد أصبحت، على حد تعبير خبير إسرائيلي ثاقب البصيرة، "بديلاً عن خسارة معقلها اللبناني".63 وبدا أن إسرائيل عاجزة عن إيقافها. وبدأت الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية "حوارًا جوهريًا" قبيل عيد الميلاد.

"خداع ضخم"؟

مع استمرار الانتفاضة وبدء منظمة التحرير الفلسطينية بتحقيق نجاحات دبلوماسية، بدأت تُطرح في إسرائيل أسئلة مألوفة حول العلاقة بين الاستخبارات وصنع السياسات. هل كانت الانتفاضة الفلسطينية وتداعياتها بعيدة المدى...

عواقب مثال آخر على خطأ استخباراتي أو سهو، حدث كان ينبغي أو كان من الممكن توقعه؟ يوئيل بن بورات، الذي لا يزال يسعى جاهداً لنشر كامل لدروس المهدل العظيم لعام 1973، اعتقد أنه كان كذلك: "الانتفاضة"، كما جادل الضابط السابق في أمان، "مفاجأة مفاهيمية هاجمت بقايا الغطرسة والغرور التي سادت في إسرائيل عشية حرب يورن كيبور".64 ومع ذلك، ظل من غير الواضح تمامًا أين تقع المسؤولية الدقيقة عن التقييم الاستخباراتي المتعلق جزئيًا على الأقل بمنطقة خاضعة للحكم الإسرائيلي. يعتقد العميد حاييم يافيتس، وهو ضابط كبير في أبحاث أمان في أواخر السبعينيات، أن الأمر كان من وظيفة الشاباك أو الإدارة المدنية. هل كانت مهمة المخابرات العسكرية التنبؤ بوجود منظمة سرية يهودية جديدة؟ سأل

بلاغيًا.65 على أي حال، لم يعتقد الجنرال أمنون شاحاك، الرئيس الجديد لفرع استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، أنه ارتكب أي خطأ. وأكد أنه "لم يكن من ضمن نطاق مسؤولية أمان تقييم هذا التطور".66
مع ذلك، لم تتوقف تقييمات الاستخبارات. فعلى مدار أشهر، ورغم قيود الرقابة العسكرية، تمكنت الصحف الإسرائيلية من التلميح إلى وجود خلافات بين استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي والحكومة، أو على الأقل جناحها الليكودي بزعامة إسحاق شامير، حول كيفية التعامل مع الفلسطينيين، بما يتجاوز مسألة الانتفاضة المباشرة والملحة.

كان الموقف الرسمي للحكومة، الذي صيغ بعد الظهور الدرامي لعرفات في جنيف، هو أنه ومنظمته متورطان في "خدعة كبرى"، وأن سكان الأراضي المحتلة سيظلون يرحبون ببديل لمنظمة التحرير الفلسطينية. لكن استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي رأت خلاف ذلك، وهو رأيٌ دأبت عليه منذ زمن: "حتى لو لم تكن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية تُدير الانتفاضة"، كما قال الجنرال شاحاك في يونيو/حزيران 1988، "فهي بالتأكيد مشاركة. لدى السكان هنا وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية رؤية واحدة، ولا أعتقد أنهم يختلفون فيما بينهم حول الهدف المشترك. إنهم يتحدثون لغة واحدة ويؤمنون بنفس الأهداف".67

في عرض شفوي لأجزاء من تقييم الاستخبارات الوطنية نصف السنوي الذي قدمته أمان إلى مجلس الوزراء في

في مارس/آذار 1989، أبلغ شاحاك الوزراء أن منظمة التحرير الفلسطينية قد خضعت بالفعل لعملية اعتدال؛ وأن الحوار مع الولايات المتحدة من المرجح أن يستمر؛ وأنه لا يوجد فلسطيني عاقل في الضفة الغربية أو قطاع غزة سيوافق على العمل كبديل لمنظمة التحرير الفلسطينية. وكان تقرير سابق لوكالة أمان، قُدّم إلى مجلس الوزراء في ديسمبر/كانون الأول 1988، قد أسفر عن شكوى رسمية من مكتب شامير إلى كل من شاحاك ورابين.

تسربت تفاصيل تقييم أمان إلى الصحفيين، وأحدثت ضجة سياسية انتشرت بسرعة في الخارج. ركزت التقارير الأولى على الرأي القائل بأن واشنطن لن توقف حوارها رغم محاولات السفير الأجنبي، موشيه أرينز، لإقناع الأمريكيين بذلك. وعكست صحيفة هآرتس بدقة وجهة نظر أمان. وذكرت الصحيفة: "تشير جميع التقييمات الاستخباراتية الأخيرة المتعلقة بمنظمة التحرير الفلسطينية إلى تغييرات جوهرية في موقف المنظمة، ولا توجد خلافات إلا حول قدرة عرفات على كسب تأييد واسع لاستراتيجيته وتقديم المزيد من التنازلات، لا سيما فيما يتعلق بالمفاوضات مع إسرائيل بشأن تسوية مؤقتة في الأراضي المحتلة".
الأراضي.'69
كان شاهاك دفاعيًا ومتواضعًا إلى حد ما بشأن
الوحي:
يتخذ المستوى السياسي قراراته السياسية بناءً على تقييم استخباراتي. ولا يُوصي فرع الاستخبارات بقرارات أو توجيهات ينبغي على دولة إسرائيل اتخاذها. لا نُوصي المستوى السياسي بما يجب فعله. مهمتنا هي تزويد المستوى السياسي بالمعلومات التي تُمكّنه من اتخاذ القرار... لم يسبق لأحد منا أن شارك في نظامٍ تعامل مع مسائل سياسية تتجاوز نطاق الاستخبارات.

وكان التقدير الذي قدمه الموساد لرئيس الوزراء أقل وضوحاً من تقييم أمان، مما دفع بعض الخبراء إلى القول إن التعددية الاستخباراتية بعد عام 1973 لم تثبت فعاليتها حقاً وأن التحوط كان لا يزال هو الموضوع السائد في نهجها. 71

ولم يكن الفرع الرابع والأدنى من المخابرات الإسرائيلية

كان المجتمع الفلسطيني محصنًا ضد هذه الصعوبات. في صيف عام 1989، ومع وصول الانتفاضة إلى شهرها الثامن عشر،

لم تُبدِ منظمة التحرير الفلسطينية أي مؤشرات على عودتها إلى وضعها الطبيعي، وأعرب مسؤولون في قسم الأبحاث السياسية بوزارة الخارجية عن قلقهم من أن تقييمات القسم للأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية "تأثرت بالتوقعات السياسية لكبار المسؤولين في الوزارة، ولم تعد تُشكل تحليلاً موضوعياً". 72 وقال أحد المسؤولين: "ربما تكون منظمة التحرير الفلسطينية قد تغيرت ثماني نقاط على مقياس من عشر نقاط. لكن وفقاً لمكتب الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية بوزارة الخارجية، لم يتغير سوى نقطتين، وهذا من الناحية التكتيكية فقط".73

اندهش أعضاءٌ في فروعٍ أخرى من أجهزة الاستخبارات من حجة كبير محللي وزارة الخارجية، المسؤول عن الأردن ومنظمة التحريرً الفلسطينية، بأن منظمة التحرير الفلسطينية لم تشهد أي تغييرٍ جوهري. وهذا تحديدًا هو الموقف الذي التزم به وزير الخارجية، موشيه أرينز، ونائبه، بنيامين نتنياهو. كان نتنياهو، النجم الصاعد في حزب الليكود، سفيرَ إسرائيل لدى الأمم المتحدة، ويُصنّف نفسه خبيرًا في الإرهاب الدولي، ولعلّ السبب، كما يقول منتقدوه، هو استشهاد شقيقه، يوني نتنياهو، في عملية الإنقاذ الأسطورية في عنتيبي عام ١٩٧٦.

الخدم السريون والصور العامة

إذا كان مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي قد مر بوقت عصيب في الثمانينيات، فذلك يرجع جزئيًا إلى أنه أُجبر، رغمًا عنه، على الخروج قليلاً من الظل وبالتالي أصبح معرضًا بشكل متزايد للتدقيق العام. حتى الموساد الأسطوري كان له نصيبه من الفضائح. فقضية الحافلة 300، كما بدا للكثيرين، كانت نتيجة الدور المركزي الذي لعبه جهاز الأمن العام (الشاباك) في الحياة الإسرائيلية، أو على الأقل في الحياة الفلسطينية، منذ حرب عام 1967. أظهرت التجربة اللبنانية مدى سوء الأمور التي يمكن أن تسوء، ومدى سوء سلوك الخدم السريين. كان يُنظر إلى جهاز الأمن، الذي كان يعمل في السابق بهدوء ودون أي مساءلة تقريبًا خلف الكواليس وكان غير معروف تقريبًا للجمهور اليهودي، على أنه أصبح الجهاز المهيمن الذي يتعامل مع الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين، مما أدى إلى إنشاء علاقة وثيقة غريبة، تكاد تكون حميمة، مع الشعب الذي يحكمه.

وفي نهاية العقد، نظر الكاتب الإسرائيلي الثاقب ييجال سارنا إلى الأدلة غير السرية التي تم جمعها أثناء استجواب جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) لفيصل أبو شرارة، وهو ضابط في القوة 17 من الظاهرية بالقرب من الخليل، والذي ألقت البحرية الإسرائيلية القبض عليه في البحر أثناء إبحاره من لبنان.

إلى قبرص:

لقد أذهلني هذا الملف، لأنه فتح نافذة على عالمٍ بالكاد نعرفه، عالمٌ من الصراع الخفي حيث يخوض الإسرائيليون والفلسطينيون معركة الحياة والموت. لو نظرنا إلى كل ما كُتب عن الفلسطينيين في دولة إسرائيل منذ بداية الصراع - تفاصيل حياتهم، وعائلاتهم، وروتينهم اليومي - لوجدنا أن الأدبيات تتخلف كثيرًا عن أرشيفات قوات الأمن. سيقدم أرشيف الشاباك صورةً دقيقةً للغاية، من زاويته الخاصة، وأكثر شمولًا بكثير مما هو متاح في الأدب العبري. جهاز الأمن، أكثر من أي جهاز صهيوني آخر، هو الرابط الأقوى بيننا.
وهم.74
وقد تجلّت هذه العلاقة الحميمة القاسية بقوة في صيف عام 1987، حين كانت الصحف والمجلات الإسرائيلية، وكذلك هيئات الصحافة الأجنبية الواسعة المتمركزة في القدس، تُحيي الذكرى العشرين لحرب عام 1967 بملاحق خاصة لا حصر لها ومقالات متعمقة. كتب ديفيد غروسمان، الروائي الشاب الموهوب، سلسلة من المقالات، وُسِّعت لاحقًا لتتحول إلى كتاب من أكثر الكتب مبيعًا، عن الحياة على جانبي الخط الأخضر بعد عقدين من محوه بالنصر الإسرائيلي. كرّس غروسمان فصلًا كاملاً من كتاب "الريح الصفراء" لـ"جيدي"، المعروف لدى الفلسطينيين باسم "أبو دني"، وهو ضابط شاب في جهاز الأمن العام (الشاباك) يخدم في الضفة الغربية. التقط غروسمان شيئًا من التقارب المُقيّد للعلاقة غير المتكافئة بين الإسرائيليين والفلسطينيين من زاوية "جيدي" الغريبة، بالإضافة إلى العداء العميق الكامن تحت السطح مباشرة.
"جيدي" لجروسمان
اعتقد أنه لا يريد أن يكون هناك، في منطقة الشفق التي تنشأ عندما يوجه شعبان جوانبهما المظلمة الفاسدة تجاه بعضهما البعض، وقد فاجأته الفكرة، لأنه أحب عمله وآمن به، وشعر أنه أعطاه القواعد اللازمة التي يمكنه من خلالها أن يتصرف.

يتنقل في حياته. لكنه كان يعلم أيضًا بوضوح أنه عندما يكون هناك اثنان
عندما تتلامس التفاحات مع بعضها البعض في نقطة واحدة من التعفن، ينتشر العفن على كليهما.7 5

أصبحت رواية "الريح الصفراء" مَعْبُورَةً، وترجمتها إلى الإنجليزية والعربية ولغات أخرى أكسبتها مكانةً مستحقةً كتصويرٍ دقيقٍ وحساسٍ لواقع الاحتلال. كتب غروسمان فصل الشاباك، المعنون "منظر جبل سويسري"، على أنه خيال، جزئيًا للتهرب من الرقابة، التي ما كان من المرجح أن تسمح بمقابلةٍ كهذه مع ضابطٍ حقيقيٍّ في جهاز الأمن، لكنه أوضح أنها مستندة إلى وثائق. 76 في النسخة العبرية الأصلية، "هازمان هاتسوهوف"، كان عنوان الفصل الفرعي "قصة - ربما".
كان فتح باب الخزانة قليلاً يخدم أحيانًا أغراض الأجهزة السرية نفسها. عندما تنحى يوسف هارملين في مارس/آذار 1988 بعد انتهاء ولايته المؤقتة، وتورط الشاباك في الانتفاضة، تبنى مدير الجهاز الجديد - وهو مرشح داخلي لم يتأثر بفضيحة الحافلة رقم 300 - نهجًا جديدًا رفيع المستوى.
لا بد وأن هذا الأمر قد أثار قلق بعض أسلافه الأكثر تحفظًا.
في فبراير 1989، أُقيمت له حفلة مفاجئة في متحف إسرائيل بالقدس، حيث لم يفعل شيئًا أكثر شرًا من الاحتفال بعيد ميلاده الخامس والأربعين والعزف على البوق. كان يوسي ساريد، العضو الفصيح في حركة حقوق المواطن المعارضة "الحمائمية"، من بين العديد من الضيوف الذين استمتعوا بالحفل، وخاصةً أداء

صاحب عيد الميلاد لمدة خمس دقائق لأغنية "Summertime" لفرقة غيرش وين. قال ساريد مازحًا: "أُفضل رئيسًا لجهاز الأمن الداخلي (الشاباك) يعزف على البوق في الميكروفونات على رئيس يزرع ميكروفونات". 77 وقال كُتّاب مقالات القيل والقال لاحقًا إنه كان الحدث الاجتماعي لهذا الأسبوع، حفلًا سريًا راقصًا لم يُدعَ إليه سوى النخبة. 78 الصحفي
لقد وضع ناحوم برنياع الحفلة في منظور تاريخي أنيق وممتع:

وقال بعض الضيوف إنه لو كان يوسف هارملين، رئيس الشاباك السابق، حاضراً، لكان قد أصيب بصدمة حياته، قائلاً:

لا شيء عن إبراهيم أخيتوف الذي كان سيُسلِّبهم جميعًا، أو إبراهيم شالوم الذي كان سيأمر بضربهم حتى الموت. وماذا عن إيسر هاريل؟ كان سيُرسل رسائل مفخخة إلى جميع الضيوف، ثم يكتب عنهم كتابًا بغيضًا.79

حتى أنه كان هناك حديث في تلك الفترة عن سياسة "الجلاسنوست" (الشفافية) لتعيين متحدث رسمي باسم جهاز الأمن، وتم التشاور مع عدد من كبار الصحفيين سرًا حول أفضل السبل لتحقيق ذلك. ومن المفارقات أن أحدهم كان محرر صحيفة "هاعوام هازيه"، أوري أفنيري، الذي هاجم الشاباك، عندما كان إيسر هاريل وآموس مانور مسؤولين عنه في عمليات الاغتيالات في التسعينيات، واصفًا إياه بـ"جهاز الظلام".80
في الوقت نفسه تقريبًا، وُجّهت ضربة غير مسبوقة للسرية المحيطة بالموساد. إذ أذنت محكمة العدل العليا بنشر مقال في صحيفة "هعير" الأسبوعية في تل أبيب، شكك في كفاءة رئيس الموساد، ناحوم أدموني، لكنها حافظت على سرية هويته. وكانت هذه هي المرة الأولى التي تُلغي فيها محكمة قرارًا رقابيًا عسكريًا، ويعتقد خبراء قانونيون أن هذا الحكم قد تكون له آثار بعيدة المدى. 81
قُدِّم مقال صحيفة "هآر" لأول مرة إلى الرقيب في أغسطس/آب 1988، فحُظِر. كما حُظِرت عدة نسخ مُعَدَّلة، حتى أُقِرَّت إحداها أخيرًا، مع حذف اثنين وثلاثين فقرة. احتوت الأقسام المحظورة على وصف لرئيس الموساد، وانتقاد لأدائه، وتفاصيل حول بديله المُزمع. جادل العميد يتسحاق شاني، كبير الرقيب، بأن نشر المقال قد يُقلِّل من قدرة الموساد على العمل. وقضت المحكمة بوجوب حذف أي تفاصيل قد تُحدِّد هوية رئيس الموساد من المقال، لكنها تابعت: "إنَّ السبيل لتحقيق التوازن بين الأمن وحرية التعبير هو الحفاظ على حرية التعبير، وعدم فرض القيود إلا عند اليقين المطلق بوجود تهديد حقيقي لأمن البلاد، وعدم وجود بديل مُتاح".82
دفع أدموني ثمن سنوات من السرية المفرطة والغياب شبه التام للرقابة أو الإشراف الخارجي للموساد. ألقى مقال صحيفة هآر، وما تلاه من مقالات أخرى، باللوم على...

لقد عاقبه لمدة ست سنوات من القيادة المفتقرة إلى الخيال، والتي كان الحذر هو الدافع وراءها. قال أحد أعدائه: "تخيلوا تعيين مساعد جيد رئيسًا لأركان جيش الدفاع الإسرائيلي". عشية رأس السنة اليهودية، جمع

أدموني موظفيه في مقصف الموساد وقال: "أتمنى لنا جميعًا عامًا خاليًا من الأخطاء". وأوضح ناقد آخر: "إذا كنت
أبحث عن جملة واحدة تميز أسلوبه ومنهجه، تلك هي الجملة.'83 '
إن إخفاقات الجهاز منذ حرب لبنان - قضية إسماعيل صوان وطرد رجال الموساد من المملكة المتحدة، ونسيان جوازات السفر البريطانية المزورة والفارغة التي تم العثور عليها في كابينة الهاتف في ألمانيا الغربية، وفضيحة بولارد وإيران جيت - جميعها تفاصيلها في الصحافة الإسرائيلية المتعطشة للفضائح. لكن نجاحاتها لم تُذكر. لم يسمح الرقيب لموجة الدعاية الجديدة بالامتداد بعيدًا. عنونت حداشوت خبرها "ومن صفّى أبو جهاد؟"، لكنها لم تستطع ذكر الحدث نفسه، ولا حتى تفجير مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس.84 المعلومات الجديدة القليلة التي خرجت لم تكن مُرضية ولا ذات دلالة. كشفت صحيفة يديعوت أحرونوت أن أدموني كان أنيق المظهر، وكان يُعرف بين المطلعين باسم "السيد غوتشي".85 كما أُلقي باللوم على أدموني في حادثة وقعت في أثينا عام 1988 عندما...
وكان أحد مسؤولي الشرطة قد رصد رجلاً وامرأة يحاولان تصويره في الشارع، فتقدم بشكوى إلى الشرطة التي سرعان ما اكتشفت أن الرجلين - وهما مناحيم زيم وداليا إيال - كانا عميلين للموساد.86
بعد وقت قصير من نشر مقال صحيفة هآر، في 13 يناير/كانون الثاني 1989، أُعلن أن أدموني على وشك التقاعد. وكان بديله مرشحًا داخليًا - وهي المرة الثانية فقط التي يحدث فيها هذا في تاريخ الجهاز. كان رئيس الموساد الجديد من قدامى المحاربين في وحدة الاستطلاع الشهيرة التابعة لهيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي، والتي انضم إليها في ستينيات القرن الماضي.
وعلى النقيض من سلفه، فقد أمضى معظم حياته المهنية في
"الجانب المظلم من المنزل"، حيث قام بتنفيذ بعض العمليات السرية الناجحة.87
وحتى رحيله، ظل اسم ناحوم أدموني سرياً، ولم تنشر الصحف الإسرائيلية والمراسلون الأجانب المتمركزون في إسرائيل أي معلومات عنه.

لم يُسمح للبلاد بالاقتباس إلا من مصدر أجنبي نشر، قبل بضع سنوات، خطأً اسم رئيس الموساد باسم ناحوم أدنوني. صُحِّح الخطأ أخيرًا بعد حكم المحكمة العليا، لكن جهاز المخابرات الإسرائيلي الأكثر سريةً عاد إلى رشده.
لقد أصبح مدى القلق الذي كان يساوره بشأن البقاء هناك واضحاً بطريقة محرجة للغاية في سبتمبر/أيلول 1990. فبينما كان العالم منشغلاً بالاحتلال العراقي للكويت . والذي فشل الموساد، مثل وكالات الاستخبارات الأخرى، في التنبؤ به . تقدمت إسرائيل بطلب إلى محكمة كندية لوقف نشر كتاب بعنوان "عن طريق الخداع: صناعة وتفكيك ضابط الموساد".
مؤلفه، وهو إسرائيلي من أصل كندي يُدعى فيكتور أوستروفسكي، عمل ضابط جمع معلومات في الموساد - كاتزا (الاختصار العبري لـ كاتزين إيسوف) - لمدة سبعة عشر شهرًا فقط، من أكتوبر/تشرين الأول 1984 إلى مارس/آذار 1986، حين طُرد. كان الكتاب الكشف الأشمل على الإطلاق عن هيكل الوكالة وعملياتها. تضمن الكتاب أسماء عشرات الموظفين (زعم أن عددهم 1200 فقط) ورؤساء المراكز، وأسماءً رمزية للوحدات ومواقعها، ووصفًا لأساليب العمليات، بما في ذلك الاغتيالات والابتزاز الجنسي وغيرها من أساليب تجنيد العملاء.

ومع ذلك، فإن الكتاب يدين بنجاحه إلى حد كبير لعدم كفاءة إسرائيل. وكان قرار الحكومة باتخاذ إجراء قانوني لمنع ظهوره، أولاً في كندا، ثم في الولايات المتحدة، محكوماً عليه بالفشل. كل ما كان ضرورياً هو التفكير في المحاولة المطولة والتي باءت بالفشل في النهاية من قبل الحكومة البريطانية لوقف نشر "صائد الجواسيس"، مذكرات ضابط المخابرات البريطاني السابق بيتر رايت. في الولايات المتحدة، كان هناك غضب من جماعات الحريات المدنية. وقضت محكمة نيويورك التي ألغت أمراً تقييدياً ضد النشر بأن إسرائيل لم تقدم أي دليل ملموس على أن أمنها القومي سيتضرر إذا سُمح بنشر "عن طريق الخداع". وفرت المعركة القانونية القصيرة ولكن البارزة دعاية غير متوقعة لأوستروفسكي: تم بيع 15000 نسخة في غضون ساعات من قرار المحكمة.
رؤساء الموساد السابقون، مثل إيسر الثرثار دائمًا

تحدث هاريل بغضب عن الضرر الجسيم الذي سيُلحقه الكتاب، تمامًا كما فعل عندما نشرت الصحف الأمريكية تقرير وكالة المخابرات المركزية السري عن أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، والذي سُرق من السفارة الأمريكية في طهران بعد الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩. عارض آخرون هذا الردّ الانفعالي، إذ قال مصدر سياسي: "لا يوجد في هذا الكتاب ما هو صحيحٌ إلا ما كان ليُعرف من قِبَل أجهزة الاستخبارات المنافسة على أي حال. تكمن المشكلة في مدى تصديق السياسيين الأمريكيين لما ورد فيه، وتأثيره على الرأي العام الأمريكي".
مع تلاشي ذكرى قضية بولارد، أعاد أوستروفسكي إحياء مسألة التجسس على الحلفاء. ووصف وحدةً سريةً للغاية تابعةً للموساد، قوامها 27 عضوًا - تُعرف باسم "آل" - تُستخدم في عمليات التجسس في الولايات المتحدة، وقال: "مهمتهم الأساسية هي جمع المعلومات عن العالم العربي ومنظمة التحرير الفلسطينية، وليس جمع المعلومات الاستخبارية عن الأنشطة الأمريكية، لكن الخط الفاصل غالبًا ما يكون غير واضح، وعندما يساوره الشك، لا يتردد آل في تجاوزه".
لقد لمس وترًا حساسًا بشكل خاص بادعائه أن الموساد كان لديه تحذير مسبق من الهجوم الإرهابي الشيعي بشاحنة مفخخة على مقر مشاة البحرية الأمريكية في بيروت عام 1983، والذي قُتل فيه أكثر من 240 جنديًا أمريكيًا، لكنه فشل في إخطار واشنطن على أمل أن يؤدي الهجوم إلى تدمير العلاقات الأمريكية العربية. وقال أوستروفسكي إن الموساد كان لديه معلومات محددة تفيد بأن منظمة حزب الله كانت تُجهز شاحنة مرسيدس محملة بالمتفجرات للهجوم. وكشف أن ناحوم أدموني قرر عدم نقل هذه المعلومات الاستخباراتية، وقال لرجاله: "لسنا هنا للدفاع عن الأمريكيين. إنهم دولة كبيرة. أرسل لهم المعلومات العادية فقط". وبالتالي، لم يُعطَ الأمريكيون سوى تحذير روتيني وعام، وهو واحد من عشرات التحذيرات التي تلقوها في لبنان في هذه الفترة. لم يرد أدموني على التهمة، لكن يهوشوا ساغي، رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) خلال حرب لبنان، نفى ذلك بشدة.
عمومًا، كان من المستحيل إثبات أو دحض مثل هذه الادعاءات. وقد أُعطيت رواية أوستروفسكي مصداقيةً بفضل رشّ أسماء الأفراد ورموز الوحدات و...

مواقع سرية على امتداد الكتاب. لكن كشفه عن موقع مركز تدريب الموساد في غليلوت، على الساحل شمال تل أبيب، لم يُفاجئ إلا القليل من الإسرائيليين. لم يقتنع أحد بادعائه أن حفلات الجنس الجماعي

التي تضم جنديات كانت سمة منتظمة في دوراته. ولم تتعزز مصداقيته بالادعاء غير المرجح بأن الموساد هو الذي تسبب في استقالة رئيس وزراء حزب العمل آنذاك، إسحاق رابين، عام ١٩٧٧، بتسريب معلومات عن حساب مصرفي غير قانوني لزوجته في واشنطن. نفى الصحفي المعني في صحيفة هآرتس، دان مارغاليت، كل ما ورد في...
قصة.
أصبح أوستروفسكي هدفًا لحملة تشويه منظمة
في الصحافة الإسرائيلية. زُعم أنه بسبب "التكامل العقلي" بين أقسام الموساد المختلفة وتطبيق مبدأ "الحاجة إلى المعرفة"، فإن الفترة القصيرة التي قضاها في العمل بدوام كامل في الجهاز لم تكن كافيةً ببساطة لتعلم هذا الكم الهائل من الأسرار. وهذا يعني ضمناً أنه كان مُختلقاً موهوباً.
ومع ذلك، كانت العديد من قصصه تحمل في طياتها نفحة من الحقيقة، خاصةً عندما أكدت شكوكًا أو مزاعم سابقة. روايته لعمليات الموساد ضد البرنامج النووي العراقي، على سبيل المثال، أو اغتيالات الفلسطينيين، كانت متوافقة مع ما كان معروفًا على نطاق واسع ووُصف هنا وفي أماكن أخرى. كان ادعاءه بتورطه في عملية المراقبة التي أدت إلى إسقاط طائرة ليبية بالخطأ عام ١٩٨٦ - وانتقامًا من سوريا لقضية الهنداوي - موثوقًا. كان دوره في تلك القضية هو ما...
أدى إلى إقالته.
كان أوستروفسكي رجلاً مريرًا حريصًا على نقل
انطباعٌ بأن دوافعه كانت مثالية، وأن عليه واجب فضح أصحاب عمله السابقين على أنهم أشرار. لكن، في إسرائيل على الأقل، لم يُقنع أحدًا. بالنسبة لشخصٍ مثالي، كان الكثير من كشفه مجانيًا وساخرًا بشكلٍ واضح: عندما كتب أن آلاف اليهود حول العالم تطوعوا بانتظام لمساعدة عمليات الموساد، ادعى أن دافعه كان القلق على سلامتهم. وعندما وصف، بل وذكر أسماء، عربًا عملوا لصالح إسرائيل - في سوريا والعراق وليبيا وداخل منظمة التحرير الفلسطينية -

لقد عرّض حياتهم للخطر بكل وضوح. وبدا مرتبكًا: إذ أقرّ في مقابلات بأن الموساد ضروري لأمن إسرائيل. أضرّ أوستروفسكي بالموساد بنفس الطريقة التي أضرّ بها مردخاي فعنونو بأمن القدرة النووية للبلاد. قدّم ما بدا تأكيدًا داخليًا للشكوك، والتي، مهما بلغت قوتها، لا يمكن تأكيدها علنًا إلا من قِبل شخص مستعدّ للإبلاغ عن المخالفات وتقبّل العواقب المحتملة. كان كتابه مُحرجًا: إذا لم تستطع وكالة استخبارات الحفاظ على أسرارها الداخلية، وخاصةً تلك التي قد يؤثر نشرها سلبًا على علاقاتها بالأجهزة الصديقة، فما مدى فعاليتها؟ لم يكن من المهمّ تحديد هوية الوحدات والأفراد، إذ يُمكن تغيير الأسماء الرمزية أو الوهمية، وهو أمرٌ يحدث عادةً: لم يكن من المهمّ، على سبيل المثال، أن تُسمّى ما وصفها بـ"وحدة الاغتيالات" في الموساد "كيدون"، وهي كلمة عبرية تعني "الحربة"؛ ما يهمّ هو أن يكون مصدر داخلي قد وصف وجود مثل هذه الوحدة، حتى لو لم يُفاجأ أحدٌ بهذا الكشف.

الشاباك يتعافى
مع اقتراب نهاية العقد، واصل جهاز الأمن العام (الشاباك) نهجه الجديد رفيع المستوى، مستمتعًا بالنجاحات الكبيرة التي حققها مع استمرار انشغاله الأكثر إلحاحًا، الانتفاضة. وبحلول الوقت الذي بلغت

فيه الانتفاضة ذكراها السنوية الثانية، في ديسمبر 1989، كان أداء جهاز الأمن يتحسن بشكل ملحوظ. ومع إرهاق الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة من نضالهم الطويل والتضحيات البشرية والاقتصادية التي تطلبها، تغير طابع الاضطرابات تدريجيًا. أفسحت مظاهرات إلقاء الحجارة الجماعية في العام الأول المجال لهجمات الدهس والهروب التي شنتها مجموعات صغيرة من النشطاء الشباب الملثمين. وعندما يتعلق الأمر بهذه الأعداد الصغيرة من الناس، الذين تم تنظيمهم في هياكل كلاسيكية تشبه الخلايا، لا يزال نظام استخبارات الشاباك يعمل، على الرغم من مقتل العديد من المخبرين المزعومين. وزنه الثقيل

يبدو أن مصادر المعلومات لم تتأثر تقريبًا بالصراع الداخلي في معسكر العدو.88 وعملت بشكل وثيق مع الجيش، الذي عيّن ضباط اتصال خاصين لتعظيم الاستفادة من المعلومات الاستخباراتية المتعلقة بالهاربين؛89 وكما حدث في غزة في أوائل سبعينيات القرن الماضي، أُصدرت قوائم طويلة بأسماء المطلوبين للجنود. وبسبب أرقام بطاقات الهوية المتعددة التي كانت تُرفق بالأسماء، أصبح الفلسطينيون يُعرفون باسم "البنغو".

في الأشهر الأخيرة من العام، تعقب عملاء الشاباك، بالتعاون مع الجيش، أعضاء جماعتين مسلحتين صغيرتين تابعتين لحركة فتح، هما الفهد الأسود والنسر الأحمر، وكلاهما مرتبط بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، واللتان كانتا تعملان في نابلس، وركزتا نشاطهما على المتعاونين. وأعلن أن رئيس الشاباك زار المدينة شخصيًا لتهنئة رجاله على إنجازهم العملي. وقبل ذلك بعدة أشهر، اعتقل الجهاز مئات الأشخاص وفكك الجناح العسكري لحركة حماس في قطاع غزة، على الرغم من أن بعض الفلسطينيين جادلوا بأن المسلحين الإسلاميين، الذين كانوا أقل اعتيادًا من قدامى منظّمة التحرير الفلسطينية على أساليب النضال السري، كانوا هدفًا سهلًا نسبيًا. وُصفت التحقيقات في جناح الشاباك بسجن غزة، حيث توفي ثلاثة معتقلين (تحت التعذيب، وفقًا لمحاميهم وأقاربهم) خلال الانتفاضة، بأنها وحشية للغاية.90 وفي إحدى هذه القضايا الغزية، عُلق عمل اثنين من محققي الخدمة ووُجهت إليهما تهمة القتل غير العمد، مما أثار شكوكًا جسيمة حول مدى فعالية تنفيذ توصيات لجنة لانداو (الضغط البدني المعتدل).91 وظل السجناء مصدرًا حيويًا للاستخبارات. وفي نهاية عام 1989، كان لا يزال 10,000 فلسطيني رهن الاحتجاز.

لم تكن هذه النجاحات بمثابة عودة إلى السنوات الأولى التي أعقبت حرب عام ١٩٦٧، عندما سحقت أجهزة الأمن ببراعة أولى بوادر المقاومة المسلحة للاحتلال، لكنها على الأقل أعطت انطباعًا بأن الأمور لم تكن، في نهاية المطاف، خارجة عن السيطرة. وقد دلت أعداد السجناء وحدها على مدى استمرار ظاهرة المشاركة في الانتفاضة كظاهرة جماهيرية.

وعلى المدى الأبعد، تزايد القلق بشأن تأثير الانتفاضة على الأقلية العربية في البلاد، التي تبلغ نسبتها 18%، والتي تعيش داخل حدود ما قبل عام 1967. كان جهاز الأمن العام (الشاباك) لا يزال مسؤولاً عن مراقبة أنشطتهم، وكانت مؤشرات تزايد تطرفهم - صعود الأصولية الإسلامية والتماهي مع أهداف منظمة التحرير الفلسطينية - عاملاً لا يمكن تجاهله في أي استراتيجية وطنية مستقبلية.92 وكرر الجهاز القول إن على الحكومة منح الحقوق الكاملة وتوفير خدمات متساوية لمحاولة كبح جماح المعارضة بين المواطنين العرب.93

في الأشهر الأولى من عام ١٩٩٠، أثبت جهاز الأمن العام (الشاباك) قدرته على قمع المقاومة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى مستوى مقبول، وأن أسلوب عمله المُجرّب منذ زمن طويل لم يُحيّده الانتفاضة. وبحلول أوائل الصيف، أُعيد توطين ٢٨٠ عميلاً، حرصاً على سلامتهم، داخل "الخط الأخضر". وتلقت الانتفاضة، التي كانت في طور التراجع، ضربة تلو الأخرى. ففي مايو/أيار، وبعد هجوم بحري فاشل على الساحل الإسرائيلي شنته جبهة تحرير فلسطين - بقيادة أبو العباس المعروف بأكيلي لاورو - أوقفت الولايات المتحدة حوارها مع منظمة التحرير الفلسطينية، مانعةً المنظمة من تحقيق أعظم إنجاز سياسي لها وهو "حرب الحجارة". وكان تزامن هذا مع انهيار ائتلاف الوحدة الوطنية الإسرائيلي المتهالك بين الليكود والعمل واستبداله بحكومة ليكود يمينية جديدة، بمثابة مسمار آخر في نعش التطلعات الفلسطينية. في أغسطس/آب 1990، عندما غزا العراق الكويت، اصطف الفلسطينيون في كل مكان - بما في ذلك في الأراضي المحتلة - دعمًا متحمسًا لصدام حسين. وقد تسببت أزمة الخليج في أضرار سياسية واقتصادية جسيمة لهم، حيث قوضت حوارهم مع اليسار الإسرائيلي، وأوقفت الدعم المالي الحيوي من الدول العربية، وألقت بظلالها على نضالهم.
كل هذا سهّل حياة الشاباك. واستمر، مُشجّعًا بقناعةٍ راسخة بضرورة الحفاظ على الأمن الداخلي حتى تتمكن إسرائيل، إذا ما اضطرت لذلك، من التفاوض من منطلق القوة لا الضعف حول مستقبل الضفة الغربية وغزة. كان جهاز الأمن يحظى بتقدير كبير لدى القادة السياسيين في البلاد، لكن وظيفته كانت تقديم المساعدة والمشورة.

الحكومة، لا تُعنى بوضع سياسات عليا. ومع ذلك، وكما هو الحال مع جيش الدفاع الإسرائيلي، كانت لديها شكوك متزايدة حول مدى قدرتها على الصمود دون تحقيق ذلك الهدف الأصعب من بين الأهداف، وهو حل سياسي للصراع العربي الإسرائيلي.

خاتمة

بدأ الإسرائيليون في ثمانينيات القرن الماضي إعادة النظر في بعض أساطيرهم الراسخة، ولم يكن مجتمع الاستخبارات في البلاد استثناءً. فالأدب العبري - وهو دليلٌ جيدٌ على صور الذات، إن لم يكن على الواقع - لحق متأخرًا بتطور قصة الجاسوسية في أماكن أخرى، وصوّر العميل السري كبطلٍ ناقصٍ لا مثالي. تسللت الغموضات والمفارقات. خلق عاموس عوز، أشهر روائي إسرائيلي حي، رجلَ الموساد، بكل عيوبه، تائهًا في عالمٍ أخلاقيٍّ خالٍ من النزاهة، خفيًا في حياته الخاصة كما كان في مهنته السرية! لقد بدأ عملاء الشاباك الخياليون، مثل "جيدي" الذي ابتكره ديفيد جروسمان، يشعرون بالشكوك حول هذه الوظيفة.2 وقد رسم إسحاق بن نير صورة ضابط أمن متقدم في السن ومرير يعاني من مشاكل في أعماق كيانه بسبب اضطراره

إلى التعامل مع الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة.3 وباختصار، كان الخدم السريون الأدبيون يفقدون لمستهم الأسطورية.
تُعزى هذه الصور إلى حد كبير إلى الكشف المُحبط للاستخبارات الإسرائيلية في السنوات الأخيرة؛ ومع ذلك، قد تكون مُضللة. فتاريخٌ يتأرجح بعنف بين نجاحاتٍ مُذهلة وإخفاقاتٍ مُريعة وفضائحَ عامةٍ مُتفجرة، لا يُمكن أن يكتمل إلا بعد أن تنكشف جميع الأسرار - أو على الأقل أهمها - أخيرًا. وبين الانقلابات الدرامية والاتهامات المُرّة، يكمن روتينٌ طويلٌ وغامضٌ وصامتٌ من اليقظة، لن تُروى قصته كاملةً أبدًا.
كيف يُمكن فهم تاريخ الحرب العالمية الثانية فهمًا كاملًا دون معرفة عملية "ألترا" التي مكّنت الحلفاء من فكّ شيفرة دول المحور وتوقع تحركات العدو؟ كيف يُمكن فهم الدور الحاسم للاستخبارات البريطانية المضادة دون فهم الوضع الراهن؟

خاتمة 499

ما هو نظام "الخيانة المزدوجة" الشهير، والذي نجح من خلاله عملاء النازية في بريطانيا في "التحول" إلى زنزانات سجنهم وإجبارهم على تقديم معلومات كاذبة إلى مراقبيهم غير المطلعين؟
لا شك أن أسئلةً مماثلة في الحجم والأهمية تُقلق أي باحث نزيه في شؤون الاستخبارات الإسرائيلية. فقد سلّطت قضايا إسماعيل صوان ونزار هنداوي وجوناثان بولارد، بطرقها المختلفة، الضوء على جوانب مظلمة وحساسة ومعاصرة: مدى تغلغل منظمة التحرير الفلسطينية والقوات المسلحة وأجهزة المخابرات في الدول العربية؛ ومدى التعاون الاستخباراتي مع الولايات المتحدة. وإلى أن تُفتح أرشيفات أجهزة المخابرات الإسرائيلية، لا يمكن الإجابة على أسئلة حول مواضيع حيوية كهذه بشكل قاطع. وبالطبع، قد لا تُكشف علنًا أبدًا.
ومع ذلك، فهذه فجوات واضحة في معرفتنا - يواجهها جميع المؤرخين - وليست حواجز مانعة للفهم. ومع أن الصورة التي تتضح من هذه النظرة العامة لنصف قرن من الحروب السرية معقدة ومتغيرة، ولا تزال غامضة وغير واضحة في بعض النقاط المهمة، إلا أن بعض الاستنتاجات الراسخة حول فترات مختلفة، بما في ذلك الوقت الحاضر، لا تزال حتمية. حتى رؤوس الجبال الجليدية تساعدنا على تصور شيء من الكتلة الخفية الكامنة تحت السطح.

Israel has consistently been good at human intelligence, the oldest form of spycraft, which remains, despite sophisticated surveillance satellites, computer recent years, the best cryptanalysis and the other vast technological advances of way to find out what an enemy is doing, thinking and planning. This achievement is all the more remarkable in the Israeli context, for the circumstances of the state's gical spy, birth and existence present unusual problems. The classic ideolo motivated by a belief in the system of his own country's enemy, does not exist in the Middle East conflict. There are no closet Arab Zionists, no Syrian, Iraqi, Egyptian into or Palestinian Kim Philbys who believe that the transformation of Palestine Israel, the dispossession and partial exile of an Arab people, is a good and positive thing. Yet still the agents and their controllers meet in their safe houses and

letter boxes. Ezra Danin, the Shai pioneer who began -communicate via dead Palestinian informers to recruiting

follow the course of the general strike of 1936, would feel quite at home with his Shin Bet successors trying to penetrate cells of intifada activists in 1989. In the .e first, some things never really changesecond oldest profession', like th'

Ingenuity, ruthlessness and dishonesty have played their part in this history, as they have done, and continue to do, to a greater or lesser degree, in the work of all False flags' can be used for recruit- ' .intelligence and security services everywhere ment, agents can be blackmailed, pressured and coerced. They can also be, and more often are, paid handsomely for their services. Dangerous enemies can be ome and abroad. killed, without any obvious moral qualms. Lies are told, at h Denials may

often be implausible, but the only crime is being caught. 'A la guerre,' as the French '.say, 'comme a la guerre

Another vital strand is Israel's unique ability to staff its secret services with men cingly for the nationals and speak the languages and women who can pass convin of most countries on earth, including all its Arab enemies. The Palmah Mist'Aravlm of the 1940s represented a modest beginning for a long and fruitful tradition, years that the absence of new although concern has been expressed in recent Jewish immigrants from elsewhere in the Middle East and the declining interest in Arabic language

.is damaging that ability -itself a reflection of the continuing conflict -and culture

oss all the years. Israeli intelligence has a A paradox leaps out of these pages acr class coups that -fine reputation that is based justly on some of the famous world من خطاب خروشوف the acquisition have been described here. Remember حول إزالة الستالينية؛ وسرقة أسرار إنتاج طائرات ميج وميراج العراقية من سويسرا؛ والاستعدادات الاستخباراتية الدقيقة التي ضمنت النجاح الباهر للضربة الجوية الإسرائيلية الحاسمة في يونيو/حزيران 1967؛ والهزيمة شبه الكاملة للمقاومة الفلسطينية المسلحة في أواخر الستينيات واحتواء الإرهاب في الداخل والخارج إلى أبعاد مقبولة بعد ذلك؛ وعملية إنقاذ عنتيبي الأسطورية في عام 1976.

ثم تذكر الإخفاقات المتكررة، والتي عادة ما تكون بسبب الإنذار المبكر، عندما يتعلق الأمر بالاختبار الرئيسي للحرب والاستراتيجية.

التغيير. فشل جهاز "الشاي" في التنبؤ الدقيق بالغزو العربي لفلسطين عام ١٩٤٨ أو رسمه. أساء جهاز "أمان" فهم معنى التحركات المصرية والأردنية في مايو ١٩٦٧، وفشل في تقديم تحذير كافٍ من الهجوم العربي في أكتوبر ١٩٧٣، على الرغم من أن الموساد كان يسيطر على عميل بارز كان على دراية كافية لمعرفة موعد بدء الهجوم تقريبًا. ساعدت استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي والموساد في قيادة إسرائيل إلى الحرب الكارثية ضد منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان عام ١٩٨٢، حيث راهنت بشكل قاتل على المسيحيين ثم قللت بشكل خطير من شأن عداء المسلمين الشيعة. خرجت كلتا الوكالتين ملطختين بإخفاقاتهما. قد لا يفعل هذا الكتالوج القاتم أكثر من تسليط الضوء على الحدود المعروفة للاستخبارات ومخاطر خلط جمع المعلومات والتحليل مع العمليات الفعلية، والتي تتجلى بشكل خاص في تجربة الموساد اللبنانية. ومع ذلك، لا تزال هذه إخفاقات صادمة. فشلت المنظمات الجيدة، وحتى الممتازة، في تحقيق أداء دقيق في تلك اللحظات الحاسمة التي أنشئت من أجلها.

واعتُبر فشل إسرائيل في مجال ذي صلة، وهو التنبؤ بنهاية حرب الخليج بين إيران والعراق عام ١٩٨٨، بمثابة إنذار قد يكون له تداعيات أكثر إثارة للقلق في أماكن أخرى. وفي سياقٍ أقرب، وعلى نطاقٍ أضيق ولكنه ليس أقل أهمية، كان اندلاع الانتفاضة الفلسطينية واستمرارها في الضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٨٧ بمثابة فشلٍ لجهاز الأمن العام (الشاباك) وجهاز الأمن العام (أمان) في قراءة الخريطة السياسية والنفسية المتغيرة لمعسكر العدو. وقد أثار هذا أيضًا تساؤلاتٍ قديمة حول قدرة أجهزة الاستخبارات على رؤية الحقيقة في ظلّ مراقبةٍ شاملةٍ لأشجارٍ كثيرة، غالبًا ما تكون أغصانًا فرديةً وحتى أوراقًا. فالبراعة التكتيكية شيء، والعمى الاستراتيجي شيءٌ آخر.

من المواضيع الجديرة بالملاحظة أيضًا تفاوت أدوار رؤساء المخابرات الإسرائيلية في مختلف الأوقات. سيطر "الصغير" هاريل على الأمن لمدة خمسة عشر عامًا لأنه كان يتمتع بأذن بن غوريون، بالإضافة إلى حسه العميق بقيمة نصائحه الشخصية في الشؤون السياسية الداخلية، وكذلك في التجسس الخارجي. كما تمتع هاريل بسمعة طيبة كعبقري نادر في العمليات السرية: فقد ساعد اختطاف أدولف أيخمان في تضميد جراح المحرقة النازية المروعة.

جرعة قوية من الإصرار الإسرائيلي وجرأة إسرائيل. في أوائل الخمسينيات، ساور مدير جهاز الأمن الإسرائيلي، يهوشافات هركابي، شكوك حول فعالية الغارات الانتقامية التي شنها جيش الدفاع الإسرائيلي في ردع هجمات الفدائيين، لكن أفكاره لم يكن لها تأثير يُذكر على السياسة.

عندما اختفى ديفيد بن غوريون، الشخصية البارزة، في غياهب النسيان السياسي عام ١٩٦٣، ازداد دور أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية في صنع القرار الوطني بشكل ملحوظ. خاض مائير عميت، رئيس الموساد، معركةً ضد ليفي إشكول وانتصر عليه في قضية بن بركة. وكان لمعاصره في رئاسة جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان)، أهارون ياريف، تأثيرٌ حاسم على السياسة في الأيام العصيبة التي سبقت حرب ١٩٦٧. مكّن كلٌّ من الموساد والشين بيت - وخاصةً الأخير - إسرائيل من الاحتفاظ بالضفة الغربية وقطاع غزة

المحتلِّين من خلال احتواء المقاومة الفلسطينية إلى مستوى مقبول. ولّد النجاح شعورًا بالرضا عن النفس، وتُركت الحلول السياسية - كما هو مُناسب - للسياسيين. لكن هذه الحلول لم تُتَوَصَّل قط.

لقد قوضت كارثة عام ١٩٧٣ الكبرى الثقة في الاستخبارات. في عام ١٩٧٦، تجاهل السياسيون نصيحة جهاز الأمن العام (الشاباك) وسمحوا لمرشحي منظمة التحرير الفلسطينية بالفوز في انتخابات الضفة الغربية. وفي العام التالي، فشلت نفس الأجهزة التي فشلت في التنبؤ بحرب يورن كيبور في التنبؤ بمبادرة أنور السادات للسلام، على الرغم من الإصلاحات واسعة النطاق التي أمرت بها لجنة أغرانات. في عام ١٩٨٢، اختار مناحيم بيغن ووزراؤه، عن عمد، تجاهل حقيقة أن محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن لم تكن من تدبير منظمة التحرير الفلسطينية، بل من تدبير أبو نضال، خصم ياسر عرفات اللدود. ومع ذلك، غزا بيغن لبنان. لا تُشكل السياسة والاستخبارات دائمًا صداقة مريحة.

لطالما تجاوزت أجهزة المخابرات الإسرائيلية المهام التقليدية للتجسس ومكافحة التجسس. وقد استمر التنوع العملياتي المبكر - وهو نتاج الظروف التي سعى فيها اليشوف نحو إقامة الدولة منذ منتصف الثلاثينيات - حتى سنوات الاستقلال. لم تنتهِ الهجرة السرية وشراء الأسلحة عام ١٩٤٨. فقد انعكست عمليات جلب يهود العراق والمغرب إلى إسرائيل في خمسينيات وستينيات القرن الماضي في هجرة يهود إثيوبيا السود في ثمانينيات القرن الماضي. وكانت هذه الأنشطة...

وقد أصبح هذا ممكناً بفضل التقليد الفريد للموساد في الحفاظ على الروابط السرية مع البلدان . بما في ذلك الدول العربية مثل المغرب والسودان . التي لا تستطيع أو لا ترغب في إقامة علاقات دبلوماسية مفتوحة معه. وكان هذا بمثابة حافز قوي لهذا التقليد.

لا يزال الحصول على الأسلحة والتقنيات المتقدمة سرًا، وغالبًا بشكل غير قانوني، وحرمان الأعداء منها احتلالًا سابقًا. في عام 1948، أغرق عملاء شاي سفينة تحمل مواد حربية إلى سوريا، واختطفوا السفينة التي أُرسلت لاستبدالها ثم سرقوا حمولتها من الأسلحة. في الخمسينيات من القرن الماضي، استغلت أمان قدراتها الاستخباراتية لتزويد فرنسا بمعلومات لا تقدر بثمن عن المتمردين الجزائريين وبنت تحالفًا محوريًا مع باريس لتحديث ترسانات إسرائيل والحصول على قدرة نووية مستقلة. في أوائل الستينيات، شن الموساد حربًا سرية لا هوادة فيها من التهديدات والاغتيالات ضد العلماء الألمان الذين يصنعون الصواريخ في مصر عبد الناصر. في عام 1981، أذهلت إسرائيل العالم بقصف المفاعل النووي العراقي. في عام 1989، شن الموساد حملة ضد العلماء الذين يصنعون الصواريخ للعراق ومصر. بالإضافة إلى <;4, .. a change لطالما كان استخدام وسائل الإعلام لنشر القصص والتحذيرات التي تساعد العمليات الإسرائيلية وتقوض أعداء البلاد تخصصًا.

في العقد الأخير من القرن العشرين، وبعد أكثر من أربعين عامًا من وجود إسرائيل، لا تزال الوظيفة الرئيسية لأجهزة استخباراتها تقييم النوايا والقدرات العسكرية العربية والتنبؤ بها. ويتولى جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) تنفيذ معظم ذلك، مستخدمًا التقنيات المتقدمة المتاحة له الآن. إسرائيل محاطة برًا بدول تُعتبر رسميًا في حالة حرب معها - سوريا والأردن ولبنان - ولا تزال تحكم الفلسطينيين المتمردين، الذين ربما أصبحوا اليوم أقرب من أي وقت مضى إلى تحقيق الاستقلال الذي ظلّ طويلًا بعيدًا عن متناولهم. وراء الدول المعادية مباشرةً، تكمن دول عربية أو إسلامية كبيرة وقوية لا تزال تُشكّل تهديدًا. حروب إسرائيل

السرية مستمرة. ومع ذلك، إذا كان هناك درس واحد في هذا التاريخ المضطرب، فهو أن أهمية الاستخبارات يمكن المبالغة فيها. إنها، في نهاية المطاف، ليست أكثر من أداة - أداة يجب أن يُدرك من يستخدمها قدراتها وحدودها بدقة.

ليس بديلاً عن السياسة. في عالمٍ أكثر كمالاً، ستُستغل معرفة الأعداء لمحاولة صنع السلام معهم. حتى ذلك الحين - في إسرائيل وأماكن أخرى - سوف يكون للجواسيس يومهم.

المصطلحات

(ح.) العبرية (أ) العربية (بالألف) اختصار

AHC: اللجنة العربية العليا
العاصفة: (أ) الجناح العسكري لحركة فتح (العاصفة)
علياء: (ح) الهجرة إلى إسرائيل (صعود)
أمان: (ح. أكر.) أجاف هموديعين (شعبة الاستخبارات في جيش الدفاع الإسرائيلي)

BGA: أرشيف بن غوريون
بيون : (ح) المخابرات والتجسس
BND: Bundesnachrichtendienst (جهاز المخابرات الخارجية لألمانيا الغربية)
بريشا: (ح.) الهروب

CIA: وكالة الاستخبارات المركزية (الولايات المتحدة الأمريكية)
CID: إدارة التحقيقات الجنائية (بريطانيا) CZA: الأرشيف الصهيوني المركزي

DFLP: الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين DST: إدارة مراقبة الأراضي (فرنسا)

ECM: التدابير المضادة الإلكترونية
EIMAC: لجنة الهدنة المشتركة بين مصر وإسرائيل

FAHA: (H. acr.) Pe'ilut hablanit 'oyenet (نشاط التخريب العدائي)
فتح: (أ. أ. أ.) اختصار عكسي لحركة التحرير الفلسطينية

الفدائيون: (أ) حرب العصابات ('المضحّون بأنفسهم') FLN: جبهة التحرير الوطني (الجزائر)

GSS: جهاز الأمن العام (انظر الشاباك)

باجاناه: (ب) جيش سري ما قبل الدولة ('الدفاع')
برناص : (أكر) بركة المقاومة الإسلامية (حركة المقاومة الإسلامية)
الهستدروت: اتحاد العمال حزب الله: (أ) حزب الله

IAF: سلاح الجو الإسرائيلي
جيش الدفاع الإسرائيلي: قوات الدفاع الإسرائيلية
IL: الليرة الإسرائيلية - الاسم الرسمي للعملة الإسرائيلية القديمة الانتفاضة: (أ) انتفاضة
إرجون: (ب) جماعة صهيونية يمينية سرية إرجون بيت: سلف إرجون
أرشيف دولة إسرائيل

JAE: الوكالة اليهودية التنفيذية الجهاد: (أ) الحرب المقدسة
جهاز الرصد: (أ) "جهاز المراقبة"، جهاز مكافحة التجسس التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، الصندوق القومي اليهودي

قطام: (ب. أكر.) كاتسين لتافكيدم ميهوديم ('ضابط واجبات خاصة') P A-KMA: أرشيف كيبوتس ميهاد- أرشيف بالما

لاكام: (ب. أكر.) ليشكا ليكشري مادا ('مكتب الاتصال العلمي') ليحي: (ب. أكر.) لوهامي بيروت يسرائيل ('مقاتلون من أجل حرية
إسرائيل، وهي جماعة إرهابية صغيرة متطرفة انفصلت عن الإرغون عامي ١٩٤٠ و١٩٤١، لمواصلة النضال من أجل التحرير الوطني ضد البريطانيين. تُعرف أيضًا باسم عصابة ستيم.

ماباي: (ب. أكر.) ميفلجيت بوعلي بريتز يسرائيل (حزب العمل الإسرائيلي) ماتكال: (ب. أكر.) ماتي كلالي (هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي)
مهدال: (ب) خطأ أو إهمال MI5: جهاز الأمن البريطاني
مل 6: جهاز المخابرات السرية البريطانية
MI9: منظمة بريطانية ساعدت أسرى الحرب على الهروب من ألمانيا

مستعربيم: (ب.) فصيلة عرب بالماح ('المعربون') موديعين: (ب.) استخبارات

الموساد: (ب. الموساد ليبيون أولتفكريم ميهوديم) ('المعهد)
(للتجسس والمهام الخاصة) المعارضون: (أ) المعارضة
المفتي: (أ) زعيم ديني مسلم. المخابرات: (أ) شرطة الأمن.

NGC: اللجنة الوطنية للتوجيه Nokmim: (H.) Avengers
NSA: وكالة الأمن القومي (الولايات المتحدة الأمريكية)

OAS: منظمة الجيش السري (فرنسا) OSS: مكتب الخدمات الاستراتيجية (الولايات المتحدة الأمريكية)

البلمة: (ب. أكر.) بلوغوت ماهاتز ('سرايا الضرب') البيشمركة: مقاتلو حرب العصابات الأكراد
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة
جيش التحرير الفلسطيني
جبهة تحرير فلسطين
منظمة التحرير الفلسطينية: PLO المجلس الوطني الفلسطيني: PNC
PRO: مكتب السجلات العامة القاضي: القاضي الشرعي المسلم
RAF: سلاح الجو الملكي
ريخيش: (ب) شراء الأسلحة سراً
ريجول: (ح.) تجسس
ريجول نجدي: (ب) مكافحة التجسس

السافاك: (اللغة الفارسية) سازمان أمنيات واطلاعات كيشفار (إيران) سايريت متكال: (ب) وحدة استطلاع هيئة الأركان العامة
SDECE: خدمة التوثيق الخارجي ومكافحة التجسس
(فرنسا)
SDO: ضابط المهام الخاصة (انظر كاتام) السفارديم: اليهود الشرقيون

الشاباك: (H. acr.) Sherut HaBitachon HaKlali ('جهاز الأمن العام'/GSS) أو شين بيت
شاحر: (ح.) فصيلة البالماح العربية ('الفجر') شاي: (ح. أكر.) شروت يديعوت ('خدمة المعلومات') شروت
مودعين: (ح.) جهاز المخابرات
شيروت يديعوت: (ح.) راجع شاي شين بيت: (ح.) راجع الشاباك
SIS: جهاز الاستخبارات السرية (بريطانيا) SNS: فرق الليل الخاصة
SOE: Special Operations Executive (Britain) Stem Gang: انظر Lehi
TNSS: جهاز الأمن الوطني التركي UAR: الجمهورية العربية المتحدة

قوة الأمم المتحدة لمراقبة فض الاشتباك
UNEF: قوة الطوارئ التابعة للأمم المتحدة
اليونيفيل: قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان UNLU: القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة NRU: وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين
UNSCOP: لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين UNTSO: هيئة الأمم المتحدة لمراقبة الهدنة

ييشوف: تعني حرفيًا "مستوطنة"، ولكنها تُستخدم عمومًا للإشارة إلى المجتمع اليهودي في فلسطين

ملحوظات

مقدمة

1 فيليب نايتلي، ثاني أقدم مهنة، لندن، 1986.
2 كريستوفر أندرو ود. ديلكس (المحرران)، البعد المفقود، لندن، 1984.
3 دينيس ايزنبرغ، إيلي لانداو ومناحيم بورتوجالي، عملية سفينة اليورانيوم، تل أبيب، 1978.
4 ولمثال بغيض بشكل خاص انظر سعد البزاز، الحرب كما ورد في كتابه سيريا، لندن، 1987 (البزاز دبلوماسي عراقي سابق).

1 الأصول: 1936-46

ل سفر توليدوت هاجاناه، المجلد الثاني، ص 632.
2 أوري ميلشتاين، "تولدوت ميلهميت هاعتسماوت"، المجلد الأول، تل أبيب، ١٩٨٩. ص 155.
3 ليو كوهن إلى آرثر لوري، 21 أبريل 1936، CZA S25/3252.
4 يوميات موشيه شرتوك، 5 أغسطس 1936، CZA S25/443.
5 مقابلة حاييم وايزمان مع ستانلي بالدوين، 19 مايو 1936، CZA S25/7559.

6 عزرا دانين، تسيوني بكهول تناهي، القدس، 1987، ص. 118.
7 المرجع نفسه، ص 123.
8 المرجع نفسه، ص 146.
9 آسا ليفين، 'هاشاي'، في موديعين فيبيتاشون لئومي، ص. 100.
10 دانين، المرجع السابق، ص 124.
11 عزرا دانين إلى رؤوفين زسلاني، 8 أغسطس 1936، ISA 4373/1.

510 ملحوظات

12 يهوشوا بوراث، الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، 1929-
1939، لندن، المجلد 977، ص. المجلد 79.
13 مذكرة عزرا دانين، 29 أغسطس 1936، جهاز الأمن الداخلي 1/4373.
14 رؤوفين زسلاني إلى حاييم شتورمان وناحوم هورويتز، 2 شباط (فبراير) 1937، ISA 4373/3.
15 تيدي كوليك، جيروزاليم بوست، 4 مايو 1984.
16 ماركوس سيف، لا تسأل عن السعر، لندن، 1987، ص 105-106.

ملحوظات

45 سي إم وودهاوس، شيء مغامر، لندن، 1982، ص 16.
46 تقرير روفن زسلاني، 27 نوفمبر 1944، CZA S25/205.

2 اختبار المعركة: 194 7-9

511

17 الغارديان، 7 يوليو 1987.
18 رؤوفين زسلاني إلى الدكتور دوف (برنارد) جوزيف، 15 يوليو 1938، ISA 4373/3.
19 أوراق رؤوفين زسلاني، ISA 4373/3/.
20 بوراث، المرجع السابق، ص 238.
21 عزرا دانين إلى رؤوفين زسلاني، 3 أكتوبر 1938، ISA 4373/3.
22 عزرا دانين إلى روفين زسلاني، 30 كانون الثاني (يناير) 1939، ISA 4373/3.
23 دانين، المرجع السابق، ص 137-139.
24 عزرا دانين إلى روفين زسلاني، 26 نوفمبر 1938، ISA 4373/3.
25 دانين، المرجع السابق، ص 144

26 م.، حيفا، إلى روفين زسلاني، 5 حزيران (يونيو) 1939، جهاز الأمن الداخلي 3/4373.
27 سفر توليدوت هاجاناه، المجلد الثالث، ص 242-245.
28 دانين، المرجع السابق، ص 154.
29 حوار مع شمشون مشبيتز.
30 حوار مع ديفيد كارون.
31 حوار مع ديفيد كارون.
32 مقابلة مع يعقوب شمعوني.
33 مقابلة مع يعقوب شمعوني.
34 ليفين، المرجع السابق، ص 102.
35 يسرائيل أمير، ديريخ لو سلولا، تل أبيب، 1988، ص 92-3.
36 مقابلة مع جوش بالمون.
37 تيودوت فيدمويوت، الطبعة الثانية، مطبعة ماغنيس، القدس، 1981، ص. 11-20.
38 ليفين، المرجع السابق، ص 103.
39 حوار مع ديفيد كارون.
40 شبتاي تيفيت، بن جوريون: الأرض المحترقة، بوسطن، 1987، ص 711-718.
41 شهادة رؤوبين زسلاني، 18 نيسان (أبريل) 1958، جهاز الأمن الداخلي 5/4373.
42 يروهام كوهين، ليئور هايوم أوفاماشاخ، تل أبيب، 1969، ص 25-46.
43 شهادة رؤوفين زسلاني.
44 جوليان أميري، نهج مارس، لندن، 1973، ص 281-2.

1 "القبض على رجال شاهار في يافا"، 1 كانون الثاني (يناير) 1948، إلى "تيني (عين)"، دائرة شاي عرب، KMA-101 PA-56.
2 ؟ إلى تيني (آين)، 26 ديسمبر 1947، KMA-109 PA-85؛ "معتزة" (مقر قيادة بالما) إلى "هليل" (يسرائيل جليلي)، 29 كانون الأول (ديسمبر) 1947، KMA ص أ 109-91؛ عزرا دانين إلى إلياهو ساسون، 23 ديسمبر 1947، CZA S25/4057؛ تيني (آين) إلى ساشا (ييجال ألون)، 25 كانون الأول (ديسمبر) 1947، KMA-109 PA-87؛ وترجمة لخبر في صحيفة الشعب يافا حول اعتقال "سارني"، مع محضر كتابة "لوريا" و"ساشا"، KMA-109 PA-86.
3 بيني موريس، نشأة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، 1947-1949، كامبريدج، 1988.
4 تقرير ساشا (ألون)، 27 مايو 1947، KMA-103 PA-3.
5 يوآف جيلبر، غارين لتسافا إيفري سادير، القدس، 1986، ص. 397؛ و'سيرجي' (ناحوم ساريج) إلى الكتائب؟ مارس 1948، أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي 1/10/960-12/.

6 المقر الرئيسي بالما إلى "ساشا" (ألون)،؟ أغسطس 1947، PA-KMA 101-77.
7 يروهام كوهين، ليئور هايوم أوفاماشاخ، تل أبيب، 1969، ص 60-61؛ و"تقرير الضباب في بيروت"، 18 كانون الثاني (يناير) 1948، PA 101-KMA-54.
8 ملاحظة بقلم 'هليل' (جاليلي)، 6 مايو 1948، PA 109 gimel-KMA-72؛ المقر الرئيسي بالما إلى "هيليل"، 13 مايو 1948، PA 102-KMA-30؛ ويديعوت أحرونوت، 27 إبريل 1982.
9 ييغال يادين إلى الألوية وقادة المدن، 3 فبراير 1948، PA-KMA، 102-38.
10 "دورية شاحار في القنيطرة"، 15 نوفمبر 1947، PA-KMA، 101-42 و44.
11 يديعوت أحرونوت، 20 أبريل 1977.
12 'جدعون' إلى لواء يفتاح/مقر قيادة بالما، 13 مايو 1948، PA 109 Gimel-KMA-138.
13 يمام كوهين، معراشوت، كانون الثاني (يناير) 1985.
14 OC Shahar، "تقرير عن اختطاف سيارة"، بدون تاريخ، KMA PA 107-19؛ و"المعلومات" (تقرير يومي، مقر البالماخ إلى هيئة الأركان العامة للهاجاناه)، 28 يناير 1948، P A-KMA 109 gimel-43.

512 ملحوظات

15 مقر بالما إلى ييغال يادين، 29 فبراير 1948، PA 101-KMA-

33 هاريل، المرجع السابق، ص 93.
34 ميلستين، المرجع السابق، ص 175.

ملحوظات 513

111؛ مقر قيادة البالماح إلى "الكنيست" (هيئة الأركان العامة للهاغاناه)، "التقرير اليومي"، 28 شباط (فبراير) 1948، PA 109 gimel-KMA-91؛ و سفر هبالما، المجلد. الثاني، ص 137-9. انظر أيضًا 0. ج. شاهار "تقرير عن اختطاف كمال كوبالاك على يد الشهار"، 3 أبريل 1948، PA 101-KMA-3.
16 مقر بالما إلى "أمون"، 23 يناير 1948، PA 107-KMA-80؛
المقر الرئيسي للبالماح لهيئة الأركان العامة للهاغاناه، 19 فبراير 1948، KMA PA 109 gimel-80؛ و'تقرير عن عملية "زرزير" [أي اغتيال] ضد الشيخ نمر الخطيب"، غير مؤرخ، غير موقع، PA 101-KMA-55.
17 ييجال يادين إلى ييجال ألون، بدون تاريخ، PA 101-KMA-99؛ ييجال
ألون إلى ييغيل يادين، 8 شباط (فبراير) 1948؛ ودقيقة عن طريق يجيل يادين، PA 101-KMA-97.
18 إيسر بئيري إلى ييجال ألون، 26 أغسطس 1948، PA 102-KMA-96؛
ومن مقر بالما إلى جهاز الاستخبارات، 6 سبتمبر 1948، KMA PA 102-97.
19 يديعوت أحرونوت، 27 أبريل 1984؛ ومعاريف، 20 شباط (فبراير) 1984:

20 فشلت محاولات متكررة لاستعادة جثمان البقاعي من الأردن
(يديعوت أحرونوت، 15 أبريل/نيسان 1990).
21 مذكرات بن جوريون، مدخل 3 أبريل 1947، مقتبسة من جيلبر، المصدر السابق، ص 394.
22 أوري ميلشتاين، "تولدوت ميلهميت هاعتسماوت"، المجلد الأول، تل أبيب، ١٩٨٩.
ص 170-72.
23 حوار مع إيسر هرئيل.
24 إيسر هاريل، بيتاشون فيديموقراطيا، تل أبيب، 1989، ص. 89.
25 حيزي سالومون، "هاشبات إرغوني هموديعين"، في "شيل هايشوف الهراخات هاماتساف شيل بن غوريون، 1946-1947"، معرشوت، 309.
26 جيلبر، المرجع السابق، ص 395-396.
27 "المرجع نفسه، ص 397-398."
28 ديفيد بن غوريون، يومان هاميلاما، المجلد الأول، تل أبيب، ١٩٨٢، ص ٣٦، مدخل ١٠ ديسمبر ١٩٤٧؛ ص ١١٢، مدخل ٤ يناير
1948؛ وص 169، مدخل 21 يناير 1948.
29 آسا ليفين، هاشاي، ص 103-106.
30 ميلستين، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 168-70.
31 بنحاس بيك، "هريشيت هتسفيت هأنتي-بريت شيل هاغاناه بيورشاليم"، عيدان، 2، 1983.
32 مقابلة مع شموئيل توليدانو؛ وليفين، المصدر السابق، ص 103-106.

35 بن جوريون، المرجع السابق، ص 35، مدخل 10 ديسمبر 1947؛ و426-CZA S25، الدائرة السياسية، "بروتوكول الاجتماع، 25 مارس 1948".
36 حوار مع شموئيل توليدانو.
37 بن جوريون، المرجع السابق، ص 246، 26 فبراير 1948؛ سفر توليدوت هاجاناه، المجلد الثالث، ص 1915؛ جيلبر، المرجع السابق، ص 406-407؛ وCZAS25/9664، "بروتوكول اجتماع الفرقة العربية، 22 أبريل 1948".
38 "بروتوكول الاجتماع بشأن شؤون "سام" [أي العرب]، 1-2 يناير/كانون الثاني 1948"، أوراق جمعية المهندسين العسكريين الإسرائيليين - إسرائيل جليلي؛ إسرائيل جليلي إلى الألوية، 18 يناير/كانون الثاني 1948.
39 "بروتوكول اجتماع الدائرة السياسية، 25 مارس 1948"، CZA S25/426.
40 جيلبر، مرجع سابق. المذكور.. ص 399-400.
41 المرجع نفسه، ص 400.
42 "بروتوكول اجتماع القسم العربي، 22 أبريل 1948"، CZA S25/9664.
43 مقتبس من جيلبر، المرجع السابق، ص 411.
44 المرجع نفسه، ص 411-412، نقلاً عن "معلومات عن الجيوش العربية - الغزو"، 9 مايو 1948، إدارة العمليات/الاستخبارات.

45 المرجع نفسه، ص 413-414.

46 "الجيوش العربية"، ٢٥ مايو/أيار ١٩٤٨، بقلم شموئيل يعاري، ISA FM ٦/٢٥٦٤. أصدرت دائرة شؤون الشرق الأوسط، قسم الأبحاث، بوزارة الخارجية، نسخة منقحة وموسعة من هذا التقرير في ٢٥ يونيو/حزيران ١٩٤٨.

47 جيلبر، المرجع السابق، ص 414.

48 المرجع نفسه، ص 418.

49 بن غوريون، المرجع السابق، المجلد الثاني، ص ٢٩٤. مدخل ٧ يونيو ١٩٤٨.

المرجع نفسه، ص 548. مدخل بتاريخ 24 يونيو 1948.

51 المرجع نفسه، ص 583، مدخل 12 يوليو 1948؛ وجيلبر، المرجع نفسه، ص 419.

52 يعقوب بيرديتشيفسكي، ممثل وزارة شؤون الأقليات في الجنوب، إلى غاد ماخنيس، المدير العام لوزارة شؤون الأقليات. تل أبيب، 4 نوفمبر/تشرين الثاني 1948، وزارة شؤون الأقليات في جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) 60/297.

53 من "حيرام" إلى "داعت (عين)" (القسم السياسي بوزارة الخارجية، القسم العربي). 17 حزيران/يونيو 1948، ISA FM 2569/13.

54 "جاسوس عربي"، 6 يناير/كانون الثاني 1949، إدارة شؤون الشرق الأوسط، وزارة الخارجية، ISA FM 2569/12.

55 "حيرام" إلى "دعات"، 3 آب/أغسطس 1948، ISA FM 2569/13، انظر أيضًا "تقرير من المخبرين الذين عادوا من رحلة عبر الناصرة-إربد-الزرقاء-عمان-أريحا-نابلس-الناصرة"، 15 أيلول/سبتمبر 1948، ISA FM 2569/13.

56 قسم الأبحاث ليعقوب شمعوني، 23 يوليو 1948، ISA FM 2569/13.

57 "المرجع نفسه، 19 يوليو/تموز 1948."

58 من الدائرة السياسية إلى يعقوب شيموني، ٢٧ يوليو ١٩٤٨، ISA FM ١٣/٢٥٦٩؛ ومن يعقوب شيموني إلى إلياهو ساسون، باريس، ١٩ أغسطس ١٩٤٨، ISA FM ١١/٢٥٧٠. انظر أيضًا جيلبر، المرجع السابق، ص ٤٢١.

59 "يديعوت أحرونوت، 7 أبريل 1988."

60 المرجع نفسه.

61 بن غوريون، المرجع السابق، المجلد الثالث، ص 968-969، مدخل 8 فبراير 1949.

62 جيلبر، المرجع السابق، ص 428.

63 تيدي كوليك، من أجل القدس، تل أبيب، 1978، ص. 57.

64 إيلي بيليج، روما، إلى موشيه شيرتوك، تل أبيب، 26 مايو 1948، أوراق رؤوفين شيلواه 7/4373.

65 على سبيل المثال، رسالة جيفرسون باترسون، من القاهرة، إلى وزير الخارجية، بتاريخ 20 يوليو/تموز 1948، تتناول القوات العربية المغاربية المقاتلة في فلسطين، مع مذكرة ملحقة بالعبرية بتاريخ

10 أغسطس/آب 1948، ISA، أوراق بوريس غوربيل. تحتوي الملفات على عدد كبير من برقيات الاستخبارات الخام من "ياناي" (عمليات باريس) إلى "دعات" (القسم السياسي) من الفترة 1948-1952، تتضمن معلومات استخباراتية جمعها عميل أو عملاء في الجزائر والمغرب.

66 إيلياهو ساسون (باريس) إلى يعقوب شيموني، 21 يوليو 1948، ISA FM 3749/1.

67 إلياهو ساسون، باريس، إلى يعقوب شمعوني، 23 أغسطس 1948، جهاز الأمن العام FM 3749/1.

68 على سبيل المثال، انظر "تقرير السيدة يولاند هارمر عن الوضع في مصر"، 18 أكتوبر/تشرين الأول 1948؛ و"تقرير عن مقابلة بين السيدة يولاند هارمر والسيناتور محمود عبد الفتاح"، باريس، 25 أكتوبر/تشرين الأول 1948، وكلاهما في ISA FM 2565/15.

69 إلياهو ساسون، باريس، إلى يعقوب شيموني، 16 أكتوبر 1948: يعقوب شيموني إلى إلياهو ساسون، باريس، 12 نوفمبر 1948، وكلاهما في ISA FM 3749/1؛ يولاند هانر، باريس، إلى إلياهو ساسون، تل أبيب، 5 تشرين الثاني (نوفمبر) 1948؛ ومحمود مخلوف إلى يولاند هارمر في 10 مارس 1949، وكلاهما في ISA FM 3749/2.

70 "تقرير عن اجتماع "فرع باريس" التابع لإدارة شؤون الشرق الأوسط، 2 فبراير/شباط 1949"، ISA FM 3749/2: وإيلياهو ساسون، تل أبيب، إلى أرازي وشموئيل ديفون، باريس، 2 فبراير/شباط 1949، ISA FM 3749/2.

71 "تقرير من يوسف الصباغ .."، 24 يونيو 1948، ISA FM 2408/16.

72 إيلياهو ساسون، باريس، إلى يعقوب شيموني، 23 يوليو/تموز 1948؛ وإيلياهو ساسون، باريس، إلى يعقوب شيموني، 20 أغسطس/آب 1948، وكلاهما في ISA FM 3749/1.

73 "تقرير إلى "داعت" من ليماسول، 25 ديسمبر 1948"، إذاعة إسرائيل إف إم 1/3749.

74 إيلياهو ساسون، باريس، إلى يعقوب شيموني، 9 سبتمبر 1948، ISA FM 3749/1.

75 يتسحاق ليفي، تيشا كابين، تل أبيب، 1986، ص 392-3؛ ومونيا ماردور، شليهوت ألوما، تل أبيب، 1957، ص 200-261.

ثلاث آلام ولادة: 1948-1951

1 إيسر هاريل، بيتاشون فيديموقراطيا، تل أبيب، 1989، ص. 171.

2 حجي إشيد، الموساد شيل إيش إيهاد، القدس، 1988، ص. 122.

3 المرجع نفسه، ص 126، 129، 130.

4 ديفيد بن غوريون، يومان هاميلاما، المجلد الثالث، تل أبيب، ١٩٨٢. ص 888، مدخل بتاريخ 20 ديسمبر 1948.

5 هاريل، المصدر السابق، ص 170؛ ومقابلة مع إيسر هاريل.

6 BGA، مدخل يوميات، 30 يونيو 1950.

7 تيدي كوليك، من أجل القدس، تل أبيب، 1978، ص. 49.
8 ريتشارد ديكون، ج، حياة السير موريس أولدفيلد، لندن، 1984، ص 69-70.
9 كوليك، المرجع السابق، ص 58.
10 أنطوني فيرير، من خلال المرآة، لندن، 1983، ص 97.
11 Idit Zertal، 'La 5ieme Cote du Triangle'، في I. Malk (ed.)، in La France et la Mediterranee.
12 يعقوب شيموني إلى إلياهو ساسون، باريس، 19 أغسطس 1948، جهاز الأمن العام FM 3749/1.
13 بالنسبة للعلاقات المبكرة بين الصهيونية والدروز، انظر إيان بلاك، الصهيونية والعرب، 1936-1939، نيويورك، 1986، ص 336-353.
14 يعقوب شيموني إلى إيلياهو ساسون، باريس، 12 يوليو/تموز 1948؛ ويعقوب شيموني إلى إيلياهو ساسون، باريس، 19 أغسطس/آب 1948، وكلاهما في ISA FM 3749/1.

ملحوظات

517 أنا

516

ملحوظات

39 من "دوف" إلى "ديكل" إلى "أور"، الموساد، "روث"، الموساد، 27 مايو أنا

15 يعقوب شيموني إلى إلياهو ساسون، باريس، 19 أغسطس 1948، جهاز الأمن العام

أنا

1951، ISA FM 2569/10.

FM 3749/1.

40 انظر "من أورن: ٢٨"، ISA FM ٢٥٦٩/١٠. في رسالة إلى هآرتس، أنا

16 يعقوب شيموني إلى إيلياهو ساسون، باريس، 16 سبتمبر 1948، ISA FM 3749/1.
17 إلياهو ساسون إلى يعقوب شمعوني، 27 سبتمبر 1948؛ عزرا دانين إلى توفيا أرازي، باريس، ٢١ سبتمبر ١٩٤٨؛ إلياهو ساسون إلى يعقوب شمعوني، 6 تشرين الأول (أكتوبر) 1948؛ وعزرا دانين إلى إلياهو ساسون في 24 أكتوبر 1948، جميعها في ISA FM 3749/1.
18 "ملخص اجتماع"، 2 يناير 1949؛ والإدارة السياسية ليعقوب شمعوني، 10 كانون الثاني (يناير) 1949، وكلاهما في ISA FM 2570/20.
19 ستيوارت ستيفن، سادة التجسس في إسرائيل، نيويورك، 1980، ص 11. 37.
20 إيشيد، المرجع السابق، ص 130-131.
21 "مؤتمر وزراء إسرائيل"، 17-23 يوليو/تموز 1950، تل أبيب والقدس، ISA FM 2463/2.
22 Eshed، المرجع السابق، ص 129.
23 "هآرتس، 7 أغسطس/آب 1981."
24 هاريل، المرجع السابق، ص 173.
25 المرجع نفسه، ص 174.
26 إيشيد، المرجع السابق، ص 132-133.
27 يوآف جيلبر، تولدوتههيتنادفوت، المجلد. الرابع، القدس، 1979-83، ص. 350.
28 هاريل، المرجع السابق، ص 147.
29 Eshed، المرجع السابق، ص 134.
30 توم سيجيف، مجلة إسرائيل ريشونيم، 1949، ص 144، نقلاً عن تقرير جهاز الأمن العام الصادر في 14 أغسطس/آب 1949.
31 عباس شبلاق، إغراء صهيون، لندن، 1986، ص 120.
32 المرجع نفسه، ص 114.
33 شلومو هليل، عملية بابل، في كل مكان.
34 "ديكل" إلى ريشوت (الموساد)، 22 مايو 1951، ISA FM 2569/10.
35 ريشوت غرين (الموساد)، إلى "نوري"، طهران، 23 مايو 1951، إذاعة إسرائيل إف إم 10/2569.
36 شموئيل ديفون إلى "المستشار في المهام الخاصة" (شيلواه)، 23

مايو 1951، ISA FM 10/2569.
37 "يوآف - ديكل" إلى ريشوت (الموساد)، 24 مايو 1951، 10 /ISA FM 2569.
38 يوآف - ديكل لريشوت (الموساد)، 24 مايو 1951، ISA FM 10/2569.

في 23 نوفمبر/تشرين الثاني 1983، ربط رئيس الأركان السابق في جيش الدفاع الإسرائيلي، اللواء (احتياط) ماتيتياهو بيليد، بين "سليم" ومورد حاي بن بورات ("مناشي سليم") وألمح إلى أن العراقيين أطلقوا سراح بن بورات لأنه سلم زملاءه العملاء.
41 "يهودا تاجار"، تقرير غير مؤرخ للموساد، ربما من نهاية عام 1955، ISA FM 2387/5، الرهان.
42 "دوف"-"ديكل" إلى قسم الوكالة اليهودية لليهودية الشرقية، 29 مايو 1951، ISA FM 2569/10.
43 إ. نداد، مدير إدارة يهود الشرق، إلى "يوآف" ("دوف")، 30 مايو 1951، ISA FM 2569/10.
44 إ. نداد، مدير إدارة يهود الشرق، إلى "يوآف"، بغداد، 30 مايو 1951، إذاعة العراق الحر، العدد 10/2569.
45 "الوضع في العراق"، ملخص أعدته الموساد، 5 يوليو/تموز 1951، ISA FM 2569/10.
46 "هآرتس، 12 يناير 1984."
47 ويلبر كرين إيفلاند، حبال الرمل، نيويورك، 1980، ص 48-9.
48 "محاكمات بغداد"، غير موقعة، غير مؤرخة، ربما وثيقة من الموساد، ISA FM 2387/7.
49 معاريف، 1 مارس 1968.
50 إيلياهو ساسون إلى وزير الخارجية والمدير العام لوزارة الخارجية، 5 فبراير 1952، ISA FM 6/2563.
51 هاريل، المرجع السابق، ص 178.
52 إيسر هرئيل إلى ديفيد بن جوريون، 8 ديسمبر 1960؛ إيسر هرئيل إلى حاييم يعاري، ويعقوب كاروز، وشموئيل م، 16 نوفمبر 1960 (خطاب تعيين)؛ وحاييم يعاري، ويعقوب كاروز، وشموئيل م، "تقرير لجنة التحقيق - قضية القنابل العراقية"، 7 ديسمبر 1960، جميعها في أوراق إسرائيل جليلي، أرشيف كيبوتس ميوهاد، 3/47.
53 سيجيف، المرجع السابق، ص 120.
54 "نوري" إلى ريشوت، 20 مايو 1951، ISA FM 2569/10.
55 "نوري" إلى ريشوت، 20 مايو 1951، ISA FM 2569/10.
56 "نوري" إلى ريشوت، 24 مايو 1951، ISA FM 2569/10.
57 "نوري" إلى ريشوت، 27 مايو 1951، ISA FM 2569/10.
58 "إيشد، المصدر السابق، ص 136؛ ومقابلة مع إيسر هرئيل".
59 مذكرات بن جوريون، مدخل 24 مايو 1952.

60 جيروزالم بوست، 29 أبريل 1960.
61 هاريل، المرجع السابق، ص 224.

4 من حرب إلى حرب: 1949-1956
1 أفيزر جولان وداني بينكاس، شولا: الاسم الرمزي للؤلؤة، نيويورك، ١٩٨٠، ص ٨٢، ١١٣. كانت شولا معروفة جيدًا لدى السلطات اللبنانية، واعتُقلت عدة مرات قبل أن تغادر البلاد نهائيًا. شموئيل موريا، عميل إسرائيلي من أصل عراقي زار بيروت ودمشق في تلك الفترة، قدّم نفسه - كإسرائيلي - لرئيس جهاز الأمن الداخلي اللبناني، أمير فريد شهاب، ونجا ليروي قصته (معاريف، ٤ يوليو ١٩٨٦).
2 حوار مع شموئيل توليدانو.
3 عوديد غرانوت، تسحال بهيلو: رايل هموديعين، تل أبيب، 1981، ص. 34.
4 تحتوي الملفات الإسرائيلية على نسخة مترجمة من رسالة من خبير عسكري ألماني خدم في سوريا إلى صديق في ألمانيا، بتاريخ 1 فبراير/شباط 1952. أفاد المستشار الذي لم يُكشف عن اسمه في مجال حرب المدرعات، والذي كان يعمل في دمشق تحت قيادة "عقيد سابق في هيئة الأركان العامة الألمانية، كريبل"، أنه كان واحدًا من حوالي ثلاثين "ضابطًا محترفًا سابقًا... جميعهم عادوا إلى صفوفنا السابقة، لكننا لا نرتدي الزي الرسمي...". وأضاف الضابط: "أنا مندهش للغاية من التعاطف الكبير الذي يكنونه لنا هنا نحن الألمان".
"... في العديد من المتاجر والمنازل الخاصة توجد صورة لهتلر ويبدو أنهم يحبونه كما كانوا يحبونه في الأيام السابقة." نسخة الرسالة موجودة في ISA FM 2565/13، أرسلتها السفارة الإسرائيلية في لندن إلى القدس.
5 "هآرتس، 28 مايو 1982."
6 تقرير بعنوان "سري للغاية"، 7 يناير 1950، ISA FM 2565/13.
7 موشيه ساسون، قسم شؤون الشرق الأوسط، إلى يوسف فوجل، بدون تاريخ، ISA FM 13/2565.
8 دائرة الاستخبارات في جيش الدفاع الإسرائيلي، "ردود أفعال الدول العربية والقوى العظمى على الأحداث في سوريا"، 14 كانون الأول (ديسمبر) 1951، ISA FM 2565/13.
9 باتريك سيل، النضال من أجل سوريا، لندن، 1965، ص 134.
رسالة من المندوب السامي جدعون رافائيل إلى وزير الخارجية، 21 فبراير 1954، ISA FM 2408/20.
11 سيل، المرجع السابق، ص 135.

12 موشيه شاريت، يومان إيشي (مذكرات شخصية)، المجلد 2، تل أبيب، 1978، ص 333، مدخل 1 فبراير 1954. ،
13 استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي 10، القاعدة الشمالية، "الاشتباك في جبل الدروز، 18"

مايو 1954، ISA FM 2569/1 رهان.
14 فرع استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي إلى رئيس الوزراء ووزير الدفاع وغيرهما، "ملخص الأحداث في سوريا ومصر، تقرير استخباراتي خاص"، 2 مارس 1954؛ بيرلين، الاستخبارات 10، إلى السفارة الإسرائيلية في واشنطن والمفوضية الإسرائيلية في أنقرة، 2 مارس 1954؛ وبينهاس لافون إلى وزير الخارجية، 9 مارس
1954، كل ذلك في ISA FM 2565/1 رهان.
15 شاريت، المرجع السابق، ص 374-375، مدخل 25 فبراير 1954.
16 سيل، المرجع السابق، ص 137.
17 حاييم أورباخ، شمال قطام، إلى مقر المخابرات 10، 14 فبراير
1951. ISA FM 2565/12.
18 شموئيل ديفون، من وزارة الخارجية، إلى يهوشافات هاركابي، من استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، 19 فبراير 1951، ISA FM 12/2565. ..
19 إي. شيلوش إلى إدارة شؤون الشرق الأوسط، وزارة الخارجية،
١٦ مايو ١٩٥١، ISA FM ١٢/٢٥٦٥. انظر أيضًا ISA FM ١٢/٢٥٦٥، E. أو
أ. إيلاني، باسم مدير جهاز الأمن العام، إلى إدارة شؤون الشرق الأوسط، بوزارة الخارجية، 2 مايو/أيار 1951.
20 إي. شيلوش إلى إدارة شؤون الشرق الأوسط، 31 أكتوبر 1951،
ISA FM 2565/11.
21 س. بن إلكانا إلى إدارة شؤون الشرق الأوسط، 20 سبتمبر
1951، ISA FM 2565/11.
22 يديعوت أحرونوت، 20 أبريل/نيسان 1977؛ وجرانوت، المصدر السابق، ص 31.
23 باماهان، 28 يونيو 1989.
24 إيسر هاريل، بيتاشون فيديموقراطيا، تل أبيب، 1989، ص. 172.
25 مقابلة مع يهوشافاط هركابي.
26 استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، العدد 5، 10 يناير/كانون الثاني 1955، ISA FM 2387/7. وُصف دور إيلاد في القضية بشكلٍ مُفصّل، بدءًا من تجنيده حتى عام 131، مرورًا بأنشطته في مصر، ووصولًا إلى اعتقاله وسجنه، في كتابه "هآدام هاشليشي"، تل أبيب، 1776. ورغم افتقاره الواضح للحياد، فإن دفاع إيلاد يُعيد صياغة نصٍّ أساسيٍّ لكشف خيوط القضية.
27 "هآرتس، 18 مارس 1975."
28 مقابلة مع يهوشافاط هركابي.
29 غرانوت، المرجع السابق، ص 38، يقدم نص يهوشافاط هركابي إلى إيسر
هاريل، 18 فبراير 1954.
30 مقابلة مع يهوشافات هركابي، محامٍ شغل منصبًا قانونيًا

520 ملحوظات
كان مستشار الموساد في ستينيات القرن الماضي يروي القصة التالية لتوضيح صعوبات العثور على جواسيس ذوي حس أخلاقي سليم. اعتاد عميل إسرائيلي متمركز في ميناء عربي المرور بروما في زياراته النادرة إلى وطنه. وهناك، صادق امرأة إيطالية مشكوك في مصداقيتها. في أحد الأيام، أثناء وجود العميل في موقعه، وصلت المرأة إلى حيفا ومعها طفل صغير، واشتكت للشرطة بأن والد طفلها جاسوس إسرائيلي. كانت تعرف القصة كاملة - كلمات السر، والأسماء المستعارة، وما إلى ذلك.

ملحوظات 521

33 معلومات خاصة.
34 هآرتس، 1 يناير 1988.
35 هآرتس، 18 آذار/مارس 1975؛ وهآرتس، 23 نيسان/أبريل 1980.
36 "رؤوس الاتفاق"، 26 أكتوبر/تشرين الأول 1954، ISA FM 2387/7.
37 العقيد جيبلي إلى وزير الدفاع، رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي، 27 أكتوبر/تشرين الأول 1954:
والعقيد جيبلي إلى وزير الدفاع، رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي،
أكتوبر 1954، كلاهما في ISA FM 2387/7.
38 استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي 5 إلى؟، 11 يناير 1955، ISA FM 2387/7. i1
الثاني
39 "هآرتس، 7 يوليو 1989."

تم استدعاء روتينسترايش للتعامل مع الأزمة وتولى

40 تظل دراسة إيشيد، المرجع السابق، هي الدراسة الأكثر تفصيلاً للوضع البيروقراطي.

111

أمرٌ حساسٌ لبن غوريون، الذي سأل بغضب: "أي نوعٍ من الناس تُجنّدونهم كجواسيس لنا؟" حاول روتينسترايش إلقاء نكتة. قال: "سيدي رئيس الوزراء، حاولنا إقناع شاي عجنون [الروائي العبري الحائز على جائزة نوبل] بالذهاب، لكنه رفض". بعد السويس، توترت العلاقات بين الموساد وأمان أيضًا بسبب قضية مردخاي (موتكي) كيدار، إحدى أكثر الفضائح حساسيةً وإثارةً التي هزت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية على الإطلاق. كان لكيدار ماضٍ إجرامي؛ إذ كان مشتبهًا به في سرقة بنك وربما جريمة قتل أيضًا. جُنّد في الوحدة
١٨٨ - الوحدة ١٣١ المُجددة - في صفقة مع الشرطة وبناءً على توصية من طبيب نفسي اعتقد أنه يمتلك الصفات اللازمة للعمل السري. في مارس ١٩٥٧، أُرسل إلى الأرجنتين لاختلاق قصة سرية قبل إرساله إلى دولة معادية. عاش في منزل يهودي محلي ثري وأقام علاقة غرامية مع ابنته. طعن كيدار مضيفه حتى

الموت بعد حصوله على ٨٠ ألف دولار قال إنه يحتاجها لترتيب اجتماع سري بين مسؤولين إسرائيليين ومصريين. هرب كيدار إلى باريس، لكن أُغري بالعودة إلى إسرائيل. حيث حوكم في أوائل عام ١٩٦٢ في جلسة سرية أمام محكمة عسكرية وحُكم عليه بالسجن المؤبد. أُطلق سراحه عام ١٩٧٤ بعد أن قضى سبعة عشر عامًا. في سجن رامي، حيث احتُجز في ظروف من السرية التامة، عُرف باسم "السجين إكس". (هرئيل، المرجع السابق، ص ٢٧١-٢٨٤، ٢٨٨-٢٩٠). بالنسبة لرواية كيدار، انظر صحيفة يديعوت أحانوروت، 2 فبراير/شباط 1990.

31 وصف حجاي إيشد العملية نفسها وصفًا دقيقًا في كتابه "مي ناتان وهاهورا"، القدس، 1979، الصفحات 17-32. وقدم أفييزر جولان، في كتابه "عملية سوزانا"، نيويورك، 1978، الصفحات 29-105، وصفًا أكثر تفصيلًا وشخصيةً من وجهة نظر المشاركين اليهود.

32 العقيد جيبلي إلى المدير العام لوزارة الخارجية ومدير الموساد، 1 نوفمبر 1954، ISA FM 7/2387.

الصراع الداخلي والتداعيات السياسية للقضية. إيشد، ووأنا

تم تعيينه من قبل بن جوريون للتحقيق وتوثيق القضية، وتمتع بإمكانية الوصول غير المسبوق إلى جميع المواد ذات الصلة من أمان والموساد ومجلس الوزراء.

41 معلومات خاصة؛ وصحيفة هآرتس، 23 أبريل/نيسان 1980.

42 معاريف، 13 أبريل 1982.

43 جدعون رافائيل، القدس، إلى رؤوفين شيلوا، واشنطن، 1
فبراير 1955، ISA FM 4374/22.

44 جدعون رافائيل إلى وزير الخارجية، 14 يونيو 1955، ISA FM
1/2446.

45 "التسلل العربي إلى إسرائيل"، قسم الأبحاث بوزارة الخارجية
- تسفي نعمان، 10 تموز (يوليو) 1952، ص. 10، عيسى FM 2474/13 أليف.

46 إيهود يعاري، ميتسرائيم فيهافدائيين، جفعات حبيبة، 1975، PP•
11-10.

47 راضي عبد الله، القاهرة، إلى رئيس أركان الجيش العربي،
عمان، تقرير عن "الحوادث على الحدود المصرية الإسرائيلية"، 5 سبتمبر 1955، PRO PO 115905/371.

48 قاعدة كاتام، القدس، إلى استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، 1 أبريل 1954، جهاز الأمن العام الإسرائيلي
FM 2453/7.

49 مراقب الأمم المتحدة، الرائد روزينيوس، يتحدث إلى رئيس EIMAC، 4 كانون الأول/ديسمبر 1954، ISA FM 2402/12.

50 دائرة استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، "التسلل في عام 1952 (ملخص

(الأشهر من يناير إلى نوفمبر ١٩٥٢)، بدون تاريخ، ISA FM ٤/٢٤٢٨ (ألف). تضمن الملحق أ من الملخص قائمة بالقرى الحدودية التي كانت بمثابة قواعد للمتسللين على الجبهات السورية اللبنانية والأردنية والمصرية. القرية الأولى المدرجة في
الجبهة الأردنية كانت قبية.

51 انظر، على سبيل المثال، قسم الاستخبارات في جيش الدفاع الإسرائيلي، "النشاط على الحدود والملخصات والاستنتاجات لشهر يناير

1952، 13 فبراير 1952، ص 1، ISA FM 2428/7؛ قسم الأبحاث بوزارة الخارجية، "التسلل العربي إلى إسرائيل"،
10 يوليو 1952، ص 10، ISA FM 2474/13؛ يائير إلغوم، قسم الأبحاث بوزارة الخارجية، إلى مردخاي غازيت، إسرائيل إمباسي، لندن، 25 مايو 1953، ISA FM 2592/18؛ وقسم الأبحاث بوزارة الخارجية، "غلوب يطالب بمعاقبة المتسللين"، 26 مارس 1954، ISA FM 2453/6.

52 أ. إيلان إلى جدعون رافائيل، 4 يناير 1954، ISA FM 2474/13 aleph.

أو ... عدم وجود "مصادر موثوقة حقًا في قلب مصر".

63 مقتبس من كوهين، المرجع السابق، ص 130.

64 انظر إيلاد، المصدر السابق، في كل مكان، عن زياراته المختلفة للقواعد العسكرية المصرية في عامي 1953-1954.

65 BGA، مذكرات بن غوريون، مدخل بتاريخ 15 سبتمبر 1956. رئيس الوزراء
وكان الوزير قارئًا شغوفًا ومعجبًا بتقارير الاستخبارات الصادرة عن جيش الدفاع الإسرائيلي.
ولكنه كان من الممكن أن يكون دقيقًا؛ ففي مايو 1955 طلب من أمان التأكد من
أنه استخدم التهجئة العبرية الصحيحة لأسماء الأشهر 1:

ج:

53 قسم الأبحاث، "غلوب يطالب بمعاقبة المتسللين"

(ديفيد بن جوريون إلى رئيس الأركان وأمان، 7 مايو 1955، بي جي إيه).

،أنا!

trators'، تاريخ المعلومات 1 فبراير 1954، تاريخ التوزيع

[أنا

66 مقتبس من سيلوين لويد، السويس 1956، لندن، 1980، ص 34-35.

سوف

26 مايو 1954، ISA FM 2453/6.

67 رئيس الموساد (ليسر هرئيل) حتى عام 1955، وكالة الأنباء الإسرائيلية

'أنا!

54 قسم الأبحاث في وزارة الخارجية، "بشأن جريمة القتل في معاليه عقربيم"، تاريخ المعلومات 21 مارس 1954، تاريخ التوزيع 23 مارس 1954، ISA FM 2453/6.
55 "تصريحات مدير الاستخبارات العسكرية، العقيد يهو شافط هركابي، في لقاء مع الصحفيين بتاريخ 7 أكتوبر 1955"، إذاعة إسرائيل إف إم 7/2440.
56 يعاري، المرجع السابق، ص ٢٧-٣١. يستند هذا الوصف إلى تقرير اللجنة المصرية التي حققت في القضية.
57 "تصريحات مدير الاستخبارات العسكرية، العقيد يهو شافط هركابي، في لقاء مع الصحفيين بتاريخ 7 أكتوبر 1955"، إذاعة إسرائيل إف إم 7/2440.
58 معاريف، 12 يونيو 1986؛ و إي إل إم بيرنز، بين العرب والإسرائيليين، لندن، 1962، ص 164-165.
59 يائير إلغوم، قسم الأبحاث بوزارة الخارجية، إلى مردخاي غازيت، سفارة إسرائيل، لندن، 25 مايو 1953، ISA FM 2592/18.
60 فرع استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، "تأسيس منظمة فدائية في الأردن"، بدون تاريخ، مع رسالة توضيحية من سفارة إسرائيل في لندن إلى السيد عوفر، وزارة الخارجية في القدس، 1 يونيو 1956، ISA FM 2592/18.
61 فرع الاستخبارات في جيش الدفاع الإسرائيلي، "تقرير خاص: حادثة غزة - ملخص وتقييم للوضع"، 22 مارس 1955، ISA FM 2454/5.
62 غرانوت، المرجع السابق، ص 45-46؛ وريموند كوهين، "الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية قبل حملة سيناء عام 1956"، في مجلة الاستخبارات والأمن القومي، المجلد 3، العدد 1، يناير 1988، ص 100-140. يذكر كوهين أن "نقطة الضعف في عمل جهاز المخابرات العامة (أمان) في الفترة التي سبقت حملة سيناء عام 1956 تمثلت في غياب أدلة موثوقة على التفكير المصري على أعلى مستوى".

7/2450.

68 موشيه شاريت، يومان إيشي، المجلد 5، تل أبيب، ص 1372، مدخل للصفحة 12 أنا مارس 1956.
69 المرجع نفسه، المجلد 6، ص 1572، مدخل 18 يوليو 1956.

70 هاريل، المرجع السابق، ص 403.
71 حوار مع إيسر هرئيل.
72 بوسطن جلوب، 14 ديسمبر 1986.
73 معاريف، 20 يناير 1989.
74 "يديعوت أحرونوت، 23 يناير 1989."
75 محمد هيكل، أبو الهول والمفوض، لندن، 1978، ص 93.

5 أعداء الداخل: 1948-6 7
1 إيسر هاريل، بيتاشون فيديموقراطيا، تل أبيب، 1989، ص. 162.
2 مقابلة مع إيسر هرئيل؛ وسفر توليدوت ههجاناه، المجلد 3، الجزء 2، ص 1082.
3 مذكرات بن جوريون، مدخل بتاريخ 29 يناير 1951.
4 المصدر نفسه، مدخل 1 فبراير 1951. وحتى عام 1954 كان سعر الصرف الرسمي 1.8 مقابل الدولار الأميركي.
5 المرجع نفسه، مدخل بتاريخ 18 سبتمبر/أيلول 1951؛ انظر أيضًا مدخل بتاريخ 21 سبتمبر/أيلول 1951.
نوفمبر 1950.
6 هاأويام ها7،هـ، 8 يونيو 1957.
7 معاريف، 29 يونيو 1980.
8 موشيه شاريت، يومان إيشي، المجلد 1. تل أبيب، 1978، ص 91، المدخل
بتاريخ 28 أكتوبر 1953.
9 مقابلة.
10 حوار مع السيد هاريل.
11 جيروزاليم بوست، 27 سبتمبر 1963.

12 حوار مع آموس مانور.
13 حوار مع افرايم ليفي.
14 "هعولام هازيه، 20 يوليو 1988."
15 معلومات خاصة.
16 إيسر هاريل، هيميت الرتزا كاستنر، تل أبيب، 1985، ص. 133؛ ويواف جيلبر، تولدوت ههتنادفوت، المجلد. الثالث، القدس، 1979-1983، ملاحظات السيرة الذاتية.
17 حداشوت، 6 نوفمبر 1987.
18 هاريل، بيتاشون، مرجع سابق، ص. 166.
19 يشعياهو لاوي، ملحمة هتسلاميم، تل أبيب، 1969، ص. 30.
20 حوار مع يعقوب كاروز.
21 هاريل، بيتاخون، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 164.

22 مقابلة.
23 شاريت، المرجع السابق، المجلد الأول، ص 145-146، مدخل 12 نوفمبر 1953.
24 والتر شوارتز، العرب في إسرائيل، لندن، 1959، ص 23.
25 مقابلة.
26 السيد ألون، جهاز الأمن العام، إلى قسم الشرق الأوسط بوزارة الخارجية، 16 يناير/كانون الثاني 1951، ISA FM 2565/20، 2565/12.
27 إلياهو ساسون لـ GSS، 13 نوفمبر 1950.
28 شوارتز، المرجع السابق، ص 141.
29 مقابلة.
30 مذكرات بن جوريون، مدخل بتاريخ 19 ديسمبر 1957.
31 شوارتز، المرجع السابق، ص 89-90.
32 حوار مع يعقوب كاروز.
33 "ليفيت، المصدر السابق، ص 67."
34 جيروزاليم بوست، 14 نوفمبر 1958.
35 مقابلة.
36 يشعياهو لافي (محرر)، برشيوت نئيلاموت، تل أبيب، 1961، ص 7-29.
37 "ليفيت، المصدر السابق، ص 89."
38 ماتارا، أغسطس 1988؛ ويعقوب كاروز، المخابرات العربية، لندن، 1978، ص 125-8.
39 كاروز، المرجع السابق، ص 148.
40 المرجع نفسه، ص 155.
41 "ليفيت، المصدر السابق، ص 147-148."
42 معاريف، 6 يونيو 1986.
43 كاروز، المرجع السابق، ص 165.
44 رفض مسؤولون في الاستخبارات والأمن الإسرائيليين، بمن فيهم إيسر هاريل، الميموني، هذه القصة ووصفوها بأنها هراء. وكشفت مصر عن

لم يُكتشف وجود الجاسوس إلا في منتصف ثمانينيات القرن العشرين، وحُوِّلت القصة إلى مسلسل تلفزيوني شهير. صحيفة أوبزرفر، 6 يوليو/تموز 1988، ومعاريف، 5 يوليو/تموز 1988.
45 "ليفيت، المصدر السابق، ص 70-75."
46 كاروز، المرجع السابق، ص 73-6.
47 إيليا جيركفيلوف، الخادم السري، لندن، 1987، الصفحات 246-9.
48 لسر هاريل، ريجول سوفيتي، تل أبيب، 19 8 7، ص. 14.
49 حوار مع إيسر هرئيل.

50 وبحسب ما ذكره أيون باسيبا في كتابه "آفاق حمراء"، لندن، 1989، ص 284، فإن المخابرات الرومانية كانت تدير عميلاً ناجحاً للغاية كان يعيش في بعثة الكنيسة الرومانية في القدس.

51 راي بروك، الدم والنفط والرمل، كليفلاند، 1952، ص 69.

52 شاريت، المرجع السابق، المجلد 5، تل أبيب، 1978، ص 1393، مدخل للصفحة 13 أبريل 1956.

53 المرجع نفسه، ص 1398، مدخل 27 أبريل 1956.

54 المرجع نفسه، المجلد 6، ص 1629، مدخل 13 أغسطس 1956.

55 أفري إلعاد، هآدم هاشليشي، تل أبيب، 1976، ص 283-6.

56 اللاوي، المرجع السابق، ص 99

57 BGA، مذكرات بن جوريون، مدخل 12 يناير 1952؛ وميخائيل بار زوهار، بن جوريون، المجلد 2، تل أبيب، 1987، ص 924.

58 هاريل، كاستنر، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 17.

59 مذكرات بن جوريون، مدخل بتاريخ 26 يوليو 1950.

60 هرئيل، بيتاحون، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 207-12؛ وهآرتس، 8 يونيو 1973.

61 مقابلة؛ وهاعولام هازيه، يونيو 1957.

62 بار زوهار، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 927-8.

63 هاعولام هازيه، 8 مايو 1957.

64 بيان الكنيست، 19 حزيران 1957.

65 مذكرات بن جوريون، مدخل بتاريخ 19 يونيو 1957.

66 هرئيل، بيتاحون، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 215.

67 مذكرات بن جوريون، مدخل بتاريخ 29 يوليو 1957.

68 المرجع نفسه، مدخل بتاريخ 22 نوفمبر/تشرين الثاني 1957.

69 حوار مع رودي افنيري.

70 يوسف الموجي، همفاك بن غوريون، تل أبيب، 1988، ص. 26.

71 أوري أفنيري إلى ديفيد بن جوريون، BGA، 6 ديسمبر 1953.

72 شاريت، المرجع السابق، المجلد 4، تل أبيب، 1978، ص 1036، مدخل 1 يونيو 1955,

73 تيدي كوليك، من أجل القدس، تل أبيب، 1978، ص. 53.

74 نوح لوكاس، تاريخ إسرائيل الحديث، لندن، 1974، ص 327-328.

75 "هعولام هازيه، 20 مارس 1957."

76 هاريل، كاستنر، مرجع سابق. المذكور، ص 264، 353.

77 حوار مع أوري أفنيري.

78 شاريت، المرجع السابق، المجلد 6، ص 1636، مدخل 17 أغسطس 1956؛ ص 173.
1685، مدخل بتاريخ 4 سبتمبر 1956؛ وصفحة 1704، مدخل بتاريخ 17
سبتمبر 1956.
79 المرجع نفسه، المجلد 7، ص 1882، مدخل 27 نوفمبر 1956.
80 المرجع نفسه، المجلد 8، ص 2314، مدخل 18 سبتمبر 1957.
81 HaOlam HaZ.eh, ? 19 حزيران (يونيو) 57.
82 أفنير بار أون، ها سيبوريم شيلو سوبرو، القدس، 1981، ص. 110.
83 هاريل، ريجول، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 26-9.
84 المرجع نفسه، ص 92.
85 المرجع نفسه، ص26.
86 بيرة إسرائيل، بيتاخون يسرائيل، تل أبيب، 1966، ص. 17.
87 هاريل، ريجول، المرجع السابق، ص 93؛ وبير، المرجع السابق، ص 9-50.
88 حوار مع افرايم ليفي.
- 89 شاريت، المرجع السابق، المجلد 5، ص 1349، مدخل 14 فبراير 1956.
90 هاريل، ريجول، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 105.
91 والتر لاكور، عالم الأسرار، نيويورك، 1985، ص. 213.
92 مايلز كوبلاند، لعبة الأمم، نيويورك، 1969، ص 105.
93 راينهارد جيلين، الخدمة، نيويورك، 1972، ص. 260.
94 هاريل، ريجول، المصدر السابق، ص 120؛ وصحيفة هاداشوت، 19 أبريل/نيسان 1989.
95 "يديعوت أحرونوت، 9 مارس 1990."
96 حداشوت، 19 أبريل 1989.
97 حوار مع إيسر هرئيل.
98 معاريف، 25 أبريل 1964.
99 الجارديان، 8 ديسمبر 1982.
100 معاريف، 6 يونيو 1986.
101 آفي شلايم، التواطؤ عبر نهر الأردن، أكسفورد، 1988، ص 232.
102 الغارديان، 18 أبريل 1987.

103 يديعوت أحرونوت، 8 كانون الأول (ديسمبر) 1989.
104 ديفيد رونين، شنات شاباك، تل أبيب، 1989، ص 27.
105 إيتان هابر، هيوم تيفروتز ملحمة، تل أبيب، 1987، ص. 131.
106 جيروزالم بوست، 26 مارس 1978.
107 مقابلة.
108 حوار مع شموئيل توليدانو.
109 هرئيل، بيتاحون، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 443.

1 حجاي إيشيد، الموساد شيل إيش إهاد، القدس، ص 165. انظر أيضًا صحيفة بوسطن غلوب، 14 ديسمبر 1986، للعلاقة الخاصة التي تربط أنجليتون بالموساد.

2 إيسر هاريل، بيتاشون فيديموقراطيا، تل أبيب، 1989، ص 382-3.

3 مقابلة مع إيسر هاريل. يبدو أن استجواب الشاباك للمهاجرين الجدد من وراء الستار الحديدي، ونقل المعلومات المُجمّعة - عن المنشآت الصناعية والعسكرية السوفيتية وغيرها من المنشآت الاستراتيجية - إلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) بشكل منظم، قد بدأ في يونيو/حزيران أو أوائل يوليو/تموز 1951. في 20 يوليو/تموز 1951، أبلغ شيلواه، رئيس الموساد، السفير الأمريكي في تل أبيب، مونيت ب. ديفيس، أن "الكثير من المعلومات المفيدة متاحة بالفعل للولايات المتحدة". وعلّق ديفيس، وهو يُقدّم تقريره إلى وزير الخارجية، بأن سفارته لا تعلم شيئًا عن هذا الترتيب، "ولكن هذه هي المرة الثانية التي يُقدّم فيها [شيلواه] تأكيدات بأن حكومته تتعاون في تقديم معلومات مستمدة من المهاجرين".

وبعد بضعة أسابيع، أصبحت شيلوا أكثر حذرًا في الاجتماع

مع مرؤوسي ديفيس، نائب رئيس البعثة، إروين ب. كيلر، وستيفن زاغورسكي، الملحق بالسفارة. استفسر كيلر من رئيس الموساد عن "ملاحظة سابقة لشيلواه مفادها أن الحكومة الإسرائيلية تحصل أحيانًا على معلومات بالغة الأهمية، وأنها تصل إلى مصادرها الصحيحة [هكذا: يُفترض أنها وكالات] - هل يعني هذا أنه يمكننا افتراض أنها وصلت إلى الحكومة الأمريكية، سواء عبر قنوات دبلوماسية أو غيرها؟ لم يُجب السيد شيلوه على السؤال الأول، وقال على السؤال الثاني إنه لا يملك حرية الكشف عن القنوات؛ ومع ذلك، تحدث بشكل مبهم عن بن غوريون وشاريت ودائرة معارفه الواسعة في الولايات المتحدة وأماكن أخرى". (انظر الأرشيف الوطني (واشنطن)، RG84، السجلات العامة المصنفة لسفارة تل أبيب، 1950-1952، مراسلات تريفي والأمن المحيطي، 350، ديفيس إلى سيكستيت (60)، 20 يوليو 1951، و"مذكرة المحادثة" (شيلواه، كيلر، زاجورسكي)، 13 سبتمبر 1951 والمذكرة المرفقة التي كتبها ديفيس، 21 سبتمبر 1951).

كانت عمليات جمع المعلومات السرية التي أجرتها السفارة - مشروع تريفي ومشروع التقارير المحيطية - وراء كشف شيلوا للدبلوماسيين الأمريكيين في تل أبيب. وكان زاغورسكي وكيلر مسؤولين عن العمليتين على التوالي.

1.•أنا 1
أنا

الذي كان الغرض منه جمع معلومات عن مختلف الحقائق السوفيتية والكتلة الشرقية، بما في ذلك اضطهاد المنشقين الدينيين، و"إنكار حقوق الإنسان" خلف الستار الحديدي ومعسكرات "العمل القسري". جمعت السفارة هذه المعلومات من خلال مقابلة المهاجرين اليهود الجدد من الكتلة الشرقية، ومسح الصحف والمجلات المحلية، والانتقاء من البيانات الصحفية والبيانات الرسمية للحكومة الإسرائيلية. أثارت عمليات تريفي والتقارير الطرفية قلقًا شديدًا لدى قادة إسرائيل، الذين خشوا أن تصل أخبارها إلى سلطات الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية. وعلى وجه التحديد، خشي شيلوا والقادة الإسرائيليون الآخرون من أن هذه العمليات "ستعطل الترتيبات القائمة أو تحرج الترتيبات المستقبلية مع حكومات الستار الحديدي، والتي بموجبها تسمح الأخيرة بهجرة اليهود إلى إسرائيل". فرض شيلوا قيودًا صارمة على جامعي المعلومات في تريفي والتقارير الطرفية.
ومع ذلك، فإن عملاء زاجورسكي وكيلر في واشنطن
كان البريطانيون راضين عن المنتج. وكما كتب هارولد فيدلر، المسؤول عن مكتب الشؤون البولندية والبلطيقية والتشيكوسلوفاكية في وزارة الخارجية، إلى زاغورسكي في ربيع عام ١٩٥٢: "أود أن أخبرك أننا نتابع عن كثب التقارير الهامشية عن بولندا وتشيكوسلوفاكيا التي وردت من تل أبيب..." تقارير ممتازة ...

أذكرُ على وجه الخصوص الرسائلَ المُعدّةَ حولَ مواضيعَ نوقشت مع عضوٍ سابقٍ في وزارةِ الخارجيةِ التشيكوسلوفاكية... وقد قدّمت رسالةُ الوحدةِ الطرفيةِ رقمَ 451، بتاريخ 5 ديسمبر/كانون الأول 1951، والتي تناولت سقوطَ رودولف سلانسكي، معلوماتٍ قيّمةً حولَ الدوافعِ المحتملةِ وراءَ عملياتِ التطهيرِ التشيكوسلوفاكيةِ الأخيرة. كما كنا مهتمينَ للغايةِ بمعرفةِ روايتكَ المُلفتةِ عن معاناةِ وظروفِ العملِ القسريِّ البائسةِ في الاتحادِ السوفيتي...
رسالة أخرى من واشنطن تُعطي فكرة عن نوع التفاصيل التي اهتم بها عملاء زاغورسكي: "أنا على وشك كتابة تقرير عن الوضع الحالي لحزب العمال الروماني (الشيوعي)،" كتب أحد مسؤولي قسم الأبحاث إلى زاغورسكي، "مع التركيز على سيطرته على جميع مراحل المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والدينية في البلاد. لذلك، سأكون ممتنًا لأي شيء يمكنك الحصول عليه حول هذا الموضوع. أمثلة ملموسة على كيفية تأثير التنظيمات الخلوية على ضوابطها المتعددة في مصنع صناعي، أو مدرسة،

"إن وجود وحدة عسكرية أو شرطة، أو مجلس شعبي محلي، أو مزرعة جماعية، وما إلى ذلك، من شأنه أن يكون بمثابة مساعدة كبيرة لي في محاولة تقدير قوة الحزب على حياة المواطن الروماني العادي..." (انظر NA RG84، سفارة تل أبيب، السجلات العامة السرية، 1950-52، تريفي وبيرفيرال، المراسلات الأمنية 350. (61)، ديفيس إلى سيكستيت، 20 يوليو 1951؛ هارولد فيدلر إلى ستيفن زاجورسكي، 15 أبريل 1952؛ وستيفن بيترز، قسم الأبحاث في الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية، وزارة الخارجية، إلى ستيفن زاجورسكي، 12 فبراير 1952. وتوضح وثائق أخرى في هذا الملف المنتفخ جوانب أخرى من تريفي

وبيرفيرال، العمليات التي أجريت أيضًا من سفارات أمريكية أخرى في بلدان تستوعب أعدادًا كبيرة من المهاجرين من الكتلة الشرقية).

4 مذكرات بن جوريون، مدخل بتاريخ 23 فبراير 1952.

5 هاريل، المرجع السابق، ص 388.

6 يديعوت أحرونوت، 24 نوفمبر 1985.

7 Eshed, op. cit., p. 164; and Moshe Sharmet, YoMan Ishi, Tel Aviv, 1978, assim, ".Jim"for references to

8 توماس باورز، الرجل الذي احتفظ بالأسرار، نيويورك، 1979. ص100.

9 تيدي كوليك، من أجل القدس، تل أبيب، 1978، ص. 99.

10 شاريت، المرجع السابق، المجلد 5، ص 1420، مدخل 8 يونيو 1956.

11 حوار مع إيسر هرئيل.

12 حوار مع يعقوب كاروز.

13 معرشوت، 306-7، ديسمبر 1986 – يناير 1987، الصفحات 28-37.

14 مقابلة مع يهوشافاط هركابي.

15 عوديد غرانوت، تسحال بهيلو: رايل هموديعين، تل أبيب، 1981، ص. 53-6.

16 حوار مع مردخاي بار أون.

17 أليستير هورن، حرب سلام وحشية، لندن، 1977، ص 157-158؛ وموشيه ديان، قصة حياتي، لندن، 1977، ص 235.

18 روجر باليجوت وباسكال كروب، المسبح، ص 109-118.

19 الغارديان، 30 أكتوبر 1986.

20 ماتي جولان، شمعون بيريز، لندن، 1982، ص 36.

21 "هآرتس، 29 سبتمبر/أيلول 1989."

22 هاريل، المرجع السابق، ص 291-296.

23 "يديعوت أحرونوت، 10 فبراير 1989."

24 إليعازر شوشاني (محرر)، تيشا شانيم ميتوش البايم، شليهوتا شيل يسرائيل بيجالوت ماروكو باشانيم 1955-1964، 1964، ص. 42؛ وشموئيل سيغيف، ميفتسا ياشين، تل أبيب، 1984، ص 34-5. تيشا

"شانيم" هو السجل الرسمي المشترك للموساد والوكالة اليهودية لعملية الهجرة المغربية. لا يزال المجلد سريًا. نسخة منه محفوظة في "أوراق إسرائيل غاليلي"، الصندوق ٥٠، أرشيف كيبوتس ميوهاد، إفعال، إسرائيل.

25 سيجيف، المصدر السابق، ص 70.

26 "يديعوت أحرونوت، 22 يناير 1988."

27 شوشاني، المرجع السابق، ص 21.
28 سيجيف، المرجع السابق، ص 108.
29 "يديعوت أحرونوت، 28 كانون الأول (ديسمبر) 1988."
30 "يديعوت أحرونوت، 22 يناير/كانون الثاني 1988؛ وشوشاني، المصدر السابق، ص 117." 19-20، 242.
31 الغارديان، 29 ديسمبر 1988.
32 سيغيف، المصدر السابق، ص 114. رسالة من س. ز. شراجاي، مدير إدارة الهجرة في الوكالة اليهودية، إلى رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ناحوم جولدمان، 27 أغسطس 1956، المشار إليها في دراسة قادمة للدكتور يارون تسور عن الموساد وعملية الهجرة المغربية، تحكي عن اجتماع قبل ثلاثة أيام مع الحاكم البريطاني لجبل طارق وتلقي الضوء على الدور البريطاني والمواقف في هذا الوقت تجاه العملية الإسرائيلية.
33 "يديعوت أحرونوت، 22 يناير 1988."
34 كان غوتمان، الذي عمل مع آرثر بن ناتان في مكتب الموساد في فيينا، أحد أعضاء عصابة "نوكميم" (المنتقمون)، وهي عصابة من الهاغاناه وجنود سابقين في الجيش البريطاني قاموا بملاحقة وإعدام ضباط قوات الأمن الخاصة (SS) في أجزاء من أوروبا التي احتلها الحلفاء بعد الحرب العالمية الثانية مباشرةً. انضم لاحقًا إلى المدفعية. في عام ١٩٤٩، شارك في مؤامرة لقتل مجرمي حرب نازيين في سجن سبانداو، لكن الخطة أُحبطت.
35 شوشاني، المرجع السابق، ص 105-7، ينقل رسالة إيسر هاريل إلى قائد ميسجيريت، باريس، 20 فبراير 1961.
36 شوشاني، المصدر السابق، ص 103-104، يعيد إنتاج رسالة إيسر هاريل إلى قائد ميسجيريت، باريس، 27 فبراير 1961.
37 سيجيف، المرجع السابق، ص 251.
38 آرييه ليوفا إلياف، طباعت إيدوت، تل أبيب، 1984، ص 99-119.
39 معاريف، 19 فبراير 1988.
40 هاريل، المرجع السابق، ص 409.
41 حوار مع يعقوب كاروز.
42 سيجيف، المصدر السابق، ص 93.
43 حوار مع يعقوب كاروز.
44 هاريل، المرجع السابق، ص 178.

45 Eshed، المرجع السابق، ص 282.
46 هاريل، المرجع السابق، ص 409.
47 تقرير وكالة المخابرات المركزية، 1976.
48 شموئيل سيغيف، همشولاش هالراني، تل أبيب، 1981، ص. 214؛ و جرانوت، المرجع السابق، ص 66.

49 إلياف، المرجع السابق، ص 156-164.
50 سيجيف، هاميشولاش، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 215.
51 عزرا دانين، تسيوني بكهول تناي، المجلد. 2، القدس، 1987، ص. 547.
52 مارفن زونيس، النخبة السياسية في إيران، برينستون، 1981. ص. 85.
53 جدعون رافائيل، وجهة السلام، نيويورك، 1981، ص 78.
54 انظر شاريت، المرجع السابق، المجلد 4، ص 1138، مدخل 18 أغسطس 1955؛ ص 1138.
1182، مدخل 30 سبتمبر 1955؛ وصفحة 1292، مدخل 8
نوفمبر 1955.
55 BGA، مذكرات بن جوريون، مقتطف بتاريخ 19 أغسطس 1956؛ وشاريت، المرجع السابق، ص 1160، مدخل بتاريخ 21 سبتمبر 1955؛ ص 1190، مدخل بتاريخ 5 أكتوبر 1955؛ والمجلد 5، ص 1430، مدخل 12 يونيو 1956.
56 أنطوني سيلفستر، السودان في عهد نميري، لندن، 1977، ص 159-
61.
57 ميخائيل بار زوهار، بن غوريون، المجلد. 3، تل أبيب، 1987، ص. 1322.
58 بنيامين بيت حلحمي، الارتباط الإسرائيلي، لندن، 1988، ص 11.
52.
59 بار زوهار، المرجع السابق، في كل مكان؛ ويديعوت أحرونوت، 11 يناير
1974.
60 BGA، سجل الاجتماع مع ر. تيمور من وزارة الخارجية، 15
مايو 1961.
61 أفنير بار أون، هاسيبوريم شيلو سوبرو، القدس، 1981، ص. 135.
62 ف. هاليداي و م. مولينوكس، الثورة الإثيوبية، لندن، 1981، ص 232.
63 Eshed، المرجع السابق، ص 264.
64 بار زوهار، المرجع السابق، ص 1327.
65 hed&، المرجع السابق، ص 275.
66 تقرير وكالة المخابرات المركزية.
67 مقابلة مع إسرائيل كارمي؛ ومودخاي ناعور، لاسكوف، تل أبيب
أفيف، ١٩٨٨، ص ١٣٩-١٥٠. عمل فريق آخر من النوكميم بشكل مستقل تقريبًا، بقيادة الشاعر والزعيم الحزبي السابق أبا كوفنر. اخترقوا معسكرات أسرى الحرب البريطانية والأمريكية التي تضم جنودًا من قوات الأمن الخاصة (SS)، وقاموا بتسميم السجناء بشكل جماعي، مع أنه من غير الواضح عدد النازيين الذين لقوا حتفهم في هذه العمليات.
68 ميخائيل بارزوهار، المنتقمون، لندن، 1968، ص 172.

69 إيسر هاريل، كم عيش الحياة، القدس، 1982، ص. 20؛ وإيسر هاريل، البيت في شارع غاريبالدي، نيويورك، 1975، ص. 40.

70 كان مالشين، خبير المتفجرات، قد انضم إلى جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي (الشاباك) في عام 1919 وقضى سنواته الأولى في الخدمة في تدريب موظفي السفارة الإسرائيلية في الخارج على كيفية التعامل مع القنابل البريدية (مقابلة مع تسفي مالشين).

71 أوري دان وبيتر مان، أيخمان بيادي!، تل أبيب، 1987، يصف عملية الاختطاف من وجهة نظر تسفي مالشين؛ انظر أيضاً يديعوت أحرونوت، 15 سبتمبر 1989.

72 جيرلاند إل. بوسنر وجون وير، منجيل، نيويورك، 1986، ص 194.

73 تسفي أهاروني إلى يعقوب كاروز، 25 سبتمبر 1979.

74 هرئيل، بيتاحون، مرجع سابق. المذكور، ص 339-47.

75 المرجع نفسه، ص 340-341.

76 حوار مع شموئيل توليدانو.

77 "يديعوت أحرونوت، 15 كانون الأول (ديسمبر) 1980 و30 أيار (مايو) 1986."

78 ميخائيل بارزوهار، جواسيس في الأرض الموعودة، نيويورك، 1972، ص 11.

.237

79 إيسر هاريل، ميفتسا يوسيل، تل أبيب، 1982، هنا وهناك.

80 كوليك، المرجع السابق، ص 154.

81 Mashber HaMadanim HaGermanim, Tel Aviv, 1982, pastim ,Isser Harel.

82 يديعوت أحرونوت، 4 مايو 1979.

83 إيتان هابر، هيوم تيفروتز ملحمة، تل أبيب، 1987، ص. 61.

84 بار زوهار، بن غوريون، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 1529-30.

85 بيتر مالكين وهاري شتاين، آيخمان بين يدي، نيويورك، 1990، ص 79-103.

86 "الجولان، المصدر السابق، ص 114."

87 هاريل، مشبر، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 42.

88 وقد وجهت اتهامات مماثلة عندما أطلقت إسرائيل قمرها الصناعي التجريبي الأول في سبتمبر/أيلول 1988، قبل انتخابات الكنيست في ذلك العام مباشرة.

89 هاريل، مشبر، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 19-26.

90 رافائيل، المرجع السابق، ص 108.

91 هابر، المرجع السابق، ص 61.

92 يائير كوتلر، جو هوزر إي هاور، تل أبيب، 1988، ص. 31.

93 معلومات خاصة. كان رد فعل شامير الأول عندما استدعاه هاريل لإجراء مقابلة هو أن الميمونة اشتبهت في تورطه في نشاط سري جديد، وأنه...

اندهش شامير عندما عُرض عليه وظيفة في الموساد. قال بعد ذلك: "لقد عشتُ عشر سنوات حافلة بالمخاطر والمغامرات والتجارب الصعبة، لكنني شعرتُ بشعور رائع بالرضا العميق". (يديعوت أحرونوت، ٢٦ فبراير/شباط ١٩٨٨ و٦ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨٩). حول هرتسل عميكام، انظر شولاميت ليفنات، هاشامايم كروفيم يوتير، تل أبيب، ١٩٨٩، ص ٦١-٧٢.

94 هاريل، مشبر، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 41.
95 بارزوهار، هانت، ص 196.
96 بار زوهار، بن غوريون، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 1534-5.
97 ولفغانغ لوتز، جاسوس الشمبانيا، لندن، 1972، ص 12.
98 أنتوني بارسونز، يقولون الأسد، لندن، 1986، ص 60.
99 اعتقل المصريون لوتز في فبراير/شباط ١٩٦٥. حوكم وأُدين بتهم التجسس، مع أنه ظلّ متخفيًا وراء ستار "العمل الزائف" كعميل ألماني. أُطلق سراحه بعد حرب ١٩٦٧.
100 ماتارا، سبتمبر 1989.
101 ربما كان موشيل مخطئًا؛ فالمجلة كانت النسخة الفرنسية من صحيفتي "جويش أوبزرفر" و"ميدل إيست ريفيو" اللندنيتين واسعتي الاطلاع. كان جون كيمحي، الأخ الأكبر لديفيد، يحررهما. عُرض على موشيل راتب أعلى من راتب صحيفته، وتلقى تدريبًا في مجال الاتصالات، واستخدام صناديق البريد العشوائي، وغيرها من أساليب الاحتيال. كان رئيسه في الموساد في العاصمة الفرنسية - التي كانت آنذاك مقر عمليات الموساد الأوروبية - هو إسحاق شامير، الذي كان يستخدم اسمًا مستعارًا هو "صموئيل سينغر". (استخدم شامير أيضًا أسماء مستعارة مثل "ماركوفيتز" و"برزيلاي" و"ليمون" - يديعوت أحرونوت، 9 أبريل/نيسان 1990). قبل مغادرته إلى القاهرة أواخر عام 1962، ذهب موشيل إلى أمستردام - التي كانت هولندا قاعدة مفضلة لعمليات الاستخبارات الإسرائيلية - ليتلقى إحاطة عن مصر والشرق الأوسط بشكل عام من ضابط آخر في الموساد يُدعى مايك هراري، والذي أنهى مسيرته التجسسية بفشل ذريع في النرويج بعد أكثر من عقد من الزمان. كان موشيل عميلًا ماكرًا؛
ثنائي الجنس متحمس وشامير وجده ذات مرة في باريس '!
غرفة فندق مع حارس ليلي مجري فاخر مختبئ في خزانة الملابس. قال له شامير: "صاحبك المجري واحد منا، كنت أعرف أنه معك. أردت فقط أن أعرف كيف ستتصرف عندما تشتعل الأمور." (أهارون موزيل، دي فايبر، هامبورغ، ١٩٨٩، ص ١١٤-١١٥).
102 موشيل، المرجع السابق، ص 145.

103 هاريل، مشبر، ص 61.
104 رافائيل، المرجع السابق، ص 109.
105 هابر، المرجع السابق، ص 61.
106 كوتلر، المرجع السابق، ص 46.
107 هابر، المرجع السابق، ص 60-65.
108 حوار مع إيسر هرئيل.
109 هاريل، مشبر، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 123.
110 كوليك، المرجع السابق، ص 154.
111 معلومات خاصة.
112 "يديعوت أحرونوت، 13 نوفمبر 1987."

113 هابر، المرجع السابق، ص 64.
114 فاليجوت وكروب، المرجع السابق، ص 231-238.
115 ستيوارد ستيفن، جواسيس إسرائيل، نيويورك، 1980.
ص 239.
116 حداشوت، 29 فبراير 1989.
117 الزمان 29 ديسمبر 1975.
118 مقابلة.
119 يوروم بيري، بين المعارك والاقتراع، كامبريدج، 1983،
ص 242.
120 هير، بيتاشون، المرجع السابق، ص 451-2؛ وستيفن، المرجع السابق، ص 248-250.
121 بيري، المرجع السابق، ص 243.
122 "يديعوت أحرونوت، 19 أكتوبر 1987."

7 ستة أيام في يونيو: 196 7

1 يائير كوتلر، جو هوزر، صحيفة "إل هاور"، تل أبيب، ١٩٥٨، الصفحات ١٢-٢١. في يناير ١٩٦٤، انشقّ طيار مصري إلى إسرائيل بطائرته التدريبية من طراز ياك. استقرّ في النهاية في الأرجنتين، لكن أُلقي القبض عليه وأُعدم في مصر بعد عامين.

2 أفضل تقرير منفرد عن حادثة ميج-21 موجود في صحيفة هآرتس، 14 مايو/أيار 1982. ويستند المقال جزئيا إلى مصادر أجنبية.

3 حوار مع أهارون ياريف.

4 دونالد نيف، محاربون من أجل القدس. نيويورك. ١٩٨٤، ص ١٢٨، نقلاً عن محضر اجتماع مجلس الأمن القومي.

5 اسحق رابين، مذكرات رابين، القدس، 1979، ص 43-44.

6 عزرا وايزمان. على أجنحة النسور. لندن، ١٩٧٦، ص ٢٠٧.

7 حوار مع أهارون ياريف.

8 إيتان هابر، يوم تيفروتس ميلهاما، تل أبيب، ١٩٨٧، ص ١٤٧؛ وديفيد كيمحي ودان باولي. العاصفة الرملية، لندن، ١٩٦٨، ص.
١٣٦. انظر أيضًا شلومو غازيت، "تقديرات الاستخبارات وصانع القرار"، في مجلة الاستخبارات والأمن القومي، المجلد ٣، العدد ٣، يوليو ١٩٨٨؛ وزئيف شيف، تاريخ الجيش الإسرائيلي، لندن، ١٩٨٧، ص ١٩٩-٢٠٠.

9 نص المقابلة التي أجراها بنيامين جيست مع أهارون ياريف، بتاريخ 19 سبتمبر/أيلول 1973، والتي قدمها جيست للمؤلفين.

10 هابر، المرجع السابق، ص 1334.
11 حوار مع أهارون ياريف.
12 موشيه ديان، قصة حياتي، لندن، 1977، ص 309.
13 سمير أ. مطاوع، الأردن في حرب 1967، كامبريدج، 1987، ص 11.
.95
14 نيف، المرجع السابق، ص 53، 176.
15 ديان، المرجع السابق، ص 309؛ ووالتر لاكوير، الطريق إلى الحرب، لندن، 1969، ص 85. يقول نيف، المرجع السابق، ص 59، إن تحذير بودجورني للسادات قد تم تسليمه في وقت مبكر من 29 أبريل. وهذا يبدو غير مرجح. يعتقد ياريف أن السوفييت "أبلغوا" المصريين بالمخططات الإسرائيلية بشأن سوريا جزئيًا على الأقل، من أجل الحصول على انسحاب مصري لقواتها من اليمن. يلمح كيمحي وباولي، المرجع السابق، ص 115، إلى أن المخابرات الإسرائيلية كانت "مقتنعة تمامًا" بأن السوفييت كانوا يعرفون أن تحذيراتهم لسوريا ومصر بشأن تمركز القوات الإسرائيلية كانت كاذبة، ووفقًا لكيمشي - وهو مسؤول تنفيذي كبير في الموساد وقت كتابة ساندستورم - وباولي، فقد خاف السوفييت على نظامهم العميل في دمشق واعتقدوا أن الغارة الفلسطينية المستمرة ستؤدي إلى رد فعل كبير من جيش الدفاع الإسرائيلي. لكنهم لم يتمكنوا من إقناع دمشق بكبح جماح الثوار. أمل السوفييت أن يُخيف تحذير تمركز القوات الإسرائيلية دمشق ويدفعها أخيرًا إلى وقف التوغلات الفلسطينية. ووفقًا لكيمشي وباولي، ص 88، حدد "الإنذار السوفيتي الثاني" تاريخ وساعة الهجوم المُرتقب لجيش الدفاع الإسرائيلي على سوريا: "الرابعة من صباح 17 مايو".
16 باتريك سيل، أسد. لندن، ١٩٨٨، ص ١٢٦.
17 نيف، المرجع السابق، ص 1، ص 117.
18 هابر، المرجع السابق، ص 147-151.
19 المرجع نفسه.. ص. 149؛ عوديد غرانوت، تسحال بهيلو: رايل همودیعین، تل أبيب، 1981. ص 77-8؛ ورابين، مرجع سابق. المرجع السابق.. ص. 53.
20 نيف، المرجع السابق، ص 58-9.

21 جرانوت، المرجع السابق، ص 78.
22 المرجع نفسه، ص79.
23 رابين، المرجع السابق، ص 54.
24 مايكل بريشر، مع بنجامين جيست، القرارات في الأزمات، إسرائيل 1967 و1973، لوس أنجلوس، 1980، ص. 107.
25 رابين، المرجع السابق، ص 55.
26 هابر، المرجع السابق، ص 153.
27 نص مقابلة بنيامين جيست مع أهارون ياريف، المصدر السابق.
28 جرانوت، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 80؛ وهابر، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 164.

29 يعتقد ياريف اليوم أن "ناصر لم يكن ينوي [في مايو/أيار ويونيو/حزيران 1967] خوض الحرب. في أسوأ الأحوال، ظن أن إسرائيل ستهاجم قواته المتحصنة في سيناء وأن الجيش المصري سيصد الهجوم" (مقابلة مع أهارون ياريف). كان من المتوقع أن يتزايد التعاون والتنسيق العسكري العربي. بدأت الفرقة المدرعة الرابعة المصرية بالتحرك إلى سيناء في 24 مايو/أيار. في الواقع، أخطأ قسم الأبحاث في وكالة الاستخبارات المركزية (أمان)، برئاسة شلومو غازيت، في تقديره في 25 مايو/أيار بأن ناصر سيهاجم في اليوم التالي خوفًا من أن إسرائيل تنوي شن ضربة جوية استباقية على المطارات العسكرية المصرية.

30 مقابلة مع أهارون ياريف. انضم "بيبر"، المولود في برلين، إلى البلماح في السادسة عشرة من عمره، وبدأ مسيرته الاستخباراتية بإعداد الخرائط وتسجيلات "ملفات القرى". مع نهاية حرب الاستقلال، في مايو/أيار 1949، نُقل بيبر إلى إدارة استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، حيث عُيّن في "قسم جيميل"، المسؤول عن الأردن. وظلّ في مكتب الشؤون الأردنية حتى عام 1974، حين انتقل إلى قسم الحاسوب. كان "رجل إسرائيل في عمّان" (وهي مدينة لم يزرها قط)، وأصبحت معرفته الدقيقة والمفصلة بالأردن والجيش العربي وحكومة الملك حسين ومحاكمته أسطورية. في اجتماعات الاستخبارات، كان يتحدث "باسم الملك"، عارضًا أفكار الملك، عادةً ببصيرة نافذة. بلغ تعلقه بالأردن حدًا كبيرًا لدرجة أنه عندما غزا الجيش السوري الأردن في سبتمبر/أيلول 1970، أنزل بيبر العلم الأردني على مكتبه في تل أبيب إلى نصف الصاري. عندما انسحب السوريون، أثار الموضوع مجددًا. كان يُحتفل بأعياد ميلاد الحسين رسميًا كل عام على طاولة الأردن، بالكعك والنبيذ، برئاسة بيبر. وقد تأذى شخصيًا من شراكة حسين مع ناصر في حرب ١٩٦٧. لاحقًا، في عام ١٩٧٣، كان بيبر...

توقع - بدقة - أن حسين سيبقى بعيدًا عن الحرب (يديعوت أحرونوت، ١٥ سبتمبر/أيلول ١٩٨٥. انظر أيضًا هابر، المصدر السابق، ص ٢٢٧-٢٢٨). كان حسين في الواقع مستاءً للغاية عام ١٩٦٧ من احتمال الحرب مع إسرائيل. أبلغته المخابرات الأردنية أن الرئيس المصري وقع في فخ نصبته له سوريا، ولكن مع تصاعد الأزمة، شعر الملك أنه لا خيار أمامه (مطاوي، المصدر السابق، ص ٩٨-١٠٣).

31 باماهان، 28 يونيو 1989.

32 ديفيد رونين، شنات شاباك، تل أبيب، 1989، ص 23-24.

33 مقابلة بنيامين جيست مع مائير أميت، ٢٣ يوليو ١٩٧٣. قال أميت: "لا يُمكن الجزم تمامًا، لوجود عامل اللاعقلانية. صحيحٌ أنه يجب أخذ هذا العامل في الاعتبار، وربما [في ١٩٦٧] ارتكب خطأً بعدم مراعاة المعايير اللاعقلانية بشكلٍ كافٍ".

34 هابر، المرجع السابق، ص 205-206.

35 هابر، المرجع السابق، ص ٢٠٩. سيل، المرجع السابق، ص ١٣٦-١٣٧، يرفض قلق إسرائيل المزعوم ويعتبر العد التنازلي للحرب برمته خدعة ضخمة وناجحة تهدف إلى كسب دعم العالم للهجوم اللاحق. يقول سيل إن إسرائيل، منذ البداية، كانت تعلم بالضعف العسكري الصارخ للعرب وأن الحملة ستكون سهلة المنال. "لقد علمت أن المصريين وقعوا في فخ. قرأت اتصالات الراديو المصرية، ولاحظت صرخات البكاء طلبًا للماء والوقود، ولاحظت ازدحام المرور وخطوط الإمداد وهي تضل طريقها... كان ذلك لأن الوضع على الأرض في سيناء كان محفوفًا بالمخاطر لدرجة أن الجنرالات الإسرائيليين بالكاد استطاعوا كبح جماح أنفسهم".

36 هابر، المرجع السابق، ص ٢١٦-٢١٧. للاطلاع على رحلة أميت إلى واشنطن، انظر بريشر، المرجع السابق، ص ١٥٣-١٥٤، ١٥٧، ١٦٣-١٦٤، ٢٣٥، ٣٤٧، ٣٤٩.

37 نيف، المرجع السابق، ص ١٨٢. ووفقًا لمقابلة بنيامين جيست مع مائير أميت، قال أميت إنه ذهب إلى الولايات المتحدة "ليُخبر [الأمريكيين] أننا ذاهبون إلى الحرب، وليسمع رد فعلهم". كما أخبرهم أنه مع ترحيب إسرائيل بالمساعدات المادية والدعم السياسي و"تحييد الروس"، فإنها لا تريد أن "يموت الأمريكيون في إسرائيل" - أي أن يقاتلوا من أجلها.

38 نيف، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 190؛ ومقابلة بنيامين جيست مع مئير عميت (ع 33).

39 مطاوي، المرجع السابق، ص 111-12.

40 هابر، المرجع السابق، ص 219.

41 نيف، المرجع السابق، ص 194-195.

42 ديان، المرجع السابق، ص ٣٥١-٣٥٤. نيف، المرجع السابق، ص ٢٠٣، يقدم تقديرات مختلفة قليلاً للقوة الجوية المصرية والخسائر.

43 حسين الأردني، حربي مع إسرائيل، ص 66.

44 المرجع نفسه، ص55.

45 حوار مع أهارون ياريف.

46 رابين، المرجع السابق، ص 77؛ وحسين الأردن، المرجع السابق، ص 102.

47 نيف، المرجع السابق، ص 202؛ وحسين ملك الأردن، المرجع السابق، ص 102-103.

48 رابين، المرجع السابق، ص 82.

49 شيف، المرجع السابق، ص 200.

50 مقابلة مع أهارون ياريف. شيف، المرجع السابق، ص ٢٠٠، يكتب أن الرائد قُتل برصاص القوات الإسرائيلية أثناء محاولته عبور الحدود الإسرائيلية "لتسليم نفسه". تظهر رواية أخرى في كتاب أوري دان ويويل بن بورات، "الحرب السرية"، نيويورك، ١٩٧٠، الصفحات ١٦١-١٦٦. وقيل لاحقًا إن القصة برمتها كانت ملفقة من أمان لحماية مصدر آخر أقل وضوحًا.

51 حسين الأردني، المصدر السابق، ص 69-70.

52 الحائر، 10 مارس 1989.

53 يعقوب كاروز، المخابرات العربية، لندن، 1978، ص 119.

54 حوار مع أهارون ياريف.

55 المرجع نفسه.

56 وولف بليتزر، إقليم الأكاذيب، نيويورك، 1989، ص 101-2.

57 "شموئيل سيجيف، بوديد بيداميسك، تل أبيب، 1986، هو أفضل كتاب عن حياة كوهين وموته."

58 حسين ملك الأردن، المصدر السابق، ص 105.

59 المرجع نفسه، ص 81.

60 على مر السنين، نُشرت هذه المحادثة بصيغ مختلفة في عدد من المنشورات. هذه النسخة، وهي الأكثر دقةً، مأخوذة من مجلة جيش الدفاع الإسرائيلي الأسبوعية، "باماهان"، 4 يناير/كانون الثاني 1989. انظر أيضًا هابر، المرجع السابق، ص 238-239.

61 مطاوي، المرجع السابق، ص 151-2.

62 انظر نيف، المرجع السابق، ص ٢١٩، مستشهدًا بتقرير لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، يستند على ما يبدو إلى اعتراض إشارة ضوئية لرسالة من الضابط السوفيتي من الأيام الأولى للحرب، تفيد بأنه رأى طائرات تحمل علامات أمريكية تحلق فوق الإسماعيلية. انظر أيضًا حسين الأردني، المرجع السابق.

ص 83-84، وهو ما يفسر لماذا اعتقد ناصر، وربما هو نفسه، في ذلك الوقت أن الطائرات الأميركية والبريطانية شاركت في الغارة الجوية الإسرائيلية.

63 مقابلة.

64 حوار مع أهارون ياريف.

65 توقيت الاعتراض وفقًا للجنرال (احتياط) يوئيل بن بورات في صحيفة هآرتس، 5 يونيو/حزيران 1987. يقول رابين، المرجع السابق، ص 84، إن الأمر صدر فقط "مساء 6 يونيو/حزيران". ومن المحتمل أن يكون الاختلاف بين "الساعة الثانية ظهرًا" و"المساء" ناتجًا عن الوقت الذي استغرقه الأمر للوصول إلى سلسلة الاتصالات المصرية.

ماند.

66 شيف، المرجع السابق، ص 194.

67 المرجع نفسه، ص 200.

68 فرع الاستخبارات في جيش الدفاع الإسرائيلي، "المخابرات السورية تراقب المستشارين العسكريين الروس في سوريا"، يوليو/تموز 1967.

69 فرع الاستخبارات في جيش الدفاع الإسرائيلي، "سوريا نشرت قوات محظورة في منطقة الدفاع وخدعت مراقبي الأمم المتحدة"، يوليو/تموز 1967.

70 وقد تم تلخيص هذه القضية بشكل جيد في كتاب ستيفن، المرجع السابق، ص 252-266.

71 ولمعرفة القصة الكاملة لقوارب شيربورغ، التي حققت انتصارات مذهلة ضد القوات البحرية المصرية والسورية في أكتوبر/تشرين الأول 1973، انظر كتاب أبراهام رابينوفيتش، قوارب شيربورغ، نيويورك، 1988.

8 التحديات الفلسطينية: 196 7-7 3

1 شلومو غازيت، هاجيزر فيهاماكيل، تل أبيب، 1985، ص. 291.

2 حوار مع أهارون ياريف.

3 أهارون ياريف، بيان، 8 شباط/فبراير 1989.

4 باماهان، 28 يونيو 1989.

5 حوار مع شلومو غازيت.

6 زئيف شيف ورافائيل روثشتاين، الفدائيون، نيويورك، 1972، ص 63.

7 غازيت، المرجع السابق، ص 283.
8 مقابلة.
9 إيتان هابر، هيوم تيفروتز ملحمة، تل أبيب، 1987، ص 289-90.
10 غازيت، المرجع السابق، ص 14، 96.
11 ديفيد رونين، شنات شاباك، تل أبيب، 1989، ص 13.
12 معاريف، 4 كانون الأول (ديسمبر) 1987.
13 سارة لازار، يهودا، ص 36.
14 كوتيريت راشيت، 3 سبتمبر/أيلول 1986؛ ومعاريف، 4 ديسمبر/كانون الأول 1987.
15 موسى ديان، العيش مع الكتاب المقدس، لندن، 1978، ص 48.
16 شيف وروثشتاين، المرجع السابق، ص 12.
17 آلان هارت، عرفات، لندن، 1984، ص 241-243.

18 هيلينا كوبان، منظمة التحرير الفلسطينية، كامبريدج، 1984، ص 37.
19 شبتاي تيفيت، البركة الملعونة، لندن، 1970، ص 235.
20 أبو إياد-إريك رولو، بيتي، أرضي، ص 56.
21 يديعوت أحرونوت، 21 سبتمبر 1984.
22 هابر، المرجع السابق، ص 323.
23 مقابلة.
24 مقابلة.
25 أمنون كوهين، ميف].اغوت بوليتيوت بيجادا هماعربيت، القدس، 1980، ص. 3.
26 حوار مع شلومو غازيت.
27 مقابلة.
28 باماهان، 28 يونيو 1989.
29 "يديعوت أحرونوت، 9 أبريل 1990."
30 كوبان، المرجع السابق، ص 275.
31 رونين، المرجع السابق، ص 117.
32 هارت، المرجع السابق، ص 248-249.
33 ديفيد برايس جونز، وجه الهزيمة، لندن، 1974، ص 34.
34 موشيه ديان، قصة حياتي، لندن، 1977، ص 405.
35 برايس-جونز، المرجع السابق، ص 36.
36 كول هعير، 9 كانون الأول (ديسمبر) 1988.
37 رونين، المرجع السابق، ص 197-8.
38 المرجع نفسه، ص 59-60.
39 جيرارد شالياند، المقاومة الفلسطينية، لندن، 1972، ص 73.

40 مقابلة.
41 رونين، المرجع السابق، ص 182-188.
42 يديعوت أحرونوت، 21 سبتمبر 1984.
43 ميرون بنفنستي، القدس، المدينة الممزقة، القدس، 1976،
ص 218.
44 جهاز الأمن العام، ملخص معلومات الضفة الغربية، 21 ديسمبر 1967، أرشيف إسرائيل جليلي، 1/65.
45 تيفيث، المرجع السابق، ص 247-255
46 كول هعير، 9 كانون الأول (ديسمبر) 1988.
47 أفنير بار أون، هاسيبوريم شيلو سوبرو، القدس، 1981، ص. 217.
48 جون كولي، المسيرة الخضراء، أيلول الأسود، لندن، 1973، ص 100.
49 هابر، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 338. سو رونين، المصدر نفسه، ص. 196. 51 هارت، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 265.

52 إيهود يعاري، سترايك تيرور، نيويورك، 1970، ص 141.
53 بنفينستي، المرجع السابق، ص 224.
54 هارت، المرجع السابق، ص 266.
55 ستيف إيتان، لويل دو تل أبيب، باريس. 1972، ص. 72.
56 مقابلة.
57 رونين، المرجع السابق، ص 140-148.
58 مقابلة.
59 يعاري، المصدر السابق، ص ٢٧٧. انظر أيضًا: مايكل بارزوهار وإيتان هابر، السعي/أو الأمير الأحمر، نيويورك، ١٩٨٣، ص ١٠٠.
60 يعقوب كاروز، المخابرات العربية، لندن، 1978، ص 413- 415.
61 سمير أ. مطاوع، الأردن في حرب 1967، كامبريدج، 1987، ص 111.
70-169.
62 "المقابلة؛ وصحيفة هآرتس، 11 يوليو/تموز 1985."
63 إدغار أوبالانس، قوة حرب العصابات العربية، ١٩٦٧-١٩٧٢. لندن، ١٩٧٤. ص ١٨١.
64 إيتان، المرجع السابق.
65 مقابلة.
66 المراقب. 1 أغسطس 1971.
67 مقابلة.
68 هآرتس. 15 كانون الأول (ديسمبر) 1980.
69 مقابلة.
70 عوزي بنزيمان، شارون، قيصر إسرائيلي، نيويورك، 1985، ص 2.

71 مقابلة.
72 حوار مع شلومو غازيت.
73 أوبالانس، المرجع السابق، ص 197.
74 مقابلة.
75 هابر، المرجع السابق، ص 324.
76 "يديعوت أحرونوت، 30 أغسطس 1988."
77 هابر، المرجع السابق، ص 324.
78 أريئيل مراري وشلومو العاد، فاه حول، تل أبيب. 1986، ص. 116.
79 هيلينا كوبان، صناعة لبنان الحديث، لندن، 1985، ص 111.
10-109.
80 موشيه بار كوخبا، ماركافوت هابلاد، 1989، ص 229-61.
81 مراري والعاد، مرجع سابق. المرجع السابق.. ص. 97.
82 كولي، المرجع السابق، ص 186.
83 ليلى خالد، شعبي سيحيا، 1973، ص 131-157.
84 مراري والعاد، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 97.
85 مونيتين، فبراير 1988.

86 معاريف، 29 سبتمبر 1972.
87 إياد رولو، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 112-13.
88 زئيف شيف، تاريخ الجيش الإسرائيلي، لندن، 1987.
ص 172-3.
89 فيلم تلفزيوني إسرائيلي، سبورتيم آل كابايم، 4 سبتمبر 1983.
90 هارت، المرجع السابق، ص 309-310.
91 كولي، المرجع السابق، ص 187-9.
92 شموئيل سيجيف، بوديد بيدامسك، تل أبيب، 1986، ص 14. ووفقاً لسيجيف، ذهب مزراحي إلى اليمن وألقي القبض عليه قبل عام 1967، أثناء مشاهدته أداء الجيش المصري.
93 معاريف، 19 أكتوبر/تشرين الأول 1977 و6 مايو/أيار 1981.
94 حانوخ بارتوف، دادو، تل أبيب، 1978؛ وبار زوهار وهابر، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 4.
95 Sportaim al Capaim, op. cit.
96 هآرتس، 1 حزيران 1972.
97 جيروزالم بوست، ٢٥ سبتمبر/أيلول ١٩٧٢؛ ويديعوت أحرونوت، ١٧ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٨٩. كان باجلين، واسمه الحركي "جيدي"، هو من صنع الفرن المستخدم لحرق جثة أدولف أيخمان. وفي عام ١٩٧٧، عُيّن مستشارًا لرئيس الوزراء لشؤون الإرهاب.
98 هآرتس، 13 أكتوبر/تشرين الأول 1972.

99 حداشوت، 23 سبتمبر 1987.
100 مقابلة.
101 ديفيد ب. تينين، فريق الضرب، بوسطن، 1976، ص 84.
102 إياد رولو، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 112-13.
103 مونيتين، 113، فبراير 1988.
104 المرجع نفسه.
105 إياد رولو، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 112-13.
106 بارتوف، المرجع السابق، ص 227-231.
107 ستيفن، المرجع السابق، ص 327-331.
108 مقابلة؛ ورفيق حلبي، قصة الضفة الغربية، نيويورك، 1981، ص 87.
109 كولن سميث، كارلوس، لندن، 1976، ص 100-107، 129-3.
110 تينين، المرجع السابق، في كل مكان.
111 "حداشوت، 29 نيسان/أبريل 1988؛ ويديعوت أحرونوت، 12 كانون الثاني/يناير 1990."
112 بار-زوهار وهابر، المصدر السابق، ص 200. للاطلاع على رواية مقنعة لعمليات فرقة الاغتيال بعد ميونيخ، والتي يُزعم أنها تستند إلى مصدر إسرائيلي داخلي، انظر أيضًا جورج جوناس، الانتقام، لندن، 1984.

113 مونيتين، 113، فبراير 1988.
114 أربيه بوبر (محرر)، إسرائيل الأخرى، نيويورك، 1972. 5ll حداشوت، 8 ديسمبر 1989.
116 الجارديان، 26 مارس 1973.
117 حداشوت، 2 كانون الأول (ديسمبر) 1988.

9 مهدال: 1973
1 عوديدجرانوت، تساهال بهيلو: رايل هموديعين، تل أبيب، 1981، ص 92.
2 أسبوع الطيران، 30 يونيو 1975.
3 جرانوت، المرجع السابق، ص 100.
4 يديعوت أحرونوت، 7 أكتوبر/تشرين الأول 1983. ووفقاً للعميد يوئيل بن بورات، فقد قامت لجنة تحقيق داخلية في أمان بالتحقيق في هذا الخلل، ولكن تم في النهاية حفظ التقرير.
5 مقابلة.
6 يديعوت أحرونوت، 24 نوفمبر 1989.
7 المرجع نفسه.
8 دينيس ايزنبرغ، أوري دان وإيلي لاندو، الموساد: قصص من الداخل، نيويورك، 1978، ص 251.
9 شلومو نكديمون، سفروت نموحا، تل أبيب، 1982، ص 79-80، 105؛ وموشيه ديان، لندن، 1977، قصة حياتي،
ص 463. انظر أيضًا مونيتين، أكتوبر 1988؛ ويديعوت أحرونوت،

8 أكتوبر 1989 و 24 نوفمبر 1989.
10 ديان، المرجع السابق، ص 463.
11 حانوخ بارتوف، دادو، المجلد الأول، تل أبيب، ١٩٧٨، ص ٩. وأكد إريك رولو، مراسل صحيفة لوموند المخضرم في شؤون الشرق الأوسط، أن ديان أُبلغ بالحرب الوشيكة ليس من الموساد أو أمان، بل من "مسؤول رفيع المستوى في وكالة المخابرات المركزية" (فريق صنداي تايمز إنسايت، حرب يورن كيبور، لندن، ١٩٧٧، ص ١٢١، ١٢٨). وهذا مستبعد.
12 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. الثاني، ص. 9.
13 وفقًا لنسخة لاحقة، وصل ملخص زامير المُرسل ببرقية لإنذار "التنون" إلى إسرائيل في الساعة السادسة صباحًا من يوم 6 أكتوبر، وجاء فيه: "استئناف القتال حتى آخر شعاع، اليوم، 6 أكتوبر 1973. هجوم منسق ومتزامن من قِبل الجيشين المصري والسوري". (يديعوت أحرونوت، 8 أكتوبر 1989).
14 في سيرتها الذاتية، حياتي، لندن، 1976، ص 358، تقول جولدا مائير
وكتبت أن سكرتيرها العسكري أيقظها حوالي الساعة الرابعة صباحًا، قائلاً إن المعلومات الاستخباراتية تشير إلى أن الهجوم سيبدأ "في وقت متأخر من بعد الظهر".

15 ناكديمون، المرجع السابق، ص ١٠٧؛ ومايكل بريشر، القرارات في الأزمات، إسرائيل ١٩٦٧ و١٩٧٣، لوس أنجلوس، ١٩٨٠، ص ٢٠٢. يقترح بريشر أن الخطأ في تقرير الاستخبارات حدث بسبب حذف كلمة "قبل"، التي كان ينبغي أن تسبق "غروب الشمس".
16 وبحسب أربيه هاشافيا، ميلهميت يورن هاكيبوريم، تل أبيب، 1974، ص 15، فقد حصلت المخابرات الأميركية على نسخة من "الخطة المصرية" في أبريل/نيسان 1973.
17 ناكديمون، المرجع السابق، ص ٢٩، ٩٢. يؤكد باتريك سيل، في كتابه "الأسد"، ص ١٩٩-٢٠٠، أن خطط الحرب السورية (والمصرية) سُلّمت في نهاية أغسطس أو بداية سبتمبر ١٩٧٣ من قِبل "لواء سوري" إلى جهاز استخبارات عربي لم يُذكر اسمه، والذي سلّمها على الفور إلى واشنطن وتل أبيب. ويقول إن الخطط كانت مكتملة بكل تفاصيلها، باستثناء أن ساعة الذروة كانت مُحددة بالسادسة صباحًا. لم يُحدد سيل مصدره.
18 في منتصف عام ١٩٧٢، رَهنَ تقييمُ أمان نصف السنوي للقوة والنوايا العربية، تفعيلَ الخطة المصرية لعبور القناة بـ"زيادة قدرة سلاح الجو المصري". وهناك شكلان لهذا العنصر من "التكتيك". فقد ذكرت لجنة أجرانات، في تقريرها المؤقت الصادر في أبريل ١٩٧٤، الاعتقادَ بأن مصر ستمتنع عن الحرب حتى "تمتلك أولاً قدرة جوية لمهاجمة إسرائيل بعمق، وخاصةً المطارات الرئيسية الإسرائيلية، من أجل تحييد سلاح الجو الإسرائيلي". وقد شددت مصادر أخرى بشكل أكبر على عدم كفاية دفاعات الصواريخ المضادة للطائرات المصرية باعتبارها "الجزء الجوي" من "التكتيك".
19 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. أنا، ص. 23 7.
20 جدعون رافائيل، وجهة السلام، نيويورك، 1981، ص 282.
21 ناكديمون، المرجع السابق، ص 23.

22 وكان الرئيس السوري بشار الأسد موجوداً في المدينة في ذلك الوقت أيضاً، وقد التقى مراراً وتكراراً بالسادات، وربما حسين، ولكن حضوره ظل سراً.
23 مائير، المرجع السابق، ص 347-352؛ وفريق إنسايت في صحيفة صنداي تايمز، المرجع السابق، ص 101-102.
24 هاشافيا، المرجع السابق، ص 55.
25 يعقوب كاروز، الأجهزة السرية العربية، لندن، 1978، ص 235-236.
26 بعد إعدام شاهين تم إطلاق سراح زوجته وأطفاله من السجن وتمكنوا من الوصول إلى إسرائيل، حيث تم إعادة توطينهم هناك.

أُعطيت لهم هويات جديدة. ومع ذلك، ظلوا مستائين من معاملة السلطات لهم، ونشروا قصتهم علنًا عام ١٩٨٩، مما شوّه سمعة صحافة دفتر الشيكات ببيع قصتهم "الحصرية" في آن واحد لعدة صحف (جيروزالم بوست، ٢٨ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٨٨).
27 محمد هيكل، الطريق إلى رمضان، لندن، 1976، ص 15.
28 بريشر، مرجع سابق. المصدر نفسه، ص 55-6، ص 11.
29 "هيكل، المرجع السابق، ص30."
30 هاشافيا، المرجع السابق، ص 57.
31 شموئيل بار، ملحميت يورن هكبوريم بين عيني هعربيم، تل أبيب، 1986، ص 40-41.
32 بار، المرجع نفسه، ص40.
33 في وقت مبكر من عام ١٩٦٩، كتبت يائيل بن بورات، نائبة مدير قسم جمع المعلومات الاستخباراتية في جهاز الأمن الإسرائيلي (أمان)، تقريرًا اقترحت فيه أن أي تدريب للعدو، من مستوى فرقة فما فوق، يجب أن يُعامل من قِبل "الجمع" على أنه تمويه محتمل لهجوم حقيقي. استندت بن بورات في تقريرها إلى استعدادات الكتلة السوفيتية الشرقية منذ مايو ١٩٦٨ لغزو تشيكوسلوفاكيا في أغسطس ١٩٦٨. وقد وقع هذا الغزو بعد تدريب مطول، وتحت ستاره، وخدع استخبارات حلف شمال الأطلسي (وكذلك التشيك) بشكل فعال (يديعوت أحرونوت، ٧ أكتوبر ١٩٨٣).
34 ناكديمون، مرجع سابق. المصدر نفسه، ص 82، 92.
35 هاشافيا، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 56-7؛ تسفي لانير، هحافتاه هابيسيسيت، تل أبيب، 1983، ص. 81؛ هيكل، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 14، 30؛ و جرانوت، مرجع سابق.
المرجع نفسه، ص 135-7.
36 ناكديمون، المرجع السابق، ص 61.
37 المرجع نفسه، ص 81.
38 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. أنا، ص. 303؛ و جرانوت، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 122.
39 يذكر هاشافيا، المرجع السابق، ص ١٩، أنه من بين القادة العرب خارج مصر وسوريا، كان هواري بومدين وحده على علم بخطط الحرب وتاريخ الهجوم. ويضيف هاشافيا أنه في ٣ أكتوبر/تشرين الأول،

أصدرت الجزائر إنذارًا سريًا، يمنع الدبلوماسيين في إجازات وطنهم وكبار المسؤولين وضباط الجيش والصحفيين من مغادرة البلاد.
40 بار، المرجع السابق، ص 108.
41 هاشافيا، المرجع السابق، ص 58؛ وسيل، المرجع السابق، ص 205-206.
42 فريق صنداي تايمز إنسايت، المصدر السابق، ص 54-9.
43 هنري كيسنجر، سنوات البيت الأبيض، ص 1300، 1474.
44 بار، المرجع السابق، ص 27.

45 سيل، المرجع السابق، ص 192-193.
46 بار، المرجع السابق، ص 42-5؛ وسيل، المرجع السابق، ص 193-4.
47 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. أنا، ص. 240.
48 المجلد الأول، ص 233، 241-243، 246-247، 262-265، 278؛ بريتشر، المرجع السابق.
المرجع السابق، ص 69؛ وناكديمون، المرجع السابق، ص 30.
49 أكد العميد (احتياط) يوئيل بن بورات أن السوريين والمصريين خططوا لخوض الحرب في مايو، لكن السوفييت، الذين كانوا عازمون على عقد قمة أمنية مع الأمريكيين، ضغطوا عليهم لإرجاء الحرب. وأكد بن بورات أن أمان حصل في مايو على ثلاث معلومات استخباراتية "من مصادر موثوقة" تفسر سبب تأجيل الحرب (مونيتان، سبتمبر/أيلول 1988).
50 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. أنا، ص 280-81؛ و جرانوت، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 112.
51 جرانوت، المرجع السابق، ص 112.
52 ناكديمون، المرجع السابق، ص 48.
53 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. أنا، ص. 281.
54 جرانوت، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 112؛ وبارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. ط، ص 282-3.
55 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. أنا، ص. 287؛ جرانوت، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 112؛ نكديمون مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 53؛ و رافائيل، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 282. '
56 ناكديمون، المرجع السابق، ص 54.
57 جرانوت، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 120-21.
58 بريشر، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 75، الجبهة الوطنية. 4.
59 كان سجل الاستخبارات الأمريكية خلال العد التنازلي لحرب يورن كيبور أفضل إلى حد ما من سجل نظيرتها الإسرائيلية. في مايو 1973، وبينما استبعدت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (أمان) تمامًا الاستعدادات العربية، أصدرت وحدة التقييم التابعة لوزارة الخارجية، مكتب الاستخبارات والبحوث (NRI)،

ورقة بحثية تبحث في إمكانية شن هجوم مصري سوري مشترك على إسرائيل خلال الأشهر الستة التالية. وقدّرت الورقة احتمال وقوع مثل هذا الهجوم بأقل بقليل من... "احتمال 45%"، كما قال أحد محللي واشنطن. تلا هذا التقرير من معهد أبحاث السياسة الخارجية (INR) تقرير آخر، في نهاية مايو/أيار، والذي صنف احتمال اندلاع الحرب خلال الخريف بأنه "أفضل من المتوقع". يبدو أن وكالة المخابرات المركزية وافقت على هذا التقرير، على الرغم من غموض توقيته. مع تزايد احتمالات الحرب في الخريف، طلب وزير الخارجية الجديد، هنري كيسنجر، من معهد أبحاث السياسة الخارجية (INR) تقييمًا مُحدثًا. في 30 سبتمبر/أيلول، ردّ معهد أبحاث السياسة الخارجية (INR) بأن الحشد والتحركات السورية والمصرية "غير حاسمة". أصدرت وكالة المخابرات المركزية تقييمًا مشابهًا؛ بينما وُصف الحشد العسكري المصري بأنه "ينذر بالسوء"،

كان استنتاج الوكالة "أقل إثارة للقلق بنسبة 10% من تقرير INR". تأثرت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) بشدة بمدخلات أمان. لكن وكالة الأمن القومي، وهي منظمة الاستخبارات الأمريكية (Sigint)، التقطت إشارات واضحة تُشير إلى نشوب حرب. أشارت إحداها إلى قلق الاتحاد السوفيتي من احتمال اندلاع الحرب، نظرًا لوجود آلاف المستشارين السوفييت وعائلاتهم على الأراضي السورية والمصرية. (فريق صنداي تايمز إنسايت، المصدر السابق، الصفحات 69-71، 92، 104؛ وناكديمون، المصدر السابق، الصفحة 57).

60 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. ط، ص 297-8.

61 ويقول هيكل، في المصدر السابق، ص 32، إن إغلاق المطار وإجلاء طائرات بوينج الجديدة التابعة لمصر للطيران من القاهرة كانا بمبادرة من أحد كبار المسئولين في مصر للطيران الذي شعر بأن الحرب قادمة .الأمر الذي أدى إلى توبيخ الجنرال إسماعيل.

62 بارتوف، المرجع السابق، المجلد الأول، ص ٢٩٩؛ يديعوت أحرونوت، ٧ أكتوبر ١٩٨٣؛ وجرانوت، المرجع السابق، ص ١٢٢. يقول يوئيل بن بورات، الذي أُبلغ بالمعلومات الاستخباراتية في ١ أكتوبر الساعة الثالثة صباحًا من قِبل ضابط في قسم جمع المعلومات في عمّان، العقيد مناحيم ديجلي، إنه منذ تلك اللحظة اقتنع بأن الحرب وشيكة، وأصدر على الفور أمر إنذار حرب لموظفي قسمه.

63 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. أنا، ص. 304.

64 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. أنا، ص 304-5؛ هيكل، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 26؛ و بريشر، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 75.

65 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. أنا، ص. 305.

66 ناكديمون، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 67؛ وبارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. ط، ص 306-7.

67 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. أنا، ص. 323؛ جرانوت، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 137؛ وتقرير لجنة أغرانات، ص. 37.

68 مونيتين، سبتمبر/أيلول 1988. قضى بن بورات منتصف ثمانينيات القرن العشرين في كتابة تحليل سري ومفصل للغاية لفشل الاستخبارات في عام 1973، وقدمه إلى أمان أو سي أمنون شاحاك في عام 1987. وربما يكون هذا التحليل هو الدراسة النهائية لهذا الفشل.

69 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. ط، ص 314، 316.
70 لانير، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 81؛ هآرتس، 9 آذار/مارس 1979؛ ناكديمون، مرجع سابق. المرجع السابق.،
ص 93؛ وصحيفة يديعوت أحرونوت، 7 أكتوبر/تشرين الأول 1983.
71 تقرير لجنة أغرانات، ص. 36؛ بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. أنا، ص. 314؛ و جرانوت، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 125-7.
72 هاشافيا، المرجع السابق، ص 34.
73 وبعد بضعة أشهر، وفي أعقاب تحقيق داخلي، تم طرد لو توردیلو، نائب رئيس وكالة الأمن القومي الأميركية، وفقاً لبعض التقارير.

المصادر بسبب فشله في اعتراض هذه الرسالة غير العربية الحاسمة.
74 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. أنا ص. 320؛ ناكديمون، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 5؛ ويديعوت أحرونوت، 21 تشرين الأول (أكتوبر) 1983.
75 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. ثانيا. ص. 15.
76 ناكديمون، المرجع السابق، ص 98.
77 يرفض بعض المحللين هذا التقييم، بحجة أن أمان كان على علم بالأسلحة الجديدة، وحذر وحدات التدريب والوحدات الميدانية في جيش الدفاع الإسرائيلي من استخدامها وآثارها، بل وتوقع استخدامها المحتمل بكميات كبيرة. انظر مناقشة هذه النقطة المهمة، فيما يتعلق بكل من الصواريخ المضادة للدبابات والمضادة للطائرات، في لانير، المرجع السابق، ص 48-52. يشير لانير بحق إلى أنه في ثلاث مناوشات حدودية بين إسرائيل وسوريا في عامي 1972-1973، قبل حرب يورن كيبور، استخدم السوريون صواريخ ساغر مرتين ضد الدبابات الإسرائيلية، وفي المرة الأولى دمروا دبابة واحدة بأربعين إلى خمسين صاروخًا. تعلم جيش الدفاع الإسرائيلي الدرس بسرعة. أرسلت الشعبة الفنية في أمان تعميمًا مفصلاً حول السلاح الجديد. في المناوشة الثالثة، أدت الإجراءات المضادة لجيش الدفاع الإسرائيلي إلى تحييد صواريخ ساغر ولم تُصب أي دبابة إسرائيلية. ويقول لانير (ص 52) إن أمان كان يعرف منذ وقت طويل عن مدفع المياه القوي في مصر، والذي تم به ثقب الأسوار الترابية على طول القناة في السادس من أكتوبر.
78 ناكديمون، المرجع السابق، ص 122.
79 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. الثاني، ص. 79.
80 موشيه بار كوخبا، ميركافوت هابلادا، تل أبيب، 1989، ص 329-
30. يزعم يوئيل بن بورات أن أمان كان لديه معرفة مسبقة "بالطرق وحجم ونوايا القوة الاستكشافية العراقية"، وقد تم إرسال القوات الجوية وقوات الكوماندوز إلى الأردن لاعتراضها - ولكن لسبب ما فشل في القيام بذلك.
81 هآرتس، 2 أكتوبر/تشرين الأول 1987. المؤلف، العميد أهارون ليفران، كان نائب رئيس قسم الأبحاث في جهاز المخابرات الإسرائيلي (أمان) في عام 1973.
82 مقابلة.
83 "هآرتس، 2 أكتوبر/تشرين الأول 1987."

84 بارتوف، مرجع سابق. المرجع السابق، المجلد. الثاني، ص. 213.
85 بار كوخبا، المرجع السابق، ص 284.
86 نشرت دار النشر "عام أوفيد" في تل أبيب الأجزاء الثلاثة من تقرير لجنة أجرانات - "التقرير المؤقت" الصادر في 2 أبريل 1974، و"الإضافات إلى التقرير المؤقت" الصادر في 10 يوليو 1974، و"التقرير النهائي" الصادر في 11 يوليو 1974.

التقرير الثالث والأخير الصادر في 30 يناير/كانون الثاني 1975 - في مجلد واحد عام 1975. صُنفت الوثيقة الكاملة، التي تغطي آلاف الصفحات، سرية للغاية، ولا تزال سرية، حيث لا يُسمح بالاطلاع عليها إلا لكبار الوزراء وقيادات الجيش ورؤساء المخابرات. تألفت اللجنة من أغرانات، وهو قاضٍ آخر في المحكمة العليا، وموشيه لانداو، ومراقب الدولة، إسحاق إرنست نيبنزال، ورئيسي أركان سابقين لجيش الدفاع الإسرائيلي. ييغيل يادين وحاييم لاسكوف.
87 تقرير لجنة أجرانات، ص 29-33؛ ولانير، المرجع السابق، ص 90-92. وقد مضى إعادة تنظيم مجتمع الاستخبارات قدمًا رغم اعتراضات مدير أمان الجديد، شلومو غازيت. وجادل غازيت بأن: (1) تعدد وكالات التقييم من شأنه أن يقلل من مسؤولية أمان عن "الصورة الكبيرة" ويقلل من الشعور بالمسؤولية بين ضباط الفرع؛ (2) هيئات البحث الإضافية، التي ستتغذى بالضرورة على نفس المواد مثل قسم الأبحاث في أمان وسيعمل بها ضباط من نفس البيئة الاجتماعية والثقافية، ستنتج حتمًا استنتاجات وتقييمات مماثلة لأمان نفسه؛ (3) كانت المشكلة الرئيسية لإسرائيل لا تزال في تفسير الصورة الاستراتيجية العسكرية الواسعة، ولهذا تم تدريب أمان بشكل مناسب - في حين أن أقسام الأبحاث في الموساد ووزارة الخارجية لم تكن كذلك، وستخضع حتمًا لتقييمات أمان؛ وأخيرًا (4) كان هناك تجمع محدود وثابت من خبراء الشرق الأوسط المحتملين والمواهب الاستخباراتية في البلاد، وكان من شأن تجنيدهم لثلاث وكالات منفصلة أن يُضعف حتمًا من كفاءة باحثي أمان. سيؤدي هذا التكرار إلى هدر القوى العاملة والموارد الأخرى. جادل غازيت، ولكن دون جدوى. وأشار لاحقًا إلى أن جميع إدارات الأبحاث - أمان والموساد ووزارة الخارجية - فوجئت بنفس القدر بمبادرة السادات للسلام في نوفمبر 1977 (مقابلة مع شلومو).
غازيت).
88 يمكن العثور على تحليل لعمل قسم المراجعة في
"ضرورة النقد"، بقلم المقدم "شموئيل"، في مجلة جيش الدفاع الإسرائيلي، المجلد الثاني، العدد 3، 1985؛ وصحيفة هآرتس، 9 مارس/آذار 1985.
.1979
89 جرانوت، المرجع السابق، ص 140.
90 كتب ديفيد إليعازار، رئيس الأركان المقال، في مذكرة قدمها إلى مجلس الوزراء في مايو 1975 أنه في الأشهر التي سبقت

كان أمان قد رصد ما لا يقل عن 400 "معلومات خام هامة تشير إلى احتمال نشوب حرب". لكن معظمها لم يُلفت انتباهه قط (بريشر، المصدر السابق، ص 55).
91 يديعوت أحرونوت، 24 نوفمبر 1989.

92 "يديعوت أحرونوت، 8 أكتوبر/تشرين الأول 1989؛ وهآرتس، 27 أكتوبر/تشرين الأول 1989."

10 فترة خلو العرش مع السلام: 1974-1980

1 حوار مع شلومو غازيت.

2 عوديد غرانوت، تساهل بهيلو: رايل ماموديعين، تل أبيب، 1981، ص 144-145؛ زئيف شيف، تاريخ الجيش الإسرائيلي، 1987، ص 204؛ وهآرتس، 22 أكتوبر/تشرين الأول 1978.

3 دافار، 11 سبتمبر 1987.

4 إيتان هابر، زئيف شيف وإيهود يعاري، عام الحمامة، نيويورك، 1979، ص 9.

5 دافار، 27 نوفمبر 1987.

6 قال غازيت إن تصريح غور، الذي وبّخه وزير الدفاع عيزرا وايزمان بسببه، كان خاطئًا. أجرى غور المقابلة قبل أربعة أيام من نشرها، في وقت كان الجميع لا يزال غير متأكد من زيارة السادات. أجرى رئيس الأركان المقابلة لإخفاء خططه لزيارة إيران سرًا. وكان نشر المقابلة أثناء وجوده في طهران يهدف إلى التغطية على غيابه غير المبرر عن إسرائيل. لاحقًا، جادل غور بأنه كان يحاول فقط تحذير الرأي العام الإسرائيلي من خدعة مصرية محتملة، إذ لم يُناقش موضوع زيارة السادات برمته بشكل كافٍ بين القادة السياسيين والعسكريين (دافار، المصدر السابق).

7 دافار، المرجع السابق.

8 شلومو غازيت، "تقديرات الاستخبارات وصانع القرار"، في مجلة الاستخبارات والأمن القومي، المجلد 3، العدد 3، يوليو 1988، ص 280. انظر أيضًا: تسفي لانير، "هافتعاه هابيسيسيت"، تل أبيب، 1983، ص 88-90.

9 دافار، المرجع السابق.

10 شموئيل سيغيف، همشولاش هالراني، تل أبيب، 1981، ص. 214.

11 سيمور هيرش، ثمن القوة، نيويورك، 1983، ص 542.

12 واشنطن بوست، 17 سبتمبر 1972.

13 جيرارد شالياند، شعب بلا وطن، لندن، 1980، ص 184-185.

14 سيجيف، المصدر السابق، ص 128.

15 ماتي جولان، شمعون بيريز، لندن، 1982، ص 150.

16 مقابلة.

17 شاليائد، المرجع السابق، ص 189.

18 جيروزالم بوست، 8 أكتوبر 1980.

19 محمد هيكل. عودة آية الله، لندن ١٩٨١. ص149.

20 مايكل ليدين وويليام لويس، ديباكل، نيويورك، 1981. ص 126.

21 صحيفة التايمز، 16 أبريل 1985.
22 يديعوت أحرونوت، 8 كانون الأول (ديسمبر) 1989.
23 مايلز كوبلاند، لاعب اللعبة، لندن، 1989، ص 251-2.
24 تقرير وكالة المخابرات المركزية، واشنطن بوست، 1 فبراير 1982.
25 معاريف، 5 فبراير 1982.
26 شلومو نكديمون، الضربة الأولى، نيويورك، 1987، ص 219. ناك
وقد حصل ديمون، المتحدث السابق باسم رئيس الوزراء مناحيم بيغن، على إمكانية الوصول إلى مجموعة متنوعة من الوثائق والبروتوكولات السرية للغاية، بما في ذلك محاضر اجتماعات مجلس الوزراء وهيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي، في إطار إعداد كتابه.
27 دافيد عفري، "عكيفة هكور هجريني بيرق - يوني 1981"، في زئيف
كلاين (محرر)، "الحرب الأهلية الإسرائيلية"، تل أبيب، ١٩٨٨؛ ونكديمون، المرجع السابق، ص ١٠٩. كان عفري قائدًا لسلاح الجو الإسرائيلي من عام ١٩٧٧ إلى عام ١٩٨٢، ونائبًا لرئيس الأركان من عام ١٩٨٣ إلى عام ١٩٨٥.
28 ناكديمون، المرجع السابق، ص 95.
29 "المرجع نفسه، ص 100، 179؛ وصحيفة هآرتس، 21 يوليو/تموز 1981."
30 آموس بيرلموتر، ومايكل هاندل، وأوري بار جوزيف، دقيقتان فوق بغداد، لندن، 1982، ص 69-70.
31 المرجع نفسه، ص72.
32 "ومن وجهة نظر استخباراتية، من الأسهل اختراق البلدان المتخلفة والأقل تصنيعاً والتي تعتمد بشكل كبير على الخبراء الأجانب الذين لا تستطيع التحقق من ولاءاتهم أو السيطرة عليها بشكل كامل والذين تتمثل أهدافهم الخاصة في كسب أكبر قدر ممكن من المال في أقصر وقت ممكن" (نفس المصدر، ص 103).
33 ناكديمون، مرجع سابق. المصدر نفسه، ص 160-61.
34 "هآرتس، 18 أغسطس/آب 1983."
35 ناكديمون، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 165-6.
36 المرجع نفسه، ص 184.
37 المرجع نفسه، ص 190.
38 المرجع نفسه، ص 208.
39 بوب وودوارد، فيل، نيويورك، 1987، ص 160-162.
40 إريك سيلفر، بيجين، لندن، 1984، ص 220.

41 شاؤول ميشال، منظمة التحرير الفلسطينية في عهد عرفات، ييل، 1986، ص 11.
42 "الجولان، المصدر السابق، ص 180."
43 حداشوت، 30 كانون الأول (ديسمبر) 1988.
44 جيروزالم بوست، 4 يوليو 1986.

45 ستيوارت ستيفن، سادة التجسس في إسرائيل، نيويورك، 1980، ص 381.

46 كان أداء "غاندي" أفضل من أداء خليفته، عميحاي باجلين، رئيس عمليات إرجون السابق الذي عينه مناحيم بيغن عندما أصبح رئيسًا للوزراء في مايو 1977. وقد قوبل باجلين بمقاطعة شبه تامة من جانب كل من جهاز الأمن الداخلي (شين بيت) والموساد، لا سيما لأنه أدين في عام 1972 بتهمة محاولة تهريب أسلحة إلى إسرائيل.

الأسلحة إلى الخارج لشن هجمات معادية للعرب (كوتيريت راشيت، 15 يونيو/حزيران 1988).

47 غازيت، المرجع السابق، ص 262.

48 "هآرتس، 3 أبريل 1981."

49 "الجولان، المصدر السابق، ص 177."

س. موشيه ماعوز، القيادة الفلسطينية في الضفة الغربية، لندن، 1984، ص 134.

51 مقابلة.

52 مقابلة.

53 "الجولان، المصدر السابق، ص 178."

54 مقابلة.

55 "المقابلة؛ وصحيفة هآرتس، 7 مايو/أيار 1976."

56 معاريف، 10 مايو 1976.

57 هآرتس، 12 مايو 1976.

58 حوار مع مردخاي جور.

59 مقابلة.

60 جولان، المرجع السابق، ص 167-168.

61 معاريف، 6 يونيو 1986.

62 جيروزالم بوست، 15 كانون الأول (ديسمبر) 1980.

63 واشنطن بوست، 1 فبراير 1982.

64 يديعوت أحرونوت، 15 كانون الأول (ديسمبر) 1980.

65 هآرتس، 15 كانون الأول (ديسمبر) 1980.

66 وفيما يتعلق بالتخطيط وخلفية العملية، انظر كوتيريت راشيت، 24 فبراير/شباط 1988.

67 بنحاس عنباري، مشولاش الحياردين القدس، 1983، ص 44- 53.

68 هاجاي سيغال، أيها الإخوة الأعزاء، نيويورك، 1988، ص 97.

69 معاريف، 19 كانون الأول (ديسمبر) 1980.

70 سيجال، المرجع السابق، ص 10.

71 مقابلة.

72 هآرتس، 15 كانون الأول (ديسمبر) 1980.

73 معاريف، 10 كانون الأول (ديسمبر) 1980.

74 هآرتس، 15 كانون الأول (ديسمبر) 1980.

75 يديعوت أحرونوت، 8 أغسطس 1980.
76 سيجال، المرجع السابق، ص 122.
77 المرجع نفسه، ص 124.
78 "أيهميشمار، 4 يوليو 1980."
79 ديفيد رونين، شنات شاباك، تل أبيب، 1989، ص 223-232.
80 صنداي تايمز، 19 يونيو 1977.
81 يديعوت أحرونوت، 15 كانون الأول (ديسمبر) 1980.
82 معاريف، 8 كانون الأول (ديسمبر) 1989.
83 حداشوت، 23 سبتمبر 1987.
84 دافار، 20 أغسطس 1983.

11 المستنقع اللبناني: ١٩٧٨-٨٥

1 للاطلاع على وجهة نظر فلسطينية للعملية، انظر أبو إياد (صلاح خلف)، ليلو موليدوت، تل أبيب، 1979، ص 294-5؛ من أجل وجهة نظر إسرائيلية، أفنيريانيف، معضلات الأمن، نيويورك، 1987، 1971.

2 يانيف، المرجع السابق، ص 72.

3 مصطفى طلاس، evanonHaPlisha HaYisraelit LeL، تل أبيب، 1988، ص. 50-60.

4 حوار مع شلومو غازيت.

5 يانيف، المرجع السابق، ص 73-75.

6 مثّل حزب الكتائب، الذي أنشأته عائلة الجميل المسيحية المارونية في ثلاثينيات القرن الماضي، المصالح المسيحية في لبنان. وُلدت العلاقة بين إسرائيل والكتائب عام 1948 واستمرت، مع انقطاعات، خلال الخمسينيات والستينيات. لكن هذه الروابط، التي شملت بعض الإعانات الإسرائيلية وغيرها من المساعدات، لم تتحول إلى تحالف كامل إلا في منتصف السبعينيات. منذ الثلاثينيات، نظرت الحركة الصهيونية إلى المسيحيين اللبنانيين، وهم أقلية "زميلة" في الشرق الأوسط الذي يهيمن عليه المسلمون، كحليف محتمل. زاد اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية عام 1975 من جاذبية الكتائب في نظر السياسيين والجنرالات الإسرائيليين. للسنوات الأولى، انظر بيني موريس، "ولادة العلاقة بين إسرائيل والكتائب، 1948-1951"، في دراسات في الصهيونية، ربيع 1984؛ وإيان بلاك ونيل كابلان، "إسرائيل ولبنان: أصول العلاقة"، مجلة القدس الفصلية، ربيع 1983.

7 يانيف، المرجع السابق، ص 57.

8 حداشوت، 17 فبراير 1989.

9 زئيف شيف وإيهود يعاري، حرب لبنان الإسرائيلية، لندن، 1986، ص 14.

10 العميد تسفي عنبار، "وعدات كاهان"، في زئيف كلاين (محرر)، هاملهاما باترور، تل أبيب، 1988، الصفحات 113-23؛ وهآرتس، 7 حزيران/يونيه 1985.

11 شيف وياري، المصدر السابق، ص 18.

12 المصدر نفسه؛ ورؤوفين أفي-ران، "المعرّضون للسوريين باللبفانون" (1975-1985)، تل أبيب، 1986، ص 67. ووفقًا لأحد التقديرات، أنفقت حكومة رابين 150 مليون دولار على تسليح الموارنة بين عامي 1975 و1977. واستُقدم ضباط الكتائب وضباط الصف إلى إسرائيل لحضور دورات تدريبية قصيرة في جيش الدفاع الإسرائيلي. وذكر لاحقًا ضابط شاب ناطق بالعربية في جيش الدفاع الإسرائيلي شارك في العملية السرية أن رجال الميليشيات اللبنانية كانوا يتباهون بمشاركتهم في مجازر بحق المسلمين والفلسطينيين (يورام بينور، عدوي، أنا، نيويورك 1989، ص 36).

13 انبار، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 113؛ شيف وياري، مرجع سابق. المرجع السابق، الصفحات 22-23؛ يانيف، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 63--4، 83--4؛ وآفي ران، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 291.

14 شيف وياري، المرجع السابق، ص 26؛ وأفي ران، المرجع السابق، ص 136.

15 أفي ران، مرجع سابق. المذكور، ص 139 – 40.

16 المرجع نفسه، ص 138-139.

17 يانيف، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 86؛ وآفي ران، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 139.

18 بوب وودوارد، فيل، نيويورك، 1987، ص 380.

19 حداشوت، 17 فبراير 1989.

20 شيف وياري، المصدر السابق، ص 34-35.

21 يانيف، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 86؛ أفي ران، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 134؛ وشيف وياري، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 34-35. انظر أيضاً إيتامار رابينوفيتش، الحرب من أجل لبنان 1970-1983، نيويورك، 1984، ص 114-20.

22 يانيف، مرجع سابق. المرجع السابق، الصفحات 88-9؛ شيف وياري، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 35-8؛ واللواء يهوشوا ساغي، "aHit darderut Hitmasdut HaTerror VeH LaMilhama"، في كلاين، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 37-9.

23 "هآرتس، 18 نوفمبر/تشرين الثاني 1988."

24 أريئيل شارون، "تفيسات هابيتاشون أوميلهميت شلوم هجليل"، في كلاين، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 43-57.

25 مقابلة.

26 اللواء (احتياط) أمير درروري، "أورانيم ميتغالغيل [أشجار الصنوبر المتدحرجة]"، في كلاين، المرجع السابق، ص 73-87؛ وشيف وياري، المرجع السابق.
ص 45-6.

27 شيف وياري، المصدر السابق، ص 42-43.

28 المرجع نفسه، ص ٤٦. يظل كتاب شيف وياري أفضل وأشمل سرد نُشر حتى الآن لحرب لبنان، وقد شكل سرده أساسًا لأجزاء من هذا الفصل. للاطلاع على نظرة سياسية أعم، انظر رابينوفيتش، المرجع نفسه، ص ١٢١-١٥٢.

29 شيف وياري، المصدر السابق، ص 47-8؛ ويانيف، المصدر السابق، ص 107.

30 شيف وياري، المصدر السابق، ص 48-51.

31 المرجع نفسه، ص 67-8؛ و يانيف، مرجع سابق. المصدر نفسه، ص 108، 139.

32 عوزي بنزيمان، شارون، قيصر إسرائيلي، نيويورك، 1985، ص. 233.

33 شيف وياري، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 53؛ و مونيتين، يونيو 1986.

34 يانيف، المرجع السابق، ص 108.

35 أفي ران، المرجع السابق، ص 147-148.

36 شيف وياري، المصدر السابق، ص 59-60.

37 المرجع نفسه، ص 56-7.

38 يانيف، المرجع السابق، ص ١٠٩-١٠. كان نواف روزان، رئيس فريق الاغتيال في لندن، أردنيًا من الضفة الشرقية، انضم إلى أبو نضال منذ أن جنّدته المخابرات العراقية في الأردن أوائل سبعينيات القرن الماضي. وكان من بين أعضاء الفريق أيضًا مروان البنا، من نابلس، وهو ابن عم زعيم التنظيم الإرهابي من الدرجة الثانية. وكان من المعروف أن روزان كان على اتصال وثيق بالسفارة العراقية في لندن. وقيل إن العراق أمر، أو على الأقل شجع، على تنفيذ الهجوم على أرجوف لإثارة غزو إسرائيلي للبنان، وذلك لصرف الانتباه عن خسائره الفادحة التي مُني بها أمام إيران في حرب الخليج. وردّ العراق على محاولة الاغتيال بالدعوة إلى وقف إطلاق النار. ورفضت طهران الدعوة واتهمت بغداد بالوقوف وراء حادثة إطلاق النار في لندن. (الغارديان، ٧ مارس ١٩٨٣).

39 مقابلة مع جدعون مهنائي؛ شيف وياري، المصدر السابق، ص 111.
97-8.

40 المرجع نفسه، ص 101.

41 الموصوفة في يانيف، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 110-13.

42 شيف وياري، المرجع السابق، الصفحات ١٠٣-١٠٦. يزعم الفريق رافائيل إيتان، في كتابه "ملحمة شلوم الجليل، بيولا يبشتيت رحفا"، في كلاين، المرجع السابق، الصفحات ٦٣-٧١، أن اجتماع مجلس الوزراء في ٥ يونيو/حزيران لم يحصر العملية في قوس طوله ٤٠ كيلومترًا، بل وافق على توغل شمالًا حتى طريق بيروت-دمشق السريع، وربطها بالكتائب حول بيروت.

43 شيف وياري، المرجع السابق، ص 106-107؛ ودروري، المرجع السابق، ص 76.

44 شيف وياري، المصدر السابق، ص 112.

45 طلاس، المرجع السابق، ص 143-159.

46 المرجع نفسه، الصفحات 173-193، يُعزي أيضًا نجاح الهجوم الإسرائيلي المضاد للصواريخ إلى التغطية الشاملة للرادارات والإلكترونيات السورية في البقاع بالتشويش الإلكتروني بواسطة طائرات بوينغ 707 وسكاي هوك وهوك آيز ومحطات أرضية مُجهزة خصيصًا لهذا الغرض. وأشار تحديدًا

إلى محطة كهذه على جبل الشيخ في هذا السياق. استُخدمت طائرات مُسيّرة مُجهزة خصيصًا للتحويل والتشويش والمراقبة، وأُرسلت لاستقطاب الدفعة الأولى من الصواريخ (المرجع نفسه، الصفحات 188-189). يُعد وصف طلاس الأكثر شمولًا حتى الآن للهجوم الإسرائيلي المضاد للصواريخ.

47 وللحصول على وصف كامل لحملة بن غال والمقاومة السورية، انظر المصدر نفسه، ص 195-224؛ وشيف وياري، المصدر نفسه، ص 171-180، الذي يركز على الفخ الدرامي في السلطان يعقوب.

48 رشيد الخالدي، تحت الحصار، كولومبيا، 1986، الصفحات 88، 93-4، 202؛
و Tlas، المرجع السابق، ص 233.

49 تلاس، المرجع السابق، ص 163-168.

50 يؤكد الخالدي، المرجع السابق، ص 93-94، أن جهاز أمن منظمة التحرير الفلسطينية أسر سبعة "عملاء إسرائيليين" (جميعهم عرب) من أصل أربعة وعشرين أُرسلوا لتحديد مواقع قادة منظمة التحرير الفلسطينية وإبلاغ سلاح الجو الإسرائيلي بمكانهم. ويضيف الخالدي، نقلاً عن أبو إياد، أن عشرة من هؤلاء العملاء لقوا حتفهم في قصف إسرائيلي. وادعى إيتان لاحقًا (في كلاين، المرجع السابق، ص 70) أن سلاح الجو الإسرائيلي كان بإمكانه قتل عرفات عدة مرات، لكنه لم يفعل لأن ذلك كان سيعني قتل العديد من المدنيين أيضًا.

51 وقد تم وصف حصار بيروت وإجلاء منظمة التحرير الفلسطينية بالتفصيل في كتاب الخالدي، المصدر السابق.

52 شيف وياري، مرجع سابق. المرجع السابق، الصفحات 124، 157، 174؛ أفي ران، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 15 7؛ وفي كلاين، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 104.

53 مونيتين، يونيو 1986.

54 شيف وياري، المرجع السابق، ص 233-236؛ ويانيف، المرجع السابق، ص 152.

55 شيف وياري، المصدر السابق، ص 236-237.

56 المرجع نفسه، ص 239.

57 يستند هذا الاقتباس ومعظم ما يليه إلى تقرير لجنة كاهان، الذي ظهر كاملاً، باستثناء ملحق سري من اثنتي عشرة صفحة، في صحيفة جيروزالم بوست، 9 فبراير/شباط 1983. انظر أيضًا شيف وياري، المرجع السابق، ص 246-247؛ ويانيف، المرآج السابق، ص 152-153.

58 طلاس، مرجع سابق. المرجع السابق، ص. 311؛ وآفي ران، مرجع سابق. المرجع السابق، ص 174-5.

59 شيف وياري، المرجع السابق، الصفحات ٢٤٧-٢٤٩؛ ومونيتين، يونيو/حزيران ١٩٨٦. تعاونت إسرائيل بشكل وثيق مع الولايات المتحدة في التحقيق في اغتيال الجميل. زود الموساد وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بمعلومات من "أفضل عملائه السوريين، وتقارير مراقبة، وعمليات تنصت إلكترونية" (وودوارد، المرجع السابق، الصفحة ٢١٩).

60 تقرير لجنة كاهان.

61 المصدر نفسه؛ وفي كلاين، المرجع السابق، ص 114.

62 تقرير لجنة كاهان.

63 شيف وياري، المصدر السابق، ص 277، 279-280.
64 تقرير لجنة كاهان؛ لانير، المرجع السابق، ص 156-159؛ شيف وياري، المرجع السابق، ص 282-284.
65 وودوارد، مرجع سابق. المذكور، ص 160-61، 286.
66 فؤاد عجمي، الإمام الغائب، نيويورك، 1986، ص 200.
67 واشنطن بوست، 6 أغسطس 1989.
68 شموئيل سيغيف، المثلث الإيراني، نيويورك، 1988، ص 117-118.
69 عجمي، المصدر السابق، ص 201.
70 إندبندنت، 29 سبتمبر 1989.
71 وتظهر الشهادات التفصيلية في كتاب فرانكلين ب. لامب (المحرر)، حرب إسرائيل في لبنان، بوسطن، 1984، ص 633-800.
72 "مقابلة؛ يديعوت أحرونوت، 29 مايو 1987."
73 معاريف، 15 نوفمبر 1982.
74 كوتيريت رشيت، 20 أبريل 1988.
75 صحيفة التايمز، 6 يوليو/تموز 1984؛ وصحيفة معاريف، 10 يوليو/تموز 1984.
76 صحيفة التايمز، 14 يناير 1985.
77 صحيفة التايمز، 1 يوليو 1984 و14 يناير 1985؛ صحيفة الجارديان، 14 فبراير/شباط 1985؛ وصحيفة التايمز، 5 و6 مارس/آذار 1985.
78 معاريف، 25 سبتمبر 1984.
79 معاريف، 21 يونيو 1984، نقلاً عن صحيفة لوموند؛ وصحيفة التايمز، 7 مارس 1985.
80 صحيفة التايمز، 7 مارس 1985، 12 مارس 1985 و14 مارس 1985.
81 حداشوت، 1 مايو 1988.
82 صحيفة التايمز، 24 ديسمبر 1984.
83 صحيفة التايمز، 14 يناير/كانون الثاني 1985 و25 يناير/كانون الثاني 1985؛ وموشيه أرينز، "حيادوش هاهاسكاما هالوميت بنوسي بيتاخون"، والجنرال موشيه ليفي، "ميليفانون ليسديه هاكراف هاعتيدي"، في كلاين، المرجع السابق، ص 141-147.
84 حداشوت، 18 مارس 1988.

12 المخاطر المهنية: 1984-7

1 روبرت مان، قضية بتروف، سيدني، 1987، ص 11.
2 معاريف، 18 يوليو 1986.
3 بالنسبة لرواية جينوسار، انظر صحيفة يديعوت أحرونوت، 8 يناير/كانون الثاني 1988.
4 حداشوت، 23 سبتمبر 1987.
5 معاريف، 18 يوليو 1986.

6 كوتيريت راشيت، 25 مايو 1986.
7 جيروزالم بوست، 4 يونيو 1986.
8 كوتيريت رشيت، 23 أبريل 19 8 7.
9 أمينة مفتي، امرأة شركسية جنّدها الموساد، عملت عميلةً في بيروت من أوائل عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٧٦، حين ألقت منظمة التحرير الفلسطينية القبض عليها، وأُطلق سراحها في صفقة تبادل أسرى عام ١٩٨٠ (انظر ستيف بوسنر، إسرائيل السرية، نيويورك، ١٩٨٧). وقد قُيّد اسمها باثنين من كبار قادة فتح، وهما ويليام نصار ومهدي بسيسو (جيروزالم بوست، ٢٧ فبراير ١٩٨٠).
10 "هآرتس، 8 مايو 1987."
11 الغارديان، 27 مايو 1987.
12 "هآرتس، 1 نوفمبر 1987."
13 تقرير لجنة لاندو، ص 14.
14 "هآرتس، 4 نوفمبر 1987."
15 "هآرتس، 1 نوفمبر 1987."
16 "هآرتس، 4 نوفمبر 1987."
17 تصريح القس رياح أبو العسل من كنيسة المسيح الإنجيلية الأسقفية، الناصرة، 3 نوفمبر 1987.
18 حداشوت، 1 نوفمبر 1987.
19 جيروزاليم بوست، 1 نوفمبر 1987.
20 "هآرتس، 5 سبتمبر/أيلول 1986."
21 حداشوت، 28 مارس 1988.
22 مذكرة الحكومة الأمريكية للمساعدة في إصدار الحكم بتاريخ 6 يناير 1987. '
23 وولف بليتزر، إقليم الأكاذيب، نيويورك، 1989، ص 8-9، 13.
24 مقابلة. •
25 بليتزر، المرجع السابق، ص 10.
26 لم يذكر تقرير المخابرات الإسرائيلية الصادر عام ١٩٦٦، بعنوان "إسرائيل: أجهزة الاستخبارات والأمن الأجنبية"، لاكام. لكنه ذكر أن "جمع المعلومات الاستخباراتية العلمية في الولايات المتحدة وغيرها من الدول المتقدمة كان الأولوية الثالثة للتجسس الإسرائيلي". "يُكرّس الإسرائيليون جزءًا كبيرًا من عملياتهم السرية للحصول على معلومات علمية".

"إن الاستخبارات العسكرية الأميركية كانت تهدف إلى جمع معلومات استخباراتية تقنية وتقنية، وشمل ذلك محاولات اختراق بعض المشاريع الدفاعية السرية في الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية" (واشنطن بوست، 1 فبراير/شباط 1982).
27 كان للمصنع تاريخ من "سوء حفظ السجلات، وضعف الأمن، واختفاء اليورانيوم، والعلاقات الوثيقة مع إسرائيل" (بوسطن غلوب)، 14 ديسمبر 1986. انظر أيضًا صحيفة إنترناشونال هيرالد تريبيون، 6 يونيو 1986. وقد وُصفت هذه الحلقة والمحاولات الإسرائيلية السرية ذات الصلة للحصول على اليورانيوم بطريقة "فصائلية" مقنعة للغاية في كتاب دينيس أيزنبرغ وإيلي لاندو ومناحيم بورتوغالي،

"عملية سفينة اليورانيوم"، تل أبيب، 1978، وفي كتاب إيلين دافنبورت وبول إيدي وبيتر جيلمان، "قضية بلومبات".
لندن، 1978.

28 كوتيريت راشيت، 15 يونيو 1988.

29 انظر مايكل بار زهار وإيتان هابر، البحث عن الأمير الأحمر، نيويورك، 1983.

30 ميامي هيرالد، 26 أغسطس 1986.

31 "حداشوت، 25 مارس 1987."

32 تصريح إسحاق رابين، 3 ديسمبر/كانون الأول 1985. تكهن خبير إسرائيلي بأنه ربما يكون من غير المصادفة تشجيع بولارد على تكثيف أنشطته التجسسية في فترة "التعمية" في جمع المعلومات الاستخبارية عن سوريا. بين مايو/أيار 1985 ويناير/كانون الثاني 1986، أفادت وسائل الإعلام السورية بإعدام ثمانية مواطنين سوريين بتهمة التجسس لصالح إسرائيل (ريموند كوهين، تقييم التهديدات في الاستخبارات العسكرية: حالة إسرائيل وسوريا، 1985-1986، الاستخبارات والأمن القومي، المجلد 4، العدد 4، أكتوبر/تشرين الأول 1989، الصفحات 755-756). إن التأكيد الواضح لنظرية "العمى" يأتي من استبيان أمان المكون من 76 جزءاً حول جوانب مختلفة من الاستعداد العسكري السوري الذي قدم للموساد لاستخدامه من قبل عميل سوري رفيع المستوى قبل عودته إلى وطنه من أوروبا، في أواخر عام 1984 أو أوائل عام 1985 (فيكتور أوستروفسكي وكلير هوي، عن طريق الخداع: صنع وتفكيك ضابط الموساد، نيويورك، 1985).
1990، ص 350-6).

33 صنداي تايمز، 29 مارس 1987.

34 انظر جيمس آدامز، التحالف غير المقدس، لندن، 1984.

35 جيروزالم بوست، 26 كانون الأول (ديسمبر) 1986.

36 جيروزالم بوست، 14 كانون الأول (ديسمبر) 1986.

37 جيروزالم بوست، 14 كانون الأول (ديسمبر) 1986.

38 بليتزر، المرجع السابق، ص 92.

39 كوتيريت رشيت، 4 فبراير 1988.

40 هآرتس، 26 تشرين الثاني/نوفمبر 1985؛ ومعاريف، 29 تشرين الثاني (نوفمبر) 1985.

41 واشنطن بوست، 15 يونيو 1986.

42 "هآرتس، 27 مارس 1987."

43 "هآرتس، 24 مارس 1987."

44 الوقت، 23 مارس 1987.

45 كوتيريت راشيت، 11 يونيو 1986.

46 جيروزالم بوست، 1 مارس 1987.

47 حداشوت، 23 سبتمبر 1987.

48 كوتيريت رشيت، 27 يناير 1988.

49 "هآرتس، 5 مارس 1987."
50 جيروزالم بوست، 6 مارس 1987.
51 صحيفة انترناشونال هيرالد تريبيون، 20 فبراير 1988.
52 "جيروزاليم بوست، 13 مارس 1987."
53 صحيفة نيويورك تايمز، 15 مارس 1987.
54 حداشوت، 13 يناير 1989.
55 شموئيل سيغيف، همشولاش حيراني، تل أبيب، 1981، ص 14-15.
56 معاريف، 19 آذار/مارس 1987؛ الهممشمر، 24 آذار/مارس 1987؛ و سيجيف، مرجع سابق. سيتي.
57 حداشوت، 17 فبراير 1989.
58 حداشوت، 17 فبراير 1989.
59 حائر، 13 يناير 1989.
60 حداشوت، 9 كانون الأول (ديسمبر) 1988.
61 ميامي هيرالد، 20 يناير 1987.
62 سيجيف، المرجع السابق، ص 259-260.
63 "هآرتس، 18 نوفمبر/تشرين الثاني 1988."
64 تقرير لجنة البرج، نيويورك، 1987، ص 83-4.
65 الغارديان، 15 نوفمبر 1986.
66 باتريك سيل، أسد، لندن، 1988، ص 480.
67 هآرتس، 11 يوليو/تموز 1986، لمونولوج لضابط أمن في شركة العال.
68 الغارديان، ٦ فبراير ١٩٨٦. يبدو أنها كانت طريقة غير موثوقة للقبض على الفلسطينيين المطلوبين. حدث الشيء نفسه في أغسطس ١٩٧٣، عندما أُجبرت طائرة ركاب لبنانية على الهبوط ظنًا خاطئًا أن جورج حبش، من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، كان على متنها.
69 ميامي هيرالد، 27 يوليو 1986.
70 "هآرتس، 10 مايو 1986."
71 صحفي سوري كتب كتابا عن قضية كوهين في

أُجبر في منتصف الثمانينيات على مغادرة البلاد والاستقرار في العراق
(يديعوت أحرونوت، 11 أبريل/نيسان 1988).
72 مقابلة. في مايو/أيار 1985، أُعدم ستة سوريين علناً بعد إدانتهم بـ"نقل معلومات سرية وتعريض أمن الدولة للخطر للعدو الإسرائيلي" (الغارديان، 15 مايو/أيار 1985).
73 جيروزالم بوست، 6 يوليو 1988.
74 صنداي تايمز، 5 أكتوبر 1986.
75 صنداي تايمز، 9 أغسطس 1987.
76 "هآرتس، 28 أكتوبر/تشرين الأول 1986."

77 مقابلة.
78 فرانك بارنابي، القنبلة الخفية، لندن، 1989، ص 11.
79 ليونارد س. سبيكتور، التحول إلى الطاقة النووية، نيويورك، 1987، ص 138.
80 انظر جورج هـ. كويستر، في جيد سي. سنايدر (المحرر)، الحد من الانتشار النووي، ص 49.
81 "هآرتس، 14 نوفمبر/تشرين الثاني 1986."
82 "الهمشمار، 4 نوفمبر 1986."
83 "هآرتس، 14 نوفمبر/تشرين الثاني 1986."
84 "الهمشمار، 24 مارس 1987."
85 المراقب، 8 سبتمبر 1985.
86 يسرائيل شيلانو، 25 فبراير 1988؛ والغارديان، 26 فبراير 1988.
87 إندبندنت، 26 فبراير 1988.
88 "يديعوت أحرونوت، 15 يناير 1988."
89 معاريف، 12 يناير 1988.
90 مونيتين، سبتمبر 1987.
91 صنداي تايمز، 15 مارس 1987.
92 "الهمشمار، 24 مارس 1987."
93 عانى إبراهيم صوان بسبب سمعته. في مارس/آذار ١٩٩٠، عُثر عليه مقتولاً خلال موجة من عمليات قتل الفلسطينيين المشتبه في تعاونهم مع الإسرائيليين (حداشوت، ٢٣ مارس/آذار ١٩٩٠).
94 فلسطيني آخر، أصبح عميلاً إسرائيلياً بارزاً في النصف الأول من سبعينيات القرن الماضي، تم التواصل معه عند عودته إلى الوطن لحضور جنازة والده. قيل له إنه سيُسمح له بإحضار عائلته من الأردن إلى الضفة الغربية إذا تعاون. كان الرجل يعمل في السفارة السعودية في عمّان، وكان له قريب مقرب في إحدى فصائل منظمة التحرير الفلسطينية في سوريا. كان مسؤوله الإسرائيلي على علم بملف الرجل في...

تفاصيلٌ قبل لقائهما الأول بوقتٍ طويل. للاطلاع على روايةٍ مُقنّعةٍ لقصةٍ حقيقية، انظر صحيفة معاريف، ٦ يونيو/حزيران ١٩٨٠.
95 معاريف، 13 يناير 1989.
96 وتظهر التقارير الكاملة لقضية سوان في صحيفة هآرتس، 24 يونيو/حزيران 1988؛ وصحيفة جيروزالم بوست، 24 يونيو/حزيران 1988.
97 الغارديان، 16 يونيو 1988.
98 "يديعوت أحرونوت، 29 يوليو 1988."
99 إن أفضل الروايات العامة عن هجرة الفلاشا ودور الموساد موجودة في كتاب تيودور بارفيت، عملية موسى، لندن، 1985؛ وفي كتاب لويس رابوبورت، أغنية الفداء، نيويورك، 1986.
100 أربيل شارون، المحارب، ص 417؛ ويدعيوت أحرونوت، 24 فبراير 1989.

101 وربما كان الموساد يستفيد من خدمة ما؛ فوفقاً لتقارير غير مؤكدة، قامت قوات الكوماندوز الإسرائيلية بتحرير عميل كبير في وكالة المخابرات المركزية الأميركية كان قد اختطف في إثيوبيا في نهاية عام 1983 (هآرتس، 12 أغسطس/آب 1987، نقلاً عن صحيفة نيويورك بوست).

13 الانتفاضة: 1987-1990

1 مقابلة مع إيهود باراك، دافار، 5 أكتوبر 1984.
2 زئيف كلاين (محرر)، هاميلهامه باتيرور، تل أبيب، 1988، ص. 163.
3 "يديعوت أحرونوت، 20 يناير 1989."
4 صحيفة ديلي تلغراف، 26 سبتمبر 1985.
5 معاريف، 26 سبتمبر 1985.
6 مقابلة مع إيهود باراك، التلفزيون الإسرائيلي، 16 أكتوبر 1985.
7 وتظهر الأرقام الإسرائيلية في رواية فرع القوات الجوية الإسرائيلية التاريخي لغارة تونس في كتاب كلاين، المرجع السابق، ص 167-169.
8 واشنطن، يونيو 1988.
9 حول المفاوضات مع جبريل، بما في ذلك الحرب النفسية التي شنها جهاز الأمن العام (الشاباك) لزيادة الضغوط الفلسطينية على الزعيم الفلسطيني، انظر يديعوت أحرونوت، 19 أبريل/نيسان 1989.
10 ديفيد سي. مارتن وجون والكوت، أفضل الخطط الموضوعة، نيويورك، 1988، ص 248.
11 الغارديان، 11 أكتوبر 1985.
12 بوب وودوارد، فيل، نيويورك، 1987، ص 414-417.
13 الغارديان، 10 أكتوبر 1985.
14 مقابلة مع إيهود باراك، التلفزيون الإسرائيلي، 16 أكتوبر 1985.

15 "هآرتس، 23 أكتوبر/تشرين الأول 1985."
16 "هآرتس، 17 أبريل 1986."
17 دافار، 6 سبتمبر 1985.
18 مقابلة مع إيهود باراك، التلفزيون الإسرائيلي، 16 أكتوبر 1985.
19 دافار، 19 أغسطس 1988.
20 الغارديان، 26 أكتوبر 1987.
21 ولملخص قضية حمدان، انظر صحيفة هآرتس، 24 سبتمبر/أيلول 2009.
1989.
22 يديعوت أحرونوت، 2 كانون الأول (ديسمبر) 1988.
23 اللجنة الوطنية المتحدة، 10 فبراير 1988. انظر أيضًا شاؤول ميشال، أفانيم زي لو هاكول، تل أبيب، 1989، لدراسة شاملة لظاهرة المنشورات.

24 زئيف شيف وإيهود يعاري، الانتفاضة، نيويورك، 1990، ص 161.
25 كوتيريت راشيت، 24 فبراير/شباط 1988؛ ومذكرة بشأن منظمة التحرير الفلسطينية، مكتب مستشار مكافحة الإرهاب، 12 ديسمبر/كانون الأول
1988.
26 الغارديان، 17 فبراير 1988.
27 واشنطن بوست، الطبعة الدولية، 24 فبراير 1988.
28 ديفيد هاليفي ونيل سي ليفينغستون، واشنطن، يونيو 1988.
29 "هآرتس، 17 أبريل 1988."
30 إذاعة إسرائيل، 9 يونيو 1988.
31 مقابلة.
32 "هآرتس، 5 مايو 1989."
33 "دعونا نحبط أساليب الاستخبارات للعدو ونكافح ضدها بكل عزم"، منشور غير موقع وغير مؤرخ،
عربي.
34 نشرة مركز المعلومات البديلة، 7 أغسطس 1986.
اللجنة الثالثة للدفاع عن حقوق الإنسان الفلسطينية، "كيف
هؤلاء المقاتلون قُتلوا على يد المخابرات الصهيونية وعملائها،
نشرة غير مؤرخة، باللغة العربية.
36 لوس أنجلوس تايمز، 6 يوليو/تموز 1986. كان القتل المتعمد باستخدام متفجرات غير مستقرة أو صواعق تفجيرية أسلوبًا درسته أجهزة أمنية أخرى، إن لم تكن استخدمته. اقترح بيتر رايت، من جهاز الاستخبارات العسكرية البريطاني، "دراسة إمكانية زرع صواعق مفخخة" على الجيش الجمهوري الأيرلندي المؤقت في أيرلندا الشمالية؛ رُفض الاقتراح (بيتر رايت، سبايكاتشر، نيو).
يورك، 1987، ص 359).
37 حداشوت، 4 أبريل 1989.
38 صحيفة انترناشونال هيرالد تريبيون، 2 مارس 1988.

39 هآرتس، 2 كانون الأول (ديسمبر) 1987.
40 ريتشارد كوب، الفرنسيون والألمان، الألمان والفرنسيون، ص 162.

41 دافار، 29 فبراير 1988.
42 صحيفة انترناشونال هيرالد تريبيون، 2 مارس 1988.
43 حداشوت، 18 مايو 1989.
44 "هآرتس، 3 مارس 1988."
45 "هآرتس، 21 مايو 1989."
46 جيروزالم بوست، 13 مارس 1988.
47 معاريف، 16 أغسطس 1988.
48 جيروزالم بوست، 26 أغسطس 1988.
49 دافار، 12 ديسمبر 1988.
50 حداشوت، 12 مايو 1988.
51 الغارديان، 1 نوفمبر 1989.
52 مقابلة.
53 "يديعوت أحرونوت، 28 أبريل 1989."
54 كول هعير، 5 مايو 1989.
55 حداشوت، 28 يوليو 1989.
56 هاعولام هازيه، 3 مايو 1989.
57 إندبندنت، 12 مايو 1989.
58 حداشوت، 5 يونيو 1989.
59 يديعوت أحرونوت، 2 كانون الأول (ديسمبر) 1988.
60 "يديعوت أحرونوت، 30 يونيو 1989."
61 حداشوت، 30 كانون الأول (ديسمبر) 1988.
62 "يديعوت أحرونوت، 19 كانون الأول (ديسمبر) 1988."
63 دافار، 19 ديسمبر 1988.
64 "هآرتس، 30 يونيو 1988."
65 "هآرتس، 23 مارس 1989."
66 مقابلة مع أمنون شاحاك، إذاعة جيش الدفاع الإسرائيلي، 9 يونيو 1989.
67 مقابلة مع أمنون شاحاك، التلفزيون الإسرائيلي، 9 يونيو 1988.
68 دافار، 9 فبراير 1989.
69 "هآرتس، 16 مارس 1989."
70 مقابلة مع أمنون شاحاك، إذاعة جيش الدفاع الإسرائيلي، 9 يونيو 1989.
71 يديعوت أحرونوت، ٢٤ مارس ١٩٨٩. بعد تقاعده من الموساد بفترة وجيزة في مارس ١٩٨٩، صرّح ناحوم أدموني بأنه يعتقد أن منظمة التحرير الفلسطينية لا تزال "في جوهرها" منظمة إرهابية. وقال: "أفترض أنه إذا قررت منظمة التحرير الفلسطينية أنها بحاجة إلى تعزيز إنجازاتها، وإذا تباطأت العملية السياسية، فإنها ستستأنف نهجها الإرهابي لتحريك العملية وتحقيق أهداف إضافية". (إذاعة جيش الدفاع الإسرائيلي، ٢١ يوليو ١٩٨٩).

72 القدس، 23 حزيران (يونيو) 1989.
73 القدس، 30 حزيران 1989.
74 "يديعوت أحرونوت، 20 يناير 1989."
75 ديفيد جروسمان، الريح الصفراء، نيويورك، 1988، ص 144.
76 مقابلة مع ديفيد جروسمان، التلفزيون الإسرائيلي، 7 يونيو 1987.
77 أورشليم، 24 فبراير 1989.
78 الغارديان، 11 مارس 1989.
79 يديعوت أحرونوت، 24 فبراير 1989.
80 أورشليم، 17 فبراير 1989.
81 حداشوت، 13 يناير 1989.
82 الغارديان، 12 يناير 1989.
83 معاريف، 13 يناير 1989.
84 حداشوت، 13 يناير 1989. .
85 وقد استغلت مجلة فرنسية صدرت في لبنان هذا الأمر بسرعة. مقتطف غير ضار، لكن يبدو أنه كان في حيرة من أمره بسبب مشاكل الترجمة من العبرية إلى العربية إلى الفرنسية، وأعلن أن "الاسم الحربي" لرئيس الموساد هو "السيد جودشي".
86 "يديعوت أحرونوت، 13 يناير 1989."
87 واشنطن بوست، 6 أغسطس 1989.
88 مقابلة.
89 هآرتس، أكتوبر/تشرين الأول 1989.
90 مقابلة، صحيفة هآرتس، 21 ديسمبر 1989.
91 "هآرتس، 18 مارس/آذار 1989 و5 أبريل/نيسان 1989."
92 مقابلة.
93 "يديعوت أحرونوت، 30 مارس 1990."

خاتمة

1 عاموس عوز، لا.داعت إيشا، تل أبيب، 1988. انظر أيضًا أمون جاكونت، بيسيك زمان، تل أبيب، 1982؛ وشلومو فرانكل. سودي بيوتر تل أبيب، 1988.
2 ديفيد غروسمان، حازمان هاتساهوف، تل أبيب، 1987.
3 يتسحاق بن نير، تطاون، تل أبيب، 1989.
4 دافار، 28 أبريل 1989.

مصادر

مصادر

المصادر الأولية

أرشيف بن غوريون (سديه بوكر)
مذكرات ومراسلات بن غوريون

باماهان دافار هآرتس حداشوت جيروزاليم بوست كوتيريت رشيت معرشوت معاريف مونيتين يديعوت أحرونوت

اختر الببليوغرافيا

الأرشيف الصهيوني المركزي (القدس)
أوراق الدائرة السياسية للوكالة اليهودية

أرشيف دولة إسرائيل (أورشليم)
أوراق وزارة الخارجية أوراق مكتب رئيس الوزراء
أوراق وزارة شؤون الأقليات، أوراق رؤوفين شيلواه
أرشيف كيبوتس ميئهاد (إفعال) أوراق يسرائيل جليلي
أرشيف البلمة

مكتب السجلات العامة (لندن) أوراق وزارة الخارجية
أوراق بوريس غوربيل (القدس) الأرشيف الوطني (واشنطن)

أبو إياد، ليلو موليدت، تل أبيب، 1979.
آدامز، جيمس، التحالف غير المقدس، لندن، 1984.
تقرير لجنة أغرانات، تل أبيب، 1975. عجمي، فؤاد، الإمام الغائب، نيويورك، 1986. البزاز، سعد، الحرب السورية، لندن، 1987.
الموجي، يوسف، همفاك بن غوريون، تل أبيب، 1988.
أميري، جوليان، نهج مارس، لندن 1973.
أمير، يسرائيل، ديريخ لو سلولا، تل أبيب، 1988.
أندرو، سي، وديلكس، دي، البعد المفقود، لندن، 1984.
آفي ران، رؤوفين، هامورافوت هاسوريت بليفانون (1975-85)، تل أبيب، 1986.

بار، شموئيل، ملحمة يوم هكبوريم بينيني هرافيم، تل أبيب، 1986.
بار كوخبا، موشيه، ميركافوت هابيادو، تل أبيب، 1989. بار أون، أفنير، هاسيبوريم شيلو سوبرو، القدس، 1981. بار زوهار، مايكل، المنتقمون، لندن 1968.
- بن جوريون، تل أبيب، 1987.
- جواسيس في الأرض الموعودة، نيويورك، 1972.
بار زوهار، ميخائيل، وهابر، إيتان، البحث عن الأمير الأحمر، نيويورك، 1983.
بارنابي، فرانك، القنبلة الخفية، لندن، 1989.
بارتوف، حانوخ، دادو، تل أبيب، 1978.

بيرة، إسرائيل، بيتاخون إسرائيل، تل أبيب، 1966.
بيت حلحمي، بنيامين، الارتباط الإسرائيلي، لندن، 1988. بن جوريون، ديفيد، يومان الملحمة، تل أبيب، 1982.
بن نير، اسحق، تطاون، تل أبيب، 1989.

بن يسرائيل، اسحق، حوار المدى في موديعين، تل أبيب، 1989.

مصادر

ديان، موسى، قصة حياتي، لندن. 1977.
-	العيش مع الكتاب المقدس، لندن، 1978. ديكون، ريتشارد، "ج"، لندن، 1984.
جيركفيلوف، إيليا، الخادم السري، لندن، 1987.

569

بنفنستي، ميرون، القدس، المدينة الممزقة، القدس، 1976. بنزيمان، عوزي، شارون، قيصر إسرائيلي، نيويورك، 1985.
بينور، يوروم، عدوي، أنا، نيويورك، 1989.
بلاك، إيان، الصهيونية والعرب 1936-1939، نيويورك، 1986.
بلاك، إيان، وكابلان، نيل، "إسرائيل ولبنان: أصول العلاقة"، مجلة القدس الفصلية، ربيع 1983.
بليتزر، وولف، إقليم الأكاذيب، نيويورك، 1989. بوبر، أربيه (محرر)، إسرائيل الأخرى، نيويورك، 1972.
بريشر، مايكل، القرارات في الأزمات. إسرائيل 1967 و 1973، لوس أنجلوس، 1980.
بروك، راي، الدم والنفط والرمل، كليفلاند، 1952. بيرنز، إي إل إم، بين العرب والإسرائيليين، لندن 1962.

كاروز، يعقوب، المخابرات العربية، لندن، 1978. شالياند، جيرارد، المقاومة الفلسطينية، لندن، 1972.
-	الناس بلا وطن، لندن، 1980.
كوبان، هيلينا، منظمة التحرير الفلسطينية، كامبريدج، 1984.
-صناعة لبنان الحديث، لندن، 1985.
كوهين، أمنون، المخابرات العسكرية الإسرائيلية قبل حملة سيناء عام 1956، الاستخبارات والأمن القومي، المجلد 3، العدد 1، يناير
1988.
كوهين، يروحام، ليؤور هايوم أوفاماكشاخ، تل أبيب، 1969. كولي، جون، المسيرة الخضراء، أيلول الأسود، لندن، 1973.
كوبلاند، مايلز، لعبة الأمم، نيويورك، 1969.
-لاعب اللعبة، لندن، 1989.

دان، أوري، وبن بورات، ي.، الحرب السرية، نيويورك. 1970.
دان. أوري، ومان، بيتر، أيخمان بيداي!، تل أبيب، 1987. دانين، عزرا، تيودوت أودمويوت، القدس، 1981.

ايزنبرغ، دينيس، دان، أوري، ولانداو، إيلي، الموساد: قصص من الداخل،

نيويورك، 1978.
أيزنبرغ، دينيس، لانداو، إيلي، والبرتغالي، مناحيم، العملية
سفينة اليورانيوم، تل أبيب، 1978.
إلعاد، أفري، هآدم هاشليشي، تل أبيب، 1976. إلياف، آيره ليوفا، تاباعوت إيدوت، تل أبيب، 1984.
إشيد، حجي، مي ناتان وهحوراء، القدس، 1979.
- الموساد شيل ايشي ايهاد، القدس، 1988.
إيفلاند، ويلبر كرين، حبال الرمال، نيويورك، 1980. إيتان، ستيف، لويل دو تل أبيب، باريس، 1972.
فاليجوت، روجر، وكروب، باسكال، لا بيسين، أكسفورد، 1989. فيسك، روبرت، الشفقة على الأمة، لندن، 1990.
فرينكل، شلومو، سبيكتور: سودي بيوتر، تل أبيب، 1988.

غازيت، شلومو، همكيل فيهاجيزر، تل أبيب، 1985.
- "تقديرات الاستخبارات وصانع القرار"، الاستخبارات والأمن القومي، المجلد 3، العدد 3، يوليو 1988.
غيلين، راينهارد، الخدمة، نيويورك، 1972.
جيلبر، يوآف، تولدوت ههيتنادفوت، القدس، 1979-83.
- غارين لتسافا إيفري سادير، القدس، 1986. جلعاد، ض. (محرر)، سفر هابالما، تل أبيب، 1955.
جولان، أفييزر، عملية سوزانا، نيويورك، 1978.
جولان، أفيزر، وبينكاس، داني، شولا: الاسم الرمزي اللؤلؤة، جديد يورك، 1980.
جولان، ماتي، شمعون بيريز، لندن، 1982.
غرانوت، عوديد، تساحال بهيلو: هايل هموديعين، تل أبيب، 1981. غروسمان، ديفيد، حازمان هاتساحوف، تل أبيب، 1987.
- الريح العاصفة، نيويورك، 1988.
هابر، إيتان، هيوم تيفروتز ملحمة، تل أبيب، 1987. حلبي، رفيق، قصة الضفة الغربية، نيويورك، 1981.

- تسيوني بكحول تناهي، القدس، 1987.
دافنبورت، إيلين، إيدي، بول، وجيلمان، بيتر، قضية بلومبات، لندن، 1978.

هاليداي، ف.، ومولينوكس، م.، الثورة الإثيوبية، 1981.
هاريل، إيسر. منزل في شارع غاريبالدي، نيويورك، ١٩٧٥ •

لندن،

هرئيل، إيسر، ميفتسا يوسيل، تل أبيب، 1982.
-كام إيش الإيهاف، القدس، 1982.
- مشبر همدانيم همجرمانيم، تل أبيب، 1982.
- هيميت الرتزا كاستنر، تل أبيب، 1985.
- ريجول سوفيتي، تل أبيب، 1987.
- بيتاشون في ديمقراطية، تل أبيب، 1989. هارت، آلان، ياسر عرفات، لندن، 1984.
هاشافيا، أرييه، ملحمة يورن هكيبوريم، تل أبيب، 1974. هيكل، محمد، الطريق إلى رمضان، لندن، 1976.
- أبو الهول والأميسار، لندن 1978.
- عودة آية الله، لندن، 1981.
هيرش، سيمور، ثمن القوة، نيويورك، 1983. هيلل، شلومو، روح كاديم، القدس، 1985.
الصفحة الرئيسية، أليستير، حرب سلام وحشية، لندن، 1977.
عنباري، بنحاس، مشولاش الحياردين، القدس، 1983. جاكونت، أمنون، بيسيك زمان، تل أبيب، 1982.
جوناس، جورج، الانتقام، لندن، 1984.

تقرير لجنة كاهان، القدس، 1983. خالد، ليلى، شعبي سيعيش، لندن، 1973. خالدي، رشيد، تحت الحصار، كولومبيا، 1986.
كيمحي، ديفيد، وباولي، دان، العاصفة الرملية، لندن، 1968. كلاين، زئيف (محرر)، هاميلهاما بترور، تل أبيب، 1988.
نايتلي، فيليب، ثاني أقدم مهنة، لندن، 1986. كوليك، تيدي، من أجل القدس، تل أبيب، 1978.
كوتلر، يائير، جو هوزر الهاور، تل أبيب، 1988.

لامب، فرانكلين ب. (محرر)، حرب إسرائيل في لبنان، بوسطن، 1984. لانير، تسفي، HaHafta'ah HaBesisit، تل أبيب، 1983.
لاكور، والتر، الطريق إلى الحرب، لندن، 1969.
-أ عالم الأسرار، نيويورك، 1985.
لافي، يشعياهو (محرر)، بارشيوت نعيلاموت، تل أبيب، 1961. ليدين، مايكل، ولويس، ويليام، كارثة، نيويورك، 1981. لاوي، يشعياهو، ملحمة هتسلاميم، تل أبيب، 1969.
ليفي، اسحق، تيشع كابين، تل أبيب، 1986.
ليفنات، شولاميت، هشامايم كروفيم يوتر، تل أبيب، 1989. لويد، سلوين، السويس 1956، لندن، 1980.

لوتز، فولفغانغ، جاسوس الشمبانيا، لندن، 1972. لوكاس، نوح، التاريخ الحديث لإسرائيل، لندن، 1974.

مالكين، بيتر ز.، وشتاين، هاري، آيخمان بين يدي، نيويورك، 1990.
مان، روبرت، قضية بتروف، سيدني، 1987.

ماعوز، موشيه، القيادة الفلسطينية في الضفة الغربية، لندن، 1984. مردور، مائير (مونيا)، شيليهوت ألما، تل أبيب، 1957.
مارتن، ديفيد، ووالكوت، جون، أفضل الخطط الموضوعة، نيويورك، 1988. مائير، جولدا، حياتي، لندن، 1976.
مراري، أريئيل، وبلاد، شلومي، فهاه حول. تل أبيب، 1986. ميلستين، أوري، تولدوت ملهمت هعتزموت، تل أبيب، 1989. مشعل، شاؤول، منظمة التحرير الفلسطينية في عهد عرفات، ييل، 1986.
-أفانيم زي لو هكول، تل أبيب، 1989.
موريس، بيني، "نشأة العلاقة الإسرائيلية الكتائبية، 1948- 1951"، دراسات في الصهيونية، ربيع 1984.
- نشأة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين 1947-1949، كامبريدج، 1988.
موشيل، أهارون، الأفعى، هامبورغ، 1989.
مطاوع، سمير أ.، الأردن في حرب 1967، كامبريدج، 1987.

نكديمون، شلومو، سفروت نموحة، تل أبيب، 1982.
-الضربة الأولى، نيويورك، 1987.
ناعور، مردخاي، لاسكوف، تل أبيب، 1988.
نيف، دونالد، محاربون من أجل القدس، نيويورك، 1984.

أوبالانس، إدغار، القوة العربية للعصابات المسلحة، 1967-1972، لندن، 1974. أوفر، تسفي، وكوبر، آفي، موديعين فيبيتاخون لئومي، تل أبيب، 1987. أوز، عاموس، لداعت إيشا، تل أبيب، 1988.

باسيبا، أيون، الآفاق الحمراء، لندن، 1989. بارفيت، تيودور، عملية موسى، لندن، 1989.
بارسونز، أنتوني، يقولون الأسد، لندن، 1986. بيلاي، دورون، بيتارون ميفتساي، تل أبيب، 1990.
بيري، يوروم، بين المعارك والاقتراع، كامبريدج، 1983.
بيرلموتر، آموس، هاندل، مايكل، وبار جوزيف، أوري، دقيقتان فوق بغداد، لندن، 1982.
بيك 1 بنحاس، "هاريشيت هاتسفايت هانتي-بريت شيل هاغاناه بي أورشليم"، عيدان، العدد 2، 1983.

بوراث، يهوشوع، الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، 1929- 1939، لندن، 1977.
بوسنر، جيرالد إل، ووير، جون، منجيل، نيويورك، 1986. بوسنر، ستيف، إسرائيل السرية، نيويورك، 1987.
باورز، توماس، الرجل الذي احتفظ بالأسرار، نيويورك، 1979. برايس جونز، ديفيد، وجه الهزيمة، لندن، 1974.
رابين، اسحق، مذكرات رابين، القدس، 1979. رابينوفيتش، أبراهام، قوارب شيربورج، نيويورك، 1988.
رابينوفيتش، إيتامار، حرب لبنان 1970-1983، نيويورك، 1984. رافائيل جدعون، وجهة السلام، نيويورك، 1981.
رابوبورت، لويس، أغنية الفداء، نيويورك، 1986. رونين، ديفيد، شنات شاباك، تل أبيب، 1989.

شيف، زئيف، تاريخ الجيش الإسرائيلي، لندن، 1987.
شيف، زئيف، وروثستين، رافائيل، الفدائيين، نيويورك، 1972. شيف، زئيف، وياري، إيهود، حرب لبنان الإسرائيلية، لندن، 1986.
- الانتفاضة، نيويورك، 1990.
شوارتز، والتر، العرب في إسرائيل، لندن، 1959. سيل، باتريك، النضال من أجل سوريا، لندن، 1965.
- أسد، لندن، 1988.
سيجال، هاجاي، الإخوة الأعزاء، نيويورك، 1988.
سيغف، شموئيل، همشولاش حيراني، تل أبيب، 1981.
- ميفتسا ياشين، تل أبيب، 1984.
- بوديد بيداميسيك، تل أبيب، 1986.
- المثلث الإيراني، نيويورك، 1988.
سيجيف، توم، 1949: الإسرائيليون الأوائل، نيويورك، 1986. شاريت، موشيه، يومان إيشي، تل أبيب، 1978.
شبلاق، عباس، إغراء صهيون، لندن، 1986. شلايم، آفي، التواطؤ عبر نهر الأردن، أكسفورد، 1988. سيف، ماركوس، لا تسأل عن السعر، لندن، 1987.
سيلفر، إريك، بيجين، لندن، 1984.
سلوتسكى، يهودا، سفر توليدوت هاجاناه، تل أبيب، 1964. سميث، كولين، كارلوس، لندن، 1976.
سبيكتور، ليونارد س.، التحول إلى الطاقة النووية، نيويورك، 1980. ستيفن، ستيوارت، سادة التجسس في إسرائيل، نيويورك، 1980.
فريق صنداي تايمز إنسايت، حرب يورن كيبور، لندن 1977. سيلفستر، أنتوني، السودان في عهد نميري، لندن، 1977.

تيفيت، شبتاي، البركة الملعونة، لندن، 1970.

- بن جوريون: الأرض المحترقة، بوسطن، 1987. تينين، ديفيد ب.، فريق الاغتيال، بوسطن، 1976. طلاس، مصطفى، HaPlisha HaYisraelit LeLevanon، تل أبيب، 1988. تقرير لجنة البرج، نيويورك، 1987.

فيرير، أنتوني، من خلال المرآة، لندن، 1983.

والد، إيمانويل، كلالات هاكيليم هاشفوريم، تل أبيب، 1987. وايزمان، عزرا، على أجنحة النسور، لندن، 1976.
وودهاوس، سي إم، omething VenturedS، لندن، 1982. وودوارد، بوب، Veil، نيويورك، 1987.
رايت، بيتر، صائد الجواسيس، نيويورك، 1987.

يعاري، إيهود، سترايك تيرور، نيويورك، 1970.
- Mitzraim VeHaFedayin, Givat Haviva, 1975.
يعاري، إيهود، وهابر، إيتان، عام الحمامة، نيويورك، 1979. يانيف، أفنير، معضلات الأمن، نيويورك، 1987.

زونيس، مارفن، النخبة السياسية في إيران، برينستون، 19 71.

فِهرِس

(ملاحظة: يتم إدخال الأسماء الشخصية التي تبدأ بـ al-، as-، ash-، el- تحت الاسم الذي يليه، مع الاحتفاظ بالبادئة.)

فِهرِس

فِهرِس

فِهرِس

فِهرِس

فِهرِس

591

فِهرِس